

د. رفعت السعيد
١
تاريخ
الحركة الشيوعية
المصرية
من
١٩٠٠
إلى
١٩٤٠
المجلد الأول

٢٥

د. رفعت السعيد

تاريخ
الحركة الشيوعية
المصرية

المجلد الأول

١٩٠٠ – ١٩٤٠

يضم هذا المجلد كتابين

١٩٠٠ : ١٩٢٥ اليسار المصرى

١٩٢٥ : ١٩٤٠

في هـــذا المجلـد

* تاريخ الحـركة الاشتراكية فى مصر

١٩٠٠ – ١٩٢٥

الطبعـة السادسة

* اليســار المصرى

١٩٢٥ – ١٩٤٠

الطبعـة الثالثة

•• وكانت البداية

منذ اكثر من عشرين عاما ••

.. طرحت امامى كل ما يمكن ان يغلفنى من احلام وطموحات ، وبدات انتقى منهـا ما اعتقـد انه الأجمـل والأكثر بهاء ، والأكثر جدارة بأن امنحه بعضـا من ذاتى ••

وكانت الأيام صعبة ، الغابة تناثرت اشجارها ، قرار « الحل » يخيم مثل كابوس قدرى مخيف ، « يوم يفر المرء من أخيه ، وامه وابيه » وكان البعض يرفض أن يعود بأبصاره الى الخلف ، خشية أن يسىء « السادة » فهم هـذه الانفـاتة ، وكان البعض وكأنه يريـد أن يغتسل مما مضى ، والبعض يؤمـن فى « الحاضر » وحـده •• والبعض الآخر يرتجف من هول أن يكون وحيـدا فيسعى الى دروس المـاضى تعلما واكتسابا للدفء ، واستعدادا للآتى من الأيام ••

وبينما كان اكثر من حلم يتالق فى خاطرى ، برز من بينهـا امل ان اعـد دراسة اكاديمية متكـاملة عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية •• منذ ايامها الأولى •• اى ما قبـل مطلع القرن العشرين ••

وامتزج العـام بالخـاص •

ان يصبح الحلم طموحـا ، وان يتحول الطموح الى قطعة من الهم الذاتى كل يوم بل وكل لحظـة •• ولقـد اشفق الكثيرون من هذا الحلم •

البعض اشفق منه على ، فهو عبء اكبر من ان يحتمل فرد كل اثقاله •

والبعض اشفق على منه ، خشية الا اكون بالقدرة المطلوبة ، ولا بالحياد المفتـرض •

ونصحنى البعض ان انتظر ، والح البعض ان اتخلى حتى لا يساء فهمى ، او فهم ما اريـد ، وكشر البعض من « السادة » عن انياب غير راضية •• واكثر من مرة وقفت أمام النيابة والقضاء لأفسر وابرر « لمـاذا » و « ما الدافع » وما هو القصـد والهـدف ؟؟

ولكن •• ما امتع ان يخوض الانسان معركة يمتحن فيها نفسـه وقدرته على الفعل ، وقدرته على التعلم وقدرته على التحدى •

وما أمتع أن يتحصن الانسان فى ساعات الشدة ، ولحظات الاحباط بحلم يتألق دوما فى سماء فعله اليومى ٠٠

طرحت كل المحاذير ، كل التحذيرات ، كل المخاوف ٠٠ وخضت غمار التجربة ٠

لم اكن اتخيل انها بكل هذه الصعوبة ، ولا هذه الخصوبة ، ولا هذا الدفء ٠

فى اقسى ساعات الشدة حيث قشعريرة الوحدة تمنح كل الأجساد الما باردا وقاتلا ، كنت إشعر بدفء الماضى وعطره ، وامتحن قدرتى على التطلع للمستقبل ٠

وانغمست حتى اعمق اعماقى فى هذه الغابة الجميلة من المعرفة الممتعة ٠

صرت اتابع الحدث ٠٠ وأصحابه واتوحد معهم ، اعايشهم ، احلم بهم ، أحمل همومهم فوق كاهلى ، افكر فى مشكلاتهم ناسيا ان قرابة القرن قد مضت ٠٠ صرت اتعرف على الاسماء والح فى متابعة التعرف عليها حتى كدت ابنى فى مخيلتى ملامح متكاملة لكل من هؤلاء الرجال ٠٠ وباختصار شدتنى التجربة باكثر مما توقعت ، وباكثر مما توقع احد ٠٠

وانجزت الجزء الاول من هذه الدراسة ٠٠ وحصلت به على درجة ، دكتوراة الفلسفة فى التاريخ الحديث ، وآثار صدوره ضجيجا ، وصخبا .

ولقد اوشك ان يحبطنى وأن يحبط كل مشروعى ان الكتاب قد منع طبعه بمصر ، وكذلك منع تداول الطبعة البيروتية منه ٠ فما جدوى ان تحكى عن العاشق والمعشوقة لا تعلم ؟

ان مصر ٠٠ وطبقتها العاملة هى محور الحلم الذى عشقت ، فما جدوى ان اكتب للآخرين ؟ ٠٠ لكننى ومع ذلك قررت أن أواصل ٠ هل هو الاصرار ؟ أم هو الالهام الذى وفد الى عبر همسة ابلغتنى أن بعضا من الشباب ينسخ الكتاب بخط يده وينظم تداوله مخطوطا ؟ ام هو حلم التطلع الى مستقبل ينسج خيوطه من الماضى ؟

وواصلت ٠٠ وتواصلت الدراسة ، كل حلقة منها تسلمنى للأخرى ، تامرنى أن اواصل ، الدراسة الاكاديمية تجبرك على ان تتكامل معرفتك بموضوعها ٠ وتحتم ان أدرس مع تاريخ الحركة الشيوعية تاريخ صحافتها ، وحدود موقفها من القضية الفلسطينية ، ورؤيتها لقادة العمل السياسى المعاصر ٠٠

٠٠ تواصلت الدراسة ، وتواصلت معها حتى توجت بحدثين كانا تتويج حلمى الجميل ٠٠ صدر الجزء الاخير من هذه الدراسة ، تاريخ الحركة الشيوعية

المصرية ـ ١٩٥٧ ـ ١٩٦٥ » .. وأكاديميا قدمت دراسة مضنية حصلت بها على « دكتوراة العلوم فى التاريخ الحديث » ..

اخيرا تنفست الصعداء ٠

وقبل ان استشعر تمام الراحة .. كان الحلم الجميل يتململ ، وكانت عيناى تتوقفان امام ملفات عديدة تحتوى على بيانات اضافية تراكمت عبر السنوات العشرين .. اضافات ، وثائق ، تصحيحات ، انتقادات تتعلق بما كتبت ٠

واحسست اننى لم ازل مدينا ٠

للقارىء الذى استنفد كل ما صدر من طبعات بحيث اصبح من الضرورى اعادة طبع كل ما صدر منها .. وللحقيقة التى تظل تلح حتى تتكامل ٠

.. احسست اننى لم ازل مدينا ..

للقارىء الذى يستحق ان اقدم له كل ما تجمع لدى من معرفة والا اضن عليه بشىء منها ٠ ولأبطال الملحمة الفدائى والمعاصرين .. بان اقدم تاريخهم باكبر قدر من التدقيق والتصويب .. فعدت مرة اخرى اراجع كل حرف وكل موقف ، واضيف وامحو وأصحح ، واحاول ان اقدم الحقيقة فى صورتها الحقيقية ٠

وأعود فأتى للقارىء من جديد ..

وكان عشرون عاما لا تكفى .. هكذا عاتبنى البعض ممن احب ٠

واجبت .. ولا حتى كل ما تبقى من عمر يكفى كى يفى بالدين ..

وهكذا ستصدر هذه الكتب جميعا فى مجلدات متتابعة .. يضم المجلد الاول منها :

* تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ ـ ١٩٢٥

* اليسار المصرى ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠

ولقد طبع من الدراسة الاولى خمس طبعات .. وها هى السادسة .. اما الدراسة الثانية فقد طبعت ثلاث مرات ، وقد نفدت منذ أمد بعيد لكننى رفضت اعادة طبعها لاننى احسست اننى قد امتلكت عليها اضافات هامة ، ولما كنت منغمسا بكليتى فى متابعة حلقات الدراسة فقد وعدت نفسى او توعدتها بان ارجىء اعادة طبعها حتى انتهى من الجزء الاخير ثم اعكف عليها بالتعديل والاضافة ٠

وما قد أوفيت بوعدى ووعيدى ·· معا ·

··· وبعد

ما من كلمات يمكنها ان تصف امتنانى للقارىء الذى كان لالحاحه المستمر سؤالا وضغطا بل وتوعدا أكبر الأثر فى ان أواصل حتى فى سنوات الزمن الصعب ·· البحث والكتابة ، وفى أن انتزع الوقت الضرورى لها وهو كثير من براثن الانشغال بالحاضر وبالمستقبل معا ··

وما من كلمات يمكنها ان تفى بحينى لاستاذى البروفيسور راشمان عميد جامعة كارل ماركس بالمانيا الديمقراطية ومعاونيه ، فقد تعلمت على يديهم الكثير ، سواء فى مجال المعرفة العلمية بالتاريخ ، أو فى مجال البحث الاكاديمى وأدواته ··

وما من كلمات يمكنها ان تصف العرفان بالجميل لاسرتى ·· زوجتى وابناى خالد وغادة ·· فقد احتملوا منى كل ما تطلبته دراسة طويلة الأمد كهذه من انشغال بهمومها ، وانطواء على ادواتها ··

وما من كلمات يمكنها ان تكشف عن عمق المحبة التى تحتشد فى وجدانك وانت تتابع عبر أجمل سنوات حياتك سيرة ونضال وعذابات ومعارك رجال ·· وهبوا حياتهم للمبدأ وللشعب وللوطن ··

وما من كلمات يمكنها ان تصف كون انسان يحقق حلمه ·· بل اجمل احلامه ·

القاهرة ـ ١١ أكتوبر ١٩٨٦

تاريخ الحركة الاشتراكية
١٩٠٠ - ١٩٢٥

الطبعة الأولى : دار الفارابى - بيروت ١٩٧٢

الطبعة الثانية : دار الثقافة الجديدة - القاهرة ١٩٧٥

الطبعة الثالثة : دار الفارابى - بيروت ١٩٧٥

الطبعة الرابعة : دار الطليعة - بيروت ١٩٨٠

الطبعة الخامسة : دار الثقافة الجديدة - القاهرة ١٩٨١

واســتاذا

وصديقا

الى

خــالد محى الدين

اخــا وصديقا واســتاذا

مقدمة الطبعة الخامسة

ثمة مناسبتان وليس مناسبة واحدة .

الطبعة الخامسة من هذا الكتاب تصدر ..

وهى تصدر فى الذكرى الستين لتاسيس الحزب الاشتراكى المصرى الأول .

والكلمة عاجزة تماما عن التعبير .

فالاحساس وانت تكتب مقدمة كتاب مختلف تماما عن الاحساس وانت تقدم كلمة للطبعة الخامسة منه ..

تماما مثل الاختلاف بين أن تحرر شهادة ميلاد ابنك أو ابنتك ، وان تحضر حفل زفافه .

خمس طبعات .. شئ لم يكن أحلم به ولا املك ازاءه الا ان احنى راسى احتراما للقارئ الذى غمرنى باهتمامه وتشجيعه .

ثمة أيام كان فيها هذا الكتاب ممنوعا فى مصر ، وفى هذا البلد العربى أو ذاك ، وكان القارئ يتابعه برغم المنع ، يغامر بحيازته ، أو حتى مجرد قراءته ، لكنه مع ذلك ظل متمسكا بحقه فى ان يتعرف على تاريخ هذا العمل الفذ . المحاولة الأولى لتاسيس حزب اشتراكى مصرى ..

* * *

وتتوالى الطبعات فتصبح خمسا ، وبرغم تعددها وبرغم سنوات عديدة تمضى يظل ثمة دين معلق فى عنقى اشعر انه لابد من الوفاء به .. كلمة تحية لسالم جليل ، واحد من آباء التاريخ الحديث فى عالمنا المعاصر البروفسور لوثر راثمان عميد جامعة كارل ماركس بالمانيا الديمقراطية .. ذلك الرجل الذى فتح امامى بسخاء وتفان ابواب التعرف على ممكنات علم التاريخ ، ومناهج البحث فيه والذى اشرف فى صراحة العالم وحنان الصديق على رسالة الدكتوراة التى اعتمدت اساسا على موضوع هذا الكتاب .. عنه تعلمت كيف ابحث واكتب فى التاريخ . واليه اهدى تحية وفاء .. واحترام .

والعـــام الستون يأتى ٠٠٠

رحلة طويلة وشـاقة خاضتها اعلام الاشتراكية عبـر الشـوك ووسط أحضـان الجمـاهير ٠٠

سنوات ستون من التفـانى المخلص والوفـاء المتبتـل للوطـن والشعب والاشتراكية ٠٠٠

الرحـلة الشـاقة هى موضوع معاناة الالاف من اولئك الرجـال والنساء الذين تمسكوا براية مبـدا آمنوا به وتقبلوا فى سبيل هذا الايمـان تضحيات لا حصر لهـا ٠٠ تضحيات يصعب على المؤرخ أن يتناولهـا بالوصف ٠٠ فعلم التـاريخ علـم صارم لا يعـرف اللين امام العاطفـة حتى ولو كانت صادقة ، ولعل الدور يأتى الان على الادب والفن بنغماته المختلفة ليقـدم لنا صورا شتى من هذه الرحلة الطويلة ٠٠

لعـل المؤرخ يلعب فى هذا العمل دور المستكشف ٠٠ البـاحث المدقق ، المتخـطى لحـاجز الحب والشوق ، والمتمسك باكاديمية البحث والجـراة على الانتقـاد والتقييم واعمال مقـاييس الصحة والخطـا ، ولعله يتجاسر بذلك على تضحيات رجال خاضوا الصعب ، بذلوا الدم والعـرق ٠٠ والحيـاة ٠ فيأتى الاخرون فى جلساتهم المسترخية فيمسكون بقلم المدرس محاولين اجازة هذا الموقف وتخطئة ذلك ناسين ان كل موقف كان بذاته معركة تطلبت عرقـا ودما وجهـدا ٠٠ وحيـــاة ٠

للدور الآن على الادب كى يقول بكلمتـه باعمـال درامية تسـجل تلك الأحـداث ٠

ليس لأننـا انجزنا مهمتنا ، فلم يـزل امامنـا الكثير ـ وانمـا لان الادب قـد تاخر كثيرا عن المجىء فى موعـده ٠

٠٠ وتمضى رحلة البحث تستهدف ان تغطى هـذه الحقبة المريرة البالغة الثـراء ٠٠

تحـاول ٠٠ وستحاول ٠

لكن التقـدم للامام لايحل المشكلة ٠

فالمؤرخ انسان كتبت عليه معاناة البحث الدائم ، وانت تتقدم للامام فى بحثك تشدك معلومات جديدة الى الخلف تستكمل ما اعتقدت يوما انه قد اكتمل .

وهكذا وعبر السنوات التى مضت منذ الطبعة الاولى تجمعت معلومات ووثائق اضافية .. كان لا بد من اعادة النظر فى موضوع هذا الكتاب على اساسها ، ومن تضمين ما هو هام ، وملفت للنظر ، فى اطار الطبعة الجديدة .

وفى الطبعات الأربع كان الاهداء دوما لخالد محيى الدين اخا وصديقا واستاذا ..

وتمضى السنوات واشعر انه يستحق اكثر .

اليه ايضا اهدى هذه الطبعة ..

ولكن ثمة بسمة تضىء الآن فى اشراقة باهرة ..

بسمة تشق ظلمة الحياة .. وتغرس الامل ..

هل يغفر لى ان اشركها معه فى اهداء هذه الطبعة ..

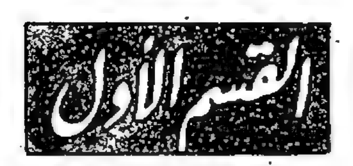
* * *

والرحلة لم تنته ..

لا رحلة البحث ولا رحلة النضال ..

وسيظل المؤرخ دوما مطالب بان يوزع نفسه ـ ان استطاع ـ بين معالجة فترة جديدة ـ هى بذاتها جزء من الماضى ـ وبين التطلع الى ما يجرى الآن ـ استكمالا وتطويرا للماضى ـ ... وبين الأمل فى المستقبل والاسهام فى صناعته .

القاهرة ٣ سبتمبر ١٩٨٠



مصر
في مطلع القرن العشرين

١

* التجمعات الطبقية والقوى الاجتماعية المختلفة .
* الحركة وســـط الفلاحين .
* النضال النقابى والسياسى للطبقة العاملة .
* المثقفون .. طريقان تؤدى اليهما الليبرالية .

التجمعات الطبقية والقوى الاجتماعية المختلفة

دخل الانجليز مصر على بساط من خيانة الاقطاع للثورة العرابية ، والحقيقة ان ارتماء الاقطاع بهذه الصورة السافرة فى احضان القوات الانجليزية الغازية كان خير دليل على النضج الطبقى لهذه الفئة ، فقد ادركت على الفور — دون اى تردد — ان الخطر الحقيقى الذى يهددها هو ثورة الفلاحين الذين يتقدمهم عرابى ، وان اى عدو لهذه الثورة ايا كانت اهدافه هو بالضرورة صديق •

وهكذا نسى سلطان باشا وعلى مبارك باشا وشريف باشا وغيرهم ، كل ما كانوا ينادون به من مطالب اصلاحية ودستورية •• وارتموا تحت وطأة الخوف من ثورة الفلاحين فى طريق الخيانة السافرة •• وباعوا انفسهم للانجليز •• وباعوا معها مصر ••

وقد بنى كرومر خطته فى مصر على عدة اسس اهمها دعم طبقة كبار الملاك ، والاستعانة بها اتباعا مطيعين — وسيباطا تلهب ظهر الشعب المصرى •

وهكذا بدأ كرومر فى دعم هذه الطبقة التى اسماها « طبقة اصحاب المصالح الحقيقية » ففى ديسمبر ١٨٨٣ صدر القانون المدنى الأهلى ليرسى دعائم حق الملكية فينص فى مادته الثامنة « تسمى ملكا العقارات التى يكون للناس فيها حق التملك التام وتعتبر فى حكم ذلك الاطيان الخراجية التى دفعت عنها المقابلة » •

وفى عام ١٨٩١ يحذف من القانون المدنى الاهلى شرط دفع المقابلة واصبح المنتفع بالارض مالكا لها ملكية تامة دون قيد او شرط(١) •

ثم ان هذه الطبقة قد نالت على الفور ثمن خيانتها للثورة العرابية وتواطؤها مع الاحتلال •• وعلى سبيل المثال « منح سلطان باشا عشرة آلاف جنيه هدية لما حصل له من الضرر والتعدى من العصاة على شخصه

---

(١) محمد صبيح — مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية — ص ٢٠٥

واقاربه وأتلاف موجوداته ومقدار جسيم من مزروعاته »(١) •

وثمة عامل آخر ساعد على سرعة تدعيم هذه الطبقة وثرائهيا هو ان تقدم الزراعة وعمليات استصلاح الاراضى فى اطراف الوادى سواء فى البحيرة او الشرقية قد دفع عددا من قبائل البدو الى الاستقرار والاشتغال بالزراعة ، وبطبيعة الحال اصبحت الارض ملكا لشيخ القبيلة بينما عمل بقية افرادها مزارعين او مستأجرين او اتباعا للشيخ(٢) •

-- والحقيقة أن عمليات استصلاح الاراضى قد نشطت نشاطا كبيرا بعد الاحتلال ، فكرومر الذى اراد مصر مزرعة خصبة للقطن اللازم لمصانع لانكشير قد طور وسائل الرى والصرف فما كان من كبار الملاك الا ان انتهزوا الفرصة واستصلحوا مساحات كبيرة من الاراضى ·· وفى مديرية البحيرة وحدها زادت الارض المنزرعة من ١٨١ر٤٣٩ فدان الى ٤٥٥ر٥٨٧ فدان اى بنسبة ٨ر٣٦٪ ·· وذلك خلال الفترة من ١٨٩٣ حتى ١٩٠١ واذا كانت مساحة الارض المنزرعة قد زادت فى البحيرة أكثر من غيرها من المديريات الاخرى (كانت نسبة الزيادة فى مصر كلها ١١٪) فان نسبة الملكيات التى تزيد عن ٥٠ فدانا الى مجموع الملكية الزراعية كانت فى البحيرة اعلى ايضا من اية مديرية اخرى فقد بلغت ٦ر٦١٪ بينما كانت نسبتها فى القطر كله ٦ر٤٥٪ ·· وهكذا يتضح ان اتساع المساحة المنزرعة كان مرتبطا بزيادة الملكيات الكبيرة فكبار الملاك والشركات العقارية كانوا يستولون فى الحقيقة على كل ما يستصلح من اراضى جديدة ··(٣) •

وهناك عامل آخر ادى الى زيادة ملكية هذه الطبقة ، هو بيع املاك الدائرة السنية وقد ذكر المؤرخون عديدا من الاسباب لبيع املاك الدائرة السنية ، لكننى اعتقد أن السبب الاساسى فى بيعها هو ان الصدام بين الخديوى عباس حلمى الثانى وبين سلطات الاحتلال قد نبه كرومر الى ضرورة اضعاف الاسرة المالكة وتخفيضها من مرتبة الحليف الى مرتبة التابع المطيع ··

وأسهل وسيلة لاضعاف الاسرة المالكة فى مجتمع كالمجتمع المصرى هو تجريدها من ملكياتها الكبيرة ·· وهكذا بدأت فى نهاية القرن ١٩ عملية

---

(١) زكى فهمى - صفوة العصر فى تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر - الجزء الاول •

(2) GABRIEL BAER — A HISTORY OF Landownership IN MODERN EGYPT — P. 56.

(3) Ibid — P24.

تصفية أملاك الدائرة السنية ٠٠ وقد بيع اكثر هذه الارض فى الفترة من ١٩٠٠ حتى ١٩٠٦.

وفى عام ١٩٠٠ بيع ٦٦٠٠٠٠ فدان

وفى الفترة من ١٩٠١ حتى ١٩٠٥ بيع ٢٢٤ر٠٠٠ فدان ٠

ثم انجزت العملية ببيع ١٦٠ر٠٠٠ فدان فى الفترة من اكتوبر ١٩٠٥ حتى مارس ١٩٠٦(١) ٠

ولقد كانت هذه السنوات الست فرصة العمر لكبار الملاك ، فان معظم هذه الاراضى أو كلها قد بيع لهم ٠٠ وكان هذا هو السر فى نشاط هذه الطبقة ٠٠ واتجاهها المحموم فى هذه الفترة بالذات لتكوين حزب سياسى لها ٠٠ بل لقد أحست هذه الطبقة بقوتها الى الحد الذى دفعها الى الاصطدام فى بعض الاحيان بسلطات الاحتلال ٠٠ وسوف نرى ذلك تفصيلا فيما بعد ٠٠

فقد اشترت أسرة سلطان عدة قرى من تفتيش المنيا ، وكذلك أسرة عمرو وشعراوى ٠٠ كذلك اشترت مساحات كبيرة أسر اقطاعية أخرى مثل بشرى حنا ولطف الله ويوسف كمال ٠

ويمكننا أن ندرك الاثر الحقيقى لبيع املاك الدائرة السنية على توزيع ملكية الارض من الجدول التالى :

نسبة مساحة الملكيات التى تزيد عن ٥٠ فدانا الى المساحة الكلية للاراضى(٢) ٠

السنة	النسبة
١٩٠١	٣٤ر٤٪
١٩٠٦	٤٥ر٦٪

والحقيقة ان هذه الطبقة كانت غنية بالفعل ، وكانت تكتنز مدخرات ضخمة ٠٠ وسوف اكتفى بايراد بعض الامثلة ٠٠

يروى محمد فريد فى مذكراته عن يومى ١٩ ، ٢٠ فبراير ١٨٩٣ « وفى هذه الغضون باع الدومين كثيرا من اطيانه ٠٠ باع تفتيش البدرشين لاخوان

(1) EDI' LA FORTUNE IMMOBILIERE DE L,EGYPTE ET SA DETTE HYPOTHECAIRE' PARIS. 1907. P. 108.

(٢) بايز ـ المرجع السابق ـ ص ٢٢٤.

وسوارتس بثلاثة وثمانين الف جنيه وكانوا قد اشتروا منذ سنتين تفتيش بنى رافع بالصعيد لاحد اقباط اسيوط الاغنياء بمبلغ ١٣٢ الف جنيه وغيره من الاراضى المتفرقة فاشترى رياض باشا نحو اربعمائة فدان بمديرية بنى سويف »(١) ٠

ويروى كرومر قصصا اخرى فيقول « يجرى كنز المال فى مصر بدرجة لا يصدقها اوروبى ٠٠ لقد بلغنى منذ قليل من الزمن ان ثريا مصريا توفى عن تركة مقدارها ٨٠٫٠٠٠ جنيه ذهب مخباة فى اقبيته ، وبلغنى ايضا ان فلاحا ميسور الحال اشترى ضيعة بنحو ٢٫٥٠٠ جنيه ، وبعد نصف ساعة من توقيعه على عقد المبايعة اذا بقطار من الجمير قد اقبل يحمل المال المطلوب ، وكان قد خبأه فى حديقته »(٢)

وهكذا يحقق كرومر الشق الاول من هدفه وهو دعم طبقة « اصحاب المصالح الحقيقية » وزيادة ثرائها كي تزداد تبعية ٠

لكن واقع الامر قد غير من النتيجة فالذين ازدادوا ثراء ازدادوا تطلعا للمزيد من الثراء ، ودفعهم هذا التطلع الى الصدام مع المحتلين ٠٠ فكبار الملاك الذين اسكرتهم نشوة الخلاص من عرابى ومن ثورة الفلاحين بداوا يفيقون ليجدوا ان مصر تفلت من ايديهم وتتسرب بكل ثرواتها الى الاجانب ٠٠

فالاستثمارات الاجنبية تزداد زيادة ضخمة

الاستثمارات الاجنبية بالجنيه(٣)	السنة
٧٫٣٢٦٫٠٠٠	١٨٩٢
٨٧٫١٧٦٫٠٠٠	١٩٠٧
١٠٠٫١٥٢٫٠٠٠	١٩١٢

لكن هذه الاستثمارات الاجنبية تنمو نموا مشوها عن عمد ٠ فقد استهدفت بناء اقتصاد يعتمد على الاستيراد من الخارج ٠٠ وفى عام ١٩١٤ كانت ١٢٪ فقط من هذه الاستثمارات موجهة الى مشاريع صناعية بسيطة بينما اتجهت ٧٣٪ منها الى الاستثمارات الزراعية والرهونات (٤) وكافة الاستثمارات الصناعية تنمو ببطء شديد للغاية وفى مواجهة مقاومة شديدة من الاحتلال ٠

---

(١) صبري ابو المجد ـ مقال بالهلال عدد ديسمبر ١٩٦٤

(٢) روثشتين ـ دمار مصر ٠٠ ترجمة على شكرى : حاشية ص ٤٤٩

(٣) صبحى وحيدة ـ فى اصول المسالة المصرية ـ الطبعة الثانية ص ٢٣٤ ـ (وهذه الاحصائية لا تشتمل الدين ولا راس مال شركة قناة السويس) ٠

(3) A.E. Crouchly — The investment of Foreign Capital in Egyptian Companies and Public debt. (New-york-1977) P. 105

البريطاني (١)وبينما كان القطن وبذرة القطن يمثلان ٧٩٪ من مجمل الصادرات المصرية في أعوام ١٨٨٥ ـ ١٨٨٩ نجد ان الحال يزداد سوءا فترتفع النسبة في أعوام ١٩١٠ ـ ١٩١٣ الى ٩٠٪ (٢) ٠

وفي عام ١٩١٦ كان هناك في مصر كلها خمسة عشر مصنعا فقط تدار على النسق الاوربي الحديث بعماله يبلغ مجموعها ٣٠٫٠٠٠ ـ ٣٥٫٠٠٠ فقط(٣) ٠

وقد بدأ كبار الملاك يتطلعون الى آفاق جديدة من الثراء مثل شركات الأراضي ٠٠ والشركات المساهمة والسندات والأسهم ٠٠ الخ وبدأت صورة الأرباح الوفيرة تداعب خيالهم فتنسيهم ولاءهم للسيد المطاع وتدفعهم الى محاولة انشاء شركات مصرية ٠

ويروى محمد فريد في مذكراته « وفي يوم ٢٣ فبراير ١٨٩٣ اشيع أن جماعة من ذوات مصر وفي مقدمتهم البرنس حسين باشا عم الخديوي ووحيد باشا يكن وعمر باشا مصطفى شرعوا في انشاء شركة زراعية يكون رأسمالها ٢٥٠ الف جنيه لشراء أراض من الدومين أو الدائرة السنية واستغلالها

وجعلها شركة مساهمة قيمة كل سهم منها عشرة جنيهات مصرية ٠٠ وقد اكتتب كثير من الوطنيين ، وبلغت قيمة المبلغ المكتتب به ٢٠٠٫٠٠٠ جنيه »(٤) ٠

والحقيقة ان هذه المحاولة تستحق التأمل فهي توحي بان طبقة كبار الملاك قد بدأت تدرك اهمية أساليب الاستثمار الرأسمالي ٠٠ وان محاولات خلق اشكال هذا الاستثمار لم تقم بها في الاساس الفئة البرجوازية التي كانت تفتقر الى المدخرات الوفيرة وانما قامت بها طبقة كبار الملاك ٠٠

---

(1) Roger Owen — Lord Crommer and the development of Egyptian industry 1882-1907 — Middle Eeastern Studies - July 1966 - P.283.

(2) Roger Owen — The Middle East and the world Economy - (London-1981) P. 214

(3) Charles Issawi — The Economic History of the Middle East - 1800-1919 (CHICAGO'1966) — P.453.

(٤) صبري أبو المجد ـ الهلال ـ ديسمبر ١٩٦٤

المهم أن كرومر قد أزعجه هذا الاتجاه فكتب في عام ١٩٠١ محذراً: «أما فيما يخص أصحاب الاسهم من المصريين فإنى إغتنم هذه الفرصة لتكرار التحذير الذى قلته من قبل وهو أن الذين يضيعون أموالهم فى الشركات يحسن بهم أن يتبصروا » (١) .

ولم يكن هذا هو المظهر الوحيد للتمرد .. ففى عام ١٨٨٩ عندما يحاول كرومر فرض ضرائب جديدة على الأراضى الزراعية قيمتها ١٥٠,٠٠٠ جنيه مقابل الغاء السخرة ترفض الجمعية العمومية ذلك .

ويرتفع فيها أكثر من صوت رافضاً فرض ضرائب جديدة .. (٢)

لكن التمرد لم يكن سياسة الجميع ، فثمة فئة من بين الذين تربعوا فى أعلى قمة السلم الطبقى كانت تنتهج أسلوب الخضوع الدائم والمستمر : تلك هى فئة كبار الموظفين ، والحقيقة أن الوزراء وكبار موظفى الدولة ، كانوا هم أيضا كبار ملاك لكن مكانتهم فى قمة السلم الطبقى كانت تعتمد أساسا على استمرارهم فى سلك الوظيفة .. أى استمرار رضى سلطة الاحتلال عنهم .

وثمة مثال يوضح هذا التفاوت بين موقف الفئتين .. ففى ١٩٠٨ ثار نقاش فى مجلس شورى القوانين حول مسألة وجود المجلس النيابى .. وتعلق جريدة المؤيد على النقاش فتقول :

« ويوجد فى المجلس الآن فريقان مختلفان .. فريق يضم كل الأعضاء المنتخبين تقريبا .. وهؤلاء يطلبون الحكومة النيابية على كل حال ويعارضهم قليلون منهم سعادة طلبة باشا سعودى الذى تردد فى عدم طلب المجلس النيابى من أصله أو فى طلب توسيع إختصاصات المجالس النيابية الحاضرة وأيده سعادة موسى باشا غالب قاطعا بعدم طلب المجلس النيابى أصلا .. وكذلك مفتاح بك معبد ، وهؤلاء الثلاثة كانت الوكالة البريطانية قد رشحتهم لعضوية المجلس .. » (٣) .

---

(١) رشدى صالح - كرومر فى مصر - ص ٥٩ .

(٢) راجع نص محضر الجمعية العمومية فى منتخبات جريدة المؤيد عن عام ١٨٩٠ ص ٩٠ وما بعدها .

(٣) المؤيد - ١٢ - ١١ - ١٩٠٨ .

ويعترف جورست بهذا التفاوت بين موقف النظار ـ كبار الموظفين ـ وموقف مجلس شورى القوانين ـ كبار الملاك ـ فيقول :

« ان السياسة التى يقصد بها حكم مصر بمعاونة نظار من الموظفين لا تتفق الآن مع السياسة التى ترمى الى تنشيط السعى فيما يسمى بالمجالس النيابية فلا بد من اختيار احدى السياستين » .

ويواصل جورست حديثه منضلا النظار على كبار الملاك « فالنظار يختارون من أقدر المصريين وأعظمهم كفاءة .. وهم أدرى برغائب أهل وطنهم وارادتهم الحقيقية من أعضاء مجلس لا ينوبون فى الحقيقة الا عن فئة البكوات والباشوات الاغنياء »(١) .

بقى أن نعرف التركيب الاجتماعى لاحدى الجمعيات العمومية التى هاجمها جورست وهى الجمعية العمومية التى انتخبت عام ١٩١٣ .

الملاك	٤٩
المحامون	٨
التجار	٤
المهندسون	٣
رجال الدين	١

وفى احدى هذه الجمعيات وقف اسماعيل باشا أباظة قائلا « اننا لم نتقدم سوى فى مجال النفاق والثرثرة والديون .. ان الامور تتدهور فما هو العلاج ؟ العلاج هو الحكم الذاتى لكننا طوال الثلاثين عاما الماضية لم نتقدم خطوة واحدة نحو الحكم الذاتى .. » .

وهكذا فان متمردى هذه الطبقة كانوا يرفعون شعارات باهتة ومتخاذلة يرفضها الشعب ويعتبرها خيانة فهم يطالبون بالبرلمان (فى ظل الاحتلال) وبالحكم الذاتى (فى ظل الاحتلال أيضا) ..

ومع ذلك يهاجم غورست فى تقريره قائلا « صدر تقريرى السابق فى زمن حرج .. والمظاهرات العنيفة التى جرت ضد الانجليز على سبيل الحماقة والجهالة حتى بلغت شدتها برفض الجمعية العمومية لمشروع قناة السويس بلا مناقشة حقيقية » .

ويقول فى مكان آخر « ان مجلس شورى القوانين هو والجمعية العمومية أظهرا فى سنة ١٩٠٩ وفى النصف الأول من سنة ١٩١٠ ميلا متزايدا الى ان يكونا آلتين بايدى الحزب الوطنى يستعملهما فى تحريضه

(١) جورست ـ تقريره عن عام ١٩١٠ صفحة « ز » .

وتهييجه ضد الاحتلال البريطاني ، فان طلبهما المتكرر لحكومة دستورية تامة ، وحملاتها المنكرة على الحكومة فيما يتعلق بالميزانية والسودان ، والعداوة والريبة اللتين أظهراهما في مشروع قناة السويس وتجاوزا فيهما حد الاعتدال .. كانت كلها في جوهرها مظاهرات ضد الانجليز .. ان الجمعية الوطنية ومجلس شورى القوانين قد اتخذا ما نالاه مؤخرا من علو الشأن سلاحا لقتال الذين هما مدينان لهم بانالتهما اياه .. وعليه لم نجد في مجلس شورى القوانين جماعة تعين الحكومة على عملها بالمناقشات المعقولة بل وجدنا فيه جماعة معادية للهيئة الحاكمة أي لمجلس النظار - ومستشاريهم - عداوة شديدة ومتعمدة لإحباط مساعيهم وتثبيط هممهم وجعل العمل متعذرا على الحكومة وقد رضيت الاقلية المعتدلة فيه - ان صح انه كانت فيه تلك الاقلية - أن يسودها الغلاة المتطرفون ويمحقوها » .

.. لكن تمرد كبار الملاك لا يطول مداه .. وفي تقرير عام ١٩١٣ يسجل كتشنر ثناءه على الجمعية العمومية لانها « بدات طورا جديدا هو طور الاعمال النافعة التي يذكر خبرها بالرضى والسرور » (١) .

والحقيقة ان هذه الطبقة كانت بالرغم من التمرد العاجز الذي أبدته كانت أعجز عن أن تعبر عن مصالح الجماهير .. والشعارات التي رفعتها لم تنجح في التاثير في الجماهير ولا في اثارة حماسها .

وعندما حاولت هذه الطبقة أن تكون حزبا لها بايعاز من سلطات الاحتلال وحشدت فيه كل قواها من أغنى عائلات مصر .. سلطان ، الهلالي ، أبو علي ، الباسل ، فوده ، أبو حسين ، الشريعي ، الاتربي ، شعراوي ، سيف النصر ، البدراوي عاشور ، أباظة ، الطرزي ، الخ (٢) .

وحشدت فيه أفضل مفكريها احمد لطفي السيد ، محمد محمود الخ .. فان هذا الحزب ما لبث أن اختنق بصورة سريعة بعد أن فشل تماما في أن يجتذب الجماهير أو حتى جزءا ضئيلا منها الى تلك الافكار التي حاول لطفي السيد مفكر الاقطاع في مصر - ان يصوغها .

والحقيقة ان لطفي السيد لم يخف موقفه فهو يتحدث بصراحة غريبة ..

---

(١) كتشنر - تقرير ١٩١٣ - ص ٩ .

(٢) القائمة الكاملة منشورة في د. حسين فوزي النجار - احمد لطفي السيد . حاشية ص ١٣٥

انه يؤكد ما من علاج سريع لما تعانيه مصر .. وكان يعلن دوما معارضته لهؤلاء السياسيين الذين يحرضون الجماهير على التحرك السريع فيقودونها بذلك الى الفشل التسريع فليس من الممكن مقاومة الاحتلال ولا مقاومة الخديو ... ولذا فليس هناك سوى طريق واحد للتقدم الحقيقي هو طريق التطوير التدريجي للعادات الجديدة ، وللاخلاقيات الجديدة للمجتمع » (١)

وفي سنة ١٩١٤ كتب لطفي السيد يرثي صديقه فتحي زغلول فقال « كان فتحي يؤمن بالتقدم عن طريق التطور وكان يكره الثورة حتى ولو كانت مجرد فكرة » (٢) ..

ولتوضيح الهوة الواسعة التي تفصل بين هؤلاء الذين يكرهون الثورة حتى ولو كانت مجرد فكرة وبين جماهير الشعب يكفي أن نتذكر كلمات قالها كرومر حاول أن يصف بها حالة مصر في ذلك الحين فقال « ان مصر تذوب شوقا الى الثورة .. » .

ولم يكن ممكنا أن يلتقي هؤلاء الذين يكرهون الثورة بهؤلاء الذين يذوبون شوقا الى الثورة ، وهكذا أشهر كبار الملاك افلاسهم وحتى محاولاتهم للتمرد ما لبثت أن تلاشت بعد أن هزم الخديو عباس ، وبعد حادثة فاشودة وبعد الوفاق الفرنسي الانجليزي .. وبعد الاضرابات العنيفة التي خاضها العمال تلك الاضرابات التي أرعبتهم وجعلتهم يلوذون بحمى الاستعمار .. وبعد اعلان الحماية على مصر وما صحبها من قوانين استثنائية ، كل ذلك دفع كبار الملاك الى الخضوع بغير تمرد . ومات حزب الامة بالسكتة القلبية واغلقت جريدة « الجريدة » وتفرغ لطفي السيد برئاسة الفلسفة ..

وباختصار ، فشلت هذه الطبقة في أن تصبح قيادة لمصر .. وظلت عاجزة تماما عن أن تفعل شيئا حتى تحركت فجأة عام ١٩١٩

واذا كان كبار الملاك قد أفلسوا فماذا عن الطبقة الوسطى .

ولابد للحديث عن هذه الطبقة أن يتشعب مستفيضا فهي ليست فئة واحدة متجانسة وهي أيضا قد غيرت مواقعها اكثر من مرة ..

لكن اهم ما يميز هذه الفئة هو :

أولا : عداؤها للاستعمار .. وتاكيدها بشكل أو بآخر وبدرجات متفاوتة على اهمية الاستقلال ..

---

(1) J. A. AHMED — THE INTELLECTUAL ORGINS OF EGYPTIAN NATIONALISM — P. 69.

(٢) المرجع السابق — ص ٨٩.

ثانيا : انها خاضت معركة العداء هذه معتمدة على اللعب على الحبال وليس على الجماهير فهي تعتمد تارة على الخديو وتارة على السلطان وتارة على فرنسا ، لكنها لم تلجأ الى الجماهير الا فى حالات نادرة ‥ وعلى اية حال فان فئاتها المختلفة قد اتخذت وعلى الدوام مواقف متناقضة كل التناقض ‥

ففى داخل هذه الطبقة كان هناك ثلاثة اجنحة اليمين ‥ والوسط ‥ اما الجناح الثالث فانا اخشى ان اسميه اليسار فيظن البعض انى اعنى به جناحا يميل الى الاشتراكية لكننى اعنى باليسار هنا قربة من الجماهير وتفهمه لبعض قضاياها ، ووطنيته الصحيحة والصادقة وعلى اية حال فلنسمه جناح الوطنية المتطرفة ‥

والشيخ على يوسف هو قائد يمين هذه الطبقة بلا منازع فهو زعيم فئة من مثقفى الازهر وكبار التجار الكلاسيكيين ‥

والحقيقة ان الشيخ على يوسف كان يعبر بالرغم من نفوذه الواسع فى ميدان الصحافة عن فئة ضعيفة التأثير فى المجال الاقتصادى والاجتماعى ‥ وهى فئة لا تستطيع ان تساير مجريات الحياة الجديدة ولا ان تحول تراكمات اموالها نحو الاستثمارات الجديدة ٠

وهى فئة لا تثق فى الجماهير ولا تهتم بها لكنها تشعر بوطأة التحكم الاجنبى وترى الاموال والارباح الطائلة التى يجنيها التجار والمستثمرون الاجانب فيسيل لعابها ؛

ولانها ضعيفة اقتصاديا واجتماعيا ولانها لا ترتبط بالجماهير فليس امامها سوى اللعب على الحبال ‥ بين الخديو والاحتلال والسلطان وفرنسا ٠

ويقدم جمال احمد تحليلا غاية فى العمق لهذه الفئة ولحزبها « حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية » فيقول :

« كان الحزب يبدو منظما لكنه لم يكن فى الواقع سوى اعلان لسياسة الشيخ على يوسف نفسه فهو الذى كتب البرنامج وكون التنظيم وجمع الاعضاء ‥ وكانت نقطة الضعف الاساسية فى الحزب هى التناقض والارتباك فى التفكير السياسى للشيخ على يوسف ‥ فقد طلب من الحكومة ان ترسل ممثلا لها فى الحزب ، لكنه فى نفس الوقت اعلن مساندته للخديوى ٠ وقد احدث هذا الموقف المتناقض ارتباكا شديدا لدى الاعضاء ‥ وقد اشار العقاد الى ان طبيعة هذا الحزب تبدو واضحة من الاسم الذى اختاره فهى توحى بانه يريد اللعب على جميع الحبال فكلمة « دستورى » موجهة للمهتمين بالشئون السياسية بينما كلمة « اصلاح » تستهدف كسب الانجليز ‥ والنتيجة هى ان الحزب قد

فشل فى كسب أى من هذه القوى ‥ لا الوطنيين ولا الخديو ولا الاحتلال ‥ وكانت النهاية الحتمية هى الفشل » (١) ٠

ونظرة واحدة على برنامج الحزب توضح هذا التحليل ‥

ويمكن تلخيص البرامج فى سبع نقاط اساسية (٢) :

١ ـ الدفاع عن العرش ٠
٢ ـ احترام انجلترا لتعهداتها ٠
٣ ـ انشاء جمعية تشريعية ٠
٤ ـ نشر التعليم الابتدائى اجباريا بالمجان ٠
٥ ـ جعل اللغة العربية اساسية فى الدراسة ٠
٦ ـ زيادة عدد الموظفين المصريين فى الادارات الحكومية ٠
٧ ـ محاكمة الاجانب جنائيا أمام المحاكم المختلطة ٠

ولقد تعمد واضع البرنامج الا يشير بكلمة واحده للاستقلال أو الجلاء مكتفيا بعبارة مطاطة ترضى الانجليز أكثر مما ترضى غيرهم وهى « احترام انجلترا لتعهداتها » ٠

ومع ذلك فان « المؤيد » تشن حملتها الشهيرة على اللورد كرومر عندما يصرح فى خطابه الوداعى ان الانجليز باقون فى مصر ‥ وترد عليه قائلة :

« فما بال انجلترا بعد ما كررت مواعيدها الحلوة المرة تركت عميدها العظيم فى وادى النيل يختم أعماله بالتصريح بان الاحتلال فيه باق الى الابد ‥ أن جناب اللورد جاء مصر مرشدا فصار حاكما مستبدا يخرب مبانى الآمال ‥ ولم يخدم اللورد الامة المصرية الا من جهة الثروة فاشترك فى التنعم بها الاجانب بل نالوا القسط الاوفر منها ثم هو يريد ان يجعلهم اصحاب الامر والنهى فى ادارة مهام البلاد ٠

كان اللورد كرومر كل مدته فى مصر معارضا لكل ما تريده مصر من مطالب الرقى الادبى فلم يؤيد لها مطلبا منذ ٢٤ سنة ولا أحسن بها ظنا ولا رد عنها تهمة ، بل كان أول رجل مسموع الكلمة قال عنها قولا منكرا واتهمها بتهم غريبة وغرس فى عقول أوربا أنها امة قاصرة متعصبة ليس فيها رجال اكفاء ولا تصلح ان تكون امة ابدا » (٣) ‥

---

(١) جمال احمد ـ المرجع السابق ـ ص ٨١
(٢) أحمد رشاد ـ مصطفى كامل حياته وكفاحه ـ ص ٢٥٢
(٣) مقالات قصر الدوبارة ـ وهو كتيب يضم ما نشرته جريدة المؤيد من مقالات عن اللورد كرومر وسياسته ـ ص ٢٩

.. لكن الشيخ على يوسف يعود فيحدد موقفه بصراحة فهو يتحدث عن الجرائد وموقف كل منهما فيقول :

« ومنها الجرائد المتطرفة التى لا ترى فى الانجليز والاحتلال خيرا على الاطلاق ثم هى احيانا تتجاوز الحد فى غيرتها الوطنية ، ومنها الجرائد المعتدلة التى تحترم الحقيقة وتريد ان تكون المرآة النافعة للوطن وأهلة فى كل حادث ، ومنها الجرائد المتطرفة من جانب آخر فلا ترى فى الانجليز والاحتلال تسوءا او خطأ على الاطلاق ثم هى تتجاوز الحد فى ميلها الى الانجليز واكثر الاحيان فى نكاية المصريين وايلامهم » (١).

والحقيقة ان الشيخ على يوسف قد وضع نفسه وجماعته فى موضعها الصحيح فهى « معتدلة » لا تعادى الانجليز على طول الخط ولا تؤيدهم على طول الخط ..

بل انه يؤكد فى مكان آخر « ان الانجليز يستطيعون أن يستميلوا هذه الامة بالمعاملة الحسنة فيستولوا على القلوب بدلا من الاكتفاء بالاستيلاء على الطوب » (٢).

المسالة اذن هى حسن معاملة الانجليز للمصريين وليست جلاء الانجليز عن ارض المصريين .

.. وكان طبيعيا ان موقفا كهذا لم يكن ليرضى الجماهير التى تتطلع الى الثورة بل لم يكون ليرضى الفئات الاخرى من الطبقة الوسطى

وقد هاجمه اعضاء الحزب الوطنى هجوما شديدا قاسيا فتحدث عنه الشيخ جاويش قائلا :

« ما بلغت الرذيلة ولؤم الطبع من رجل مقدار ما بلغت من صاحب المؤيد ... » (٣)

وعندما مات الشيخ على يوسف كتب محمد فريد فى مذكراته « توفى الشيخ على يوسف يوم ٢٥ اكتوبر فانتهى بموته ركن النفاق والذبذبة » (٤).

---

(١) المرجع السابق ــ ص ٩٠
(٢) المرجع السابق ــ ص ٢٠
(٣) العلم ــ ٢٥ مارس ١٩٠٩
(٤) محمد صبيح ــ المرجع السابق ــ ص ٣٧١

لكن الطبيعة المعقدة لموقف الطبقة الوسطى تفرض نفسها على اى تحليل ٠٠ ولابد لنا هنا أن نتذكر ما نشره الشيخ على يوسف فى جريدته « المؤيد » من احاديث وطنية ٠٠ بل ولابد لنا من ان نتذكر انه افسح صدر مجلته فى عام ١٨٩٠ لبعض الاشتراكيين ليسجلوا على صفحاتها بعض آرائهم ٠٠ (١) ٠٠٠

لنتحدث الآن عن الوسط فى هذه الطبقة ٠٠

وتزداد الصورة تعقيدا اذا ادركنا ان الوسط لم يكن فئة متجانسة ٠٠ فهناك متوسطى الموظفين والمثقفين الليبراليين المستنيرين الذين احسوا بثقل القهر الاستعمارى فتفجر سخطهم على الاحتلال مقالات وقصائد واضرابات طلابية ٠٠

وهناك أيضا الرأسماليين المستنير ين وهم جناح ضعيف كان يجاهد لينمو ويشق طريقا باحثا عن الربح « لنفسه » ــ أيضا ــ رافعا شعار « مصر للمصريين » بمعنى أن خيرات مصر يجب أن تكون للرأسماليين المصريين ، بل أنهم فى كثير من الاحيان كانوا يقبلون مجرد المشاركة مع الاجانب فى هذه الارباح ٠٠

والحقيقة أن أكثر من عامل قد دفع هذه الفئة الى اتخاذ موقف المعارضة من الاحتلال ٠ ولقد كانت معارضتها اكثر ايجابية واكثر عنفا ٠٠ لكنها أيضا لم تصل الى حد الارتباط الوثيق بحركة الجماهير ٠٠

٠٠ ولنلق نظرة سريعة على تلك العوامل التى تواجدت ففجرت سخط هذه الفئة ٠٠

كانت الاسعار ترتفع باستمرار ٠٠ وجاءت سنوات الحرب ليزداد الغلاء بصورة لم يسبق لها مثيل فبالمقارنة مع أسعار عام ١٩١٤ ارتفعت الاسعار ٢١١٪ عام ١٩١٨ ، ٣١٢٪ عام ١٩٢٠

ونقصت نسبة الموظفين المصريين فى الوظائف الكبيرة من ٧ر٢٠٪ سنة ١٩٠٥ الى ١ر٢٣٪ سنة ١٩٢٠ ، فى حين ارتفع نصيب البريطانيين من ٢ر٤٢٪ الى ٣ر٥٩٪ فى نفس المدة » (٢) ٠

واذا كان الموظفون يسوؤهم ذلك فقد وجدت الفئة الاخرى ما يسوؤها هى أيضا ٠٠

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع ــ رفعت السعيد ــ تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر ــ ص ٢٧٨ وما بعدها ٠

(٢) فوزى جرجس ــ دراسات فى تاريخ مصر السياسى ــ الطبعة الاولى (١٩٥٨) ص ١٢٩

.. فالاجانب بداوا يتحكمون بقبضتهم على مصادر الثروة الحقيقية فقد انشئت في الفترة ما بين ١٩٠٠ ـ ١٩٠٧ أكثر من ١٦٠ شركة برأس مال قدره ٤٣ مليونا من الجنيهات وتتزايد رؤوس الاموال المستثمرة فتصل الى ١٠٠٠ر٢٥٢ر٠٠٠ جنيه(١) ..

ولست بحاجة الى أن أقرر هذه الاستثمارات كانت جميعها تقريبا استثمارات أجنبية ، وثمة احصاء يقول أن ٩٢٪ من هذه الأموال كان أجنبيا و ٨٪ فقط أموال محلية .. وكلمة « محلية » هذه ذات مغزى فهي تختلف عن كلمة « مصرية » .. وعلى أية حال فان معظم الـ ٨٪ هذه كان مملوكا لاجانب متمصرين أمثال سوارس وموصيري ومنشه وسليم وصيدناوي لكن ثمة جزءا ضئيلا من هذه النسبة كان مملوكا لمصريين أصلا كانوا نواة الرأسمالية المصرية .. ونواة هذه الفئة التي نتحدث عنها .. (٢)

ولعل خير دليل على وجود هذه النواة ونشاطها هو قيامها في عام ١٩١٧ بتأسيس « لجنة التجارة والصناعة » من بعض المصريين والأجانب المتمصرين وكان من دعاتها الأول طلعت حرب واسماعيل صدقي ..

وكان من أغراض هذه اللجنة الوقوف على مبلغ تاثير الحرب في صناعة البلاد والنظر في التدابير التي تؤدي الى احلال بعض المصنوعات المصرية محل الاصناف التي انقطع ورودها .. وأعدت اللجنة تقريرا جاء فيه « ان مصر في حاجة الى قيام الصناعة بجانب الزراعة حتى لا تضطرب الحالة الاقتصادية اذا انخفضت أثمان المحاصيل الزراعية .. واذا حدثت حرب تؤدي الى قطع العلاقات التجارية .. وان الصناعة وعلى الاخص الصناعة الصغيرة متأخرة جدا .. ومن الممكن قيام كثير من الصناعات المصرية ونجاحها » (٣)

وقد كان اندلاع الحرب العالمية سببا في انعاش الصناعة المصرية .. ومن ثم انعاش هذه الفئة النامية .. فقد أدى انقطاع المواصلات وازدياد حاجيات المجهود الحربي الى اجبار سلطات الاحتلال على تشجيع بعض أنواع الصناعة ..

وتورد « لجنة التجارة والصناعة » في تقريرها ان شركة السكر « قد زادت انتاجها الى ١٠٠ ألف رطل عام ١٩١٧ وقامت بتوسيع ورش الاشغال التابعة لها « فأصبحت فيما يختص بمعدات الصناعة وآلاتها مستقلة بعض

(١) المرجع السابق ـ ص ٩٤
(٢) المرجع السابق ـ ص ٩٦
(٣) المرجع السابق ـ ص ١٣١

الاستقلال عن المصانع الاجنبية ، وهي من هذه الوجهة تؤدي الى القطر خدمة جليلة بتكوين صناع وطنيين ماهرين في جميع الحرف والصناعات »

وظهرت صناعات جديدة مثل صناعة النشا ، ورفعت شركة الغزل الاهلية بالاسكندرية انتاجها بما يتراوح بين ١٥ و٢٠٪ كما أنشئ مصنع للملابس لمواجهة احتياجات الجيش البريطاني ..

وهكذا ازدهرت الصناعة وازدادت ارباحها زيادة مذهلة .. وازدادت بالتالي غضبة هذه النواة التي تحدثنا عنها ، والتي كانت تحلم بهذا السيل من الاموال يتدفق الى جيوبها هي وليس الى جيوب الاجانب ..

وثمة اسباب اخرى اثارت استياء الشعب كله وعلى الاخص المثقفين الليبراليين .. منها موجة الارهاب الواسعة التي شنتها سلطات الاحتلال ضد حرية الصحافة وضد حريات المواطنين جميعا ..

وتبدا سلطات الاحتلال بتقييد حرية الصحافة كتمهيد طبيعي لتقييد حرية المواطنين جميعا وفي مارس ١٩٠٩ اصدرت قرارا باعادة العمل بقانون المطبوعات القديم وعللت ذلك « بتمادي الجرائد في التطرف والخروج عن الحد حتى أدى ذلك لشكوى الناس » .

.. « ثم أصدرت قانونا بجعل القضايا الصحفية من اختصاص محاكم الجنايات بدلا من محاكم الجنح ذلك أن محاكم الجنايات أحكامها أشد ولان أحكام محاكم الجنح يمكن استئنافها أما أحكام محكمة الجنايات فهي نهائية لا تقبل طعنا .. اذ لم تكن محكمة النقض قد انشئت بعد » (١)

وسرعان ما وضعت سلطات الاحتلال هذا القانون موضع التطبيق الفعلي فعطلت جرائد الحزب الوطني وغيرها من الصحف .

ثم كانت الخطوة الثانية وهي تعديل قانون العقوبات ، فبعد حادثة اغتيال بطرس غالي باشا ادعت سلطات الاحتلال أن ثمة نقصا في القانون فمرتكب الجريمة « شاب ثبت أنه ينتمي لجمعية سرية معينة وان آخرين اشتركوا معه في التفكير في ارتكاب الجريمة ، ولكنه انفرد دونهم بالتنفيذ ولم يجد القضاء يومئذ سبيلا الى معاقبة أولئك الشركاء الذين تبادلوا الرأي معا لقاتل ولم يكونوا محرضين له أو شركاء معه في التنفيذ .. » .

واضيفت مادة الى قانون العقوبات هي المادة ٤٧ مكرر وهي مادة شهيرة

---

(١) احمد بهاء الدين ــ أيام لها تاريخ ــ ص ٦٩

في تاريخ التشريع الجنائي المصري لانها وضعت في ظروف سياسية معينة من النشاط السياسي .

وجاء في المذكرة الايضاحية لوزارة الحقانية ان الحكومة أرادت بهذه الاضافة « أن تضرب على يد الاجتماعات أو الاتفاقات التي يكون العبث بالنفس أو الاموال أو الهيئة الإجتماعية غرضا من أغراضها أو وسيلة من وسائل تحقيق الغرض المذكور » (١)

والحقيقة ان هذه المادة قد لعبت دورا هاما في تاريخ مصر السياسي فقد أصبحت سيفا مسلطا على كل الجمعيات السياسية التي يثبت أنها تتكون من « شخصين أو أكثر » والتي كثيرا ما يسهل أن تلصق بها تهمة « العبث بالنفس أو الأموال أو الهيئة الاجتماعية » .

ولا شك ان لهذه المادة علاقة كبيرة بموضوع هذه الدراسة فقد ظلت زمنا طويل سيفا لارهاب أي تجمع للقوى الاشتراكية .

وليس من قبيل المصادفة ما سنلاحظه في كتابات الاشتراكيين وبلا استثناء في هذه الفترة من اعلانهم ان هذه الآراء التي ينشرونها لا تعني الدعوة لتكون حزب أو جماعة أو ما شابه ذلك ..

وعلى أية حال فان المادة ٤٧ مكرر لم تكن القيد الوحيد ، فثمة قيودا أخرى على الحريات تضمنها القانون ٢٨ لسنة ١٩١٠ منها ما يجيز للمحاكم .. « في كل الأحوال التي يمكن ان يكون من وراء نشر المرافعات فيها خطر على النظام العام بسبب نوع الجريمة ، أن تمنع نشر المرافعات كلها او بعضها وتعاقب من يخالف ذلك بالحبس مدة لا تتجاوز ستة اشهر أو بغرامة لا تزيد على مائة جنيه لانه اذا كان يجب اطلاق الحرية التامة للدفاع وقت المحاكمة ، فانه يجب أن لا يسمح بان يصبح استعمال هذه الحرية مصدر خطر على الامن العام .. والمحاكم تبيح احيانا ايرادا نظريات ثورية في المرافعات أو شهادة الشهود في اثناء المحاكمة بناء على أن لها شيئا من العلاقة بالدفاع عن المتهم ولكنه يجب أن لا تتحول هذه المرافعات أو الشهادات الى وسيلة لنشر المبادىء والافكار الثورية » (٢) .

---

(١) محمد عبد الله عنان ـ تاريخ المؤامرات السياسية ـ دار الهلال ـ (١٩٢٨) ص ٣٥

(٢) غورست ـ تقرير عام ١٩١٠ ـ ص ٨١

وفى سنة ١٩١٤ أعلنت الحماية البريطانية والاحكام العرفية وقانون التجمهر الذى يمنع اجتماع أكثر من خمسة أشخاص سواء فى طريق عام أو فى محل عمومى .. وفتحت المعتقلات وبلغت موجة الارهاب قمتها .

فماذا كان أثر ذلك كله .. ؟

لقد كانت الجماهير تغلى حقدا ورفضا لهذه القيود .. وللغلاء الشديد وكان استمرار زيادة الموظفين الانجليز وزيادة سيطرتهم على المناصب الكبرى يزيد الموظفين سخطا ، لكن قيود وظيفتهم تعوقهم عن العمل الجدى ضد الاحتلال الامر الذى دفع شباب الحزب الوطنى وقادته الى الاعتقاد بأن الوظيفة تتنافى مع الوطنية الحقة ..

ولكن السخط كان يتجمع فى نفوس الموظفين ، فاذا ما انتفض الشعب فى عام ١٩١٩ سارع الموظفون ليفجروا هم أيضا سخطهم اضرابا واعتصاما ورفضا للتعاون مع المحتلين ..

والتحكم الاجنبى فى الاقتصاد يثير غضب النواة الرأسمالية الوليدة . لكنها ضعيفة اقتصاديا وأقصى ما تتمناه أن يسمح لها بالمشاركة فى جنى الارباح ومع ذلك فهى تظل أيضا تختزن السخط وتخشى من المواجهة حتى يثور الشعب ..

لكن هناك جناحا من هذه الطبقة يرفض التهادن ويرفع صوته بالاحتجاج وهو الجناح الممثل للفئات الدنيا من الطبقة الوسطى .. أو كما أسميناه سابقا جناح الوطنية الصادقة .. وهو يضم صغار التجار ومتوسطيهم .. والمثقفين الليبراليين .. وبعض الفئات الدنيا من النواة الرأسمالية وبعض متوسطى الملاك الزراعيين وأصحاب المهن الحرة .. المحامون والاطباء والمعلمون وبعض ضباط الجيش .. (١) .

وابناء كل هؤلاء من الطلاب ..

ولم يتخذ نضال هذه الجناح طريقا واحدا بل اتخذ سبلا مختلفة ..

فهناك الطلاب الذين نظموا سلسلة من الاضرابات والاعتصامات العنيفة والذين اصطدموا صداما مباشرا مع قوات الاحتلال ..

وقد بدأ الطلاب سلسلة اضراباتهم فى ، يناير ١٩٠٦ عندما وضعت وزارة المعارف نظاما لمدرسة الحقوق كان الغرض منه استفزاز شعور الطلبة

---

(١) يلاحظ أن قائمة الوطنيين المعتقلين عقب اعلان الحماية كانت تضم عددا من الضباط من بينهم اليوزباشى حافظ محمود قبودان واليوزباشى أحمد حمودة .

والتضييق عليهم نتيجة لتظاهرهم بالشعور الوطنى .. وبهدف اذلالهم وكبح جماحهم »(١) .

واعتصم طلاب جميع المدارس العليا تاييدا لاخوانهم وتكونت لجنة لقيادة الاضراب باسم « اللجنة العامة للمدارس » ثم توالت الاضرابات بعد ذلك فى مناسبات وطنية عديدة : عقب حادثة دنشواى .. وعقب اصدار قانون المطبوعات .. وبدأت تتكرر المصادمات بين الجموع المتظاهرة وقوات البوليس .. انها « بروفات » ١٩١٩ ..

وهناك ايضا جماعات الشبان الذين كانت تغلى صدورهم حماسا بكراهية الانجليز والذين كانوا يؤمنون بضرورة تطهير الوطن منهم .. والذين افتقدوا رغم حماسهم الشديد ووطنيتهم الدافقة النظرية الواعية والثقة بالعمل الجماهيرى .. فلم يكن امامهم من سبيل للعمل ضد الاحتلال سوى الارهاب السياسى متاثرين بطبيعة الحال بموجة الارهاب والحركات الفوضوية التى انتشرت فى أوربا فى ذلك الحين ..

وتكاثرت الجمعيات السرية التى تهدف الى الانتقام من المحتلين واغتيال الخونة ويؤكد جورست « أن التحقيق فى حادثة الوردانى قد اظهر أن الجمعيات السرية قد نمت نموا يوجب الاسف »(٢) .

وتبدأ هذه الجمعيات عملها ..

ويذكر محمد فريد فى مذكراته سلسلة من هذه الاعمال ..

* « سبتمبر ١٩١٢ اطلعت فى جريدة لابورص على خبر من مصر يقول بانه ضبط بعض المواطنين فى الفيوم بتهمة تشكيل جمعية سرية بقصد استعمال الارهاب » .

* « ٩ ابريل ١٩١٥ نشرت الجرائد تلغرافا من مصر بان شبابا مصريا أطلق الرصاص على البرنس حسين الخائن .. والضارب اسمه محمد خليل تاجر من المنصورة وقد حوكم امام محكمة عسكرية وشنق رحمه الله » .

* « ٩ يوليو ١٩١٥ القيت قنبلة على البرنس حسين اثناء ذهابه إلى الصلاة ولكنها لم تنفجر وملقيها لم يقبض عليه بل فر من الاسطح بعد أن القاها من شباك اوده كان استاجرها لهذا الغرض من شهرين .. وهذا

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ــ مذكراتى ــ دار الهلال (١٩٥٢) ــ ص ١١
(٢) جورست ــ تقرير عام ١٩١٠ ــ ص ٨١

العمل يدل على وجود جمعية منظمة للانتقام من الخونة الذين باعوا الوطن للانجليز ٠٠ » ٠

※ ثم يذكر بعد ذلك بأيام أسماء المتهمين فى حادث القنبلة وهم تسعة اشـــخاص ٠٠

※ « ٤ سبتمبر ١٩١٥ ضرب شخص اســمه « صـالح افنـــدى عبد اللطيف » « ابراهيم باشا فتحى » بسكين فى رقبته قاصدا قتله وذلك على رصيف محطة مصر وبينما كان يقف بين كثيرين من الضباط المسافرين الى السودان لكنه لم يمت ويظهر من الجرائد المصرية أن المعتدى قال انه كان يريد قتله ، وان هناك اتفاقا على قتل كل الوزراء ٠٠

هذا المعتدى عمره ٣٥ سنة وهو صراف فى المـالية ٠٠ الجنـــائية سياسية محضة وتدل على ان الافكار الارهابية تسربت من الشبـان المتهمين بالتهور الى من هم اكبر منهم سنا ٠٠ وتدل على ان التذمر والفكرة الثورية عمت أو ستعم تقريبا جميع طبقات الامة رغما عن الشدة التى تستعملهـــا الحكومة فى حبس كل من تشم منه رائحة الميل الى هذه الاعمال » ٠

وارتعد الموظفون البريطانيون ٠٠ وعملاء البريطانيين خوفا من هـذه الموجـة الارهابية وتعمد سلطات الاحتلال الى تعديل المـادة ٢٨٤ من قانون العقوبات لان النص السابق كما يقول جورست فى تقريره « لم يكن يعـاقب على التهديد الا اذا كان بقصد سلب المـال ٠٠ وكان مجرد التهـديد ولو بالكتابة غير معاقب عليه مهما بلغت شدته فكان لابد من سد هذا النقص نظرا الى تكاثر رسائل التهديد ٠٠ وواضح أن ذوى الامزجة العصبية الذين يتلقون يوميا رسائل تتهددهم بالقتل قد يستولى عليهم الرعب من جراء ذلك ويحتمل ان يتحولوا عن القيام بواجباتهم اذا كانوا من موظفى الحكومة ٠٠ »(١) ٠

واذا كان هذا هو رأى جورست وهو المسئول الاول فى سلطات الاحتلال فان رد الفعل كان عنيفا جدا فى الاوساط المـالية الأجنبية ٠٠

« ان لجنة غرفة التجارة البريطانية فى مصر تنظر بقلق وانشغال بال الى حاسات القلق وعدم الامن التجـارى فى مصر ، لان ذلك يؤثر فى مصالح البلاد التجارية كثيرا ٠٠

وترى الغرفة ان هذه الحـالة ناتجة بالاكثر من افعـــال المحرضـين الوطنيين فتلح مع مراعاة واجب الاحترام على حكومة جلالة الملك فى اتخـاذ

---

(١) جورست ـ تقرير عام ١٩١٠ ـ ص ٨٣

التدابير المبطلة لهذا التحريض ورد السكينة اللازمة لرواج التجارة ولخير مصر عموما » (١) .

لكن موجة الارهاب هذه بالرغم من استفحالها لم تحقق مكسبا حقيقيا للامة بل أن الاعمال الارهابية كانت على الدوام وسيلة لتعلل سلطات الاحتلال بفرض مزيد من القيود .. وهكذا لم تستطع الحركات الارهابية بالرغم من عطف الحزب الوطنى عليها أن تؤثر فى الاتجاهات العريضة للجماهير ولا فى افكارها ..

واذا كانت سلطات الاحتلال قد نجحت فى اسكات مناورات الخديوى عباس حلمى ثم نجحت فى خلعه ؛ ونجحت فى ارهاب كبار الملاك واقناعهم بأن الموقف الافضل هو السكوت ، ثم أرهبت بسيف الحماية وقوانين الطوارىء قطاعات كبيرة من الطبقة الوسطى .. فان ثمة قطاعا من هذه الطبقة كان مصمما على النضال ..

ويصمد المثقفون الوطنيون الذين يمثلون فى ذلك الحين الفئات الدنيا من الطبقة الوسطى .. والحقيقة أن الذين صمدوا بعد انهيار الخديوى وبعد حادثة فاشودة كانوا قليلين جدا وكانت الصورة بالغة القتامة .. أو هكذا خيل لمصطفى كامل وهو يحاول أن يصور الموقف لصديقه ورفيق نضاله محمد فريد :

« أخى العزيز فريد .. وصلنى خطابك الكريم وانه لا يسعنى الا ان أشكر ودك الصادق النادر المثال فى مصر فهو تعزيتى عن هموم بلادى ، وتسليتى عن قعود بنى وطنى عن اجابة ندائى والاجتماع حول راية الوطن لانقاذه واسعاده ..

.. وانه يحزننى حقا أن ارى الفرص مناسبة لخدمة الوطن ولا أجد غيرك فى المصريين نصيرا يساعدنى على ذلك ، فتجدنى ان تكلمت أو دعوت اتكلم كئيبا أسيفا وأدعوا وأنا عارف بأنه ليس فى مصر من يساعدنى على القيام بالواجب وإكرام الضيف ان واف .

أخى .. سأسافر الى برلين بالرغم من شدة كدرى من عدم وجود إرادة مشتركة بين من يريدون أو يدعون خدمة الوطن وعدم وجود خطة ثابتة يجرى الكل عليها .. وما على الا الامتثال لارادة الخالق جل شأنه الذى كأنه إراد أن أكون الوحيد فى خطتى ، الفرد المطالب بالاستقلال »(٢) .

---

(١) المرجع السابق ــ ص ٣ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى ــ مصطفى كامل ــ ص ١٢٤ .

هذه الرسالة غنية عن أى تعليق وهى توضح كيف تسارع الذوات والاقطاعيين وكبار الموظفين وكبار الموظفين وأبناء الطبقة الوسطى الى التسليم للاحتلال بعد أن فقدوا الثقة فى فرنسا ٠٠ والامر ليس بحاجة الى تفسير فهم جميعا يسقطون جماهير الشعب من حسابهم ، بعضهم يقف منها موقف المستغل والبعض الاخر يحتقرها ولا يثق فيها ٠٠ فاذا ما انهار الحليف الاجنبى انهار كل شيء ٠٠

لكن لماذا صمد مصطفى ٠٠ ؟

لانه كان الوحيد الذى ارتبط بالجماهير والذى بادلته الجماهير حبا بحب ، والذى منحته تاييدها وثقتها ومساندتها واستقبلته فى الاسكندرية استقبال الفاتحين فزاره فى اليوم الاول لوصوله أكثر من ثلاثمائة شخص ٠٠

وعند مغادرته الاسكندرية كان فى وداعه فى المحطة « نحو ثمانية آلاف نفس وفى مقدمتهم رائدوا الوطنية وحماتها وفوق رؤوسهم الاعلام وقدموا له نيشانا من الفضة رسم على أحد وجهيه صورة النخيل المصرى ومسلة الثغر وكتب على الوجه الآخر هذه الجملة « برهان الاخلاص من أهالى الاسكندرية للوطنى الغيور مصطفى كامل »(١) ٠٠

ولقد كان مصطفى كامل يستحق كل هذا التاييد فهو وطنى دافق الوطنية ، يحب مصر حبا ملك عليه كل وجدانه ، ولقد اثر اخلاصه المتفانى فى الجماهير التى تعلقت به ٠٠ وكان لا بد لهذا التعلق من جانب الجماهير أن يترك أثره أيضا على شخص الزعيم ٠

لكننا يتعين علينا الا نبالغ فى دور هذه الجماهير ٠٠ فقد كانت الحركة الجماهيرية عموما ضعيفة تفتقر الى التنظيم والى الثقة بنفسها ٠٠ وكانت أيضا ــ وهذا هو المهم ــ ذات نوعية خاصة فقد تركزت أساسا فى جماهير الطبقة الوسطى والبرجوازية الصغيرة فى المدن وهى ذات طاقة ثورية محدودة وخاصة فى ظل ظروف يسودها بطش الاحتلال ٠٠ وفى ظل انتكاسة الثورة العرابية تلك الانتكاسة التى كانت لا تزال تلقى ظلالا من الشك على جدوى حركة الجماهير ٠٠

وقد تردد مصطفى كثيرا فى تكوين حزب بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة ، ولفترة طويلة ظل الحزب الوطنى مجرد لافتة تضم جماعة من الوطنيين غير المنظمين ، ولم يعلن مصطفى تكوين حزبه الا فى ١٩٠٧ وكنتيجة لاعلان حزب

---

(١) على فهمى كامل ــ سيرة مصطفى كامل ــ جا ١ ــ ص ٣٨٨

الأمة وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية . هنا وهنا فقط أرسل مصطفى الى فريد يقول :

« ان ظهور حزب الامة من أولئك الذين خبرنا نفسيتهم وميلهم الى مسايرة المحتلين وأن ما علمته كذلك من عزم صاحب المؤيد على تأليف حزب باسم الاصلاح لخدمة سياسة السراى هذان الأمران يحتمان علينا كل التحتيم أن نظهر حزبنا الوطنى بالرغم منا فى مظهره الحقيقى ، حتى يعلم العالم كافة أن للوطن المصرى حزبا يطلب بعزيمة صادقة الجلاء والدستور » (١) .

وهكذا وفى ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ احتشد فى مسرح زيزينيا بالاسكندرية ٦٠٠٠ شخص يمثلون الكتلة الجماهيرية لهذا الحزب .. وارتفعت هتافاتهم عالية « لتحيى مصر » .

واعتلى مصطفى كامل المنصة ليصب فى آذان مصر كلها أنغاما من الحماس الدافق والوطنية الصادقة « بلادي .. لك حبى وفؤادى ، لك حياتى ووجودى ، لك دمى ونفسى لك عقلى ولسانى ، لك لبى وجنانى ، فانت أنت الحياة ولا حياة الا بك يا مصر » .

ويحدد مصطفى فى خطابه أهداف حزبه ..

« اننا لو تخطفتنا الموت من هذه الديار واحدا بعد واحد لكانت آخر كلماتنا لمن بعدنا كونوا أسعد حظا منا ، وليبارك الله فيكم ويجعل النصر على أيديكم ويخرج من الجماهير المئات والالوف بدل الآحاد للمطالبة بالحق الوطنى والحرية والإلهية والاستقلال المقدس » .

ويتحدث عن التعليم « نقول للامة خذى من العلم أوفر قسط وتسلحى بأسلحته واملىء وادى النيل من نوره ، وردى الى الفقير حقه ونصيبه من المنهل العذب .. ما فائدة الاموال التى تجمع والخزينة التى تملأ بالذهب الوهاج اذا كانت الاسوار قائمة بين الفقراء والعلم .. » .

وتحدث عن الدستور فقال « ان اعطاء المصريين مجلسا نيابيا حقيقيا لا صورة يراد بها السخرية .. وذر الرماد فى العيون ، هو تجريد للاحتلال من كل سلطة .

المصريون يطلبون اتباع المبادىء الوطنية وتعميم التعليم وإقامة الدستور مقام الظلم والاعتساف وينادون بانهم لا يرضون بحكومة الرجل الفرد سواء كان مصريا أو أجنبيا .. » .

---

(٢) أنور الجندى ـ عبد العزيز جاويش ـ ص ٢٧

وتحدث بعد ذلك عن موقف الحزب من تركيا فقال : « رماننا الطاعنون بأننا نريد أن نخرج الانجليز من مصر لنعطيها لتركيا فما هذه التهمة الا تصريح بأن معرفتنا لحقوق الامم وواجباتها لم ترشحنا الا أن نكون عبيد أرقاء .

فليعلم أعداء مصر اننا نطلب لها الاستقلال ونطلب لها ذلك الاستقلال بأعلى أصواتنا وعلى مسمع من أمم الأرض كلها . واننا اذا أخلصنا الود لأمة أو لدولة فانما نعمل كغيرنا ونتبع ناموس الطبيعة بأن من اتفقت مصالحهم يتجمعون ويتناصرون .

اننا نعلن للملأ كله أن الحزب الوطنى مستقل عن كل الدول والحكومات والملوك والأمراء » .. وتحدث عن الفلاح فقال :

« الفلاح الذى قضى القرون من السنين وهو معتقد أنه ملك للحاكم ومتاع لا إرادة له ، فأسمى عمل نقوم به هو انهاض ذلك الفلاح العزيز واعلاء مكانته فهو ممثل النشاط المصرى ومصدر كل خير ونعيم ، فليخيى عصر ينطق فيه التاريخ بأن الفلاح التى أثقال القرون الماضية وصار رجلا حرا بفضل أبناء وطنه المتعلمين المجاهدين فى سبيل حريته وسعادته .. » .

ولست أعتقد اننى بحاجة الى أن أتحدث عن مدى التقدم الذى أحرزه العمل الوطنى باعلان برنامج كهذا .. فهو يختلف اختلافا كيفيا عن برامج الاحزاب الاخرى .. وهو يمثل نقطة انطلاق جديدة للنضال الوطنى بأسره .

لكنه مع ذلك لم يحدد أهدافا واضحة تمثل مطالب الجماهير .. وحديثه عن النهوض بالفلاح يتناول آمالا غامضة بلا معالم محددة ..

على أن اعلان الحزب الوطنى كان علامة هامة .. كان فيصلا بين الوطنية الصادقة وبين العمالة أو التهاون أو المناورة .. أو التقرب من سلطات الاحتلال .

كما أن الحزب الوطنى قد لعب دورا هاماً فى كشف العناصر الضارة فى حقل العمل السياسى وشن حملات قاسية على خصومه السياسيين كاشفا أمام الجماهير سياستهم المتهادنة أو العميلة .

ولنتأمل هذه العبارات التى هاجم بها الشيخ جاويش جريدة المقطم .. تحت عنوان :

« لا كرامة لمأجور .. ليخرس المقطم » .. « ما بال أولئك الغرباء عن جميع الاوطان كلما رفع وطنى صميم صوته فى شان من شئون وطنه صاحوا

بانكر صوت ناقمين .. ؟ وما حكوه طاعنين ؟ وسخروا منه حاقدين ؟ عرفت الأمة هؤلاء الأعداء الذين لا يهنأ لهم عيش الا اذا ضاع لها حق .

وعرفت صحيفتهم الصفراء بوقا للاحتلال يصوت فيها فتردد صداه وآلة يديرها فتستدير .. ألا ليخرس المقطم فانه أحقر عند الامة من أن تلقى له بالا أو تقيم لحماقته وتضليله وزنا »(١) .

ويشدد اللواء هجومه على حزب الامة .. و « الجريدة » قائلا :
« ان سياسة الجريدة تدلنا على انها أشد الجرائد تعلقا بالاحتلال وحسبنا قدحها فيمن استنكروا الاحتفال باللورد كرومر ، أعدى أعداء المصريين والطاعن على الاسلام والمسلمين »(٢) .

ثم توجه « العلم » هجومها الساحق الى لطفى السيد ايضا :
فتناديه ..

« أي عدو بلاده .. مكانك مكانك أيها الجبان فمالك بميادين تميتك صورتها وتصعقك ذكراها .. فخير لك أن تحفر الارض بأظافرك ، وأن تتردى فيها ثم أرطم رأسك بالحجارة حتى يخرج من دماغك ذلك المخ الذى كان سبب شقائك وأصل بلائك » (٣) .

حتى الخديو لم يسلم من هجماتهم عندما باع نفسه للانجليز

وردا على تصريح أدلى به الخديو لجريدة الديلى تلجراف أيد فيه الاحتلال الانجليزى . قالت جريدة « ليتندار » جريدة الحزب الناطقة بالفرنسية .

« اننا نصرح جهارا بان الخديو حر فى تفكيره ولكن لا نقبل أن نكون مقيدين بهذا الكلام ، ان مصر لا يمكن أن تحكم بواسطة الخديو فقط أو بواسطة المعتمد البريطانى أو بهما معا .. يجب أن تحكم مصر بمعرفة ابنائها .. لقد تكلم الخديو عن الازدهار المادى ولم يقل كلمة واحدة عن الازدهار الادبى ، ذلك لانه لا يمكن تحقيقه الا بواسطة ارادة الشعب المتمتع بكامل حقوقه » (٤) .

(١) المرجع السابق ـ ص ١٠٥ .
(٢) اللواء ـ ١٩٠٧/١١/١٧ .
(٣) العلم ـ ١٩١١/١٠/٣١ .
(٤) ليتندار ـ ١٩٠٧/٥/٢٦ .

كما أن الحزب قد نجح بفضل علاقاته الخارجية وبفضل ارتباطاته بجماعات المثقفين المصريين الذين كانوا يتلقون العلم بالخارج .. فى أن يربط بين القضية المصرية وبين الحركة العالمية المناهضة للاستعمار والحرب .. وفى كثير من مؤتمرات السلام والمؤتمرات المناهضة للاستعمار ، وفى عصبة الشعوب المظلومة ، ومؤتمر الاجناس المضطهدة ارتفع صوت أعضاء الحزب مطالبا بالاستقلال لمصر والجلاء التام عنها .. ومعلنا تضامن الامة المصرية مع كل الشعوب والاجناس المضطهدة ..

كما أن الحزب قد نجح فى أن يقدم لاول مرة فى تاريخ مصر نموذجا للعمل الحزبى السياسى الذى يعمل بوعى لكسب الجماهير وتنظيمها والوصول اليها من خلال احتياجاتها اليومية والملحة .

وهناك أمثلة عديدة ..

وضع الحزب صيغة موحدة للمطالبة بالدستور .. وطبع منها عشرات الآلاف من النسخ ودعا الشعب الى توقيعها وارسالها اليه ليقدمها الى الخديو وذلك فى محاولة لاظهار مدى تاثير الحزب على حركة الجماهير وارتفع عدد التوقيعات الى رقم مذهل ٦١٫٠٠٠ توقيع .

كما أظهرت قيادة الحزب فهما عميقا لاهمية العمل الجماهيرى فقررت الاستفادة من المعركة الانتخابية التى جرت فى ديسمبر ١٩١٣ لانتخاب الجمعية التشريعية .. ويكتب محمد فريد فى مذكراته « جميع الاجتماعات الانتخابية التى حصلت بالقاهرة وبعض جهات الارياف كان الصوت العالى فيها لرجال الحزب الوطنى فالحركة فى الحقيقة من أعمال الحزب وان كانت الظروف السياسية منعت اللجنة الادارية من الظهور فيها »(١) .

وكانت هناك أيضا فكرة التعاون .. التى اهتم بها الحزب اهتماما كبيرا كوسيلة لحل المشاكل اليومية للجماهير والارتباط بها .

وهناك أيضا مدارس الشعب وهى مدارس ليلية كان الغرض منها تعليم الفقراء والعمال مجانا ، وقد تطوع شباب الحزب للتدريس فيها وفقا لبرنامج أعده الحزب يتضمن المواد التالية : القراءة والكتابة ودروس الدين ـ قانون الصحة والاحتياطات الصحية ـ القوانين الخاصة بالمعاملات اليومية ـ الحساب ـ الشئون الاجتماعية ـ تاريخ مصر والتاريخ الاسلامى ـ جغرافية وآداب .. وقد افتتح الحزب أربعة مدارس فى اقسام بولاق وشبرا والعباسية والخليفة وكان محمد فريد يقوم بنفسه بالتدريس فيها (٢) .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ـ محمد فريد ـ ص ٣١٨ .
(٢) عبد الرحمن الرافعى ـ مذكراتى ـ ص ١٦ .

ثم أن الحزب قد اهتم اهتماما كبيرا بالطبقة العاملة .. والحقيقة أن هذا الاتجاه لم يصبح ملحوظا الا بعد أن تولى فريد قيادة الحزب ..

ويكتب فريد سلسلة من المقالات دفاعا عن حقوق العمال معلنا أنه :

« لا يوجد بمصر قوانين خاصة بحماية العمال ولا قوانين تحدد سنهم ولا عدد الساعات التي يجب أن يقضوها فى العمل فنجد العمال مثقلى الكواهل بلا رحمة ... » (١)

وعندما أضرب عمال الترام ساندتهم جريدة اللواء معلنة « أن المتأمل فى المطالب التى عرضها هؤلاء العمال يعرف مبلغ عدلها وصوابها فانهم لم يفتاتوا على الشركة ولم يطلبوا منها المستحيل وانما طلبوا أن يحفظ التناسب بين الحقوق والواجبات وأن يأخذوا الكفالة الكافية لهم ، وأن لا يضاموا ولا يرهقوا ، وأن يكون الاجر على قدر العمل ، وللعمل وقت محدود ، وهذه الروح التى سرت فى أولئك العمال فاشعرتهم أن لهم حقوقا ضائعة وجمعت صفوفهم لطلبها بطريقة عادلة روح تبشر بدخول طوائف العمال عندنا فى عهد جديد من الحياة الحية والتضامن الاجتماعى » (٢) .

كذلك كون الحزب نقابة الصنائع اليدوية وهى أكبر تنظيم عمالى شهدته مصر حتى ذلك الحين .

والحقيقة أن فريد باتجاهه هذا نحو العمال والتشكيلات النقابية كان متأثرا ببعض القادة العماليين الاوربيين وخاصة الزعيم العمالى كير هاردى أحد مؤسسى حزب العمال الانجليزى ويتضح هذا التأثير من كلمات فريد نفسه ..

« نقابات العمال قوة هائلة تخضع لها الحكومات وتطاطىء راسها امامها ولقد أصبح حزب العمال فى انجلترا من الاحزاب المسموعة الكلمة بهمة من كرسوا حياتهم لخدمة هذه الطبقة من الاهالى مثل كير هاردى واخوانه » (٣) .

وفوق كل ذلك فان قادة وكوادر الحزب الوطنى قد قدموا للحركة النضالية المصرية نماذج رائعة من الاباء الثورى .. والتعالى على مغريات المحتلين والتضحية بالذات فى سبيل الوطن .. مسلحين الجماهير بطاقات

---

(١) أمين عز الدين ــ تاريخ الطبقة العاملة منذ نشأتها حتى ١٩١٩ ــ ص ١٢٥ .
(٢) اللواء ــ ١٩٠٨/١٠/١٨
(٣) أمين عز الدين ــ المرجع السابق ــ ص ١٢٨ .

كبيرة من النضال وبالقدرة على رفض أساليب الجماعات والاحزاب الأخرى المتهادنة .

ولنتامل هذا الحديث الذي دار بين مصطفى كامل وبين « السير كامبل بانرمان » رئيس وزراء بريطانيا ..

فبعد محاورة طويلة ساله بانرمان « هل تقبل تكوين نظارة بمعرفتك ؟ »

ولنتامل جواب مصطفى كامل « ان وطنيتي تفرض على رفض كل مركز في الحكومة طالما ظل الاحتلال في البلاد » (١) .

وكذلك فريد .. يعرض عليه المحتلون الوزارة ملوحين له بضعف مركزه المالي وباستعدادهم لتسوية كل مشاكله المالية فيقول لمندوبهم « ان ضياع ثروتي لا يؤثر في مبادئي وانني أرفض أي مركز في الحكومة ما دام الانكليز في مصر » .

وعندما يلح عليه الرجل يصمم فريد معلنا « انني ساصر على الرفض حتى مماتي » (٢) .

ولما حكم عليه بالسجن زاره في سجن الاستئناف الدكتور عثمان غالب موفدا من قبل الخديوى ليخبره أن الخديوى مستعد للعفو عنه اذا قدم طلبا بذلك .. فرد عليه فريد « أنا لا أطلب العفو ولا أسمح لأحد من عائلتي بطلبه .. واذا صدر العفو فلن اقبله » (٣) .

وهكذا كان الحزب الوطني - في كثير من الاحيان - مدرسة للتطرف الوطني الذي يجابه سياسة المهادنة والملاينة والضعف وموالاة الانجليز ..

لكن كل ذلك لم يتح للحزب أن يقود جماهير الشعب .. فقد كانت حماسته حماسة البرجوازية الصغيرة التي تتوهج عاليا ثم سرعان ما تنطفىء .. الامر الذي لم يمكنه من أن يقدم الصياغة الفكرية الملائمة التي تعبر عن آمال الجماهير .. وأن يحشد هذه الجماهير بصورة فعالة دفاعا عن المبادىء التي صاغها .

ومنذ البداية كان مصطفى كامل يدعو الى انتهاج خطة معتدلة ..

---

(١) أحمد رشاد - المرجع السابق - ص ٣٢٣ .
(٢) محمد على غريب - الفدائي الاول - ص ٧٤ .
(٣) أحمد بهاء الدين - المرجع السابق - ص ٧٨ .

والحقيقة أن دعوة مصطفى للاعتدال كانت خطة متكاملة تعبر عن ايمان محدود بطاقات الجماهير وقدراتها ، وعن خوف شديد من حركتها الواسعة ، وباختصار لقد كانت ظلال فشل ثورة عرابى تشوب فكره ومواقفه ..

.. وعندما اتحدث عن الاعتدال فانني اعني أن مصطفى كامل قد تعمد - عن وعي - الابتعاد عن الاساليب الثورية في الكفاح مكتفيا بالاعتماد على الكتابة والخطابة والتشهير بالاحتلال محليا وعالميا ..

وحتى عندما التفت حوله جموع الاسكندرية لتمنحه دفئها أرسل الى اهالى الاسكندرية رسالة شكر جاء فيها :

.. « وقد برهنتم في هذه المظاهرة المعدودة على أنكم ألد أعداء الدخلاء تحاربوهم بأقلامكم والسنتكم حتى تتبدد طغمتهم » (١)

وفي مرة ثانية وجه مصطفى كامل حديثه للجماهير قائلا :

.. « الغيرة التي تستعمل في غير موضعها تكون دواما اضر من البلادة والخمول فلذا اناديكم مناداة محب لبلاده أن تتنفوا باعتدالكم وسكونكم تهمة من يرمونكم بحب الهياج والاضطراب ، ومثل مصر مثل مريض قارب على الشفاء ينصح له الطبيب بزيادة التحفظ وعدم التعرض للهواء لئلا ينتكس بالعلة فتعود عليه بويل أشد من ويلها الاول » (٢)

وفي عام ١٨٩٦ نشرت احدى الصحف النمساوية حديثا لمصطفى كامل جاء فيه :

.. ولما كانت الأمة المصرية متالمة ولها حقوق الخلاص من النير الانجليزي فترى للوصول الى غرضها سبيلين .. سبيل الثورة .. والسبيل السلمي ..

.. فاما سبيل الثورة فنحن لا نريده ، لاننا قبل كل شيء قوم مشهورون بالدعة وحب السكينة ونبغض المذابح والجرائم . ومن جهة أخرى فان لأوروبا عندنا مصالح تتضرر بهذا الثورة لذلك أعرضنا عن سبيل الثورة الذى

---

(١) على فهمي - المرجع السابق - ص ٢٢٧

(٢) احمد رشاد - المرجع السابق - ص ٥

نكرهه بفطرتنا واخترنا السبيل السلمى » (١)

ويدلى مصطفى بحديث آخر لمراسل نيويورك هيرالد يقول فيه :

« لقد قمنا نلفت أنظار أوروبا الينا بالقلم واللسان ، ولسنا بغير القلم واللسان نريد أن نخاطب أوروبا ونستفزها للنظر فى مصلحة بلادنا ·· » (٢)

وثمة مواقف أخرى كثيرة تحمل نفس المضمون ·· لكن أهم ما لفت نظرى موقف ذو أهمية خاصة فى اعتقادى ·· فهو يعبر عن موقف مصطفى كامل من قوة هامة فى المجتمع وهى ضباط الجيش ·· فقد كان أخوه – على فهمى كامل – ضابطا بالفرقة المصرية فى سواكن وعندما قدم مصطفى عريضته الشهيرة الى البرلمان الفرنسى بلغ حماس ضباط الجيش المصرى فى سواكن ذروته فكتبوا لمصطفى رسالة زاخرة بالشجاعة والوطنية والاقدام ··

« الى الشهم الغيور الوطنى المصرى مصطفى كامل افندى ايده الله ·· السلام عليكم ·· ان الذين يخاطبونك يجدون أنفسهم امام وطنيتك النادرة وتفانيك فى حب مصر المقدسة صغارا ، لان قلمك الحق أمضى من سيوفنا ، وحججك القوية أفعل من رصاصنا فان قصرنا فى شكرك فلنا من عملنا أكبر عذر وفى عفوك أعظم أمل ·

اننا نشكرك ايها السيد المبجل شكر المصرى الصميم لأخيه الحميم فاقبل شكرنا واعلم أن ارواحنا طوع اشارتك فى خدمة بلادنا العزيزة »

ثم ٣١ توقيعا ··

فماذا كان رد مصطفى كامل ؟

« من الحكمة إلا نمكن العدو من رقابنا ·· وانى لا اود أن يدخل الضباط فى حركتنا السياسية دخولا ظاهرا لان هذا يضر بالمسألة المصرية ضررا بليغا حيث يجد الاحتلال مسوغا لخلق التهم الثورية بمصر ، وغير ذلك مما لا يخفى عليكم » (٣)

ولم تكن هذه هى الوقفة الوحيدة الشجاعة لضباط الجيش من مصطفى ودعوته بل لقد اعلنوا فى مرة أخرى استعدادهم للعمل رهن اشارته :

---

(١) على فهمى كامل – المرجع السابق – ص ٢٨٧ ·

(٢) المرجع السابق – ص ٣٠٠ ·

(٣) المرجع السابق – ص ٥٥١ ·

ولنستمع الى على فهمى وهو يروى بنفسه قصة وقفة أخرى شجاعة لضباط الجيش بعد أن لفقت له تهمة باطلة وحكم عليه مجلس عسكرى بتجريده من رتبته وسجنه ..

« وقد استقبلنى الضباط المصريين متأثرين لما لقيت من هذا الظلم ، بل لقونى غاضبين صاخبين لما أصابنى من اعتداء وافتراء ورأيت منهم حركة هى التى كنت أنتظر أن أراها منهم .. وتقدم الى أحدهم وهو الشهم المرحوم شفيق بك الحضرى وقال :

يا أخانا المظلوم .. اننا نعتقد أن رئاسة الجيش المصرى قد مثلت اليوم رواية من أشنع وأفظع الروايات .. اذ ظلموا ضابطا مصريا بريئا وتحاملوا زورا وعدوانا على رجل ذنبه أنه أخو مصطفى كامل **فمرنا فانا طوع اشارتك ..**

فلم يسعنى الا أن شكرت لهم عنايتهم بشأنى وأشرت عليهم باستعمال الحكمة والروية حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا » (١)

كذلك فان الحزب كانت تمزقه خلافات فكرية عنيفة .. « فهناك اتجاه يمثله الشيخ عبد العزيز جاويش وهو ما يمكن تسميته باتجاه « الجامعة الاسلامية » وهو اتجاه ينادى بحق الامة المصرية فى الحرية والدستور والجلاء فى ظل وحدة العالم الاسلامى ممثلا فى الدولة العثمانية التى يتعين الحفاظ على وحدتها ومقاومة تمزيقها فان فى تمزقها ضياع الوطن كله ... » (٢) .

والحقيقة أن اتجاه الشيخ جاويش الذى كان مسؤولا لفترة من الوقت عن أهم أجهزة الحزب وهى جريدة اللواء قد أوقع الحزب فى حيرة شديدة .. فاذا كانت الدعوة الإسلامية ترضى البعض فانها توقع المطالبين بالحرية والاستقلال والديمقراطية فى حيرة .. اذ كيف يمكن تحقيق كل ذلك فى ظل الوحدة مع الدولة العثمانية وبكل ما تحمله سلطة هذه الدولة من جبروت وتسلط وقهر ..

ويعلق « جمال أحمد » على هذا الاتجاه قائلا « انه قد أكسب الحزب بعض الجماهيرية التى مكنته فى بعض الوقت من أن يملأ شوارع القاهرة

---

(١) المرجع السابق ــ ص ٢٣٥ .
(٢) أنور الجندى ــ عبد العزيز جاويش ــ ص ٨٢ .

بمظاهرات صاخبة لكنه ـ وفى نفس الوقت قد أفقده تأييد عناصر كثيرة »(١) .

أما الاتجاه الآخر فهو اتجاه محمد فريد الذى قاوم آراء الشيخ جاويش قائلا « ان حبه للدولة العثمانية أدى الى نسيان مصر ومصالحها ، فأصبحوا يقولون أن مصر للمسلمين لا للمصريين وقد وصلت الحالة بالشيخ جاويش الى أن ينصحنى بعدم حمل الدبوس الذى عملناه فى جنيف والمكتوب عليه « مصر للمصريين » والذى قررنا أن يكون شعار المصريين المخلصين وقال أن منظره فى صدرى وصدر أخوانى يغيظ العثمانيين كما يغيظهم محافظتى على قومية مصر»(٢) .

ويمضى محمد فريد متحدثا فى مذكراته عن معارضته لأراء جاويش قائلا : « ان جاويش لم يزل يحارب فكرة الوطنية فى الاسلام وقد قال أخيرا فى برلين لأحمد بك أن يقلع عن فكرة الوطنية أو الجنسية المصرية قائلا انه لا وطنية فى الاسلام » (٣) .

ولم يكن هذا المظهر السلبى الوحيد فى الحزب ... لكن سياسة عدم التعاون مع الاحتلال تطرفت الى شعار يمنع الوطنيين من قبول الوظيفة فى ظل الاحتلال .. ولم يبق أمام الكثيرين من مثقفى الحزب سوى الهجرة الى الخارج ..

ثم أرتكب قادة الحزب الخطأ القاتل فهاجروا هم أيضا تاركين شعبا أحبهم وأعجب بهم ، والتف حولهم ، ومنحهم من التأييد مالم يمنحه لحزب سياسى آخر ..

وفى البداية هاجر جاويش وبعدها بشهر واحد تبعه فريد .. ثم الكثيرون عبد الملك حمزة ، اسماعيل كامل ، عوض البحراوى ، الدكتور احمد طاهر وعشرات غيرهم ..

وهكذا وبالتدريج انتقل مركز الكفاح من وسط الجماهير ، من مدارس الشعب الليلية وجمعيات التعاون ونادى طلبة المدارس العليا ونقابة الصنائع اليدوية وشوارع القاهرة وغيرها من المدن ، الى الاستانة ودول أوربا وكان طبيعيا أن تتبعثر جهودهم وأن تسودهم وهم فى المنفى وفى عزلة عن العمل اليومى المنظم وسط جماهير الشعب روح الفرقة والخلافات الشخصية والمؤامرات والمناورات الصغيرة .

---

(١) جمال أحمد ـ المرجع السابق ـ ص ٨٧
(٢) صبيح ـ المرجع السابق ـ ص ٧٨٩
(٣) صبيح ـ المرجع السابق ـ ص ٢١٨

والحقيقة انني فكرت في هذه الهجرة الجماعية التى اندفع اليها هؤلاء القادة واكثر ما حيرني هي هجرة فريد وهو زعيم واع ومخلص يترك كل شيء هربا من قضية حكم عليه فيها « بالحبس لمدة سنة » ..

وأيا كانت الدوافع ، وايا كانت المبررات فهى فى اعتقادى خطأ فادح هدم كيان الحزب وافقده قدرته على التأثير فى الجموع التى كانت تغلى غضبا ..

وكان طبيعيا أن تتبدد قوى هذا الحزب بعد أن تركها القادة مبتعدين بانفسهم عن بطش سلطات الاحتلال .. وكان طبيعيا أن يرسم المحتلون سياسة تهدف الى « ابعاد » القيادة الى الخارج وضرب القاعدة فى الداخل ..

وتتوالى الاحداث سريعا وفى أغسطس ١٩١٥ تنشر الاهرام خطابا مفتوحا من محمود بك فهمي سكرتير الحزب يعلن تبراه من الحزب :

كذلك تنعكس هذه الأحداث على تفكير محمد فريد وهو فى عزلته القاسية بعيدا عن شعبه وعن وطنه وعن جماهيره .. وبعد أن شهد كيان حزبه وهو يتهدم ، فيكتب فى مذكراته معبرا عن يأس لا حدود له « اتضح لى من كثرة اتصالاتي ومساعى انه لا أمل من جهة في قيام الجامعة الاسلامية باسم الدين ، ومن جهة لا أمل فى أن المانيا تساعدنا ضد الترك لانهم محتاجون اليهم لايريدون أن يغضبوهم فى شيء .. **ونحن فى مثل هذه الظروف نفضل بقاء الانجليز والاتفاق معهم على أخذ الدستور ولو تدريجيا » (١) .**

وكان طبيعيا بعد كل ذلك أن تجرى أحداث ثورة ١٩١٩ بعيدا عن الحزب وحتى بعيدا عن خيالات قادته .. وكان طبيعيا ان يكتب فريد فى مذكراته معلقا على أحداث هذه الثورة فيقول « من الامور التى كانت غير منتظرة ، ما حصل بمصر فى شهرى مارس وابريل من هذه السنة وهو قيام ثورة عامة اشتركت فيها الامة بجميع طبقاتها واتخذ فيها الاقباط والمسلمون مطالبين باستقلال مصر التام .. » .

وهكذا .. ورويدا رويدا ادركت الجماهير أن آمالها ليست حبيسة ارادة ولا شعارات المثقفين ولا الفئات الوسطى وان ثمة قوة أخرى اكثر قدرة على الصدام واكثر قدرة على الصمود واكثر قدرة على المجابهة .

---

(١) صبيح – المرجع السابق – ص ٣٦٨ .

الحركة وسط الفلاحين

والحقيقة ان ثمة طبقات أخرى كان الفقر يطحنها ، وكانت ظروفها الاجتماعية والاقتصادية تدفعها الى التمرد ، والى تبنى شعارات ثورية حقا ..

وكانت هذه الشعارات وتلك المواقف أكثر مما يمكن أن يحتمله حزب البرجوازية الوسطى أو الصغيرة ..

ولنبدأ بالفلاحين هؤلاء الناس الذين قال كرومر انهم أكثر من استمتعوا بنعم الاحتلال .. لقد رأينا فى البداية كيف استحوز كبار الملاك على كل شبر يستصلح من الارض فارتفعت بذلك أرقام الملكيات الكبيرة ومساحتها بصورة مخيفة .. ولم يبق شئ للفلاحين الصغار سوى مساحات ضيقة من الارض ترهقها ديون متراكمة وضرائب تتزايد كل يوم ومحصول ضعيف ورجال يختطفون للعمل فى السلطة .

والحقيقة ان الحالة التى عاشها الريف المصرى فى مطلع القرن العشرين بحاجة الى مزيد من التأمل والدراسة .. فبدون دراستها دراسة تفصيلية لن يمكننا أن نفهم حقيقة الدوافع التى كمنت وراء العنف المسلح الذى انفجر فجأة عام ١٩١٩ .

واذا كان صعبا أن نورد هنا دراسة تفصيلية لهذه المسألة ، فاننا سنحاول أن نقدم بعض الملاحظات السريعة .

ولنبدأ بهذه الصورة التى أوردها مراسل الاهرام فى مطوبس ..

« كان هبوط الاثمان الذى أصاب الزراع فى هذه السنة أنكى الضربات التى نزلت عليهم ؛ وقد أصاب هذا الهبوط محصول الارز مع وفرة نفقاته وقد ساءت حالتهم كثيرا بكيفية تسليم الارز للدائنين ، فانهم لا يقبلون اخذه الا بزيادة نحو الخمس على كل أردب ، والزراع لا يسعهم الا التسليم على كل حال لانه لا توجد جهة لتوريد هذا الصنف غير ثغر رشيد ، ثم يرجع الزارع لبلده خائبا حزينا فيعامله الحاكم بقسوة وصرامة فى طلب الاموال الاميرية وهو لا يستطيع وفاءها اذ لا شئ لديه لقوته وقوت عياله » (١) .

---

(١) الاهرام – ١٨٩٢/١٢/٢٢

واذا وصل الامر بالفلاح الى هذا الحد ، فانه لا يجد أمامه سوى أن يستدين ، أو أن يبيع محصوله الشتوي قبل أن ينضج ، ويستغل السماسرة والتجار (ومعظمهم من الاجانب) حاجة الفلاح الملحة الى المال ليشتروا منه محصوله الشتوى بأبخس الاثمان ·· وسرعان ما يقبل الخريف ويحتاج الفلاح الى زراعة المحاصيل الشتوية فيضطر الى أن يشترى من التجار ما باعه لهم بالامس لكنه يشتريه بسعر أعلى بكثير .

ويؤكد أحد الاقتصاديين الاجانب أن الفلاحين كانوا يخسرون فى فروق الأسعار هذه مبلغا يصل الى مليون جنيه سنويا عندما يشترون فى أكتوبر ما باعوه فى مايو (١) ·

أما الطريقة الثانية فهى أن يستدين مبلغا بالربا ·· وفوائد الربا خيالية ٥٪ شهريا ، أى ٦٠٪ سنويا ·· واذا لم يرد أن يلجأ للمرابى فأمامه الاستدانة من بنوك الرهون العقارية ، التى اتسعت أعمالها كثيرا فى هذه الايام ·

والحقيقة أن نظام المحاكم المختلطة قد شجع كثيرا على انتشار رهن الاراضى ، فهى من ناحية أتاحت للفلاح أن يقدم أطيانه كضمان قانونى للدين ·· ومن ناحية أخرى أتاحت للدائنين الاجانب سهولة بالغة وحقوقا واسعة فى بيع الاطيان المرتهنة ·

وتتراكم الديون بصورة مخيفة يوضحها الجدول التالى (٢) :

عدد الملاك المدينين	جملة الارض المدينة بالفدان	جملة الدين على مالكى الخمسة افدنة فاقل	جملة الدين على كل فدان قرشا جنيه
٦١٩ر١٠٤	٦١٩ر٢١٤	١٦ر٩٩٠ر٦٦٠	٨٧ ٢٥٠

وكان طبيعيا أن يعجز الفلاح عن السداد ، وتبلغ متأخرات الفلاحين لدى البنك الزراعى وحده ٤١٦ر٨٨٧ جنيها فى يناير ١٩١٠ ، ويباشر هذا البنك وحده اجراءات التقاضى لنزع ملكية الارض من ٢٥٤٤ مدينا (٣) ·

لكن الامر لم يقف عند هذا الحد ، فهناك نكبات أخرى ··

فمواشى الفلاح يحصدها الطاعون البقرى بصورة لم يسبق لها مثيل ، وكان معدل الخسائر فى المواشى من هذا المرض ١٠٠ رأس فى الاسبوع ، وقد بلغت الخسائر فى عشر سنوات (١٩٠٧ ـ ١٩١٧) ٤٠ر٠٠٠ رأس قيمتها

(١) عبد الرحمن الرافعى : نقابات التعاون الزراعية ـ ص ١٧٦
(٢) كتشنر ـ التقرير السنوى لعام ١٩١٢ ـ ص ٢٥
(٣) كتشنر ـ تقرير عام ١٩١٠ ·

۰۰۰ر۶۰۰ر۱ جنيه (۱) ٠

كذلك تلاحق دودة القطن المحصول الرئيسى للبلاد وتتلف فى عام ١٩٠٤ ما قيمته مليون جنيه « وافتقر لذلك عدد كبير من صغار الفلاحين وهلكوا هم واسرهم جوعا ، وانتابت الفلاحين مثل هذه النائبة فى عامى ۱۹۰۸ ، ۱۹۰۹ فقد قيل أنهم خسروا فى العامين المذكورين ٨ مليون جنيه » ٠

بل ان الكارثة تكمن فى الهبوط المستمر فى انتاج الفدان « فقد دلت الاحصائيات الرسمية على أن متوسط محصول الفدان من القطن فى عام ۱۹۰۱ كان خمسة قناطير وكسور ، ثم هبط فى ١٩٠٢ الى ٤ر٥٨ ثم هبط مرة اخرى فى ١٩٠٤ الى ٣٩ر٤ ، ثم استمر الانخفاض فبلغ فى سنة ١٩٠٥ الى ۳٫۰۸ وفى سنة ١٩٠٦ هبط الى ثلاثة قناطير فقط » (۲) ٠

لكن كل هذه الكوارث كانت تهون الى جانب الكارثة الكبرى « السلطة العسكرية » ٠

حيث ساق المحتلون مليونا من الفلاحين والعمال المصريين ليعملوا تحت سوط الارهاب فى خدمة جيوش المحتلين فى سيناء وفلسطين وسوريا وأماكن أخرى كثيرة ٠

والحقيقة ان قصة هؤلاء الرجال الذين ذهبوا باعداد غفيرة ، وعاد منهم القليلون ، تستحق هى ايضا مزيدا من الدراسات التاريخية والفنية والدرامية ٠

ولست أريد ان أطيل هنا ، لكننى ساكتفى بوصف أوردته جريدة انجليزية لعملية السخرة هذه ، فقالت « وضع نظام للتطوع ظهر عدم كفايته فصدرت الاوامر بأخذ العمال من الحقول بالاكراه ، والطريقة هى ان يدخل رجال الحكومة القرية وينتظرون رجوع الفلاحين الى منازلهم فى الغروب فيحيطوا بهم وينتقوا خيرهم للخدمة ، فاذا رفض احدهم هذا التطوع الاجبارى جلد حتى الاقرار بالقبول ، وعلى هذا النحو ساقوا صبيانا من سن اربعة عشر عاما وشيوخا فى السبعين ٠٠ وكانت الجموع المريضة المنهكة تساق لتأدية الاعمال الحربية والكرباج كفيل بتسخيرهم من غير حساب ٠٠ وأصبح الجلد من الاعمال اليومية ، وكان المكلفون بالجلد هم الاطباء أنفسهم حتى ان المرضى كانوا يخافون ان يختلط الامر فينتقلوا خطا من طابور المحتاجين للعلاج الى طابور المحكوم عليهم بالجلد ٠٠ » (۳) ٠

(۱) عزيز خانكى ــ شئون مصرية ــ ص ٣٤ ، ٣٥
(۲) روثشتين ــ المرجع السابق ــ ص ٤٥٦ ٠
(۳) أحمد بهاء الدين ــ المرجع السابق ــ ٨٩ ٠

والآن ماذا بقي للفلاح سوى أن يتمرد ..

هذا الفلاح الذى خاض عشرات الهبات المسلحة ، والذى اثبت دوما أن احساسه الطبقى أكثر حدة مما يتصور الكثيرون ، والذى سارع ليحتضن ثورة عرابى ويحولها الى ثورة فلاحية يقوم رجالها بتوزيع ارض كبار الملاك .

هذا الفلاح لم يكن ممكنا ان تقوده شعارات معتدلة ولا اساليب غير ثورية .. ربما كانت تنقصه القدرة على المبادرة ، لكنه ما أن اشتعلت احداث الثورة حتى مارس العنف الثورى الى أقصى مداه .. الى الحد الذى ازعج قادة الوفد انفسهم وجعلهم يصدرون بيانا يقول : « ان الاعتداء على الانفس أو على الاملاك محرم بالشرائع الالهية والقوانين الوضعية .. وان قطع طرق المواصلات يضر اهل البلاد ضررا واضحا ، اذ يحول بينهم وبين مباشرة مصالحهم ويوقف حركة نقل المحاصيل والارزاق .. ومثل هذا العمل يضيع على المصريين ما ينتظرونه من عطف عليهم » (١) .

وكان طبيعيا ان ينزعج قادة الوفد من حركة الفلاحين هذه .. فالحقيقة ان الثورة قد تحولت على أيدى الفلاحين البسطاء من مجرد حركة وطنية الى معركة طبقية يقف فيها الفلاحون المسلحون ضد الاحتلال وضد كبار الملاك معا .

وفى كثير من الاماكن التى أعلنت التمرد المسلح كان السلاح يوجه ضد الانكليز والاغنياء معا .

ويحاول فكرى اباظة ـ وهو من رجال الحزب الوطنى ـ ان يصف احداثا شاهدها فى مديرية اسيوط ، فيقول « ويزحف البؤساء العزل زحف الاسود الكاسرة على مستودعات الذخيرة المحلية . وعلى سلاح البوليس فيتخاطفونه تخاطفا ، ويتقلدونه فارغا ومملوءا .. ويتكون فى لمح البصر جيش الثورة من أصحاب الجلاليب » (٢) .

ويرتعد الأجانب ويرتعد معهم كبار الملاك ، فالفلاحون المسلحون شيء مخيف حقا .

فالبيوت الكبيرة اوصدت ابوابها واوقفت حولها الحراس خوفا من الثورة .. الثورة ضد الانكليز ، **والثورة ضد الثروة** .. نعم كانت هناك حقا ثورة ضد الانكليز يقودها بعض المتنورين .. **وثورة ضد الثروة يقودها**

---

(١) صبيح ـ المرجع السابق ـ ص ٣٩٢ .
(٢) فكرى اباظة ـ الضاحك الباكى ـ ص ٤٣ .

الاشرار الفقراء » .

لكن ثورة الفقراء ضد من ؟

« كانت صفائح البنزين تكوم على محاذاة جدار القصر ـ قصر محمد محمود باشا احد قادة الوفد المنفيين الى مالطة ـ ويوشك الثائرون أن يشعلوها بعيدان الكبريت ..

وقلت لهم : هذا قصر محمد محمود .. ولاجل حريته وحرية بلاده ثرتم ..

وقال وحش من الوحوش : اسكت .. هل وزع محمد محمود ارغفة العيش على الجائعين ؟ نحن طلاب قوت ..

وكانت صدمة لى .. خلط عجيب بين طلاب الاستقلال وطلاب القوت .. وخلط غريب بين الكفاح الوطنى والاشتراكية الساذجة »(١) .

ولقد تعمدت ان اروى القصة كاملة ، ليس فقط لاوضح الاساس الطبقى لحركة الفلاحين .. وانما ايضا لكى اوضح مدى عزلة ونفور رجال الحزب الوطنى من هذه الحركة الطبقية .

وثمة رواية اخرى يرويها واحد من رجال الحزب الوطنى ايضا ، هو عبد الرحمن الرافعى .

وكان يعود اثناء الثورة من القاهرة الى بلدته فى قارب بالنيل ، بعد ان قطعت خطوط المواصلات .. ويصف حالة القرى التى مر القارب بجوارها ، فيقول « شاهدنا معالم الثورة ، فكنا نسمع نداءات : لتحيى مصر .. ليحيى الاستقلال .. لتحيى الثورة .. واسترعى سمعى بوجه خاص نداء كنت اسمعه بين حين وآخر (**ليحيى العدل**) . وقد تساءلت اولا عما يقصد من هذا النداء ؟ وهل ظنونا قضاة جئنا بينهم بالعدل ؟ . ثم ادركت شعورهم الحقيقى وانهم لا يطلبون العدل لانفسهم بل يطلبونه لمصر .. » (٢) .

ولقد كانت الثورة عنيفة اكثر مما يتصور الكثيرون ، واكثر بكثير مما صور المؤرخون ، فلقد قدم الفلاحون ثلاثة آلاف شهيد (وفقا لاحصاء الرافعى) .

وان كان هارموث وكيل الخارجية البريطانية قد قال فى بيان له امام مجلس العموم انهم ١٠٠٠ قتيل فقط و ١٦٠٠ جريح و ٣٧٠٠ سجين اعدم

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٤٥

(٢) الرافعى ـ مذكراتى ـ ص ٣٥ .

منهم ١٤٩ شخصا وحكم على ٤٧ بالاشغال الشاقة المؤبدة .

•• وقد قدم الفلاحون بطولات خرافية ، فقد حاربوا قوات الاحتلال بفؤوسهم وانزلوا بها هزائم منكرة ، واضطروها الى أن تستعمل الطائرات الشراعية فى القاء قنابل حارقة عليهم (فى منطقة دير مواس وديروط) •• وفى دير مواس هذه قبض على ٥١ شخصا بتهمة قلب قطار عسكرى وقتل ثمانية من ضباط وجنود الاحتلال وحكم على ٢٤ شخصا بالاعدام •• وظلت سلطات الاحتلال تطلب الى المحكوم عليهم أن يطلبوا العفو عنهم ، مجرد طلب ، يلغى على أثره حكم الاعدام •• ورفض الفلاحون الابطال ، وأعدموا •• .

ومذابح أخرى كثيرة فى تفهنا العزب وميت القرشى ، وعشرات من القرى الاخرى •• كل هذا والفلاحون يواصلون الثورة ، بل ويعلنون تشكيل جمهوريات مستقلة فى زفتى والمطرية وفارسكور والمنيا •• معلنين تمردهم ليس فقط على الاحتلال ، وانما أيضا على النظام الملكى كله •• والحقيقة إن سلوك قادة هذه الجمهوريات خلال فترة استقلالها كان سلوكا يستحق الاعجاب ، ويدل على وعى طبقى راق يعبر عن أحلام الفلاحين فى مجتمع جديد •• ففى جمهورية زفتى أصدرت لجنة الثورة - وهذا هو اسم قيادة الجمهورية التى انتخبها الفلاحون فى اجتماع عام - سلسلة من البيانات يقول احدها : لابد من حماية الامن من كل عابث ، ولابد من تحقيق العدالة لكل ساكن ، ولابد من اقامة منشآت جديدة •• .

واحتشدت جموع المتطوعين من الفلاحين لتردم الترع والمستنقعات المحيطة بالمنطقة ولتصليح الجسور ، وتكونت فرق من الطلاب لحماية الامن ونظمت دوريات لمراقبة الحدود ، وكان عمر الجمهورية ١٩ يوما فقط لم يترك قادتها فيها حلما من أحلامهم الا وحققوه حتى أنهم أقاموا كشكا تعزف فيه الموسيقى كل يوم ••

وانزعجت السراى خوفا على النظام الملكى ، وانزعج كبار الملاك من هذا التمرد الفلاحى الذى لا يهدد الاحتلال وحده ، وانما يهدد النظام الاجتماعى من أساسه .

وارسلت سلطات الاحتلال فرقة من الجنود الاستراليين لتخضع الجمهورية المتمردة .

وكان موقف لجنة الثورة من القوات الاسترالية دليلا على وعى عميق بحقيقة الحركة التى يقومون بها ، فقد طبعوا منشورا باللغة الانكليزية

---

(١) صلاح عزام — مارس ١٩١٩ الدامى والفلاحون — ص ١٤

وزعوه على الجنود الاستراليين يقول لهم « أيها الجنود ·· انكم مثلنا ·· واننا نثور على الانكليز لا عليكم انتم ، اننا نثور من **أجل الخبز والحرية والاستقلال** »(١) ·

·· الخبز والحرية والاستقلال ·· انه شعار يختلف تماما عن شعار « المطالبة باستقلال مصر بالوسائل المشروعة » الذى رفعه الوفد ·· يختلف فى المحتوى الطبقى ، وفى الاسلوب ·· وفى كل شىء ·

وهكذا كان الفلاحون يتحركون فى الظاهر تحت قيادة الوفد ، لكنهم فى الواقع كانوا يمارسون ثورتهم هم التى طالما حلموا بها ·· الامر الذى أزعج قيادة الوفد ازعاجا شديدا ، ودفعها أكثر من مرة الى ادانة التمرد المسلح واستنكاره ·

أما رجال الحزب الوطنى ، فقد شهدنا كيف أن أحدهم - وهو فكرى أباظة - وصف الفلاحين بأنهم وحوش وأشرار ·· وأنهم يخلطون خلطا عجيبا بين الكفاح القومى والاشتراكية الساذجة ·

واذا كان الفلاحون بحكم تكوينهم الاجتماعى قد صبروا حتى تندلع الثورة كى يعلنوا تمردهم المسلح ، فان العمال - بحكم تكوينهم الاجتماعى أيضا - لم ينتظروا بل رفعوا شعارات النضال عالية منذ فجر القرن العشرين ·

---

(١) المرجع السابق - ص ٣٩

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

النضال النقابى والسياسى للطبقة العاملة

والحقيقة أن أهمية حركة الطبقة العاملة فى ذلك الحين تكمن فى انها كانت معلما للشعب كله ، وملهما لعديد من الفئات الاخرى التى رأت الطبقات الاخرى وهى تتهاوى تحت ضربات الاحتلال ٠

وطوال السنوات العشر الممتدة من ١٩٠٩ حتى ١٩١٩ كان الكثير من الاصوات قد تلاشى ، وكان الصوت الاعلى هو صوت الاضرابات العمالية والاعتصامات ومظاهرات العمال العاطلين التى أثرت فى كثير من المثقفين ولفتت انتباههم نحو فكر جديد وطبقة جديدة لم تستسلم ولم تهادن ولم تهرب من ميدان الكفاح ٠

من هذه الزاوية يتعين تقييم دور الحركة العمالية فى ذلك الحين ٠٠ ومن هذه الزاوية يتعين دراستها ٠٠

ولسنا نستطيع ان نقدم دراسة وافية عن هذا الموضوع ، لكننا سنكتفى بخلاصة سريعة(١) ٠

والحقيقة أن الطبقة العاملة كانت تعانى من ظروف غاية فى القسوة ٠٠ فالاجور منخفضة الى حد لا يصدق ٠٠ كان أجر العامل غير الفنى بالمحالج ثلاثة قروش يوميا ، وأجر عامل الترام ٨ قروش يوميا ٠٠ هذا مقابل ساعات عمل يومية تبلغ ١٣ ساعة فى مجال النقل و ١٧ ساعة فى محالج القطن و ١٦ ساعة فى المطابع (٢) ٠

٠٠ ذلك فى الوقت الذى ارتفعت فيه الاسعار ارتفاعا فاحشا ، فقد ارتفع ثمن نصف كيلو اللحم من قرشين الى أربعة قروش ، وارتفع سعر أردب القمح من ١٤٥ قرشا الى ١٥٠ قرشا بالاسكندرية وبلغ ٢٤٠ قرشا بالارياف ، وارتفع سعر الفول من ١٢٥ قرشا الى ١٤٠ قرشا ٠

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع :
* أمين عز الدين ـ تاريخ الطبقة العاملة منذ نشأتها حتى ١٩١٩ ٠
* عبد المنعم الغزالى ـ تاريخ الحركة النقابية ١٨٩٩ ـ ١٩٥٢ ٠
* رؤوف عباس ـ الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ ـ ١٩٥٢ ٠
(٢) الغزالى ـ ص ٢٤

كما ارتفعت أجور المنازل بنسبة ١ : ٩ .. وهكذا (١) .

وحاول العمال ان يلفتوا انظار الرأى العام الى قضيتهم ، وامطروا الجرائد برسائل تشرح حالتهم وبؤسهم .. وكتب احد عمال السكة الحديد الى جريدة الاهرام يقول :

« أن أعمال مصلحة السكة الحديد صعبة جدا وخطرة للغاية ، وعمالها جميعا محفوفون بالاخطار ، والوردية تمكث ١٢ ساعة متوالية .. واذا مرض أحدهم لا يجد طبيبا ولا دواء حتى يموت » (٢) .

وعامل آخر من شركة الترام يبعث برسالة الى الاهرام بتوقيع ن . ف محب للانسانية تقول :

« ان شركة ترام القاهرة تشغل عمالها اكثر من ١٤ ساعة فى اليوم ، وتنقده مرتبا اثنين جنيه فى الشهر ، واذا مرض يوما من شدة التعب والسهر والقيام المبكر تخصم منه أيام الانقطاع وتأمر بايقافه ورفته لاسباب واهية .. ان شركة مثل هذه لا تسرق أوراقا ولا تختلس مليما واحدا ، ولكنها تسرق أرواح العمال وتتسبب فى قصف حياتهم .. ان للعمال كثيرا ما قدموا شكاواهم ولا حياة لمن تنادى ، فلا الشركة تجيب ولا الحكومة تصغى .. ولو كان لهؤلاء العمال وامثالهم بمصر جمعيات أو احزاب لما كانت الشركة تعاملهم هذه المعاملة السيئة ، ولخشيت من باسهم » (٣) .

ولعل هذه الرسالة توضح – الى حد ما – وعيا طبقيا وفهما لاهمية التنظيم النقابى والسياسى فى تقوية نضال العمال ودعم حركتهم ..

والحقيقة ان الطبقة العاملة قد بادرت منذ مطلع القرن الى تكوين سلسلة من النقابات والجمعيات لتوحد صفوفها ..

وفى سرعة غريبة تكونت عشرات النقابات والجمعيات .. نقابة عمال السجاير ١٨٩٩ ، اتحاد عمال الخياطين ١٩٠١ ، نقابة الحلاقين ١٩٠١ ، جمعية عمال المطابع ١٩٠١ ، جمعية عمال الادوات المعدنية ١٩٠٢ ، جمعية كتبه المحامين ١٩٠٢ ، وفيما بعد تشكلت نقابة عمال الصنائع اليدوية ونقابة عمال الترام ونقابة عمال السكة الحديد (٤) ..

بل ان الامر قد وصل الى حد تكوين جمعيات سرية عمالية مثل

---

(١) الاهرام – ١٩١٠/١/١٥ .
(٢) الاهرام – ١٩٠٨/٨/١٩ .
(٣) الاهرام – ١٩٠٧/٢/٢٢ .
(٤) أمين عز الدين – المرجع السابق – ص ٦٩ .

« الجمعية السرية لبؤساء السكة الحديد » ·· وقد تصدت هذه الجمعية لقيادة عدة اضرابات واعتصامات ضد تعسف الادارة ·

وفى ١٣ اغسطس ١٩٠٨ عندما أصدرت مصلحة السكة الحديد منشورها رقم ٤٥٧ الذى يقضى بالعمل يوميا لمدة ١٢ ساعة متواصلة يعقبها ١٢ ساعة راحة (١) ، تقدمت هذه الجمعية على الفور لقيادة العمال واذا بتلغرافات ذات صياغة موحدة تنهال على الادارة والصحف ·· تقول :

« منشور الادارة نمرة ٤٥٧ صارم وغير مستطاع ·· نرجو تقليل ساعات العمل وتحسين رواتبنا ، ولا نهدأ حتى ننال مطالبنا ·· » ·

وتشكلت قيادة سرية لاضراب حدد قائمة بالمطالب التى يناضل العمال من أجلها ·· ومن بينها :

١ ـ ٨ ساعات عمل بدلا من ١٢ ساعة عمل (وهى أول مرة يرفع فيها شعار ٨ ساعات عمل) ·

٢ ـ يوم راحة فى الاسبوع ·

٣ ـ تحسين الماهيات والرواتب بقدر صعوبة الاعمال ·

٤ ـ الامتياز فى المعاش بحسب صعوبة وخطر الاعمال ·

٥ ـ ترقية العمال بحسب الاقدمية ·· وليس بالخواطر ·

وفى منتصف شهر أكتوبر ، عندما حاولت المصلحة الانتقاص من حقوقهم مرة أخرى ، قرر العمال الاضراب يوم ١٨ أكتوبر مطالبين بالمطالب السابقة ·

وامام وحدة العمال وتنظيمهم ·· تراجعت الادارة ومنحت العمال بعض ما يطلبون ·

·· وفى نفس الوقت كان عمال الترام يعدون العدة لاضراب كبير حددوا له أيضا يوم ١٨ اكتوبر ·· وهذا التحديد ذو دلالة واضحة ، فهو يعنى تفهم العمال لاهمية وحدتهم النضالية ، وهو يوحى بجنين فكرة الاضراب العام ·

ومنذ يوم ٤ اكتوبر صاغت لجنة عمال الترام مطالبها ووزعتها على الصحف (٢) ·

وتتلخص فى « خفض ساعات العمل الى ثمانى ساعات فى اليوم بدلا من

---

(١) الاهرام ـ ١٩٠٨/٨/٣ ·
(٢) الاهرام ـ اللواء ـ المؤيد ١٩٠٨/١٠/٤ ·

١٢ ساعة ، زيادة المرتبات بنسبة ٤٠٪ مع زيادتها مرة كل عام ، ومنح العمال اجازة فى حالة المرض واجازات اعتيادية سنوية ، واعادة العمال المفصولين إلى العمل ، وتاليف لجنة للتحقيق فى شكاوي العمال على أن يمثل فيها العمال .

وقام العمال باخطار الشركة ومحافظة القاهرة بمطالبهم ، معلنين عزمهم على الاضراب ان لم تجب مطالبهم ، محددين يوم ٢٨ اكتوبر موعدا لاضرابهم . وإذا كان البوليس قد تمكن من تصفية الاضراب بالعنف وباعتقال ٧٢ من قادة العمال ، فإن عمال الترام قد حققوا مطالبهم .. وقد لفتوا الانظار الى مطالب العمال .

والحقيقة أن العمال قد خاضوا قبل ذلك سلسلة من الاضرابات والاعتصامات .. ففى عام ١٩٠٠ أضرب العمال الايطاليون بخزان أسوان وفى نوفمبر ١٩٠١ أضرب عمال الترزية . فقد اجتمع العمال فى قهوة ألف ليلة وليلة بالأزبكية وكانوا قد أعدوا لهم علما خاصا ؛ فاقسموا أمامه يمين الطاعة . وقرروا الاضراب عن العمل حتى يجابوا الى طلبهم ، وهو تعيين أجر على كل قطعة . وساروا فى مظاهرة يهتفون بحياة العدل وسقوط الظلم . فقبض رجال الشرطة على ٢٧ عاملا ، وزجوا بهم فى السجن ، وأخيرا أجيب العمال الى طلبهم ، وانتهى الاعتصاب » (١) .

وفى اوائل ديسمبر ١٩٠١ اضرب عمال مصانع السجاير ، وساروا فى مظاهرة عظيمة بجهة باب الحديد ، ثم تجمعوا بعد ذلك فى شارع نوبار ، فأرسلت المحافظة ثلاثين خيالا لمطاردتهم وتفريق جموعهم فدارت معركة أصيب فيها كثيرون بجروح بليغة ولم يتحقق هذا الاعتصاب نتيجة لان مصانع السجاير فصلت العمال المشاغبين » (٢) .

« وفى يناير ١٩٠٢ اضرب الحلاقون الذين يعملون عند أصحاب محلات الحلاقة ، مطالبين بتخفيض ساعات العمل ، واعطائهم أجازة نصف يوم الاحد . واجتمع سبعون منهم فى شارع المهدى بالازبكية ، ومروا على محلات الحلاقة فى بعض الاحياء لتحريض عمالها على التضامن معهم ، اما اصحاب محلات الحلاقة فقد رفضوا ان يجيبوا العمال الى طلبهم بحجة انهم يتكبدون خسائر ، وبذلك انتهى الاعتصاب الى غير نتيجة » (٣) .

---

(١) محمد سيد كيلانى . ترام القاهرة ـ دار الفرجاني ـ القاهرة ـ (د . ت) ص ٦٤ ـ نقلا عن المؤيد ١٩٠١/١٢/٢٦ .

(٢) اللواء ١٩٠١/١٢/٧ وأيضا : ١٩٠١/١٢/٢٣ .

(٣) محمد سيد كيلانى ـ المرجع السابق ص ٦٥ نقلا عن : اللواء ١٩٠٢/١/١٩ .

وفى ينـاير ١٩٠٢ أضرب عمـال شركة الغزل الأهليـة بالاسكندرية .. وفى مارس ١٩٠٢ أضرب عمال مطبعة الكوريري اجسيانو بالقاهرة .. وفى نفس الشهر أضرب عمال السجاير بالإسكندرية (١) ..

وفى ابريل ١٩٠٧ أضرب عمال الفحم فى ميناء بورسعيد وتضامن معهم عمال ورش قناة السويس وعمال النظافة ...

ومرة أخرى يعود عمال السكة الحديد الى التمرد ، وتنشر اللواء خبرا يقول « اعتصام هايل فى عنابر السكة الحديد فى العاصمة » .

وقد حدد العمال مطالبهم بعزل المستر بكيت وكيل المهندس المشرف على العنابر والذى كان يعطيهم الاعمال بالمقاولة بعـد ان كانوا يشـتغلون باليومية وطالبوا أيضا بزيادة رواتبهم كل ثلاثة أعوام وتأليف لجنـة للنظر فى شكاوى العمال تضم ثلاثة منهم ..

وفى صباح يوم الاضراب وضع العمال بيـانات على جـدران الورش تحدد مطالبهم وشعارات تقول « لا نريـد بكيت » « لا نريد بكيت لانـه يظلمنا » ..

وبدأ العمال اولى الخطوات الايجابية بمنع القطـارات من مغـادرة العنابر وبقطع خطوط السكة الحديد .. لكن البوليس تدخل بوحشية لينهى الاضراب فى يومه الاول ..

وفى اكتوبر ١٩٠٨ اضرب عمال الترام ، وجلسوا على الخطوط فى مخزن شبرا والعباسية والجيزة ، وكان مطالبهم تنحصر فى ان تكون مدة العمل ٨ ساعات بدلا من ١٣ ساعة ، وزيادة المرتبات ، وحقهم فى الاجازات الاعتيادية والمرضية ... وعدم جواز فصل العامل الا بناء على اسباب معقولة .. وان يعفى العمال من دفع ثمن البدل والاحزمة والشنط والنمر النحاسية التى تصرفها لهم الشركة . وقد استعانت الشركة برجال البوليس الذين انهالوا على العمال المضربين بالعصى والكرابيج حتى اجلوهم بعيدا عن الخطوط ومن ثم خرجت عربات الترام يقودها سائقون كانوا يعملون بالشركة من قبل ثم فصلوا .. ولكن البوليس لم يستطع التغلب على المضربين فى مخزن الجيزة لما أبدوه من مقاومة عنيفة ، وفى اليوم التالى توجه اليهم حكمدار العاصمة على راس قوة ضخمة من رجال البوليس وعربات الاطفاء واوسعوا العمال ضربا ثم قبضوا على ثمانين منهم .. وبهذا انتهى الاضراب (٢) .

.. وفى أكتوبر ١٩١٠ وعندما اضرب عنابر السـكة الحديد يكتب صادق عنبر فى جريدة اللواء قائلا : « ان الاعتصاب هو خير درس لحكامنا ،

---

(١) رؤوف عباس ــ المرجع السابق ــ ص ٥٢ .
(٢) المقطم ١٨/١٠/١٩٠٨ .

يوقفهم على تطور فكر المصرى ويظهره لهم بثوبه الجديد ، ثوب العليم بمصلحته الحريص عليها ، المتفانى فى المطالبة بها .. وبتعبير آخر اننا قد رأينا اليوم مظهرا من مظاهر الاشتراكية ، لا يبعد ان يصير هلاله على توالى الايام بدرا كاملا » (١) .

ولعلها المرة الاولى التى تشهد فيها الصحف المصرية هذا الربط الذكى والواعى بين الاضرابات .. والمطالب العمالية والاشتراكية . ولعلها ايضا تكتسب دلالة هامة تلك الامنية التى نشرتها جريدة اللواء .. بأن يصير « هلال » الاشتراكية « بدرا كاملا » .

بل ان مجلة محافظة وهى « الجريدة » كتبت هى الاخرى تقول « تسرى عدوى الافكار ، كما تسرى عدوى العلل والادواء ، من فرد لفرد ، ومن بلد الى بلد ، ويكون لها من النتائج فى كل بقدر ما تجد من الاستعداد فى نفوس الناس .. واذا فكرنا فى اعتصاب عمال الترامواى فى العاصمة ثم قيام زملائهم اليوم بالاسكندرية باعلان اعتصاب جديد ، حكمنا مع الاعتقاد التام ، بان ما يجرى هو نفحة من تلك الرياح الاشتراكية التى تجوب المعمورة بلدا بلدا » (٢) .

ويكون مقال « الجريدة » تعبيرا عن الفزع من وصول الموجة الاضرابية الى ذروتها فى عام ١٩١١ بأضخم إضراب شهدته البلاد وهو اضراب عمال الترام الذى بدأ فى ٣٠ يوليو ١٩١١ والذى نفذه ٤٠٠٠ عامل وموظف . وردا على هذه الوحدة الاجماعية أصدرت الشركة بيانا تطالب فيه العمال بالعودة للعمل خلال ٢٤ ساعة والا اعتبروا مفصولين وستعين الشركة بدلا منهم عمالا جدد . وقرأ زعماء الاضراب المنشور على العمال المضربين فقرر الجميع رفضه والاستمرار فى الاضراب . ورابط العمال فى مجموعات عند مخازن عربات الترام ليمنعوا الشركة من تسييرها .

ويتميز هذا الاضراب بعدة ظواهر هامة ..

أولا : التنظيم الدقيق .

ثانيا : الوحدة الشاملة بين العمال ..

---

(١) اللواء ٢٢/١٠/١٩١٠ .

(٢) الجريدة ٦/٨/١٩١١ ـ نقلا عن : د . سليمان محمد النخيلى ـ الحركة العمالية فى مصر وموقف الصحافة والسلطات المصرية منها من ١٨٨٢ الى ١٩٥٢ ـ ص ١٦ ، ص ٧٣ .

ثالثا : وهذا هو المهم ٠٠ اهتمام قيادة الاضراب اهتماما واعيا بكسب تأييد ومساندة الرأي العام ٠

وهكذا نظم العمال المضربون عددا من المظاهرات فى باب الحديد وبولاق والجيزة والعباسية وكانوا يحملون لافتات تقول « أن العمال المعتصمين يطلبون من الجمهور مد يد المساعدة اليهم » كذلك كانوا يحملون صناديق لجمع تبرعات من المواطنين ٠٠

ويواصل العمال اضرابهم أياما عديدة كانت الشركة تخسر فى كل يوم منها ١٢٠٠ جنيه (١) ٠ وفى اليوم الخامس أرادت الشركة أن تسير احدى قطاراتها بالقوة تحت حماية البوليس واصطدم بها العمال وحدثت مصادمة عنيفة اشتركت فيها الجماهير التى تقدمت لتحمى العمـــال المضربين من تعسف البوليس واذا ما نجحت الشركة تحت حماية حراب البوليس ان تسير احدى عرباتها على خط العباسية فى طريقها الى العتبة وبينما خيل للجميع أن الاضراب قد فشل اذا بالجماهير تتقدم مرة أخرى لتساعد العمـــال المضربين ، وخرج أهالى حى الحسينية وأوقفوا العربة وضربوا ركابهـــا وأشعلوا فيها النار ولم يلبث هذا الاسلوب أن انتشر فى جميـــع الاحيـــاء الشعبيـــة كلمـــا حاولت الشركة تشغيل أحـــد خطوطها وخاصـــة فى حى بولاق والعباسية وهكذا عجزت الشركة والبوليس عن تسيير الخطوط بفضل تأييد الشعب للعمال » (٢) ٠

والحقيقة ان صدام العباسية هذا ٠٠ أو كما اسمته الصحف مذبحـــة العباسية ، قد اثار مشاعر الجماهير ، وأن بسالة العمـــال قد الهمت الكثيرين الشجاعة وتقدم الكثيرون لادانة الحكومة والبوليس وارتفع اكثر من صـــوت دفاعا عن حقوق العمال ٠٠

وتكتب اللواء قائلة « أحدث البوليس مجزرة فى العمال ، وداس الشعب فى ساحات المدينة بسنابك خيله ، واوسعه ضربا واغراقا بالدماء وعامل الجمهور معاملة السيد لعبيده ، وداس القوانين فلا نعلم لما نسكت نحن ونقف عند الحدود التى لا تقف عندها الحكومة والبوليس والشركات ٠٠ هم يدوسون النظام وينتهكون حرمة القوانين ويعاملون الشعب معاملة العبيد فلا نعلم نحن لماذا لا ندوس - ولو مرة وعلى الورق - على ذلك الظلم الفاضح والهمجية ، ولذلك نقول للعمال انهم يخيفونكم ويرهبونكم ويريدون التهويل عليكم لظنهم أنكم من غير طينة العمال فى أوروبا وانهم اذا عاملوكم بالشـــدة جبنتم وخضعتم ، وتستمر الشركة فى حلب البقرة الحلوب والبوليس يمسك رأسها

---

(١) اللواء - ١٩١١/٨/٢ ٠

(٢) أمين عز الدين - المرجع السابق - ص ١٠٦ ٠

تسهيلا لحلبها .. ولكن فاعلموا ان الاعتصام حق من حقوقكم الطبيعية واذا اردتم الاستمرار فيه فما من قوة قادرة على التاثير عليكم . ان قضيتكم ليست قضية عمال الترام فقط بل هي قضية جميع العمال فى مصر .. وقد جاءت حادثتكم بعد حادثة عمال السكة الحديد دليلا على انه اصبح فى مصر قوة لا يستهان بها وهي يقظة العمال فى البلاد الشرقية وتنبههم الى مصالحهم وحقوقهم ورغبتهم فى ان يكونوا بشرا كسائر البشر » (١)

ويواصل الشعب فى كل مكان تاييده للعمال المضربين وتنهال برقيات الاحتجاج على الصحف

برقية من اهالى دمنهور تقول « العدل يندب حظه وملاك الرحمة ينتحر على ربوة الاهرام من اجراءات البوليس ازاء عمال الترام » ..

وبرقية من طنطا تقول « نطلب من ناظر الداخلية ان يعين بوليسا جديدا لمراقبة البوليس فى اعماله ، قد اصبح الناس فى مصر بحاجة الى الحماية .. والا اضطروا للدفاع عن انفسهم » ..

وبرقية اخرى بتوقيع فلاح تقول .. « ان الشعب اصبح يكره البوليس لهذه الافاعيل بعد ان كان يظن ان البوليس حماية له » ..

وقد وجه العمال المضربون نداء الى عمال المرافق العامة لمساندتهم فى اضرابهم والاضراب تضامنا معهم .. وفى ٦ اغسطس اعلن عمال ترام الاسكندرية اضرابهم التضامنى ..

وعندما انتشرت موجة البطالة بين العمال عامى ١٩١٤ و ١٩١٥ كانت مظاهراتهم العاصفة تهز القاهرة والاسكندرية ..

وفى يوم ٣١ اغسطس ١٩١٤ تجمهر بالاسكندرية ١٥٠٠ من العمال العاطلين يطلبون « قوتا أو عملا » .. وفى يوم ٣ سبتمبر ١٩١٤ اجتاحت القاهرة موجة عارمة من مظاهرات العمال العاطلين الذين ساندتهم جماهير الشعب أو كما اسمتهم بيانات الحكومة « بالرعاع » .. وتصدى البوليس لهم وقبض على ١٥٠ شخصا ..

والذى يوضح انتشار هذه الموجة من الاضرابات ان النيابة قسمت المتهمين الى ثلاث قضايا .. قضية مظاهرة الدرب الاحمر والخليفة ، وقضية مظاهرة بولاق وقضية مظاهرة الجمالية وباب الشعرية (٢) .

---

(١) اللواء ـ ١٩١١/٨/٥ .

(٢) امين عز الدين ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٩ .

بل إن العمال لم يكتفوا بذلك فقد حاولوا ان يؤسسوا حزبا لهم ..

وفي ١٢ يوليو ١٩٠٨ نشرت كلا من الاهرام واللواء بيانا عن دعوة عامة يوجهها « حزب المقاصد المشتركة للعمال » ويقول البيان « ان محمد أحمد الحسن أحد مؤسسي الحزب قد قرر القاء خطبه عمومية في حديقة الازبكية موضوعها وجوب انضمام أصحاب الحرف المصرية والاجنبية على إختلاف طبقاتهم الى حزب مشترك المنافع .. ليتكون منه جماعة قوية مسموعة الرأى والصوت في الأعمال النافعة .. واقامة جريدة يومية « الوضاح » لسان حال للحزب » ..

ولعلها لم تكن المحاولة الاولى لتأسيس حزب اشتراكى ..

ففى مارس ١٩٠٨ نشرت جريدة الاقدام تحت عنوان « حزب الاشتراكيين » تقول : « علمنا انه قد تأسس هذا الحزب برياسة الدكتور شبلى شميل ، وعضوية كل من الدكتور شحودى ، وسامى افندى جريديني وتوفيق حبيب ، ونجيب افندى ابكاريوس ، وغرضه كبح جماح الغنى الغاتى ليكف عن دوس الفقير بقدميه » (١) .

واذا كانت محاولة المثقفين الشوام هذه لم يكتب لها الاستمرار ، فان محاولة العمال المصريين قد وجدت فيما يبدو سبيلا للاستمرار ولو لبعض الوقت .. وعبرت عن نفسها وعن وجودها بشكل أو بآخر .

.. فعندما صدر قانون المطبوعات فى ١٩٠٩ نشرت الاهرام بيانا صادرا عن هذا الحزب يقول « بالنيابة عن حوالى خمسين الفا من العمال نحتج على ظهور قانون المطبوعات القاتل للحرية ونطلب الغاءه ولسوف يحتج العمال احتجاجا فعليا اذا لم تتدارك الحكومة الامر وتحترم صوت الشعب » (٢) .

وفى ١٦ يوليو ١٩٠٩ نقرأ فى الاهرام بيانا عن محاولة جديدة لتأسيس حزب للعمال والبيان بتوقيع محمود أبو عثمان ويقول « كنا يعلم مركز العمال فى أوربا ، فالعامل هناك لا فرق بينه وبين القاضى والمحامى . ولما كان الانسان من فطرته الطبيعية ميال الى الارتقاء قام جماعة من خيار عمال المصريين الذين يقدرون الاشياء واسسوا حزبا باسمهم ليربط كلمتهم .. » .

---

(١) الاقدام : ١٩٠٨/٣/٢٠ .
(٢) الاهرام ١٩٠٩/٣/٢٧ .

.. ويقول التبيان : ان الجلسة الاولى انعقدت وحضرها جمع غفير من العمال والوجهاء وان الحزب انتخب السيد افندى على مديرا له ، والسيد محمد احمد الحسن رئيسا .. » (وهو مؤسس الحزب الاول) .

والحقيقة أن صحف هذه الفترة لا تحمل لنا اخبارا ذت قيمة عن هاتين المحاولتين لتأسيس حزب عمالى ..

.. لكن ثمة مسألة هامة يتعين الاشارة اليها .. هى ان السيد أفندى على مدير الحزب قد ظهر اسمه من جديد عام ١٩٢٠ كصاحب لمجلة « النظام » وهى مجلة ذات ميول يسارية وان كانت تميل الى الوفد ، وثمة مسألة هامة اخرى هى ان أحد محررى مجلة « النظام » هذه هو رفيق جبور وسوف تشهد فصولا قادمة من هذه الدراسة دور رفيق جبور كواحد من قادة الحزب الشيوعى وكرئيس لتحرير مجلة الحساب التى اصدرها الحزب عام ١٩٢٥ .

وهنا يتعين علينا ان نسأل انفسنا هل يمكن ان نربط بين محاولة السيد افندى على لتأسيس حزب عمالى عام ١٩٠٩ وبين علاقاته باليسار وبرفيق جبور على وجه التحديد ..

ولسنا نستطيع ان نقدم اجابة دقيقة لكننا نطرح السؤال كواحد من الاحتمالات التى يتعين البحث الدقيق عن اجابات واضحة لها ..

كذلك ادرك العمال اهمية الصحافة كسلاح فى معركة الدفاع عن مصالحهم الطبقية وفى عام ١٩٠٨ صدرت « الوضاح » جريدة حزب العمال .. وفى نفس السنة صدرت مجلة عمال السكة الحديد وفى عام ١٩١٢ صدرت فى طنطا مجلة « التعاون » معلنة انها تبحث وراء منفعة العامل .. »(١) ..

والحقيقة ان الطبقة العاملة كانت بسعيها المتواصل ونضالها المستمر تقدم نموذجا فريدا فى مجتمع شهد عديدا من الطبقات تفر من ميدان المعركة ضد الاحتلال ، وعديدا من الاحزاب تنشأ ثم تنهار . وخلال السنوات المظلمة التى تلت اعلان الحماية وطوال الفترة التى نجح فيها الاحتلال فى تكميم كل الافواه .. كان ثمة صوت يرتفع أقوى وأقوى هو صوت الطبقة العاملة .. التى استطاعت ايضا ان تلهم كثيرا من المثقفين الثوريين الشجاعة والقدرة على التطلع نحو فلسفة جديدة ونظرية جديدة للعمل الثورى والوطنى ..

ان نضال الطبقة العاملة الجاد والمتواصل والذى اتسم بصبغة طبقية واضحة كان نموذجا جديدا استطاع ان يقدم البديل عن التهاون والفرار وحالة التمزق والضياع التى عانى منها كثير من المثقفين .

---

(١) قسطاكى عطارة ـ تاريخ تكوين الصحف المصرية ـ ص ٣١٢ .

ومع ارتفاع رايات النضال العمالى ارتفعت جنبا الى جنب صيحات عديد من المثقفين الثوريين معلنة فى دوى كلمة الاشتراكية ..

وهذه هى القيمة الاساسية للنضال العمالى فى هذه الفترة ، لقد كان مدرسة حقيقية لجيل جديد من المثقفين .

ولعل هذه الحقيقة هى التى ازعجت الرجعية المصرية من الاضطرابات العمالية فنى عام ١٩٠٢ تهاجم مجلة « الجريدة » لسان حال حزب الامة فكرة الاضراب وتصفها بأنها « داء جديد جلبه الغرب الى الشرق ، وهذا هو مبدأ الفوضى وأول مراتبها » ..

وفى نفس العام تقول الاهرام عن العمال المصريين المضربين « انهم يقلدون العمال الأوروبيين تقليد القردة ولكنه تقليد فاسد ومضر بهم .. »

وفى عام ١٩٠٨ وعقب اضراب عمال الترام تهاجم « المقطم » — لسان حال الاحتلال — الحكومة على تهاونها ازاء هذه الطبقة قائلة :

« انه اغفال شديد لا يقبل فيه عذرا لمعتذر ، ولا يدعو الناس للاطمئنان بعد الآن ، ان قيام العمال بالاتفاق السرى فيما بينهم على الاضراب دون علم الحكومة وبوليسها العلنى والسرى وعيونها وارصادها لامر خطير .. فماذا يمنع أن يدبر العمال المكايد والمؤامرات ليضرموا فى البلاد نيران الثورات قبل أن تعلم الحكومة بامرهم » .

وهكذا تتيقظ الرجعية منذ الوهلة الاولى وتدرك خطر حركة العمال وتدرك مغزاها الطبقى ، بل ان « الجريدة » تصف اضراب عمال السكة الحديد بأن فيه « شيء من روح الاشتراكية » .

.. وثمة مقال آخر نشرته الجريدة بقلم يوسف البستانى بعنوان « بين مصر وأوربا على ذكر الاعتصام الأخير »(١) جاء فيه :

« ان التشبه بالمتطرفين الأوربيين فى مقاومة الحكومة وبال على العامل وعائلته » .

ثم نشطت الحكومة لتسن سلسلة من التشريعات منها قانون التجمهر وقانون التشرد الذى يمكنها من فصل اى عامل ، ثم تطبق عليه هذا القانون باعتباره عاطلا لا عمل له .

.. وبدأت السلطات فى اعتقال ونفى القادة النقابيين .. ومن بينهم احمد لطفى عضو شرف نقابة عمال الترام ، واحمد رمضان زيان رئيس

---

(١) الجريدة — ٢٣/١٠/١٩١٠ .

نقابة الصنائع اليدوية بالاسكندرية ، ومحمد عوض جبريل سكرتير نفس النقابة .. وعشرات غيرهم :

لكن ذلك كله لم يكن قادرا أن يوقف الزحف الجديد للطبقة العاملة التى أكدت التجارب أنها أصلب الطبقات وأكثرها ثباتا فى مواجهة سلطات الإحتلال :

وهكذا تأتى ثورة ١٩١٩ لتجند جيش العمال مستعدا ومجهزا ليخوض غمارها ، وإذا كان أبناء الفئات العليا هم الذين قاموا بالمواجهة الأولى من أجل السعى للاستقلال بالوسائل المشروعة فان العمال قد انطلقوا بالثورة الى أقصى مداها .. وتماما كما فعل الفلاحون امتزج صراعهم ضد الإحتلال بصراع طبقى واضح المعالم :

وقد بدأ الطلاب الحركة بمظاهرة صاخبة تصدى لها البوليس ، وفى اليوم التالى دخل العمال المعركة .. دخلوها بعد أن ارتبعدت قيادة الوفد من الانتفاضة الثورية ، وبعد أن صاح عبد العزيز فهمى فى المتظاهرين « انكم تلعبون بالنار .. دعونا نعمل فى هدوء ولا تزيدوا غضب الانجليز » لكن العمال يلهبون الثورة ويثيرون الى أقصى حد غضب الانجليز ..

وفى يوم ١٣ مارس ١٩١٩ بدأ عمال الترام وعمال المترو وعمال ترام هليوبوليس اضرابهم الكبير الذى شل حركة المواصلات تماما فى العاصمة والذى استمر حتى ٢ مايو .. ولقد ارتبط الاضراب بالأهداف العامة للثورة لكنه ارتبط فى نفس الوقت بمطالب اقتصادية تتضمن :

١ – جعل الأجرة اليومية خمسة عشر قرشا .

٢ – أن تقدم الشركة الملابس للعمال مجانا .

٣ – أن تكون مدة العمل ثماني ساعات يوميا .

٤ – يمنح كل عامل راتب شهر سنويا .

٥ – عدم اضطهاد العمال النقابيين .

٦ – يوم عطلة كل أسبوع .

٧ – منح علاوة غلاء معيشة ٣٠٪ .

ومطالب أخرى عديدة .

وكانت أهم نتائج هذا الاضراب هى استجابة الشركات لبعض هذه المطالب ، وتكوين نقابة عمال الترام .. التى جاء فى المادة الأولى لقانونها الأساسى انها تأسست « للدفاع عن حقوق أعضائها وترقية حالتهم المادية والأدبية وتقديم كل مساعدة ممكنة لهم بالطرق المشروعة »(١) .

---

(١) الغزالى – المرجع السابق – ص ٦٥ .

وفى ١٥ مارس اعلن عمال عنابر السكة الحديد الاضراب وساروا فى مظاهرة صاخبة قوامها ٤٠٠٠ عامل ، واستمر الاضراب حتى ٢ مايو .

وفى ١٨ مارس انضم عمال المطبعة الاميرية الى المضربين وسارت مظاهراتهم تهز شوارع العاصمة ، واستمر الاضراب حتى شهر مايو أيضا ..

وفى ٦ أبريل انضم عمال شركة الغاز الى المضربين متقدمين ايضا بمطالب اقتصادية ..

كذلك اضرب عمال الكنس والرش فى العاصمة .. وبعد ان استمر اضرابهم عدة أيام قاموا باعلان مطالب اقتصادية ، اعلنوا أنهم لن يعدلوا عن الاضراب دون تحقيقها ..

كذلك اضرب عمال ورشة البوستة الخديوية وعمال ورش جبل الزيتون التابعة لمصلحة السكة الحديد وسائقى وعمال السكك الحديدية .. وبهذا شلت كافة مظاهر النشاط فى البلاد ، وكانت التجربة الاولى لاضراب عام شامل يستمر اكثر من شهر ونصف يشل الحركة الاقتصادية تماما ويوقف كل مظاهر النشاط فى البلاد .

والظاهرة الاساسية التى تلفت النظر فى هذا الاضراب العام هى :

أولا : انه ـ وللمرة الأولى ـ ادرك العمال اهمية اتحادهم على النطاق القومى كله ، وادركوا أن الاضراب ليس مجرد سلاح هين وانما هو سلاح قادر على ارغام المستغلين على الخضوع .. كذلك فان الاضراب قد زاد من ثقة الطبقة العاملة فى نفسها ، وقد زاد من ثقلها الاجتماعى تجاه الطبقات الأخرى ، ولفت انظار كثير من المثقفين الثوريين الى اهمية الطبقة العاملة فى المعركة من أجل الاستقلال ومن اجل الديمقراطية .

ثانيا : ان العمال قد دخلوا المعركة دفاعا عن الحقوق الوطنية ، لكنهم كانوا فى نفس الوقت يدركون الابعاد الحقيقية للثورة الشعبية وانها يجب أن ترتبط بتحقيق مطالب اقتصادية واجتماعية لهم ولجماهير الشعب .

ثالثا : ان الاضراب الشامل الناجح الذى استمر طوال هذا الوقت قد حقق وحدة عمالية قوية اكتسبت اتجاها يساريا ، بحكم انها قد افلتت من الاطار الذى رسمته قيادة الوفد للانتفاضة ، وبحكم ان المثقفين اليساريين كانوا على اتصال وثيق بهذه الحركة وكانوا اكثر المشجعين لها ..

وهكذا .. وعندما أبداء الاشتراكيون الدعوة للتأسيس اتحاد عام للعمال تسارعت النقابات للانضمام اليه .. وأصبح اتحاد العمال بهذا سبيلا لخلق رابطة قوية بين القوى الاشتراكية وبين الطبقة العاملة .

رابعا : ان هذه الحركة لم تكن تتم في مواجهة المحتلين وحدهم وانما في وجه كبار الملاك الذين تصدوا للقيادة .. وبينما كان الاضراب الشامل يهز كيان الاحتلال ، فانه كان ايضا يهز ـ الى حد ما ـ كيان الطبقات العليا في المجتمع التي اصدرت عدة بيانات متخاذلة تحاول ان تسكب ماءا باردا على الثورة الملتهبة .

وعندما وصل الجنرال اللنبي في ٢٥ مارس ١٩١٩ معلنا أن واجبه الاساسي ان يضع حدا ونهاية للاضرابات الحالية .. اصدر قادة الوفد الباقون في القاهرة بيانا ضعيفا يناشدون فيه الشعب الا يخرج احد في اعماله عن حدود القوانين ، حتى لا يسد الطريق في وجه الذين يخدمون الوطن .. واعلى الجميع ان يقوموا بالواجب عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيسارعوا الى اتخاذ جميع ما لديهم من الوسائل لمنع وقوع كل ما ينجم عنه ضرر للبلاد (١) .

وقد صدر هذا النداء يوم ٢٦ مارس .. وأفرج عن سعد ورفاقه يوم ٧ ابريل ، ومع ذلك فان الاضراب العام قد استمر حتى ٢ مايو .. بل ان اضطرابات شديدة قد وقعت ايام ٨ و ٩ و ١٠ ابريل راح ضحيتها مئات القتلى والجرحى .

واذا كان الاضراب العام قد توقف في ٢ مايو ، فان هذا التوقف لم يكن غير هدنة لامد قصير تسترد فيها الطبقة العاملة أنفاسها .. فما لبثت أن خاضت معارك اضرابية عديدة اخرى .

وفي آخر يونيو ١٩١٩ اضرب عمال الغاز .. وفي ١٢ يوليو اضرب الحلاقون في مدينة الاسكندرية مطالبين بزيادة الاجور بنسبة ٤٠٪ .. وفي ١٦ يوليو اضرب عمال شركة السكر وعمال تفتيش كوم امبو ، وفي ٢٨ يوليو اعلنت نقابة عمال المقاهي الاضراب .. وفي ٤ اغسطس اضرب عمال الشحن والتفريغ في ميناء الاسكندرية ثم اضرب عمال الترام في ١٠ اغسطس .. وتوالت الاضرابات لتصبح شيئا شبيها بالاضراب العام فالى جانب كل هؤلاء المضربين اضرب عمال السجاير وعمال الترام في الاسكندرية وعمال شركة بونداسبيتوروز وعمال مصنع السفن النيلية والتجارية وعمال شركة النور في الاسكندرية (٢) .

---

(١) صبيح ـ المرجع السابق ـ ص ٤٣٢

(٢) الغزالي ـ المرجع السابق ـ ص ٧٥

والحقيقة ان هذه الموجة الثانية كانت موجة طبقية ، فقد امتحن العمال قواهم فى الجولة الاولى واكتسبوا مزيدا من الثقة فى أنفسهم ٠٠ ثم ها هم يشنون الان معركة طبقية عنيفة تقوم أساسا على المطالبات الاقتصادية والاجتماعية .

وتنشر جريدة « الأهالى » رسالة لاحد القراء تقول « اشتدت الحرب القائمة بين العمال وأصحاب الاعمال طلبا لزيادة الاجور زيادة تتناسب مع ما وصلت اليه الحالة المعيشية من الشدة والضيق » .

وفى نهاية الرسالة يقول كاتبها « وبعد ٠٠ فقد حدا بنا لكتابة هذه السطور ما نشاهده من أعمال أصحاب الاملاك والمتاجر وزيادة الاثمان زيادة مطردة وما نراه من اغفال أصحاب الاعمال أمر الصغار من موظفيهم اغفالا فاق حد النسيان ٠٠ » (١) .

وثمة احصاء يقول انه خلال الفترة من ديسمبر ١٩١٩ وحتى نهاية عام ١٩٢١ نظم العمال ٨١ اضرابا كبيرا شملت مختلف فروع الاقتصاد من بينها ٦٧ اضرابا شل كل منها فروع متكاملة من أفرع الصناعة (٢) .

وهكذا ارتفع صوت العمال عاليا بصورة تكفى لايقاظ قطاعات كبيرة من المجتمع ، وبصورة تطرح الصراع الطبقى واضحا وعنيدا وحاسما .

وكان لابد لراية الصراع الطبقى هذه أن تؤثر فى الكثيرين وأن تدفعهم - فى وقت مبكر جدا - الى أن يختاروا الى أى المعسكرين ينحازون .

وكان طبيعيا بعد كل ذلك أن تنشط المساعى لتكوين حزب اشتراكى ليتوج هذا الصراع ويقوده .

---

(١) الأهالى - ١٣/٨/١٩١٩ .

(2) Suliman Bachear - Communism in the ARAB EAST - 1918-1928, (London - 1980) P 54

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المثقفون

طريقان تؤدى إليهما الليبرالية

وكان المثقفون يخوضون هم أيضا نضالا مريرا ضد قوات الاحتلال . وتفجرت اضرابات الطلاب فى مدرسة الحقوق والازهر وغيرها ، واتجه البعض الى الارهاب – كما رأينا – واتجه البعض الاخر الى تاسيس جمعيات فوضوية .. وأخذ الكثيرون يبحثون عن طريق جديد .

وفى هذه السنوات الحاسمة من تاريخ مصر الحديث كانت تبلغ أشياء غاية في الغرابة وغاية فى الاهمية ..

فالافكار تنتقل سريعا الى مصر من كل أنحاء العالم .. أفكار تولستوى ، داروين ، كروبتكين ، برنارد شو ، ماركس ، أوين .

وعديد من كتب الاقتصاد السياسى تصدر :

الاقتصاد السياسى لخليل غانم عام ١٨٢٩ .

أصول الاقتصاد السياسى لرفله جرجس عام ١٨٨٩ .

الاقتصاد السياسى لجيرونس ترجمة جمعية التعريب عام ١٨٩٢ .

مبادىء الاقتصاد السياسى تأليف محمد حسين فهمى .

الموجز فى علم الاقتصاد لبول لروا بوليه – ترجمة حافظ ابراهيم وخليل مطران(١) .

ويكتب سلامة موسى كثيرا عن تولستوى ، غاندى ، ابسن ، شوبنهور ويصدر كتابا عن نظرية داروين ، ويترجم قصة الجريمة والعقاب لديستوفسكى .

ويقدم طه حسين رسالة الدكتوراه عن « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » .

وتجتذب الداروينية التى دعا اليها شبلى شميل وفرح انطون ومجلة

---

(١) عمر الدسوقى – فى الأدب الحديث ، ص ٢٩٩ .

المقتطف كثيرا من الباحثين عن الحقيقة ، وتدفعهم الى الايمان بالعلم والى خلق مدرسة فكرية جديدة ذات منهج جديد لفهم الحياة ونشاتها •

يقول إسماعيل مظهر فى مقدمة كتابه « مذهب النشوء والارتقاء » :
« انى مكب على ترجمة كتاب أصل الانواع والاطلاع على ما كتب فى مذهب النشوء الحديث واستجماع مواد البحث فيه منذ أوائل عام ١٩١١ ، حيث كنت اذ ذاك مكبا على الفلسفة القديمة أنهل من موارد العرب باقصى ما تصل اليه إستطاعتى •• حينذاك وقعت فى يدى نسخة من كتاب دكتور شميل « فلسفة النشوء والارتقاء » فاحدثت قراءتها فى ذهنى من الانقلاب والاثر ما تعجز الكلمات واللغة عن التعبير عنه أو وصفه ، فدلفت بقدمى الى مفازة الآراء المادية »(١) •

والحقيقة أن جهود د• شميل فى نشر النظرية الداروينية والافكار المادية قد أثمرت بسرعة ، الامر الذى يؤكد أن المناخ الفكرى وسط المثقفين كان مستعدا للتمرد على القيود القديمة •

فسلامة موسى يكتب كثيرا فى مجلة المستقبل عن داروين ونظرية اصل الانسان ويصدر فى ١٩٠٩ كتاب « مقدمة السوبرمان » ويترجم رسالة « جرانيت آلين » عن « نشوء فكرة الله »(٢)

وخليل جبران يصدر كتابا بعنوان « شبلى شميل العالم والفيلسوف »(٣) •

وكان فرح أنطون يواصل رسالته فى نشر الفكر التقدمى فى جريدة « الأهالى » وفى كتابات أخرى عديدة •

ونقولا حداد أيضا يقدم مقترحاته لمجتمع جديد •• وتشهد سوق الثقافة سيلا من الكتب عن الاشتراكية والانظمة الاجتماعية •

واذا كانت الاتجاهات التقدمية فى الثقافة قد بدأت تعلن عن نفسها فى العقد الأول من القرن العشرين ، فان الرجعيين لم يقفوا مكتوفى الايدى ويتقدم دعاة الرجعية ليترجموا عديدا من الكتب ضد الثورة وضد الاشتراكية وضد التقدم •

ويصبح جوستاف لوبون اماما لكثير من المثقفين الرجعيين يترجمون كتبه ويتعاقدون على انجاز ترجمة كل مؤلفاته ، فيترجم فتحى زغلول

(١) اسماعيل مظهر — مذهب النشوء والارتقاء — الجزء الأول — ص٤
(٢) محمود الشرقاوى — سلامة موسى — الفكر والانسان — ص ١٠٧ •
(٣) المرجع السابق — ص ١٠٧ •

« روح الاجتماع » و « سر تطور الامم » عام ١٩٠٩ ، واعدا قراءه بأن يترجم « روح الاشتراكية » و « روح السياسة » .

لكنه يموت قبل أن يفي بوعده ، فيتقدم آخر لانجاز هذه المهمة هو عادل زعيتر الذى يترجم « روح الاشتراكية » و « الثورة الفرنسية وروح الثورات » .

وهذه الكتابات جميعا هى فى الاساس دعاية مضادة للاشتراكية ..

ولنحاول أن نلقى نظرة سريعة على بعض ما كتبه لوبون وما ترجمه « فتحى زغلول » أو « عادل زعيتر » .

« اذا نظرنا الى الاشتراكية من حيث انتشارها رأينا أنه لا يؤبه لمثل هذه النظرية ، لان عقول الجموع لا تستمرئها » (١) .

« فلما كذبت الحوادث صحة مبادىء ماركس الذى ظل زمنا طويلا حبر الاشتراكية الأعظم ، اضطر أشد أشياعه اخلاصا الى تركها »(٢) .

« ان اكثر نظريات الاشتراكية يناقض مقتضيات العالم الحديث ، وان تحقيقها سيقودها الى أدوار الهمجية التى قطعناها منذ زمن بعيد ، ولهذا قررنا أن مستوى الأمم على سلم الحضارة يقاس بدرجة مقاومتها لنـازع الاشتراكية » (٣) .

« وينسى أنصار الاشتراكية أن مبتكرات العلم والفن والصناعة هى سر قوة البلاد وسعادة من فيها من ملايين العمال ، وان هؤلاء العمال مدينون لأصحاب العقول السامية الذين اتوا بتلك المبتكرات »(٤) .

وتحاول هذه الكتابات أن تستثير الطبقة الوسطى محذرة اياها من خطر الاشتراكية ..

« ان أشد أوهام الاشتراكيين بطلانا هو حكمهم بالقضاء على الطبقة الوسطى »(٥) ، بل ان هذه الكتابات كانت تهاجم أبسط قواعد العدالة ..

---

(١) جوستاف لوبون ــ روح الاشتراكية ترجمة عادل زعيتر ــ ص ٦ .
(٢) المرجع السابق ــ ص ٥ .
(٣) المرجع السابق ــ ص ٣٠٢ .
(٤) جوستاف لوبون ــ روح الثورات ــ ترجمة عادل زعيتر ــ ص ١٥٨
(٥) جوستاف لوبون ــ روح السياسة ــ ترجمة عادل زعيتر ــ ص ١٢٦ .

« فالمساواة شيء لا يمكن تطبيقه الا بين المنحطين ، وهي مطمح أماني صعاليك العقول ، يحلمون بها وهم بأحلامهم من التعنياء » (١)

كذلك فانه « لا حاجة لان يكون الانسيان ضليعا في علم النفس ولا في علم الاقتصاد لينبيء بأن العمل بمقتضى مبادىء الاشتراكية يفضي بالامم الى أرذل درك الانحطاط ، وأخزى صور الاستبداد » .

وثمة مؤلف مصرى هو فريد وجدى حاول هو أيضا أن يتصدى لتيار الفكر المادى ، فأصدر كتابا في ثلاثة أجزاء بعنوان « على أطلال المذهب المادى » .. وهو هجوم شديد على الفكر المادى ، استند فيه أساسا الى حجج وبراهين شوبنهور .

.. وقد استقبل العقاد هذا الكتاب بتهليل كبير قائلا انه « مخصص لنقض المذهب المادى وايراد أقوال طائفة من كبار الفلاسفة والعلماء على بطلانه والدلالة على قصر نظر المتشبثين بالمادية البحتة يظنونها آخر ما يعرف من حقائق هذا العالم ، ويخيل اليهم أن « لا » التى يقولونها ليس بعدها « نعم » ولن يأتى بعدها جواب آخر » .

ويمضى العقاد مؤكدا « أن فائدة كتاب وجدى الوطنية والأخلاقية أكبر من فائدته الدينية ، لاننا نعلم أننا لم نصب في نهضتنا الوطنية اضر من ضعف اليقين وقلة الثقة بمبادىء الاخلاق السامية ، وهى عيوب في النفس ـ كما قلنا ـ قبل أن تكون عيوبا في طرق التفكير .. ولولا هؤلاء الملاحدة الذين ملأهم جهلهم حتى لم يبق فيهم فراغا لجهل أو لعلم لما كانت حالتنا الآن ما نرى .. » (٢)

ولست أريد أن أستفيض في التعليق على هذه الظاهرة .. ظاهرة اصدار كتابات معادية للاشتراكية ، مكتفيا بالاشارة الى أنها لا بد وأن تكون رد فعل لتلك الحركة الجارفة التى كانت تجتاح الفكر المصرى في ذلك الحين دافعة اياه في طريق العلم والتقدم والوعى الطبقى .

ولعلها أيضا دليل على اليقظة الشديدة والاحساس الطبقى لكبار الملاك والرجعيين المصريين .. الذين سارعوا الى مقاومة التيار الجديد بسيل جارف من الافكار المعادية .

---

(١) جوستاف لوبون ـ سر تطور الامم ـ ترجمة أحمد فتحى زغلول .

(٢) عباس العقاد ـ على أطلال المذهب المادى مقال في جريدة الافكار ٢٨/١٠/١٩٢٢ .

وثمة ظاهرة أخرى تستلفت النظر هي خفوت صوت الاشتراكية الاسلامية في هذه الايام ، فان ارتفاع درجة حرارة الصراع الطبقي وتقدم الشيوعيين الى الميدان ، كذلك انتصار البلاشفة الروس في عام ١٩١٧ .. كل ذلك قد دفع الكثيرين الى التخوف من الاشتراكية ، بعد أن تحولت من مجال ممتع للبحث النظرى والتفلسف العقائدى الى خطر يهدد ، ويستثير المشاعر الطبقية .

.. وتردد الصحف والمحافل المصرية في مرات عديدة الفتوى الشهيرة التي اصدرها شيخ الاسلام بالاستانة ضد الاشتراكية والبلشفية قائلا : « يشتمل الدين الاسلامي من الاحكام الاساسية ما يناقض جميع المسالك الاشتراكية ، وخصوصا البلشفية ، التي هي عبارة عن شكل خطر لها لان من شأنها الاخلال بالملكية الشخصية وحقوق التصرف فيها »(١) .

كذلك سوف نشهد فتوى شرعية أخرى تصدر في مصر عقب تأسيس الحزب الاشتراكي .. وسوف نشهد هجوما شديدا من الشيخ التفتازاني وغيره من كبار العلماء .

وقد كان ذلك كله - في اعتقادى - أحد الدلائل على نضج الصراع الطبقي ، وعلى أن الاشتراكية قد أصبحت مسألة واقعية تمس الحياة اليومية ، وليست مجرد أبحاث نظرية لا تتعلق بالواقع الفعلي للبلاد .

لكن تيار التقدم كان أعمق من أن يقهر ، ونزعة التجديد والايمان بالعلم وبضرورة التخلص من تقاليد وقيود الماضي كانت جارفة وشاملة لميادين عديدة في الأدب وأسلوب الكتابة ومنهج التفكير ، وحتى في صياغة الشعر والأدب ..

.. ويكتب حافظ ابراهيم :

آن يا شعر ان تفك قيودا ... قيدتنا بها دعاة المحال

فارفعوا هذه الكمائم عنا ... ودعونا نشم ريح الشمال

(يقصد ريح الحضارة الغربية)

ولقد خاض المثقفون معركة ضارية من أجل حرية الفكر وحرية التعبير وثمة نماذج عديدة .. لكننا سنكتفي ببعضها ..

هاك أبيات من الشعر قالها مطران :

شردوا أخيارها بحرا وبرا ... واقتلوا أحرارها حرا فحرا

انما الصالح يبقى صالحا ... آخر الدهر ويبقى الشر شرا

---

(١) جريدة الأخبار - ١٩٢٠/٩/٢٠ .

يمنع الايدى أن تنقش صخرا ... هل تكسروا الاقلام هل تكسيرها
يمنع الاعين أن تنظر شذرا ... اقطعوا الايدى هل تقطيعها
يمنع الانفاس أن تصعد زفرا ... اطفئوا الاعين هل اطفاؤها
وبه منجاتنا منكم فشكرا ... اخمدوا الانفاس هذا جهدكم

ويكتب خليل مطران ملحمة نثرية يدافع فيها عن الجماهير وحرياتها محتجا أشد الاحتجاج على قانون المطبوعات الذى يقيد حرية الكتابة فيقول :

« فى مصر وفى الاستانة العلية خطتان رسمتا للتضييق على الصحافة يراد بهما أن تصدر الجريدة كما يخرج الكلب العقور من بيت صاحبه وفى فمه كمامة »

« ان التقييد للافكار قلما زادها الا قوة وانتشارا » .

« اليس الشعب قوى شتى : قطرات سيل عرم ، شرر لهيب آكل ، مجال ألوف العقول .. متكاتف أجساد لو اجتمعت لدكت الرواسى ؟ »(١)

« ان أخص معنى وأشرف معنى من معانى الحرية هو حرية الصحافة » .
بل أن ثمة لمحات فى شعر مطران تهاجم الاغنياء والملكية الخاصة ..

أن يجهل الشعب فالحكم الخليق به ... حق العزيزين من وال وسلطان
أو يرشد الشعب يمسى الامر فى يده ... ولا اعتداد بأملاك وأعيان

والحقيقة أن الشعر قد لعب دورا كبيرا فى معركة النضال ضد الاستغلال ومعركة الدفاع عن حقوق الكادحين ..

فهؤلاء الشعراء والمفكرون الذين خاضوا معركة الدفاع عن حقوق الوطن وعن الحرية والديمقراطية وجدوا أنفسهم يخوضون بالرغم منهم معركة طبقية ضد كبار الملاك الذين تعاونوا مع المحتل وضد كبار الملاك من الاجانب ..

.. وهكذا ظهر الى الوجود شعر ثورى وطبقى يمكن اعتباره سلاحا فى معركة التوعية الاشتراكية ..

ففى عام ١٩١٤ عندما تشتد أزمة البطالة ويخرج جموع العمال العاطلين تحمل رايات حمراء تطالب « بالخبز أو العمل » يصرخ الشاعر عبد الرحمن سالم فى جموع العاطلين صائحا (٢) :

(١) ظاهر الطناحى ــ حياة مطران ــ ص ٢٥٧ .
(٢) أمين عز الدين ــ المرجع السابق ــ ص ١٤٣ .

برح اليوم بالظهور الخفاء .. فكلوا الاغنياء يا فقراء
امضغوهم وعلقوا الاثم في جيدي فهم بانتحارنا الاثماء
وابلعوهم .. وكلكم مستمد لابتلاع الاحجار لولا الحياء

وثمة قصيدة اخرى كتبها الشاعر القروى ووجهها الى « **الاغنياء الجائرين** » تقول(٢) :

مضى عصر النخاسة من زمان ولاح على البرية غير شمسه
زمان كان فيه العبد يشقى ليسعد قلب سيده بنحسه
لقد حان الزمان لوضع حد لظلم المستبد وسحق رأسه

وثمة نماذج كثيرة لمثقفين من أبناء هذا العصر بدأت خطاهم على طريق المطالبة الليبرالية بالحريات والدستور ، ثم قادتهم خطاهم الى الصدام بالاحتلال وبأعوان الاحتلال ثم اتخاذ موقف طبقى صريح ضد هؤلاء الملاك الكبار والاغنياء الكبار المتعاونين مع الانجليز فانتقلوا من الليبرالية الى الدفاع عن الكادحين ..

ولنقدم نموذجا واحدا من هؤلاء هو ولى الدين يكن ..

ويكن أديب ليبرالى التفكير عشق الحرية باحساس مرهف وتغنى بها تغنى المحب بمحبوبته « يا حرية . أنا عرفتك وهمت بك هياما ، فانا أحبك من قبل ومن بعد ولن أخاف منذ اليوم رقيبا »(١) .

بل هو يتغزل فيها شعرا ..(٢) :

نشتاق حرية فيؤسينا من دهرنا عن حالها ضنن
أوهننا حبها وتيمنا حتى ترانا وشفنا الوهن

ويمضى في حديثه عن الحرية :

« الحرية طافت بلاد الله فكلما دخلت إرضا أعتقت المعتقلين فيها فلما طرقت تركيا اعتقلوها فى سجنها بيلدز »(٣) .

لكن دفاعه عن الحرية يقوده للنضال ضد المستبدين :

« فالحرية حبيبة الشعوب وعدوة الملوك » .

---

(٣) مجلة الهلال مجموعة عام ١٩١٩ .
(١) ولى الدين يكن ـ المعلوم والمجهول ـ الجزء الثانى ـ ص ٤ .
(٢) محمود الشرقاوى ـ مقال بالهلال ـ مارس ١٩٦٧ .
(٣) ولى الدين يكن ـ المعلوم والمجهول ـ الجزء الأول ـ ص ٦٣ .

وهو يهاجم الحكام المستبدين قائلا :

بغال تسوس الأسد شر سياسة ما ساس أسدا قبل ذلك بغال (١)

وهو يشن هجوما قاسيا على رجال الدين :

« فالعامة تحب الشيء اذا حببه اليها زعماؤها وتبغضه اذا بغضه اليها زعماؤها ، وزعماء العامة عندنا رجال الدين وهؤلاء لا يرغبهم فى الشورى شيء فهم يحبون أن يظلوا متحكمين على الرقاب وأن يبقوا عيالا على الأمة وأن يلثم الناس أيديهم ويملؤوا أكياسهم »(٢).

وهو يتهكم عليهم فى جرأة ·· قائلا :

« لو جمعنا العمائم التى بالبلاد العثمانية وجعلناها بعضها فوق بعض بنينا حصنا يعجز عن هدمه أسطول انجلترا بأسره ».(٣)

وهو يرفع صرخة المظلومين عالية :

« أيتها النفس ·· بلغي خالقك انا مظلومين ·· افضى اليه بحاجتنا ·· هو يعلمها ولكن لابد من نوحة لديه » (٤)

لكن الأمر لم يقتصر عند هذه الحدود فيكن الذى دفعه حبه الدافق للحرية الى مجابهة الظالمين والمستبدين تدفعه هذه المجابهة للظالمين الى مساندة الكادحين فى معركتهم ضد الاستغلال ··

ولعل أهم ما يلفت النظر فى هذا الصدد مقالين وردا فى كتابه « الصحائف السود » الأول بعنوان « مقتل فرر » و « فرر » هذا مناضل اسبانى دافع عن حقوق شعبه فحكموا عليه بالاعدام · وتنطلق كلمات ولى الدين يكن خاتمة قوية صارخة ·

« من ثلاث رصاصات رميت باسبانيا فجاوبت دويها بلاد الله فى أوربا وآسيا وأفريقيا وأمريكا ·· ثلاث رصاصات رمتها حكومة متمدنة بمشهد من حكومات متمدنة فقتلت رجلا متمدنا ، حرا أشقته حريته ، عارفا أجهدته معرفته ، ومنصفا أراداه انصافه ، أبى زعامة الفرد على الجمع ، وكره أن يرى أناسا يرفلون فى ثيابهم المخملة يجرون أسيافهم وتخفق على رؤوسهم خرق

---

(١) سامى الكيالى ــ ولى الدين يكن ــ ص ٤١ ·
(٢) ولى الدين يكن ــ المعلوم والمجهول ــ الجزء الثانى ــ ص ٩ ·
(٣) ولى الدين يكن ــ التجاريب ــ ص ٣١ ·
(٤) ولى الدين يكن ــ عفو الخاطر ــ ص ٥٨ ·

فوق قضبان يسمونها أعلاما ، وأن تكثر حكومات الارض من جمع هؤلاء فى أزيائهم المضحكة لتقتل أمثالهم ، أنف أن يرى أخوته أبناء آدم يتنازعون أكنافا من الارض ليست لهم ولا لغيرهم ولكنها لكل الناس ، فما يجزع على فرر سكان القصور العالية ولا المدخرون للذهب والفضة ولا سراة القوم ولا الوزراء ولا كبار الموظفين وانما يجزع عليه المنفيون الى أقاصى سيبيريا حين يعض الحديد على سواعدهم ، والمقيمون فى ظلمات السجون فى سائر أقطار الارض بل يبكى عليه كل من ذاقوا مرارة الظلم والاستبداد فى اسر المستبدين ، الارمنى الذى قتل أقربوه فى مذابح الاناطولى ، والتركى الذى القى ذووه فى لجج البوسفور والعامل فى أعماق الموانى محروما من نور الشمس ولطف الهواء ، والفقير الذى يحس بالفاقة ولا يتجاسر على شكايتها .. كل يندب فرر وكان فرر يندبهم »(١) .

أن أهم ما يلفت النظر فى هذا المقال هو الروح الاممية الدافقة والاحساس الطبقى الواضح ..

أما المقال الثانى فهو بعنوان « العمال فى البلاد العثمانية »(٢) كتبه ولى الدين يكن ردا على رسالة وصلته من عامل عثمانى يدعوه الى نصرة العمال فقال :

« أيها الأخ العامل .. لبيك ألفا ، هذا يمين الاخاء أمده اليك فان كنت خاطبا ودا الود لك ، وان كنت شاكى ظلم ذراعى لسانك وبيانى ترجمانك ، وأنا وحياتى دريئة لك من المخاوف » .

ويمضى ولى الدين مهاجما الاغنياء والحكام :

« ادخل حجرة الوزير تلق بها الاوانى المذهبة فى نقوشها وتصاويرها وهو مضجع على سرير أقل مسمار فيه أغلى من مالكه ثمنا وأنفس قدرا : هو يحسب أن العامل يدور كاللولب لا يجهده تعب ولا يضنيه كد ولو رآه فى معمله متفصدا جبينه عرقا مشمرا عن ساعدين مفتولين عزما ، متهللا فرحا فى حزنه ، شاديا فى مناحه حظه ، لأخذه الروع ولخارت تلقاء ذلك المشهد المهيب قواه » .

.. ثم هو يقدم صورة بشعة لحياة العامل التركى ..

« ان بين الخيطان السود تحت سحب الدخان ، أمام النار يذكيها

---

(١) ولى الدين يكن — الصحائف السود — ص ٥٢ .

(٢) المرجع السابق — ص ٥٧ .

الكبير الزافر وتحت أعماق من الارض ذرعها ثلاث مائة ذراع او اكثر رجالا شعث النواصي ، غبر الوجود نبا عن اجسادهم النعيم وأجفلت عنهم السعادة يخدمون بني الانسان كأن لم يكونوا من بني الانسان » .

ثم تعلو صيحة ولي الدين :

« من اراد أن يجور على العمال فليستغني عن العمال ، ليقبل هؤلاء الكبراء والأوسمة تشرق على صدورهم والاثواب المخملة تكاد تلتهب على أجسادهم وهم نجوم افق الدولة ودرر عقدها المنظوم ، اننا في غنية عن العمال ، واذا نزعنا عنا هذه الحال الباهرة ملنا الى المعامل وشمرنا عن ساعدنا وصنعنا لانفسنا وليصنع العمال لانفسهم هنالك يعلم كل عمله »

.. ويختم ولي الدين رسالته مخاطبا العامل قائلا :

« ان كان هذا يكفيك ايها الأخ العثماني فالحمد لله على خدمتك وخدمة اخواني » .

وقد كان ولي الدين يخوض هذه المعركة وهو يحلم بمجتمع جديد قدم له صورة غاية في الشاعرية ، مجتمع أمواله كثيرة ولو أحسن انفاقها لصارت « أعمدة النور في الطرقات من الفضة ، ولو بذلت في تعليم الابناء لصاروا كالانبياء ، ولو بذرت في الارض لنبتت السنابل ذهبا ، ولو انفقت على الفقراء لأصبح السائلون يشترون ملابسهم من « ريبو » ويفطرون على الشكولاتة »(١) .

وبعد .. فان ولي الدين لم يكن هنا اكثر من نموذج لهذا التحول الذى طرأ على مواقف كثير من المثقفين الليبراليين الذين تحولوا في خضم الصراع الطبقي العنيف ونتيجة لافلاس الطبقات المالكة وللصمود الشجاع للطبقة العاملة ، تحولوا من الليبرالية الى معركة الصراع الطبقي منحازين الى صفوف الكادحين .

ولم يكن ولي الدين وحده هو الذى تحول .. فهناك كثيرون غيره ..

واذا كان ولي الدين يمثل جيلا من هؤلاء الليبراليين الذين توصلوا بعواطفهم المرهفة واحاسيسهم النبيلة ومواقفهم الاخلاقية الى الدفاع عن الكادحين فثمة ليبراليون آخرون دافعوا عن الديمقراطية بل وعن الاشتراكية في بعض الأحيان ثم انساقوا بعد ذلك في طريق آخر ..

---

(١) محمود الشرقاوي ــ مقال مجلة الهلال ــ المرجع السابق .

ب - احد هؤلاء عباس العقاد ..

.. ولعل هذا يبدو غريبا بعض الشيء فنحن نعرف موقف العقاد الطبقي وموقفه من الفكر المادي ، وتمجيده لكتاب فريد وجدى .. لكننا مع ذلك لا نملك الا أن نتأمل كتابات العقاد عن الاشتراكية ومحاولاته الظهور بمظهر المدافع عنها ..

ولنبدأ بتعليقات سريعة أوردها عرضا فى بعض مقالاته ..

فهو مثلا يقدم دراسة عن ابى العلاء المعرى ويفرد فيها فصلا عن « اشتراكية المعرى » ويورد عددا من قصائده يدافع فيها عن الفقراء والمظلومين لكنه لا يلبث ان يعلق عليها بجملة ذات مغزى كبير فيقول « نعم ان الاشتراكية لا تعتمد فى حقوقها على الرحمة ولكنها لا تطلب من شعرائها أكثر مما قال المعرى » (١) .

أنه يحاول أن يقدم فهما متقدما لمعنى الاشتراكية .

لكن أهم ما كتبه العقاد بهذا الصدد هو محاولة لانتقاد كتاب « سر تطور الأمم » لغوستاف لوبون وذلك عقب نشر الترجمة العربية التى أشرنا اليها فيما سبق ..

ويهاجم العقاد الكتاب ، ويهاجم فيه تعنته ضد الاشتراكية واعتراضه على فكرة المساواة .. فهو يقول « والكتاب بجملته حملة منكرة على المساواة والاشتراكية ، يخيل اليك أن الدكتور لوبون يكتب عن المساواة بقلم شارل الاول أو لويس السادس عشر وانه يكتب عن الاشتراكية بايعاز من روتشيلد أو روكفلر ، فتراه ينعى على مبدأ المساواة ولكنك لا تعلم منه كيف يبرر عدم المساواة ، وتراه يتشاءم من الاشتراكية كما يتشاءم الناس من نعيب البوم لا يعلمون لذلك التشاؤم سببا » (٢) .

ويمضى العقاد قائلا « الحقيقة أن نظام مجتمعنا الحاضر مشتمل على نقائص ومثالب لا ينفرد بالسخط عليها وطلب تبديلها الاشتراكيين .. ومن العلماء من لا يحسبون أنفسهم من الاشتراكيين ، ولا يحسبهم الاشتراكيون منهم .. وهم مع هذا يشكون ظلم النظام الحاضر شكوى غلاه الاشتراكية ويرون رأيهم فى بعض الحلول التى يقترحونها » .

« ان الاشتراكية الصحيحة ليست أسطورة من الاساطير ولا هى وعد خيالى يبشر الناس بالتعادل فى الاقدار والتشاكل فى المنزلة والارزاق كلا ، فليست المساواة بين الناس من همها ولكنها انما تدعو الى المساواة بين الاجز

(١) نظرات فى فلسفة المعرى ـ مقال فى المقتطف ـ عدد نوفمبر ١٩١٦ .

(٢) عباس العقاد ـ الفصول ـ طبعة عام ١٩٢٢ ـ ص ١٥٥ .

والعمل وتطلب ان تعطى كل عامل ما يستحقه بعمله، وان ينتفع المجموع بأكثر ما يمكن الانتفاع به من قوى الافراد فاذا كانت الدنيا قد حل أجلها وقاربت يومها فلأن جائعها يريد أن يشبع ومنهوكها يتمنى أن يستريح ومظلومها يود أن ينتصف وينتشد ما زلت هذه الدنيا ...

وكالعادة يلجأ العقاد الى التراث الاسلامي ليستمد منه سنداً في دفاعه عن الاشتراكية فيقول:

«قال عبد الله بن معاوية ما رأيت تبذيراً قط الا والى جانبه حق مضيع، ولو شاء زعيم من زعماء الاشتراكية اليوم بأن يتخذ لمذهبه شعاراً لما زاد على تلك الحكمة حرفاً فالاشتراكية الصحيحة تقوم اليوم لتسترد ذلك الحق المضيع».

وكذلك فان العقاد يهاجم النظام الراسمالي: «فالنظام الاقتصادي الحاضر قد صير العامل قوة آلية وسلبه كل وسيلة لاستخدام ذكائه وخلقه، وهذا النظام الاقتصادي المودي بالمواهب المعطل للعقول هو النظام الذي تثور عليه الاشتراكية فما قامت الاشتراكية الا لترقي مدارك العامل وترفع عنه حيف صاحب العمل وتجعله انسانا ذا رغبة في عمله وغيرة عليه وليس كما هو الآن آلة تدير آلة».

وهو يهاجم الراسماليين قائلا: «ومنذ أخرج العلم للناس تلك الآلات الضخمة أصبح كل صاحب معمل يتمتع بتعب الالوف من الصناع الذين يستخدمهم في معمله، فكان التعب والحرمان من نصيب فريق، والراحة والربح من نصيب الفريق الأقل».

وهو في النهاية يؤكد «لا بد للامم من معتقد جديد، أفترى ما هو هذا المعتقد؟ نحسبه هو وحدة الاخاء أو هو التضامن الانساني أو هو — في بعض مظاهره التي يفهمها سواء الناس — الاشتراكية».

لكن العقاد بالرغم من ذلك كله لم يكن داعية للاشتراكية الحقة، فهو يفهم الاشتراكية على نحو خاص.

فهو يتحدث عن اشتراكية أمريكا قائلا: «ان حكومة الولايات المتحدة قد طاردت منذ سنوات أكبر شركات الاحتكار فحلتها والزمتها غرامة فادحة، فان كان لوبون يعني بالاشتراكية مظهراً أقوى من هذا فليبدأ فليس في أمريكا ولا في أوربا بل ولا في الدنيا جميعها اشتراكية» (*)

---

* يلاحظ ان العقاد كتب هذا المقال بعد ثورة اكتوبر

•• وكل ما ينادى به العقاد هو بعض الخطوات الاصلاحية « فالواجب على ولاة الأمر فى كل امة ان يعترفوا بنقائص المجتمع ولا تفتنهم عن اصلاحها عصبية الطبقات ، لان الكثير من هذه النقائص قابل للإصلاح والتخفيف لولا تمنت من بعض الطبقات القوية يجر الى تعنت الطبقات الاخرى وتفاقم النزاع على غير جدوى » •

ولسنا بحاجة الى التعليق على كلمات كهذه فهى تتصور ان حل قضايا الصراع الطبقى من أجل الاشتراكية يمكن أن تحل من خلال بعض التساهلات او الاصلاحات •• تقدمها الطبقات الغنية ••

وفى عام ١٩٢٣ يخطو العقاد خطوة أخرى ••

فهو يقدم لقرائه فى جريدة البلاغ كتابين لماكس نوردو(١) « الاضمحلال » و « الاكاذيب المقررة فى المدنية الحاضرة » •

•• وحول الكتاب الثانى يقول العقاد انه « حملة على المجتمع فضح فيها نوردو كل ما ظهر من اكاذيب الحضارة الاوروبية كأكذوبة الدين وأكذوبة الحكم الملكى المطلق • وكان نوردو حين أصدر كتابه هذا عظيم التفاؤل كبير الامل فى مستقبل الانسانية ، فتنبأ بمجىء عصر تمحى فيه العيوب فى حضارة العصر وتحل محلها حضارة قائمة على الحب والاخاء والتضامن بين الناس وقال فى ختام كتابه :

« انى لأنظر الى هذه المدنية مدنية اليوم التى شعارها التشاؤم والأكاذيب والجشع فاراها تتوارى وتخلفها مدنية أخرى قائمة على الحق والسعادة يومئذ تصبح الانسانية حقيقة واقعة لا فكرة مجردة فطوبى للاجيال القادمة التى سيكون من نصيبها أن تحيا فى جو المستقبل الصافى مقدمة عليها انواره المشرقة •• انها ستحيا فى ذلك الاخاء الدائم فى افق من الصدق والمعرفة والصلاح والحرية » •

•• ونوردو يهاجم فى كتابه هذا أسس الحكم البورجوازى أو كما كانت تسمى فى ذلك الحين الحكم الديمقراطى « فليست حكومة الديمقراطية بحكومة الشعب كما يقولون ولكن هى حكومة فئة قليلة من ذوى المطامع المهيمنين على تنظيم الاحزاب ونشر الدعوة ومخادعة الجمهور واستجلاب الاعوان بالوعود والمكافآت والمناصب • فالديمقراطية طراز جديد من الحكم المطلق القديم أو هى خمرة عتيقة فى آنية جديدة » •

•• وكان هناك آخرون غير العقاد انغمسوا فى نفس الاتجاه الليبرالى

---

(١) البلاغ ــ ١٢ فبراير ١٩٢٣ •

ثم انسلقوا خطوة تحت ضغط الصراع الطبقي وتحت تأثير الخوف من حركة الطبقة العاملة التي النقيض.

ومن بين هؤلاء كثيرون من أبناء الاقطاع الذين سافروا الى أوربا وتأثروا بالفكر الليبرالي الفرنسي والأوربي عموما .. ثم عادوا يناقشون موضوعات الحرية والديمقراطية والاشتراكية من قبيل الترف الفكري والمتعة الذهنية ، حتى اذا جد الجد وبرزت الطبقة العاملة والتجمعات الاشتراكية عملاقا يتحرك في سرعة وشجاعة ابان ثورة ١٩١٩ بدأ الجميع يعودون الى صوابهم ، بل انهم انطلقوا متراجعين الى موقعهم الطبيعي في أقصى اليمين .. حزب الأحرار الدستوريين .

ولطفي السيد هو احد الذين بشروا طويلا بفلسفة تولستوي ..

وحتى جريدة « الجريدة » التي كان يصدرها حزب الامة كانت سبيلا لبعض لمحات ديمقراطية وليبرالية ..

ويرثى مصطفى عبد الرازق الجريدة قائلا :

« استبشرنا بها راية يلتف حولها الجوهر المصفى من شبابنا ، وتبيتر في ظلها دعوة الحرية والتقدم بين جاه العلم والعقل ، وجاه العصبية والغنى ثم ماتت الجريدة وتفرق عنها أصحابها غافلين لاهين بمظاهر ألقابهم وأموالهم . ان المرزوئين في الجريدة هم أهل الجد من فتيانها الذين كانت صحيفة الاعيان مظهرا لمذاهبهم الحرة وأفكارهم الجديدة »(١) .

وبعد الجريدة كانت هناك « السفور » و « السياسة » و « الجامعة » .

ويصدر د . هيكل قصة زينب وهي أول قصة تتحدث عن حياة الريف ومآسيه ..

وباختصار فان المثقفين من أبناء الذوات قد استطاعوا أن يحدثوا ضجة ثقافية هزت الركود الفكري الذي نسجته سنوات الحرب والحماية الانجليزية واستطاعوا أن يوقظوا كثيرا من الاذهان ويحركوا عديدا من المشاعر واذا كانوا قد تخلوا عن ذلك كله فيما بعد ، فان ما قدموه قد ترك آثارا لا تمحى في عقل وذهن المثقف المصري .

لقد كانت هذه السنوات سنوات من البحث المضني عن طريق الفكر

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٤ سنة ١٩٦٢ ص ٢٠٧ كلمة الأستاذ شفيق غربال في تأبين الدكتور محمد حسين هيكل بجلسة مجمع اللغة العربية في ١٩٥٧/١١/٤ .

والوطنية والقومية والمنهج الفلسفى ، وكان المثقف المصرى قد استيقظ فجأة ليجد سوق المذاهب والافكار والمعتقدت مزدحما فانشغل طويلا فى التأمل والدراسة والتنقل بين هذا وذاك ٠٠ وبعد هذه الموجة العارمة من البحث المختلط ٠٠ السريع التقلب ٠٠ ونتيجة للتمايز الذى حددته بصراحة مواقف العمال المضربين فى ١٩١٩ ، وبيانات الاشتراكيين وبرامجهم ٠٠ انطلق كل من هؤلاء الباحثين المترددين الى موقع طبقى يتحصن فيه ٠

وهكذا فان كثيرا من المواقف التى اتخذت فى ذلك الحين يجب ألا تدفعنا الى تحديد تقييمات سريعة ومتعجلة لهذا الشخص أو ذاك فقد كان الجميع منغمسين فى غمرة الاختيار والمفاضلة والتنقل بين الافكار ٠ ولكى يكون التقييم موضوعيا يتعين عليه أن يتأنى سنوات قليلة بعد ثورة ١٩١٩ ليرى كلا من هؤلاء وقد اتخذ موقعه الصحيح ٠٠

والحقيقة ان مثقفى هذه الفترة كانوا يدركون ذلك ، كانوا يشعرون أن ما يجمعهم هو الرغبة المشتركة فى البحث عن شىء جديد وان الايام لن تلبث أن تفرقهم فى طرق مختلفة بل ومتصارعة ٠٠

٠٠ ويقدم العقاد صورة لهذا الاحساس عندما يتحدث عن فرح انطون ٠٠ راويا قصة لقائه الاول به فى جريدة الاهالى ٠٠ وقوله له « انك يا فرح أفندى طليعة مبكرة من طلائع هذه النهضة العاملة وسيعرف لك المستقبل من عملك ما لم يعرف الحاضر ، وستكون حين تفترق الطريقان خيرا مما كانت فى هذا الملتقى المضطرب »(١) ٠

ولقد تحققت نبوءة العقاد فسرعان ما افترقت الطرق واتجه البعض يسارا واتجه الكثيرون يمينا ٠٠ بل والى أقصى اليمين ٠٠

---

(١) عباس العقاد ـ مطالعات فى الكتب والحياة ـ ط٢ ـ ص ٦٥ ٠

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

القسم الثاني

المنابع الفكرية للعمل الاشتراكي في مصر

* الفابية

* اشتراكية الدولية الثانية

* الماركسية

وفي هذه السنوات الخصبة ، التي شهدت فيها مصر صراعات فكرية وطبقية عنيفة والتي خاض فيها كثير من المثقفين المصريين غمار التجربة ، تجربة البحث ، ومحاولة اختيار موقع فكري أو منطلق فلسفي لآرائهم السياسية والقومية .

في هذه الفترة وفدت الى مصر عديد من الاتجاهات الفكرية والفلسفية وقد استطاعت بعض هذه الافكار أن تؤثر في المناخ الفكري العام تأثيرا متميزا ، بينما اكتفى البعض الآخر بتأثير عابر .. في حين عجزت بعض هذه المدارس عن ان تكسب لها انصارا برغم كثرة ما قدمت من كتابات وما بذلت من جهود .

فالفابية كسبت في مصر واحدا من أبرز متفنيها هو سلامة موسى الذى نشر مئات المقالات وعديدا من الكتب ، وترك في الفكر المصرى آثارا هامة .. لكن فابيته عجزت عن أن تجد لها أى نفوذ حقيقي ..

واشتراكية الدولية الثانية وبالتحديد الجناح اليمينى منها وفدت الى مصر على أكتاف المثقفين الذين تلقوا العلم في أوربا واحتكوا بأحزابها الاشتراكية الديمقراطية .

ولأن الكثيرين منهم كانوا أبناء لطبقة الارستقراطية وهى الطبقة التى كانت تملك القدرة على ارسال أبنائها للتعلم في الخارج .. فقد تأثروا بأشد أنواع هذه الاتجاهات اصلاحية وأكثرها اعتدالا .

بينما وجدت الماركسية اللينينية لها هى الاخرى أنصارا عديدين تأثروا بالمناخ الثورى العام وبالطاقات الكبيرة التى ولدتها الحركة النشيطة للبروليتاريا المصرية والفلاحين المصريين . وتأثروا أيضا بانتصار الثورة البلشفية في روسيا وما حققته هذه الثورة من منجزات ..

وسوف أكتفى في هذا الفصل بالحديث عن هذه الاتجاهات الثلاث رغم أنها لم تكن الوحيدة ..

فهناك مثلا التأثير الهيجلى المباشر والذى انعكس في أفكار د. على العنانى أحد مؤسسى الحزب الاشتراكى ، والذى حاول أن يصوغ فكرا متماسكا أسماه « النظرية الاشتراكية العلمية العملية » لكن صحف هذه الفترة لا تحمل اثرا لأى مجهود فكرى للدكتور على العنانى الذى اكتفى بإعلان اسم مذهبه في أكثر من مناسبة دون أن يهتم بعرضه تفصيلا على القراء ..

لكن البحث في الصحف الصادرة في الثلاثينيات مكننا من العثور على مقالين للدكتور العنانى يمجد فيها الفلسفة الهيجلية ويشير بالتحديد

الى ايمانها بدور الاديان ويبدى أعجاباً شديداً بالديع الذى ازجاه هيجل للدين الاسلامى مشيرا بالتحديد الى فكرة التوحد عند هيجل محاولا ربطهـا بالوحدانية فى الاسلام ٠

وهكذا يمكتنـا أن نفهم مطـالبة العنانى فى كتاباته القلية خلال فتـرة تاسيس الحزب الاشتراكى باشتراكية تلتزم بتعاليم الشريعة ٠٠

لن العنانى لم يستطع أن يشرح افكـاره ولم يكن فى نشاط سـلامة موسى ولا فى قدرته على التاثير ولا فى مثابرته على نشر آرائه ٠

وهكذا لم يكن « للاشتراكية العلمية العملية » وجود يذكر ٠٠

كذلك وجدت بعض الاتجاهات الفوضوية وخاصة وسط النقابيين الأجانب ووسط شباب الحزب الوطنى الذين اسسوا جمعيات عديدة للاغتيال لكن هذا الاتجاه لم يكن قائما على أية اسس فكرية واكتفى بالنشاط الأرهابى العملى دون الخوض فى اية تفسيرات أو تبريرات أيديولوجية (١) ٠
وهكذا يمكننا ـ دون ان نتهم بتجاهل اى فكر جاد ـ ان نكتفى بتقديم اتجاهات ثلاث :

* **الفابية ٠**

* **اشتراكية الدولية الثانية (الاتجاه اليمينى)**

* **المـاركسية ٠**

---

(١) ثمة تفصيلات هامة ومثيرة عن التوجهات والانشطة الفوضـوية نشرت فى مصر فى منتصف عام ١٨٩٩ حول محاكمة عشرة من الفوضويين بتهمة محاولة اغتيال امبراطور النمسا ٠٠ وذلك فى مجلة كانت تصدر فى مصر باللغة الايطالية هى : L,impazzial
وذلك فى الاعداد الصادرة ما بين ١٠ يونيو ، ٢١ يونيو ١٨٩٩ ومجموعة هذه المجلة مودعة بدار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم (دوريات ١٨٣) ٠

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (1) .
[illegible] :

* [illegible] .

* [illegible] ([illegible])

* [illegible] .

---

(1) [illegible]
[illegible]



.. اذا كان الفكر الفابى قد لعب دورا فى مصر ، وفى التكوين الفكرى لعدد من مثقفيها ، فان صاحب هذا الدور هو سلامة موسى بغير منازع ..

والحقيقة ان سلامة موسى شخصية محيرة .. فقد اجتمعت فيه صفات عديدة وتراكمت فى كتاباته كل التناقضات التى يتحتم عليها ان تتراكم فى افكار شخص يعيش فى مجتمع متخلف ومقهور ومستعمر .. لكنه ينادى بالفابية .

وفى اعتقادى ان سلامة كان فابيا ذا طابع خاص فهو شىء يختلف عن فابيى انجلترا رغم أنه عاش أربعة سنوات فى انجلترا كان خلالها عضوا فى « الجمعية الفابية » هناك ورغم أنه تأثر كثيرا جدا ببرنارد شو ، بل لعله قد استعار منه كثيرا من تشبيهاته وأحكامه .

لكنه لم يكتف ببرنارد شو فلقد تأثر بآخرين .. نيتشه ، ابن خلدون تولستوى ، غاندى ، أوين ، ابسن .. وحتى كروبتكين تأثر به وترجم له « نداء الى الشباب » (١) .

كذلك تأثر سلامة موسى بماركس تأثرا كبيرا وان كان قد ظل لفترة طويلة يتجاشى الاشارة الى ذلك .. وأخيرا وبعد ثورة عام ١٩٥٢ كتب سلامة موسى يقول :

.. « ومع انى فى كتاب « هؤلاء علمونى » قد ذكرت نحو عشرين من الأدباء والعلماء والمفكرين الذين وجهوا نشاطى الذهنى وربوا نفسى فانى لم أذكر معهم كارل ماركس داعية الاشتراكية ، والان أحب ان أعترف انه ليس فى العالم من تأثرت به وتربيت عليه مثل كارل ماركس وانما كنت اتفادى ذكر اسمه خشية الاتهام بالشيوعية » .

(٢)

.. وهو يعترف مرة أخرى فيقول « ولو كنت قد وجدت الحرية أيام

---

(١) محمود الشرقاوى ــ المرجع السابق ــ ص ١٢٢ . (٢)

الحكومات الملوكية السابقة لألفت عن الاشتراكية بما كان يوجه ويرشد » (١)

وثمة قصة أخرى يرويها عنه أحد أصدقائه لعلها بالغة الدلالة فى الكشف عن شخصية سلامة موسى : « فى عودته من احدى رحلاته الى أوروبا سنة ١٩٥٠ كان يقرأ « انجيل ماركس » (رأس المال) فى السفينة نيبرا وكان لتلقيه وخوفه من التجسس والمطاردة يلقى فى البحر كل ورقة يقرأها بمجرد الانتهاء منها » (٢)

وسلامة موسى هو واحد من أول دعاة الاشتراكية فقد أصدر فى ١٩١٣ كتابا بعنوان « الاشتراكية » لكنه مجرد داعية ، رجل يقول كلمته ويمشى ، يؤمن بالاشتراكية لكنه فابى ، فالاشتراكية سوف تنتصر لا بالنضال ولا بالثورة ولا بالتنظيم الحديدى ، وانما بنشر التعليم وتحرير المرأة وتنظيم الزواج والعمل من أجل تحسين النسل واتاحة الحرية للافراد .

وهو يصدر كتابه هذا عام ١٩١٣ محدثا دويا كبيرا ، ثم لا يلبث بعد أيام واحدة عندما تعلن الحماية البريطانية ويشتد الارهاب أن يخذو حذو الآخرين فيهرب — رجال الحزب الوطنى هربوا الى الخارج أما هو فقد كان أكثر تواضعا فقد هرب الى عزبته فى الريف حيث قضى هناك كل سنوات الحرب منقطعا عن كل شيء .

كذلك فان أفكار سلامة موسى قد اختلطت كثيرا بأفكار وغربية ، وخصوصا فى بداية حياته ففى « مقدمة السوبرمان » (١٩١٠) ردد فى الأساس أفكار نيتشة بكل ما فيها من عنصرية وتخبط .. فهو ينصح المصريين بعدم الزواج من مصريات (حتى يحسنوا النسل) وهو يؤيد سيادة الابيض على الزنجى ويقول ان الزنجى كان منذ مائة سنة فقط يأكل الانسان ومن المستحيل أن تكون مشاعره كمشاعرنا مهما طلى نفسه بآداب السلوك (٣) .

لكن ذلك كله لا يقلل من قدر سلامة موسى كمثقف موسوعى المعرفة آمن بالعلم وبالاشتراكية ووهب حياته كلها دفاعا عما آمن به من أفكار .

كذلك فان فابية سلامة موسى ومسالمته للاعداء الطبيعيين واعلانه التى ترفضه لفكرة الثورة .. من الغلو أن نعتمد على الثورة الحاسمة التى تفضل

---

(١) تربية سلامة موسى — ص ٢٩٠ .

(٢) هو الأستاذ محمود الشرقاوى ويرويها فى كتابه سلامة موسى المفكر والانسان — ص ٤٤٠ .

(٣) المرجع السابق — ص ١٠٥ .

بيننا وبين الماضي ».(١) كل ذلك قد أتاح له فرصة مكنته من أن يستمر في نشر أفكاره خلال سنوات طويلة على صفحات عشرات الصحف والمجلات والكتب وخلال عديد من الجمعيات ٠٠

والآن ، وبعد هذه المقدمة القصيرة ، لنحاول أن نقدم عرضا سريعا لفكرة سلامة موسى عن الاشتراكية كما أوردها في كتاباته الأولى ٠٠

لنبدأ بكتابه الأول (مقدمة السبرمان) وقد صدر في عام ١٩١٠ ٠٠

وفي هذا الكتاب يتحدث سلامة موسى عن الاشتراكية ٠٠

« فالعلمانية نزعة أوروبية تشمل جميع الامم المتمدنة تقريبا ٠٠ وهذه النزعة هي علة نزعات أخرى منها نزعة الاشتراكية التي انتهت في أقصى أوروبا بالشيوعية وليس في العالم قطر متمدن الا وبه حركة اشتراكية قوية مصبوغة بصبغة الوسط الذي نشأت فيه ٠٠٠ وكل الدلائل تدل على أن العالم يتجه نحو نظام اشتراكي ، ان لم يكن في جميع صناعاته ففي نحو النصف أو الثلثين » (٢) ٠

ويقول « ومما يساعد رقي الامة أن نجعل ناموس تنازع البقاء يجري بلا اجحاف بين الناس ولا يكون ذلك الا اذا استوت أمامهم الفرص المعيشية بحيث لا يمتاز أحدهم عن الآخر الا بكفايته الذهنية أو الجسمية ، فيجب أن يتساوى الناس في فرصة الاثراء ٠٠ وذلك باصطناع نظام اشتراكي أو شبيه بالاشتراكي حتى لا يولد واحد غني وآخر فقير ٠٠ وقد يكون الغني أحط ذهنا وجسما من الفقير ، ولكن امتيازه بالمال الموروث يعينه على زيادة نسله في الأمة من حيث أن فقر ذلك يمنعه من الزواج »(٣) ٠٠٠

لكنه مع ذلك يردد مجموعة من الافكار الغربية ٠

فهو يرى أن الانسان السليم القوي هو الذي يستحق أن يعيش أو على الاقل هو الذي يجب أن يسمح له بأن ينجب أطفالا ٠٠

« فالرقي الذي نجده في كفايات الحيوان انما لانه يقوم بقتل الضعيف أولا بأول ، فلا يبقى غير الاقوى الذي ينسل نسلا على غراره حاصلا على كفايته ٠٠

---

(١) مقدمة المجلة الجديدة – ديسمبر ١٩٢٩ ٠

(٢) سلامة موسى – مقدمة السبرمان – الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٢ – ص ٦ ٠

(٣) المرجع السابق – ص ٩

والانسان حيوان ولكنه يختلف عنه من حيث ان نسله العاجز يعيش .. فالغزال الاعرج يموت والاسد البطيء يهلك جوعاً في الغابة ولكن الانسان الأعرج يعيش بالصدقة والانسان البطيء يعيش ايضا بأى عمل هين .. وليس في مقدورنا أن نعود بالانسان الى توحش الطبيعة في الغابة ، وانما نعرف انه يمكن أن نقصر الزواج على الفئات السليمة في الأمة ونعرف ايضا ان اهم مخترعات القرن التاسع عشر واخطرها لمستقبل الانسان هو كما قال شو التعقيم الاختيارى .(١)

وثمة رأى آخر :

« فالاخلاق يجب أن تكون حرة ، لان حرية الاخلاق تدعو الى انقراض الفاسد منها وبقاء الصالح .. وليس من مصلحة الانسان أن يعيش في قفص من الواجبات الاخلاقية لان من طبيعة الاخلاق الفاسدة أنها تقتل صاحبها ، فلنترك السكير يسكر كما يشاء لان سكره ينتهي بموته المبكر ولنترك النهم يشره الى كل طعام فان معدته تسوقه الى قبره بأسرع مما نتصور .. »

وهكذا تاهت أفكار سلامة موسى التقدمية وسط ضباب من افكار أو مقترحات غريبة وغير معقولة .

هناك أيضا الموقف المرتبك الذى اتخذه سلامة موسى من قضية الدين .. فهو مادى داروينى .. وهو ينتقد الاديان الراهنة لانها تتدخل في شئون العالم وتعرقل سير الترقى لان الترقى يقتضى التغيير .. ولا تغيير بدون بدعة جديدة .. ولكن الأديان للصفة المقدسة التى تتصف بها تقف جامدة لا تقبل تغييرا فتعمل بذلك لجمود الامة ..

« والدين اذا خرج من دائرة علاقة الانسان بالكون وأخذ يقرر أصول المعاملة بين الناس من تجارة وزواج وامتلاك وحكومة ونحو ذلك فانه عندئذ يقرر الموت لكل من يؤمن به .. »

ولكنه مع ذلك يؤكد في اصرار « ان الدين ضرورى لكل أمة ولكل فرد .. ولا يمكن أن يعيش الانسان بلا دين ، لانه مادام قد شرع يفكر في الكون زمانا ومكانا فقد شرع يفكر في الدين .. ومن ينظر الى السماء في ليلة صافية ويتأمل في ابعاد النجوم والكواكب يعجب كيف يمكن لانسان أن يجزم بهذا المذهب او بذلك عن أصل هذا الكون ونهايته .» (٢)

(١) المرجع السابق ــ ص ٢٧
(٢) المرجع السابق ــ ص ٣١

ويكتب سلامة موسى مقالا عن ويلز بعنوان « أديب ينشد ربه » يتحدث فيه عن دين جديد يؤمن بوجود الله لكنه إله « لا وجود له من حيث المادة أو الفضاء ، لكن له وجود زمني كوجود التيار الفكري وهو ينمو بنمو الانسان وينظر باعيننا الى هذا الكون ويعمل بايدينا فيه ·· وكل ما لنا من حقائق وكل ما لنا من قصد أو عمل عظيم يجمعها في نفسه ·· فهو الذاكرة الانسانية التي لا تموت وهو الارادة الانسانية الدائبة في الازدياد ·· وليس للديانة الجديدة وحي وليس لها مؤسس ومن ينشدها ينشد حقيقة لا يرشده اليها غير ما في نفسه من القداسة » (١) ·

وافكار كهذه ، وبارتباك مثل هذا ، لم يكن بامكان احاديث سلامة عن الاشتراكية ان تصل الى كثير من الاذهان ··

لكنه وبالرغم من كل شيء لعب دورا كبيرا في ارساء قواعد الفكر الاشتراكي ··

ففي عديد من المقالات رفع سلامة موسى لواء الاشتراكية ، مستخدما حديثه العذب وسعة اطلاعه وطريقة برنارد شو في العرض ·· ولنتأمل هذه الفقرات التي وردت في مقال بعنوان « الآلات والحضارة » ·

« في اوروبا الآن حركة اجتماعية تهزها من انصابها الى اقصابها هي حركة العمال الاشتراكية ، هذه الحركة التي ستقلب الجمعية البشرية رأسا على عقب هي ثمرة آلات الانتاج التي اخترعت في القرن التاسع عشر والذي اخترع هذه البلبلة التي سمي بها في اوروبا لم يكن فيلسوفا أو كاتبا او اديبا وانما كان صاحب معمل ·· رأى ان مبدأ الملكية كما هو متعارف عليه في زماننا قد مضى وقته وحان تعديله او الغاؤه ·

كان الخزاف قديما يصنع الخزف بيديه ويطليه بنفسه بمختلف الالوان ويحرقه ويبيعه وقلما كان يستخدم عاملا فان فعل رجا هذا العامل ان يكون خزافا يوما ما وكثيرا ما كان يتحقق رجاؤه فكان المالك في ذلك الوقت عاملا وتاجرا لا يستغله أحد ··

فلما جاء القرن التاسع عشر وكثرت الآلات وعظم حجمها انقسمت الناس فئتين فئة أصحاب المعامل وفئة العمال وزال امل العمال في أن يكونوا أصحاب معامل ويدخروا جمع المال اللازم لشراء الآلات العظيمة ·· وصار أصحاب المعامل لا يشتغلون ، فتغير بذلك مركز العامل الاجتماعي اذ كان قديما يطمع في

---

(١) مختارات سلامة موسى - منشورات مكتبة المعارف (بيروت) الطبعة الثانية - ص ٢٢ ·

أن يكون صاحب معمل فيكون : أما الآن فلا مجال لهذا الطمع وكان صاحب المعمل قديما لا يحصل إلا على الكفاف : أما الآن فصار يحوز الألوف بل الملايين من كد العمال وكدحهم.

فالآلة هي العلة في الاضطرابات الاجتماعية الحاضرة وهي أصل الاشتراكية ، ومن العبث والجور أن نطبق مبدأ الملكية القديم على طريقة الاستغلال الحاضرة فقد تغيرت الأحوال فينبغي أن تتغير المبادئ ».

ثم يمضي سلامة موسى مهددا :

« وكما زالت سلطة الاشراف في أواخر القرون الوسطى فكذلك ستزول سلطة أصحاب رؤوس المال في هذا القرن ... ومن يعش ير ». (١)

وهناك أيضا الكتيب القيم الذي أصدره سنة ١٩١٣ بعنوان (الاشتراكية) وهو كتيب صغير في ثلاثين صفحة أشبه ما يكون بمقال متوسط الطول ... يبدأه سلامه موسى بفاتحة تقول :

« يدعوني الى كتابة هذه الرسالة الوجيزة كثرة السخافات والغباوات التي تحكى عن الاشتراكية .. فغرضي الأول منها تنوير الرأي العام عن ماهيتها مع بيان أغراض الاشتراكيين في أوروبا وأمريكا وذكر مآثرهم في التشريع وما وصلت اليه حالة العمال من الرفاهية بمساعيهم ».

وكالعادة ينفي سلامه موسى فكرة وجود الحزب وان كان لا يستبعد وجوده في المستقبل .. فيقول :

« ولست طامعا ان تعد هذه الرسالة دعوة للجمهور الى الاشتراكية ولا أن تكون سببا في تأليف حزب أو جمعية ، ولكني أطرحها أمام الجمهور القارئ عسى أن تكون خميرة تختمر بها الافكار الى حين تستعد البلاد للاشتراكية » (٢)

ويبدأ سلامة موسى دراسته بأسطر معقدة لا يمكن أن تجتذب القارئ العادي إلى تكملة الكتاب فالكلمات الأولى تقول :

« لما قام لوثيروس بدعوته كانت الافكار الاوربية قد تنبهت بعض التنبيه في اثر اكتشاف أمريكا وترجمة الكتب اليونانية بواسطة المهاجرين البيزنطيين

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٨
(٢) سلامه موسى ـ الاشتراكية ـ الطبعة الثانية ـ ص ٥

الذين فروا من وجه الاتراك ، وكانت الدعوة اللوثرية فى الحقيقة احدى نتائج هـذا التنبيه » (١) ٠

٠٠ وهكـذا كان العيب فى كتاب سـلامة موسى هو انه حاول ان يشرح الاشتراكية بكلمات شديدة الغموض ، ولجا الى انحناءة طويلة مارا باسماء ٠

لم يسمع عنها سوى غلاة المثقفين ٠

ثم ان سلامه موسى يكتب متاثرا بالافكار الفابية ، بل ويكاد ينقل بعض كلمات برنارد شو فى شرحه للاشتراكية ٠٠ فيسمي تملك الحكومة المصرية فى ذلك الحين للسكة الحديد بانه عمل اشتراكى النزعة ٠٠

« وعندنا الآن من الاعمال التى تعملها حكومتنا ما هو اشتراكي النزعة مثل مصلحة السكك الحديدية الأميرية ٠٠ فان هذه المصلحة تدار الآن لفـائدة الأمة ويجمع الفائض من ايراداتها ويصرف على مرافق الأمة » (٢) ٠٠

« وعندنا ايضا بلديات كثيرة توزع المياه والضـوء على سـكان المـدن ، وتنشىء المتنزهات العمومية وتؤلف الجوقات الموسيقية للذة الجمهور »(٣) ٠
واذا كان الامر كذلك ٠٠

« فان غاية ما يطلبه الاشتراكي أن تتدرج البلد من امتلاك المياه والضوء كما هو حاصل عندنا الآن الى امتلاك الترامات والمخابز والتياترات والمسـاكن والمكاتب العمومية ٠

ويطلب ان تتـدرج حكومتنا من امتـلاك السكك الحـديدية الى الاراضى والمعامل والمناجم وتديرها كما تدير هذه السكك الآن ٠٠ » (٤) ٠

هكذا وبكل بسـاطة يتخيل سـلامه موسى الفـرق بين المجتمعين وبين الحكومتين ٠٠ حكومة ومجتمع الراسمالية وحكومة ومجتمع العمـال ٠٠

لكن النزعة الفابية تبدو واضـحة غاية الوضوح فى الاسـطر التاليـة التى يحـدد فيها أسـلوبه فى العمل « يطلب الاشتراكيون ذلك عن سـبيل التدريج الوئيد لا الطفرة السريعة ، وكل خطوة تخطوها نحـو الاصـلاح ٠

---

(١) المرجع السابق ــ ص ٧
(٢) المرجع السابق ــ ص ٢١
(٣) المرجع السابق ــ ص ٢٢
(٤) المرجع السابق ــ ص ٢٢

الاشتراكي تكون مصحوبة دائما بل ومتوقفة على درجة التنور السيـــاسي في الأمة » (١) .

وحتى عندما يتحدث عن مصر يتخذ موقفا سلبيا واضحا ..

فهو يتساءل كيف تكون الاشتراكية في بلاد كمصر ..

ويجيب « تكون بتربية الجمهور على الحكم النيابي الديمقراطي أولا ، ثم نشر المبادىء الاشتراكية وادخال بعضها بالتدريج في جسم الحـــكومة حتى تتشرب بها الامة وتصبح عزيزة فيها فتتوجه فكرة الاصلاح الى وجهات اشتراكية ثانيا .. هذا مع تقدم العلم وتنوير الامة دائمـا بالمطبوعات عن مصالحها الحقيقية » .

وهو يقدم صورة مغرقة في الخيال للمجتمع الذي يريد ..

« فبدلا من أن يحكم القرية عمـدة ليس لاهـل القـرية رأي في تعيينه يحكمها مجلس منتخب من سكان القرية الراشدين ذكورا واناثا .. ويعين هذا المجلس خفراء القرية وقاضيها ومهندسيها وطبيبها .. وتؤسس المدارس الزراعية العالية فلا يشتغل في الأرض الا من نال شهادة منها .. فتزرع على أصول فن الزراعة » (٢) .

ولنتأمل هذه الصورة ولنتخيل وقعها على فلاح يتقدم اليه الاشتراكيون ببرنامجهم قائلين : لا يزرع الارض الا من يحصل على شـهادة من مدرســـة الزراعة العليا .. اعتقد أنه ليس هنـــاك أبعد من ذلك اغراقا في الخيال ولا عزلة عن الواقع .

وهو يحاول أن ينفي عن الاشتراكية « تهمة » الثورية فيقول :

« ومن الاعتراضـــات أيضـــا القول بأن الاشتراكيين ثوريون ينوون الاســتيلاء على الحكومة عنوة ويعملون بعد ذلك على مصـــادرة الإمـلاك ومطـاردة الاغنيـــاء . فإن هذا الكلام أولى أن ينسب الى تخبط المعتوهين منه الى تفكير العقلاء . وجهاد الاشتراكيين في الانتخابات البرلمانية دليل

---

(١) المرجع السابق – ص ٢٢

(٢) ص ٣٠

على انهم يدخلون البيوت من ابوابها ... ويريدون الوصول الى أغراضهم بالوسائل الشرعية » (١)

وتبدو نزعته الاصلاحية الفابية واضحة عندما يسمى كل ما يحدث فى أوربا من اصلاحات كقانون الثمانى ساعات والتأمينات الاجتماعية بأنها مجهودات اشتراكية ...

.. لكن الرجل يقدم بالرغم من كل هذه العيوب دفاعا مجيدا عن الاشتراكية ويؤكد أنها منتصرة حتما ، ويصد عنها اتهامات المغرضين قائلا : « ومن اتهامهم اتهام الاشتراكيين بأنهم ضد الدين ينوون الغاءه عندما يستولون على أزمة الحكومة ، وهذه فرية لا أساس لها فان الاشتراكية تضم بين دعاتها المؤمن والمعطل والمسيحي واليهودى على السواء . وهى تقبل كل شئ نظام لا دخل له فى الدين » (٢)

وهو يشن هجوما ساحقا على النظام الرأسمالى موجها اليه سلسلة من الادانات والاتهامات لابد وأنها قد فتحت أعين الكثيرين على مساوئ النظام وضرورة تغييره .. ويبدأ سلامه موسى قرار اتهامه الشجاع قائلا : « سأذكر بعض نقائص النظام الحاضر متوخيا الاختصار والاكتفاء بالاشارة عن التطويل والايضاح ..

١ - اننا كلنا باستثناء صغير نشتغل أولا وآخرا لجمع المال بحيث لا يبقى هذا الشغل مجالا لعمل آخر .. اننا مدفوعون كلنا الى التنافس والتحاسد والتكاثر بالمال على قلة قيمته الحقيقية ، وهناك ما كان يجب أن يشغلنا ويملأ وقتنا كتأليف كتاب أو اختراع آله أو تصوير صورة أو اكتشاف حقيقة خفية أو التمتع بالسياحة أو غير ذلك من الاعمال التى يكاد يكون كل الشرف الانسانى معلقا بها .

٢ - اننا انقسمنا الى فئتين : فئة غنية تكتظ معدها بالمأكولات الدسمة والاخرى فقيرة ترمق العيش ترميقا ، والفئتان تشتغلان بجمع المال حتى الغنية منهما فاصبحت لذلك قرانا قذرة ببيوت الفقراء وعمالنا ضعفاء لقلة الغذاء .. واصبح الاغنياء فى حيرة كيف يصرفون أموالهم فمنهم من يركب متن الشهوات فيشجع الناس على البغاء وايجاد المسكرات ، ومنهم من يخزن أمواله فيضيق على الناس معاشهم .

(١) ص ٢٨
(٢) ص ٢٨

٣ ـ لقد أوجد نظامنا الحاضر جملة وظائف غير طبيعية وغير لازمة لجمعية بشرية منظمة مثل المحاماة والبغاء والمقامرة ... الخ، فان هذه الوظائف وجدت كنتيجة للنظام الحاضر ، وهى أول ما يلغى فى نظام اشتراكى ، وذلك اقتصاد كبير

٤ ـ ان نظامنا الحاضر أضاع من النفوس شرفها ومن الضمائر حياتها فالتاجر يكذب ويخدع ويغش مصنوعاته ، حتى أنه ليسم الخبز اذا رأى فى ذلك أرباحا ويبنى البيت وكل همه أن يؤجره بأعلى أجره دون ما نظر لحالته الصحية أو الجمالية لان الغاية المال ، وهو يبرر كل الوسائل

٥ ـ ان اكثر الجرائم الحاضرة وما تكلفنا من سجون منشؤها الفقر فالجوع كافر والبرد أكفر والعراء أنكى من الاثنين وهذه تلقى الحقد فى صدور الفقراء وتدفعهم الى الاجرام .

٦ ـ ان جمع المال يحتاج الى أشياء كثيرة من خراب الذمة وموت الضمير وضعف الاحساس ، والذين يبزون أقرانهم فى جمعه بهذه الوسائل يبرهنون على خطة طباعهم ، ومع ذلك فهم الذين يتيح لهم ثراؤهم انسال النسل فى الامة .

٧ ـ ان الحروب الحاضرة على ما فيها من بشاعة وشناعة وتوحش وخسائر فى الناس والمال والوقت لا تنشب الا لاجل المال ، وليس الاستعمار الا احدى نتائج نظامنا الحاضر مع ما فيه من الظلم والاسترقاق .

٨ ـ أقذر وأحط ما يدفع الناس اليه نظامنا الاقتصادى الحاضر هو الزواج المالى .. فان الشيخ الفانى يتزوج بالصبية الحسناء الفتية شاريا عرضها بالمال .. ولو لم تكن للمال قيمته الحاضرة لما اضطرت فتاة الى قهر عواطفها والرضى بالمعيشة مع من هو فى عمر جدودها(١) .

ولكن ، وبعد هذه الإدانة الجريئة للنظام الراسمالى تشتعل الحرب وتعلن الحماية ، ويبدأ الكثير من المثقفين مسيرة الهرب ويلجأ سلامه موسى الى الريف

---

(١) المرجع السابق ـ صفحة ١٥ وما بعدها .

وبرغم تصاعد المقاومة الشعبية والعمالية تعود الثقة في أنفسهم وفي أفكارهم ، فيعود سلامة موسى من جديد ليخوض غمار الدعوة الى الاشتراكية .. أكثر جرأة في هذه المرة .. فلماذا الحذر والعمال يرفعون رايات النضال ، ويخوضون بشجاعة نادرة اضرابهم العام .. ولماذا الحذر والفلاحون يحملون السلاح ، ويقاومون قوات الاحتلال ، ويعلنون جمهورياتهم المستقلة ويحققون جزءا من احلام سلامة موسى .. فيقيمون أكشاكا للموسيقى لتعزف الحانا لم يسمعوها من قبل .

وهكذا يبدأ سلامه موسى فترة جديدة من حياته هي فترة العمل الحزبي من أجل الاشتراكية ، وهي فترة وجيزة جدا ، ذلك ان قصرها مرتبط بقصر الانتفاضة الثورية والمد الثوري العظيم الذي صاحبها .. فما ان يبدأ الجزر .. حتى يعود سلامه موسى ادراجه ، ليكتب في الصحف محاولا أن يستلهم من أفكاره الفابية أمالا لغد مشرق .. كتابات شخص وحيد في بعض المجالات .

ولن نستفيض هنا في الحديث عن « الحزب الاشتراكي المصري » الذي شارك سلامه موسى في تأسيسه ، فهذا الحديث فصل مستقل .. لكننا سنعرض بعضا من مواقف سلامه موسى حتى تستكمل الصورة معالمها .

فسلامه موسى واحد من أربعة وقعوا النداء لتأسيس الحزب الاشتراكى المصري ، وكان توقيعه دليلا على تطور هائل في موقفه وانعكاسا لتاثره بأحداث النضال الثورى العام التى كانت مصر تموج بها في ذلك الحين ..

والحقيقة ان سلامة موسى كان يسعى في ذلك الحين الى تأسيس « جمعية » اشتراكية غايتها الدرس أكثر من السياسة (١) .. لكن روزنتال اقنعهم بتأسيس حزب يضم جميع الاشتراكيين .. وسرعان ما تأسس هذا الحزب ليضم بين صفوفه الماركسيين واشتراكيي الدولية الثانية والفابيين .

لكن الرجعية المصرية لم تترك لهذا الحزب فرصة يتنفس فيها .. فبادرته بهجوم مركز ساهمت فيه أطراف عديدة ، من بينها رجال الدين ..

وهنا يعود سلامه موسى ليتحصن في فابيته ، فيكتب ردا على هذه الهجمات المركزة يقول فيه : (٢)

---

(١) الاهرام ١٨/٨/١٩٢١

(٢) رؤوف عباس ـ المرجع السابق ـ ص ٢٣٦

وربما كان الوقت أسوأ الأوقات لتأليف هذه الجمعية لاعتبارين :

أولهما : أن البولشفية الروسية قد اخفقت اخفاقا يكاد يكون تاما ونشرت على ربوع البلاد الروسية الوية الخراب والدمار .

وثانيهما : اننا في مأزق سياسي لا ينبغي أن نزيده حراجة بما يكفي أن يتذرع به المعارضون لاستقلالنا في انجلترا من أن في مصر شيوعيين وبولشفيين ، وهذه الفاظ تستطير لب ساسة الإنجليز .

وقد بحث مزمعوا تأليف هذه الجمعية هذين الاعتبارين ، وقر رأيهم على أن التخوف من أن اقامتها قد يكون عائقا في سبيل المفاوضات الحاضرة ، أو في نشر المبادىء الاشتراكية المعتدلة ، لا محل له .. وذلك لان البولشفية قد صرح كثير من الاشتراكيين بعدم موافقتهم عليها ، لانها لجأت إلى تحقيق غايتها طفرة وغالت في تطبيقها .. والاشتراكية ينبغي ان تكون بطبيعتها وبالوسائل التى تتذرع اليها والتدابير التى تتخذها فكرة تنشوء وتطور ، بحيث لا يمنح منها للامة شيء الا بمقدار ما حصلت عليه من التربية .. فيشرب افراد الامة مبادىء الإيثار والغيرة على المصلحة العامة .. أما من جهة المفاوضات فان أكثر أعضاء الجمعية المزمع تأليفها يحسنون اللغات الأوربية المهمة ويجيدون كتابتها ، ولن يقصروا عندما يرفع الاستعماري عقيرته ويندد بها في الرد عليه وافحامه .

وبديهي أن الغاية القصوى من الاشتراكية هي الغاء الملك الفردي واستبداله بالملك العمومي .. ولكن دون هذه الغاية مراحل ينبغي أن تقطع وهذه المراحل هي في الواقع غايات صغرى اهمها : نشر التعليم بين عمال الامة حتى يدخلوا في دور الوعي الاقتصادي ويتكاتفوا على العمل لصلحتهم ، ثم تسعى الجمعية بواسطة النشر في اقناع أولي الامر أيا كانوا لكي يتبنوا القوانين اللازمة لتحسين مساكن العمال وزيادة أجورهم وتأسيس معاشات لكل من يبلغ منهم الخامسة والستين ، وما الى ذلك من الاصلاحات .. ونحن على علم تام بان علاقة الاجير الزراعى مع الممول المصري هي علاقة انسانية اكثر منها اقتصادية .. بل هي بعيدة عن تلك العلاقة الجامدة التي تربط ، أو بالاحرى لا تربط الممول الاجنبي بالعامل الذى يشتغل في معمله .. والمالك المصرى في الواقع ينبغي أن تكون له مكانة الموظف العمومي من حيث المسئولية الادبية والقانونية ، لان سعادة العائلات المصرية الفقيرة وشقاءها متوقفان على كيفية نظرته لطرق **الاستغلال** .. استغلال الارض واستغلال العامل ..

فلهذا السبب لن تقف الجمعية موقف العداء ضد الملاك المصريين ، وانما هي صديق يحلهم على مصلحتهم ، كما يدل العمال على مصلحتهم أيضا ، لان مصلحة الاثنين واحدة » .

والكلمات واضحة الدلالة .. ولا تحتاج الى تعليق .. ولكنني فقط أريد أن ألفت النظر الى أن سلامه موسى ظل حتى بعد اعلان الحزب يستخدم كلمة « جمعية » .

وبعد أيام يعود سلامه موسى ليعلن بأعلى صوته « نحن فابيون » .. فيقول في مقال نشره في الأهرام ردا على هجوم شنته جريدة « الاجبشيان جازيت » ان حملتكم على الحزب الاشتراكي المصرى لا مبرر لها ، فاننا لم نؤلف حزبا جديدا وانما انضممنا الى الحزب الاشتراكي الذى عاش ونما منذ مدة بعيدة في الاسكندرية ، وكان أول ما فعلناه في القاهرة اننا أنكرنا البولشفية بكل صراحة وجحدنا مبادئها بلا قيد ولا شرط .. وقد كنت أنا نفسي عضوا في الجمعية الفابية الانجليزية ، وهى جمعية الاشتراكيين المتدلين في لندن ، وغايتنا ووسائلنا هي غايات هذه الجمعية ووسائلها .

وقصدنا الحاضر ان نجمع المعلومات المفيدة عن النظام الاقتصادى الحاضر ، وسيأتم بالدعاة الانجليز أمثال « شو » و « ويلز » ، وتعنى بهم أكثر مما نأتم بماركس وانجلز ، وسيكون شعارنا التطور والنشوء لا الثورة والانقلاب ... وسنبدأ عملنا متواضعين بالسعى في ايجاد القوانين من معاشات للشيخوخة ومساكن العمال وتعليم للأطفال ، وامثال ذلك ، وسنسترشد في كل ذلك بالقوانين الانجليزية » .

وهكذا .. ومع كل هجوم من جانب الرجعية .. كان سلامة موسى يتخذ خطوة الى الخلف .. متراجعا عن المبادىء التى وقع عليها بنفسه في بيان تأسيس الحزب الاشتراكي .

وكان طبيعيا بعد ذلك كله أن يكون سلامه موسى من بين هؤلاء الذين آثروا السلامة ، وانسحبوا من الحزب منذ البداية .. معلنين رفضهم الانتماء للدولية الثالثة .

لكن البعض ينسحب من الحزب ومن العمل العام أيضا ، بينما يبقى سلامة موسى في الميدان محاولا أن يؤدى رسالته على الوجه الذي يراه هو ملائما ...

واذا حاولنا أن نتتبع خطوات سلامة بعد الانسحاب من الحزب فسوف نجد انفسنا أمام سلامة موسى القديم ، الفابي كما كان قبلا ،

الذي يدعو الى الداروينية والالتزام بالعلم ويهاجم الخرافة ويدعو لحرية المرأة والى التصنيع ، معتقدا أنه يمكنه بذلك أن يهيىء الاذهان للاشتراكية .

ولقد كان سلامة موسى فابيا حقا .. فاختار طريقا طويلا جدا .. مؤملا أن يصل الى غايته ..

وهو على أية حال يوضح حقيقة منهجه فى هذه الفترة فى كلمات ذكرها عرضا حول الجمعية الفابية فى مقال بعنوان « اللورد الاشتراكى وزوجته الديمقراطية » فيقول (١) :

« وتألفت « الجمعية الفابية » لنشر الاشتراكية فى انجلترا عن طريق التسرب والانسلال ، فقد رأت طائفة من رجال الادب والاجتماع أن ينشروا الافكار الاشتراكية بين جمهور انجلترا دون أن يحتاجوا الى مصادمة وجها لوجه بآراء غريبة تفارق المألوف مفارقة كبيرة .. فيكون من نتائج هذه المصادمة الصدود بدلا من القبول والفشل بدلا من النجاح .. فعمدوا الى تأليف هذه الجمعية واشتقوا اسمها من « فابيوس » القائد الرومانى الذى حارب هانيبال القرطجنى واضعفه بمناوشات جانبية بدون أن يصدمه وجها لوجه .. واتخذت الجمعية هذه الطريقة ، فكان أعضاؤها يكتبون المقالات ويؤلفون الرسائل ويخالفون الاحرار .. فينشرون الاشتراكية من حيث لا يشعر أحد بالخطر المختبىء حتى استطاعوا أن يستولوا على الحكومة وتباع فى القاهرة مجلة يحررها أعضاء من هذه الجمعية لا يمكن للقارىء أن يحس بانها تعمل لنشر الاشتراكية الا بعد أن يوالى قراءتها لبضعة أعداد ، وهذه المجلة هى « ذى نيوستيتسمان » وهى أدبية علمية تشتم الشيوعيين وكانت مدة الحرب تشتم الالمان وهى الآن اجرا على الدعوة الاشتراكية مما كانت قبلا » .

.. هذه هى بالضبط خطة سلامه موسى ومنهجه فى العمل ، وكأنه قد حاول فى هذه الاسطر القليلة أن يلخص خطته وآراءه تلخيصا واعيا ..

.. مرة اخرى سنحاول أن نلقى مزيدا من الضوء على أفكار سلامه موسى لنعرف بالتحديد ماذا كان يعنى بالفاظ مثل الاشتراكية والشيوعية والبولشفية ..

وفى احد أعداد المجلة الجديدة ثمة سؤال من القارىء ع ... ح من الاسكندرية يسأل ما الفرق بين هذه الالفاظ : الاشتراكية .. الفابية .. البولشفية .. والشيوعية ؟ (٢)

---

(١) المجلة الجديدة عدد مايو ١٩٣٠ ص ٨٦٧ .

(٢) المجلة الجديدة ١/٨/١٩٣٠ ص ١٢٨٧ .

والجواب الذى قدمه سلامة موسى هو :

« الاشتراكية هى التدرج بالطرق البرلمانية القانونية الى جعل التجارات المغلة التى تحتاج لاستغلالها الى استخدام عمال كالارض والمصانع والمناجم ملكا للامة .. فالبريد والسكك الحديدية والتعليم والمستشفيات هى فى مصر الى حد كبير جدا اشتراكية ، لان الحكومة تقوم بها دون الافراد .. ولسنا نحب ان تكون هذه الاشياء فى ايدى الافراد دون الحكومة .

اما الشيوعية والبولشفية فكلتاهما مسمى لشىء واحد ، وهى تشبه الاشتراكية فى النتيجة ولكنها تختلف فى الوسيلة ، لانها تعمد الى الثورة والانقضاض كما حدث فى روسيا .. بينما الاشتراكيون يطلبون التدرج عن طريق السبل القانونية ، ولذلك فهى تمثل استبداد العمال بالمالكين .

اما الفاشية فهى نقيض الشيوعية ، وهى تمثل استبداد المالكين بالعمال .. وكل منهما ، اى الفاشية (كما فى ايطاليا) والشيوعية (كما فى روسيا) ، لا يبدأ بالقوانين وانما يحقق اغراضه اغتصابا وقهرا ، وفى ذلك من الضرر بالناس ما فيه » .

.. ولقد انسحب ممثل الفابية الاول من الحزب الاشتراكى .. ليعمل رئيسا لتحرير مجلة « كل شىء » التى كانت تصدر عن دار الهلال .

وفى مجلة « كل شىء » يكتفى سلامه موسى بالحديث عن العلم والتعليم وتحرير المراة ..

وفى بعض الاحيان يهاجم البلاشفة تحت عنوان « المظلومين يظلمون » :

« ليس ينكر أحد أن حكومة القيصر كانت ظالمة .. ولكن هل من ينكر الان ان الحكومة الشيوعية ظالمة أيضا .. لقد حكمت احدى محاكم البولشفيين أن كتب تولستوى يجب مصادرتها واحراقها ، وهذا مع العلم بان تولستوى كان ينصر العمال فى كل ما يكتب ويجهر بظلاماتهم .. ولكنه لم يكن يدرى أن المظلوم يعود ظالما » (١) .

وفى عدد آخر يؤكد أن اليهود يحكمون روسيا ، وأن ٩٥ بالمائة من أعضاء السوفيتات يهود (٢) .

وفى نفس العدد من « كل شىء » خبر طويل بعنوان « الجريمة فى بلاد السوفيت » .

---

(١) كل شىء ١٩٢٦/١/٤

(٢) المرجع السابق ١٩٢٦/٢/١

وفى بعض الاحيان كان سلامه موسى يفقد كثيرا من حذره فتراه مثلا يمتدح فورد قائلا :

« انه يعنى بالعمال فيبنى لهم البيوت ويؤسس لهم المطاعم ، حتى الملاهى فقد عنى بها . هذا الى زيادة الاجور زيادة فاحشة » (١)

بل هو يفقد حذره ازاء هتلر .. فيكتب فى مقال بعنوان « الوطنية العاملة » :

« وفى أوربا اتخذت الوطنية الجديدة أشكالا مختلفة ، ففى المانيا حركة وطنية ولكنها فى الوقت نفسه حركة اشتراكية يقودها الزعيم هتلر » (٢)

لكنه بالرغم من هذه الاخطاء كان يتخذ فى الاساس موقفا مخلصا وصادقا ..

فهو يدعو للديمقراطية والحرية .. ويكتب افتتاحية بعنوان « ركنا الحضارة .. العلم والديمقراطية » (٣) معلنا « أن الديمقراطية هى الركن الثانى الذى تقوم عليه هذه الحضارة »

ثم يقدم تفسيره لكلمة الديمقراطية قائلا « إن فكرتها الأساسية هى التسوية بين البشر فى الحقوق والواجبات ، والغاء الاثرة التى ينالها فريق من جراء احتياز الاموال وتوارثها جيلا بعد جيل ، حتى يتسنى لكل فرد أن ينال ثمرة تعبه الحقة .. فلا يكون امتيازا الا لاقدر الناس على خدمة الناس .. وقد نفذت هذه الفكرة نفوذا سريعا فى البشر ، وكان من نتيجة انتشارها أن اتجه التقدم الاجتماعى ثلاث وجهات رئيسية

١ - وجهة الغاء الفوارق بين الطبقات الاجتماعية .

٢ - وجهة الغاء امتيازات الرجل على المرأة .

٣ - وجهة الغاء استغلال الشعوب القوية للشعوب الضعيفة » .

ولا شك ان كلمات كهذه كانت عظيمة الاثر ، جمة الفائدة .

.. بل هو ينتهز الفرصة فى بعض الاحيان ليمتدح على استحياء بعض مواقف البلاشفة .. ففى افتتاحية عدد آخر من كل شىء ، يقول (٤)

---

(١) جيوبنا وجيوب الأجانب ص ٥٦

(٢) المرجع السابق – ص ١٠

(٣) كل شىء – ١٩٢٦/١/٤

(٤) ١٩٢٦/١/١٨

ة أن للبلشفيين - بين سيئاتهم الكثيرة - حسنة واحدة يحق لهم أن يفتخروا بها ، وهى أنهم أدركوا شأن المعلم في المجتمع .. فجعلوا له المكانة الاولى في نظامهم .

قد طالعنا أنهم قسموا المهن الى بضعة أقسام باعتبار فائدتها للمجموع ، فجعلوا في مرتبة واحدة - وهى المرتبة الاولى - المعلمين والوزراء وسووا بينهم من حيث الاجر والمكافاة » .

وعلى صفحات نفس المجلة - وفى أعداد لاحقة - كتب دفاعا عن الفلاح بعنوان « أبونا الفلاح » (١) يطالب فيه بتحديد القيمة الايجارية للارض الزراعية ..

وفى كلمات تلتهب حماسا يدعو سلامة موسى الى مقاطعة البضائع الاجنبية فيقول :

« اننا في حاجة الى اخلاق مصرية جديدة تكون لها قوة الايمان الدينى في النفوس .. فلا نذوق كسرة خبز نعرف أنها خلطت بدقيق أجنبى ولا نأذن بدخول شىء من الطعام الاجنبى في منازلنا ، فلا لحم ولا جبن ولا فواكه اجنبية تمسها اليد المصرية .. بهذا وحده نحقق لبلادنا كرامة اقتصادية تزيدنا ثروة وقوة .. » (٢) .

ولقد واصل سلامه موسى مسيرة طويلة ومجيدة حقا ..

فحدث قراءة كثيرا عن غاندى ، ودعا كل فلاح الى أن يكون له مغزله الخشبى ليصنع ملابسه .. وأسس في المدينة جمعية « المصرى للمصرى » .. ودعا الى التصنيع والى التعليم والى أشياء كثيرة جدا .

ولقد مضت على الامة المصرية فترات عصيبة ومظلمة ، كان صوت سلامه موسى هو الوحيد الذى ارتفع فيها .. منددا بالظلم مدافعا عن الحق والعدل والديمقراطية .. أحيانا في جراة .. وأحيانا في مناورة .. يدعو الى ما يظن أنه اشتراكى .. لكنه في واقع الامر مجرد خيالات فابية لا يمكنها أن تتحقق بغير نضال حزبى جاد ..

لكن صوت سلامه موسى كان بغير شك صوتا شريفا وانسانيا

---

(١) ١٩٢٧/٨/٢٩ .

(٢) سلامة موسى - جيوبنا وجيوب الاجانب ص ٥٤ .

ومخيلصيا كما انه وبغتريشك ايضيا - قد أثر تأثيرا بالغا فى دائرة واسعة من المثقفين المصريين .

.. ولهذا فان الحديث عن سلامه موسى لن ينتهى بهذه الصفحات ، ذلك إننا سنتحدث عنه كثيرا فى صفحات قادمة .. فهو جزء أساسى من تاريخ النضال المصرى الذى امتد بعد هذه الفترة .

يبقى بعد ذلك سؤال هام : لماذا عجزت الفابية عن أن تجد لها انصارا فى مصر بالرغم من المحاولات الدؤوبة والتفانية لمثقف مرموق كسلامه موسى ؟

والاجابة على هذا السؤال ليست سهلة فهى بحاجة إلى تحليل عميق لطبيعة المجتمع المصرى الذى حاول سلامة موسى أن يزرع فيه الفكر الفابى

ولطبيعة موقف الجماهير المصرية والمثقفين المصريين اليساريين من هذا المجتمع .

إن أساس الفابية يقوم على فكرة اصلاح النظام القائم والتبشير بعملية ادارة الحكومة لبعض المنشآت (السكة الحديد والبريد والبرق) بحيث تمتد لتشمل قطاعات أوسع فى مجال الانتاج .. (٢)

لكن المصريين كانوا قد اتخذوا موقفا صارما من النظام ككل ، والنظام نفسه كان فاسدا بحيث لا يمكن مجرد بث الامل فى اصلاحه ، وادارة الحكومة للمشاريع التى تمتلكها لم تقدم صورة قادرة على جذب أى اهتمام بها .

وباختصار لقد حاول سلامه موسى أن يزرع أحلامه عن الاصلاح التدريجى للنظام فى أرض كانت ترفض النظام برمته .

ولقد بذل سلامه موسى كثيرا من الجهد المباشر بالاتصال بعشرات الشبان والمجموعات ، وغير المباشر بما كتبه من مئات المقالات وعشرات الكتب مستهدفا اقتناع قرائه ، واصدقائه بفساد النظام القائم وضرورة اصلاحه وتطويره لكن الكثيرين ممن تأثروا بسلامة موسى تأثرا مباشرا أو تتلمذوا على كتاباته اكتفوا بالشق الاول من تعاليمه فاقتنعوا بفساد النظام القائم لكنهم ساروا فى ركب المطالبين بالاطاحة به ، واقامة مجتمع اشتراكى حقيقى بدلا منه .

وليس هنا مجال ترديد الاسماء فهى عديدة ·· أسماء هؤلاء الشبان الذين التفوا حول سلامه موسى فى الثلاثينات سواء فى جمعية المصرى للمصرى أو فى جمعية الشبان المسيحية ، وكونوا معه حلقات للدراسة وندوات مستمرة ربما وصلت فى بعض الاحيان الى حد ايجاد شكل شبه تنظيمى ·· لكن هؤلاء جميعا ما لبثوا أن إنفلتوا من بين يدى سلامه لينضموا الى المنظمات الماركسية ··

والغريب فى الامر ان سلامه موسى لم يكن يعارض هذه الخطوات من جانب تلاميذه ·· بل انه لم يخف ارتياحه تجاه المنظمات الشيوعية التى نشأت فى الاربعينات ·

ذلك ان سلامه موسى كان فابيا من نوع خاص ·· وربما كانت فابيته مسألة متعلقة بقدراته الشخصية على مواجهة النظام وتحديه ··

[illegible]

[illegible]

[illegible]

إشتراكية الدولية الثانية

فى مجتمع مثل المجتمع المصرى كان من السهل أمام أفكار الاشتراكية الدولية الثانية أن تنتشر .. فالصلة الاساسية بين مثقفى مصر المتطلعين الى التطور الاجتماعى وبين الاشتراكية تاتى عن طريق أحزاب الدولية الثانية وتاتى فى ظل سيادة الانتهازية فى صفوف هذه الاحزاب .

والحقيقة أن فكر الدولية الثانية قد تسلل الى مصر من خلال أكثر من موقع .. وقد لعب الى حد ما دورا ايجابيا فى لفت انظار قطاعات واسعة من المثقفين المصريين نحو الاشتراكية ..

ولسوف نرى فيما بعد أن الحزب الاشتراكى المصرى الذى تأسس عام ١٩٢١ كان تحالفا بين اشتراكيى الدولية الثانية وبين القوى الماركسية والاشتراكية الاخرى .

.. ومن هذه الزاوية فان دراسة المصادر المصرية لهذا الفكر ، وآرائها وأوضاعها الطبقية والمسار الذى اختارته لنفسها بعد أن بدأت مطاردة السلطات للقوى الاشتراكية كل هذه المسائل ضرورية حتى نلقى الضوء على معالم هذا الحزب الذى تكون سريعا فى مطلع العشرينات رافعا راية الماركسية لاول مرة فى مصر .

ولقد قلنا ان أفكار اشتراكية الدولية الثانية قد تسربت الى مصر عبر مسالك مختلفة وسنحاول هنا أن نقدم بعض النماذج - وهى مجرد نماذج - للافكار والمواقف والاتجاهات التى عبرت عنها ايديولوجية الدولية الثانية عندما تلاحمت مع فكر البرجوازية الوسطى والعليا فى المجتمع .

ولنبدأ بالحزب الوطنى .. وخاصة محمد فريد .. الذى أقام علاقات وثيقة مع الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى أوربا .

وقد حرص فريد على حضور سلسلة المؤتمرات الدولية التى دعت اليها الدولية الثانية فحضر المؤتمر الثامن عشر للسلام ومنع الحرب الذى

عقد فى استكهولم فى اغسطس ١٩١٠ وعقب عودته الى مصر اسس جمعية السلام العام بوادى النيل برئاسة عزت بك شكرى كفرع مصرى لهذا المؤتمر ..

وقد قررت اللجنة الدائمة للمؤتمر فى بون منح هذه الجمعية عضوية المؤتمر العالمى للسلام (١) .

وقد حضر فريد أيضا مؤتمر السلام العام بجنيف فى سبتمبر ١٩١٢ ثم مؤتمر السلام العام فى لهاى فى أغسطس ١٩١٣ .. ومؤتمر الاجناس المضطهدة Nationalities and subject Races Conference الذى عقد فى لندن (يناير ١٩١٤) .

ثم المؤتمر الثانى للاجناس المضطهدة الذى عقد فى لوزان فى يونيه عام ١٩١٦ .

واذا كان حزب محمد فريد ليس عضوا فى الدولية الثانية ومن ثم فان الفرصة لم تتح له لحضور المؤتمرات العالمية لاحزاب هذه الدولية فقد حرص على أن يقيم علاقات بهذه المؤتمرات وأن يقدم اليها وباستمرار مذكرات عن تطور الاحداث فى مصر .. فقدم مذكرات الى مؤتمرات استكهولم فى اكتوبر ١٩١٧ ثم مؤتمر برن فى فبراير ١٩١٩ .. ثم مؤتمر لوسرن فى أغسطس ١٩١٩

وفى هذه المؤتمرات كان فريد يقيم علاقات مباشرة وفعالة مع الكثير من ممثلى أحزاب الاشتراكية الديمقراطية ومن بينهم هندرسون رئيس حزب العمال الانجليزى الذى تقابل معه أثناء انعقاد مؤتمر برن والذى قدم له وعودا كثيرة ..

كذلك اهتم فريد بدعوة كثير من الاشتراكيين الاوربيين لحضور المؤتمر الوطنى المصرى الذى عقد فى بروكسل ١٩١٠ .. فحضر من انجلترا كير هاردى Keir Hardi زعيم حزب العمال ومن الحزب الاشتراكى الفرنسى جوستاف روانييه Gustave Rounanet نائب رئيس واشتراكيون آخرون من المانيا وبولندا وايطاليا .

وقد تولى الرئاسة الشرفية للمؤتمر على التوالى مستر بلنت وكير

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد : ص ٢٧٨ .

هاردي وأوجانيور Auegugneur النائب الاشتراكي الفرنسي عن ليون والسنيور دجوبرناتي Degubernati عضو مجلس الشيوخ الايطالي ... وقد اعتذر السنيور دجوبرناتي عن حضور الجلسات لانشغاله فى أعمال المؤتمر القومى الايطالى للسلام الذى عقد فى ذلك الحين بروما(١) ..

ومن على منصة المؤتمر وجه محمد فريد تحية حارة الى أعضاء مؤتمر السلام العام فى استكهولم مؤكدا تقديره العميق لنضالهم (٢) كذلك وجه تحية حارة الى « كير هاردى الزعيم البريطانى المشهور ورئيس حزب العمال صديق المصريين والذى يعلن باستمرار تاييده العميق لكل الشعوب وخاصة للامة المصرية ، ان كير هاردى انجليزى يكرس حياته من أجل اقرار السلم والعدل واننى أدعو الى تحيته تحية حارة » (٣)

وقد تلقى المؤتمر سيلا من برقيات التاييد من القوى الاشتراكية والسلامية فى أوربا فهناك برقية من لوسيان لوفورايى Lucien Le Foryer ممثل جمعية « السلام من أجل العدل » الفرنسية ..

وبرقيات أخرى من المجر وايطاليا وبلجيكا وايرلندا والمانيا ...

والحقيقة أن هذا المؤتمر — الذى لم يهتم المؤرخون بدراسة اعماله — يمثل مرحلة هامة للغاية من تاريخ نضال الحزب الوطنى فهو محاولة لاحداث التحام حقيقى بين مثقفى الحزب ومثقفى أوربا وخاصة اشتراكييها وهو أيضا محاولة جادة لوضع أساس اجتماعى مدروس للنضال الحزبى ..

انه محاولة من الحزب الوطنى لكى يقدم لجماهيره ولاصدقائه فى أوربا ولنفسه أيضا جهدا فكريا ممتازا ودراسات عميقة لمختلف المشكلات الاجتماعية والسياسية التى تواجهها مصر ..

فقد قدمت للمؤتمر سلسلة من التقارير الهامة مثل (٤) :

* مستقبل مصر	حامد العلايلى
* الامتيازات الاجنبية فى مصر	مصطفى الشوربجى
* التعليم فى مصر	رفعت وفيق
* التشريع فى مصر	عبد السلام ذهنى
* دور الصحافة فى مصر	عبد الرحمن الرافعى

(1) Ouvree du Congrès National Egyptien tenu à Bruexelles 1910. P. 10.

(٢) المرجع السابق ص ٧

(٣) المرجع السابق — ص ١٣

(٤) المرجع السابق ص ٤٨٥

* الصناعة فى مصر — على بك ثروت
* تقرير عن حالة الجيش المصرى — أعده عدد من ضباط الجيش المصرى لم يذكروا أسماءهم
* الصحة العامة فى مصر — منصور رفعت
* الحالة الاجتماعية فى مصر — طه العبد

وفى اعتقادى أن هذه التقارير تمثل أول دراسة شاملة وعلمية يقوم بها حزب مصرى بهدف تحديد موقف واقعى من مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية.

وفى اعتقادى أيضا أنها كانت خطوة ضرورية لأحداث تحول اجتماعى جاد فى مناهج الحزب وبرامجه وأفكاره.

كذلك فان هذا المؤتمر كان فرصة هامة لتجميع قوى عديدة خلف شعارات الحزب الوطنى .. والذى يطالع وثائق هذا المؤتمر يلاحظ كثرة عدد المندوبين المصريين وحماسهم ويلاحظ أن بينهم شخصيات لم تكن منتمية للحزب الوطنى - أو على الاقل لم يعرف عنها ذلك - مثل محمد حسين هيكل (١) .. وآخرين ..

ولقد كان المؤتمر فرصة لكثير من اشتراكى أوروبا ليستعرضوا فيه آراءهم تجاه مسألة المستعمرات وهو موضوع تحدث فيه كير هاردى فى أكثر من جلسة من جلسات المؤتمر ..

وكذلك وقف الاشتراكى الفرنسى جوستاف روانيه ليلقى كلمة هامة قال فيها:

« أود ان اعرب لكم عن أسفي ، أولا باعتبارى فرنسيا ينتقد موقف الحكومة الفرنسية من القضية المصرية وباعتبارى اشتراكيا ذلك أن حزبنا قد أسهم مساهمة كبيرة فى عقد الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا لكننى أعلن باعلى صوتى اننا لم نكن نستهدف مطلقا الحاق الضرر بمصر .. وان النتائج التى ترتبت على هذا الاتفاق لم تكن سوى نتيجة لخيانة انجلترا والحكومة الفرنسية .. لقد كان هدفنا الوحيد من هذا الاتفاق هو اقرار السلام ، ولكن لا يمكن للسلام أن يستقر طالما كان هناك استعباد .. اننى كوطنى فرنسى وكاشتراكى فرنسى أتمنى تحرير الامة المصرية تحريرا عاجلا وتاما » (٢) ...

---

(١) المرجع السابق - ص ٣١
(٢) المرجع السابق - ص ٤٣

ونلاحظ أيضا أن محمد فريد يقد أدلى بحديث هام لجريدة الاومانيتية الفرنسية فى أغسطس سنة ١٩١٠ وانه واصل فيما بعد محاولاته لاقامة علاقات مع القوى الاشتراكية فى أوربا ..

.. وفى الداخل فاننا نلاحظ هذا التحول الذى طرأ على سياسة الحزب من تأييد للعمال فى اضراباتهم ومن تأسيس لنقابة عمال الصنائع اليدوية .. ثم اقامة مدارس الشعب الليلة .. ثم انشاء التعاونيات التى الح فريد كثيرا على الاهتمام بها ..

ومن الاستانة يرسل فريد الى عبد الرحمن الرافعى يقول :

« لم أسمع من مدة بتشكيل نقابات جديدة أو جمعيات تعاون .. ولعلنى اسمع قريبا باخبار ما تؤسسونه من النقابات والجمعيات .. وانى اقترح عليك أن تكتب تقريرا عن حالة النقابات بمصر وتاريخها وبعض احصائيات عنها وعن اعمالها لنظهر للعالم شيئا من آمالنا العملية »(١) .

وفى برلين يدلى فريد بحديث لمراسل Berliner Tageblatt يقول فيه :

« اننا نبذل جهودنا لتعليم الشعب المصرى .. ولقد أسسنا فى المدن عددا من النقابات ، وفى المدارس نقوم بتعليم العمال القراءة والكتابة .. كذلك اسسنا جمعيات تعاونية زراعية وبنك تعاونى .. لقد تعمدت أن اتحدث عن هذه الجهود بالتفصيل لكى اوضح أن حركتنا ليست مجرد حركة سياسية وانما هى أيضا حركة اجتماعية واقتصادية » (٢) .

لقد كان طبيعيا أن تترك هذه العلاقات والاتصالات باشتراكيى الدولية الثانية أثرا هاما فى مواقف فريد وآرائه .. وبدأت خطبه تتخذ اتجاهات جديدة تدافع عن العمال والفلاحين والقوى الكادحة ..

وفى الجمعية العمومية للحزب الوطنى التى عقدت فى ١٩١٢/٣/٢٢ وقف فريد ليطالب اعضاء حزبه بواجبات جديدة :

« لابد لكم من العناية بنقابات العمال وبث مبدأ التضامن بينهم والدفاع عن حقوقهم واستصدار القوانين الضامنة لهم عدم التكفف عند الشيخوخة أو عند الاصابة بما يمنعهم من الكسب . ارجعوا البصر الى حال العمال فى مصر سواء عمال المصانع أو عمال الزراعة واقصد بهم جماعة الفلاحين

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ــ مذكراتى ــ ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق .

الذين لا يملكون ارضا ويعيشون من العمل باليومية او من استئجار الاراضى تجدوا انهم فى احط دركات الفقر .. فالعامل لا يحصل على قوت يومه الا بعد أن يشتغل اثنتى عشر ساعة كل يوم على الاقل، والفلاح لا يصل الى ما يسد الرمق ، الا اردأ انواع الخبز بلا ادام والا بشق النفس » (١) .

وعلى صفحات اللواء تنعكس هذه الاتجاهات فى كتابات صريحة عن الاشتراكية « ان المصرى كان لا يعرف شيئا عن الاشتراكية قبل عهد اسماعيل من الموظف الصغير الى العامل الفقير الا ان تطور النظام الاجتماعى ادى الى ظهور الاشتراكية ونظرا لان الاموال المستثمرة اجنبية وأن هناك الدين المصرى الرسمى والاهلى فان نظرية ادخال مبدأ الاشتراكية فى الحكم لا يمكن تطبيقها على حالتنا فى مصر بدون خطر يهدد كياننا .. اما الاشتراكية من حيث تعاليمها الاجتماعية فاننا فى مقدمة من يدعو اليها ويبشر بها لاننا نرى فيها الضمان لحفظ التوازن ما بين غنينا الجاهل المتكبر وفقيرنا المجد البائس » (٢) .

ولقد ثار نوع من الجدل حول طبيعة هذا المسلك وعن العلاقات التى اقامها الحزب الوطنى تحت زعامة محمد فريد .. يحاول البعض أن يؤكد انها كانت ارهاصات لاتجاه نحو الاشتراكية .. وينفى الآخرون ذلك (٣) لكن الشئ الذى لا شك فيه أن هذه العلاقات مع اشتراكى أوروبا قد تركت آثارا واضحة على تلك العديد من شباب الحزب الذين سوف نراهم بعد قليل جدا من الزمن يكونون الجمعية المصرية فى باريس .. ثم نرى أسماء البعض منهم ضمن مؤسسى الحزب الديمقراطى .. وأسماء أخرى تسهم بدور فى تأسيس الحزب الاشتراكى .. ثم الحزب الشيوعى ، أسماء مثل محمود عزمى ، عصام الدين حفنى ناصف ، مجد الدين حفنى ناصف ، طراف ، علي عبده جودة ، د. عبد الفتاح القاضى ، ومنصور فهمى .. وآخرون (٤) ..

---

(١) عبد الرحمن الرافعى - محمد فريد - المرجع السابق ص ٢٦٦ .

(٢) اللواء ١٩١١/٧/١ .

(٣) راجع رؤوف عباس المرجع السابق . ومحمد عبد العظيم رمضان - تطور الحركة الوطنية فى مصر .

(٤) راجع محضر النقاش مع عصام الدين حفنى ناصف حيث يقرر انه كان عضوا فى الحزب الوطنى ثم اتجه يسارا بتأثير الفكر الاشتراكى الالمانى .. راجع كذلك محمد أنيس - دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ .. حول الدور الثورى المتطرف الذى لعبه مجد الدين حفنى ناصف الى الحد الذى دفع سعد زغلول الى محاولة ابعاده عن باريس واعادته الى مصر لاضعاف تاثيره على جماهير الطلاب المصريين باوروبا . ص ٢٢٩ - ٢٥٣ .

هذا عن أبناء الطبقة الوسطى .. والبرجوازية الصغيرة من أعضاء الحزب الوطنى والعاطفين عليه ..

لكن أفكار الدولية الثانية وجدت لنفسها سبيلا آخر .. عن طريق أبناء الذوات وأبناء الفئات العليا من الطبقة الوسطى الذين أتاح لهم ثراء أسرهم القدرة على السفر لتلقى العلم بالخارج ..

وعاد هؤلاء بعد عدة سنوات تمج عقولهم وكتاباتهم بالحديث عن العدالة وعن الحرية .. وعن الاشتراكية ..

ولقد كان تأثر البعض محصورا فى مجرد الاتجاه نحو الليبرالية مع مفاهيم اجتماعية متقدمة ، لكن عديدا من هؤلاء ما لبثوا أن تحالفوا مع دعاة الاشتراكية ، فان أفكار الدولية الثانية فى ذلك الحين لم تكن لتختلف كثيرا عن أفكار الليبراليين .

ويكتب توفيق دياب ليصور موقعه وأفكاره عند عودته من بعثته الدراسية فى لندن .. يكتب موجها حديثه الى « جون بول » قائلا إنه عاد إلى بلاده « وفى صدره شعلة من نار الحماسة ونور المعرفة ، أما الحماسة فللمثل العليا التى قرأها فى كثير من كتبكم ، وأخذها عن كثير من علمائكم وأما المعرفة فبوجوه الاصلاح التى لابد منها لكل شعب يريد النهوض . واشعار ذوى السلطان أو العلم أو المال بأن سلطاتهم وعلمهم ومالهم انما هى أدوات فى أيديهم لخدمة المجتمع وان قوام الحياة لادنى المواطنين يجب أن يكون غذاء يكفيه .. ومسكنا صحيا يأويه ، ورعاية طبية تحميه أو تشفيه وظرفا من التربية والتعليم يسمو بانسانيته ويحقق نفعه لنفسه وللوطن » (١) .

لكن النموذج المثالى للتحالف بين الليبراليين من أبناء الفئات العليا من المجتمع وبين بعض ممثلى اشتراكية الدولية الثانية هو « الحزب الديمقراطى » ..

فالحزب الديمقراطى لم يكن سوى تجمع سريع لعناصر ليبرالية (متأثرة بالفكر الغربى) وعناصر دينية متحررة وعناصر اشتراكية ..

ومحمد حسين هيكل نموذج لهؤلاء الليبراليين الذين تأثروا بالفكر الغربى وهو يتحدث عن زيارته لباريس فيقول « ومرت الايام وأنا أرى فى مدينة النور ألوانا من الحياة تفسح أمام النظر أفق التفكير وتزيد

---

(١) توفيق دياب ـ اللمحات ـ المجموعة الاولى ـ ص ٢٠٢

الانيبان أيمانا بحرية العقيدة والرأي وبأن التعصب ذميم وأن أول واجب للانسان ان يديم البحث عن الحقيقة » (١) .

ويترجم هيكل أجزاء من كتاب روسو ويهديها « الى مصر الحرة ، الى القلوب الخفاقة بمعاني الحرية والعدالة والاخاء » (٢) .

والشيخ مصطفى عبد الرازق نموذج للعناصر الدينية المتحررة التى تجمعت فى أول الامر فى جماعة « السفور » لتدافع من أجل التحرر فى فهم الدين والحياة .. وكان هو أيضا من دعائم الحزب الديمقراطى ؛ بل أن الاجتماع التاسيسى للحزب تم فى قصر أسرته .

اما رواد اشتراكية الدولية الثانية فى الحزب الديمقراطى فيمثلهم د. منصور فهمى وعزيز ميرهم ومحمود عزمى .

ويروى محمود عزمى قصة تاسيس الحزب الديمقراطى فيتحدث عن لقاء بينه وبين د. منصور فهمى الذى حدثه عن « تاسيس حزب سياسى تحدث بشأنه بالفعل الى بعض اصدقائه من قبل وتم التفاهم فيما بينهم عليه وعلى الاسم الذى يطلقونه عليه وهو « الحزب الاشتراكى » (٣) .

لكن محمود عزمى يقنعه بان يعدل عن تسمية « المولود الجديد بالحزب الاشتراكى وأن يستبدل به اسم « الحزب الديمقراطى » .

ولم يكن هذا هو المظهر الوحيد لصراع هذه التيارات داخل الحزب الوليد فهناك أيضا الصراع بين محمد حسين هيكل (الليبرالى ذو الميول الرأسمالية) وعزيز ميرهم (الاشتراكى الراديكالى) .

يقول شفيق غربال « نشأ الحزب الديمقراطى فى جو النشاط السياسى الذى بعثته الثورة المصرية .. والطريف ان عزيز ميرهم عمل على أن يوجه الحزب نحو الاشتراكية بينما عمل هيكل على توجيهه نحو الفردية .. واختلف الرجلان اختلافا كاد ان يفضى الى حل الحزب وهنا تدخل بينهما الشيخ مصطفى عبد الرازق بطريقته الجذابة ، وأكاد اراه وهو يحكم بينهما ، وأكاد أسمع صوته وهو يسأل هيكل « أفانت تضن على الفقراء بحقهم فى التعليم والتداوى والعيش عيشا انسانيا ؟ واجاب هيكل بطبيعته

---

(١) مجلة اللغة العربية . المرجع السابق كلمة شفيق غربال فى تابين الدكتور هيكل – ص ٢١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٦

(٣) محمود عزمى . خبايا سياسية ص ٣٦

الاحال لا ٠٠ ثم سأل ميرهم وهل انت تريد الغاء الملكية الخاصة فى مصر حالا فقال عزيز ميرهم لا ٠٠ قال مصطفى : امامكما اذا ميدان فسيح مشترك تستطيعان العمل فيه متفقين فاذا جاء اليوم الذى لا مفر فيه من اختلافكما ولا احسبه يجيء قبل سنوات طويلة نظرنا جميعا فى الامر وفصلنا فيه بما يقضى به الحال حينئذ » (١) ٠٠

وبهذه البساطة امكن للطرفين ان يتفقا وكان ثمرة الاتفاق برنامج اقرته الجمعية العمومية للحزب بجلستها المنعقدة فى ١٩١٩/٩/١٠ تحت اسم « قانون الحزب » وقد جاء هذا البرنامج خاليا تماما من اية اشارة الى الاشتراكية لكنه يؤكد فى مقدمته ان « مبادىء هذا الحزب تقوم على اساس المساواة بين الامم والاخاء بين الافراد والنهوض الى اسمى ما يتصور من الرقى وتاييد « سيادة الشعب » واقامة العدل مقام القوة » ٠

وجاءت المادة الثالثة من قانون الحزب لتحدد عشرة اهداف تعهد الحزب بالنضال من اجلها ٠٠

والاهداف العشرة تعبر عن سيطرة الفكر الليبرالى مثل :

٭ تفويض الشعب سلطته الى هيئة نيابية تنتخب على اكمل طريقة تمثله تمثيلا صحيحا ، ويكون من اختصاصها التشريع وفرض الضرائب ومحاسبة الحكومة المسؤولة امامها على اعمالها ٠٠

٭ توحيد التشريع فى حدود مصر وتعميم تطبيقه على من يسكن البلاد (٢) ٠

٭ الاعتراف بحق كل شعب فى حكم نفسه ٠

٭ اما ما يمكن تسميته بالافكار الاشتراكية فقد ترددت على استحياء بعبارات مطاطة مثل :

٠٠ ترقية الطبقات العاملة ادبيا وماديا واعانة من لا يستطيع العمل(٣)

---

(١) شفيق غربال ـ المرجع السابق ـ ص ٢١٨ .

(٢) وهو مطلب هام يستهدف (ا) القضاء على امتيازات الاجانب فيما يتعلق بالتقاضى ٠

(ب) احلال التشريع المدنى الموحد محل التشريع الدينى الذى يحكم الاحوال الشخصية ٠

(٣) راجع النص الكامل ٠ مجلة الطليعة ٠ عدد فبراير ١٩٦٥ ص ١٥

ويحاول عزيز ميرهم أن يضع تفسيره الخاص لبرنامج الحـزب، فيقول « ان الحزب لم يأخذ بالنظرية المصطلح عليها بين كثير من علماء القانون الدستورى والقانون العام ، فى اعتباره الديمقراطية سياسية فحسب، بل عدها سياسية واقتصادية واجتماعية وخلقية معا .. ولن يكون بلدا ديمقراطيا حقـا الا اذا حقق ـ الى جانب نواحى الديمقراطية فى النظم السياسية ـ النواحى الديمقراطية الاخرى فى ميادين الاقتصاد والاجتماع والاخلاق ، وعلى هذا الاساس لا نعد البلاد الكبيرة فى القارة الاوربية ـ فيما عدا بلاد السوفييت ـ بلادا ديمقراطية بالمعنى الصحيح الصادق الكامل لان الشطر الاكبر من ثروة هذه البلاد يستأثر به نفر ضئيل من الاهلين ، بينما المنتجون الحقيقيون لهذه الثروة ـ وهم السواد الاعظم من السكان ـ محرومون من كد ايديهم وثمرات أذهانهم »(١) .

لكنه مجـرد تفسير شخصى .

كما ان الحزب ـ كما قال محمود عزمي ـ قد اهتم بحركة العمـال « وكانت لا تزال بادية فى الافق فتلقاها برعايتـه واشرف بعض الشئ على نقاباتها وتأليفها وشكاوى العمال والدفاع عنها »(٢) .

لكن هذا الخلف الذى تجمع سريعـا ما لبث ان تفرق سريعـا أيضـا .. اتجه البعض الى اليمين وربما اليمين المتطرف (الاحرار الدستوريين) .. واتجه البعض الآخر الى اليسار وربما اليسار المتطرف .

لكن ذلك لا ينهى الحديث عن هذا الحزب ولا عن تلك القوى التى تجمعت فى داخله ، فثمة اشخاص يتعين على الدارس ان يتتبع مواقفهم عبر الفترة التالية كى يمكن أن نفهم حقيقة الدوافع والافكار التى حركتهم .

ومن بين هؤلاء ثلاثة ساكتفى بالحديث عنهم فى عجالة .

هيكل .. عزمي .. ميرهم .

فكل منهم يمثل جانبا من الصورة :

هيكل : ليبرالى من اسرة اقطاعية يؤمن بالحرية ويكره الاشتراكية .

عزمى : مثقف يلعب على الحبال ويتارجح بين الاشتراكية عندما تقوى وبين خدمة الاقطاع والسير فى ركابه عندما تضعف وينتهى به الامر الى خدمة الخديو المخلوع .

---

(١) عزيز ميرهم ـ الديمقراطية ـ ص ٣٨

(٢) محمود عزمي ـ المرجع السابق ـ ص ٤٢ .

مرهم : ارستقراطى يؤمن بالاشتراكية ايمانا راديكاليا ، لكنه مجرد ايمان عقلى لا يدفعه الى اتخاذ اية خطوة ايجابية وينتهى به الامر عضوا فى مجلس الشيوخ ، وأحد وسائل الوفد لاخضاع الحركة العمالية لنفوذ البرجوازية .

هذا الحلف الذى تجمع فى الحزب الديمقراطى يستحق التأمل .. ومواقفه المستقبلية تستحق الدراسة ..

فهيكل : الذى كان يظن أن قضية الاشتراكية لن تطرح الا بعد سنوات طويلة ، والذى أقنعه الشيخ مصطفى عبد الرازق بأن أمامه ميدان فسيح للعمل مع الاشتراكيين ، لم تلبث احداث الصراع الطبقى العنيف الذى فجره اعلان تكوين الحزب الاشتراكى المصرى أن تدفعه الى أن يفصم عرى هذا الحلف ، ويعلن فى صراحة معارضته لتأسيس الحزب الاشتراكى ، فينشر فى الاهرام مقالا بعنوان « الاشتراكية فى مصر » جاء فيه (١) :

« اريد أن اسأل اخواننا الاشتراكيين : هل ترون البيئة المصرية الحاضرة صالحة لقيام مبدئكم فيها أم أنها على عكس من ذلك معادية له ، فمحاولة ادخاله اليها – فضلا عن انها عبث غير منتج – قد يكون من ورائها ارتباك يجمل بهم الا يجروا البلاد اليه .. لا شك أن اخواننا يعلمون عن يقين أن من أقوى ردود الفرديين على الاشتراكيين أن نظريتهم اذا صحت فى الصناعة فهى لا تصلح فى الزراعة ، لأن الناس فيها متبعثرون ليست بينهم جامعة ضرورية كعمال الصناعة ، ولان الملكية الصغيرة لا تزال منتشرة جد الانتشار فى النظام الزراعى .. الا يصح أن نسائل اخواننا الاشتراكيين المصريين عن مبلغ تطور نضال الطبقات فى مصر والى أى حد وصل ؟ وهل لامست فكرة النضال نفس العمال واستفزتها الى حد تمكن الاحساس بها من فؤادهم ؟ واذا صح ان كان لذلك شبه وجوده فى بعض الصناعات فهل هو موجود فى الصناعات الاخرى ؟ وهل يمكن أن يكون موجودا فى الأرياف ؟ ... فاذا قدر لحزبنا الاشتراكى أن يتولى الحكومة أول ما يتم لمصر الاستقلال أفتراه يقتصر على ترك الفلاحين كما هم ، أم هو يعمد الى الغاء الملكية حتى الصغيرة منها ؟

انني أشارك اخواننا الاشتراكيين فيما يرمون اليه من ضرورة اصلاح الطبقات الفقيرة ووضع قوانين لضمان المعيشة وما الى ذلك من النظم .. ولكن شتان بين هذا وبين الاشتراكية .. وان هذا كله ممكن التحقيق والملكية الفردية قائمة ، ولن تكون اشتراكية الا اذا الغيت الملكية الفردية .. فأما

---

(١) الاهرام ١٩٢١/٩/١٧

اذا راى اخواننا الاكتفاء بهذا والسعى له ، حتى اذا تم كان لنا أن ننظر فى النظام الذى يجىء بعده مستلهمين الراى من تاريخ تطور مصر الاقتصادى فهم طلاب اصلاح اجتماعى لا اشتراكية .. واما ان كانوا يرون البيئة صالحة لنشر الاشتراكية .. فليتفضلوا بافهامنا هذا على طريقة علمية دقيقة .. وقد يمكن بعد الاخذ والرد أن نتفاهم واياهم فما نريد الا مصلحة البلاد » .

انها محاولة ماكرة جديدة لاعادة تكبيل الاشتراكيين فى اسار حزب كالحزب الديمقراطى .. وعندما تفشل المحاولة ، يبرز هيكل قطبا من اقطاب حزب الاقطاع (الأحرار الدستوريين) .. وان كان قد ظل لوقت طويل يردد افكاراً ذات صبغة ليبرالية ، لم تنس فى اية لحظة عدائها للاشتراكية وللبلشفية وفتحت صدرها لاى هجوم عليها .. ولنتابع سريعا بعض أعداد السياسة ...

مقال بعنوان « تولستوى والثورة البلشفية »(١) والمقال فى جوهره هجوم على البلشفية واتهام لها بانها تنشر الحقد والارهاب ..

وفى رسالة من باريس حول احتفالات أول مايو هناك ، تقول السياسة « كان الحزب الشيوعى قد اغرق باريس فى عيد العمل بمنشوراته وغطى جوانب جدرانها باعلاناته ، فتساءلت « الايكو دي بارى » من اين له هذه النقود ؟ .. إن احداً ليس من البساطة بحيث يعتقد انها من جيوب العمال .. ان الحزب الشيوعى له مصادر خاصة غير العادة ، ونحن من الشجاعة بحيث نقول ان مصادره هذه فى الخارج .. فهو وكيل اكبر مشروع مخيف للخيانة وضع ضد بلادنا المسكينة » (٢) .

وفى عدد آخر تقول السياسة بعنوان « بسلام العالم » « لا ريب أن غاية غايات السياسة الروسية هى احداث ثورة عالمية لنشر المبادىء الشيوعية .. واقطاب السياسة الروسية يبذلون جهود الجبابرة لتحقيق هذه الفكرة ، بل هم يستحلون الحرب ويفضلونها على السلام لتحقيق فكرتهم هذه .. وقد ادركت أوربا هذه الحقيقة فصارت تعتمد على قواتها المسلحة اكثر من اعتمادها على المعاهدات » (٣) .

وفى عدد آخر مقالين الاول بعنوان « القضية التركستانية ، تعاضد الشعوب الروسية فى محاربة البلشفية » .. والثانى بعنوان « المشانق

---

(١) السياسة الاسبوعية ١٩٢٧/٢/١٢ .
(٢) ١٩٢٧/٥/٢١
(٣) ١٩٢٧/٦/١٨

في بلاد البلاشفة ·· أمعن زعماء السوفييت في حكم الارهاب » (١) ·

وتصف « نصر الله اسماعيلوف » بأنه رئيس الشناقين البلشفيين (٢) ·

وهكذا سلسلة لا تنتهي من الهجوم المستمر والمتعدد الجوانب في كل عدد من أعداد السياسة ··

واذا كنت سأتحدث تفصيلا في فصل قادم عن الحملة المعادية للبلشفية ، الا انني فضلت أن أشير هنا الى قليل من هذا الكثير في محاولة لاعطاء الصورة أبعادها الحقيقية ··

وإذا كانت هذه الكلمات كافية لتحديد حقيقة الاتجاهات والآراء التي دافع عنها هيكل ، فانها تصلح أيضا — وبنفس الدرجة — لتحديد طبيعة موقف هؤلاء الذين تعاونوا معه في اصدار « السياسة » مثل محمود عزمي ومحمد عبد الله عنان ·

·· اما محمود عزمي هو مثقف يعلن اشتراكيته أحيانا ويخفيها أحيانا كثيرة ، وقد كان متزوجا من روسية بيضاء لها ابن عم بلشفي معروف ·· فكان يستغل الموقف على الوجهين أيضا ··

ومحمود عزمي انتقل من الحزب الديمقراطي الى الحزب الاشتراكي ، لكن عزمي ظل طوال حياته يؤكد أنه ضد البلشفية ·· وقد أقام محمود عزمي في العشرينات علاقات مع بعض الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في أوروبا ، وفي عام ١٩٣٠ كون مع عدد من المصريين المقيمين بأوروبا « لجنة تابعة لجماعة حقوق الانسان » ·· وهو يفاخر بأن الاتحاد الدولي لحقوق الانسان قد اعلن « عداءه لكل نظام ديكتاتوري يميني أو يساري ، فاشي أو بلشفي » (٣) ··

وهو مرة اخرى يفاخر بأنه « مسجل عند الشيوعيين في عداد الرجعيين ، لانى مثقف من ناحية والمثقفون في عمومهم خصوم لذلك النظام الاحمر ، ولان لي مقالات ضد « الشيوعية » (٤) ·

وعقب بدء الحملة على الشيوعيين عمل عزمي في جريدة « السياسة » جريدة حزب الاحرار الدستوريين (٥) ·

---

(١) ١٩٢٧/٦/٢٥ (٢) ١٩٧٢/٨/٢٠

(٣) محمود عزمي — خبايا سياسية — المرجع السابق ص ٨٠

(٤) المرجع السابق — ص ٨٢

(٥) المرجع السابق — ص ٧٠

وعلى صفحات السياسة يتحدث محمود عزمى كثيرا عن الحرية وعن الديمقراطية وعن حقوق الانسان ، لكنه يسخر قلمه فى الهجوم على الاتحاد السوفيتى والبلشفية والاحزاب الشيوعية فى أى مكان ابتداء من الصين الى فرنسا .. الى النمسا ..

فهو يتحدث عن أحداث الحرب الاهلية فى الصين ، مؤكدا « ان الشيوعيين الصينيين كانوا يتلقون التعليمات والاسلحة والاموال من الملحق العسكرى السوفيتى » (١)

وتحت عنوان « فرنسا والشيوعية » يتحدث عزمى عن « الحملة الصادقة .. التى شنها ميلران عندما كان رئيسا للوزراء على جماعة الاتحاد العام للعمل .. والتى وصلت الى حد اغلاق دار هذه الجماعة اغلاقا .. » ويعود يتحدث فى ارتياح عن الهجمات التى شنها « مسيو سارو » على الشيوعية ، وعن دوره الحازم القاسى فى استجواب كاشان بشأنها .. (٢)

ثم هو يتحدث عن مظاهرات نظمها الشيوعيون والاشتراكيون فى فيينا . ويقول « واهم ما نذكره خلال ذلك كله انما هو الموقف العظيم الذى وقفه رئيس الحكومة النمساوية القس « زيبل » .. فقد قامت قيامة الشعب فى فيينا وكثرة أعضاء بلديتها من الاشتراكيين والشيوعيين ، واضطر الجيش ان يطلق رصاصه دفاعا عن نفسه ثم حفظا للنظام ، وقتل فى خلال ذلك خلق كثير .. وتقدم الاشتراكيون ومن اليهم الى رئيس الحكومة بمطالب يلحون فى تحقيقها ، وكان فى أولها استقالة الوزارة أو ادخال تعديل فيها بحيث ينخرط فى سلكها ثلاثة من نوابهم .. لكن رئيس الحكومة اظهر من الشجاعة ما أعجب من أجله العالم كله ، فوقف فى وجه الشاغبين وقفة عظيمة مجيدة وأبى أن يذعن لاى من هذه المطالب ، الا أن تقف الثورة ويعود العمال جميعا الى العمل وتستأنف الحياة العادية ، ورفض بخاصة أن يعترف لاولئك الاشتراكيين باية صفة ، ورفض أن يحدث نفسه مسئولا الا امام البرلمان وامامه مجتمعا فى جلسته لا امام أفراد النواب .. بل ذهب الى حد الامتناع عن دعوة المجلس النيابى الى الانعقاد قبل أن تهدأ الحالة تماما .. وسرعان ما تقهقر الشيوعيون والاشتراكيون أمام هذا الخلق المتين .. »

ولا يكتفى عزمى بذلك بل هو يؤكد أن موقف حكومة النمسا هو « مثال يجب أن يحتذى ازاء كل خروج على النظام » (٣) .

---

(١) السياسة الاسبوعية ١٤/٥/١٩٢٧

(٢) ١٩٢٧/٦/١١

(٣) ١٩٢٧/٨/٢٧

هكذا ينتهى الرجل تماما .. فهو يهاجم الشيوعيين والاشتراكيين على السواء ، واضرابات العمال خروج على النظام ، وتعنت الحاكم ورفضه الخضوع لارادة الشعب ورفضه عقد الجلسات للبرلمان خلق متين وموقف شجاع .

ان عزمى قد تدهور سريعا ..

وهو يواصل رحلته الى مداها .. فيعمل لحساب الخديو المعزول لعدة سنوات « سنوات كنت أعمل خلالها الى جانب الخديو باوربا بمرتب شهرى قدره مائة جنيه تضاف اليه مصاريف الاقامة فى غير باريس تجعله قريبا من المائة والخمسين » (١)

وهو مبلغ مغر بغير شك ..

واذا كان محمود عزمى قد انتهى هذه النهاية .. فان مصير عزيز ميرهم يستحق التأمل هو أيضا .. وميرهم رجل يتميز براديكاليته .. يقول الفكرة ناضجة محددة واضحة وحاسمة ، لكنه يكتفى بالفكرة ولا يرهق نفسه فى التنفيذ .. انه يفكر للاشتراكية لكنه لا يحب أن يعمل من أجلها ولا أن يضحى فى سبيلها ..

لكنه مع ذلك رجل يقول ما يريد بشجاعة ، وتستهويه التعبيرات الحاسمة ، ولا يتقبل التحايل أو المناورة فى الافكار ..

وعندما اشتد الهجوم على الحزب الاشتراكى ، وعندما بدأ سلامه موسى وغيره من قادة الحزب يتراجعون .. هاجمهم ميرهم هجوما شديدا معلنا أنهم قد خرجوا على الاشتراكية الحقة .. قال(٢) : « انهم لم يتجاسروا على أن يتحملوا أمام الرأى العام المصرى مسئولية اعتناقهم المبادىء الاشتراكية كاملة .. وأنهم بذلوا جهدهم كى يبددوا التهم التى رماهم بها خصومهم من أنهم متطرفون خارجون عن الدين هادمون لنظم البلاد الاجتماعية ولقوانينها الوضعية .. فتنصلوا جميعا من تهمة التطرف .. ويؤخذ من أقوالهم أن الاشتراكيين المصريين يقررون أن النظم الحالية نظم مرضية يحتفظون بها مع تغيير بسيط لا يمس جوهرها .. وهذا وجه ضعفهم ..

أولا : لانهم بذلك قرروا أن وجودهم وان كان مستحسنا فهو غير ضرورى .

---

(١) محمود عزمى – خبايا سياسية – المرجع السابق – ص ١٢٦

(٢) الاهرام – ١٩٢١/٩/٢٠

ثانيا : لانهم بالغوا فى رضاهم عن الانظمة الحاضرة حتى تهاونوا فى الاصلاحات التى ينشدها الاشتراكيون الاصمام ، وكانت النتيجة أنهم اكتفوا بأن يأخذوا من الاشتراكية اسمها ـ والاسم فقط ـ دون مبادئها ، وكانوا فى الواقع أول الهادمين لوجودهم •

•• ثم ادان ميرهم هجوم بعض قادة الحزب على البلشفية وقال : « وصل الاشتراكيون المصريون فى مجاراة الرأى العام أن انكروا البلشفية وطعنوا فى مبادئها ، مع ان البلشفية اصابت او اخطات ـ هى على كل حال من الاشتراكية •• وانى كنت أود الا يكون اخواننا الاشتراكيون « تفتازانيين » أكثر تفتازانية من التفتازانى * ، والا يرموا البلشفية ـ رغم غلطاتها ـ بطعنات صدروا بها بياناتهم ولم يتثبتوا منها مبدئيا •

••

فان البلشفية لم تحقق اخفاقا يكاد يكون تاما ـ كما يزعمون ولم تنشر على ربوع البلاد الروسية الروية الدمار والخراب كما يزعمون ، انما البلشفية ناهضة حية •• والبلشفيون عاملون على تعميم المدارس للمولودين وانشاء حدائق للاطفال وملاجىء للشيوخ ومستشفيات للعموم •• وأصبح الغذاء عندهم مشاعا ومخازن البلديات تصرف للأفراد حاجياتهم ، ويدفعون ثمنها من عملهم دون وساطة التجار وأصحاب المصارف • والشعب يختار نوابه وله حق اقالة من يفقد ثقته ، والناس جميعا يعيشون عيشة عادية منظمة •• وان ما يأخذه أعداء البلشفية برهانا على تخريبها للبلاد الروسية هو برهان فاسد ، فالمجاعة راجعة الى اسباب جوية طبيعية محضة •• انى لا أقول بان البلشفيين لم يرتكبوا اغلاطا فظيعة ، ولكن هذا شأن القائمين بتحقيق الانظمة الجديدة لا بالتطور بل بالقوة ، أى باستعمال العنف والقلب الفجائى •• ولكنى أرى انه من الفضيحة بالنسبة لهم ، وبصفتهم اشتراكيين ، أن يطعنوا على البلشفية ويفترون عليها لكراهيتهم لوسائلهم » ••

•• وهكذا فاذا كان أعضاء الحزب من اشتراكيى الدولية الثانية والفابيين قد أصبحوا « تفتزانيين » أكثر من « التفتازانى » •• فان ميرهم ـ وهو خارج الحزب وبالرغم من انتقاداته للبلشفية قد دافع عنها بحيث بدا وكانه بلشفى أكثر من البلاشفة ••

وفى مجال آخر يتقدم ميرهم أفكارا جريئة •• فهو يوجه رسالة الى صاحبة جريدة الامل بعنوان « الثائرة » يقول فيها : (١) •

---

* الشيخ التفتازانى هو أحد الذين شنوا حملات ضارية ضد الاشتراكية وضد الحزب الاشتراكى فى ذلك الحين •

(١) الامل ١٤/١١/١٩٢٥

« الجمهور يتابع ثورته التي لم تتحقق أغراضها بعد » .

ويتحدث عن الثورة فيقول « ليست الثورة فى اعمال الهدم والتخريب ولا فى اراقة الدماء والقضاء على الانفس .. وانما الثورة فى قلب القديم الفاسد المنحل وفى الانشاء والتجديد .. فهى دليل الصحة ، دليل القوة ، دليل الحياة » .

ويقول « بالطبع اننا نستحسن عدم الثورة ، ونستحسن الاخذ بنواحى الاصلاح عن طريق التدرج والتطور .. ولكن ما العمل اذا كانت هناك مقاومة ؟ ما العمل اذا كانت هناك عناصر قوية رجعية تؤخر الجماعة دون أن تسير بها حسب السنن الطبيعية للتقدم العالمى ؟ ما العمل اذا تفشى الفساد فى البلاد بدرجة تجعل النفوس تيأس من كل اصلاح تدريجى ، فتوقن ان الهدم أسرع طريق للبناء من مجرد المعالجة » .

« ان الشعب ثائر لا محالة ، ثوران القوى المعتز بحقه ، ثوران الصحيح الحريص على صحته ، ثوران كل كائن يريد الحياة فيقاوم عوامل المرض والفناء » .

.. وهو فى مقال آخر يعلق فيه على برنامج جريدة الامل .. يقول « انه من انتصار التجديد الحاسم ، من انتصار معالجة أمور الجماعة باستئصال الداء منها لا باستعمال المخدر أو الملطف من الادواء » . (١) .

.. لكنها مجرد كلمات جميلة وثائرة .. فصاحب هذه الكلمات لم يسهم بأى عمل سوى هذه الكلمات الجيدة .. وفى عام ١٩٢٩ نجد اسمه ضمن اعضاء مجلس الشيوخ .

.. وفى عام ١٩٣٠ يحاول أن يخضع الطبقة العاملة لقيادة الوفد .. وفى عام ١٩٤١ يلقى محاضرات فى الجامعة الامريكية .. يقول فيها أن « الاشتراكية السمحاء بعيدة عن حرب الطبقات وعن الطفرة والعدوان ومصادرة الاموال » .

ويتحدث عن العلاقة بين العمال واصحاب الاعمال فيقول انها « بدأت تتجه نحو الصفاء والشعور بضرورة التعاون لمصلحة الانتاج العامة وللمصلحة الخاصة للعمال واصحاب الاعمال جميعا ، وترفع الولايات المتحدة

---

(١) عزيز ميرهم ـ الديمقراطية ـ المرجع السابق ـ ص ٤١

الامريكية لواء الزعامة في نشر هذه الآراء الحديثة »(١)

لكنه مع ذلك يقرر في نفس المحاضرة « ان البلد المخلص في مبادئه ، العظيم في اقتصاده ، هو الإتحاد السوفيتي .. وهو محط الانظار لجميع الاحرار ، والموئل الذي تلجأ إليه الديمقراطية الصادقة »(٢) ..

لكنني أستطيع أن أقرر أن عزيز ميرهم رغم كلماته الحاسمة والواضحة ، ورغم أنه اكتفى بمجرد الكلمات ، قد مر في تاريخ الفكر المصري مرورا عابرا دون أن يترك اثرا يذكر .. وربما كان ذلك لانه اكتفى بمجرد الكلمات .

والحقيقة ان الانهيار السريع ، والذي يشبه الى حد كبير حالة الوفاة بالسكتة القلبية ، الذي أصاب الحزب الديمقراطي .. لم يكن سوى تعبيرا عن عجز افكار الدولية الثانية عن أن تنبت في مصر نباتا اصيلا .. ولسوف نرى أن انهيار التحالف الذي كونه الحزب الاشتراكي كان أيضا تعبيرا عن نفس الظاهرة .

وقائمة اشتراكي الدولية الثانية كثيرة ..

الدكتور على العناني أستاذ الفلسفة وهو أحد الاربعة الذين وقعوا بيان تأسيس الحزب الاشتراكي ، يعلن انه « يمقتها كل المقت ، وانها تتنافر مع طبيعة الوئام الانساني العام » .. وهو يعلن ان اشتراكيته هي الاشتراكية العلمية العملية المعتدلة (٣) .

وهناك حسني العرابي أحد الاربعة المؤسسين أيضا .. فهو بالرغم من أنه تزعم فيما بعد عملية تحويل الحزب الى حزب شيوعي ينتمي للدولية الثالثة ، الا انه يتعين علينا أن نذكر أنه قد ترجم في مطلع العشرينات كتاب « الحركة الاشتراكية » لرامزي ماكدونالد .. وقدمه للقارىء المصري قائلا انه رئيس الحكومة الانجليزية وزعيم « الدولية الثانية » .

وقد اكتفى العرابي بالترجمة ولم يكتب اى تعليق او مقدمة ، لكن مجرد ترجمة كتاب كهذا تمثل بالنسبة لنا دلالة هامة ...

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق ـ ص ٥٢ .

(٣) الاهرام ١٩٢١/٨/١٩ . وفي وقت لاحق (١٩٣٠) نشر د. على العناني مقالا في مجلة كل شيء أكد فيه تمسكه بالفلسفة الهيجلية واساسا ـ بفكرة الاحادية Monoisem فيها ويربط بينها وبين فكرة التوحيد في الاسلام .

ـ ولست أريد أن أستعرض هذا الكتاب ، لكنني سأكتفى بإشارة واحدة ·· ففى الكتاب الذى ترجمه حسنى العرابى سكرتير الحزب فصل بعنوان « ما ليس من الاشتراكية » ··

وتحت هذا العنوان كلمتان « الفوضوية والشيوعية » (١) ·

أما رابع الاربعة المؤسسين للحزب الاشتراكى فهو « محمد عبد الله عنان » ··

ومحمد عبد الله عنان « نموذج كلاسيكى لمدرسة الدولية الثانية » ··

وعنان واحد من الذين سارعوا الى التراجع تحت وطأة الهجوم المحموم الذى شنته الرجعية على الحزب ·· فهو ينشر مقالا بعنوان « الاشتراكية المصرية لا تدعو الى ثورة أو فوضى » (٢) ·

وأشاد فى هذا المقال بمقالى « الرفيق » سلامه موسى و « الرفيق » على العنانى ·· وتحدث عن الفروق بين الشيوعية والاشتراكية فقال : « أما اقتران الاشتراكية بالفوضى والشيوعية فهو خطأ جسيم ، لان الشيوعية تقوم على اعتبار الثروة كتلة عامة يستمد منها المستهلك حاجته ، لا بالنسبة الى خدماته ولكن وفقا لحقوقه الطبيعية فى أن تسد حاجاته ·· أما الاشتراكية فانها تعلق المنح على قوة الانتاج وقيمة الخدمات ، فكلا المبدأين يتفق فى توحيد الثروة ولكنهما يختلفان فى تحديد حقوق الفرد بالنسبة اليها ، لان الاشتراكية تقرر التوزيع طبقا للكفاءة الشخصية ، والشيوعية تقرره طبقا للحاجة البشرية · ان القول على اطلاقه بأن الاشتراكية ترمى الى محو الملكية الشخصية خطأ شديد كخطأ قرنها بالفوضى ، فالاشتراكية لا تريد الا القضاء على النتائج السيئة التى تؤدى اليها الملكية الشخصية بشكلها الحاضر وتحقيق أنظمتها العادلة المستطاعة ·

·· ان الاشتراكية لا تحتم الغاء الوراثة ولا تعترض عليها الا حيث تفضى الى ادقاع السواد الاعظم ·· وبالجملة فان برنامج الاشتراكية الاقتصادى يرمى الى تحطيم نظم الاستثمار والاستغلال بتحديد حق الملكية الشخصية ·· أما المساواة فى الاشتراكية فليست مساواة فى الحالة الاجتماعية مطلقا ، وما هى الا مساواة فى « الفرص » فيبدأ الطفل حياته وجميع الابواب مفتوحة فى وجهه ، فلا يغلق ثمة منها فى وجهه ما يستطيع

---

(١) رامزى ماكدونالد ــ الحركة الاشتراكية ــ ترجمة محمود حسنى العرابى ــ ص ٨٧

(٢) الاهرام ٢٥/٨/١٩٢١

ولوجه .. ان استبداد رأس المال هنا شبائن بالغ حد الارهاق ، وأن استئثار طائفة برأس المال هنا يقترن به طغيان فادح يوضحه لك عنف أصحاب الضياع بالفلاح البائس التعس » .

الى هنا والكلمات لا غبار عليها فهى قد تكون مقبولة ـ الى حد ما ـ من كلا الطرفين الاشتراكيين والشيوعيين ..

لكن الصدام الحقيقى يبدأ عندما يقود عنان الحملة ضد الاتجاه الذى تزعمه حسنى العرابى ومارون وصفوان أبو الفتح بضرورة الانضمام للدولية الثالثة .

وانفصل محمد عبد الله عنان عن الحزب معلنا اعتراضه ..

وانفصل ليعمل هو أيضا فى رحاب « الاحرار الدستوريين » فى مجلة « السياسة » ومجلة السياسة ليست بحاجة الى مزيد من الايضاح .

لكن المهم أن محمد عبد الله عنان واصل الكتابة فاصدر سلسلة من الكتب شرح فيها آراءه فى الاشتراكية ... والشيوعية ..

والحقيقة أن عنان قد حيرنى كثيرا فهو فى أحيان يمجد البلاشفة والماركسيين ، وفى أحيان أخرى بل وبعد صفحات قليلة يهاجمهم . ولنتأمل أحد كتبه « تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة » (*) ..

فهو يتحدث عن ماركس قائلا انه « رجل من ائمة الثورة واقطاب الهدم (**) وهو من أعظم دعاة الشيوعية بل هو واضع أصولها العلمية ومنظم أساليبها الثورية » (١) .

« وقد أفهم ماركس وانجلز العالم ان الاشتراكية ليست عطفا على بؤساء المجتمع من ذوى الافئدة الرقيقة والطبائع البارزة بل هى بالعكس انقلاب اجتماعى هائل وانه لا خلاص للعمال ولا فوز الا بصراع هائل ينشب بينهم وبين الطبقات الحاكمة المستأثرة بالثروة والسيادة وكانت آراء ماركس وانجلز المنطقية ضربة ساحقة للمثالية والطوباوية فقويت الاشتراكية واشتد ساعدها حتى اصبحت صراعا ماديا واضحا بين الطبقات وارتفع ما حاق بها من الغموض واصبحت قضية يدركها الفرد العادى .. فشعر العامل بقوة التضامن مع رفاقه من كل البلاد ودوت فى أذنه صرخة ماركس وانجلز « يا عمال العالم اتحدوا » (٢) .

(*) صدر فى ١٩٢٦ عن دار الهلال .

(**) يستخدم المؤلف كلمة الهدم كبديل لكلمة التغيير .. وهو يقصد بالحركات الهدامة الحركات التى تستهدف تغيير نظم الحكم بالقوة بغض النظر عن تقويم أهدافها ذاتها .

(١) ص ١٨٦ (٢) ص ١٨٩

.. وبعد أن شرح شرحا مستفيضا نظرية ماركس ولخص تلخيصا وافيا « البيان الشيوعى » ينتقل ليقول « كلمة موجزة عن الرجل الذى استطاع بعزمه الفياض وذكائه الخارق أن يجعل مثل ماركس حقيقة واقعة وان يقيم بمؤازرة زملائه أول جمهورية اشتراكية فى التاريخ .. ذلك الرجل هو لينين ، اعظم تلاميذ المدرسة الماركسية وأعظم دعاة الثورة العالمية ، ومنشىء الدولية الشيوعية الثالثة وأول رئيس لجمهورية روسيا الاشتراكية (١) .

.. « وقد ظهرت مواهب هذا الرجل العبقرى رائعة خارقة فقد استطاع فى غمار هائلة من الصعاب والخطوب أن يسير دفة المجتمع الجديد ، النفذ فى نظمه وغاياته بمهارة مدهشة واستطاع أن يرعى الثورة الفتية .. ولم يمض عام حتى كانت الجمهورية الجديدة قد اجتازت أشواطا فى سبيل النظام والاستقرار » (٢) .

وبعد مديح طويل للينين والبلاشفة وللاتحاد السوفيتى .. يعود عنان ليتخذ الموقف النقيض ويبدأ الهجوم بعد صفحتين فقط ..

.. « الدولية الشيوعية قوة خفية .. فكرة يحملها جيش هائل من الدعاة يجتاحون أرجاء العالم ، تشهد أعمالهم ولا تراهم ، وتهيمن أشباحهم المظلمة فى أفق كل اضطرابات وثورة ، ويهرع الى لوائهم كل ناقم وبائس ومغامر .. هذه هى الدولية الشيوعية التى تقبض موسكو على ناصيتها ويسيرها خلفاء لينين وتلاميذه » (٣) .

.. ويقول « ولكن الدولية لا تستطيع رغم جهودها أن تقنع السواد باعتناق أهدافها الخلابة ومثل روسيا قائم يشهد بأن التجربة الشيوعية كانت خيبة ، وان تعاليم ماركس ما زالت حلما وحشيا لم تحقق منه الا لمحات ضئيلة » (٤) .

.. كل هذا التناقض فى كتاب واحد .. بل وفى صفحات متقاربة .. ولعله يفسر فى ذاته ذلك الاضطراب والخلط والتناقض الذى يقع فيه واحد من اشتراكيى الدولية الثانية عندما يحتمى من موجة العداء للاشتراكية فى رحاب حزب الاقطاع ..

---

(١) ص ٢٠٥ (٢) ص ٢٠٧
(٣) ص ٢١٠ (٤) ص ٢١٢

.. وثمة مثقفون آخرون غير هؤلاء كانوا هم أيضا أصداء مصرية لفكر الدولية الثانية ومن هؤلاء حسين نامق (*) .

وحسين نامق يقول عن نفسه وعلى غلاف كتابه أنه خريج جامعة اكسفورد ، والكتاب عبارة عن أسئلة وأجوبة حول الاقتصاد السياسى .. وفى الكتاب فصل عن الاشتراكية .. ولنتأمل الاسئلة .. والاجوبة (**) .

س : ما هى الاشتراكية ؟

ج : هى التعاون الاجبارى فى الانتاج .

س : ما المراد بالتعاون الاجبارى ؟

ج : أن يكون منظما وتحت اشراف الحكومة .

س : فيم يكون التعاون الاجبارى ؟

ج : فى جميع المرافق الانتاجية كالسكك الحديدية والتلغراف والتليفون والبريد والطرق الزراعية والمعامل والمصانع والحقول وغيرها .

س : ما نوع الحكومة التى يكون تحت اشرافها التعاون الاجبارى ؟

ج : يجب أن تكون حكومة ديمقراطية لا مركزية بمعنى أن يعطى الحكم الذاتى لكل اقليم ولكل بلد ولكل قرية .. حتى يتسنى لجميع الافراد الاشتراك فى ادارة شئون أمتهم .

.. ثم اسئلة أخرى أكثر صراحة ..

س : ما رأى الاشتراكيين فى الملكية ؟

ج : يرون أن يقضى على التملك الفردى لتصبح الارض وما عليها مشاعة بين الناس ينتفعون بها على السواء والملكية فى نظرهم هى السرقة والاختلاس ..

س : ما رأى الاشتراكيين فى رأس المال ؟

ج : يرون جعل رؤوس الاموال مشتركة بين جميع الناس حتى يصبح كل أفراد الامة ممولا فى هذا المال المشترك .

س : ما رأى الاشتراكيين فى المرء العاطل ؟

(*) مؤلف كتاب خلاصة الاقتصاد ونبذة من التاريخ الاقتصادى .

(**) المرجع السابق ص ١١٤ . ويلاحظ أن أسلوب الاسئلة والاجوبة كان اسلوبا معتمدا فى الكتابات الماركسية فى أوربا فى ذلك الحين .

جـ : العاطل غنيا كان أو فقيرا لص لانه يأخذ من مال الآمة ولا يبذل لصالحها ..

وتتوالى أسئلة وأجوبة أخرى كثيرة أهم ما يلفت النظر فيها أنه يقول ان « اتباع كارل ماركس يسمون بالاشتراكيين الفنيين » (١) ..

وأن من حسنات الاشتراكية أنها تنادى بنشر التعليم المجانى وبابطال الحروب وبمنع الخمر ..

وان من مزايا الاشتراكية أنها « حركت فينا عواطف الشفقة والمحبة نحو الطبقة الفقيرة وانها غير راضية عن الحكومات الاستبدادية وأنها لا تنافى الديانات الحقة .. »(٢) .

.. ولكن أخطر ما يقوله نامق فى كتابه هو تأكيده أن الاشتراكية يمكن أن تنشأ فى ظل النظام الاجتماعى والدستورى الحالى نافيا أن الاشتراكية تسعى لتغيير هذا النظام .. فهو يسأل « هل الاشتراكية مشتقة من النظام الدستورى الحالى ؟ والجواب نعم وبيان ذلك أن كثيرا من الحكومات الآن تملك أو تدير أغلب المرافق الانتاجية ، والاشتراكية تنادى بجعل هـــذه المرافق تحت اشراف الحكومة ولكن على نطاق أوسع وأهم مما هى الآن .. (٣) .

ولا ينسى المؤلف بطبيعة الحال أن يدعو لحزبه .. فثمة سؤال « هل ظهرت الاشتراكية فى مصر ؟ .. » والجواب « نعم نهض نفر من اخوان العمل فى مصر والفوا حزبا يسمى بالحزب الاشتراكى المصرى .. » .

وسؤال آخر .. « هل لهذا الحزب مبادىء معلومة ؟ .. نعم له مبادىء تنقسم الى ثلاثة أقسام وهى سياسية واقتصادية واجتماعية .. »(٤) .

ثم يستطرد فيورد تقريبا النص الكامل لبرنامج الحزب ..

.. واذا كانت أفكار حسين نامق هى نموذج لتأثر الطالب المصرى فى جامعة أكسفورد بأفكار حزب العمال البريطانى فثمة طلاب آخرون تأثروا بالاحزاب الاشتراكية الاوربية الاخرى .. البعض بالحزب الالمانى مثل عصام ناصف عبد الفتاح القاضى وآخرون .. والبعض بالتيارات الاشتراكية فى فرنسا وهؤلاء هم أعضاء الجمعية المصرية فى باريس ..

---

(١) ص ١١٨ — (٢) ص ١٢٩

(٣) ص ١١٥ — (٤) ص ١٢١

والجمعية المصرية فى باريس تكونت فى الاساس كتجمع لشباب الحزب الوطنى هناك يستهدف تعبئة الجهود المصرية فى الدعاية للقضية الوطنية أمام مؤتمر الصلح ، لكن هذه الجمعية سرعان ما اتخذت اتجاها يساريا ..

فمؤسسا الجمعية خليفة بوبلي وعبده جوده كانا عضوين فى الجناح اليسارى لحزب حقوق الانسان بفرنسا شعبة الحى الخامس بباريس وقد استطاعا أن يقيما علاقة وثيقة بين الاشتراكيين الفرنسيين وبين هذه الجمعية ..

فاقتنعا « لوسيان باركسيو » رئيس شعبة الحى الخامس بالدفاع عن القضية المصرية فى مؤتمر الحزب » (١) .

كذلك أقامت الجمعية علاقة بالحزب الاشتراكى الفرنسى وخاصة بزعيمه مارسيل كاشان ، وقد قام كاشان بزيارة مقر الجمعية معربا عن تأييد حزبه للقضية المصرية واستعداده لمساعدتها بكل ما فى وسعه ثم طلب من الاعضاء أن ينتدبوا أحدهم ليشرح للطلبة الاشتراكيين أصل المسألة ويفهمهم ما يغيب عنهم من تفاصيلها » (٢) .

وبالفعل أرسلت الجمعية ثلاثة من أعضائها الى مؤتمر نظمه الحزب الاشتراكى الفرنسى ليشرحوا تطورات القضية المصرية . وفى ختام الحفل هتف الاشتراكيون الفرنسيون « لتحيا مصر » ووقف المصريون والفرنسيون معا لينشدوا نشيد الدولية » (٣) .

كذلك قام كاشان بتقديم عدد من ممثلى الجمعية الى بعض مساعدى ويلسون فى مؤتمر الصلح ..

وعندما وصل سعد زغلول والوفد المصرى الى باريس اقام الحزب الاشتراكى الفرنسى وحزب حقوق الانسان حفل تكريم له رأسه مارسيل كاشان .. »

والقى مارسيل كاشان كلمة قال فيها « اذا كنتم قد طرقتم أبواب الاستعماريين فاقفلوها فى وجوهكم فان الشعب الفرنسى يفتح لكم أبوابه » (٤) .

---

(١) محمود ابو الفتح ـ المسألة المصرية والوفد ـ ص ١٣ .
(٢) المرجع السابق ـ ص ٢٣٤ .
(٣) المرجع السابق ـ ص ٢٣ .
(٤) المرجع السابق ـ ص ٣١ .

وقد اهتمت الجمعية باقامة علاقات بالحزب الاشتراكى الايطالي وبكثير من القوى اليسارية فى أوروبا ..

واذا كانت ثورة ١٩١٩ قد اتخذت لنفسها راية وطنية هى رقعة خضراء وثلاث نجوم رمزا للديانات الثلاث .. فان الجمعية المصرية فى باريس اختارت علما أحمرا ذا ثلاث نجوم .

ولامد طويل ظل العلمان الاخضر والاحمر يرفرفان فى سماء مصر ..

كذلك عندما وصل الوفد الى باريس حاول أعضاء الجمعية اقناعه بانه لا جدوى من أحزاب اليمين وأنه لا سبيل سوى التحالف مع الاحزاب اليسارية ورفض سعد زغلول ذلك ..(١) .

واذا كان الوفد يميل الى البحث عن حل وفاقى ، بينما تطالب الجمعية المصرية وهى فى الاساس تجمع لشباب الحزب الوطنى عندما يندفعون يسارا فينادون بضرورة اتخاذ موقف صارم وحاسم وهو « لا مفاوضة الا بعد الجلاء التام » ..

فلابد أن يحدث صدام ..

ويتزعم هذا الصدام شابان يساريان متأثران بالحزب الاشتراكى الالمانى هما مجد الدين حفنى ناصف وعصام الدين حفنى ناصف .

ويقول عصام انه قال لسعد « اننا نسحب منك الثقة » فامتعض سعد قائلا انه يمثل الامة كلها وليس حفنة من الطلبة » (٢) .

.. كذلك يبدو أن الجمعية المصرية قد أزعجت الوفد لانها بدأت تمد نشاطها الى مصر وتؤسس لها فرعا بالقاهرة وتجمع التبرعات وتحرض الشعب على المقاومة ورفض التهادن ويبدو أنه عندما وقع الخلاف امتنع الوفد عن تمويل نشاط الجمعية فلجأت الى جماهير الشعب المصرى التى تبرعت لها بسخاء ..

وينزعج الوفد من ذلك كله ويرسل على ماهر من باريس رسالة سرية الى عبد الرحمن فهمى تقول : « يظهر ان مسألة الجمعية المصرية قد اتسعت أخيرا وذلك لعطف البلاد على أعضائها ومساعدتهم بالأموال وايجاد لجنة لهم فى مصر .. وظاهر أن مثل هذه التصرفات لا تتفق مع وحدة

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٩٠ .

(٢) راجع محضر النقاش مع عصام الدين حفنى ناصف ـ الملاحق .

العمل ووحدة الوجهة فانهم مهما كان شعورهم عظيما يقعون فى الاغلاط كثيرا ، ولا يؤمن عليهم من غير اشراف الوفد ، ولذلك يكون الاولى أن يترك الامر للوفد فهو يقدم لهم ما يلزمهم من النقود ويشرف على أعمالهم بوجه الاجمال ..

.. وانى من وقت وصولى كان همى ضم الجمعية للوفد حتى يعامل اعضاؤها كابنائه ويساعدهم بكل ما يلزمهم الا انهم كانوا فى غاية العناد واشدهم عنادا هو مجد الدين أفندى ناصف فلذلك أرى أنه اذا عاد ليخدم القضية فى مصر يكون أصلح للوفاق هنا » (١) .

لكن هذا الصدام لا يعنى أن سعد زغلول لم يكن يدرك اهمية الحركة اليسارية فى أوربا أو أنه لم يحاول الاستعانة بها ..

فسعد كان يحاول اللجوء الى الحركة الاشتراكية ولكن بقدر محدود بحيث لا يسمح للانجليز باتهامه باليسارية ..

فهو يكتب مقالات فى الاومانيتيه وفى الديلى هيرالد ..

كذلك قام الوفد فى ٩ نوفمبر ١٩١٩ بارسال مذكرة الى المؤتمر الاشتراكى الدولى تحدث فيها « عن مطالب مصر وما تنتظره من الاشتراكيين من العون والمساعدة .. وأخذ يبرهن على ان الاسلام يتفق مع روح الاشتراكية .. ثم اشار الى روح التضامن التى بين المزارع وصاحب الارض والى مسألة الاوقاف الخيرية وقال ان الرابطة الزوجية عندنا تعادل الرابطة الحرة التى يقول بها الاشتراكيون ..

ومع المذكرة أربعة ملحقات عن التعليم والانظمة السياسية والمالية العامة والمسألة الاقتصادية » (٢) .

وفى ٥ ديسمبر ١٩١٩ أرسل الوفد مندوبين رسميين عنه للادلاء باقوالهم أمام اللجنة المركزية لحزب حقوق الانسان .. وكان مندوبوا الوفد احمد لطفى السيد ، مصطفى النحاس ومحمد على (٣) .

وعقب المناقشة قررت اللجنة المركزية تأييد القضية المصرية وعقد سلسلة من المحاضرات لشرحها .

وفى ١١ ديسمبر نظم الحزب اجتماعا جماهيريا تحدث فيه واصف بطرس غالى وفى نهاية الاجتماع أعلن المجتمعون أنهم « يرسلون الى الشعب

---

(١) محمد انيس ــ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ــ ص ٢٥٢ .
(٢) محمود أبو الفتح ــ المرجع السابق ــ ص ١٣٩ .
(٣) المرجع السابق ــ ص ١٤٩ .

المصري سلامهم وأمانيهم ٠٠ ويرجون أن ينال هذا الشعب النبيل أمانيه الشرعية في ظل السلام » ٠

٠٠ وفي ٤ أغسطس أرسل الوفد برقية الى هندرسن رئيس المؤتمر الاشتراكي المنعقد بلوسرن وقد احتج الوفد في برقيته على معاهدة الصلح طالبا باسم مصر عون المؤتمر الاشتراكي على الظلم القاسي الذي حاق بمصر » (١) ٠

كذلك قرر الوفد أن يقدم نوعا من المساعدة المادية لجريدة « الاومانتيه » فتبرع لها بمبلغ ١٥٫٠٠٠ فرنك لكن مجلس ادارة الجريدة رفض – من ناحية المبدأ – قبول هذا التبرع ، فأرسله سعد زغلول الى الاكتتاب كان مفتوحا لتخليد ذكرى الزعيم الاشتراكي « جوريس » (٢) ٠

لكن كل هذه العلاقات لم تكن أكثر من محاولة للاستفادة من اليسار دون أى ارتباط به ٠

وعندما أشارت الجازيت في ١٩ مايو ١٩٢١ الى أن سعد أدلى بتصريحات لجريدة الديلي هيرالد والمحت الى عطفه على مبادىء حزب العمال سارع الى نفي ذلك قائلا « أدهشني ما قرأته في صحيفتكم عن ارتياحي لخطة الديلي هيرالد الاجتماعية ٠٠ ولكنني أقول لكم ولقرائكم انني لست ممن يهتمون بالباحثات في هذه الشئون الاجتماعية ، وانى لا أجهد نفسي في أمر الكومونة أو البلشفية ٠٠ اذ ليست عندى أى فكرة عن هذه الوجهة » ٠٠

وفي الوقت الذى كان الوفد في باريس يتلمس تأييد اليسار كان سعد يرسل سرا الى عبد الرحمن فهمي مؤكدا « أن الوفد غير راض عن المنشورات التي تتضمن الانتصار للبلشفيك ، فان هذه المنشورات يستفيد منها أعداؤنا » (٣) ٠

وهكذا فاذا كانت علاقات التيارات المختلفة باليسار الاوربي وبحركة الدولية الثانية يمكن تفسيرها بمضامين سياسية أو اجتماعية ، فان علاقات الوفد المصري بهذه الحركة كانت موقفا عمليا بحتا يستهدف الاستفادة من هذه القوى فحسب ٠

فسعد زغلول كان قد حسم الامر أكثر من مرة معلنا أنه ضد الاشتراكية ٠

---

(١) محمود أبو الفتح – مع الوفد المصري – ص ٨٦
(٢) عبد العظيم رمضان – المرجع السابق – ص ٢٠٩
(٣) محمد أنيس – المرجع السابق – ص ٢١

[illegible] (١).

[illegible]

[illegible]

[illegible] (٢).

[illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]

الماركسية

وكما وجدت المدارس الاشتراكية الاخرى كان طبيعيا أيضـا أن تجد الماركسية نفسها دعاة مخلصين فى مصر ··

·· والغريب فى الامر أن هؤلاء الدعاة قد وجدوا فى وقت مبكر جـدا ، فى وقت لم يكن يتخيل فيه انسان أن الماركسية قد وجدت طريقها الى مصر ··

وليس بالامكان – للاسف – أن يتقدم الانسان حصرا متكاملا أو حتى شبه متكامل للافكار الماركسية التى ترددت فى ذلك الحين ··

فان الكثيرين قد عبروا عن هذه الافكار فى همس وسرية ، والمؤرخون أجمعوا على تعمد تجاهل هذه الافكار ، وما يعثر عليه الان يتطلب بحثا مضنيا وجهدا شاقا ·· لكننا مع ذلك سنحاول أن نقدم بعض النماذج للافكار الماركسية التى ترددت فى مصر فى هذا الوقت المبكر ··

واول ما نعثر عليه هو مقال بغير توقيع ، منشور فى مجلة المؤيد فى عام ١٨٩٠ تحت عنوان « الاقتصاد السياسى » كل ما نعرفه عن كاتبه أنه « احد الفضلاء القراء »(١) ·

ولنقرأ معا كلمات الرجل الذى لا نعرف اسمه ، واضعين فى الاعتبار بطبيعة الحال أنه يستخدم أسلوب عصره فى الكتابة ·

« **فى مسالة اقتسام الأموال** » :

« اذا كانت الاموال كمية غير محدودة ، فليس من حاجة تلزمنا البحث عن كيفية اقتسامها اذا كنا نترك كل انسان يأخذ منها ما يشاء ·· نعم أن الاموال ليست كمية محدودة ، ولكنها تقرب من ذلك ·· **فيجب حينئذ اقتسامها بالعدل على قدر الامكان** ·· ولهذا تعددت المذاهب ولكل مذهب قاعدة ، فمن قائل أنه ينبغى أن يكون لكل انسان على قدر احتياجه ·· ومن قائل أنه يجب أن يكون لكل انسان على قدر شغله ·· وهذا القول يمكن توجيهه الى معنيين : الاول اعتبار التعب والمشقة ، والثانى اعتبار

---

(١) منتخبات المؤيد لعام ١٨٩٠ – ص ٢٩١ ·

النتيجة فينقسم الى مأتين القاعدتين لكل انسان على قدر ما يتعب ، ولكل انسان على قدر ما ينتج ..

وهناك مذهب آخر يقول : لا يلزم البحث عن قاعدة بها تقتسم الاموال بالعدل ، لان ذلك أمر طبيعي ، فهي مقسمة بنفسها كالماء يتبع الانحدارات

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن أحاظ قسمت وجدود

فنجيب على هذا المذهب الاخير قائلين انه اذا كان الماء يتبع الانحدار فهذا لا يمنع الجنايني أو المهندس أن يفرقه كما يشاء بواسطة جداول صناعية ، وحسب نواميس علم اجراء الماء وارتفاعه .. فواضع القانون يمكنه أن يعمل ذلك فيما يختص بتفريق الاموال ، لان الملكية الشخصية والمبادرة في الاعمال هما العاملان اللذان يحكمان تفريق الاموال في جمعيات (مجتمعات) زمننا ، وهما قانونان صناعيان وعلى فرض كونهما طبيعيين فمن الممكن تعديل ما ينتج عنهما ونحن نشاهد ذلك في كل لحظة ..

.. وسنشرح لك مضمون هذا .. **فينبغي على ذلك أن بحثنا على الطرق التي بها يمكن تقسيم الاموال بين الافراد بالقسطاس المستقيم ينجم عنه بلا ريب فوائد جمة حينما نبصر أن تقسيمها في الوقت الحاضر مخالف للعدل .**

. ولذلك سنأتي على جميع ما ذهب اليه العلماء على التوالي فنقول :

مذهب المساواة :

هذا المذهب يريد مساواة حصص أفراد الناس معتصما بأنه لا داعي الى اعطاء الواحد أكثر من الاخر ، وبساطة هذا المذهب قد هيأت له مكانة في صدر أهل العصور الأولى ... وفي الواقع أن واضعي شرائع القدماء كمينيس المصري وليكبرج اليوناني ورومليس اليوناني قد قسموا الارض بالمساواة بين العائلات ، وكانوا يعيدون تقسيمها بعد زمن محدد عندما تضعف المساواة السابقة ..

ولكن هذا المذهب لا يمكن قبوله فعلا الا في جمعية صغيرة من الناس وفيما يخص نوعا واحدا من الاموال التي هي الارض .. فليس من الممكن تقسيم الاموال التي توجد في بلد كفرنسا الى سبعة وثلاثين جزءا .

ثم يتحدث الرجل عن الشيوعية ويدافع عنها قائلا :

« وبعض دعاة المساواة يذهبون الى دعم تقسيم الاموال ويستحسنون التمتع بالملكية اشتراكا .. وهذا هو المذهب المسمى « بالكومينزم » ولا تظن انه غير ممكن السلوك بمقتضاه ..

ولا تظن أنه من الواجب على أعضاء تلك الجمعيات (المجتمعات) أن يعيشوا عيشة انضمام والتئام ، بل يمكن أن توضع لوازمهم فى أماكن معلومة على قدر الامكان ·· فكل منهم ياخذ منها ما يحتاجه مقدرا بما ياخذ الاخر كما كان جاريا فى الجمهوريات اليسوعية الشهيرة · » ·

ويستمر الرجل فى دفاعه عن « الكومينيزم » قائلا :

« قال مخالفوا هذا المذهب انه يضعف الغلة ، وهذا خطا ·· لو تاملنا فى اجتهاد أعضاء هذه الجمعيات المنتظمين فى سلك هذا المذهب ، وهذا سهل الفهم اذ أن كل انسان منهم يعرف أن ما يخصه انما هو كل ما ينتجه ، غير أن حالتهم أحسن بدون شك من حالة العامل الذى يعمل لمنفعة غيره كما هو واقع فى هيئتنا الاجتماعية لمعظم أفرادها » ·

ثم يمضى الرجل فى رحلته عبر مختلف المذاهب والنظم الاشتراكية ، فيقدم نظاما آخر قوامه ·· **لكل انسان على قدر احتياجه** ·

« يلزمنا اولا أن نقول ان قاعدة هذا المذهب هكذا : ان الاموال يجب اقتسامها على قدر احتياج كل انسان بالقياس الى الاخر ، وذلك لان الاموال ليست كمية غير محدودة فضلا عن كونها ليست بمقدار زائد ليتسنى لكل انسان أن ياخذ منها على قدر احتياجه » ·

ويتشكك صاحبنا فى امكانية تطبيق هذا المذهب ، أو على حد قوله « اخراجه من القول الى الفعل لاننا لا نجد طريقة نتوصل بها الى تقدير احتياجات كل انسان ، بل ما هى السلطة التى تحكم برفض وقبول طلبات الناس حسب ما تكون حقيقية أو باطلة ·· »

وبعد أن يتهكم كاتب المقال على أفكار لويس بلان وعلى مناداته بمنح الرجل المتزوج حصتين ورب العائلة حصصا بقدر عدد أولاده ·· يستعرض لنا مذهبا آخر ·· هو ··

لكل انسان على قدر مشقته ··

فينتقده ايضا هو الاخر قائلا :

« لا تخفى علينا أنه اذا فرضنا أن اثنين اشتغلا بعمل واحد ، وبذل احدهما من الجهد ما بذله الاخر ·· فقد يمكن أن تختلف النتيجة وتتساوى المشقة ، وقد يمكن أن تتساوى النتيجة وتختلف المشقة ·· فشرعة دعاة هذا المذهب النظر الى تقدير المكافاة بالمشقة لا بالنتيجة ، وهذا على جانب من العدل ·· ولكن لو تاملنا لوجدنا العمل به متعذرا ، وسبب ذلك هو

عدم وجود طريقة يمكننا بها أن نقيس عناء هذين العاملين ولو في ابسط الاعمال لاختلاف قوة الاحساس في الاشخاص » ..

« قد يمكننا بواسطة مقياس القوة أن نعرف قوة الانسان ، ولكن لا يمكننا أن نقدر تعبه .. وقد اشار كارل ماركس أحد علماء الاقتصاد السياسي أن نقيس التعب بمقدار عدد ساعات الشغل ، ولكن ذلك غير كاف اذ أن الاعمال تختلف باختلاف الرغبات والميول والاحساسات وغيرها فهي متعبة وغير متعبة ، وهي كريهة وخطرة .. الخ ، لا سيما ونحن نعلم ان من يشتغل بالمقاولة تكون نتيجة عمله ومقدار تعبه أكثر ممن يعمل باليومية .. هذا والصعوبة تزداد عند اختلاف أنواع الاعمال ، فمن يمكنه ان يقيس عمل الحراث الذي يحرث الارض وعمل المصور بمجرد الزمن ؟ » ..

ومرة اخرى يؤكد صاحبنا أنه قد اطلع على كتابات كارل ماركس ، وبالتحديد على كتاب رأس المال ، فيواصل حديثه موردا بعضا مما جاء في هذا الكتاب : ..

« ولكن خوفا من ان الكيل يمد أطنابه من نسيج هذا المذهب ارتأى كارل ماركس أن الزمن الضروري لعمل شيء ما يحدد بمقدار النتيجة على ناموس الاحصاء (أو ما نقول نحن يحدد بمقدار ساعات العمل الاجتماعي اللازمة لانتاجها) .. فمثلا لو عرفنا مقدار أرادب القمح التي أخذت من ارض في سنة من السنين ، وعلمنا عدد العمال ومقدار الزمن الذي بذل في زراعتها ، فبقسمة بسيطة يمكننا ان نقول مثلا ان الاردب عمل رجل واحد .. وبذلك نقدر عمل الفلاح في اليوم بدينار ، الذي هو ثمن الاردب من القمح .. هذا اذا كان الفلاح قد أنتجه بعمله في اليوم الوحد .. فترجع المسألة الى قاعدة المذهب الاتي : **لكل انسان بقدر ما ينتج** .. » .

ثم هناك ايضا قاعدة : لكل انسان بقدر ما يعلم ..

واول من رفع عماد هذه القاعدة القديس سيمون (سان سيمون) واصحابه قائلين : بمقدار معرفة الانسان وبمقدار ما يعلم يكون نصيبه . لكن صاحبنا ليس من انصار مذهب سان سيمون ، فهو ينتقده مؤكدا عدم رضاه عن توزيع ثروة المجتمع على كل بقدر علمه .. ويقول « وعلى ذلك فالمستحسين ان تستبدل عبارتهم بما قاله الاسكندر عندما حضرته الوفاة وقد سئل لمن هذا الملك ؟ فقال لاكثر مستحق .. وهذه الجملة صريحة فيما يريدون ، فكان اصحاب هذا المذهب يتصورون هيئة اجتماعية تحل كل فرد

من أفرادها فى المنزلة التى يؤهله لهـا عمله وتكافئه بمقدار تلك الدرجة .. وأجيبين من ذلك لو ضمنت لنـا النواميس الانسـانية بتقـدير درجـات الاشخاص بمقدار أهليتهم .. ولكن مع الأسف أن ما نجى تلك القـوة فى رأى البعض هم أعضـاء الهيئات الحاكمة الذين خدعتهم الأقدار وتشفعت لـديهم الآمال فاحلوا الوضيع فى منزلة الرفيع ووضعوا المسـتحق فى درجـة غير المستحق » .

ويواصل الرجل هجومه على مذهب سان سيمون ، بل ويصفه بأنه أكثر ظلما ممـا هو كائن من أوضاع .. فيقـول :

« ولو قيـل لنـا إن تلك الحـالة هى أحسن نتيجة وأسهل احتمالا من الحـالة الفوضوية المتروكة تحت رحمة الاقدار ، لقلنـا أن هذا الامر مما يوجب الغرابة .. فان الشخص الذى يحـرم من واجباته بدعوى أنه ليس أهـلا لاسوأ حالة وأكثر مشقة ممن يحرمها عالمـا بذلك مرتكنا الى نحس طالعه وحضيض بخته ، اذ أنه فى الحالة الاولى مغصوب حقـا يعلم استحقاقه لـه متصورا ما يتردد فى قلوب مباشريه من أن ذلك لعـدم أهليته وكفـاءته فيكون مصابه من جهتين ، وأما فى الحـالة الثانية فهو ممنوع حقـا يعلم استحقاقه له ولكن لا يشعر من نفسه بامتهـان درجته ويسند ذلك الى رحمة الحوادث ... فويل أهون من ويلين » .

وبعد أن يفنـد صاحبنا حجج السان سيمونيين ، يعود مرة أخرى الى أفكـار كارل ماركس ليقـدمها كالنموذج الذى يرتضيه .. والذى يختاره من بين كل المذاهب التى استعرضها فيقـول :

« فهلموا بنـا الى أن نجعل القـاعدة التى تحاولون العـدل بها هكذا .. لكل انسان بمقـدار ما ينتج لا بمقـدار ما يعلم . فنكون قـد أخذنا بعناصر الأفراد على حين لا نجحف بقسطاس العـدل . ولكن هذا هو العدل الذى لا يمكن أن يتصور العقـل أكمل منه ..

بعمله بدون التفـات الى عقله أو حظه أو رداءة بخته » .

ويواصل الرجل تمجيـده وامتداحه للمبدأ الذى اختاره قائلا :

« ولنـا على فضل هذا المذهب من الشواهد التى تجعل له محـلا ساميا تتقـاطر الناس أفواجـا للتمسك بعروته الوثقى ، فانا لو نظرنا فى جميـع .. ان الهيئة الاجتماعية ملزومة بتقسيم الاموال على نواميس هـذا المذاهب السابقة يعين التأمل لحمدنا مغبة هذا المذهب » .

العـدل المطلق ، وهى مضطرة الى أن تكـافىء كل انسان بمقدار ما يفيـدها

ويمضى صاحبنا محـاولا التمييز بين القيمة والثمن فيقول :

« علمنـا الآن ان هذا العصر تحلى بحلية هذا المذهب مقـدما بين نجواه قاعدة لكل انسان على قـدر ما ينتج ، وكل ذى عقـل يعلم أن ما يخص

الانسان انما هو قيمة النتيجة لا ذاتهـا ، وهذا ناشئ من تبادل النتـائج على تاعوض الاحتيـاج .. ومن الواضح البين أن منفعة الاشياء والرغبة فيهـا وطلبهـا لا دخل لهـا فى العمل بل لا تعلق لهـا بارادة المنتج ، فما دامت قيمة كل شئ تتغير حسب قانون التقـديم والطلب فالمكـافاة تتغير كذلك وربما لا تفى بالعمـل » ..

وبعـــد ..

لست أعتقـد أن الكلمات بحـاجة الى تعليق ، لكننى فقط أود أن ألفت نظر القـارئ الى سعة اطلاع هذا الكاتب المجهول وتعرفه على مختلف المذاهب الاشتراكية واتخـاذه موقفـا انتقـاديا واعيا منها ..

وأود أن ألفت نظره ثانيا الى أن كثيرا من الامثلة التى أوردها هذا الكـاتب ، وخاصة فى انتقـاد السان سيمونيين وفى الحـديث عن القيمة والثمن وقانون العرض والطلب ، قريبة الشبه جدا بما أورده ماركس فى كتابه رأس المـال ..

وأود أن ألفت النظر ثالثا الى انه كتب هذه الكلمات فى وقت مبكر جدا .. فى عام ١٨٩٠ .. لكن صاحبنا قـد كتب كلماته هذه فى عصر كان يتعين فيه على أمثاله أن يتحدثوا همسا .. فكتبها بغير توقيع ..

كم أتمنى أن أعرف اسمه .. فهو واحـد من أعمق دعاة الاشتراكية فهمـا ووعيـا ووضوحا :

ويتقـدم الزمن ، ويزداد المـاركسيون جرأة فيعلنون عن أسمائهم .. ويستطيع الباحث أن يتتبع بعضا من هذه الكتابات .

ويتقـدم الزمن ، ويزداد المـاركسيون جرأة فيعلنون عن أسمائهم ..

ولعل كتاب مصطفى حسنين المنصورى (ناظر مدرسة طوخ الاعدادية) « تاريخ المذاهب الاشتراكية » هو واحـد من أهم هذه الكتابات التى توضح مدى العمق الذى وصل اليه المـاركسيون المصريون ..

.. واذا كان « أحـد الفضلاء القراء » قـد فضـل أن يخفى أسمه .. فان مصطفى المنصورى يتحدث بشجاعة نادرة عن المـاركسية ..

لقـد شهدت مصر قبله كثيرا من الاشتراكيين ، وربما شهدت قبله عددا ممن يؤمنون بالمـاركسية .. لكـن احـدا لم يدافع صراحة وبجـرأة كاملة عن المـاركسية كما دافع مصطفى حسنين المنصورى .. (١)

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن حياة مصطفى حسنين المنصورى راجع :
أمين عز الدين - « المنصورى » سيرة مثقف ثورى - دار الغد العربى - القـاهرة (١٩٨٤) .

« فالمنصورى لا يخفى موقفه ولا مذهبه ، بل هو يعلن صراحة « ان ماركس بلا شك هو أعظم دعاة الاشتراكية وأكبر انصارها ، فهو الذى عضد الحزب الديمقراطى الذى أسسه لاسال وحافظ على كيانه رغم هجمات بسمارك العنيفة عليه ، وهو أول من وضع برنامجا لحزب اشتراكى ، وهو صاحب كتاب رأس المال الذى يسميه الاشتراكيون انجيل الاشتراكية ؛ وهو الذى وضع قانون الجمعية الدولية ·· والى القارىء خلاصة مذهبه » (١) ··

وبعد أن يلخص آراء ماركس يقول : « هذا مجمل آراء ماركس ومن شاء أن يطلع عليها بحذافيرها فأمامه كتاب الاشتراكية العلمية واليوتوبية بقلم فردريك انجلز أصدق أصدقاء ماركس وأكبر أنصاره ، مع العلم بأن هذا الكتاب مترجم الى معظم اللغات الأجنبية » ·

والحقيقة أن المنصورى كان رمزا لنضج الفكر الاشتراكى ودليلا على أن الحركة الاشتراكية المصرية قد تفتحت أمامها الافاق الرحبة للفكر العلمى ·· وانها قد أصبحت الان قادرة على أن تناقش وعلى أساس انتقادى خلاق كل المذاهب الاشتراكية التى ماجت بها أوربا خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ·

وليس مهما أن المنصورى قد اختار الماركسية كمذهب سياسى واجتماعى يدافع عنه ويروج له ، لكن المهم أن الفكر الاشتراكى الذى حقق انطلاقة واسعة وجبارة من خلال التزاوج الذى تم بين الحركة الوطنية والحركة العمالية ·· ان هذا الفكر قد أصبح من المقدرة ومن الرسوخ بحيث يستطيع أن يواجه انحرافات الاصلاحيين والفابيين وغيرهم ممن رفعوا رايات الاشتراكية الاصلاحية ·· كما أن المهم أيضا هو أن المنصورى لم يستطع فحسب أن يقدم فكرا متكاملا للاشتراكية العلمية وبرنامجا غاية فى الواقعية وغاية فى الثورية ·· وانما استطاع أيضا ان يصد عن الفكرة الاشتراكية هجمات خصومها ، وأن يفند كل ادعاءاتهم وانتقاداتهم ··

لكننا بذلك نتخطى الاحداث ··

فلنسر مع الكتاب صفحة صفحة نستعرض الفكر الخلاق لعبقرى مصرى ··

---

(١) مصطفى حسنين المنصورى ـ تاريخ المذاهب الاشتراكية ـ (١٩١٥) ص ٤٩ ·

وعلى الغلاف كعادة كتاب عصره .. يكتب المنصورى حكمة تلخص كل ما يريده :

« لقد كنا نعتصم طوال القرون الماضية بالباطل . فجنينا ولا زلنا نجنى الشقاء والدمار .. وقد حان الوقت الذى يجمل بنا فيه أن نغير طرقنا الفاسدة وأساليبنا العقيمة » .

ويبدأ الكتاب بمقدمة يقول فيها : « كثيرا ما نسمع عن الاشتراكية ولكن القليل منا من يفهم حقيقتها » .

« الاشتراكية هذا المذهب الذى ينتشر انتشارا عظيما فى قارة أوربا ، بل تعداها الى أمريكا واخترق المحيط الهادى ووصل الى أستراليا ونيوزيلنده الجديدة . وظهرت بوادره فى مملكة الشمس المشرقة .. » .

وفى صفحات أخرى من الكتاب يتحدث المنصورى عن انتشار الاشتراكية وقوتها فيقول : « قد علمنا الان كيف نشأت وانتشرت الاشتراكية فى فرنسا والمانيا وروسيا ، ولكن انتشارها لم يقف عند هذه الممالك رغم مقاومة الحكومات والاغنياء له ، ولكن ما تضمنته الاشتراكية من الحقائق وما أظهرته من عيوب هذا المجتمع الحقيقية كان خير كفيل لنجاحها .. لان الفكرة الصالحة لا حد لانتشارها ، ولان الحق مهما سعى ذوو الإغراض فى اخفائه لا بد وأن يتسرب الى الناس يوما من الأيام » (١)

ثم يقدم الى القراء جدولا ببيان عدد الاشتراكيين فى دول أوربا(٢)

البلد	عدد الاشتراكيين	البلد	عدد الاشتراكيين
المانيا	٢ر٥٠٠ر٠٠٠	انجلترا	٢٠٠ر٠٠٠
فرنسا	١ر٥٠٠ر٠٠٠	سويسرا	١٠٠ر٠٠٠
النمسا	١ر٢٥٠ر٠٠٠	الدانمارك	٥٠ر٠٠٠
الروسيا	٥٥٠ر٠٠٠	السويد	٥٠ر٠٠٠
بلجيكا	٤٥٠ر٠٠٠	هولندا	٤٥ر٠٠٠
ايطاليا	٣٥٠ر٠٠٠	أسبانيا	٣٥ر٠٠٠

(١) ص ٦٧ .

ويمضي قائلا « ويظهر من هذا الجدول أن باوربا ما يزبو على عشرين مليون اشتراكي على وجه التقريب ، وهناك ملايين غيرهم يميلون الى هذا المذهب ، ولكنهم لا يعتنقونه جهارا خوفا على مراكزهم أو لاسباب أخرى .. وبالاختصار يمكننا القول بانه سيأتى يوم تكون فيه الاشتراكية مذهب جميع الأمم المتمدنة » ..

أما بالنسبة لمصر .. فان المنصورى يؤكد :

« نحن واصلون حتما الى ما وصلت اليه أوربا ولا بد من مجيء يوم يكون للاشتراكية فيه شأن يذكر بيننا » .

ولنعد الى المقدمة حيث يحاول المنصورى أن يقدم تعريفا للاشتراكية .. وبعد أن يورد سلسلة من التعريفات التى صاغها عدد من المفكرين يقول :

« وبالاختصار يمكننا أن نقول ان الاشتراكية هى مذهب القائلين بافتقار النظام الاجتماعى الى اصلاح اقتصادى واجتماعى وسياسى ودينى نظرا للخلل الذى اصابه من جراء اطلاق سبل المزاحمة ، سيما بعد اكتشاف قوة البخار واختراع الآلات العديدة التى حلت محل الاشخاص فى انتاج المصنوعات وأخرجت مركز الصناع لاشتداد التنافس بينهم ، وضاعفت مكاسب أصحاب الأموال حتى وصلوا الى ذروة الغنى وتحكموا فى الصناع وعاملوهم بالقسوة والشدة ، فانزلوا من أجورهم وأطالوا ساعات عملهم طمعا فى انماء ثروتهم .. نسىء أمر العمال وفسدت اخلاقهم وانتشرت بينهم الأوبئة وفتك بهم السل فتكا ذريعا وطفقوا يستنجدون بالأغنياء فلا يجدون الا أذنا صماء ، حتى قيض الله لهم أشخاصا من ذوى العقول الراجحة انتصروا لهم وساعدوهم بمؤلفاتهم وخطبهم بل وبمالهم ..

ولكن ذهبت صيحات هؤلاء القوم بادىء ذى بدء أدراج الرياح ولاقى أصحابها العقاب الصارم من أجلها فزج بعضهم فى السجن ونفى الاخرون الى البلاد النائية حتى ظهر أخيرا « كارل ماركس » فتمكن من اذاعة مبادئه وتكوين حزب قوى فى المانيا من العمال وعقد عدة مؤتمرات دولية من عمال الأمم المختلفة بعدما لاقى فى طريقه كثيرا من الصعوبات ونفى من المانيا الى فرنسا ومنها الى بلجيكا ومن ثم أخذت الاشتراكية شكلا علميا وعلا شانها واعتنقها كثير من كبار المفكرين والصحفيين والكتاب فهذبوا مبادئها ونبذوا منها ما كان غير قابل للتنفيذ ووضعوا البرامج الواقعية وسعوا فى سبيل تاييدها سعى الابطال »(١) .

(١) ص ٤ .

٠٠ وهكذا يبدأ الفكر الاشتراكي المصرى على يدى المنصورى مرحلة جديدة أساسها الادراك الواعى لمغزى العلمي للاشتراكية ، مرحلة تنتقل فيها من الامنيات والاحلام والتطلعات الى مجتمع أفضل ٠٠ الى الايمان العلمى بنظرية ذات بنيان محدد ، مرحلة يتم فيها التمييز بين التطلعات الخيرة نحو مجتمع عادل ، وبين التطلعات النضالية نحو مجتمع اشتراكى ، بين الدعوة للاشتراكية كطريق عام وبين الايمان بمدرسة محددة من مدارس الفكر الاشتراكى العلمى ٠٠

« فالاشتراكية بالمعنى الصحيح مذهب ولد وتربى فى القرن التاسع عشر ٠٠ ولكنه لم يبلغ رشده بعد ، الا أن كثيرا من الأقدمين أشاروا فى كتبهم الى اصلاح المجتمع بعد ما تبين لهم فساده فى أيامهم »(١) ٠٠

ويقدم المنصورى بعد ذلك نماذج للاشتراكيين الخياليين الذين سعوا الى بناء مجتمعات تسودها العدالة دون أن يجدوا السبيل العلمى والنضالى الذى ينير أمامهم طريق النجاح ٠٠

فهناك توماس مور « الذى تحدث عن مدينة فرض وجودها فى جزيرة سماها يوتوبيا ٠٠ ووصف سكانها قائلا أنهم متمتعون بالسعادة الكاملة ليس لاحدهم ملك خاص بل يشتغلون جميعا بلا أجر معين والحكومة تتولى سد حاجاتهم بنظام مضبوط لا يعوزه نقص ويتناول الناس طعامهم على موائد مشتركة تضرب بها الموسيقى وتنشر الاطياب ، والثروة فيها محرومة على الافراد ، والحكام جميعا ينتخبون من بين الاهالى لمدة معينة ٠٠ وانتشر كتاب مور وشرع الكثيرون فى انشاء مدن تنطبق على كلامه وان كان اتباع هذا المبدأ أخذوا ينقرضون شيئا فشيئا لما حل بهم من الفشل فى مدنهم ٠٠ وهكذا اخفقت التجارب الاولى لانشاء مدن على مبدأ اشتراكى ولكن لم تكن هذه التجارب لتثنى عزم القائمين بها ، وتقنعهم ببطلان ما يتطلبون بل ثابروا على سعيهم وكان فشلهم درسا لمن أتى بعدهم حتى ظهر كارل ماركس فوضع المبادىء الاشتراكية على أساس علمى ولم يكتف بالاصلاح الجزئى الذى ظهر له فشله بل أراد أن يجعل الاشتراكية دولية حتى اذا توحدت الأنظمة فى سائر الممالك كان ذلك خير ضمين لنجاحها ٠٠

وقد بقيت الاشتراكية محافظة لهذه الروح الدولية التى بثها فيها ماركس الى يومنا هذا وبذا أصبحت مذهبا معقولا قابلا للتنفيذ لا مجرد خيالات يحلو تصورها ويستحيل تطبيقها ٠٠ وأصبحت مسائل العمال تعرض فى مؤتمرات دولية وهى التى تقرر مدة العمل اليومى وأجر العمال وطرق

---

(١) ص ٦

(٢) ص ٤ ٠

حمايتهم لتنفذ فى سائر البلدان على نسق واحد ٠٠ مع بعض التعديلات التى يقتضيها مركز البلد »(١) ٠

ولنتأمل هذه الجملة الاخيرة ٠٠ فهى ذات دلالة كبيرة جدا على وعى صاحبنا وعلى تمرسه فى فهم النظرية الماركسية فقد ردد فى عام ١٩١٥ مسألة نظرية رددها لينين قبله بفترة وجيزة وهى بناء الاشتراكية بطرق مختلفة فى البلاد المختلفة ٠٠ والشىء المثير بالفعل هو أن هذه العبارة لم تكن مجرد جملة عارضة لكن المنصورى يعود فيؤكدها مرة أخرى بتفصيل أكثر عمقا وأكثر دلالة ٠٠

« وتختلف مناهج الاشتراكيين باختلاف البلاد التى هم فيها ٠٠ فتراهم فى البلاد الديمقراطية كانجلترا وفرنسا يقدمون مطالبهم الى ولاة الأمور ولا يتحرشون بالحكومات ولا يناوئون موظفيها ٠٠ اما فى البلاد الاستبدادية كالروسيا مثلا فتراهم يجنحون الى الشدة وسفك الدماء لانهم رأوا ان السلطة الادارية تطاردهم فى كل مكان ، ولا تذعن لارادتهم ، ولا تلتفت الى مطالبهم وعلى ذلك يكون من الخطأ ان نتصور ان للاشتراكية مبادىء ثابتة غير قابلة للتعديل أوالتحوير وان دعاتها يظهرون بمظهر واحد ورأى واحد فى جميع الأمم ، وان كانوا متفقين على الغرض الذى يريدون الوصول اليه ، ولكنهم يختلفون فى الطرق التى تؤدى الى ذلك الغرض باختلاف شكل الحكومات والنظام الاجتماعى فى بلادهم ٠٠ » (٢) ٠

وهو يتحدث عن البيان الشيوعى قائلا انه « اقدم برنامج وضع للاحزاب الاشتراكية ولا يزال يرجع اليه فى بعض الامور وان كانت بعض مبادئه قد أصبحت عتيقة » (٣) ٠

وهكذا وفى بساطة ويسر يردد المنصورى واحدا من أهم المنجزات الفكرية التى لم يستطيع كثيرا من قادة الفكر الاشتراكى أن يستوعبوها ٠

والعبارات السابقة تستوقفنا لا لمجرد دلالتها على وعى الرجل وفهمه الاصيل والعميق للفكرة التى يعرضها ٠٠ وانما ايضا لانها توحى لنا ان المنصورى ربما كان قد اطلع على بعض من كتابات لينين أيضا والذى يقوى هذا الاعتقاد هو أن الرجل يشارك لينين كثيرا من أفكاره حول قضية الحرب العالمية الاولى فيقول :

---

(١) ص ٧ ٠
(٢) ص ٩ ٠
(٣) ص ٤٦ ٠

« ومما يؤسف له كثيراً أن الاحزاب الاشتراكية في أوروبا قد فشلت في منع الحكومات عن الوقوع في هذه الحرب الشعواء »(١).

« ولا شك انه سيكون انتشار الاشتراكية بين الناس احدى نتائج هذه الحرب سيما بعد ما لاقوه من مصاعب الحرب ومصائبها »(٢).

وهو بعد ذلك يناقش قضية الحرب والسلام مناقشة غاية في الوعي والعمق. « فالاشتراكيون أكثر الناس سعيا في سبيل توطيد أركان السلم في العالم لانهم يعلمون ان معظم أعباء الحرب يقع على كاهل الفقراء تسوقهم الحكومات الى ساحات الوغى وهم لا يحملون ضغينة لعدوهم ولا يعرفون سببا لتقاتلهم ولا مأرب لهم خاص يريدون الوصول له ولا ربح الا بعض الاوسمة لا تغنى صاحبها شيئا »(٣).

وهو يورد فقرة من قرارات الجمعية الاشتراكية الدولية (الأممية الأولى) **تطالب « بالغاء الجيوش الواقفة والاستعاضة عنها بالاهالى المدربين** على حمل السلاح الذين عليهم تلبية طلب الحكومة عند وقوع البلد في خطر » .

ويعلق المنصوري على هذه العبارة قائلا « وقد يقول البعض ان الغاء الجيوش يجعل الامة مهددة . نعم لا ينكر ذلك ، ولكن الاشتراكيين يريدون الغاء الجيوش في جميع الممالك مرة واحدة ، وبذا يزول الخوف من هجوم العدو ، واذا لوحظ فوق ذلك أن الجيوش تتطلب مصروفا هائلا لو صرف في المسائل الحيوية كالتعليم والتى بالفوائد الجمة ، وان الجيوش تحرم الامة من أيد عاملة كثيرة ، لو استخدمت في الاعمال المثمرة لضاعفت ثروات الامم ، لكان هناك حق للاشتراكيين » .

« يريد الاشتراكيون السلم التام الذى قد يتراءى للبعض حلما من الاحلام فان الحروب أعمال وحشية محضة لا تليق بالانسان المتمدن وان في وسع البشر الوصول الى الشروط بدون الالتجاء الى السيف » .

ثم هو يقدم التفسير العلمى للحرب قائلا :

« والحقيقة ان الاستعمار ناشيء من طمع أصحاب الاموال الذين يدفعون حكوماتهم الى امتشاق الحسام وقتل الالوف من الناس لتوسيع المجال لتجارتهم فلو تمكن الاشتراكيون من القضاء على هذه الطبقة لما بقى هناك

(١) ص ٩ .
(٢) ص ٩ .
(٣) ص ٨ .

ضبط واحد ينادي بالحرب تيمنا بعد ما شاهده الانسان من الالات المتفجرة والشمس الجهنمية »(١)

وهو بعد ذلك يحدد أهداف النظرية التى يدعو اليها ووسائل نضالها فاذا كان الرأسمالي يمتص دماء العامل عن طريق الالة « فهل نحطم هذه الالة لنعيد الانسان الى فردوسه المفقود ؟ » ٠٠ ويجيب المنصورى على تساؤله « أظن أنه ليس هناك عاقل يريد بالعالم الرجوع الى مدنية العصور المظلمة ٠٠ لذا وجب علينا جعل الالات خادما للانسان لا مزاحما له ولكن انى لنا ذلك ومن المستحيل تغيير أخلاق الالات ما دامت فى قبضة أصحاب الاموال الذين لا يراعون الا صالحهم الخاص ولا يعبأون بما يلاقيه العمال من التعب والالم ما داموا يحصلون على معظم أرباح معاملهم ولا يتركون للعمال الا جزءا طفيفا لا يكفى لسد حاجاتهم ٠٠ فالطريق الوحيد لاسعاد البشر هو منع التملك الفردى وجعل رأس المال فى قبضة العمال أنفسهم »(٢)

ويمضى موضحا أسس النظام الذى يريد ٠٠

« ان امتلاك الاراضي يعوق دون استغلالها بالقدر الذى فى وسع الانسان عمله فيها بعكس ما لو كانت هذه الأرض ملكا شائعا بين الناس فاننا اذا نظرنا الى مصر نجد أن وجود مزارع صغيرة فيها قد حال دون استعمال الالات الزراعية التى لو استعملت لضاعفت نتاج الارض ٠٠ فالنظام الاشتراكي يقضي بالغاء الملكية الفردية بمعنى أنه لا يجوز للفرد أن يمتلك أرضا أو معملا أو منجما أو أى ثروة تحتاج فى استغلالها الى عامل أو عمال وعليه يجوز للفرد أن يمتلك أدوات بيته وملابسه وأمواله طالما كان لا يستغلها بواسطة عمال بل ربما سمح له بامتلاك مسكن أيضا لان هذا الملك لا يضر الآخرين ٠

ولو كان الملك فى الارض أو المسكن مبنيا على قاعدة الملك فى التأليف لما نشأت الاضرار الحاضرة ٠٠ وهذا مع العلم بأن امتلاك الاراضي والمناجم والمساكن لا يحتاج من الاستنباط والتفوق العقلي عشر ما يحتاجه اختراع آلة أو استكشاف نظرية فى العلوم ٠٠ بل على العكس من ذلك قد يحتاج الى كثير من النذالة والحطة والضعة كما نشاهد بأعيننا فى المرابين والمغامرين والتجار »(٣)

وبعد أن استعرض المنصورى أسس النظرية التى يدعو اليها يحس ان واجبه يحتم عليه أن يرد عنها هجمات الاعداء وأن يحصنها ضد

---

(١) ص ٨٠ ٠
(٢) ص ١١ ٠
(٣) ص ٨٩ ٠

افتراءاتهم واكاذيبهم .. وهو يفند بهدوء ما يردده اعداء الاشتراكية من انتقادات .. فهم يقولون أن الاشتراكية تعنى أن الانسان لا يؤمن بالوطن ولا يؤمن بالاسرة ، ولا يؤمن بالدين .

لقد شاهدنا كيف كانت سيادة هذه المفاهيم الخاطئة عن الاشتراكية سببا فى انتكاسة خطيرة لافكارها وقدرتها على الانتشار ..

ولهذا يتصدى المنصورى لهذه الانتقادات فيفندها واحدا واحدا .

« فاذا كان الاشتراكيون قد أصبحوا بعد تعاليم كارل ماركس دوليين الا أن العاطفة الوطنية لم تمت فى نفوسهم كما يتوهم البعض وهى لا تلبث أن تتأجج اذا ما أغار غائر على بلادهم فهم لا يمتنعون عن الدفاع عن الوطن لكنهم يأنفون أن يكون لهم يد فى حرب يراد بها سلب حرية أمة ضعيفة »(١) .

« أما رأى الاشتراكيين فى نظام العائلة فهو لا يختلف عن رأينا مطلقا وان كان قد صدر من بعض دعاة المبدأ ما يشير الى رغبتهم فى عدم هذا النظام واستبدال الزواج الحالى بزواج حر مبنى على الحب ، الا أن ذلك لا يعتد به لانه رأى فردى .. أما مجمل آراء الاشتراكيين فمتفقة على أن نظام الأسرة مقدس وانه يجب أن يحفظ ، غير أنهم يطلبون مساواة المرأة بالرجل »(٢) .

ثم ينتقل المنصورى بعد ذلك الى مناقشة القضية الخطيرة .. قضية موقف الاشتراكية من الدين ، ولابد أنه قد اطلع على كتابات شميل ، ولابد أنه قد أدرك مدى الخطأ الذى ارتكبه شميل ..

فالمنصورى يقدم لنا فكرة ناضجة غاية فى النضج وغاية فى الوعى ..

« بقى علينا أن ننظر فى رأى الاشتراكيين فى الدين ، لا شك أن معظم الاشتراكيين قد تأثروا قليلا أو كثيرا من المبادىء المادية وهم لا يعتقدون ان الدين يكفى لاصلاح هذا المجتمع الا أنه رغم ذلك نرى الدين والاشتراكية ليسا متناقضين وان كليهما يرمى الى نصرة الضعيف ، فان من يقف على حقائق الدين الإسلامى والمسيحى يجد كثيرا من المبادىء الاشتراكية الحديثة كالزكاة التى تعادل ضريبة الدخل ويقصد بها تسوية الخلاف بين الفقراء والاغنياء .. ولقد قام فريق من الكهنة واللاهوتيين فى أوروبا فى القرن التاسع عشر وعدوا الاشتراكية جزءا متمما للدين المسيحى ودعوا الناس الى اعتناقها والأخذ بمبادئها ولم يعدوا هذا خروجا على الدين »(٣) .

---

(١) ص ٨ .
(٢) ص ١٢ .
(٣) ص ١٣

وفى مكان آخر يقول المنصورى :

« فاذا سمعنا الاشتراكيين يطلبون الغاء الميزانية الخاصة باقامة الشعائر الدينية فليس هذا دليلا على الحادهم بل هم يرون أن هذه الاشياء تستلزم نفقات كثيرة لو صرفت على التعليم أو بناء مساكن أو مستشفيات للفقراء لافادت النوع الانسانى كثيراً فضلا عن أن العبادة ممكنة فى أى مكان » .

« ان الاشتراكيين لا يحاربون الدين وانما يحاربون بعض رجاله الذين كانوا سببا فى كثير من المصائب ولا يزالون .. انهم يريدون ابعادهم عن التدخل فى أمور السياسة والتعليم حتى لايشوهوا وجه العلوم العصرية بخزعبلاتهم لكنهم لا ينكرون ضرورة الدين للانسان اذ لولاه لامتلأ العالم بالكذب والنفاق والسرقة والظلم »(١) .

لكن الرجل لا يكتفى بالحديث العام . فاستعراض الفكر مجردا لا يكفى ، ولا يكفى أن يمجد الانسان الاشتراكية وأن يرد عنها هجمات خصومها ما لم يرتبط ذلك كله بالمعركة الدائرة على أرض وطنه .

ولقد رأينا كيف كان المنصورى يؤمن بان لكل بلد طريقة الخاص .. وان الاشتراكيين لا يمكن أن يظهروا برأى واحد فى جميع الامم .. فلابد اذن من حديث عن طريق مصرى للاشتراكية ..

وهنا يصل بنا المنصورى الى قمة من قمم الفهم الواعى والادراك المتمكن .. فهو ليس مجرد قارىء استوعب ما قرأ ولا مجرد داعية لفكرة عامة .. لكنه يتوج كتابه القيم بفصلين غاية فى الابداع الفكرى الخلاق .. أحدهما بعنوان « فوضى نظامنا الاجتماعى » والآخر بعنوان « مصر والاشتراكية » ..

والفصل الاول ادانة ساحقة للنظام الاجتماعى السائد فى مصر .. ودفاع حار عن الكادحين المصريين ..

قال « كل من مارس الامور وكابد الاحوال وخبر الزمان لا ينكر ما فى هذا المجتمع من تفاوت واضطراب .. هذا يرفل فى الخز والديباج وذاك يرتدى الاطمار والاسمال ، وهذا يمتطى صهوات الجياد وذاك يجوب فيافى الارض على الأقدام الحفاة ، هذا يسكن القصور الشاهقة وذاك يسكن الشوارع والأزقة .. وهذا اذا سعل تسابقت الاطباء لفحصه وذاك يذوب

(١) ص ٨٣ .

المياً في كوخه فلا يجد يداً واحدة تجزعه الدواء ـ اللهم لا انتقاداً ولا اعراضاً ـ وما هذا الا من ظلم الانسان ..

يشتغل العامل طول النهار والعرق يتصبب من جبينه وصاحب العمل جالس أمام مكتبه الجميل يشعل لفافة من وقت لاخر ويتحدث مع الزائرين عن لهوه وشجونه حتى اذا انتهى النهار كان الغنم كله له ، وباء العامل ببضعة قروش لا تكاد تكفي لشراء حاجياته الضرورية ..

يشقى المزارع طوال النهار في حرث الارض وريها وتسميدها وجنى الثمار وتقليع الجذور حتى اذا حل الليل تابط بندقيته وأقام نفسه المناضة كل من يريد الاعتداء على مزرعة سيده فاذا أتى وقت الحصاد خرج صاحب الارض وجيوبه منتفخة من النضار وباء المزارع بالحسرة وخيبة الرجاء ..

بربك خبرني أيها القارئ الكريم عما يخالج ضميرك .. إن كنت من ذوى النفوس الحساسة عند مرورك على أحد العاطلين المعدمين وقد تكاتف عليه المرض والفقر والشيخوخة وحوله أولاده وعياله يبكون ويعولون اليس هذا المشهد كافيا لجعل الانسان أشد الناقمين على هذا النظام ؟ » (١) .

ويمضي المنصوري في هجومه الساحق على النظام الاجتماعي قائلا :

« لو كانت هناك أسباب للسعادة والشقاء لو كان الغنى غنيا لاجتهاده وجده .. والفقير فقيرا لتهاونه وضعفه لما تجشم الاشتراكيون متاعب الدعوة التي مذهبهم ولما كان هناك حق للفقير في تذمره وتأففه .. ولكن المشاهد والواقع ان الخيرات موزعة بين الناس على غير قاعدة فكم من جاهل كبيول يملك القصور والضياع وتحف به العبيد والاماء ، وكم من لبيب فطن لا يجد في جيبه فلسا واحدا يبتاع به لقمة تتبلغ بها نفسه .

لقد أوجد نظامنا الاجتماعي من الناس فريقين متعاديين متنافرين فريق الاغنياء الذين لا يالون جهدا في ايجاد طرق لاخضاع الناس واذلالهم حتى تبقى لهم الكلمة النافذة والرأي الاعلى على ممر الازمان ، وفريق الفقراء الذين لا ينفكون يبحثون عن طريق الانتقام من الاغنياء »(٢) .

ويمضي المنصوري في ادانته للاغنياء ..

« يأتي المال بطرق شتى ولكنه من العجيب ان تكون الطرق الشائنة غير المشروعة اقرب واسرع الطرق للوصول اليه .. فالعامل والمزارع

(١) ص ٩٢ .

(٢) ص ٩٣ .

اللذان هما بناة الثروة كلهـا يعيشان فى فقـر مدقع ، والمعلم الذى يضنى جسمه فى تهذيب الناشئين وتكوين رجال المستقبل لا نصيب له مطلقـا فى السعادة المـادية بينما صاحب المـاخور أو القواد سرعان ما تمتلىء جيوبه من الذهب والنضـــار ٠٠ المرأة التى تصون عفتهـا تعيش فقيرة ذليلة بينما المرأة الفاجرة سرعان ما تمتلىء خزانتها ببـارق الحلى وساطع اليواقيت ٠٠ أليس فى هذا الخلط ما يشجع على هجر الاعمال الشريفـة والالتجـاء الى سـافل المهـن وأدنئهـا ما دام المـال هو كل مطلوب الانسان ٠٠ » (١)

ثم يتوج المنصورى هجومه بعبـارة حاسمة ٠٠

« فلا عجب بعـد ذلك اذا تشبث الاشتراكيون بمذهبهم فهو البلسـم الشافى لجميع أدوائنـا الاجتماعية » ٠٠

وبعد ذلك ٠٠ بعـد أن يوقف النظـام عاريا تماما ويفضح كل متناقضاته يتقـدم المنصورى ببرنامجه ٠٠

والبرنامج يستحق وقفـة نتأمله فيهـا ، فصاحبه يدرك طبيعة المجتمع الذى يعيش فيه ٠٠ ومصر كانت فى ذلك الحين مستعمرة تتخذ فيها البرجوازية المصرية الناشئة حديثا بالرغم من كونها مستغلة موقفا وطنيا معاديا للاستعمار ٠٠ ومن ثم فان أى برنامج يطـالب بنزع ملكية وسائل الانتـاج من أصحابها سوف يهـدم الجبهـة الداخلية ويمزق الوحـدة الوطنية ٠٠ وهنـا تبـدو المقـدرة الحقيقية للمنصورى ، فبعد أن يستعرض المبدأ الاشتراكى العلمى ويحدد أبعـاده النظرية ، وبعـد أن يهزم كل الادعاءات والانتقادات التى تساق ضـده ، وبعـد أن يمزق كل أستار النظـام الاجتماعى ويكشفه ٠٠

بعـد كل ذلك يتقـدم المنصورى ببرنامج اصلاحى يدعو لبعض الإصلاحات الاجتماعية والديمقراطية ٠

وهنا تكمن اللمحة الذكية للاشتراكى الواعى الذى يدرك ظروف وطنـه وظروف جبهتهـا النضالية ٠٠ هنـا يبدو المنصورى مفكرا متعمقا دون أدنى مبـالغـة ٠٠

٠٠ وبرنامج المنصورى بالرغم من اصلاحيته الا أنه أيضا برنامج حاسم وحازم معا لا يزال وحتى وقتنا هذا صالحا كأساس للتفكير الاشتراكى العلمى فى كثير من المجـالات ٠٠

ولنقرأ بعض نقـاط البرنامج الذى قـدمه المنصـورى عام ١٩١٥ قائـلا :

---

(١) ص ٩٩ ٠

.. «أن مجال الاصلاح واسع أمامنا وأبوابه عديدة فما علينا الا أن نتناسى الماضي ونطهر نفوسنا مما هو عالق بها من الادران ونشرع في تنشئة مصر جديدة وشعب جديد ..

والى القارئ بعض الاصلاحات التي يمكن ايجادها بمصر فلعلها تكون عند استحسان الجمهور»(١)

وبعد ذلك ترد فقرة يبدو أنها كانت تقليدية في ذلك العصر .. هي الفقرة التي دأب كل الكتاب الاشتراكيين في ذلك الحين على ترديدها ..

«وليس قصدي أن تكون برنامجا لحزب اشتراكي مصري فاني أرى الوقت لم يحن بعد للقيام بهذا العمل الذي يتطلب كفاءة علمية وأدبية لم تتوفر لدينا بعد» .

والمنصوري صادق فيما يقول وهو لا يتنصل من الحزب باعتباره تهمة .. وانما يتطلع اليه باعتباره أملا يمكن أن يتحقق عندما تتوفر له الكفاءة العلمية والأدبية اللازمة ..

وبعد ذلك يضع المنصوري البرنامج الذي يقترحه .. ولن أورده كاملا لكنني سأكتفي بايراد بعض نقاط منه كأمثلة(٢) ..

* جعل رأى الجمعية التشريعية قطعيا .

* جعل الوزارة مسؤولة أمامها .

* اصدار قوانين تكفل حرية الانتخاب .

* اصدار قانون يمنع تعدد الزوجات .

* جعل الطلاق على يد القاضي الشرعي للجميع ويتحتم ايجاد أسباب .

* تعيين حد أدنى لأجرة المزارعين والعمال بحيث لا تقل عن خمسة قروش ومعاقبة كل من يخالف ذلك من أرباب الاعمال بالحبس أو بغرامة مالية .

* يجب تقريب التفاوت الهائل بين موظفي الحكومة في المرتبات ولا يصح بأى حال من الاحوال أن يأخذ موظف أكثر من مائة جنيه أو أقل من خمسة جنيهات في الشهر .

---

(١) ص ١١١ .
(٢) ص ١١٢ وما بعدها .

* على الحكومة توزيع الارض على المزارعين الفقراء .

* على الحكومة فرض ضريبة متدرجة على الدخل اذا زاد عن ٣٠٠ جنيه سنويا .. وكذا ضريبة على التركات تزيد كلما بعد الوارث عن الموروث من حيث القرابة .

* الغاء الاقسام الادبية فى المدارس الثانوية .

* تقرير اعانة تقدرها ١٠٠٠٠ر١٠٠ جنيه سنويا للجامعة .

* على الحكومة عمل معامل (ورش) للمصنوعات التى يمكن عملها بمصر .

* الغاء المحاكم المختلطة .

* الغاء امتيازات الاجانب .

* ايجاد محلفين بالمحاكم الاهلية .

* تعديل القانون الشرعى حتى يتمشى مع الروح العصرية .

* الغاء الرتب والنياشين وقصرها من الآن فصاعدا على أصحاب الكفاءات العالية .

* اصدار قانون بتحديد الحد الأعلى للارباح بحيث لا يصح أن تزيد على ٥٪ .

* على الحكومة اصدار قانون بالزام اصحاب الاعمال الأجانب باستخدام قدر معين من الوطنيين لا يقل عن النصف .

* على مجالس المديريات تعيين الحد الاعلى لايجار الفدان كل فى دائرة اختصاصها بحيث لا تزيد عن عشرة جنيهات .

* الغاء جميع القوانين التى تقيد حرية الاجتماع والخطابة والصحافة .

والآن لست أعتقد اننى بحاجة الى تعليق .. لكن ثمة كلمة أخيرة هى أن هذا الكتاب القيم الذى قدمته للقارئ ليس كل ما انتجه مصطفى حسنين المنصورى فهناك كتاب آخر اصدره بعنوان « مساوئ النظام الاجتماعى وعلاجها » وهناك كتاب مترجم آخر بعنوان « التقدم والفقر » .

كذلك فان اسم المنصورى يظهر فيما بعد عضوا فى الحزب الاشتراكى المصرى ..

وبعد المنصورى يأتى مفكر آخر هو نقولا حداد ..

ونقولا حداد واحد من القلائل الذين انطلقوا الى خارج العالم العربي وتلقوا خبرة علمية على أيدي اشتراكيين أجانب ..

فاذا كان سلامة موسى قد سافر الى انجلترا وقابل برنارد شو وانضم الى الفابيين وعاد ليبشر بآرائهم الاصلاحية ..

فان نقولا حداد قد سافر الى أمريكا واستقر في نيويورك واتصل بواحد من قادة الفكر الاشتراكي الامريكي هو أوجين دبس .. وفي عام ١٩١٠ أسس نقولا بالاشتراك مع أمين الريحاني وفرح أنطون جمعية عربية اشتراكية في نيويورك وقد أصدرت هذه الجمعية مجلة أسمتها « الجامعة » لتبشر بآرائها .. (١) .

ويعود نقولا حداد الى القاهرة ليمارس نضاله من أجل الاشتراكية .. مستعينا بسعة اطلاعه وبتمرسه في النضال العملي في مجتمع رأسمالي متقدم يعادي حكامه الاشتراكية عداء شديدا .

ويدخل حداد ميدان الدفاع الفكري عن الاشتراكية والدعوة اليها .. مقدما في اعتقادي أكثر الشروح علمية ووعيا للنظرية الاشتراكية ..

ان الأهمية القصوى لكتابات نقولا حداد انها تنقلنا من مرحلة الحماس الفكري الى مرحلة الفهم العلمي الاصيل والقدرة على الشرح المنطقي والكفاءة العالية في الجدل وفي افحام المعترضين أو المنتقدين ..

ان كتابات نقولا حداد هي قمة التطور والنضج للفكر الاشتراكي في مصر في ذلك الحين وكان صدورها في مصر ايذانا واعلانا بأن الاشتراكيين قد بلغوا من النضج ما يمكنهم من مجابهة أعدائهم وجها لوجه ومن القدرة ما يمكنهم من ان يتقدموا لمجتمعهم بصياغة نظرية متكاملة متماسكة وعلمية .. وكان ذلك كله بداية لمرحلة جديدة من النضال الاشتراكي ..

ولنطالع كتابات نقولا حداد ..

ولنبدأ بالمقال ..

---

(١) كامل أبو جابر — مقدمة لكتاب جذور الاشتراكية — دار الطليعة — بيروت — ١٩٦٤ — ص ٣

٠٠كتبه نقولا في عام ١٩١٨ ونشرته مجلة الهلال ردا على بعض هؤلاء الذين تصدوا للهجوم على الاشتراكية ٠٠

والمقال بعنوان « الاشتراكية ما تطلبه وما لا تطلبه »(١) ويبدأ نقولا مقاله كما يلى :

« بعد ان اطلعت على ماجاء فى الهلال الماضى تحت عنوان « حل المشكلات الإجتماعية الكبرى بمشاركة العمال لاصحاب المال » رأيت أنه اذا لم يذيل بايضاح قضية الاشتراكية كما تنقبت وتصفت أخيرا بقى الذين لا يعلمون شيئا عن حقيقة الاشتراكية ٠٠ وهم كثيرون على ما اظن متورطين فى اعتقادهم السىء بها ولا سيما أن المقالة التى أشرت اليها مستهلة بهذا النص :

ويرى الاشتراكيون أن الحل الوحيد لمشكلة العمال انما هو انتزاع الوسائل التى تحدث الثروة من ايدى اصحاب المال وجعلها ملكا للعمال فيتقاسمون ربحها فيما بينهم بدلا من أن يتقاضوا اجورا معلومة ٠٠ فهذا القول قد يبرر جحود الذين لم يطلعوا على العقيدة الاشتراكية بل ويرجح اعتقادهم ان بغية الاشتراكيين اغتصاب اموال الاغنياء واقتسامها فيما بينهم وهو اعتقاد باطل ٠٠

لذلك لابد من بيان موجز لحقيقة العقيدة الاشتراكية والا بقيت الاشتراكية مظلومة فيما يرميها به من الخطل جاهلوا حقيقتها ٠٠ » .

ثم يتقدم نقولا حداد ليفند عددا من المذاهب الاصلاحية التى قد تختلط مع الاشتراكية فيهاجم مذهب السند يكالزم وهو « مذهب استيلاء العمال على الشركات التى يعملون فيها وتقاسمهم ارباحهم فان هذا المذهب لا يحل مشكلة التنازع الشديد بين المال والعمال ٠٠ زد على ذلك ان هذه الطريقة لا تقطع شأفة تسيد المال على العمل لاحتمال ان جانبا من العمال يمكنهم أن يثروا ويعودوا الى القبض على ناصية العمل والاستبداد فى سائر العمال الآخرين ٠٠ » .

ثم يهاجم مذهبا اصلاحيا آخر هو « مذهب اشراك أصحاب الأعمال للعمال بنصيب من الإرباح علاوة على أجورهم فان هذا المذهب ايضا لا يحل

---

(١) أعيد نشر المقال كاملا فى عدد الهلال الصادر فى ١/١٢/١٩٦٧ ص ٤١ وما بعدها .

المشكلة ولا ينزع زمام السيادة من ايدى المتمولين ولا يخفف من غلواء استبدادهم بالعمال ، وأن لجئ اليه فى بعض الاحيان فلكى يكسر حدة العمال ويسكن ثوراتهم ويحول دون اعتصابهم .. فهو كالمورفين للمريض المتألم يسكن الالم ولكنه لا يشفى المريض ..

اما المذهب الثالث فهو تقليل ساعات العمل وزيادة الاجور ، وهو كسابقة لا يحسم النزاع بين العمال واصحاب العمل بل هو مورفين آخر ورضاء الاشتراكيين بهذين المذهبين مؤقتا كرضى المريض بالعلاج المسكن للألم ريثما يتسنى للطبيب العلاج الشافى .. فلذلك لا يعد هذا الاسلوب أو سابقة عقيدة اشتراكية ورضاء الاشتراكيين به احيانا ليس حجة عليهم بأنهم يعدونه عقيدتهم الاساسية ..

اما المذهب الرابع فهو اغتصاب الثروات من أيدى ذويها ، سواء كانت مالا أو مرفقا أو تجارة .. الخ وتوزيع هذه الثروات على جمهور الامة بالتساوى فان هذا المذهب لم يوجد الا فى اذهان فريقين من الناس الفوضويين .. والمتحاملين على الاشتراكية ..

وهكذا يبدو الامر غريبا بعض الشئ .. لكنه مثير ايضا .. فان معركة لينين التى خاضها ضد هذه التيارات بالتحديد وبمثل هذه الحجج بالتحديد ايضا لم تبق طويلا بعيدة عن مناخ الفكر الاشتراكى المصرى ..

واذا كان الاصلاحيون قد تسللوا الى مصر من خلال الفابية واشتراكية الدولية الثانية فان خصومهم من الاشتراكيون الحقيقيين قد وجدوا سبيلهم الى افحامهم والرد عليهم ..

وبعد ذلك يسأل نقولا حداد ما هى الاشتراكية ثم يقدم تعريفا علميا غاية فى الوعى وغاية فى التحديد والايجاز :

« أما مذهب الاشتراكية فمنطقى معقول وهو مبنى على بينة اجتماعية اقتصادية منصفة وهو يقتضى بقلب النظام الاقتصادى الحاضر ووضع نظام جديد »

فهو أولا لا يقبل أى اصلاح أو ترقيع لنظام القائم وهو لا يقبل سوى قلب هذا النظام ووضع نظام جديد ، يقضى بالغاء ما ادعاه المال - نقدا كان أو عقارا أو مرفقا - من حق الانتاج أى ان المال وان يكن ثروة ويمثل قوة لا يجوز أن يكون منتجا ثروة أخرى لأن الوسيلة المشروعة الوحيدة لانتاج الثروة هى العمل فقط - « بعرق جبينك تأكل خبزك » فلا يجوز ان يكسب قرشا الا من عمل عملا يساوى القرش .. ولكن النظام الحالى يأذن لكل من

احتاز مالا أن يشترى أسهما فى شركة أو عقارا يؤجره أو أن يسلف نقودا فيجنى ربحا من ذلك بنسبة ماله من غير أن يعمل عملا قط ..

ووجه الاجحاف فى النظام الحالى الذى يشكو منه الاشتراكيون هو أنه يفضى الى تجمع الثروة التى هى ثمرة تعب العمال وحدهم فى ايدى فئة من الناس وحرمان العمال من هذه الثروة كما هو الواقع الآن فى البلاد المتمدنة ولا سيما فى أمريكا حيث استطاع افراد قلائل أن يجمعوا فى حياتهم من الاموال ما لا تتصوره مخيلة ، فى حين أن الوفا من العمال يتسولون ليس للرزق بل للعمل الذى يتعيشون منه فلا يجدونه ..

أما النظام الذى يبتغيه الاشتراكيون فيمكن اجماله بكلمتين وهما نقل الشركات وجميع المرافق التى يقوم بها مجموعة عمال وجميع العقارات من أيدى ذويها مساهمين ومالكين الى يد الحكومة بحيث تصبح هذه المرافق المنتجة للثروة ملك الامة .. وبدلا من أن تكون ملكا لفئة من الناس يبتزون ارباحها وحدهم تصبح الامة كلها كمساهمة فيها وارباحها تعود للامة كلها ..

ماذا تسنى ذلك لا يبقى للمال قوة الانتاج أو التثمير بتاتا وانما يبقى المال ممثلا ثروة فقط يمكن جامعه أو مدخره أن يتمتع بانفاقه على ملذاته من حين لاخر ولكنه لا يمكنه من أن يجنى منه ربحا .. » .

وفى اعتقادى انها المرة الاولى فى تاريخ الفكر الاشتراكى المصرى التى تطرح فيها مسألة الاشتراكية بهذا الوضوح العلمى البسيط والمنطقى ..

مرة اخرى انها دليل على نضج الحركة الاشتراكية .. وانها تباشير مرحلة جديدة من النضال الاشتراكى ..

فاذا انتقلنا الى كتاب نقولا حداد أحسسنا أن الرجل يزداد عمقا فى الفهم وقدرة على الايضاح وكسب الانصار والرد على المعارضين ..

والكتاب صادر فى ١٩٢٠ .. وتحت عنوان مباشر مكون من كلمة واحدة هى « الاشتراكية » أصدرته ادارة مجلة الهلال .. ولابد ان تصدى مجلة كالهلال وهى مجلة معروفة بموقفها المحافظ لاصدار كتاب كهذا هو خير دليل على القوة التى كسبها الفكر الاشتراكى فى هذه الايام .

وتتصدر الكتاب كلمة من ادارة الهلال فيها اعتذار .. وتحمل بين طياتها مغزى فهى تقول « قد اصبح للاشتراكية شأن عظيم فى حياة الشعوب ولا سيما بعد الحرب العظمى فجدير بقراء العربية ان يطلعوا على حقيقة هذا المذهب وقضاياه ومراميه الى غير ذلك من المباحث الخطيرة الدائرة على اصلاح المجتمع العمرانى ولما كانت اللغة العربية مفتقدة الى كتاب فى هذا الموضوع

طلبنا الى الكاتب الاجتماعى نقولا افندى الحداد وضع مؤلف وجيز ليسد هذا النقص ..

وها هو ذلك المؤلف نقدمه الى القراء ويقيننا انه يقع لديهم موقعا حسنا ويعينهم على فهم دقائق المشكلة الاجتماعية الكبرى - سواء وافقوا على العقيدة الاشتراكية أو لم يوافقوا فان غاية هذا الكتاب شرح تلك العقيدة .. وليست غايته نشر الدعوة الاشتراكية أو الحث على الانخراط فى سلك الاحزاب الاشتراكية .. »

والكتاب يقع فى حوالى مائة صفحة (١) ولسنا نستطيع أن نستعرضه هنا فى هذه العجالة لكننى سأحاول ان اكتفى ببعض نماذج منه ..

والكتاب يمكن تقسيمه الى ثلاثة اقسام :

١ - فى اجحاف النظام الافرادى (الرأسمالى) .

٢ - فى النظام الاشتراكى .

٣ - أوهام خصوم الاشتراكية .

أما الخاتمة فعنوانها « مصير العالم الى الاشتراكية » .

وفى مقدمة الكتاب يقول نقولا حداد :

« ان برامج الاحزاب السياسية الاشتراكية فى الممالك الديمقراطية تختلف اختلافات متعددة وبعض هذه الاختلافات جوهرى .. على أن روح العقيدة التى تحيى ابدان هذه الاحزاب واحدة وليست الفروق التى بينها الا من الوجهات السياسية التى ترمى الى كيفية تنفيذ النظام الاشتراكى واحلاله محل النظام الحاضر ..

ان الفكرة الاشتراكية بنت العقل المنطقى أى انها نظرية عقلية تقتضيها الاحوال الاجتماعية وما تضاربت الآراء والاقوال فيها فى ادوار نشوئها وتطورها الا لأن النظام الافرادى الحاضر أصبح على التمادى أصيلا فى العقل الاجتماعى ، واحلال الدخيل مهما كان صوابا مكان الأصيل مهما كان خطأ لا يتسنى بسهولة .. ولهذا تعذر على العقل الاجتماعى جحود عقيدة الافرادية واعتناق عقيدة الاشتراكية دفعة واحدة .. هذا هو سر تدرج الحركة الاشتراكية وتطورها وسبب التضارب فى آراء اهل الحركة واختلاف مذاهبهم حتى يخيل اليك انهم كانوا يختبطون خبط عشواء الى ان بزغت ذكاء واهتدوا

---

(١) اعادت دار الطليعة ببيروت طبع هذا الكتاب عام ١٩٦٤ تحت عنوان جذور الاشتراكية الكتاب تستعتمد على الطبعة الاولى الصادرة فى عام ١٩٢٠ .

أخيرا فى ضحاياها الى العقيدة بعد أن تمحصت وتصفت وتنقت من شوائب التزهات والاباطيل » ..

. ثم يقدم بعد ذلك تفسيرا لكلمة « افرادية » ويقول ان المراد منهـا « هى النظام الحاضر الذى يطلق العنان لسنة التنازع بين الافراد بحيث يؤذن للقوى أن يتمتع بقيمة تعب الضعيف أو على الاقل يخوله حق مقاسمته قيمة عمله ، وبعبارة أخرى يسمح للقوى أن يعيش عالة على الضعيف وهى نقيض الاشتراكية التى تقضى بأن يتمتع كل فرد بنتيجة تعبه كلها ، على إعتبار أن الناس وهم مشتركون فى الاعمال يجب أن يتقاسموا ثمراتها كل على قيمـة عمله »(١) .

وبعد هذه المقدمة يبدأ الباب الاول من الكتاب وفيه يسجل نقولا حداد ادانة كاملة وصارخة للنظام الرأسمالى .. ويلجأ لاول مرة الى استخدام الارقام والاسماء والوقائع كادلة مادية لا تدحض .

※ فخمسة آلاف أمريكى ، أى ١ : ٠٠ر٢٠٠ ، من سكان أمريكا يملكون ثروة الولايات المتحـدة كلها ..

※ وروكفلر يكسب من شركة واحدة من شركاته هى ستندارد أويل ١٠ ملايين ريال وكسور فى العام ، أى ٢٧٫٧٣٨ ريال فى اليوم »(٢) .

ويورد بعد ذلك أمثلة عن ترف الرأسماليين ينقلها عن كتاب « الصراع بين رأس المـال والعمل » وهى أمثلة صارخة أيضا ..

« سيدة غنيـة دفعت ١١ ألف ريال رسـوما جمركية على مـلابس استوردتها من باريس .. وسيدة أخرى انفقت على ملابس كلبها ورياش غرفته نيف وألف جنيه »(٢) .

وهناك فصل بعنوان « المـال ثمرة العمل » يشرح فيه نقولا حداد فى بساطة فكرة ماركس عن القيمة بل يستخدم تقريبا نفس الامثلة التى استخدمها ماركس فى كتابه رأس المـال .

« لا يمكن أن يستخرج من الرزق ما يساوى جنيها مثلا الا اذا بـذل الانسـان قوة فى اسـتخراجه تساوى جنيها .. فاذا كان فى حوزتك اردب قمح يساوى ٣ جنيهات مثلا ، وكانت أجرة العامل تسـاوى ريالا ، فذلك الاردب من القمح لم يصر فى حوزتك الا لان عاملا (انت أو غيرك) اشتغل فى الارض ١٥ يوما حتى استغل ذلك الاردب من القمح من الارض » .

---

(١) ص ٦ . (٢) ص ٨ . (٣) ص ٩ .

ثم هو يستخلص بعد هذا الشرح نتيجة غاية فى الاهمية ٠٠

« وعلى هذه القاعدة التى لا غبار على صحتها يقال : انه اذا كان فى يدك مائة أو الف أو مليون جنيه فاعلم انه ما حصلت على هذه الجنيهات إلا لان عمالا بذلوا من القوة فى العمل ما يساويها ، فكل جنيه بذل لاجل تحصيله من التعب والعناء ما يساوى جنيها ، فاذا كان زيد من الناس قد جمع فى حياته مليون جنيه فهل يعقل انه بذل من العمل وعانى وقاسى ما يساوى مليون جنيه ؟ ٠٠ واذا فرضنا ان أجرة العامل ريال فى اليوم إقتضى أن يعيش هذا الرجل ٥ ملايين يوم أو نحو ٣٠ الف سنة ٠٠ هذا هو عمر صاحب المليون ، فما قولك بصاحب الملايين ؟ ٠٠ وما قولك بعمر روكفلر ؟

قد يقول البعض ان انواع الاعمال تتفاوت قيمة ٠٠ فلابد أن يكون زيد من الناس قد حصل على ثروته الهائلة بما بذل من العمل الثمين الغالى القيمة ٠٠ »(١) ٠

وهنا يضرب نقولا سلسلة من الامثلة ٠٠

« فرئيس الجمهورية الفرنساوية الذى يتقاضى ٢٤ ألف جنيه فى العام يجب أن يترأس الجمهورية أكثر من ٤١ عاما متوالية ، وأن يوفر كل ماهيته ولا ينفق منها دينارا حتى يجمع المليون ٠

وكذلك الرئيس ويلسون يجب ان يترأس الجمهورية الامريكية ٥٠ عاما متوالية حتى يجمع المليون ، لانه يتقاضى ٢٠ ألف جنيه فى السنة ٠٠ وبناء على هذا الحساب يجب ان يترأس روكفلر الجمهورية الامريكية ١٠ آلاف عام حتى يمكن أن يجمع من ماهيته ثروته التى بلغت ٢٠٠ مليون جنيه ، هذا اذا لم ينفق سنتا واحدا منها ٠٠ »(٢) ٠

واشهد اننى لم اقرأ هدما للنظام الراسمالى بمثل هذا العنف ، ولا شرحا لمعايبه بمثل هذه السلاسة والاتساق ٠

ويمضى نقولا حداد فى شرحه العبقرى ليوضح كيف استحوذ الراسماليون على ثروة المجتمع وكيف يمضون فى استغلال العمال ٠٠ وكيف يستخدمون الاختراعات الحديثة لزيادة أرباحهم ولزيادة استغلالهم للعمال ٠٠

« ان هذا التغيير العجيب العظيم الذى احدثته الاختراعات فى الحياة البشرية لم تغمر نعماؤه طبقات الهيئة الاجتماعية على السواء ، بل على العكس

---

(١) ص ١١ ٠ (٢) ص ١٣ ٠

كان بلا مناحة من جهة علة لاكثار النعيم والراحة والهناء لطبقة الاغنياء ، ومن جهة أخرى صار علة لتمادى طبقات العمال فى الشقاء والفاقة والفقر حتى التضور والموت جوعا »(١) ..

« ولما كانت الثروة حاصل عمل جسدى وعقلى ـ كما أسلفنا القول ـ فلا يتعذر علينا بعد ما تقدم أن نعلم من الذى تعب فى تحصيلها ... وبأصرح عبارة نفهم جيدا ان العمال والمفكرين جنوها وحصلوها وما وصلت الى أيدى المتمولين الا لانها اغتصبت من أيادى المحصلين لها ، فغنى أولئك يشيد على فقر هؤلاء .. ولولا ذلك ما كان هذا »(٢) ..

وتحت عنوان فرعى هو « صراع المال والعمل » يروى حداد قصة اختراع الترامواى ، وكيف أن مهندسا اخترع هذا الترام فذهب الى فلان المالى وبسط له المشروع فاقتنع بالفكرة لكنه خشى الفشل .. فقال له المهندس :

« ان اسمك ومركزك المالى يكفيان لتنفيذ المشروع .. فاذا اعلنت انك مقدم على هذا العمل النافع وعرضته لذوى الاموال لكى يشتركوا فيه بالمساهمة وتوزع أرباحه على أسهمهم ، فلا ريب انهم يتهافتون على المساهمة فيه لانهم سيقولون لانفسهم لو لم يكن فلان المالى العظيم القدر ذا ثقة بنجاح المشروع ما أقدم عليه .. وفى هذه الحالة تأخذ لنفسك اسهم تأسيس بلا ثمن وتجنى ربحا بلا رأس مال .. وان حبط المشروع سقط على رؤوس المساهمين وجعلنا اللوم على مدير الشركة مهما كان بريئا ولا ضرر ما دام لا يضحى بمال من عنده »(٣) ..

وعلى هذا النحو تكونت الشركة المساهمة .. وهكذا يستمر نقولا حداد فى براعة لا مثيل لها فى ادانة كافة اشكال الاستثمار الرأسمالى .. فمن يقوم بالمشروع ؟ « المهندس والمدير والكاتب والحاسب والفحام والوقاد والسائق ... الخ .. أما المساهمون فلا يدرون شيئا عن المشروع سوى انهم يركبون مركبات الترام تنساب فى الشوارع ولا يعملون للشركة عملا مطلقا .. » .

وهكذا نرى مما تقدم أن المال استعبد عقل المفكر وجسد العامل جميعا ، واهتضم غلة تعبهما ، وصاحبه ناعم البال يتقلب على أسرة الملذات .. وما اكتفى المال بهذا الاستعباد فقط ، بل أفضى الى قطع أرزاق كثيرين

(١) ص ٣٦ . (٢) ص ٣٨ . (٣) ص ٣٩ .

من هؤلاء العمال والمفكرين خدمة لسنة « الاستقطاب المالى » لانه لا يمكن أن يتجمع المال فى قطب ما لم ينضب من القطب الآخر المقابل له ·· ومعنى نضوبه موت من هم فى ذلك القطب »(١) ·

وبعد أن يجهز على فكرة الشركات المساهمة يتقدم ليهاجم الاحتكار الذى يقول إنه يرفع شعار « السمكة الكبيرة تأكل السمكة الصغيرة » ·: الشركة تقتل التاجر الصغير والشركة الكبيرة تقتل الشركة الصغيرة » فمتى تم الاحتكار بعد ذلك الصراع واستقلت شركة بمشروع ولم يبق لها من منازع تمادت فى طمعها ولم تعد تعرض ثمرة عملها رخيصا كما كانت تفعل يوم كانت تزاحم فى حلبة الصراع بل رفعت اسعاره ما استطاعت ·· وقد تتصالح جميع الشركات المتخاصمة أو المتزاحمة وتتحالف لكى تقف على نهب الجمهور »(٢) ·

ويمضى نقولا حداد باسلوبه السهل ليطعن المجتمع الراسمالى الطعنة تلو الاخرى ، فيتحدث عن « تفريط النظام الافرادى بالثروة العمومية ·· » · وعن « تعطيل قسم من الثروة لرفع ثمن القسم الاخر » ·:

« فبينما كان جانب من العمال فى بعض ولايات أمريكا يتضورون جوعا إذ لا يجدون لانفسهم شغلا وعملا ، كانت بعض شركات الاراضى وبعض كبار الملاك يرفضون أن يؤجروا قسما من أراضيهم ، بل تركوها بورا لكيلا تهبط أجور الاطيان الزراعية »(٣) ·

وفصل آخر عن « التفريط بالعمل حرصا على الثمن » وفصل عن « الاعلانات » « فشركات الصابون فى انجلترا كانت تنفق على الاعلانات نصف مليون جنيه : ومن يدفع هذه النفقات ؟ الشارى الاخير ، أى المستهلك »(٤) ·

وأخيرا ·· وبعد هذه الحيثيات الرائعة ، يصدر نقولا حكمه بالادانة على النظام الراسمالى فهو نظام يقضى « بان يتمتع فريق من الناس بثمرة أعمال السواد الاعظم من الناس ، وقدر لهم أن يبذخوا ويبذروا ويتصفوا فى حين أن ذلك السواد الاعظم يرى ثمرة عمله ويشتهيها ولا يقدر أن يمد لها يدا ·· الفلاح يربى الفرخة ويستنتج منها البيضة ولا يذوق لحم الفراخ ولا بياض البيض ، يصنع الجبن ولا يأكله ·· يزرع القمح ويحصدوه ولا يأكل الا الذرة ··

(١) ص ٣٠ ·
(٢) ص ٣٢ ·
(٣) ص ٣٩ ·
(٤) ص ٤٠ ·

فالنظام الافرادى اذن لم يستطع اسعاد الجنس البشرى برمته مع أن فى الجنس البشرى قوة للعمل كافية أن تسعد ضعيفة جميعا ..

النظام الافرادى فشل وخاب فى مهمته .. فلنر ماذا يستطيع أن يعطيه النظــام الاشتراكى »(١) .

وهكذا يبدأ نقولا حداد الباب الثامن من كتابه القيم فيتحدث عن المجتمع البشرى بين التنازع والتعاون ، ويؤكد « أن التعاون هو دليل انسانية الانسان وأن التنازع بقايا من بهيميته .. فلذلك تقول الاشتراكية : اذا كان الناس متعاونين حتما فى تحصيل الثروة ، أو بعبارة أخرى فى استخراج الارزاق واجتناء المعايش .. فلماذا لا يشتركون فى التمتع بها على قاعدة العدل والانصاف كل على قدر استحقاقه ؟

اذا كان المهندس والحداد والنجار والفاعل و .. الخ قد اشتركوا جميعا فى انشــاء السكك الحديدية أو الترام فى شوارع العاصمة وهم القائمون بادارة حركته ، وتسييره .. فلماذا لا يشتركون فى أرباحه ؟ وما هو شأن زمرة من العاطلين حتى يجنوا القسم الاعظم من ثمرات العمل المفيد ولا يدعوا الا النــذر القليل لاولئك الذين يقومون بالعمل ؟ » .

قد يقول البعض من قدر أن يعمل ما عمله المتمولون فليعمل ، لان سنة التنازع تسوغ له ذلك .. القوى بقوته .. والدنيا لمن غلب وفاز ونال وظفر .. عجبا ! عجبا ، اذا صرع القوى الجسم ضعيفة وسلب ما فى جيبــه أوعزتم الى الشرطة المــأجورين أن يقبضوا على القوى ويسوقوه الى المحكمة قائلين يجب أن يجرى العدل فيه مجراه .. يجب أن يعاقب على جنايته ، بالله الا يجب أن يجرى العدل مجراه هنا ؟ .. أو لا يجوز أن يجرى مجراه بين المتمول والعامل فى قضية الترام مثلا ؟

.. الساطى قوى والمتمول قوى .. المسلوب ماله ضعيف والعامــل ضعيف .. فلماذا يجب أن ينصف المسلوب من الساطى عليه ، ولا يجــوز أن ينصف العامل من المتمول .. بالله قولوا لنا متى وأين يجب أن يستيقظ العدل ومتى وأين يجب أن ينام ؟

قد تقول للسطو قانون عقوبة معروف ومدون ، والقوة الحاكمة موافقــة عليه ومنفذته .. لهذا يعد جريمة تستحق العقاب ، لكن ليس لاغتصاب

---

(١) ص ٤٦ .

المتمول بتعب العامل قانون فلا يعد جريمة .. فنقول الاشتراكية تطالب بسن هذا القانون ..

الاشتراكية تبسط هذا الحيف وهذا الإجحاف وتسعى الى الاسلوب الموافق لازالتها ، ولاقامة قسطاس العدل والانصاف بين المتمول والعامل ، حتى لا يبقى فى طوق ذاك أن يغتصب ثمرة عمل هذا ويتمتع بها ، وحتى لا يعيش ذاك على جنى هذا ..

وما دامت الارزاق لا تجنى الا بالتعاون والاموال لا تجمع الا بالتعاون والثروات لا تحشد الا بالتعاون وجب أن يتقاسمها المتعاونون بجمعها على قاعدة العدل والانصاف . هذه نواة العقيدة الاشتراكية »(١) .

وفى فصل بعنوان « فكرة النظام الاشتراكى » يقول :

« لقد رأينا ان الذى سبب البؤس والشقاء فى المجتمع الانسانى امرين خارجين عن دائرة الحق افضى اليهما التطور الاقتصادى المتمشى على سنة التنــــازع ..

الأول : امتلاك الارض ..

الثانى : تثمير المال المدخر .

أما أن امتلاك الأرض باطل ولا رائحة للحق فيه فلان الارض ليست نتيجة عمل الانسان حتى يحق له امتلاكها بل هى مشاع للجنس البشرى كله فمن اشتغل فيها جنى منها .. فيجب الا يجنى منها الا من اشتغل فيها .

واما أن تثمير المال باطل فلان المال ليس قوة عاملة تنتج عملا بل هو معبر عن حاصل عمل ..

ولتلافى النتائج المجحفة يجب إبطال هذين الامرين ..

فكيف ذلك ؟ وكيف يمكن تنفيذه ؟ ..

وهنا لابد من التنبيه الى امر جوهرى خطير الشأن وهو أن تنفيذ المبادىء الاشتراكية يجب أن يسبقه تنفيذ المبادىء الديمقراطية فى الحياة السياسية .. لان الاشتراكية ليست الا ديمقراطية لحياة الاقتصادية فاذا لم تكن الحكومة حكومة الشعب فلا يمكن أن يشترك الجمهور فى الارزاق

---

(١) ص ٥٢ .

على حد اشتراكهم في تحصيلها » .

.. لكن ما هي صورة المجتمع الذي يريده حداد ..

— « تكون الارض كلها في المملكة الواحدة ملك الامة كلها وتكون حكومة الامة قيمة عليها ويكون الفلاحون وسائر العاملين في الارض مزارعين في أرض بالمحاصة حسبما تجد الحكومة ، أو بالاحرى لجنتها الزراعية ، تعيين الحصص تعيينا عادلا » .

وكما تشرف لجنة الزراعة على شيوع الارض تشرف لجنة الابنيـة على شيوع الابنيـة ..

« وعلى هذا النحو يمكن أن تكون الامة مالكة لجميع المرافق بلا استثناء .. فتكون مالكة للتلغراف والتليفون والبريد والترام ومصلحة المياه ومصلحة الغاز ومصلحة اللبن ومصلحة السكر ومصلحة الملح ومصلحة الصابون وجميع أنواع المعامل والمصانع والمرافق كالمخابز والمجازر والفنادق والملاهي والمتاجر حتى يمكنها أن تكون صاحبة الدكاكين والقهوات وكل مسترزق ويكون جميع أفراد الناس مستخدمين في هذه المسترزقات والمرافق ولكل اجرته حسب قيمة عمله بالتعاون والتكافؤ » ..

وبعد ذلك فصل عن محاسن النظام الاشتراكي يلخص فيه حداد هذه المحاسن فيمـا يلي :

١ ـ سقوط دولة المال اي انه لا تبقى لراس المال قوة التثمير مطلقا لان المرافق وجميع موارد الرزق ملك الجمهور بإدارة حكومته ..

٢ ـ ضمان الاسترزاق لكل فرد فاذا كان العمال اكثر من حاجة العمل وكان ذلك دليل يسر ورخاء وتوزع الاعمال على الجميع ، ويمكن في هذه الحالة ان يكفي للحصول على ارزاق الامة أن تشتغل الامة نصف النهار وتتمتع بالراحة وحسن العشرة وترويض الاخلاق والتثقيف .. في النصف الاخر ..

٣ ـ تواجد السيطرة على الانتاج .

٤ ـ يستغنى بتاتا عن انفاق جانب من القوى العاملة في ترويج البضـائع .

٥ ـ ينتفى الميراث بانتفاء الملكية ولا يرث الابن من أبويه الا حسن بنيته وعقله واخلاقه وما فضل من النقد عندهما .. ولكنه يرث من الامة كلها حقه في العمل والارتزاق وحمايته من الفقر والشقاء .

٦ - السخاء على المنافع العمومية كالعناية بالتعليم والصحة .. الخ »(١) .

وبعد ذلك يخصص نقولا جداد فصلا للهجوم على النظريات الإصلاحية والفوضوية تحت عنوان « ما تبرأ منه العقيدة الاشتراكية » .

وفصل آخر بعنوان « أوهام خصوم الاشتراكية » . ولست بحاجة الى استعراض ما جاء فيهما فقد لخصت مجمل آرائه فى هذا الصدد فى مقالته السابق الإشارة اليه ..

ثم هو بعد ذلك يورد فصلا هاما بعنوان « مورفين النظام الافرادى لتسكين آلام المجتمع » .

يقول فى مقدمته « إن أعداء الاشتراكية بالرغم من تعنتهم فى شجب المبادىء الاشتراكية وجحد هذه العقيدة شاعرون أن التيار ضدهم ولهذا لا يرون بداً من مماشاة هذا التيار الجارف بقدر الإمكان .

يرون أن المتالم لا يستطيع الا أن يصرخ وصراخه يزعجهم ويخشون أن الكلب الجائع اذا اشتد جوعه أضرى وانهش فيضطرون أن يلقموه ..

يرون أن المجتمع يتالم آلاما شديدة تحت نير النظام الافرادى الثقيل فيحاولون أن يحقنوه بمورفين تسكينا لآلامه واليك أنواع المورفين »(٢) .

ثم ويتحدث عن عدد من هذه المسكنات ويهاجمها هجوما شديدا « نحن لا نشكر لركفلر جوده بمعظم ثروته الطائلة لكى ينفق فى المبرات والاحسان والمشروعات الخيرية **لانه ما جمع تلك الاموال الطائلة الا بعد أن انضنك الوف وملايين** من العمال فى تحصيلها له .. فلا كان انضناك العمال فى جمعها ولا كانت هذه المنحة من يد روكفلر .. نحن نريد أن ينال العامل حقه وأن يتمتع بثمرة عمله وان يغاث وقت الضيق بحق له وليس بصدقة عليه ..

ولا نشكر كارنجى الذى ملأ امريكا بمكاتيب للمطالعة لان الاموال التى انفقها فى هذه المكاتب ليست من عرق جبينه بل هى ثمرة أعمال ملايين العمال .. فنحن لا نريد مكتبة من يده بل من يد النظام الاشتراكى .. ولا يحتاج العامل الى مكتبة للمطالعة بل يحتاج حقه من المال لكى يتسنى له ان يتعلم فى المدرسة ويصير أهلا ليفهم ما يطالع »(٣) .

---

(١) ص ٦١ . (٢) ص ٨١ (٣) ص ٨٢

وبعد أن يفند حداد كل أنواع المورفين التى ابتدعها النظام الرأسمالى يقرر « أن الراسمالية تحفر قبرها بيديها وأنها تعد السبيل الختمى للوصول الى الاشتراكيــة » .

وفى الخاتمة يؤكد حداد حتمية انتصار الاشتراكية بالرغم من كـل العقبات التى تصادفها .. فمثلا فكرة الحكم الجمهورى قديمـة « .. وقد حاولت الامم منذ القديم مرة غير مرة انشاء جمهورية لها فكانت تفشـل حتى كاد يقوم فى يقين السواد الاعظم من الناس الذين لا يرون إلا ظواهر الامور ان الحكم الجمهورى لا يثبت لانه غير طبيعى وان الحكم الملكى هو الثابت الدائم الخالد لأنه طبيعى بل كان فريق يعتقد بصحة دعوى الحكـام أن سلطة الملك مستمدة من الله .. ولكن القرن التاسع عشر اثبت لنـا أن الحكم الجمهورى الذى كان يعد بدعة فى السياسة هو الحكم الطبيعى الذى يجب ان يقوم ويثبت حتى أن بعض الامم التى كنا نظنها عريقة فى التقاليد القديمة أخذت تنفض عنها غبار هذه التقاليد ونادت بالجمهورية كالصين واليابان .. فاذا كان شأن الجمهورية هكذا فلا بدع أن يكون شأن الاشتراكية كذلك وهى ديمقراطية كتلك تبدو لفريق من الناس نظرية مستحيلة لكنها ستصبح حين يتمهد السبيل لها حقيقة راهنة » ..

ثم لم يلبث نقولا الحداد ان اصدر كتابا جامعا بعنوان « علم الاجتماع : حياة الهيئة الاجتماعية وتطورها »(١) .

.. يتوج به معرفته بأسس الماركسية ورؤيتها لتطور المجتمعات .. ولنقرا معه ..

« ان الطبيعى قابل للتغير لان عوامل الكون المختلفة مناقض بعضـها بعضـا ، وكل ما تراه من حوادث التغير انما هو نتيجة لهذه المناقضة » .

ثم يتحدث عن الديمقراطية قائلا « وما دامت الديمقراطية الحاضرة ناقصة ، ولا تزال تسمح بالتفاوت الاقتصادى أى ما دامت لم تشمل العـالم بحسب المبادىء الاشتراكية ، وما دام مباحا للافراد ان يجمعـوا الثروات الطائلة ، ترى السلطة تغتصب اغتصابا من تحت ذقن الديمقرطية ، لان السلطة الأولى لم تزل للمال مع ان حقها أن تكون للعلم والأخلاق »(٢) ..

ويقول « وكان من اهم نتائج نظام الملكية الذى تطور على هذا النحو ،

---

(١) نقولا الحداد ــ علم الاجتماع ــ حياة الهيئة الاجتماعية وتطورها ــ ط ٢ ــ ١٩٨٢ ــ دار الرائد العربى · بيروت ·

(٢) المرجع السـابق ــ ص ١٥٠ ..

الاستقطاب المالى وهو تحول الثروة الى جانب الأسياد المتمولين والفقر المدقع الى جانب العبيد العمال ، وحركة الاشتراكيين القاومة لاستفحال التمول تعد تطويرا للرقى الاقتصادى اذ تحول الى وجهة أخرى ؟ (١)

ثم وبصراحة اكثر ، ولا يستطاع تقرير الحق الاقتصادي على قاعدة الديمقراطية ما لم تتقلقل جميع الانظمة ، وتتزعزع وتتداعى ، ولا يستطاع بناء نظام اقتصادى جديد الا بهدم كل نظام ذى علاقة بالاقتصاديات القديمة ، الا اذا الغيت الملكية ، واصبح كل ذى قيمة ملكا للامة بادارة الحكومة ، وصار كل شخص عاملا او موظفا عند الحكومة يأخذ منها أجرة عمله ، ويشترى منها حاجته ، او يستأجر منزله ، فاى اسلوب من اساليب الحياة الحالية ، لا يتزعزع ، بل ولا ينتقض ؟ (٢)

واخيرا لست اعتقد انني املك وحدى اصدار تقييم لهذا الرجل .. يكفى ان اقرر انه .. القمة .. قمة هذا التراث العظيم التى سار شعبنا مسترته الجديدة ليشق له طريقا وسط الصخر الصلد ..

قمة الفهم الواعى والفكر المستنير والايمان العميق بالعلم والشعب والعدالة .. قمة الرحلة الجديدة التى بداها رفاعة وخاض غمارها مئات بل الوف من المفكرين العباقرة والكادحين البسطاء من أجل أن ينبتوا فى مصر أزهار الاشتراكية السعيدة ..

وبعد الوصول الى هذه القمة يبدأ الفكر الاشتراكى مرحلة جديدة وأساليب جديدة ، يبدأ فى العمل النضالى المنظم والواعى من اجل تحقيق هذه الافكار .

اننا لا نريد أن نبالغ فى مدى نقاء هذا الفكر الماركسى ودقة التزامه بالتعاليم اللينينية ..

لقد كان دعاة هذا الفكر مجرد رواد فى مجال صعب .. بل وبالغ الصعوبة بالنسبة للمثقف المصرى .. وكانوا يشقون طريقهم نحو فهم أعمق وسط صعاب جمة اهمها انعدام اية كتابات لينينية باللغة العربية ، وحتى بالنسبة للغات الاجنبية المتاحة للمثقف المصرى وهى الانجليزية والفرنسية فان الكتابات اللينينية لم تكن متوفرة ايضا .

(١) المرجع السابق – ص ٢٣٥

(٢) المرجع السابق ص ٣١٣

كذلك فان هؤلاء المثقفين الماركسيين قد ظلوا لفترة طويلة يمارسون دورا فكريا محضا ولم تتح لهم فرصة الاحتكاك بالنضال اليومى للبروليتاريا لا الاندماج المباشر فى العمل الحزبى ..

كانوا مجرد مجموعات من المثقفين يدرسون ويتناقشون ويبحثون عن طريق ، ولم يكن ممكنا أن تنضج أفكارهم ويصحح مسارها وتتحول الى مفهوم فكرى عميق واصيل الا من خلال العمل الحزبى والممارسة اليومية للنضال .. وهو امر لم يتوفر الا مع تأسيس الحزب فى اغسطس ١٩٢١ .

وهكذا يمكننا أن نعتبر هذه الكتابات الماركسية مجرد خطوة فى الطريق الصحيح ولا شك أننا نظلم أصحابها لو حاولنا تقييمها وفقا للمقاييس الدقيقة للماركسية اللينينية . فلا شك ان هناك اخطاء وشوائب ونقص فى الفهم وبعض الانحراف .. ولم يكن ممكنا ان يصحح المسار الا من خلال النضال الحزبى وهو أمر لم يتوفر الا فيما بعد ..

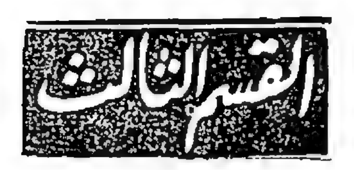
وهكذا فاننا ـ كى لا نظلم هؤلاء الرواد الشجعان ـ يتعين علينا أن نقيم أعمالهم تقييما موضوعيا مرتبطا بظروف مجتمعهم وبظروف التكوين الفكرى للمثقف المصرى .. وأن نضعهم فى موضعهم الصحيح روادا فى طريق صعب لم تكن قد اتضحت لهم بعد كل معالمه . لكن ذلك كله لا ينفى عن كتاباتهم اصالتها واهميتها .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



من الفكر المجرّد إلى العمل الحزبي

١

* الخلايا الاشتراكية فى مطلع القرن العشرين
* اعلان الحزب الاشتراكى ٠
* الاشتراكية المصرية من الدفاع الى الهجوم المضاد ٠

ثمة روايات عديدة لتلك القصة الجيدة ، قصة بدء النشاط الحزبى للاشتراكية فى مصر ... لكن كل الروايات تتفق على ان البداية كانت بايد أجنبية ...

والحقيقة ان الجاليات الاجنبية فى مصر التى تكاثر عددها بعد الاحتلال الانجليزى ونتيجة للامتيازات الاجنبية قد لعبت دورا هاما فى التاثير على المحتوى الفكرى للطبقة العاملة المصرية ومثقفيها ...

والغريب ان هذا التاثير قد اقتصر - تقريبا فى حدود العمال والفكر العمالى . فالمثقفون المصريون كانوا معزولين عن المثقفين الاجانب . يعزلهم تعالى الاجانب واتجاههم الى تكوين مجتمعات خاصة بهم ، واحتقارهم للغة العربية وللمتحدثين بها .. وتعزلهم الامتيازات التى كانوا يتمتعون بها ... واحساس كل موظف اجنبى - أيا كان مركزه - بانه جزء من فئة أكثر تفوقا وأكثر احتراما .

أما العمال فقد كانوا الفئة - الوحيدة - فى المجتمع التى امتزجت فى مجال العمل اليومى مع العمال الاجانب الذين كانوا يؤدون نفس العمل - ويتعرضون لنفس القهر - ويقاومون نفس المستغل .

يساعد على ذلك ان غالبية هؤلاء العمال كانوا من غير الانجليز ، أرمن ، يونانيون ، ايطاليون ومن خلال هذا الامتزاج فى العمل ، بدأ الاحتكاك الفكرى ...

لكن التكوينات الحزبية كانت فى البداية اجنبية صرفة وقد أدى الى ذلك تخلف العمال المصريين واحساسهم بتعالى العمال الاجانب عليهم ، وعدم الثقة بهم ، كما أن هذه التكوينات كانت فى الغالب تكوينات قومية مغلقة فى حدود جنسية واحدة تعمل كامتداد للاحزاب الاشتراكية فى الوطن الام .

فالتنظيم الاشتراكى اليونانى ظل مستقلا باستمرار واحتفظ بكيانه المستقل حتى ما بعد النصف الثانى من القرن العشرين *.

---

* وظل هذا التنظيم قائما حتى صدور قوانين التمصير فى عام ١٩٥٦ ثم قوانين التاميم فى عام ١٩٦١ التى اعقبتها موجات هجرة غادر فيها معظم الاجانب مصر .

والعمال الايطاليون كان الكثيرون منهم يحضرون الى مصر فى مواسم محددة هربا من بطش فرص العمل فى ايطاليا ثم يعودون الى بلادهم مرة اخرى وقد ادى هذا الى استمرار ارتباطهم بالحزب فى الوطن الأم ٠٠

لكن هذا لم يمنع من وجود محاولات لاقامة تنظيمات تضم اجانب من جنسيات مختلفة ..

ونحاول الان أن نتتبع الخيط من بدايته .

والحقيقة أن هناك روايات عديدة ، وربما كانت كلها صحيحة طالما أن كل رواية تتحدث عن تنظيم مختلف ..

ولنبدأ بأولى هذه الروايات

باباكاكيس ، تبريديس ـ اليونانيون ... والارمن

اذا كان روزنتال قد بدأ نشاطه عام ١٨٩٩ فان هناك من بدأ قبله ..

ولعل المنظمة الشيوعية اليونانية تمتلك الحق فى ان نقرر لها انها ـ وفق ما هو متاح من معلومات تاريخية ـ كانت أول مجموعة منظمة مارست نشاطا شيوعيا فى مصر .

وتحمل لنا صحف عام ١٨٩٤ معلومات عن واقعة « ضبط أحد اليونانيين وهو يوزع منشورا (فوضويا) فى ١٨ مارس ١٨٩٤ يحض فيه العمال على الاحتفال بذكرى نهضة الكومون عام ١٨٧١ » .

وكان كلمة شيوعية تترجم فى صحف هذه الفترة فوضوية ثم أصبحت فيما بعد تترجم اباحية .. من لفظ « اباحة » وتشير احدى المجلات الى محتوى هذا المنشور فتنقل منه فقرة تقول « اذكروا ان هذا اليوم هو تذكار نهضة الكومون فى باريس فهلموا ايها العمال المظلومين تتحد جميعا ونهتف معا فليهلك الموسرون البرجوازى ولتحيا الثورة الاجتماعية ولتحيى الشيوعية » (١)

ولابد ان نشير ايضا فى هذا الصدد الى اضراب قام به العمال اليونانيون فى شركة قناة السويس فى ذات العام .. (٢)

---

(١) الهلال ـ ١٨٤ ج ١٥ ـ السنة الثانية نقلا عن د. عبد الوهاب بكر ـ أضواء على النشاط الشيوعى فى مصر ـ ١٩٢١ ـ ١٩٥٠ ـ دار المعارف (١٩٨٣) ص ١٨

(٢) دار الوثائق القومية ـ محفظه ١٠٥ داخلية افرنكى ـ تقرير محافظ عموم القنال عن بيان الحوادث التى وقعت بين اشغالية الكراكات وقومبانية القناة من اول اكتوبر ١٨٩٤ لغاية ١٥ منه .. ويتخلص فى اعتصاب العمال اليونانيين بالقومبانية .

ولعل ابرز شخصية يونانية لعبت دورا متميزا ومستمرا فى هذا النشاط كانت ساكيلاريديس ياناكاكس تاجر الاسفنج الذى وصفه أحد رفاقه بأنه «ضخم الجسم متوسطة القامة ، رأسه ضخم كستنائى الشعر ، جبهته حمراء عريضة ومنتفخة ، يغلف عينيه برود رمادى غامق لكنه مؤثر ونفاذ ، يعطيك انطباعا حادا بأنك أمام شخص قوى البنية صلب الارادة من أسرة أورثوذكسية يونانية متعصبة لم تغفر له أبدا أنه أصبح ماركسيا .

زوجته تانيا ممرضة ضخمة الجسم .. لم يبد عليها أبدا أنها ماركسية لكنها وهبت روحها وكل حياتها لزوجها » .

« كان أبوه تاجر الاسفنج الاول بالاسكندرية ، وكان تاجرا مرموقا ولم يكن يريد أن يخسر مركزه الممتاز فى المدينة بسبب نشاط ابنه الذى يروج الشيوعية أكثر مما يروج الاسفنج فى أسواق الاسكندرية ، لم يكمل ياناكاكس دراسته الابتدائية وتركها ليعمل فى التجارة مع والده . كانت علاقاته فى السوق تدفعه للاحتكاك بوسط راق ، فالبرجوازية هى التى تستعمل الاسفنج ، بعد فترة بدأ يقرأ بنهم . قال لى ياناكاكس ذلك ، وقال أيضا أن الاسكندرية كانت قبيل نهاية القرن التاسع عشر الميناء الرئيسى فى البحر الابيض تغص بالصالونات الادبية والفنية والمنتديات واللقاءات ، وكانت صفوة المفكرين والمهنيين الاجانب تقيم فيها ، وكان البرجوازيون اليونانيون كبارا وصغارا يتبادلون فى المقاهى والنوادى والصالونات والمنتديات أحاديث صاخبة فى السياسة .. لا أحد يتفق مع أحد ، كانوا يقولون لا يمكن ان يتفق اثنان من اليونانيين حول أية قضية قضية سياسية ، وكل اليونانيين سياسيين »(١)

ولم يكن ياناكاكس وحده ، كان هناك أيضا مالانوس ، كازانتفلكس ، نيكوس نيقولاييدس ، جورج بيريدس ، كونستانتينيدس بيريدس (الشاعر الشهير) ، زربينى (وكان مليونيرا وقد قدم مساعدات كبيرة للتجمعيات اليونانية التقدمية وعندما فتحت وصية زربينى بعد وفاته فوجىء الجميع بأنه يوصى بأن يشرف الرفيق ستالين على تنفيذ وصيته وطبعا لم تنفذ)(٢) .

---

(١) نيقولاى بابارينوتى - تقرير عن ذكرياته ومعلوماته عن المجموعة الشيوعية اليونانية - كتبه بناء على طلب المؤلف وهو مكتوب على الآلة الكاتبة الفرنسية من اثنان وخمسون صفحة بعنوان

Petit Resume du Movment Politique Grec En Egypte et Toute Particlierement Au Caire.

(٢) المرجع السابق .

وكانت المجموعة الماركسية اليونانية تعيش فى قلب الحياة الثقافية اليونانية . انشئت دار الكتب الشعبية اليونانية ومجموعة من الصالونات الادبية واصدر ثالاتوس وكان صاحب مكتبة شهيرة بالاسكندرية مجموعة من دواوين الشعر وكان كونستانتينيدس بريديس واحدا من اشهر شعراء اليونانية الحديثة .. واصدر نيكولاييدس مجموعة من الروايات « كانت ترسمها يد فنان برجوازى صغير يونانى قبرصى مصرى ينفث فى ابطاله رائحة عطرة من الحب الانسانى العميق »(١) .

وتشعب نشاط هذه المجموعة ليغزو حتى الصالونات الارستقراطية ..

يقول نيقولاى بباريدوتى « كنت موظفا صغيرا فى البنك الاهلى اليونانى ومنذ صغرى كنت ضد الاغنياء . منذ ١٩١٧ بدأت أقرا الادب الروسى المترجم الى اللغة اليونانية . كنت احضر مجموعة للدراسات الادبية يرأسها يونانى رجعى اسمه لوكاس ديمتوفيتس وتتخذ مقرها فى المدرسة اليونانية للبنات بشارع نوبرية .. وكان ديمتوفيتس ملكيا يمضى معظم الوقت فى امتداح صفات مليكه .. وفى هذا المكان بالذات تعرفت على شيوعى كان يحضر المناقشات هو نيكوس نيقولاييدس . وكان ذلك عام ١٩٢٠ واصبحت شيوعيا »(٢) .

ويقول باباريدوتى « لسبب أو لاخر كان الادب الروسى هو موضة العصر .. وكانت كتابات تولوستوى وديستوفسكى وليرمنتوف يجرى تداولها بلهفة فى أوساط المثقفين وتجرى حولها مناقشات عديدة »(٣) .

وقد اهتمت المجموعة بتقديم دراسات عن الطبقة العاملة واوضاعها والف جورج بيريديس كتابا عن « عمال القطن » .

ومن الواضح ان الادبيات الماركسية حتى المتعمقة منها لم تكن بعيدة عن هذه المجموعة .. يقول باباريدوتى عن بياناكاكس « ان يقرا كثيرا وخاصة المؤلفات عن الثورة الروسية ومؤلفات لينين وماركس وانجلز وانا واثق انه قرا انتى دوهرنج وكثيرا من مؤلفات انجلز »(٤) .

اما متى بدا اليونانيون نشاطهم الاشتراكى فان رواية للدكتور عبد الفتاح القاضى تقول « ان الحركة المصرية للتحرر الوطنى كلفته فى عام ١٩٤٢ بكتابه

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .
(٤) المرجع السابق .

تاريخ الحركة الماركسية فى مصر فاتصل بيناكاكس الذى قال له « أن أول حركة اشتراكية ظهرت فى مصر كانت وسط اليونانيين الذين اشتركوا فى تأسيس نقابة لعمـــال الاحذية وكانت مكونة اساســـا من اليونانيين والأرمن »(١) ٠

وعندما بدأت محاولات تأسيس الحزب الاشتراكى المصرى قالت الاهرام ان بيريدس شـــارك فى المفاوضـــات بصفته ســـكرتيرا للفرع اليـــونانى بالاسكندرية (٢) ٠

ولكن لم تبد أية أسماء يونانية فيما بعد بين صفوف الحزب ٠ ويبدو ان الامر قد استقر على ان تستمر المجموعة اليونانية فى نشاطها المستقل ٠٠

ولكن هذا النشاط المستقل قد تعرض أيضا للمطاردة من جانب اجهـزة الامن ٠٠ فما أن وجهت الضربة للحزب الشيوعى المصرى عام ١٩٢٤ حتى كان البوليس يلقى القبض دون اذن من النيابة على مجموعة من اليونانيين ضمن حملة القبض الواسعة ٠٠٠ وضبطت لديهم مطبوعات تؤكـد وجـــود منظمة شيوعية يتضمن برنامجها الاطاحة بالبرجوازية الاجنبية والمحلية وطرد الاستعمار الانجليزى من مصر وإقامة حكم اشتراكى ٠

وعندما قدموا للمحاكمة صدرت أحكام بالسجن على العديدين وكان من المحكوم عليهم ياناكاكس الذى انتقل فى أعقاب الافراج عنـــه الى القاهرة حيث افتتح محلا لتجارة الاسفنج بشارع سليمان باشا ناصية عبد الخالق ثروت ٠٠ وكان هذ المحل ملتقى الشيوعيين اليونانيين والمنتدى الذى يلتقون فيـه باســـتمرار ٠

والشيء المؤكد ان هذه المجموعة من اليونانيين لم تكن بعيدة عن نشاط الحزب الشيوعى المصرى ٠٠ ويقال ان ياناكاكس الذى تعرف فى السجن على عامل شيوعى مصرى هو محمد عبد العزيز خرج من السجن ليقدم له تزكيته حتى توالى تصعيده فى صفوف الحزب وأصبح اثر الضربات المتتالية التى أطاحت بالقيادات الأساسية سكرتيرا للحـزب ثم اكتشف فيما بعـد انه أصبح عميلا للبوليس ٠٠٠

ومنذ ذلك الحين اتخذ الشيوعيون المصريون ، واتخذ الكومنترن موقفا من ياناكاكس وقرروا عدم التعامل معه ٠٠

---

(١) راجع فى الملاحق محضر النقـاش معه ٠

(٢) الأهرام ١٦/٨/١٩٢١ ٠

أما الارمن الذين كان تعداد جاليتهم يصل إلى ٣٠ ر ٠٠ فقد وجدت بينهم منظمات ماركسية قوية واصدروا نشرات غير دورية ، وقد لعب الارمن دورا هاما سواء في تأسيس الحزب الاشتراكي المصري وفي مواصلة النشاط التنظيمي في صفوفه (١) .

روزنتال وابنته واخرون

وروزنتال شخصية غريبة .. ترددت حوله روايات كثيرة تحاول أن تنسج عنه صورة اسطورية .. فجنسيته غير معروفة بالضبط ويقال انه سويسري أو روسي أو ايطالي وأحيانا الماني .

وقد اكد البعض انه الماني هاجر الى ايطاليا حيث حصل على الجنسية الايطالية ثم جاء الى مصر ثم حصل على الجنسية المصرية .

لكن تقارير اجهزة الامن البريطانية تؤكد انه روسي الجنسية والحقيقة ان روزنتال وابنته شارلوت كانا محاط اهتمام بالغ ومنذ فترة مبكرة للغاية من جانب هذه الاجهزة سواء العاملة منها في مصر او في كل منطقة الشرق الاوسط ثمة مذكرة سرية موجهة لادارة الامن العام بوزارة الداخلية المصرية مؤرخة في ٩/٢٨ سنة ١٩٢١ تحتوى على البيانات التالية عن روزنتـــــال .

... الجنسية ... روسي ...

... جواهرجي ٦ شارع شريف بالاسكندرية ...

جـ ـ ارفق مع هذا تقريرا منفصلا عن نشاط المذكور حتى ٢٧ فبراير ١٩٢١ سبق أن رفع الى مستشار وزارة الداخلية .

... أما عن نشاطه حتى ذلك الحين فهي ...

أما التقرير المنفصل عن نشاط روزنتال حتى فبراير ١٩٢١ فقد عثرنا عليه ايضا وهو مؤرخ في ١٠ مارس ١٩٢١ ويحتوى على البيانات التالية ...

مذكرة رقم ٠٠٧٥٤ في ١٠ مارس ١٩٢١ .

... الى مستشار وزارة الداخلية ...

---

(1) w. Laqueur — Communism and Nationalism in the Middle East — Ibid P. 232.

فيما يلي مذكرة بالمعلومات التي في حوزتنا عن جوزيف وشارلوت روزنتال
في عام ١٩٠٣ بدأ اهتمام أجهزة الامن بالمذكور كفوضوي شديد الخطورة يقوم بترويج دعايات مثيرة بين اليهود المحليين

عام ١٩١٣ : ورد اسمه بشكل أساسي في قضية آدامونتش النهيليست الروسى .

يوليو ١٩١٦ : ورد تقرير من إدارة شئون اللاجئين يتهمه بأنه مثير للاضطراب والمتاعب فى صفوف اليهود الروس

نوفمبر ١٩١٨ : خلال احتفالات السلام قام برفع علم الاشتراكيين وهو رقعة حمراء فى وسطها كفتان يتصافحان .

١٩٢٠/٧/٧ : قام جوزيف روزنتال بصفته رئيسا لاتحاد المستأجرين بتنظيم اضراب لمدة ٢٤ ساعة كاعلان عن احتجاج المستأجرين على ارتفاع ايجارات المحلات وقامت ابنته بالاشراف على عدة مجموعات من الاناث تولت مهمة اجبار اصحاب المحلات غير المشتركين فى الاضراب على اغلاق محالهم .

١٩٢٠/٧/١٦ : ورد تقرير من بوليس الاسكندرية يفيد بأن المذكور كان المنظم الاساسي لاضراب عمال الترزية كذلك اشترك فى تنظيم اضراب عمال محلات الحلاقة متظاهرا بأنه اشتراكى لكنه كما يقول تقرير بوليس الإسكندرية ليس اشتراكيا وانما هو مجرد محب للاثارة ويعمل لتحقيق افكار خاصة به وهو يبذل جهدا كبيرا كى يصبح رئيسا للمجلس البلدى بالاسكندرية وذلك بالرغم من أنه لم يحصل فى الانتخابات السابقة للمجلس البلدى الا على أصوات قليلة .

١٩٢٠/٨/٣٠ : منح بوليس الاسكندرية روزنتال وابنته تصريحا بالسفر الى إيطاليا وسويسرا والنمسا .

١٩٢٠/٨/٢٨ : أفادنا قومندان بوليس الاسكندرية بالتقرير التالى « روزنتال معروف كفوضوى سياسى خطر مدرج فى القائمة السوداء إنه معروف بأنه صريح فى التعبير عن آرائه السياسية . له علاقة بكل الحركات النقابية الموجودة بالاسكندرية يمكن القول بأنه اشتراكى ثورى ذو ميول شيوعية » .

١٩٢٠/١٠/٣ : غادرت شارلوت روزنتال الاسكندرية على الباخرة كارلسباد

---

(١) تقرير بالانجليزية مرفوع من ى . كلايتون عن المدير العام لادارة الامن العام بوزارة الداخلية المصرية الى ماكنجتون ومؤرخ فى ٢٨ سبتمبر ١٩٢١ (مودع فى الأرشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية)

١٩٢٠/١٠/٤ : وصلت الباخرة المقلة لشارلوت الى بورسعيد وأفاد قومندان بوليس قناة السويس وبورسعيد بأنه علم انها قد حجزت مكانا على السفينة الى يافا بفلسطين

١٩٢٠/١١/١٣ : ورد تقرير من مساعد مدير الامن العام بالقدس

يفيد بأنه قد ألقى القبض على شارلوت روزنتال بسبب نشاطها السياسى وان سلطات يافا تمتلك وثائق تؤكد أنها بلشفية

١٩٢١/١/٤ : عبرت شارلوت روزنتال القنطرة فى طريقها للاسكندرية »(٢)

* ان هوية روزنتال الشيوعية ظلت غير معلومة للبوليس لفترة طويلة

* ان اجهزة الأمن كانت تركز جهوداً مكثفة وعبر شبكتها الدولية لتابعة انشطة روزنتال وابنته

* ان روزنتال كان شخصية جماهيرية وذو نفوذ وسط الجاليات الأجنبية (اتحاد المستأجرين نقابات العمال ـ اضرابات العمال) مكنته من ان يطمح لترشيح نفسه رئيسا لبلدية الاسكندرية وهو منصب مرموق للغاية فى ذلك الحين.

والحقيقة ان اهتمامات البوليس بروزنتال لم تنته وسوف نعود اليها فيما بعد ولكن بعد ان نستمع الى ما يقوله روزنتال نفسه اولا ـ يروى روزنتال فى شهادته أمام النائب العام فى ١٩٢٤/٣/٦ موجزاً لجهوده المبكرة فيقول: « اننى منذ حداثتى اميل الى المبادىء الإشتراكية وأحن اليها وقد كان اعظم الامال عندى ان ارى حالة العمال تتحسن بقوة التربية والنظام ولما وفدت الى مصر منذ ٣٥ سنة جعلت اسعى لتأليف النقابات وأول نقابة اشتركت فى تأليفها كانت نقابة عمال السجاير وبعد ذلك اشتركت فى تأسيس بضع نقابات اخرى للخياطين وعمال المعادن وعمال المطابع وكانت تلك النقابات كلها تقريبا للعمال الاجانب لان العمال الوطنيين كانوا فى ذلك الوقت اقلية فى جميع الحرف ودوائر العمل بالنسبة لزملائهم الاجانب »(١)

---

(٢) تقرير بالانجليزية مرفوع لمستشار وزارة الداخلية المصرية مؤرخ فى ١٠ مارس ١٩٢١ مودع بالارشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية

ونلاحظ أن نقابة عمال السجاير قد تأسست عام ١٨٩٩ وروزنتال يروى في شهادته (١٩٢٤) أنه حضر الى مصر منذ ٢٥ عاما اى أنه حضر عام ١٨٩٩ .. ومعنى هذا إنه قد شرع فور وصوله الى مصر في خوض معركة تأسيس النقابات العمالية ... وممارسة نشاطه السياسي .. أما البوليس فقد انتبه الى هذا النشاط كما نرى في التقرير السرى السابق في عام ١٩٠١ ولم يكن اختيار عمال السجاير بالذات مجرد مصادفة « فقد كان البدء في استخدام الآلات الحديثة في لف السجاير في أواخر القرن التاسع عشر ايذانا بتشريد لفافي السجاير الذين كانوا يلفون السجاير بأيديهم وقد استمر الاضراب الاول للفـاقي السجاير شهرين كاملين »(١) .

ويلاحظ رؤوف عباس ملاحظة لم يجد لها تفسيرا وهي اشتراك لفاقي السجاير وغيرهم من العاملين في مهن اخـرى في اضراب الخيـاطين .. ناسيا ان روزنتال كان المؤسس والموجه لمعظم النقابات في ذلك الحين والمنسق بين حركتها والتضامن في صفوفها .. (٢) ..

وثمة وثيقـة أخرى تبدى اهتماما بأنشطة روزنتال المتعـددة ..

الوثيقـة مودعة في ملف خاص من ملفـات وزارة الخارجية البريطانية بعنوان « مذكرات عن النشاط البلشفي في مصر عام ١٩١٩ » .

تقول الوثيقـة عن روزنتال « أنه معـروف للبوليس منذ عشرين عاما (الأمر الذي يؤكـد أنه كان تحت نظر البوليس منذ وصوله الى مصر عام ١٨٩٩) .. وهو يتبنى عادة مواقف متطرفـة للغـاية فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية .. وصفه البوليس من آن لاخر بأنه فوضوى .. مهيج .. سياسي خطر .. ويقـول احـد المرشدين وهو يعرفه تمام المعرفـة أنه لا شك لديه في أن رزنتال يعتنق اشد أنواع الشيوعية تطرفـا وانه يعمل بنشاط على ترويجها ... وبرغـم انه يؤمن بضرورة تغيير الاوضاع القـائمة الا أنه لا يعتقـد أنه يحبذ استخدام العنف .. هدفه الراهن هو توحيـد العمال في مصر في اتحـاد ضخم وما من شك في أن احـد اهدافه من القيـام بمثل هذا العمل هو نشر الشيوعية في صـفوف العمـال تدريجيـا .

ولا شك أن اعتناقه لهذه المبادئ يدفعه بطبيعة الحـال الى تشجيع بل والاسهام في تأسيس ناد مثل « نادى الدراسات الاجتماعية » وهو ناد ينهج نهج الدولية الثالثة ، وما من شك أيضا في عـلاقة روزنتال كممثل أو كمراسل في مصر الدولية الثالثة . وهو على مراسلات متصلة بليتفينوف الذى يقـال

(2) Vallet — Contirbution a L,ettude de la Condition des Ouvriers de la grand Industrie au Caire (1911) P. 141.

(٢) رؤوف عباس ، المرجع السابق . ص ٥٥

أنه ممثل البلاشفة في ريفال باستونيا، كما أنه يتراسل أيضا مع مكاتب الدولية الثالثة في فينا ونيويورك . ومن المرجح أنه أيضا على علاقة بالعناصر البلشفية في فلسطين ويوجد في صفوف النقابات العمالية التي يؤسسها عديد من العمال اليهود ذوى الاتجاهات البلشفية الذين لهم علاقات بشكل أو بآخر بفلسطين . وثمة شكوك تواجدت مؤخرا في أنه يتراسل مع العناصر البلشفية في فلسطين عن طريق أشخاص يسافرون لهذا الغرض . ولكن هذه الشكوك لم تتأكد بعد . ولابد أن نتذكر في هذا الصدد القاء القبض على ابنته أثناء زيارتها لفلسطين في نوفمبر الماضي . وقد جاء في تقرير البوليس لنا عنها أنها تعتنق أفكارا اشتراكية متطرفة . وقد ضبطت في حيازتها أوراق صادرة عن الدولية الثالثة .

وقد أدلى روزنتال بحديث إلى السيدة ترافرس سيمونس نائبة رئيس تحرير الاجيبشان جازيت في مايو الماضي وثمة أشياء ملفتة للنظر في هذا الحديث .. فقد أعرب روزنتال عن ارتياحه لما يحرزه من تقدم في عملية تنظيم العمال في نقابات .. وقال أيضا انه ما من فرصة ولو ضئيلة لنشر الشيوعية الآن وسط الفلاحين المصريين وأن فشل سياسة لينين تجاه الفلاحين المتوسطين (الموجيك) سوف تلقن الشيوعيين دروسا جيدة لدى أية محاولة لنشر دعاياتهم في المستقبل في صفوف الفلاحين المصريين .

وقد طرحت مسألة اتخاذ إجراء حازم ضد روزنتال في شهر مارس الماضي وعرض الأمر على المستشار لكن الدكتور جرانفيل أعرب عن اعتقاده بأنه لا ضرورة لاتخاذ اجراء كهذا بسبب ما يتمتع به روزنتال من تأييد وسمعة حسنة في الاسكندرية الأمر الذي يؤهله لان يطمح لمنصب رئيس بلدية الاسكندرية . كذلك أشار المستشار إلى أن روزنتال يقوم بكل أنشطته في وضح النهار (١) ..

وهكذا يتضح لنا أن روزنتال كان شخصية هامة وكان محط اهتمام بالغ من مختلف الأجهزة . كما كان أيضا محط اهتمام المثقفين المصريين وخاصة ذوى الاتجاهات الاشتراكية منهم . بل لعل أهم ما سجلته أجهزة الأمن النشيطة أن روزنتال كان محط اهتمام أيضا من جانب الزعامات السياسية الهامة أيضا .. وثمة وثيقة بالغة الأهمية من وثائق وزارة الداخلية المصرية - إدارة الأمن العام - مؤرخة في ٢٨ سبتمبر ١٩٢١ تسجل في دهشة بالغة أنه في ١٠ أغسطس ١٩٢١ قام مصطفى بك النحاس أحد قادة الوفد بزيارة روزنتال حيث عرض عليه بصفته رئيسا لاتحاد العمال بيانا يزمع زغلول نشره قبيل الانتخابات .

ولعل هذه الفقرة تثير المزيد من الاهتمام اذ أنها توضح علاقة - كانت مجهولة - بين زعماء حزب الوفد (سعد زغلول ومصطفى النحاس) وبين

(1) F. O. 141-779 F. G. (1919 Note on Rosental

العناصر الماركسية (التي كانت قد شكلت في ذلك الحين الحزب الاشتراكي المصري) وعلى رأسها روزنتال .

والحقيقة أن روزنتال كان أيضا محط اهتمام العناصر الاشتراكية المصرية التي سعت اليه عندما بدأت في التفكير في تأسيس حزب اشتراكي .

يقول سلامة موسى أنه وزملاؤه عندما قرروا تأسيس جمعية اشتراكية كتبوا الى مسيو روزنتال باعتباره سكرتيرا للحزب الاشتراكي المؤلف من الجالية الاجنبية في مصر يسألونه عن برنامج هذا الحزب فاذا وافقهم انضموا اليه (١) .

ويقول د. على العنانى « عرفت المسيو روزنتال الذي يسعى منذ امد بعيد لتاليف حزب اشتراكي في هذه البلاد وعرفت عنه هذه المبادئ الشريفة العادلة .. » .

لكن روزنتال برغم حيويته الدافقة ، ونشاطه الواسع لم يكن فيما يبدو ماركسيا اصيلا فما لبث أن ثارت خلافات عديده حوله وبسببه وكان استبعاده من الحزب احد شروط الكومنترن (الدولية الثالثة) لقبول الحزب المصري عضوا فيه .. وان كانت شارلوت ابنته قد ظلت عضوا عاملا وربما قياديا في صفوف الحزب .. وتزوجت واحدا من منظميه الاساسيين هو أفجدور *

ولم يكن روزنتال وحده ..

كانت هناك شخصية أخرى أشد غموضا وأشد اثارة ..

شخص لم تستطع أجهزة الامن الانجليزية التعرف على اسمه بالدقة فأسمته زايدمان أو زيدرمان .

وقد عثرنا على عدد من الوثائق الهامة حول هذه الشخصية الغامضة في الأرشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية .. أولاها معنونة « مذكرة عن ادوارد زايدمان (زيدرمان) وتقول هذه المذكرة

« في يناير ١٩٢١ أبلغ الميجور كورنتى أن لندن تطلب معلومات عن

(١) الأهرام ١٩٢١/٨/١٩ .

* اسمه الحقيقي بهيل كوسى وهو واحد من كوادر الكومنترن الأساسية المكلفة بالعمل في منطقة الشرق الاوسط وقد القى القبض عليه في مصر عام ١٩٢٥ حيث حكم عليه بالسجن .(لمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية راجع كتابنا اليسار المصرى ١٩٢٥ – ١٩٤٠ وراجع أيضا والتر لاكور الاتحاد السوفييتى والشرق الاوسط .)

شخص يسمى ادوارد زايدمان وفى ١٩٢١/٢/٨ افاد بوليس مدينة القاهرة بمذكرته رقم ب/س/ز/٧٢ جاء فيها المعلومات التالية والتى ارسلت مباشرة الى الميجور كورتنى .

" ان الشخص الوحيد الذى يحمل اسم ادوارد زايدمان وفقا لتحرياتنا يقيم حاليا فى الاسكندرية وهو من مواليد اوديسا وقد خدم خلال الحرب العالمية تحت العلم الانجليزى وعندما انهى خدمته فى الجيش البريطانى فى عام ١٩١٩ تزوج ابنة شخص يدعى ارون روزنفولد يمتلك مكتبا للسمسرة بشارع الدسوقى بجاردن سيتى .

- وليس لادوارد زايدمان ابوان مقيمان بمصر وليس له أقارب بها سوى اسرة صهره الذى يحرص دائما على التنصل من اية علاقة بزوج ابنته .

ويعمل ادوارد زايدمان بتجارة الاثاث فى مدينة الاسكندرية . وليس لدينا أية معلومات دقيقة حول هذا الشخص ولا حول مسلكه أو اتجاهاته ولكن اصرار صهره على التنصل من اية علاقة به وعلى عدم الاشارة مطلقا الى زوج ابنته وكذلك بعض شذرات من المعلومات تدفعنا الى الشك فى أن ثمة شىء ما يحيط بهذا الشخص وربما كان شيئا ذا طابع اخلاقى .

وبعد هذا التقرير اقفل الملف مؤقتا اذا لم تتضح أية أهمية سياسية خاصة لمتابعة المدعو زايدمان .

وفى أبريل الماضى تلقينا معلومات خاصة تشير الى محادثة شخصية تمت مع البرنس عزيز حسن وقد قال البرنس لمحدثه انه يعلم أن هناك ٤٠٠ بلشفى فى فلسطين يعملون على بث الدعايات البلشفية وسط السكان العرب وذلك برغم انهم انفسهم لا يوجد فيهم من يتكلم العربية وانهم قد أرسلوا شخصا أو اكثر الى مصر فى محاولة لتجنيد بعض المصريين وقال البرنس انه يعرف احد هؤلاء الموفدين وانه يهودى روسى وقد رفض البوح باسمه لكن محدثه يعتقد أن الاسم هو روزنبرج أو روزنبلوم .

وفى اول مايو اشارت مذكرة لقومندان بوليس الاسكندرية الى أن شخصا يعتقد انه عميل بلشفى قد القى خطابا فى اجتماع عمالى عقد بهذه المناسبة وقد نفى روزنتال معرفته بهذا الشخص ويعتقد قومندان بوليس الاسكندرية انه غير صادق فى ادعائه هذا . وفيما يلى وصف تقريبى لهذا الشخص وقد دون هذا الوصف فى المذكرة ب/س/أ ٣١٤ والمؤرخة فى ١٩٢١/٥/٦ .

القوام : ضئيل

الشعر : اشقر

العينان : زرقاوان

الشارب : صغير وأشقر

لون الملابس : بني فاتح

القبعة : لينة ولونها بني فاتح »(١)

وتمضي المذكرة فتشير الى أن قومندان بوليس الاسكندرية قد كتب مذكرة اخرى فى ٨ مايو ١٩٢١ يقول فيها أنه يعتقد أن الشخص الذى ألقى خطاب أول مايو هو نفس الشخص الذى تحدث عنه البرنس عزيز حسن .

وتواصل أجهزة الامن بحثها الدؤوب حتى تصل الى الحقيقة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٢١ وتمضي المذكرة قائلة « افاد بوليس الاسكندرية أن البحث قد توصل بشكل قاطع للشخص الذى ألقى خطاب أول مايو وان أسمه ادوارد زايد مان وانه صاحب مكتبة عنوانها ٢٥ شارع أنستاسي بالاسكندرية » وما لبثت المعلومات أن تتالت من هذه الشخصية الغامضة .

وسرعان ما ربط البوليس بين اسم هذا الشخص وبين الحاح لندن فى الحصول على معلومات عنه ثم ربط أيضا بينه وبين حديث البرنس عزيز حسن وأشارت مذكرة البوليس الاسكندرية أن اعتقاد المصدر الذى نقل حديث البرنس بأن اسم البلشفي المشار اليه هو روزنبرج أو روزنلبوم هو اعتقاد نابع من الربط بين زايدمان واسم صهره روزنفولد .

وتمضي التقارير « أفاد قومندان بوليس الاسكندرية فى ١٩ اغسطس أن السيد بيتروف القنصل الروسي بالاسكندرية قد ابلغه أن شخصا يدعى زيدرمان وهو روسي يهودي ويمتلك مكتبة بشارع أنستاسي يقوم بتوزيع منشورات بلشفية وسط اللاجئين الروس المقيمين فى سيدى بشر وذلك عن طريق الملازم ثان الكسندر نيكولاييف الذى كان ضابطا بالجيش الاحمر والذى تم أسره بواسطة جيش دونكين ».(٢) .

وسرعان ما نجح بوليس الاسكندرية النشيط فى جمع معلومات اضافية عن هذه الشخصية وسجل ذلك فى مذكرة سرية جديدة تقول « زيدرمان يهودى روسي دخل الى انجلترا خلال الحرب يجيد الانجليزية . قال لأحد مرشدينا السريين انه قد افتتح هذه المكتبة خصيصا لنشر الدعاية البلشفية ويقوم

---

(١) مذكرة باللغة الانجليزية معنونة « مذكرة عن ادوارد زايدمان (زيدرمان) مودعة بالارشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية ».

(٢) مذكرة باللغة الانجليزية تحت رقم ب/س/أ ٤١٩٨٩ بتاريخ ١٩ اغسطس ١٩٢١ .

ببيع كتب ومجلات ومواد اعلامية بلشفية بالانجليزية والفرنسية فى مكتبته .

وقال له أيضا انه بانتظار دفعة مكونة من ٥٠٠ كتيب بلشفى ، وقد تسلم منه مرشدنا السرى كتيبا بلشفية هى ذاتها التى يتم توزيعها فى حلقة الدراسات الاجتماعية وجمعية « Le Clrate » اللتين تمارسان نشاطهما بالاسكندرية وهو أيضا مراسل الجريدة الروسية البلشفية « Noviya Mir » الحياة الجديدة .

ثم يكمل حكمندار بوليس الاسكندرية أوراق ملف هذه الشخصية الغامضة بمذكرة أخيرة مؤرخة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٢١ جاء فيها : بالاشارة الى مذكراتنا السابقة حول الشخص المشار اليه نفيدكم بما توصلنا اليه من معلومات :

(أ) زايدمان هو بشكل مؤكد الشخص الذى ألقى خطاب أول مايو .

(ب) يقوم بدعاية بلشفية نشيطة للغاية وسط الجالية الروسية ويوزع أوراقا شيوعية مطبوعة بالانجليزية والفرنسية والروسية والعبرية وقد وزع أيضا صور البتروتيسكى وغيره من القادة السوفيت .

(جـ) وعندما سئل زايدمان بواسطة مرشدنا السرى عمن يقرأ النشرات المطبوعة بالانجليزية أجاب بانها توزع على المثقفين من المصريين ، وقال أيضا أنه بصدد الانتهاء من ترجمة كتيب الى اللغة العربية بعنوان « نداء الى الشباب » وإن هذا الكتيب سوف يطبع بالاسكندرية والبحث جار عن المطبعة التى ستقوم بطبعه .

(د) أفادنا مصدر موثوق به أن زايدمان قد كتب مؤخرا الى برلين يطلب ارسال مطبوعات شيوعية باللغة العربية .

(هـ) المذكور على علاقة وثيقة بجوزيف روزنتال ويعمل معه فى نشر الدعاية الشيوعية .

وهكذا يتضح لنا كم كانت دوائر الامن مهتمة ومنزعجة من نشاط هذه المجموعة .. وكيف استطاعت برغم الحرص الشديد لافرادها من التسلل عبر صفوفها والحصول على معلومات عنها .

ويتضح لنا أيضا مدى النشاط الدؤوب الذى بذلته هذه المجموعة لترويج أفكارها ومدى اهتمامها أيضا بالوصول بمطبوعاتها الى المثقفين

المصريين ومحاولاتها المبكرة لترجمة الأدبيات الماركسية الى اللغة العربية..
والآن أمامنا أسماء ثلاثة :

- جوزيف روزنتال .
- شارلوت روزنتال .
- ادوارد زايدمان أو زيدرمان ..

فهل من أسماء أخرى ؟

نعم هناك اسم نلتقطه من ملفات أجهزة الامن ورد في تقرير مرفوع من كلايتون مساعد مدير الامن العام الى مستشار وزارة الداخلية يتضمن معلومات حصل عليها البوليس من مراقبة البريد الوارد الى « جون سولوسي » صاحب صندوق البريد رقم ١٨٥٥ الاسكندرية والتي تشير الى أن سولوسي هذا كان يستورد (بشكل ما) كميات ضخمة من مواد الدعاية الماركسية ويتضمن التقرير نسخة من أحد هذه المواد (١) .

وهناك أيضا إسم مثير للاهتمام هو الملازم ثان الكسندر نيكولاييف الذى تقول تقارير البوليس أنه كان ضابطا بالجيش الأحمر السوفييتي وأنه كان ينشط في عام ١٩٢١ وسط الجالية الروسية بالإسكندرية .

ولا بد أن المزيد من البحث سوف يصل بنا الى المزيد من المعلومات والمزيد من الاسماء ..

الجماعات والاندية :

وكان طبيعيا أن تصب هذه الانشطة قبل أن تتبلور في شكل حزبي في صورة أندية وجمعيات وروابط واتحادات ..

...

وكان روزنتال هو « المايسترو » الذى إتقن ومنذ البداية المبكرة فن اقامة هذه التجمعات الديمقراطية بمختلف توجهاتها .

ففي العام الاخير من القرن التاسع عشر أسس روزنتال العديد من النقابات والروابط العمالية . ثم جمع بينها جميعا في الاتحاد العام للعمال والذى وصل عدد أعضائه الى قرابة ٣٠٠٠ ألف عضو (٢) . كما تكونت في هيئة

---

(١) مذكرة مرفوعة من ن . كلايتون مساعد مدير الامن العام بوزارة الداخلية الى مستشار وزارة الداخلية مؤرخة في ٢٨ سبتمبر ١٩٢١ . محررة بالانجليزية ومودعة في الارشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية .

(٢) الاهرام ١٩٢٤/٢/٢٢ .

النقابات وفى المراكز العمالية الهامة بصناديق المعونة الحمراء .. التى تستهدف جمع مدخرات عمالية استعدادا للانفاق على العمال عند اضرابهم عن العمل .

وكان هناك أيضا اتحاد المستأجرين الذى استهدف توحيد جهود المستأجرين ضد ارتفاع ايجارات المساكن والمحال . وقد نجح فى تنظيم اضراب شهير لاصحاب المحال التجارية احتجاجا على ارتفاع الايجارات فى ٧ يوليو ١٩٢٠ . وكانت هناك أيضا الجامعة الشعبية التى نظمها الاشتراكيون الايطاليون لتعليم العمال ، والمكتبة الشعبية اليونانية التى أسسها اليونانيون وسلسلة من الجمعيات اليونانية والأرمنية والايطالية لكننا سنتوقف عند جمعيتين نعتقد انهما أكثر أهمية من غيرهما .

جماعة الدراسات الاجتماعية بالاسكندرية :
Groupe D,Etudes Sociales

وتصفها تقارير الامن بأنها مصدر أساسى للدوريات والمطبوعات الشيوعية باللغات الفرنسية والانجليزية والروسية والعربية وتقول انها تنتمى الى مواقف الدولية الثالثة (١) وكان روزنتال رئيس هذه الجماعة .

جماعات الوضوح : Clarte

وقد ظل اسم هذه الجماعة يرد فى تقارير الامن بشكل غامض دون توضيح لماهيتها حتى تمكنا من الحصول على تقرير كامل أعدته اجهزة الامن عن هذه الجماعة .

يقول التقرير ...

« تأسست هذه الجماعة مؤخرا فى مدينة الاسكندرية ، وهى تتخذ اسمها من اسم المجلة الاسبوعية الشيوعية Clarte والتى تصدر فى باريس وهى مماثلة للجماعات التى تأسست تحت هذا الاسم فى مختلف أنحاء فرنسا وهى تتراسل بشكل منتظم مع المركز الرئيسى لهذه الجمعيات فى باريس ويوجد على رأس هذا المركز شخصيات أدبية وثقافية بارزة مثل اناتول فرانس ، هنرى باربوس ، رومان رولان .. الخ .

---

(1) F.O. 141-799. F. G. (1919)

مودعة بارشيف وزارة الخارجية البريطانية : بالمتحف البريطانى بلندن .

البرنامج :

تستهدف الجماعة السالفة الذكر نشر الافكار والمبادىء الشيوعية عن طريق المحاضرات والمحادثات الشخصية مع العناصر العاطفة على هذه الجماعة والذين يتزايد عددهم فى هذه الايام · والذى لا شك فيه أن أعضاء الجماعة هم عناصر عالية الثقافة بصورة ملفتة للنظر تماما مثل أعضاء جماعة الدراسات الاجتماعية ، بينما تضم الاندية الشيوعية الاخرى التى يقيمها روزنتال مثل الاتحاد العام للعمل (C. G. T.) عناصر عمالية أساسا

واذا كانت هذه التجمعات الشيوعية الثلاثة ذات أسماء مختلفة فانها تشكل تجمعا واحدا من خلال عناصر عديدة تعمل فى صفوفها جميعا. وهى جميعا تستهدف تحقيق نفس الهدف ·· وهو نشر الشيوعية ·

اللجنة القيادية :

ويلاحظ أنها كالعادة فى كل الأندية الشيوعية ليس لها رئيس ·

※ **السكرتير** : أوجوستى تيرنى ــ موظف فى شركة الملح والصودا ·

※ **أمين الصندوق** : م · ستيرن ·

كذلك تضم اللجنة القيادية أحد اليهود والآنسة روزنتال ·

الأعضاء : تضم الجماعة حوالى ٢٥ عضوا معظمهم من اليونانيين الذين ينشطون فى صفوف جماعة الدراسات الاجتماعية مثل باناكاكس · جوردانيدس ، بيريدس ، زوتو ــ الخ وتضم الجماعة ايضا ثلاثة أو أربعة من اليهود الروس منهم كوسوفسكى وهناك أيضا اثنان من الأفندية المصريين أحدهم يسمى عبد المنعم ·

المقر : تتخذ الجماعة مقرا مؤقتا لها فى مقر المكتبة الشعبية اليونانية شارع حمام الذهب (شارع سيدى المتولى) ·

الاشتراك الشهرى : عشرة قروش كحد أدنى ·

الاجتماعات : كان الاجتماع الذى عقد فى الساعة السابعة والنصف من مساء الخامس من الشهر الحالى اجتماعا بالغ الاهمية ذلك انه قد تمت فيه مناقشة برنامج النشاط فى المستقبل وقد لوحظ حضور آنسة من القاهرة لهذا الاجتماع هى الآنسة ليلى بيتاراكى Lili Petaraki . وعنوانها

طرف مكتبة ستاءرينوس (شارع قصر النيل · القاهرة) وتعتبر هذه الآنسة حلقة اتصال بين شيوعى القاهرة والاسكندرية ·· وقد تلى السكرتير قسماً وقع عليه الاعضاء وفيما يلى نص هذا القسم ··

« اذ نستشعر القلق من انعدام العدالة فى ظل النظام الراسمالى ، ذلك النظام الذى يمكن حفنة ضئيلة من ان تستغل وتستبد بالغالبية الساحقة التى تشكل الجماهير العاملة فاننى أعلن انضمامى الى نادى الوضوح وأقسم اننى سوف أقدم كل ما أستطيع من عون للحركة الثقافية الثورية تلك الحركة التى تفتح الطريق وتمهده نحو الثورة الاجتماعية » ·

وبعد أن ناقش المجتمعون حالة المجاعة المتفشية فى روسيا أفاد أحد الحاضرين أن روزنتال يقوم بجمع تبرعات لارسالها الى ضحايا المجاعة هناك واتفق الحاضرون على الاسهام فى هذه الحملة ··

ثم تلى تيرنى رسالة واردة من هنرى باربوس الى فرع الاسكندرية ··

* * *

الآن يكون الاشتراكيون قد اجتمعوا فى حلقات واندية ·· ويكونون قد تعودوا على العمل المنظم ·· ويكون المسرح معداً للانطلاق نحو تأسيس الحـــزب ·

مجموعة البلشفيك ·

وقد وصلت هذه المجموعة الى الاسكندرية عقب ثورة ١٩٠٥ · ومن المعتقد أنها كانت مكونة أساساً من عدد من بحارة المدرعة « بوتومكين » ·

كذلك كان هناك عدد كبير من الروس الذين هربوا الى مصر من القهر القيصرى ويؤكد مارسيل اسرائيل انه كان من بينهم اعضاء فى الحـــزب البلشفى · (١) ·

وتشير رسائل من كروبسكايا (زوجة لينين وسكرتيرة هيئة تحرير ايسكرا) الى أن أعداد مجلة ايسكرا التى طبعت فى الفترة من مارس الى أغسطس ١٩٠٢ فى ليبزج كانت ترسل الى ميناء باطوم بروسيا عن طريق طويل يمر من ليبزج الى برلين ومنها الى ميناء بريندیزی الايطالى ثم منها الى الاسكندرية حيث يتم تخزينها سرا فى مخزن تابع لمطعم سباستوبل ويمتلكه روسى بلشفى هو يوسف يوزيفوفتش الذى يحتفظ بالاعداد لحين مرور

(١) مارسيل اسرائيل ، المرجع السابق ·

وقاد باحد السفن الروسية أسمه الحركى فيريسوتسكى واسمه الحقيقى تريتيكوف وفى سبتمبر عام ١٩٠٢ ضبط البوليس المصرى مجموعة من أعداد ايسكرا قبل نقلها الى السفينة الروسية بورجوم ووصل تريتيكوف الى روسيا ليبلغ أن الاسكندرية مدينة خطرة بسبب يقظة البوليس ونشاط القنصل الروسى (١) ٠

وثمة شخصية تستلفت النظر هى تيودور روزنشتين وهو اشتراكى روسى فر من روسيا القيصرية الى لندن ثم جاء الى القاهرة ليعمل محررا فى الجريدة الانجليزية التى كان يصدرها الحزب الوطنى « ذى اجيبسيان استاندارد » وقد الف كتابا فيما بعد عن تاريخ الاحتلال البريطانى لمصر اسمه « دمار مصر » وقد انتهى من تاليفه فى ١٩١٠ ثم غادر مصر الى لندن ليشارك بلنت فى اصدار المجلة الانجليزية EGYPT وهى مجلة منع كرومر دخولها الى مصر ٠

لكن الغريب فى الامر هو ما يرويه على احمد شكرى مترجم كتاب « دمار مصر » والذى قال أنه تعرف بروزنشتين شخصيا ٠٠ فهو يقول « وعلى اثر شبوب ثورة البلاشفة عاد المسيو روزنشتين الى روسيا حيث اختاره لينين سكرتيرا خاصا له ٠ ثم عينته الحكومة الروسية فيما بعد وزيرا مفوضا لها فى طهران » (٢) ٠

لكن البحث المتواصل أمكنه ان يجمع المعلومات التالية عن هذه الشخصية الفذة :

ـ روزنشتين من مواليد ١٨٧١ فى بولتافا باوكرانيا ٠

ـ كان من مجموعة الشعبيين حتى طلب القبض عليه فى ١٨٩٠ فهاجر الى لندن حيث درس الماركسية وانضم الى الحركة الاشتراكية البريطانية ٠

ـ فى ١٩٠١ انضم الى الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى حيث تعرف على لينين سنة ١٩٠٢ خلال وجودهما معا فى لندن ٠

ـ أصدر كتابه « دمار مصر » ردا على كتاب كرومر « بناء مصر الحديثة » ٠

---

(١) مراسلات لينين وهيئة تحرير ايسكرا الى منظمات الحزب فى روسيا . من ١٩٠٠ الى ١٩٠٣ ٠ الطبعة الروسية (ثلاثة مجلدات) موسكو ـ (١٩٦٩) ٠ رسالة رقم ١٤٦ ـ ص ١٨٥ ٠

(٢) روزنشتين « دمار مصر » ترجمة على احمد شكرى ٠ مقدمة المترجم ٠

ـ عاد الى الاتحاد السوفييتي عام ١٩٢٠ وبقي وزيرا مفوضا في طهران حتى ١٩٢٢ ، حيث عاد ليعمل في وزارة الخارجية السوفييتية ، وفي ١٩٣٩ اصبح عضوا في اكاديمية العلوم السوفيتية ، توفي عام ١٩٥٣ .

ـ طبع كتابه دمار مصر بالروسية عام ١٩٢٥ وصدرت له طبعة ثانية في ١٩٥٩ .

والآن ما هو الدور الذي كان يلعبه روزنشتين في مصر وهو الشخص الهام الوثيق الصلة بالرفيق لينين .

هل أثر في الحزب الوطني وفي فريد بالذات ؟ بالاضافة الى أن جريدة اللواء قد نشرت مقتطفات من كتابه على صفحاتها .. اغلب الظن أن هذا لم يكن كل الدور .

فثمة عبارة تستلفت النظر في تقرير مارسنيل اسرائيل فهو يقول : « عندما كان لينين في فرنسا وسويسرا كان يرسل كل رسائله الى الحزب البلشفي عن طريق مصر ، تصل الى مصر أولا ومنها الى روسيا وبذلك أمكن تضليل الرقابة القيصرية » .

فهل كان روزنشتين ـ سكرتير لينين فيما بعد ـ يقوم بهذه المهمة ؟ ربما .

والحقيقة ان المجموعة البلشفية الروسية بالاسكندرية كانت تنشط نشاطا ملحوظا وكانت توجه اهتمامها اساسا الى البحارة الروس الذين يصلون على السفن القادمة الى الاسكندرية ، وقد تمكنت هذه المجموعة من الاتصال بروسي يمتلك مطبعة في حلوان حيث كانت تطبع عنده مجلة باللغة الروسية اسمها « مارياك » اى « البحار » لتوزيعها على هؤلاء البحارة الروس . ولعل هذا النشاط هو الذي يعزز فكرة أن معظمهم كانوا من بحارة المدرعة « بوتمكين » .

كذلك تواجد في بورسعيد عدد من بحارة المدمرة بريسيفيت التي غرقت في يناير ١٩١٧ بالقرب من بورسعيد ونجا بعض بحارتها واقاموا في بورسعيد . وقد أرسل القنصل الروسي في بورسعيد سيميرنوف أكثر من برقية الى الخارجية الروسية يبلغها شكوى السلطات المحلية من النشاط البلشفي لهؤلاء البحارة .

ولم يقتصر نشاط هذه المجموعة على ذلك فقد ساندت العمال المصريين فى اضراباتهم وفى احدى المظاهرات العمالية خرج اعضاء المجموعه يحملون علما أحمر مكتوب عليه « الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى (البلشفيك) » (١) .

وثارت ثائرة قنصل روسيا فى الاسكندرية وطالب السلطات بتسليمهم فورا وألقى القبض على ثلاث منهم وتنشر الأهرام :

« ألقى القبض فى الثغر على ثلاثة من الروس اللاجئين اليه على اثر الحوادث التى وقعت فى بلادهم ويقال أن أحدهم من حملة الاقلام (الكتاب) هناك . وسيعادون الى روسيا مخفورين وقد كان لهذا الحادث تاثير شديد بين النزلة الاوروبيين فى الثغر » (٢) .

ويوضح هذا الخبر المنشور فى الاهرام مسألة هامة هى ان هؤلاء الروس قد وفدوا الى الاسكندرية « على اثر الحوادث التى وقعت فى بلادهم » ولا شك انها احداث ثورة ١٩٠٥ كما يوضح أيضا انه كان بينهم عدد من المثقفين (حملة الاقلام) .

ولعله من المفيد أن نتوقف قليلا عند حادثة الروسيين الثلاثة هذه .

ليس فقط لانها تلقى بذاتها اضواء على النشاط الاشتراكى فى ذلك الحين .. ولا لمجرد أنها أحدثت ضجة كبيرة للغاية سواء فى صفوف الاجانب عموما أو الصحافة .. وانما لانها تعبر عن وجود أشكال تنظيمية كانت تتحرك وتحرك مختلف القوى .. ولانها على اية حال تعطى لنا صورة عن أساليب العمل وقدرات الحشد ومجالات التاثير للجماعات الاشتراكية العاملة فى مصر فى ذلك الحين .

وبعد أن نشر الاهرام خبر القبض على الثلاثة الروس فى ١٩ يناير ١٩٠٧ نشرت المؤيد فى ٢١ يناير مجموعة من المقالات حول هذا الموضوع :

« الاسكندرية . الحادثة الاسرائيلية الارمنية لكاتبنا السكندرى :

---

(١) نيكولاى كوتساريف . من الف عام على الطريق . دار الهنا . القاهرة .

(٢) الأهرام ـ ١٩٠٧/١/١٩

وصلكم تليفونيا أمس واليوم ملخص ما حدث فى ثغرنا من الهياج واللجاج ضد قنصلاتو الروسيا واليكم التفصيل وما جرى بعد ظهر اليوم وما تلاه من المظاهرات والمخابرات الرسمية والخطب وعكسها وما اتخذته الحكومة من الحيطة لحفظ النظام .

هاجر مع من هاجروا من انحاء الروسيا ثلاثة انفار روسيون ارملى واسرائيلى روسى ومسيحى ويقال انهم من لجان الثورة المحكوم عليهم بالاعدام وحضورهم لمصر لغاية شريرة .. ابلغت قنصلاتو الروسيا ذلك الى الحكومة المصرية نقبضت على الثلاثة المتهمين ووجدت بين امتعتهم مواد انفجارية أيدت دعوى القنصلاتو الروسية . وبذلك لم يعد لهؤلاء الثلاثة صفة المجرمين السياسيين لينظر فى امرهم نظر آخر بعين حكومة دستورية شعارها الحرية والامن كالحكومة المصرية كما هو مفهوم .

نقص الرواية بجملتها دون تحيز الى أحد ولذلك ندع لليراع مجاله ليقول ما ظهر وما بطن من الامور . ذلك أن رؤوس الجماعة (يقصد الاجانب فى الاسكندرية) قصدوا محافظ الثغر وسألوه عدم تسليم الثلاثة الى قنصلاتو الروسيا فاجابهم باسم الحكومة أن هذا من شئونها فعادوا الى مجتمعهم وأوعزوا الى بعض الصحف الافرنجية بكتابة ما يحمل الشعب على السخط والحكومة على الرأفة بهؤلاء المتهمين .

وقبل ظهر امس علم الجماعة بالمسألة والظاهر أن مخابرات طويلة جرت فى هذه المسألة فحضر جناب الفريد كمبوس الى حلقة المضاربة فى البورصة وخطب على الجمهور حكاية المتهمين وأنهم سيسافرون من بلاد الحرية والعدالة الى بلاد الجور والاستبداد .. واستنهض هممهم الناس بعمل ما يفهم الحكومة عدم رضاء النزلاء من هذه المجاملة الدولية التى تقضى على ثلاثة ارواح بالزهاق ظلما واستبدادا . فضج البعض لخطابه وكانهم فى انتظار موقفه .. » .

ويمضى المراسل ليصف كيف سارت مظاهرة ضخمة تضم « عامة الارمن والايطاليين والاروام والاسرائيليين لابداء سخطهم واستيائهم مع طلب استلام المتهمين من قنصلاتو الروسيا التى أوصدت أبوابها ونوافذها » ثم كانت مظاهرة اخرى يصفها المراسل فى نفس المقال وهى فى الاساس مظاهرة عمالية .

« وبعد ظهر امس اى فى الساعة الخامسة مساء انتظم سلك جمع ثان اكثر عددا وقوة بينهم بعض الفوضويين الايطاليين والارمن المستطيرين واليونان الموعز اليهم وبالجملة أن المتظاهرين بالحماس تشددوا بعدد من جمعية العمال

المختلطة فمروا من المنشية صائحين الحرية ، الحرية ، فلتسقط الروسيا وليسقط استبدادها وما زالوا على هذه النغمة مع الترنم بالنشيد الوطنى الفرنساوى (المرسيليز) الى أن وصلوا الى القنصلاتو الروسية » ..

ثم يصف مظاهرة ثالثة توجهت الى الميناء الغربية « للعبث بالباخرة الروسية الراسية فى مرساها على الرصيف ظانين أن المتهمين الثلاثة قد أنزلوا اليها بقصد تسفيرهم الى أوروبا وانهم سينتزعونهم منها قوة واقتدارا فاحاطوا بالباخرة غير مكترثين بخفراء السواحل وحرس الجمارك وخفراته الذين كانوا فى انتظار هذا الموكب الثائر الهائج .. وقد صعد بعض المتحمسين وليسوا بالعدد القليل الى ظهر الباخرة فقابلهم ربانها بكل لطف ودعة وأنكر وجود من يطلبونهم وسمح لهم من باب المسالمة أن يفتشوا الوابور ففتشوه فعلا ولما لم يجدوا أحدا نزلوا الى الرصيف صاخبين مهددين فجاءت مضخة اطفاء النار ومدت خرطومها لتهددهم به فقطعوه أربا بالمدى واعتدوا على الخفراء وعندما جاءت ـ المضخة الكبرى بمائها الحار تهيئوا للمقاومة والشر ، وجرت ملاكمة بين احدهم ورئيس المطافىء الانكليزى ثم انصرفوا » .

ثم يصف مظاهرة رابعة جرت فى اليوم التالى حيث أحاط المتظاهرون بمبنى القنصلية الروسية « فرشقوها بالبيض والوحل والبصل والحجارة وتطاول بعضهم الى شارتها الرسمية بواسطة تسلقهم على عمود الترام الثابت أمام بابها فانتزعوا الشاره والقوها الى الارض » .

ثم توجهت المظاهرة الى البورصة « التى غصت بالناس وكان فيهم الروسى والارمنى واليونانى والايطالى وهكذا من كل صبغة وجنس واذا بالخواجا أربيب الاسرائيلى يعتلى منصة جىء بها ليعلو بواسطتها على كل عال فصفق له القوم ترحيبا به فقال يجب على الاسكندرية أن تبطل غدا أعمالها الى أن تبلغ غرضها تجاه المقبوض عليهم ظلما ويجب على كل فرد منا بحكم الانسانية أن لا يأكل ولا يشرب فى الغد الى أن ننال أمنية العدل من الحكومة نصاح الجميع الحرية الحرية وصفقوا له فاستعاد الكلام وهو يرتجف غيظا وانفعالا .. (١) .

وهكذا .. تبدو الصورة واضحة .. كيف استطاعت العناصر الاشتراكية بالاسكندرية أن تجمع حولها مجمل الجاليات الاجنبية تقريبا فى هذه المعركة وان تحشدها فى مظاهرات صدامية صاخبة وان تصعد المعركة الى الاضراب العام بل والى الصيام عن الطعام والشراب تضامنا مع الثوريين الروس الثلاثة .

---

(١) المؤيد ٢١ ـ ١ ـ ١٩٠٧

وكذلك كان الأمر في القاهرة ففي ٢١ يناير كانت المظاهرات أيضا صاخبة وتصف المؤيد الحالة قائلة « في الساعة الثانية عشر تماما ابتدأت حركة الناس في البورصة وأمامها تزداد بحيث لم تنتصف الساعة الواحدة حتى كان عدد المتظاهرين والمتفرجين نحو الألف تقريبا ، فوقف في الجمع جهارا امام البورصة وفي الشارع العمومي المدعو باطيطي وهو مهندس ايطالي في الخامسة والثلاثين من عمره وتكلم بحماس قائلا أن الامن على الحرية الشخصية في مصر أصبح مهددا اذا صح أن يؤخذ الأبرياء الروسيون ـ الثلاثة الى الروسيا حيث يلقون القضاء عليهم من غير محاكمة ، ولكن لا تيأسوا يانصراء الانسانية وصيحوا جميعا بلسان واحد لتحى العدالة » ثم سارت المظاهرة وهي تهتف « لتحيي العدالة وتحيي الحرية وينشدون النشيد الفرنسي بحماس »(١)

وتصف المؤيد اجتماعا آخر لكبار رجال الجاليات الاجنبية عقد « في نزل الكونتننتال ... وقد وقف في المجتمعين ويبلغ عددهم نحو المائتين بعض منهم للخطابة وتكلم مسيو روسي ومسيو بترالكي وفورفوف وشالوم الا أن خطاباتهم كانت معتدلة غير هياجية وعلى اثر هذه الخطابات تألفت لجنة مكونة من مسيو بترالكي وروسي وفورفوف وفيبسيه وكولرا وذهبت الى دار القنصلاتو الروسية لمقابلة معتمد الدولة الروسية السياسي فقابلهم أحسن مقابلة » .

ولكي ندرك مدى قدرات الجماعات الاشتراكية وسط الجاليات الاجنبية سواء على الحشد أو التنظيم أو سرعة الحركة نورد هذه الملاحظة التي اوردتها المؤيد في دهشة « وفي اثناء ذهاب هذه اللجنة الى دار القنصلاتو طبع بعضهم اعلانا بالخط الكبير واللغة الفرنسية قيل فيه أن جواب جناب سفير روسيا على اللجنة المشكلة في صالح الثلاثة الروس سيبلغ في تياترو النوفوتية بشارع كامل الساعة السادسة مساء ، فكان هذا الاعلان الموزع على الناس في القهاوي والمحال العمومية في جميع انحاء العاصمة في بحر ساعة واحدة بمثابة استدعاء الى المشاركة في المظاهرة لانه ما جاءت الساعة السادسة مساء حتى كان عدد عظيم من الخلق أمام تياترو النوفوتيه فدخلوه حتى غص بهم » (٢) .

كذلك توجه وفد من المتظاهرين لمقابلة اللورد كرومر طالبين عدم تسليم الروس الثلاثة لقنصلهم والتحقيق معهم بمعرفة السلطات المصرية ..

---

(١) المؤيد ٢٢ ـ ١ ـ ١٩٠٧

(٢) المؤيد ٢٢ ـ ١ ـ ١٩٠٧

لكن سلطات الاحتلال كانت قد حزمت أمرها وقررت توجيه ضربة للنشاط الاشتراكى وسط الجاليات الأجنبية المقيمة فى مصر ، وبث الذعر فى صفوف القائمين به شاهرة فى وجوه الجميع سلاح ترحيلهم من مصر وتسليمهم لقناصل بلادهم ..

وتواصلت المعركة واستخدم فيها سلاح المنشورات .

وتنشر جريدة الاهرام نص منشور وزع فى القاهرة « أيها الرفاق .. اذا كانت المظاهرة الهادئة المنظمة التى اشتركنا بها طلبا للمحافظة على كرامة الملجأ لم تنتج النتيجة التى يريدها الاسكندريون ، فمن الواجب لصالح ضحايا الظلم اتخاذ وسائل فعالة حتى تنتصر الحرية والانسانية .. من الواجب على كل انسان فى هذه الظروف الحرجة أن يكون مستعدا للعمل وأن يلبى الدعوة عند الحاجة لمقابلة الشدة بالشدة .. فليعش الشعب الروسى وليسقط القيصر السفاح » (١) .

وتواصل سلطات الاحتلال توجيه ضرباتها للتجمعات الاشتراكية تهدف اضعاف نشاطها وتخويف المنتمين اليها من الابعاد عن مصر والتسليم لقناصلهم .. وتبدأ سلسلة من المحاكمات السريعة التى تستلفت النظر فى سرعتها فبعد مظاهرات ٢١ يناير بالاسكندرية بدأت المحاكمات فى اليوم التالى مباشرة وتنشر الاهرام :

« حوكم أول امس أمام محكمة الاسكندرية الاهلية .. هركيز الكسيان تريسيان الارمنى وعمره ٢٤ سنة وحرفته خياط وديمترى استاراتى وعمره ١٩ سنة وحرفته اسكاف ، ومانولى جرمانى وحرفته خمار لاتهامهم بأنهم إهانوا جلالة قيصر روسيا وانزلوا على الارض الشعار الروسى .. ولا يزال التحقيق جاريا عن أعمال عشرة آخرين » (٢) .

وفى ١٠ فبراير تنشر المؤيد « روت الغازيت أن قنصلية فرنسا فى الاسكندرية تواصل التحقيق فى القضية التى رفعتها الحكومة المصرية وقنصل روسيا على مسيو كانيئة محرر الريفورم بسبب ما كتبه فى نصرة المتظاهرين لمصلحة المجرمين الروسيين .

---

(١) الاهرام ١٩٠٧/١/٢٤

(٢) الاهرام ١٩٠٧/١/٢٤

ومتى أنتهت القنصلية الفرنساوية من التحقيق تقرر هل القانون الفرنساوى يعتبر المحرر مذنبا ومستحقا للمحاكمة »(١) •

وفى ١٣ فبراير تنشر خبراً آخر « حددت قنصلاتو النمسا يوم غد لمحاكمة الخواجة الفريد كمبوس لاتهامه بزعامة المظاهرات التى حصلت ضد قنصلاتو روسيا »(٢) •

وهكذا يتضح أن قناصل الدول قد تواطئوا مع اللورد كرومر وسلطات الاحتلال على توجيه ضربة لتلك التجمعات الاشتراكية الأجنبية التى تواجدت فى مصر محتمية بالامتيازات الاجنبية التى تكفل لهم حق المحاكمة أمام قناصلهم فاذا بالقناصل يشددون النكير عليهم •

كذلك يبدو اهتمام سلطات الاحتلال بقص أجنحة هذا النشاط من اصرارها على تسليم الثلاثة الروس رغم عدم التزام الحكومة المصرية بأى معاهدة تقضى بتسليم المجرمين (٣) •

بل ويبدو هذا الاهتمام أيضا من تخصيص الحكومة لقطار خاص لنقل المقبوض عليهم الثلاثة الى بور بنعيد سرا تمهيدا لترجيلهم الى روسيا من هناك (٤) •

أما هؤلاء الثلاثة الذين أثاروا كل هذه الضجة والتى لم نجد فى صحف هذه الفترة أية اشارة لاسمائهم فان ملفات التحقيق معهم قد اثبتت « ان تاريخ حياة المذكورين وأن تحريرهم محضرا ضبط لديهم يدل على تبعيتهم لاحدى لجان الثورة كذلك فانه من الثابت ان الثلاثة المذكورين روسيون ارتكبوا جرائم سياسية فى بلادهم وحكم عليهم بأحكام اقربها حكم صادر ضد أحدهم لمناسبة الاعتصاب الذى وقع أخيرا فى أوديسا وأنهم جاءوا الى الاسكندرية محتمين فى أرض مصر • (٥) •

---

(١) المؤيد ١٩٠٧/٢/١٠

(٢) المؤيد ١٩٠٧/٢/١٢

(٣) راجع المذكرة القانونية التى رفعها بالنيابة عن الجاليات الاجنبية فى مصر ا شالوم ، ن • روسى الى اللورد كرومر بشأن طلب عدم تسليم الروس الثلاثة الى قنصلهم والمؤرخة فى ١٩٠٧/١٠/٢٢ والمنشورة فى المؤيد ١٩٠٧/١/٢٨

(٤) المؤيد ١٩٠٧/١/٢٨

(٥) المؤيد ١٩٠٧/١/٢٩ مقال « الخطر من سلطة القناصل : كيف يتقى ؟ » •

وأذا كانت المؤيد والاعزام قد أتخذتا من هذه الحادثة موقفا فيه قدر من الانتقاد لحركة الاشتراكيين الاجانب فان اللواء جريدة الحزب الوطنى قد اتخذت موقفا آخر .

ففى تعقيب لها على ما نشرته المؤيد من وصف للمظاهرات اختتمته قائلة : « وانا نحمد الله على انه لم يكن بينهم مصرى مسلم على الاطلاق » .. شنت اللواء هجوما قالت فيه : ان المؤيد قد تغافل كثيرا مما كان يجب عليه ازاء هذه القضية سواء من حيث خطته أو الشعور الاسلامى فى مصر .. واذا كان يحمد الله على انه لم يكن بين أهل المظاهرة مصرى مسلم على الاطلاق فانما يحمد الله على موت الشعور الحى بين مواطنيه المسلمين والحقيقة ان الوطنى المصرى الحر ينبغى له أن يبكى دما عندما يرى أن لا أثر للمسلمين فى مثل المظاهرات لان ذلك دليلا على أن المسلمين ما زالوا لم يدركوا ماهى الحرية الحقيقية ، وما هى الوظائف الانسانية .. ولذلك كان ينبغى على المؤيد الذى لا تخفى عليه كل هذه الحقائق ويقدر ما لها من التأثير فى حياة الأمة المصرية والأمة الاسلامية أن يحض المسلمين من أهل مصر على الاشتراك فى مثل هذه المظاهرات » (١) .

وهكذا فان هذه المعركة لم تمض بلا أثر ، حتى بالنسبة لجمهور المصريين ولعل هذا التأثير لم يكن بعيدا عن تلك المظاهرات الصاخبة التى لم تلبث أن تفجرت بعد أشهر قلائل والتى نظمها العمال المتعطلون .. وغيرهم .

الايطاليـون :

كان العمال الايطاليين يفدون الى مصر بكثرة وقد اهتم الحزب الاشتراكى الايطالى بتنظيمهم وايفاد كوادر اشتراكية معهم . الى حد أن لورد لويد كتب يقول « ان الحزب الاشتراكى الايطالى كان نشطا فى مصر نشاطا لا يقل عن نشاطه فى ايطاليا » (٢) .

والحقيقة أن لهذا النشاط تاريخا قديما ، ففى اثناء ثورة عرابى ١٨٨٢ وعندما وقف معظم الاجانب ضدها أرسل العمال الايطاليون رسالة وقعها

---

(١) اللواء ١٩٠٧/٢/١١

(2) Lord LLoyed — Egypte, Since Crommer P. 353

كامينى ، رئيس جمعية العمال الايطاليين بالاسكندرية ، الى البارودى رئيس وزارة الثورة يعلنون فيها تاييدهم لاهداف الحزب الوطنى المصرى وأمانيه الوطنية ويستنكرون التدخل الاجنبى (١) ٠

والحقيقة أن مجموعة الاشتراكيين الايطاليين كانت أكثر هذه المجموعات تنظيما ، ولجأت الى الاساليب التى توحى بوجود عمل حزبى منظم خلفها ٠

فقد كانت منشوراتها تغمر المدن الكبرى فى عديد من المناسبات وقد طالعنا منشورهم دفاعا عن الثلاثة الروس كما انهم أسسوا فى الاسكندرية « الجامعة الشعبية الحرة » لتعليم العمال (٢) ٠

ولعل اهم ما يلفت النظر فى فكرة « الجامعة الشعبية الحرة » هذه هو انها كانت فيما يبدو اكثر من مجرد محاولة لتعليم وتثقيف العمال ، فان نظرة على مجلس ادارتها الذى تكون فى ١٣ مايو ١٩٠١ تشير بأنه كان يضم عددا من غير الايطاليين ٠٠ مصريين ويونانيين وأرمن ٠٠

بما يوحى بان الهدف كان ايجاد تجمع ٠٠ من مختلف الجنسيات ومن بينها المصريين لادارة الجامعة الشعبية ٠٠ ولنشر الافكار الاشتراكية ٠٠ التى كرست الجامعة برنامجها اساسا لتقديمها للجمهور ٠٠

ولنطالع بعض اسماء مجلس الادارة فانها تقدم لنا صورة كافية : د٠ موديبنوس ، د٠ كامبرينى ، المهندس كولو ٠ ومع هؤلاء أسماء توحى بأنها يونانية مثل باباداكيس ، ل٠ أ٠ بياجينى لكن هناك أيضا أسماء مصرية مثل عثمان أفندى ٠٠ وهناك بالطبع القاسم المشترك فى كل تجمع تقدمى ج ٠ روزنتال (٣) ٠

ولعل اهم ما يلفت النظر هو قدم هذا النشاط ٠٠ فثمة وثيقة تشير الى نشاط قديم للاشتراكيين الايطاليين ٠٠ هى رسالة من مهردار خديوى مؤرخة فى ٨ جمادى الثانى ١٣٠٠ هجرية موجهة الى ناظر مجلس النظار تلفت النظر الى خطورة « نشاط جمعية الانترناسيونالى الايطالية فى الاسكندرية »(٤) ٠

---

(١) رفعت السعيد ٠ الاساس الاجتماعى للثورة العرابية ٠ دار الكاتب العربى ص ٢٣٥ ٠

(2) Jacques Berque — L,Egypte Impérialisme et Révolution.

(3) Le Phare d,Alexandrie — 13-5-1901.

(٤) دار الوثائق القومية ـ محفظة ٨١ داخلية افرنكى ٠

•• ولقد استمر هذا النشاط متواصلا وفاعلا ما بقيت فى مصر جالية ايطالية كبيرة العدد •

وآخـــــــــرون :

ولم تكن هذه هى كل الجهود التى بذلت على أرض مصر ، فقد كانت هناك جهود أخرى كثيرة فهناك جندى انجليزى اسمه فكتور استور كان عضوا بحزب العمال وحضر الى مصر ضمن قوات الاحتلال ابان الحـــرب العالمية الاولى •• وقد اقام استور علاقات وثيقة بعدد من المثقفين المصريين ذوى الميول الاشتراكية ••• ويشير عبد الرحمن فضل الى وجود عـدد من البلغـار الذين اسهموا معهم فى العمل الحزبى من بينهم بعض سائقى التاكسى، الذين كانوا يستخدمون فى نقل المواد الحزبية(١) •

كذلك يقول د• عبد الفتاح القاضى ان فتاة بلغارية اسمها « بوبوفا » اتصلت به خلال وجوده فى المـانيا عام ١٩٢٠ ولقنته المـاركسية (٢) •

والحقيقة أنه لابد من بذل مزيد من الجهود بحثا عن تاريخ هذه المجموعات الاجنبية التى اسهمت فى بذر بعض بذور العمل الاشتراكى فى أرض مصر ••

والمصريون أيضــــــا •••

وكان لابد للمثقفين المصريين من أن يتأثروا بكل ذلك وبتطور الاحداث فى مجتمعتهم وبنمو النضال العمالى الامر الذى طرح قضية الاشتراكية أمام أعينهم ••

ولا شك ان علاقات الحزب الوطنى بالقـــوى الاشتراكية قد أثرت فى جناح من أعضائه وخاصة من الشباب فيه •

وفى ١٩٠٧ وزع منشور فى مدينة القاهرة بتوقيع شباب الحزب الوطنى « يدعو المصريين الى دراسة الاشتراكية والاهتمام بها » ومن بين الموقعـين على هذا المنشور سلامة موسى وصالح البهنساوى •

وقد تركت ثورة ١٩٠٥ فى روسيا و ١٩٠٨ فى تركيا وايران اصداء هامة وسط المثقفين المصريين •• (٣) •

---

(١) راجع محضر النقاش معه •

(٢) اتضح من البحث عن هذه الفتاة أن الرفيق ديمتروف كان يعمـل معه خلال اقامته فى المـانيا رفيق بلغارى اسمه بوبوف ••• ومن المحتمل أن تكون هذه الفتاة أختـه •

(٣) لاكور ـ المرجع السابق ص ٣٢ •

... ولكم يبدو مثيرا للاهتمام والدهشة معا، ان تجد ثورة ١٩٠٥ فى روسيا القيصرية انعكاسا سريعا ومكثفا كذلك الذى وجدته فى مصر ..

فالامر لم يقتصر على بعض اخبار نشرت فى الصحف .. وانما اليس غريبا أن يصدر فى القاهرة وفى نفس العام ١٩٠٥ كتاب بعنوان « أسرار الثورة الروسية » .. يكتب مؤلفه خليل بك سعادة فى مقدمته قائلا : « سيكون للثورة الروسية التى لا تزال حتى الساعة نارها فى اضطرام وأوارها فى استعار من تغيير شئون الجنس البشرى ونهضة الامم ما كان لشقيقتها الثورة الفرنساوية فى أواخر القرن الثامن عشر من الضرب على يد الجور الاثيمة وكسر أغلال الظلم وقيود الاستبداد والخروج ببنى الانسان من دياجير الجهل والاوهام الى فضاء الحرية ومناهل العمران »(١)

ويؤكد لاكور أن الخلايا الاشتراكية الأولى وجدت فى مصر فى عام ١٩١٨ وتناثرت فى المدن الكبرى مثل الاسكندرية - القاهرة - بور سعيد .

.. كذلك لا يمكننا أن نتجاهل اقدام المنصورى على تاليف كتابه عن الاشتراكية وانتشار الحديث عن الاشتراكية فى الصحف المصرية انتشارا يوحى بوجود قوى اشتراكية مصرية تحركه ، كذلك يمكننا تقويم النفوذ الفكرى للاشتراكية فى مصر من خلال دراسة ردود الفعل على العناصر الرجعية التى سرعان ما احست بالخطر واخذت تترجم على عجل كتابات معادية للاشتراكية مثل كتب جوستاف لوبون وغيره .

لكن أكثر ما يثير الانتباه فى هذا الصدد هو أن اجهزة الامن التى كانت تتابع أنشطة الاشتراكيين الاجانب قد اشارت أكثر من مرة الى اهتمام هؤلاء بالتعرف على عدد من المثقفين والافندية المصريين ونشر الافكار - الاشتراكية بينهم ..

كما تشير هذه التقارير الى اهتمام هؤلاء الاشتراكيين الاجانب بتعلم اللغة العربية كمعبر ضرورى للتفاهم مع المصريين . وتشير كذلك الى اهتمامهم بطبع « ادبيات » ماركسية باللغة العربية .

كذلك فان وثائق اجهزة الامن تسجل بدايات هذا التلاحم بين الاشتراكيين الاجانب والاشتراكيين المصريين .. سواء فى الاحتفالات

---

(١) خليل بك سعادة - أسرار الثورة الروسية - مطبعة التمدن بمصر (١٩٠٥) الصفحة ج

المبكرة بعيد أول مايو حيث رصد رجال الامن النشطيون وجود أفنـدية مصريين بين الجالسين أو فى صفوف الانـدية الثقـافية والجمـاعات ذات التوجه المـاركسى مثل « نادى الدراسات الاجتماعية » و « جماعة الوضوح » .

ويقـول أحـد هذه التقـارير « ان من بين أعضـاء جماعة الوضـوح Clarte اثنان من الافندية أحدهما يسمى عبد المنعم » (١) .

كذلك تصاعد النضال العمـالى المصرى وازدادت اضرابات العمـال عددا وتنظيما الأمر الذى يوحى بتزايد الوعى الطبقى بينهم .

ولا شك أن نجاح ثورة أكتوبر ١٩١٧ قـد ترك آثارا هامة وسـط المثقفين المصريين .

يقول مارسيل كولب « ان الثـورة الروسـية ١٩١٧ والنـداءات التى وجهتها الدولية الثالثة فى السنين التالية « الى فلاحى وعمال الشرق الادنى » و « الى مسلمى العـالم ضحايا الاستغلال » قد تركت أصـداء ذات أثر فى المراكز الكبرى وخاصة فى الاسكندرية وهى بطبيعتها مدينة دولية »(٢) .

وعندما اشتعلت ثورة ١٩١٩ ولعب العمـال والفلاحون دورا ثوريـا بارزا فى احداثهـا أسهم ذلك اسهاما كبيرا فى دفع العمل الاشتراكى فى مصر خطوات كبيرة الى الأمام .

ولا بد أن نشاطا كبيرا قـد حـدث ، الى الحـد الذى دفع سـعد زغلول أن يوجه رسالة سرية من باريس بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩١٩ الى اللجنـة المركزية للوفد يقـول فيهـا « الوفـد غير راض عن المنشورات التى تفيد اعتماد المصريين على الألمـان أو تتضمن الانتصار للبلشفيك فان هذه المنشـورات يستفيد منهـا أعداؤنا للقول بأن الحـركة المصرية المصريـة لهـا اتصـال بالألمـان وبالحركة البلشفية »(٣) .

وقـد بدأت الصـحافة الانجليزية فى مصر حملة ضـد ما أسمته بالخطر البلشفى(٤) .

---

(١) الارشيف العام ــ تقرير بعنوان Clarte

(2) MARCEL COLOMBE — L,Rvolution de L,Egypte 1924-1950.

(٣) محمد أنيس ، دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ص ٢١ .

(٤) اجيسيان ميل ١٩١٩/٤/١٦ .

وتصاعدت هذه الحملة الى حد « ان الجنرال ولسون قائد قوات التدخل البريطانية فى القوقاز أرسل تقريرا الى حكومته ينصح فيه بالجلاء الفورى عن المناطق المحتلة فى القوقاز لتركيز القوى اللازمة للدفاع عن بعض المناطق الهامة فى الامبراطورية وخاصة مصر والهند اللتين يتهددهما التأثير البلشفى »(١)

وفى اعتقادنا أن هذه الحملات مبالغ فيها جدا • صحيح أن نشاطا اشتراكيا واسعا قد جرى فى مصر ذلك الحين ، لكنه لم يصل الى الحد الذى يدفع بريطانيا الى سحب قواتها من اماكن اخرى لحشدها فى أرض مصر •

والحقيقة أن قوات الاحتلال قد بالغت متعمدة فى اثارة الفزع مما اسمته بالثورة البلشفية الوشيكة الوقوع كسبيل لاخافة قيادة الوفد والطبقات الوسطى من الحركة الثورية النشطة للعمال والفلاحين فى ذلك الحين ، بل وكسبيل أيضا لازعاج كل القوى الوطنية والايحاء اليها بأن انتشار الشيوعية فى مصر سيؤدى ببريطانيا الى رفض منحها الاستقلال ولا بد ان هذه الفكرة الاخيرة قد سيطرت على اذهان الكثيرين الى حد أن مؤسسى الحزب الاشتراكي المصرى قد طرحوها للنقاش فيما بينهم عندما شرعوا فى تأسيس الحزب ••

فقد كتب سلامة موسى قائلا « ربما كان الوقت الحاضر اسوأ الاوقات لتاليف هذه الجمعية فاننا فى مازق سياسى لا ينبغى أن نزيده حراجة بما يمكن أن يتذرع به المعارضون لاستقلالنا فى انجلترا من أن فى مصر شيوعيين وبلشفيين » •

ويقول سلامة موسى أن مؤسسى الجمعية بحثوا هذه المسالة وقرروا « ان التخوف من اقامتها قد لا يكون عائقا فى سبيل المفاوضة الحاضرة •• فان اكثر اعضاء الجمعية المزمع تاليفها يحسنون اللغات الاوروبية المهمة ويجيدون كتابتها ولن يقصروا عندما يرفع الاستعمار عقيرته ويندد بنا ، فى الرد عليه وافحامه ببيان لغته »(٢) •

ولقد شاهدنا كيف اثرت هذه الدعاية فى سعد زغلول فكتب رسالته الى اللجنة المركزية للوفد •• وقد اثرت أيضا فى فكرى اباظة الذى كتب « ان

---

(١) مارسيل اسرائيل • المرجع السابق •
(٢) الأهرام ١٩١٩/٨/١٨ •

مصر البائسة ، مصر المستعبدة ، مصر الراسفة فى الاغلال همها الوحيد فى الوقت الحاضر أن تبحث عن حريتها ·· وأن تتوجه الى مكان البحث كتلة واحدة ثابتة قوية التركيب ، حتى اذا حصلت على استقلالها المنشود وصفت الحساب بينها وبين المتصب استطاعت أن تتفرغ لفض مشاكلها الداخلية ·· » (١) ·

ان هذه المبالغة المقصودة كانت تستهدف تخويف كل القوى الوطنية من الاشتراكيين وايهامهما بان تاسيس الحزب الاشتراكى خطر على الاستقلال·

ويدخل فى باب المبالغة أيضا ما قيل من ان الفلاحين المصريين قد أسسوا خمسة سوفييتات مستقلة خلال ثورة ١٩١٩ ·· وقد راجت هذه الفكرة فى كثير من المؤلفات عن هذه الفترة من تاريخ مصر ولا شك أن قائليها يقصدون تلك الجمهوريات المستقلة التى أعلنت فى زفتى والمطرية ، المنيا ، وغيرها ولسنا نعتقد أيضا أن مؤسسيها كانوا يستهدفون اقامة سوفيتات بالمعنى الصحيح للكلمة ولكنهم ربما طبقوا شعار الاستيلاء محليا على السلطة ولكن لتحقيق أهداف وطنية وبهدف خلق نقاط ارتكاز للعمل الثورى المعادى للاستعمار والدليل على ذلك أن قادة هذه الجمهوريات المستقلة قد اكتفوا بالاطاحة بممثلى سلطات الاحتلال ولم يتخذوا اى اجراء يتعلق بالملكية أو بأسس توزيع الثروة ·

وهكذا كانت ثورة ١٩١٩ والانتفاضة الثورية العنيفة التى خاضها الفلاحون والعمال خلالها واحدة من العوامل التى ساعدت وشجعت الاشتراكيين المصريين على رفع رايات النضال ·

---

(١) اللواء ١٩٢١/٩/٥ ·

في [illegible]
ثلاث شعرات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (١) .

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

---

(١) [illegible]

إعلان الحزب الاشتراكي

كانت الظروف الاجتماعية تنضج سريعاً ، وتلاحقت معها الصيحات الشجاعة للعمال والفلاحين الذين واجهوا الاستعمار بالسلاح فاذا بالقيادة الوفدية ترتعد ، وتصرخ وتدين هؤلاء المتمردين ·

وهكذا كان لا بد من قيادة جديدة ·· تمثل هذه القوى التى تحركت فى عنف محطمة الاطار الذى رسمته القيادة الوفدية ·

لكن كيف بدأ العمل ؟

كانت هناك سلسلة من المحاولات ··

وقد رأينا فى فصل سابق كيف حاول البعض (منصور فهمي وعزيز ميرهم) تأسيس حزب اشتراكى لكنه تحول تحت ضغط العناصر الليبرالية اليمينية الى مجرد حزب ديمقراطى ·

ولقد حدد الحزب الديمقراطى مكانه باعتباره وسطا بين اليمين واليسار · هكذا قال عزيز ميرهم سكرتير الحزب ·· « ولما كانت العناصر المتأخرة (الرجعية) شديدة المراس فى البلاد المصرية كان من المصلحة أن يقوم فيها حزب اشتراكى قوى يلزم حزبنا الديمقراطى بالتزام الوسط كما هو شأن الأحزاب الديمقراطية غير الاشتراكية فى جميع البلاد المتقدمة »(١) وكانت هناك المحاولة التى قام بها روزنتال ·· الذى يروى فى شهادته الاسلوب الذى اتبعه لتأسيس حزب اشتراكى مصرى ··

« كانت النقابات مسيرة لاغراض سياسية مختلفة تتبع الاحزاب الناهضة بالقضية الوطنية فى البلاد كالوفد والحزب الوطنى وغيرهما ·· وكان من رأيى أن ننشىء للطبقة العاملة مراكز للدفاع الاقتصادى والتربية الفكرية ولهذه الغاية نشرت فى غضون عام ١٩٢٠ نداء الى النقابات العاملة ادعوها

(١) الأهرام ٢/٩/١٩٢١

الى تأسيس اتحاد يضم شملها جميعا فتلقت هذا النداء بالقبول والاجماع وارسلت الى الاسكندرية مندوبين من قبلها يمثلون ٢٥ الفا من العمال للاشتراك فى البحث فى المشروع ، غير أن رؤساء النقابات المتشبعين بالفكرة السياسية شعروا اذ ذاك بأن انشاء النقابات الحقيقية بطريقة تراعى فيها حالة العمال يؤدى الى ضياع كل ما لهم من السلطة عليها ويحول دون الوصول الى أغراضهم السياسية فسعوا سعيا جديا لحمل نقاباتهم الى عدم الاشتراك بالاتحاد وظلوا يماطلون فى التدابير الاولية سنة كاملة وفى بدء ١٩٢١ تمكنا من تأسيس اتحاد النقابات بعدد محدود لا يتجاوز ثلاثة آلاف من العمال ولما كنا نرى أن النقابات لا تستطيع أن تتدخل تدخلا فعليا فى الامور السياسية لكونها مؤلفة من عمال مختلفين وذوى نزعات سياسية متضاربة ، فكرنا فى تأسيس حزب سياسى يكون بمثابة لسان حال نقابات العمال ويكون فى استطاعته أن يدافع عن مصالحهم فى المجلس النيابى وغيره ويسعى لحمل الحكومة على اصدار قانون اجتماعى لحماية العمال المتروكين تحت رحمة الراسمالية بظلمها ، وعملا بهذه الفكرة أنشأنا الحزب الاشتراكى » .

ومن هذه الكلمات نستخلص ما يلى :

* أن النفوذ اليسارى وسط الحركة النقابية كان الى حد ما قويا .

* ان النقابيين من حزب الوفد والحزب الوطنى قد عارضوا بشدة هذا النفوذ اليسارى .

* أن الحزب الاشتراكى الذى استهدف روزنتال تأسيسه قد نبع أساسا من خلال معركة عمالية تستهدف توحيد العمال .

والحقيقة أن النضال النقابى كان سبيلا قاد الكثيرين من المناضلين العماليين الى صفوف الحزب الاشتراكى .. وفى الكلمات التالية يحاول عبد الرحمن فضل وهو واحد من طلائع الاشتراكيين فى مصر أن يروى تجربته وقصة انضمامه مع زملائه الى الحزب الاشتراكى ..

« لقد زرعت فينا ثورة ١٩١٩ روح العمل الجماعى .. وكنا قد تأثرنا بروح الحزب الوطنى فى تأسيس النقابات وفى تفتيش .. خش الجمل .. بالبحيرة وهو تابع لشركة انجليزية لاستصلاح الاراضى اسسنا نقابة عمالية كجزء من موجة النقابات التى انتشرت فى أعقاب ثورة ١٩١٩ وكان يرأس النقابة عبد الحميد افندى العتال الذى كان ينفق عليها من ماله الخاص

ويعاونه محمد أفندى سلامة وأنا .. واتسع نشاط النقابة فى مواجهة ضغط أصحاب الشركات وتدخلت الاتحادات العمالية فى دمنهور والاسكندرية لتأييدنا هنـاك وعن طريقهم انضممنا الى الحزب الاشتراكى »(١) ..

ولم يكن هذا هو السبيل الوحيد للعمل الجماهيرى الذى شقه روزنتال فى طريق تأسيس الحزب فقد نظم حملة جماهيرية للمطالبة بتحديد ايجارات المساكن من خلال اتحاد المستأجرين .. وقد نجحت هذه الحملة نجاحـا كبيرا قال عنه روزنتـال فى شهادته أمام النائب العام « لقد وافق هذا السعى هوى فى نفس الجمهور فهبت الصحف تساعدنى فى هذه الحملة ونشرت اسمى اسمى مرارا » . (٢) .

وهكذا يلتقى طريقـان يولدان معـا ممكنات حقيقية لنشوء حزب اشتراكى فاعل ..

. . فالحركة الوطنية تتألق فى أوج نشاطها وحيويتها وحركة الطبقـة العاملة تتصـاعد .. «ولقـد لعب الحزب منذ أيام نشأته الاولى دورا بارزا فى تعميق وتأكيـد دور الحركة العمالية فى أيام نهضتها الاولى » (٣).

لقـد أصبح الجو مهيأ للعمل ولاعلان الحزب ..

لكن الجميع يؤكدون أن الحزب كان موجودا من قبل وأن روزنتال كـان قد أسس فعـلا حزبا من الاجانب فى الاسكندرية ..

أما الجـديد فهو ظهور جماعة من المصريين تسعى لتأسيس حزب اشتراكى مصرى .. والأسماء كثيرة ، سلامة موسى ، د. على العنانى ، محمد عبد الله عنـان ، الشيخ صفوان أبو الفتح ، أحمد المدنى ، حسنى العرابى ، أنطون مارون ، حسـين نامق ، حسن محيسن والشيخ عبد اللطيف بخيت .

ويقول على العنانى « ان النفس لتاقـة منذ أمد بعيد الى وجود اتحاد اشتراكى من الوطنيين » (٤) .

---

(١) عبد الرحمن فضل . مخطوط لم ينشر بعنوان « مقـدمة لتـاريخ الحركة العمالية فى مصر » وراجع أيضا مجلة المصور ١١/٣/١٩٦٦ .صبرى أبو المجـد مقـال بعنوان « هذا النجار المصرى تدريس قضيته فى كلية الحقوق » .

(٢) الاهرام ٧/٣/١٩٢٤ .

(3) Selma Botman — The Rise and Experience of Egyptian Communism - - Studies in the Comparative Communism-vol. XVIII' No.1' Spring 1985: P:49

(٤) الاهـرام ١٩/٨/١٩٢١ .

ويقول سلامة موسى : « إن الدكتور العنانى هو وجماعة من الشبيبة المستنيرة رأيا تأليف جمعية اشتراكية لدرس مذاهب هذا المذهب المتعددة »(١) ..

ويقول سلامة موسى فى مقال نشره فى اليوم التالى بالأهرام بعنوان « الاشتراكية المصرية » :

« اجتمع عدد غير قليل من الاشتراكيين المصريين وأكثرهم من الذين عاينوا بأنفسهم النضال القائم فى أوروبا بين رأس المال والعمل وقر رأيهم على تأليف جمعية تضم شملهم وتمكنهم من المذاكرة فى فروع هذا المذهب وتطبيقه على الأحوال المصرية »(٢) ..

ونستمع الى رواية أخرى من واحد من أقدم الاشتراكيين المصريين ... مصطفى حسنين المنصورى :

« وصلنى خطاب باللغة الفرنسية يدعونى الى اجتماع سيعقد فى احدى الكونات أمام حديقة الازبكية ويشرح فيه أحد الأجانب نظرية الاشتراكية .

وفى هذا الاجتماع قابلنى كل من سلامة موسى وعبد الله عنان ولم أكن أعرفهما من قبل . وحضر الاجتماع حوالى عشرين شخصا ..

وبعد يومين أو ثلاثة يستدعى المنصورى لمقابلة محافظ القاهرة ..

« .. فلما ذهبت الى محافظة القاهرة وجدت من حضروا الاجتماع هناك واستقبلنا المحافظ وسألنا عن سبب حضورنا الاجتماع فعرفناه بأننا حضرنا من باب حب الاستطلاع وبدعوة موجهة الينا فقال ان المحاضر شيوعى ونصحنا بعدم العودة ، والا تعرضنا للعقاب »(٣) ..

وهكذا يمكن للصورة أن تتضح ..

※ روزنتال اشتراكى أجنبى يتمتع بخبرة واسعة وبوضوح نظرى وعلاقات قديمة بالعمل النقابى ويستفيد من ذلك ومن نفوذه وسط النقابيين بالاسكندرية ووسط الاجانب فيحاول أن يؤسس حزبا اشتراكيا بين الأجانب أساسا ومن خلال العمل النقابى والعمالى والانشطة الاخرى .

※ مجموعة من المثقفين المصريين معظمهم كما يقول سلامة موسى من المثقفين المتأثرين بالفكر الاوروبى لكنهم مثقفون ذوو مكانة محترمة فى

---

(١) الأهرام فى ١٩٢١/٨/١٧ .

(٢) الأهرام ١٩٢١/٨/١٨ .

(٣) أمين عز الدين . المنصورى ، سيرة مثقف ثورى – المرجع السابق – ص ٤٦ .

المجتمع ، آمنوا بالاشتراكية وفقا لاتجاهات متفاوتة تتراوح بين الفنابية واشتراكية الدولية الثانية والماركسية اللينينية ..

وهم يفتقرون الى الوحدة الفكرية ، والى الوضوح حتى حول حقيقة الخلاف بين هذه المدارس المختلفة ، ولا يملكون معرفة كافية بأساليب ومناهج النشاط الحزبى . ولا يدركون حقيقة الهوة التى تفصلهم عن بعضهم البعض ويتصورون أن مجرد اعلان كل منهم إنه اشتراكى يكفى كى يضموا جهودهم معا فى حزب واحد .

وكان من الطبيعى أن تسعى المجموعتان احداهما الى الاخرى من أجل تأسيس حزب اشتراكى واحد ..

لكن من سعى الى الاخر .. هناك روايتان ..

يقول سلامة موسى « انهم كتبوا الى روزنتال .. يسألونه عن برنامج حزبه » .

وينكر العنانى أن روزنتال هو الذى أقنعه « لانى مع اعجابى بهذا الرجل لست فى حاجة الى أن آخذ عنه بل فى حاجة لردة الى ما قد مارسته طويلا من تعرف على هذا المبدأ »(١)

أما روزنتال فيورد الامر بطريقة أخرى مصورا أنه صاحب الفكرة فبعد أن يتحدث فى شهادته أمام النائب العام عن تحدث الصحف عن جهوده يقول « فرأيت من بعض الوطنيين عطفا على الاشتراكية وكان من هؤلاء العاطفين حسنى العرابى والدكتور على العنانى وسلامة موسى وعبد الله عنان فاتفقت معهم على العمل وقررنا تأسيس الحزب الاشتراكى المصرى . وقد كتبوا لهذا الغرض منشورا يحتوى على مبادىء الحزب موقعا عليه منهم ولم أشترك فى التوقيع عليه لانى كنت أعتبر أن ظهور اسمى الاجنبى بالرغم من كونى مصرى الجنسية يمكن أن يعد بمثابة تدخل أجنبى فى مسألة مصرية » .

وعلى اية حال وسواء إكانت المجموعة المصرية هى التى أرسلت رسالة الى روزنتال أو كان روزنتال هو الذى سعى إليها بحثا عن وجوه مصرية

---

(١) الأهرام ١٩٢١/٨/١٩

ينتمون اليها . فقد اجتمع ممثلوا المجموعات الاشتراكية المختلفة حوالى منتصف شهر اغسطس ليناقشوا الامر .

ولم يكن النقاش سهلا فالخلافات الفكرية عميقة جدا ، وأى اتفاق لن يعنى سوى تلفيق بين آراء وسطى بين أطراف متنازعة .

وكانت المفاوضات تجرى فى سرية غير أن مراسل الاهرام بالاسكندرية وهو شخص اثبت طوال السنوات التالية نشاطا ملحوظا واهتماما مبالغا فيه بنشاط الحزب - يفاجىء الجميع بنشر الخبر التالى :

« ينتمى المسيو روزنتال منذ أمد بعيد لتأليف حزب اشتراكى فى هذه البلاد وبدأ عمله بالمطالبة بحقوق المستأجرين ثم باتحاد النقابات ، مع مواصلة السعى لاقناع جماعة من الوطنيين بأن يماشوه فى مشروعه وقد نجح بأن أقنع الدكتور على أفندى العنانى بأن يكون سكرتير الفرع الوطنى كما يكون هو ذاته أى روزنتال سكرتير الفرع الفرنساوى والانجليزى كما يكون الخواجا بيريدينيس سكرتير الفرع اليونانى . ولا شك بأن هذا الحزب سيعلن برنامجه ولا شك بأن هذا البرنامج سيتضمن وعودا طيبة ولكن الوعد شىء والعمل شىء آخر .

ان حالة البلاد الاجتماعية تقتضى علينا وعلى كل عامل لمصلحتها برقابة حزب كهذا لا لاننا نكره التعاليم والمذاهب الاشتراكية العلمية . بل لاننا نكره النظريات المتطرفة التى تقضى بالطفرة ونحن نود التطور رويدا رويدا ولا نعرف مذهب الدكتور العنانى من هذه الوجهة ولا ما هى اشتراكيته .. وهل هى متطرفة أو عملية ولكنا نعرف شيئا من مذهب المسيو روزنتال ونعرف شيئا مما بسطه لرؤساء النقابات الوطنية فنعرف أنه اشتراكى متطرف .. وقد تجاوز حدود التطرف فهل الدكتور العنانى من مذهبه ؟ »(1)

وسواء أكان الأمر مجرد سبق صحفى يحرزه مراسل نشيط أو كان وقيعة ماكرة بين المجموعة المصرية وروزنتال ومحاولة لضرب الوحدة بينهما أو كان بداية لحملة معادية .

فان نشر الخبر قد فاجأ الجميع وهم مختلفون ..

* مختلفون حول الأسس النظرية ...
* بل ومختلفون هل يعلن حزب سياسى أم جمعية علمية .
* ومختلفون حول من يكون السكرتير العام .

---

(1) الأهرام ١٩٢١/٨/١٦ .

ولقد كانت هذه الخلافات جدية وتتطلب تصفية حقيقية اذ بدون اتفاق حقيقي حولها يصبح البناء مهددا بالانهيار في أي وقت .. وفي محاولة لاسكات مراسيل الاهرام والحملة المعادية التي فجرها اتهم البناء على عجل وبغير اتفاق جدى .

لكن ما هي حدود الخلاف بين محاولى التوصل الى اتفاق ..

أولا : الخلاف الأيديولوجي :

ولقد كان الخلاف خطيرا وحادا بين جميع الاطراف .. وقد تفجر الخلاف صريحا على صفحات الاهرام في الايام التالية وقد انسحبت الاهرام صدرها لتنشر آراء الجميع ولعلها كانت محاولة ماكرة لتثبيت مدى عمق الخلاف بين هذه الأطراف ..

فروزنتال شيوعى لايخفى شيوعيته ولم يخفها في يوم من الأيام .. بل انه وعندما كان الشيوعيون يطاردون ويرسلون التى السجون يكتب في الأهرام صراحة « لقد كنت وما زلت ولا أزال حتى آخر نسمة من حياتى شيوعيا كاملا ومخلصا اخلاصا تاما لقضية البروليتاريا »(١) .

وثمة شيوعيون آخرون بين المصريين لم يخفوا شيوعيتهم ايضا منهم الشيخ صفوان أبو الفتح وأنطون مارون .

ولنتأمل الآن كلمات شخص وقع رسالته الى الأهرام بامضاء « اشتراكى صميم » :

« ان برنامج الحزب قد يصبح أعمالا جليلة تفضى الى تحطيم تلك الأغلال الظالمة التى ضربها راس المال على العمل في مصر .. أن الحالة الاجتماعية لاى بلد لا تتنافى مع المبادىء الاشتراكية التى ليست الا نداء بتأييد الحقوق الطبيعية للانسان ودعوة لتحطيم تلك الانظمة الاستبدادية التى قضت بأن تضطهد الجماعات الرأسمالية طوائف المجتمع بأسره وأن تتسع الهوة بين الرفاهية والفاقه وبين النعيم والشقاء وان يطلق العنان للقوى الغادرة لتبطش بالضعيف المهيض سواء كان ذلك المعتدى شعبا على شعب أو فردا على فرد » .

ثم يواصل الاشتراكى الصميم دفاعه عن مبادئه قائلا « اذا كنتم تريدون من طرف خفى أن تقولوا ان حزبا اشتراكيا يؤسس في بلدنا لا بد **وأن يتصل بموسكو دعامة الدعوة وفخار العمل ورعب راس المال** .. فهذا ما اخالفكم فيه لان مبادىء موسكو أو البلشفية **وان كانت مثلا أعلى للمبادىء**

---

(١) الأهرام ١٩٢٤/٣/١٢ .

الاشتراكية فان عدم ملاءمتها الحالة الاجتماعية فى بعض البلاد يرجع لظروف خاصة لا يتسع المقام للافاضة فيها »(١).

هكذا وبصراحة يصف موسكو بأنها « دعامة الدعوة وفخار العمل ورغب رأس المال » .. ويصف البلشفية بأنها « مثل أعلى المبادىء الاشتراكية » .

اما سلامة موسى فنحن نعرف رأيه فهو قاطع ضد البلشفية وضد الثورة .

وحسنى العرابى كان منشغلا فى ذلك الحين بترجمة كتاب ماكدونالد زعيم حزب العمال الانجليزى .

وعبد الله عنان طالعنا أيضا رأيه فى فصل سابق وهو فى أحسن الأحوال واحد من اشتراكيى الدولية الثانية ..

.. وعلى العنانى يعلن أنه يريد حزبا « يحصر نفسه فى حدود الاعتدال للارشاد الى ما فى الشرائع من مبادىء المساواة والعدالة بين الناس » وهو يدعو الى « الأخذ بما تتطلبه طبيعة البلاد وتقره الأحكام الشرعية وتبيحه قوانيننا الدستورية » ويسمى مذهبه « الاشتراكية العملية المعتدلة »(١) وهو لصيق بالفلسفة الهيجلية الى حد أنه يمكن اعتباره مجرد « هيجلى يسارى » وفيما بعد شغل العنانى نفسه كثيرا بالدعوة لأفكار هيجل وآرائه .

وهكذا يتضح الى أى حد كان الخلاف الأيديولوجى مستحكما .

فماذا عن نقطة الخلاف الأخرى ؟

حزب سياسى أم جمعية علمية

عندما فاجأ الأهرام الجميع بنشر هذا الخبر كانت المجموعة لم تتفق بعد حول هذه القضية الاساسية .. بل لم تكن قد ظهرت بعد بوادر حول هل سيمكن لها أن تتفق أم لا ؟

ففى ١٩ أغسطس ١٩٢١ يكتب « اشتراكى صميم » الى الأهرام قائلا « أرجو ألا تتقدموا منذ الساعة على جماعة لم يلتئم شملها بعد » .

وفى نفس اليوم يكتب د. على العنانى الى الأهرام أيضا قائلا « ومن أين للراوى جاءت العقيدة بتكوين هذا الحزب مثلا ؟ أفلا يصح أن يكون الموضوع قاصرا على تأسيس جمعية علمية تدرس المبادىء الاشتراكية مقررة ما يناسب منها ومنتقدة ما تراه ضارا » .

---

(١) الأهرام ١٩٢١/٨/١٩ .

كذلك كتب سلامة موسى قائلا انه ما لم يتم اتفـاق حول تأسيس الحزب فأنهم « يؤلفون جمعية غايتها الدرس أكثر من السياسة »(١)

والحقيقة أن هذا الموقف يمكن تفسيره من خلال سلسلة من الظواهر . فإن بعض المثقفين كان يدرك مدى افتقـارهم الى الدراسة النظرية المتعمقة ، وكانت طلائع المثقفين والليبراليين المصريين كما شاهدنا فى فصـل سـابق قـد عكست فى أفق الفكر المصرى آراء وكتابات متسرعة حول مختلف المدارس الفكرية .

ولم يكن الفـارق الجدى واضحا بين هذه المدارس ، ذلك أن الفـارق الجـدى لا يتضح الا عندما تتحدد واجبات نضالية .

ولهذا فان الخلاف يمكن تبسيطه كما يلى :

البعض يقـول لننتظر فترة ندرس فيهـا ونتناقش ونختـار .. ولننظم هذا الدرس وهذه المناقشة من خلال جمعية علمية ..

والمجموعة الاخرى ترى أن البدء فى العمل النضالى واعـلان الحـزب هو السبيل الافضل لحسم الخلافات وتحقيق التمايز ..

ثم ان هنـاك مسألة ثانية وهى أن النقاش كان يجرى فى عام ١٩٢١ وفى هذا العـام بالذات كان الوفد المصرى ـ الذى جسد وحدة الامة ـ تتهدده الانقسامات ، وكان الشعار السائد وسط الجماهير أن أى اعلان لحزب جديد هو تفتيت لوحـدة الامة ، وخروج على زعامة سعد ، ولعلنـا نلمح ذلك كثيرا فى كتابات معارضى الحزب الذين اتهموه بتقسيم الصفوف وبتعجيل الخـلافات الطبقية قبل الاستقلال . كما أن الوفد كان بنفوذه الكبير يعرقـل أيـة محاولة كهذه ويتهمهـا بالانقسامية ..

وهناك ثالثـا تلك الحجة التى ترددت كثيرا وهى أن اعلان حزب اشتراكى فى مصر قـد يخيف الانجليز ويؤدى بهم الى عدم الجـلاء .

السكرتير العـام من يكون ؟

ولقـد كانت هذه المجموعة تضم عديدا من المثقفين المرموقين والمناضلين الذين أثبتوا نضاليتهم وقـدرتهم على القيـادة خلال أحداث ثورة ١٩١٩ .

كان من بينهم كتاب مشهورون مثـل سلامة موسى وعبد الله عنـان .. ورجـال دين محترمون مثل الشيخ صفوان أبو الفتح ..

---

(١) الأهرام ١٩٢١/٨/١٧ .

والذين استطاع بعضهم أن يجمع نقابات تضم ٣٥ ألف عامل بناء على نداء نشره في الصحف لاقامة اتحاد لهم ، وهكذا كان من الصعب أن يفرض واحد منهم نفسه على الآخرين .

كذلك فان الحزب لم يكن تتويجا لعمل تنظيمي قديم حتى ولو كان مبعثرا فيمكن لهذا العمل التنظيمي السابق أن يقدم مقياسا لاختيار السكرتير العام .

لكن الحزب كان بداية لعمل جديد ..

ولم يتعد العمل التنظيمي الذي سبقه عن تكوين خلايا متفرقة لم ترتق الى مصاف العمل الحزبي الحقيقي ..

كان الحزب الجديد اذن بداية تتطلع الى قائد ، فمن من هؤلاء كان يتطلع الى القيادة ؟

روزنتال أعلن مسبقا أن كونه أجنبيا يمنعه من ذلك .. بل أنه لم يوقع مع الأربعة بيان اعلان الحزب قائلا في شهادته « لم أشترك في التوقيع عليه لأني كنت أعتبر أن ظهور أسمى الاجنبي بالرغم من كوني مصري الجنسية يمكن أن يعد بمثابة تدخل أجنبي في مسالة مصرية »(١) .

وعلى العناني الذي رشحته الأهرام للسكرتارية العامة كتب يقول ان هذا غير صحيح ، « فلو عرف المدعى حدود مهمتي وشيئا عن مبادئي لما صح له هذا الرجم بالغيب لأن هذا العمل لا يلتئم أيا كان وفي أي دائرة وجدت مع دوائر أعمالي الاصلية فما دار لي هذا يوما ما بخلد ولا عرضه على انسان ولن يخطر لي أبدا على بال »(٢) .

بين من اذن انحصر الصراع ؟

ان التتبع الدقيق لكتابات قادة الحزب في تلك الايام يوضح لنا حقيقة هامة هي أن سلامة موسى كان يريد هذا المنصب لنفسه .

وان المجموعة الاخرى لم تكن تريده له ..

هو يريد المنصب محتجا بنفوذه الفكري والادبي وشهرته الواسعة ..

وهم لا يريدونه لانه مجرد فابي ويشعرون بأن تسليم قيادة الحزب له خطر على الحزب وعلى اتجاهاته .

---

(١) الأهرام ١٩٢٤/٣/١١ .

(٢) الأهرام ١٩٢١/٨/١٩ .

لم يكن الصراع اذن شخصيا ؟ بل كان امتدادا للصراع الايديولوجي الذى اشتعل بين القادة ـ الذين لا يعرفون شيئا عن قواعد الانضباط الحزبى ـ على صفحات الجرائد ٠

هل القيادة للنقابيين والاصلاحيين أم للماركسيين ٠٠ ؟

وحاول سلامة موسى أن يفرض نفسه مستخدما أسلوبا فريدا يستحق التأمل فما أن نشر الاهرام خبره المفاجىء عن مباحثات تأسيس الحزب فى ٢٦ أغسطس حتى سارع سلامة موسى لينشر فى عدد اليوم التالى رسالة بعنوان « الحزب الاشتراكى » يقول فيها « ولما كنت واقفا على حقيقة الحال أعلن للقراء أن الدكتور العنانى ليس سكرتيرا »(١) ٠

لكن سلامة موسى كان فى عجلة من أمره ويريد أن يضع المتفاوضين أمام الامر الواقع وانتهز الفرصة ليصدر فى ٢٣ أغسطس « نداء الى الامة المصرية » تنشره الاهرام موقعا باسم سلامة موسى سكرتير الحزب الاشتراكى المصرى ٠٠٠

وهذا النداء يستحق التأمل لا لان سلامة موسى قد وقعه كسكرتير للحزب فقط وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى فعل فيها ذلك ٠٠

ولكن لان سلامة موسى كان يحاول فيه أن يساوم التيار الماركسى وأن يتقرب منه مؤملا أن يقبلوا بذلك وضعه كسكرتير للحزب ٠٠

فالنداء يناشد الشعب المصرى وجمعيتى الهلال الاحمر والصليب الأحمر جمع تبرعات الشعب الروسى الذى يعانى من المجاعة ٠٠ والهام فى هذا الامر هو أنه يقول « لقد قضى الشعب الروسى ثلاثة قرون وهو رازح تحت نير الاضطهاد والعبودية فى جهل مطبق وفقر مدقع ٠٠ وعندما استيقظ من غفلته وشاء أن يحيا حياة جديدة فاجأته الطبيعة بآفاتها »(٢) ٠

ولنقارن هذه الكلمات بكلمات اخرى نشرها سلامة موسى قبل خمسة أيام فقط فى الأهرام يقول فيها ٠٠ « ان البولشفية الروسية قد اخفقت اخفاقا يكاد يكون تاما ونشرت على ربوع البلاد الروسية الوبئة الخراب والدمار » ٠

بينما هو الان ينسب المجاعة إلى سببها الاصلى « الآفات الطبيعية » ويصف الثورة بأنها « استيقاظ للشعب من غفلته ورغبته فى أن يحيا حياة جديدة » ٠٠

---

(١) الأهرام ١٩٢١/٨/١٧ ٠

(٢) الأهرام ١٩٢١/٨/٢٨

المهم أن المناورة لم تفلح واختارت المجموعة سكرتيرا عاما آخر هو محمد عبد الله عنان.

ولعل اختياره كان نوعا من الموازنة بين الاتجاهات المختلفة وإذا كانت عناصر الوسط قد استطاعت أن تحتل هذا المركز مستفيدة من الصراع بين سلامة موسى وبين الشيوعيين فإن هؤلاء الشيوعيين قد تركوا هذه العناصر البرجوازية الصغيرة تتصارع على اللقب بينما تمركزوا هم في أكثر الاماكن حساسية وأهمية فالشيخ صفوان أبو الفتح أصبح سكرتيرا عاما لاتحاد نقابات العمال وانطون مارون مستشارا للاتحاد.

والحقيقة أن نشر الاهرام المفاجئ لخبر محاولات تأسيس الحزب قد اضر هذه المحاولات ضررا بالغا .. فقد فجر الصراع الايديولوجي على صفحات الجرائد وأوضح للجمهور مدى الخلافات الفكرية بين مؤسسي الحزب.

ولكننا ولكي نكون منصفين نود أن نقول أن الذين انجرفوا الى هذا التيار كانوا اقلية وكانوا في الاساس يمثلون الاتجاهات الفكرية التي توشك أن تنهزم بتأسيس الحزب : الفابية (سلامة موسى) .. الاتجاه الهيجلي (على العناني) اشتراكية الدولة الثانية (عبد الله عنان).

أما الآخرون فلم يشتركوا في النقاش ، ربما لأنهم وجدوا أن الاشتراك فيه ضار بوحدة الحزب الذي يوشك أن يتأسس ..

وربما لانهم كانوا أكثر خبرة بأساليب الصراع الحزبي.

المهم أن أحدا من الماركسيين لم يشترك في هذا النقاش العلني .. والوحيد الذي اشترك بكلمة رصينة غاية في التحديد لم يكتب اسمه واكتفى بأن يسمي نفسه « اشتراكي صميم ».

وبالرغم من كل ذلك ، وبالرغم من أن هؤلاء الناس قد صادفتهم مصاعب جمة : مصاعب تتعلق بالايديولوجية وأخرى تتعلق بالظروف الموضوعية للمجتمع المصري وثالثة تتعلق بالواقع السياسي للفترة التي بدأوا فيها العمل .. فقد استطاعوا أن يتوصلوا الى ما يشبه الاتفاق.

وفي ٢٩ اغسطس أصدر الحزب برنامجه الذي سنحاول تقويمه فيما بعد ..

لكننا يتعين علينا قبل ذلك أن نشير الى بعض اللبس الذي أحاط بموضوع البرنامج .. ذلك أن الدراسات التي تتناول هذا الموضوع تشير الى

برنامجين مختلفين تماما دون أن ينتبه الكثيرون إلى اختلافهما التام فى الأهداف والاسلوب والصياغة ٠٠

والبرنامج الاول هو الذى نشره شهدى عطية الشافعى فى كتابه « تطور الحركة الوطنية » طبعة الدار المصرية للطباعة والنشر ١٩٥٧ ص ٤٢ ٠

وقد اشار شهدى فى كتابه هذا الى أن البرنامج قد نشر فى عدد الأهرام الصادر فى ١٤ فبراير ١٩٢١ ونقل عنه ذلك عدد من الكتاب دون تدقيق :

منهم على سبيل المثال عبد المنعم الغزالى ، المرجع السابق ص ٨٧ وقد أورد البعض فقرات من هذا البرنامج ٠٠ دون الاشارة الى المصدر وانما اكتفى بالتقرير انها فقرات من برنامج الحزب (١) :

وفيما يلى نص هذا البرنامج : « يعمل الحزب على استقلال وادى النيل باسره » ، استقلالا خاليا من كل شائبة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ٠

أولا :

(١) جلاء الجنود الانجليز عن مصر والسودان وعدم الاعتراف للغاصب باى مركز ممتاز ٠

(٢) عدم الاعتراف بالمعاهدات والاتفاقات التى أجريت خلسة من الشعب وعلى كره منه ٠

(٣) جعل قناة السويس ملكا للأمة ٠

(٤) تعديل الدستور وقانون الانتخاب حتى تصبح الامة مصدر السلطة الحقيقية ٠

(٥) الغاء القوانين الاستثنائية والرجعية كقانون الاجتماع والأحزاب ٠

ثانيا :

(١) الاعتراف بهيئات العمال رسميا وبحقها فى الدفاع اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا عن مصالحها ٠

(٢) تنظيم العمال غير المنظمين وضمهم فى اتحادات وضم الاتحادات التى بعضها فى اتحاد عام وربطه بالاتحاد العام الدولى ٠

— MONA Hammam — women workers and the practice of Freedom as Education' the Egyptian Experience — (Ph.D. Thesis, University of Kansas' 1977) P. 118.

(٣) الدفاع عن قانون ٨ ساعات عمل فى اليوم ومساواة العمال المصريين والاجانب العاملين فى عمل واحد وعمل تشريع لحماية العمال المرضى والعاطلين الخ .

(٤) تأليف تعاونيات للانتاج والتوزيع .

(٥) تمثيل العمال وفقراء الفلاحين تمثيلا صحيحا فى البرلمان .

ثالثا :

(١) للنساء التمتع بالحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية ...

(٢) المطالبة بجعل التعليم اجباريا للجميع بنين وبنات وان يكون مجانيا للفقراء مع اصلاح برامج التعليم الحالية .

(٣) محاربة الأمية بجميع الوسائل .

رابعا :

(١) تنظيم فقراء الفلاحين فى نقابات وايجاد صلات بينها وبين نقابات العمال مع العمل على ربطها باتحادات الفلاحين الدولية .

(٢) الغاء نظام ملكية العزب التى لا تختلف كثيرا عن نظام الاقطاعيات .

(٣) الغاء ديون الفلاحين الذين يملكون أقل من ثلاثين فدانا .

(٤) اعفاء الفلاحين الذين يملكون أقل من عشرة أفدنة من الضرائب .

(٥) وضع ضرائب على مياه الرى للذين يملكون أكثر من ١٠٠ فدان .

(٦) انشاء مصارف تعاونية لصغار الفلاحين .

خامسا :

(١) المطالبة بالاعتراف بحكومة الجمهورية الروسية .

(٢) العمل على التفريق بين الجرائم السياسية وغيرها أمام المحاكم المصرية والافراج عن المسجونين السياسيين دون تفرقة .

---

(٣) طلب محاكمة اذناب الاستعمار من كبار المصريين ممن تقع عليهم مسئولية الارهاب والاستبداد ومعاونة الاجنبى على اخماد نهضة الشعب .

لكن ثمة شيئا لفت نظرى وهو أن الاهرام قد نشر أول خبر عن محاولات تأسيس الحزب فى ١٦ أغسطس ١٩٢١ وأنه أشار فى هذا الخبر الى أنه لا شك فى أن هذا الحزب سيعلن برنامجه ، بما يوحى بأن الحزب لم يكن قبل اغسطس قد نشر برنامجه .

وثانيا أن الحزب قد نشر بالفعل فى أهرام ٢٩ أغسطس وثيقة بعنوان « بيان الحزب الاشتراكى » وهى ما سنناقشه فيما بعد كبرنامج للحزب .

وثالثا فانه بالبحث فى عدد الاهرام الصادر فى ١٤ فبراير ١٩٢١ لم نجد به اى اشارة الى صدور هذا البرنامج .

فما هى حقيقة هذا الامر اذن .. وما هى هذه الوثيقة التى نشرها شهدى كاملة مشيرا الى أنها برنامج الحزب ..

ذلك أنه بغض النظر عن خطأ تاريخ ١٤ فبراير ١٩٢١ فان مؤرخا مؤتمنا ودقيقا مثل شهدى لا يمكن أن يكون قد اختلق هذه الوثيقة اختلاقا ..

وثمة احتمالان أطرحهما للنقاش ..

الأول : أن يكون هذا البرنامج هو واحد من المشاريع التى لابد وأن المجموعات المختلفة التى كونت الحزب قد اعدت كثيرا منها كمحاولات لاقناع الاخرين بها واصدارها كبرنامج للحزب الجديد .. وهذا الاحتمال استبعده .

أما الاحتمال الثانى : ـ وهو الارجح ـ أن يكون البرنامج الذى نشره شهدى هو البرنامج المعدل الذى أصدره الحزب بعد انضمامه للكومنترن .. والذى يقول لاكور (١) أن الحزب قد أصدره فى كراسة صغيرة باللغة العربية واللغة الفرنسية ..

لكن لماذا نرجح هذا الاحتمال الثانى ؟..

أولا : لان لاكور وهو يناقش هذا البرنامج الجديد الذى قال ان الحزب اصدره بعد انضمامه للكومنترن يشير الى الفقرات التى تتعلق بتأميم قناة السويس ، واسقاط ديون الفلاحين الذين تقل ملكياتهم عن ٣٠ فدانا .. واعفاء الفلاحين الذين يملكون إقل من عشرة افدنة من الضرائب .

وهذه المطالب كلها واردة فى البرنامج الذى نشره شهدى .. وغير واردة فى برنامج ٢٩ اغسطس ١٩٢١ وهى دليل على جدية الوثيقة التى نشرها شهدى .

---

(١) لاكور ـ الشيوعية والقومية فى الشرق الأوسط ـ المرجع السابق ـ ص ٣٤

ثانياً : اصدر أحد اعضاء الحزب الاشتراكي وهو حسين نامق كتاباً بعنوان « خلاصة الاقتصاد » في اغسطس ١٩٢٢ وقد نشر برنامج الحزب مورداً نص برنامج ٢٩ أغسطس ١٩٢١ (١) بما يوحي بأن البرنامج المنشور بكتاب شهدي عطيه قد صدر بعد عام ١٩٢٢ .

ثالثا : ان البرنامج يتضمن نصا يقول « عدم الاعتراف بالمعاهدات والاتفاقات التي أبرمت خلسة من الشعب وعلى كره منه » .

ولا شك في ان واضعي البرنامج يقصدون تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ .

رابعا : البرنامج يطالب « بتعديل الدستور وقانون الانتخاب حتى تصبح الامة مصدر السلطة الحقيقية » .

اذن هذا البرنامج موضوع بعد إعلان دستور ١٩ أبريل ١٩٢٣ .

لكل ذلك فاننا سنرجئ محاولة تقويم هذا البرنامج الى صفحات قادمة تستناقش فيها دور الحزب بعد انضمامه الى الكومنترن وسوف نعتبر أن الوثيقة المنشورة في أهرام ٢٩ اغسطس هي وحدها برنامج الحزب الاشتراكي المصري الى حين انضمامه للكومنترن .

فما هي الوثيقة :

« بيان الحزب الاشتراكي المصري » .

في تلك الاونة التي تعصف فيها النظم الراسمالية الفردية بحياة بني الانسان وأرواحهم وعقولهم وجهودهم تبث النظم والمبادئ الاشتراكية في الافئدة المعذبة لإنجاد الانسانية واغاثتها من بطش القوى الظالمة وتحقيق غايات العدالة الطبيعية من تاييد عواطف التآخي والسلام في المجتمع الانساني ، والقضاء على أفتيات المستعمرين المستغلين الذين سلبوا حرية الشعوب والافراد وسعوا الى تحقيق رفاهيتهم بالاضطهاد المريع للامم والمجتمعات المستضعفة وليس ابلغ ايضاحا للماساة المحزنة التي تمثلها الان تلك النظم المستبدة من أن اغلب الامم قد انتهكت حريتها واهتضمت حقوقها دولا استعمارية تسود فيها تلك النظم ، وان الأغلبية الساحقة في المجتمع الحاضر قد استعبدتها أقلية صغيرة متعجرفة تستاثر برؤوس الأموال وارزاق الطبيعة ثمرة كدها وجهادها .

ولقد امتدت يد الاستعمار والافتيات الى مصر فاستلبت حريتها عملا

---

(١) حسين نامق . خلاصة الاقتصاد . مطبعة هندية . اغسطس ١٩٢٢ ص ١٢١

بسياسة تلك النظم الراسمالية سعيا الى استثمار ارزاقها واستغلال جهود بنيها • وكذلك تسيطر تلك النظم على المجتمع المصرى سيطرة سحقت معها دولة العمل وبطش بها راس المال بطشا شائنا مرهقا أدى الى خلق الغنى الفاحش والباساء البالغة جنبا لجنب واتساع الهوة بين الرفاهية والفاقة •

لذلك كان من الضرورى ان يمتد الى تلك البلاد صراع المبادىء الاشتراكية العادلة للنظم الراسمالية بسعيا الى تخفيف ظلمها وويلها الفادح • وتحقيقا لتلك الغاية نهض اخوان العمل فى مصر لتاليف الحزب الاشتراكى وهذه هى مبادئه التى سيعمل على تحقيقها :

المبادىء السياسية :

١ ـ تحرير مصر من نير الاستعمار واقصاء ذلك الاستعمار عن وادى النيل باسره •

٢ ـ تاييد حرية الشعوب واختيار المصير ، والتآخى مع جميع الأمم على قاعدة المساواة والمنفعة المتبادلة •

٣ ـ محاربة الاستعمار ومقاومته اينما وجد •

٤ ـ مقاومة العسكرية والديكتاتورية وانظمة التسليح فى البر والبحر والهواء •

٥ ـ مقاومة الاعتداء والحرب الهجومية •

٦ ـ الغاء المعاهدات السرية •

ومبادىء الحزب الاقتصادية هى :

العمل على الغاء استغلال جماعة لأخرى ومحو التفريق بين طبقات المجتمع فى الحقوق الطبيعية واخماد استبداد المستغلين والمضاربين والسعى الى انشاء مجتمع اقتصادى يقوم على دعائم المبادى الاشتراكية الآتية :

١ ـ توحيد الثروة الطبيعية ومصادر الانتاج العامة لمجموع الامة •

٢ ـ التوزيع العادل للثمرات على العاملين طبقا لقانون الانتاج والكفاءة الشخصية •

٣ ـ اخماد المزاحمة الراسمالية •

اما المبادى الاجتماعية فهى :

١ ـ اعتبار التعليم حقا شائعا لجميع افراد الامة نساء ورجالا بجعله

مجانية كالتعليم العالي والعمل على نشر التعاليم الديمقراطية الصحيحة بين جميع طبقات الامة .

٢ ـ العمل على تحسين حال العمال بتحسين الاجور وتقرير المكافآت والمعاشات حين العجز والعطلة القهرية .

٣ ـ العمل على تحرير المرأة الشرقية وتربيتها تربية سليمة منتجة .

وسيعمل الحزب على تحقيق مبادئه المذكورة بالصراع الحزبي والدعوة السلمية مستعينا فى ذلك بالعمل على تحقيق ما يأتى :

١ ـ انشاء النقابات الزراعية والصناعية الحرة ونقابات الانتاج والاستهلاك .

٢ ـ اعداد نواب اشتراكيين للبرلمان والمجالس النيابية المحلية والبلدية وغيرها .

٣ ـ تحرير حقوق النيابة والانتخابات من القيود المالية وغيرها وتعميمها بالنسبة للرجل والمرأة على قدر المستطاع .

٤ ـ الدعوة بطريق النشر والخطابة .

هذا ونرجو أن يوفق الحزب الى العمل على تحقيق تلك الغايات السامية مستعينا بعطف الامة وحسن ظنها .

على العنانى . سلامة موسى . محمد عبد الله عنان . حسنى العرابى

« حاشية » طلبات الانضمام ترسل موقتا الى سكرتير الحزب .

محمد عبد الله عنان ـ بجنينة الناصرية ـ بالسيدة زينب .

ولسنا بحاجة الى القول بأن هذا البرنامج هو ثمرة صراع بين القوى المختلفة داخل الحزب الوليد .. وفى ظروف كهذه تصبح الكلمات مطاطة وتحتمل معانى كثيرة وتصاغ بحيث تستطيع كل الاطراف أن تفسرها على هواها .

وقد تأثرت صياغة البرنامج بطبيعة الحال بهذه الحملة التى تزعمتها جريدة الاهرام والتى شاركت فيها قوى عديدة : الوفديون .. الحزب الوطنى (فكرى اباظة) وحتى الجناح اليسارى للحزب الوطنى (عصام الدين حفنى ناصف) .. الجناح اليمينى فى الحزب الديمقراطى (حسين هيكل) .. رجال الدين (الشيخ التفتازانى) .. وآخرون كثيرون .

وتأثرت أيضا بالظروف الموضوعية للمجتمع .. والرغبة فى نفى صفة التطرف عن الحزب ، وأيضا الحركة الوطنية التى تسيطر على كل الأذهان .

وهكذا أخرج البرنامج معتدلا الى حد ما ، مكتفيا بالصياغات العامة مثل الغاء استغلال جماعة لاخرى ومحو التفريق بين الطبقات فى الحقوق الطبيعية » .

وبعبارات غامضة مثل « توحيد الثروة الطبيعية » .

وهو يحرص على تحديد أسلوب نضاله « بالصراع الحزبى والدعوة السلمية » .

لكنه بالرغم من ذلك كان برنامجا **اشتراكيا** يعبر عن وجهة نظر اشتراكية واضحة ويتضمن مطالب محددة لعديد من فئات الامة .. العمال المثقفين ، الطلاب ، النساء ، رجال المهن وان كان قد أغفل ايراد أى نص يتعلق بالمطالب الفلاحية .

ولسنا نستطيع أن نلوم الحزب الوليد على ذلك .

فالمشكلة الزراعية هى أعقد المشاكل فى مصر ، وجماهير التحالف (صغار الفلاحين) هم بالرغم من كونهم فقراء ومطحونين الا أنهم ملاك سرعان ما تتحرك فيهم نزعة البرجوازى الصغير الحريص على ما يمتلك .

وعلى أية حال فان هذا البرنامج كان خطوة هامة فى سبيل ارساء التعاليم الاشتراكية فى المناخ المصرى ، لعلها كانت بحاجة الى بعض النضج ، لكن الطريق الوحيد للنضج كان الكفاح اليومى بين الجماهير ، جماهير العمال والفلاحين والمثقفين .. وهذا ما قام به الحزب على الفور وبكفاءة ممتازة .

كذلك لا يمكن أن تفوتنا تلك اللمحة العبقرية .. الربط بين الاستعمار والرأسمالية ومحاولة الاستفادة من السخط الوطنى ضد الاستعمار لخلق سخط ضد الرأسمالية المصدر الاساسى للاستعمار .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الاشتراكية المصرية

من الدفاع إلى الهجوم المضاد

لقد شاهدنا كيف تعرض الحزب الاشتراكي منذ البداية ـ بل وحتى قبل ان يعلن ـ لهجوم شديد •

ولقد شاهدنا فى صفحات سابقة نماذج من هذه الهجمات ابتداء من سعد زغلول الزعيم المرموق للامة الى حسين هيكل احد قادة الليبرالية المصرية فى ذلك الحين •• الى قادة الحزب الوطنى •• الى رجال الدين •• الخ •

لقد كانت حملة عاتية توضح مدى الوعى الطبقى لدى كبار الملاك والبرجوازيين المصريين الذين تلمسوا الخطر منذ بداياته الاولى وحشدوا كل جهودهم لسحقه •

والحقيقة ان الرجعية المصرية قد اثبتت على الدوام حساسية فائقة فى تلمس « المخاطر » الاشتراكية وفى مجابهتها •

ومنذ ان اعلن الاهرام خبر اعتزام الاشتراكيين تاسيس الحزب انهالت فى عديد من الصحف والكتب والمجلات حملات من العداء •

فكرى أباظة (الحزب الوطنى) يكتب قائلا « ان وظيفة الحزب الاقتصادية تتلخص فى انه سيكون من الان فصاعدا « موقعاتى » بين اصحاب الاموال والعمال الى ان تسنح الفرصة فيقوم بتوزيع الاملاك على الجميع ، فتصبح مالية الامراء كمالية الفقراء سواء بسواء » (١) •

•• ويكتب عصام الدين حفنى ناصف (يسار الحزب الوطنى) :

« (أ) ان بلدا كمصر تقف دائما موقف المصارعة لعدوها السياسى الكبير يجب ان تستجمع كل قواها لدفعه وبعد ذلك تتفرغ لبحث النظم الاجتماعية اما انها تشغل مجهودها بمسائل اجتماعية ثانوية لا يمكن ان تنفذ منها الا ما لم يكن فيه معاكسة للاحتلال فتضييع لقوى الامة •

---

(١) اللواء ١٩٢١/٩/٥

(٢) حتى ولو فرضنا أن القائمين بأمر الاشتراكية يفهمون ما ترمي اليه على حقيقتها فعليهم أن يفهموا أنها تكون مضرة جدا عند التطبيق ، لبس لان عقلية الأمة غير مستعدة لقبول هذه التعاليم فحسب بل لانه لم توجد للان طريقة صالحة لبث الدعوة الى هذا المبدأ فى أوروبا » (١) .

وتمتد موجة العداء لتشمل الكثيرين :

فيكتب اندراوس حنا مقالا بعنوان « الكهانة الجديدة » يتهم فيه مؤسسى الحزب بانهم « دراويش جدد ، انهم يغمضون أعينهم عن كل شئ يبعث على الجد فى الحياة ولا يفتحونها الا على الرؤى والخيالات .. انهم كهنة لا يرون فى الافكار والمبادئ الا نوعا من الكرنب والبطاطس تستطيع ان تزرعة حيث شئت ما داموا قادرين ان يستهووا الألباب . وينتفعوا بالغفلة والجهلة ، والا فاى رجل امين مدقق يرضى أن يحاج العامل فى الشرق بنظريات كارل ماركس » (٢) .

ومرة اخرى يعود اندراوس حنا الى الهجوم تحت عنوان « عبادة التعاليم » فيقول :

« هذا استغلال مخزن للجهلة والغفلة ، وما من شرف قط يكسو الذين يعملون على الانتفاع بالنظريات العامة فان حياة الناس أكبر من النظريات والتعاليم » (٣) .

بل البعض يحاول استعداء السلطات وحثها على الفتك بالحزب مثل احمد حلمى الذي كتب تحت عنوان « النظام الاجتماعى والخطر الذى يتهدده » قائلا :

« فهل تظن الحكومة ان ذلك الحزب لو تالف فعلا وعرف الغيامة وسوادهم الاعظم من الامين ان مبادئه مشروعة والحكومة راضية عنه هل يبقى فى القطر حجر على حجر ، وهل يستطيع جباة الاموال بعد ذلك جبايتها ... وهل يمكن احتفاظ ذوى الاموال باملاكهم عقارا أو نضارا أو يأمن ذو عرض على عرضه ؟

ان عزاء الفقراء من ذوى الإيمان : هو ان الرزق محدود مقسوم من الله ، وان الصابرين على ما اصابهم فى الحياة الدنيا لهم حياة أخرى طيبة

---

(١) الاهرام ١٩٢١/٩/١٦
(٢) الاهرام ١٩٢١/٨/٢٣
(٣) الاهرام ١٩٢١/٨/٢٦

١٠٦/٢٨١

فى جنة عالية قطوفها دانية ... فاذا انهزم الهيكل الدينى من النفوس ولا سيما نفوس العامة كان ذلك نكبة على النظام الاجتماعى المصرى فهل الحكومة راضية عن ذلك ؟ فان كانت راضية فكم من الجند اعدت لحفظ النظام ؟ بل ماهى الوسائل والتدابير التى اعدت للمحافظة على نفسها من غوائل الاشتراكيين الذين يقولون بتاليف حزب جديد للاشتراكية فى مصر ؟

.. اننا ندعو رجال الاديان فى مصر ان ينهضوا لمحاربة هذا الخطر فان ناره ستاكلهم قبل غيرهم وتذهب باخلاق الشرق الجميلة المؤسسة على القناعة والذمة والعفة ومكارم الاخلاق » (١) .

ولم يتوان رجال الدين عن تلبية هذا النداء فبعد ثلاثة أيام فقط يدخل الشيخ محمد الغنيمى التفتازانى المعركة بمقال غاية فى العنف يصدره بآية من القرآن الكريم « الله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » .

ويوجه التفتازانى هجومه مباشرة « ما شاء الله » كاننا فرغنا من أمرنا ، وكاننا فرغنا من البناء فلم يبق الا الهدم ..

أيها الدعاة الى الحزب الاشتراكى الجديد ، لقد كفى الشرق ما يعانيه من ويلاته وما يعالجه من نكباته فلا تمزقوه بهذا الداء الاوربى» (٢) .

ولم يكتف التفتازانى بذلك فهو يكتب مقالا آخر أكثر عنفا بعنوان « الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها » ويصدره بآية قرآنية أخرى « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » وهو يخاطب الاشتراكيين قائلا « ان كنتم تعطفون على العامل والفقير مما ينالة من الفاقة فاطلبوا انشاء الملاجيء والمستشفيات والمطاعم .

ان كان العامل يشكو جورا من الرأسماليين فحددوا هذا الجور واطلبوا الى الهيئة المشرعة سن قانون العمل .

كل هذا معقول .. أما غير المعقول فان تجيئونا بشرع جديد يقلب أوضاع حياتنا رأسا على عقب ويهز طبقات المجتمع هزات عنيفة ويوشك ان يقوض صرح النظام ويقضى على الدين فى نفوس المتدينين » .

ثم يواصل هجومه قائلا « أى سادتى الاشتراكيين ، بثوا سموم دعوتكم فى بلد غير مصر ان كنتم مولعين بالدعوة لذاتها ، واذا حسن لديكم فلتذهبوا جميعا (ومع السلامة) وفدا الى روسيا .. الى معبودتكم البلشفية .

---

(١) الاهرام ١٩٢١/٨/٢٠

(٢) الاهرام ١٩٢١/٨/٢٤

« فاذا اطقتم أن تسميوا انين الجائعين وهم عشرات الملايين وتدربتم على الوقوف في معبد الاشتراكية العليا المتطرفة فانشروا دعوتكم هناك لتصلحوا ما افسدت الطفرة من شئونهم » (١) .

ويدخل الملاك ميدان الهجوم ايضا محاولين استثارة كل المالكين على الحكومة لانها تسمح لهؤلاء الاشتراكيين بالنشاط .

وقبل اعلان الحزب بأيام وتحت عنوان « هل الاشتراكية مرغوب فيها » يكتب على متولى مزارع وصاحب اطيان قائلا ان الاشتراكية « ما هى الا أمور ضد الدين والاخلاق وسرقة لمال الغير وليس لها نتيجة الا قتل الامة بأسرها وضياع الاديان والاخلاق كما هو حاصل فعلا فى روسيا ..

قالوا ان العمال والفلاحين بحاجة الى اشتراكية علمية لحمايتهم فى دائرة القانون ونحن معهم فى وجوب الحماية ولكنا مختلفون عنهم فى طرق هذه الحماية .. ان حماية العمال لا تكون أبدا بأى اشتراكية ولا بأى أحزاب بل تكون بتعليمهم الاقتصاد ومضار الخمر ومضار الحشيش وارشادهم الى الدين للابتعاد عن المحرمات فتتوفر لهم الارزاق .

ليعلم الجميع ان مصلحة هذا البلد وحكومته لا تسمح لكائن من كان وتحت أى ستار كان ان يلعب بالنار ولنا بحق ان نطلب من الحكومة عاجلا منع الحزب المزمع تأليفه قبل انتشاره فالوقاية خير من العلاج .. » (٢)

بل ان هذا الهجوم لم يقتصر على صفحات الجرائد فقد امتد الى حد استصدار فتاوى دينية بتحريم الاشتراكية مثل فتوى شيخ اسلام الاستانة التى قال فيها « يشتمل الدين الاسلامى من الاحكام الاساسية ما يناقض جميع المسالك الاشتراكية » (٣) .

وفتوى اخرى اصدرها مفتى الديار المصرية الشيخ محمد بخيت بناء على طلب مراسل جريدة التايمس الانجليزية ـ « ان طريقة جماعة البلشفية طريقة تهدم الشرائع السماوية وعلى الاخص الشريعة الاسلامية » (٤) .

---

(١) لاهرام ١٩٢١/٩/٧
(٢) الاهرام ١٩٢١/٨/٢٦
(٣) الاخبار ١٩٢٠/٩/٢٠
(٤) محمد انيس ـ المرجع السابق ص ٢٠١ .

وسلسلة اخرى من الكتب والافتراءات والاتهـام بأن هـذه الدعوة ينشرها عملاء قادمون من روسيا ·· والنماذج فى هـذا كثيرة جـدا لكننا سنكتفى بواحدة منها لعله يقدم صورة عن المبالغات والافتراءات التى حشدها دعاة العداء للاشتراكية ·· ولنتأمل هذه الفقرة من كتاب صدر فى هذه الأثناء مترجما عن اللغة الفرنسية ·· (١)

« أعرف فى هذا الشأن معلومات مأخوذة من مصدر ثقة ·· حاولت البلشفية أن تنفذ الى مصر لاول مرة عام ١٩٢١ عمالا من أنقرة موفدين من رسل الشعب الروسى أو من الكماليين لنشر انجيل الاشتراكية وغرضـهم اقامة العقبات فى سبيل الانجليز المسئولين عن اليونان وكـل هـؤلاء العمـال من يهود الاناضول يعمل فريق منهم فى المـدن وفريق فى القرى ·· ففى المـدن تجرى مفاوضة نقابات العمال ونقابات عمـال السـكة الحـديدية والتـرام وتحريضـهم ضـد المسيطرين عليهم وأرباب الامـوال واقناعهم بأن سـيادة الرعاع هى وحدها الكفيلة بتحقيق أمانى الشعوب ··

وفى القرى يخترق الرسل الحقول ابان الحصـاد يقولون الفلاحين أنه ليس من العـدل ان غنيا كبيرا يملك ألف فدان بينما الفقـراء لا يملكون شيئا

فكانت هذه العبارات السـاذجة عن الاشـتراكية تغرى ·· وقد أغرت فعلا بعض الفلاحين » ·

·· وهكذا استمر الهجوم عنيفا مقدما نموذجا فريدا للوعى الطبقى المبكر لبرجوازيى مصر وكبـار ملاكهـا ، لقد تحسسوا رقابهم حتى قبـل أن يعلن الحزب ··

وبدأوا فى شن حملة ظالمـة وعنيفة مستخدمين منطلقات غاية فى التأثير والفعالية ··

* الحزب يهدد وحدة الامة التى يتعين ان تواجه الاستعمار متحدة ·
* الاشتراكية عندما طبقت فى روسيا جرت اليها المجاعة والخراب ··
* الاشتراكية ضد الدين ··

انني أشفق على هؤلاء الدعاة الأول للاشـتراكية الذين واجهوا هـذا الاعصار ببسالة نادرة ·· ولقد كان اعصـارا حقيقيا كفيلا باقتلاع هذا النبات

---

(١) وجه لامبلان — الى الاستقلال ، مصر وانجلترا — ص ١٣٢ .

الحديث الفرنسي خاصة وان الاعصار قد فاجأهم وهم مختلفون منشقون غير مستعدين للمعركة .

ولكنهم ومع ذلك خاضوا معركة شجاعة تكللت بالنصر .

وعلى النطاق الايديولوجي ــ أو بالدقة على نطاق المعركة الكلامية في الصحف ــ انبرى بعض أعضاء الحزب يفندون افتراءات أعدائهم .. مهاجمين الاستغلال والظلم .

فيكتب عبد الله عنان « ولينس ابلغ ايضا للماساة المحزنة التي تمثلها الان النظم الفردية من ان الاغلبية الساحقة في المجتمع الحاضر قد جردت من الملكية وان طائفة صغيرة تستأثر بنعيم الملكية الشخصية في حين ان السواد الأعظم من هذه الطائفة غارق في تحقيق شهوته الشاملة لا يمس دون المجتمع عملا ما » .

ويعلن عنان بصراحة « أنا أقرر ان استبداد رأس المال هنا ــ في مصر ــ شائن بالغ حد الارهاق والقتل وان العامل مهيض مسلوب ، وان استئثار طائفة برأس المال هنا يقترن به طغيان فادح يوضحه لك عسف أصحاب الضياع بالفلاح البائس التعس » (١) .

ويتقدم اشتراكي آخر هو حسن محيسن ــ دبلوم التجارة العليا ــ محاولا أن يوضح العلاقة بين المعركة الوطنية والمعركة الطبقية مبينا أنه لا تناقض بينهما وان تأسيس الحزب مفيد للقضية الوطنية فيقول « نحن نطالب بحقوق مهضومة مغتصبة فاما السياسية منها فنحن نطلبها من خصمنا الانجليزي واما الاقتصادية فمن خصمنا صاحب المال اجنبيا كان او مصريا فلينتصر لنا نصراء الحق والعدالة . وليجمع العمال صفوفهم تحت راية الحزب الاشتراكي ليصلح ما أفسدته ايدي الزمان القديم والقرون الوسطى المظلمة » (٢) .

ويطرح الاشتراكيون على الامة السؤال التالي « من الذي يمزق وحدة الامة .. نحن أم الراسماليون ؟ .. » .

ويوجه أحد الكوادر الإشتراكية العمالية « اديب قشعمي » سكرتير نقابة عمال الدخان والسجاير « نداء الى الرأي العام المصري » يقول فيه :

---

(١) الاهــــرام ١٩٢١/٨/٢٥
(٢) الأهــرام ١٩٢١/٨/٢٤

.. باسم الوطن العزيز واتجاهكم المفدى جئنا نستنجد بكم .. هل من الوطنية الشريفة أو من العدالة أن تتكدس الاموال الهائلة فى خزائن أصحاب الماكينات فى حين أن العمال لا يجدون القوت الضرورى مع العلم بأنهم هم الذين شيدوا تلك المعامل الضخمة بما استنزف من دمائهم الزكية وبما اغتصب من حقوقهم المقدسة ..!!

فهل يوافق الشعب المصرى على مثل هذا العمل الوحشى والبربرية الفظيعة كلا ثم كلا .. ان مثل هذه المظالم لا تتفق مع الشهامة والمروءة ولا شك عندنا فى أنكم ستهبون لنصرة الضعفاء وتطعنون الظلم طعنة وطنية نجلاء .. » (١)

وهكذا يقدم الاشتراكيون المصريون فهما جديدا لمعنى الوطنية ، وطريقا جديدا لتوحيد الأمة .. ولا شك أن كلمات أديب تقشعمى لم تكن لتمر بغير اثر ..

فاذا كان الرأسماليون يريدون حقا وحدة الامة ضد المحتل فليتنازلوا قليلا عن جشعهم وظلمهم ، انها صيحة معقولة ومتزنة وقادرة على أن تكسب الرأى العام الذى وجهت اليه .

.. بل ان الاشتراكيين لم يكتفوا بالرد على صفحات الجرائد ولا بتوجيه النداءات إلى الرأى العام وبداوا فى حملة أيديولوجية لادانة النظام الرأسمالى ولشرح فكرة الاشتراكية ويصدر احدهم ـ حسين نامق ـ دبلوم من جامعة أكسفورد ـ كتابا بعنوان « خلاصة الاقتصاد » وهو كتاب جيد يبسط حقائق علم الاقتصاد السياسى ويقدمها فى صورة أسئلة وأجوبة بحيث يمكن للقارئ أن يفهم كثيرا من القضايا المعقدة .. *

وعن طريق الاسئلة والاجابات يشرح حسين نامق فكرة تطور المجتمع ، ونشوء الملكية الخاصة وحتمية التوصل الى الاشتراكية .

ويفسر كلمات غامضة ـ على المجتمع فى ذلك الحين ـ مثل القيمة وفائض القيمة والربح والاحتكار .. الخ ..

وبغض النظر عن بعض الاخطاء النظرية التى وقع فيها المؤلف متأثرا بأفكار الدولية الثانية فلقد كان الكتاب نموذجا لشرح الفكر الاشتراكى وادانة النظم الرأسمالية ..

---

(١) الاهرام ١٩٢١/٩/١٢

* يلاحظ أن الماركسيين الأوربيين الاوائل استخدموا ذات الاسلوب لشرح أفكارهم .

وهكذا لم يبق أمام أعداء الاشتراكية سوى التحصن خلف ادعائهم أن الاشتراكية ضد الدين ...

والحقيقة ان الحزب الاشتراكى المصرى قد اتخذ موقفا جيدا من قضية الدين ولا شك أن وجود عدد من رجال الدين فى صفوفه أمثال الشيخ صفوان والشيخ عبد اللطيف بخيت قد لعب دورا اساسيا فى دفع الحزب الى تكشف الجوانب التقدمية فى الدين الاسلامى واستخدامها سلاحا ضد أعداء الاشتراكية ...

لقد تفادى الاشتراكيون المصريون الاخطاء القاتلة التى وقع فيها شبلى شميل وغيره واعلنوا ان الدين معهم والى ضيفهم ... الى صف الضعفاء والكادحين وليس الى صف أعداء الانسان ..

ويسأل حسنين نامق فى كتابه « ما علاقة الاشتراكية بالاسلام ؟ » ويجيب « اساس الاشتراكية مواساة الفقراء والمساواة فى الحقوق ، والدين الاسلامى يامر بالزكاة وينهى عن المنكر ويدعو الى الالفة بين جميع الطبقات » (١) .

ويقول حسن محيسن فى مقاله « الاشتراكية تطلب المساواة بين طبقات البشر وإصلاح المجموع وإزالة مساوىء النظام الاجتماعى وحماية العامل من تحكم صاحب العمل وهذه مبادىء تتفق مع الانسانية وروح الدين » .

بل ان عددا من غير أعضاء الحزب يتقدم ليخوض هذه المعركة ...

فنقولا حداد يوجه رسالة الى الشيخ التفتازانى على صفحات الاهرام يقول فيها :

« الاشتراكية عقيدة اجتماعية لا دينية ولا شان لها بالدين ، الا انها اكثر انطباقا على الاديان السائدة من سائر الانظمة الاجتماعية الغابرة والحاضرة » (٢) .

ويرد عزيز ميرهم على الشيخ التفتازانى ايضا قائلا « لا نظن أن التعصب للملكية الفردية يصل بانسان فيدعى بانها ركن من اركان الدين ،

---

(١) المرجع السابق ـ ص ١٢٠ .
(٢) الاهرام ١٣/٩/١٩٢١

لان الفضيلة وتهذيب النفس وهما أساس الدين يمكن تحقيقها على السواء في نظام الملكية الفردية وفى نظام الملكية الشيوعية ، فنسلاح مخالفة الدين مردود على القوم الذين يريدون الاحتفاظ بالاموال المكتسبة ظلما والتخلص من واجبهم الاجتماعى والانسانى فهم بذلك يحيدون عن الدين وينكرون مبادئه السامية » (١) .

لكن القول الفصل جاء من احد كوادر الحزب من رجال الدين .. الشيخ عبد اللطيف بخيت ـ بمدرسة القضاء الشرعى ـ الذى كتب تحت عنوان « الاشتراكية والدين » قائلا :

« كثرت اراجيف اعداء الاشتراكية وسلكوا سبيلا يظنونه اكثر تاثيرا من غيره وهو تبغيضها للناس عن طريق الدين .. والذى نعجب له هو سكوت أهل الدين العميق وكان المسألة لا تعنيهم الا اذا قدمت لهم فتوى رسمية .. وبصفتى فى مدرسة دينية عالية اتحدى المدعين مخالفة الاشتراكية للدين بالاتيان بآية او حديث يتعارض مع الاشتراكية بل على العكس من ذلك نجد روح القرآن والسنة تتمشى مع الاشتراكية كقوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الاعمى » « أن اكرمكم عند الله اتقاكم » ولم يقل اغناكم .. والحديث القدسى « عبدى لو اطعتنى لادخلتك الجنة ولو كنت عبدا حبشيا ولو عصيتنى لادخلتك النار ولو كنت شريفا قرشيا » .

فالله لم يعتبر الجاه والمال وانما اعتبر العمل فقط ..

ولما فتح عمرو بن العاص مصر وزع ارضها على الجند وغيرهم حسب ما يرى ولم يجد فى الدين ما يمنعه » (٢) .

ولم يقبل الشيخ التفتازانى التحدى فصمت ولم يجب .

وهكذا كان تصدى الحزب للحملة الدعائية الموجهة ضده تصديا ذكيا وقويا الى الحد الذى أسكت معارضيه والتقط منهم المبادرة ثم شرع فى الهجوم عليهم من نفس المنطلقات التى حاولوا استخدامها ضده ..

الوحدة الوطنية .. الدين .. الخ .

ولقد كانت نتيجة هذه المعركة الفكرية نصر مؤزرا للاشتراكيين ودليلا على قدراتهم الفكرية وعلى شجاعتهم فى التصدى لخصومهم ..

---

(١) الاهرام ١٩٢١/٩/١٠

(٢) الاهرام ١٩٢١/٩/١٠

ولقد كانت أيام ١٠، ١٢، ١٣ سبتمبر ١٩٢١ هي قمة الهجوم المضاد الذي رتبوه ترتيبا ذكيا، حينما استخدم الاشتراكيون الدين سلاحا في الهجوم على خصومهم ولم يستطع الشيخ التفتازاني ولا غيره أن يردوا ..

وهنا أشهر أعداء الاشتراكية افلاسهم وأعلنوا صراحة انسحابهم من الميدان محذرين جريدة الأهرام من أن الاستمرار في هذه المعركة التي بدأوها لن يفيد سوى الاشتراكيين وتطوع بهذا التحذير « اندراوس حنا » الذي نشر سلسلة من المقالات ضد الاشتراكية فكتب رسالة إلى الأهرام يقول فيها « اسمحوا لى أن أشكو من الطريقة التي تتبعونها في الكتابة عما يسمونه الاشتراكية والديمقراطية في مصر فانكم بعد كلمتكم الأولى عنها تركتم طريقة النشر غير متعادلة ولكم أن تجمعوا المقالات والبيانات التي أذاعها هؤلاء الدعاة الجدد وتجمعوا معها المقالات التي نشرت كردود عليها فيتجلى لكم أنكم كنتم مشجعين لنشر هذه الدعوة .. » ثم يقول « إن الاشتراكيين في هذه المعركة لا يخسرون شيئا لأنهم لا يملكون شيئا » (١)

ولقد كان صوت التحذير الذي رفعه اندراوس حنا كافيا لايقاظ الأهرام وغيره من المنابر التي تعرضت للهجوم على الاشتراكية .. فتوقفت هذه المعركة الكلامية حتى لا يتاح للاشتراكيين مزيد من الانتصار ..

.. ان هذا التراجع من جانب القوى المعادية للاشتراكية يستحق التأمل ، فهو دليل على عمق التأثير الذي استطاعت الافكار الاشتراكية أن تمارسه على جماهير الشعب ..

وهو دليل أيضا عن أن الحزب الوليد كان من القوة بحيث استطاع أن يلزم أعداءه الحائط وأن يجبرهم على الانسحاب من المعركة .. ولكن الحزب لم يكتف بالمعركة الكلامية فلقد كان يسرع .. وكأنه يسابق الزمن - في بناء قواعد تقوية له في أماكن عديدة ..

والحقيقة أن هناك محاولة متعمدة للتهوين من قيمة النشاط الذي بذله الحزب الاشتراكي وقد تزعم هذه الحملة لاكور الذي حاول قدر استطاعته أن يبالغ في التقليل من أثر الحزب وفعاليته ولما كانت كتب « لاكور » تعد بالنسبة للكثيرين مراجع أساسية في تاريخ الحركة الشيوعية والاشتراكية في الشرق الأوسط فسوف نحاول هنا أن نتأمل ما أورده لاكور .

---

(١) الاهـــرام ١٩٢١/٩/١٤

يقول لاكور : « ان القليلين من أعضاء الحزب كانوا يتحدثون العربية أو يكتبونها وقليلين جدا هم الذين يعرفون كيف يقيمون علاقات بالعامل الذى هو فى العادة فلاح يقوم بأعمال موسمية فى المدينة » (١) ٠

ويكتب فى كتاب آخر معلقا على تقرير قدم للكومنترن يقول ان ٨٠٪ من اعضاء الحزب من المصريين و ٧٠٪ منهم عمال « وقد جاء هذا التقدير فى وقت لم يكن فيه عدد اعضاء الحزب يتجاوز عدد أصابع اليدين بل ربما لم يكن يضم آنذاك فى عضويته اى عامل » (٢) ٠

واعتقد اننا لسنا بحاجة الى التاكيد بان هذه التقديرات خاطئة تماما ٠٠

فأولا : ان لاكور يتجاهل وجود البروليتاريا المصرية ، ويقول ان العامل هو فى العادة فلاح يقوم باعمال موسمية فى المدينة وهذا غير صحيح ٠

ثانيا : ان الصفحات السابقة والصفحات التالية قد شهدت وستشهد سيلا لا ينقطع من الاسماء المصرية التى لعبت دورا قياديا فى الحزب الاشتراكى ٠

ثالثا : ليس من المعقول ان حزبا لا يزيد عدد أعضائه على أصابع اليدين يقيم كل هذه الضجة ٠٠ وعلى اية حال فان الاهرام يقول ان « الدفاتر التى أخذها البوليس من نادى الحزب عند اقفال المكان ــ عند حملة القبض الاولى على الاعضاء فى ١٨ مارس ١٩٢٣ ــ اثبتت ان المنتمين الى الحزب والمنضوين الى الراية الحمراء من الوطنيين يبلغ عددهم ١٥٠٠ شخص » (٣) ٠

وهذا عدد كبير بغير شك فى ظل الظروف السائدة فى ذلك الحين ٠٠

والان لنترك الادعاءات الباطلة لوالتر لاكور جانبا ولنحاول أن نلقى بعض الضوء على نشاط الحزب فى الفترة الاولى من تكوينه ٠

اولا ــ فيما يتعلق بالقضية الوطنية :

لقد فهم الحزب فهما صحيحا طبيعة المعركة التى تخوضها مصر ضد الاحتلال واتخذ موقفا صحيحا من حزب الوفد وزعامة سعد زغلول باعتبارها زعامة وطنية معادية للاستعمار ٠٠ كذلك دعا الحزب الى تكوين جبهة وطنية

---

(٢) لاكور ٠ الاتحاد السوفياتى والشرق الاوسط ٠ المرجع السابق ص ٢٩ ٠

(٣) الاهـرام ١٩٢٤/٢/٢٢

شاملة تسعى للاستقلال بالاضافة الى استمراره فى كشف القوى الموالية للاحتلال .

وفى ١٤ ديسمبر ١٩٢١ اصدر الحزب « بيانا الى الامة » اعلن فيه سروره بانقطاع المفاوضات مع الانجليز وطالب فيه « الجماعات الموصوفة بالأعيان والنقبة باصحاب المصالح ان يترفعوا عن وضع انفسهم بستارا للاجرام الوزارى ، وحماية لما يرتكبه الوزراء من اهمال حقوق الامة » .

ثم حدد الحزب فى هذا البيان برنامجا من ثلاث نقاط لتوحيد النضال ضد الاستعمار . وهذه النقاط الثلاث هى :

١ ـ تضامن الصحافة على ترك مسائل الشقاق ، والاقتصار على ما فيه خير البلاد .

٢ ـ توحيد السياسة الوطنية بالا يقبل مصرى تأليف وزارة تعمل بأى شكل تحت رعية مشروع كيرزن .

٣ ـ الاتفاق على تعيين خطة الجهاد الوطنى المشروع تحت لواء وكيل الامة وزعيمها المخلص الامين سعد باشا زغلول » (١) .

وفى مناسبة اخرى ساند الحزب الاتجاه الوفدى صراحة ، فعندما طرحت للنقاش مسالة اشتراك مصر فى مؤتمر لوزان أم لا ... وهل تمثل بوفد حكومى ـ يمثل الحكومة العميلة ـ أم بوفد شعبى يمثل الامة .

اجتمعت اللجنة المركزية للحزب فى ١٧ اكتوبر ١٩٢١ واصدرت بيانا جاء فيه :

« لما كانت مهمة المؤتمر الذى سيعقد قريبا تسوية مشاكل الشرق فان الشعب المصرى لا يستطيع أن يقف بعيدا يراقب غيره من الدول تتصرف كيفما تشاء فى مصيره فاستقلال مصر وحياد قناة السويس مسالتان دوليتان يجب أن تكونا موضوع معاهدة دولية لا أن تتركا لواحدة من الدول تهيمن عليها كيفما تملى عليها مطامعها الاستعمارية » .

لذلك فالحزب الاشتراكى المصرى بصفته الترجمان الصادق لامانى الطبقة العاملة فى مصر عمالها وفلاحيها يرى وجوب تمثيل مصر رسميا فى هذا المؤتمر ولا يقر أى مندوب عنها الا اذا كان حائزا لثقة الشعب التامة وواجب الحزب أن يحذر الامة من الوقوع فى الاحبولة التى تنصبها الانجليز فتخرج انجلترا من المؤتمر وقد كسبت صوت مصر الى جانبها » (٢) .

---

(١) الاهرام ١٤/١٢/١٩٢١

ويعتمد الشعب المصرى على أن تركيا ذات المصلحة الكبرى فى مسائل الشرق والدول الاوروبية الديمقراطية وعلى الاخص الجمهورية الاشتراكية الروسية الحامية الامينة للشعوب الصغيرة تؤيد مطالبنا الشرعية » (١) .

كذلك كان الحزب الاشتراكى فى مقدمة من أعلنوا وقوفهم ضد أسلوب الاغتيال السياسى .

ثانيا ـ الحزب والطبقة العاملة :

منذ البداية أدرك الحزب أهمية خلق مراكز له وسط الطبقة العاملة وتشكيلاتها النقابية ، وقد رأينا كيف كان العمل النقابى سبيلا الى انضمام عدد من القادة العماليين الى صفوف الحزب ..

بل ان بعض الباحثين يؤكد أن الحزب كان يعتبر ان تعميق علاقاته بالطبقة العاملة يمكنه أن يخلق عناصر دفع حقيقية فى الحركة الوطنية ذاتها ، وذلك « من خلال التمركز فى صفوف البرولتياريا المنظمة ، وبناء اتحاد نقابات العمال وتوجيه وقيادة نضال الطبقة العاملة » (٢) .

والحقيقة ان التيار الماركسى فى الحزب قد أهتم بالعمل وسط الطبقة العاملة كسبيل لتغيير المحتوى الفكرى والطبقى للحزب وللتخلص من نفوذ العناصر البرجوازية الصغيرة على القيادة ..

وهكذا انطلقت الكوادر الاساسية .. الشيخ صفوان ـ مارون ـ روزنتال ـ شعبان حافظ ـ الشحات أحمد ـ مصطفى أبو هرجة للعمل وسط الطبقة العاملة سواء فى الاسكندرية حيث كانت التركزات العمالية الاساسية أو فى المدن الصناعية الاخرى مثل المحلة الكبرى وكانت للحزب مراكز قوية .

ويؤكد مراسل الاهرام فى الاسكندرية ان الحزب كان له نفوذ كبير فى نقابات عديدة مثل : نقابة عمال الترام الحمراء ـ نقابة الصنائع ـ نقابة عمال الارز ـ نقابة العمال المختلطة ـ نقابة الصناعة اليدوية بالمحلة ـ ونقابة فى الزقازيق . ويقول ان المعلومات التى حصل عليها من أوثق المصادر تؤكد ان عدد المنضمين الى اتحاد العمال المتأثر بنفوذ الحزب يبلغ ١٥ أو ٢٠ الفا .

---

(١) الاهرام ٢٠/١٠/١٩٢٢ .

(2) Jane De Gras (ed.) — The Communist international (1919-1943) : Documents (London : Oxford University press'1971) P.95

ويقول أنه قد علم بطريق الصدفة أن أعضاء فرع المحلة يبلغ عددهم نحوا من ٦٠ عضوا(١) .

كذلك سعى الحزب الى كسب خريجى المدارس الصناعية وكانت هذه خطوة غاية فى الذكاء ، فهؤلاء هم أكثر العاملين استنارة ووعيا .

وقام أحد اعضاء الحزب وهو « ابراهيم الدسوقى رحمى » بتأسيس نقابة لخريجى المدارس الصناعية ووجه نداء الي زملائه تحت عنوان « دعوة عامة الى خريجى المدارس الصناعية » قال فيه : « نحن العمال الجائزين على الشهادات الفنية من المدارس الصناعية . يجب ان نقود العمال البسطاء الى الطريق القويم ، فلذا أدعوكم جميعا للانضمام الى عضوية الحزب الاشتراكى المصرى فى أول فرصة ممكنة لنكون يدا واحدة كعامل واحد ، ويد الله مع الجماعة »(٢) .

كذلك اهتم الحزب بالعمل وسط عمال الشحن والتفريغ فى الموانى المختلفة .. وفى ٢١ اكتوبر ١٩٢١ وجه ابراهيم الدسوقى رحمى رسالة أخرى الى الاهرام يقول فيها أن انضمام عمال الشحن والتفريغ الى الحزب الاشتراكى سوف يزيده قوة .

كذلك قرر الحزب فتح مدارس ليلية ومدارس نهارية لتعليم أبناء العمال . وفى ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٢ أصدر الحزب بيانا قال فيه « قرر الحزب الاشتراكى المصرى فى جلسته المنعقدة أمس فتح عدة مدارس مجانية فى أنحاء مصر لتعليم العمال فى الليل وأخرى لتهذيب ابنائهم فى النهار .

وسيحتفل بافتتاح أول مدرسة لهذا الغرض فى ١٥ أغسطس ١٩٢٢ بحى كرموز وسيفتتح غيرها فى احياء الثغر الوطنية .. والحزب يرجو العمال الراغبين فى الالتحاق بهذه المدرسة وبغيرها أن يسارعوا الى تقييد أسمائهم فى سكرتاريته بالاسكندرية بشارع نوبار رقم ١٨ ليتمكن من معرفة العدد اللازم وضبطه .

وقد ورد اليوم على الحزب جواب من شعبته فى المنصورة يفيد انها قد حذت حذو المركز الرئيسى وفتحت مدرسة للعمال هناك وستقتدى باقى الشعب هذا الأثر الطيب فى التريب العاجل »(٣) .

---

(١) الاهرام ٢/٢٢ و ١٩٢٤/٢/١٩ .
(٢) الاهرام ١٩٢١/١٠/١٨ .
(٣) الاهرام ١٩٢٢/٧/٢٩ .

والحقيقة أن الحزب قد لعب دورا بالغ الاهمية وتسط الطبقة العاملة مستفيدا من الانتفاضة الثورية التى تموج بها جموع العمال ، حيث كانت أحداث ١٩١٩ المجيدة والدور البطولى الذى لعبه العمال فيها لا تزال ماثلة فى الاذهان وحيث تحولت الاضرابات السياسية الى حركة نشيطة للمطالبة بحقوق اقتصادية ، وحيث أدى فشل القيادة البرجوازية والاقطاعية للثورة فى تبنى أية شعارات اجتماعية الى تحرك العمال لكى ينالوا حقوقهم معتمدين على أنفسهم ٠

ويشير التقرير الذى أصدرته لجنة التوفيق الرسمية فى ٢١ يوليو ١٩٢٢ حول نشاطها فى معالجة مشاكل العمال خلال الستة أشهر التى انتهت فى ٣١ مارس ١٩٢٢ الى أن حوادث الاعتصاب قد ازدادت بشكل كبير منذ يوليو ١٩٢١ وانه فى تلك الفترة حدثت ٨١ حادثة من حوادث الاعتصاب بين ٥٠ شركة ومعملا وكان أطول هذه الاعتصابات اعتصاب عمال تكرير البترول فى السويس والذى استمر ١٢٣ يوما ثم اعتصاب عمال ترام القاهرة وقد استمر ١٠٢ يوم واعتصاب عمال شركة « ورمس » واستمر ٦٠ يوما واعتصاب عمال شركة الغزل واستمر ٥٢ يوما ، واعتصاب شركة الغاز بالقاهرة واستمر ٤٥ يوما ، واعتصاب عمال العروة الوثقى بالاسكندرية واستمر ٣١ يوما واعتصاب شركة ملابس لومهتون بمصر واستمر ٢١ يوما ، واعتصاب شركة الهندسة بالاسكندرية واستمر ١٩ يوما ٠٠ واعتصاب حلاجى القطن بدمنهور واستمر ١٦ يوما وحلاجى القطن بزفتى واستمر ١٠ أيام ٠

كذلك أحصت اللجنة ما يوجد فى مصر من نقابات العمال وجمعياتهم المنظمة فوجدت أنه يوجد فى القاهرة ٣٨ نقابة والاسكندرية ٣٢ وفى منطقة القنال ١٨ وفى طنطا ٤ ونقابة فى دمنهور وأخرى فى زفتى (١) ٠

ولقد لعب الحزب دورا قياديا فى كثير من هذه الاضرابات التى أدت الى تحقيق مكاسب هامة للعمال ٠٠ الى الحد الذى دفع مراسل الاهرام بالاسكندرية الى الشكوى مما حققه العمال من مكاسب فقال تحت عنوان « فوضى الاشتراكية » : « لقد أرانا الاختبار فى الاسكندرية مدينة التجارة والصناعة والعمال ، أن العمال المستنيرين قليلا فيها غالبوا أصحاب الاعمال فغلبوهم فى مواقف عديدة وأجبروهم على رفع أجورهم من ١٠ قروش الى ٣٠ قرشا ومن ٢٠ الى ٦٠ و ٨٠ قرشا ٠ ويؤكد الدكتور غرانفيل أن عمال مصانع السجاير اضطروا مخدوميهم الى زيادة أجورهم أثناء الحرب فى بعض الحالات الى ١٠٠ قرش للعامل فى اليوم الواحد ٠٠

---

(١) الاهـــرام ٢١ ـ ١٩٢٢/٧/٢٢ ٠

.. وقد رأينا شركة الغاز تخضع لمطالب عمالها وشركة الترام تجيب مطالب عمالها »(١) .

والذى يلفت النظر هنا هو أن المراسل يكتب هذه الكلمات تحت عنوان « هوى الاشتراكية » وكأنه يريد أن ينسب إلى الاشتراكية هذا النشاط .

ويضع تقرير لجنة التوفيق الرسمية السابق الذكر جدولا للاجور يوضح أن الاجور قد زادت عما كانت عليه فى ١٩١٣ بنسبة ٨٥٪ وان معظم هذه الزيادة قد تحقق فى عامى ١٩٢٠ و ١٩٢١ .

ولا شك أن هذا النجاح الذى حققته حركة النضال العمالى والنقابى قد تأثر الى حد كبير بوجود حزب نشط كالحزب الإشتراكى ، كما أنه لابد وأن هذا النجاح قد أثر أيضا فى نشاط الحزب وفى الاقبال عليه .. لقد كانت الحركة العمالية تخوض معركة نشيطة وعنيفة وكان الحزب الاشتراكى هو الحزب الوحيد الذى ساندها بكل ما يستطيع من قوة وكان المحامون من أعضاء الحزب هم مستشارو هذه النقابات ، كذلك بذلت الكوادر الحزبية دورا هاما فى تنظيم هذه الاضرابات وتنظيم ما يسمى « بصناديق المعونة الحمراء » لجمع التبرعات للعمال المضربين .. وكان طبيعيا بعد كل ذلك أن يقبل الكثيرون من العمال للانضواء تحت راية الحزب ..

وبسرعة ــ تستحق التقدير والاعجاب ــ استفادت قيادة الحزب من هذه الخطوة وضمت الى اللجنة المركزية عددا من العمال النشيطين مثل عبد الحميد احمد ممثلا لفرع الحزب فى المحلة ، والشيحات ابراهيم ممثلا لفرع الحزب فى سمنود ، وبيومى الباسوسى ممثلا لفرع الحزب فى العطف ومصطفى أبو هرجة نائب سكرتير الاتحاد العام للنقابات (٢) .

ثالثا ــ الحزب .. والفلاحون :

والطريق إلى اقامة مراكز حزبية وسط الريف صعب للغاية .. وخصوصا فى ظل الغموض الذى أحاط بموقف الحزب من المشكلة الزراعية فى البداية وفى ظل الدعاية المركزة التى شنها رجال الدين ضد الحزب ، وفى ظل زعامة سعد زغلول ..

ومع ذلك حاول الحزب أن يصل الى الريف مستفيدا من كوادره العمالية والعمال عادة قادمون من الريف ..

---

(١) الاهــرام ١٩٢١/٨/٢٦ .
(٢) الاهرام ١٩٢٤/٣/٢٢ .

وهكذا تمكن الحزب من اقامة فروع فى المدن الاقليمية مثل دمنهور ـ المنصورة ـ بورسعيد ـ الزقازيق ـ المحلة ـ أبو كبير ـ شبين الكوم ـ وفى عدد من المراكز التى هى فى الواقع قرى كبيرة مثل سمنود ـ العطف وغيرهما .

والحقيقة التى تستحق التأمل أن بلدا مثل سمنود يعتبر أحد المصادر الاساسية للقوى العاملة للمركز الصناعى الهام فى المحلة الكبرى ·· *

ومن هنا فان النشاط وسط العمال كان يؤدى الى اقتراب الحزب من الفلاحين كذلك فان النشاط وسط الفلاحين كان يمنح الحزب بعض النفوذ فى مراكز تصدير العمال الى المدن ··

غير اننا لا يمكننا أن نبالغ فى الدور الذى لعبه الحزب وسط الفلاحين مكتفين بالقول بانه فى هذه المرحلة كان قد خطا الخطوة الاولى الضرورية وهى اقامة مراكز نشطة فى المدن الريفية التى تعتبر بالضرورة معبرا الى الريف الحقيقى ··

ومع ذلك فان عبارة وردت فى رسالة نشرها أحد الملاك فى الاهرام يمكنها أن تثير الاهتمام فالمزارع على متولى يقول « ان الفلاح قانع وصبور ·· الا أن بعض ابناء الفلاحين من متخرجى الكتاتيب قد هجرو الزراعة واصيبوا بوباء المدن ·· وأخذوا يذيعون فى طول البلاد وعرضها ان البلشفية على أبواب مصر ، ثم شرحوها للفلاحين على غير الحقيقة وأصبح الشيخ العجوز والشاب يقولان اذا خلوا لانفسهما متى تكون « القسمة » (يقصد تقسيم الارض) والمساواة »(١) ·

والذى لا شك فيه أن الفلاح المصرى الذى ظل آلاف السنين يحلم بملكية قطعة من الارض قد تأثر الى حد كبير بتلك الاخبار التى تأتى من بعيد عن هؤلاء البلاشفة الذين يصادرون أراضى كبار الملاك ويوزعونها على الفلاحين ·

رابعا ـ الحزب فى مجال النشاط العام :

وفى عديد من المجالات لعب الحزب دورا لا بأس به ·· سواء فى الدعوة للفكر الاشتراكى أو فى اقامة التنظيمات الجماهيرية كالاتحادات والجمعيات واللجان ··

وفى مجال النشر أصدر الحزب سلسلة من الكتيبات حول الفكر اشتراكى ولعل أول ما أصدره الحزب من هذه النشرات هو ما أشار اليه الاهرام «

---

* انتهجت التنظيمات الشيوعية بعد الاربعينات نفس الخطة تقريبا .
(١) الاهرام ١٩٢١/٨/٢٦ ·

في ٢٦ أغسطس ١٩٢١ على لسان مراسله بالاسكندرية الذى قال « وقد رأينا رسالة مطبوعة باللغة العربية بعنوان مجموعة أفكار اجتماعية بثت الدعوة للاشتراكية .. وقد جمعت بين أقوال كاتب عربى استعار اسم « مؤذن » وبين دعاية اشتراكية للاوضاع فى روسيا . وهى أول رسالة عربية من نوعها تظهر فى هذه البلاد » .

بل أن الحزب قد قام بعد ذلك بترجمة عددا من البيانات الهامة الصادرة عن الكومنترن ويدل اختيار هذه المنشورات على ذكاء كبير :

فقد تلمس بالذات ابراز التحالف بين الاتحاد السوفياتى وتركيا الكمالية ضد الاستعمار الانجليزى .. وكانت هذه القضية تحظى بشعبية كبيرة وتثير اعجاب الشعب المصرى بالسياسة السوفياتية ، حتى أن الاهرام لم يتمالك نفسه وهو ينقل الترجمة التى اصدرها الحزب الاشتراكى المصرى لاحد بيانات الكومنترن بهذا الصدد من أن يقول « أن هذه البلاد – مصر – ليست اشتراكية والاشتراكية المتطرفة لا تنهض فيها غير انها تلتفت الى العواطف الروسية بعين الاهتمام » .. أما نص المنشور الذى وزعه الحزب فهو :

« أيها العمال عارضوا كل حرب جديدة فى الشرق » ..

« السلام للشعب التركى والحرب ضد الاستعمار الاوروبى » ..

- أيها العمال والفلاحون ..

« تجرى حوادث ذات اهمية كبرى فى الشرق لقد حكم التحالف الرأسمالى على الشعب التركى بالاعدام .. » .

ويناشد البيان عمال وفلاحى العالم الوقوف ضد حرب جديدة فى الشرق تسفك فيها دماء أوروبا لفائدة الاستعمار الانجليزى »(١) .

والحقيقة أن نجاح الحزب فى ابراز التحالف السوفياتى – التركى ضد الاستعمار الانجليزى قد اكسبه جماهيرية كبيرة ولنتأمل هذه الكلمات التى يكتبها مراسل الاهرام بالاسكندرية تحت عنوان « حركة الحزب الاشتراكى » « تجرى فى الاسكندرية الآن حركة اشتراكية شيوعية لم تر البلاد مثلها من قبل ، وهى تجتذب اليها العمال وعشاق الاشتراكية من كل جانب .

---

(١) الاهرام ٢١/١٠/١٩٢٢ .

وقد لا نخطئ اذا قلنا ان الحزب الاشتراكي يغتنم فرصة تأييد الروس للترك لنشر دعوته في مصر .. ونرى الناس يقبلون على اجتماعاته في شارع نوبار اقبالا كبيرا »(١)..

والكلمات السابقة صالحة أيضا لتعطى لنا صورة حية عن نشاط الحزب ومدى الجماهيرية التي حققتها ..

وقد سعى الحزب الى اصدار جريدة أسبوعية له ..

وتقول الاهرام « كان الحزب الاشتراكي قد طلب من الحكومة رخصة لاصدار جريدة اشتراكية خاصة به فرفضت وزارة الداخلية هذا الطلب لا سيما على اثر ما نشره الحزب من الاحتجاجات والاعتراضات المتعلقة بالسياسة المحلية . ولما لم ينجح في أخذ الرخصة جعل يبحث عن جريدة موجودة فوجد جريدة «الشبيبة» وهي جريدة أسبوعية أدبية اجتماعية للشيخ عبد الحميد النحاس فاتفق واياه على تحويلها الى جريدة اشتراكية . وحولها الحزب الى شكل جديد وألغى عدد ما صدر منها وجدد نشرها بالعدد «١» وقد صدر عددها الاول في هذا الاسبوع الغائب وفيها مقالة عن لينين ومقالات اشتراكية متعددة وقد جعل شعارها المنجل والمطرقة .

ويظهر أن وزارة الداخلية لم توافق على هذا الابدال فاصدرت اليوم أمرا باغلاق الشبيبة ومنع نشرها . وكان الحزب قد شرع في توزيع نسخها على أعضائه باعتبار أنهم مشتركون وجعل الاشتراك ٣٠ قرشا في السنة »(٢)

والغريب في الامر أنه يبدو أن الشيخ عبد الحميد النحاس صاحب امتياز الشبيبة كان وفديا فان الشعار الذى اختاره لمجلته قبل التنازل عنها للحزب الاشتراكي كان احد كلمات سعد زغلول « من كانت الشبيبة معه فان المستقبل بيده »(٣) ولا شك أن لهذا دلالة كبيرة فهي توحي بأن الحزب الاشتراكي كان الى حد ما مقبولا من بعض العناصر الوفدية في هذه الفترة ..

---

(١) الأهرام ١٠/١٠/١٩٢٢ .
(٢) الأهرام ١٢/٧/١٩٢٢ .
(٣) قسطاكى عطارة ـ تاريخ تكوين الصحف المصرية ـ المرجع السابق ص ٣٣٣ .

... والحقيقة أن الحزب لم يتراجع امام هذه الملاحقة التي تقوم بها السلطات ففي اليوم التالي مباشرة تنشر الإهرام أن الحزب الاشتراكي سوف يتخذ صحيفة أسبوعية جديدة تصدر في القاهرة كلسان حال له بعد أن الغيت جريدة الشبيبة • وقد اتفق الحزب بالفعل مع صاحب الجريدة على تحويلها اليه ...

لكن صحف هذه الفترة لا تحمل أية اشارة الى جريدة اشتراكية أخرى والارجح أن وزارة الداخلية قد لاحقت المحاولة قبل اتمامها فمنعت صاحب المجلة عن التنازل عنها •

واذا كانت جماهير الشعب قد بدأت تشعر بنوع من العطف على مساندة الاتحاد السوفيتي لتركيا ومناصرته المستمرة للشعوب فقد وجد الحزب ان هذه فرصة سانحة لتنظيم حملة جماهيرية لجمع تبرعات لمنكوبي المجاعة في الاتحاد السوفييتي •

والحقيقة أن هذه الحركة قد إتخذت طابعاً جماهيريا حقيا وتعمد الاشتراكيون أن يشركوا فيها أوسع الجماهير •

ويشير الاهرام الى أنه قد ألفت في الاسكندرية « لجنة جديدة من انصار الاشتراكيين والمشتغلين في نشر مبادئها وفي مقدمتهم المسيو روزنتال بقصد جمع تبرعات لاغاثة الشعب الروسي لأن الاشتراكية لا وطن لها.

وفهمنا أن هذه اللجنة المؤقتة ستدعو اليوم جميع ممثلي النقابات في البلدة الى اجتماع يعقد في آخر الاسبوع لتاليف لجنة أوسع »(١).

ولم يقتصر نشاط اللجنة على العمل وسط النقابات فقط فقد شكلت فيما بعد لجنة خماسية بهدف الاتصال بالحكومة والتناصل والدوائر الاخرى وعمل أسواق خيرية واحياء حفلات موسيقية وتمثيلية تدوم عدة أيام، وقررت أيضا جمع الاكتتابات ومما يذكر أنه مما قررته هذه اللجنة أن تطلب من الحكومة المصرية التنازل عن جزء من القمح والدقيق المخزون لديها لاغاثة المنكوبين (٢) •

---

(١) الأهرام ١٩٢١/٨/٢٦ •
(٢) الأهرام ١٩٢١/٩/٨ •

•• والحقيقة ان اللجوء الى أسلوب أقامة اسواق خيرية وأحيـــاء حفلات موسيقية وتمثيلية •• يدل على أن قـادة الحـزب الاشــتراكى قـد اتقنوا فن العمل بين الجماهير •• وأصبح باستطاعتهم ان يصلوا اليهـا على نطــاق واسع •

كذلك فان النشاط الجماهيرى الواسع الذى قامت به شعبة الحـــزب فى مدينة المنصورة من تاسيس فرع لجمعية الاسعاف يديره متطوعون من أعضاء الحزب وفرقـة موسيقية تعزف فى أفراح العمال بالمجـان وفصــول لتعليم اللغة الفرنسية وأخرى لمحو الامية •• والعدد الكبير من الاعضــاء الذين ضمتهم الى صفوفهـا كل ذلك يمكنه أن يقـدم لنا صورة عن النشاط الجماهيرى الواسع الذى مارسه الحزب فى ذلك الحين(١) •

كذلك فان مشروع « صناديق المعونة الحمراء » الذى يستهدف جمـع تبرعات للعمــال المضربين قـد مكن الحزب من أن يصبح ذا نفـوذ وســط جماهير الكادحين وقد تبنى مشاكلهم ودافع عنهم على قدر طاقته فى وقت تخلت فيه كل الاحزاب عن اية شعارات أو مطـالب اجتماعية والنتيجة الحتمية لذلك هى أن يتسع نشـاط الحزب ويتزايد ويتشـعب فى اتجاهات عـديدة تعبر عن نمو خبرته وقدراته وكوادره ••

وينعكس اثر ذلك على الطبقـة الحاكمة التي تقرر انه قـد آن الاوان للدخــول فى صراع ضد الحزب •

وبعد ١١ شهرا فقط من اعلان الحزب •• وهى مدة وجيزة جدا تجـد وزارة الداخلية انه من الضرورى انشاء مكتب جديد لمتابعـة النشاط السياسى بالاسكندرية ويخصص له اثنــان من اكفـأ رجـــال المبــاحث همــا انجرام بك •• والبكباشى كمال الطرابلسى (٢) •

ولاشك ان لهذا القرار الخطير مغزاه الواضـح ، فالحكومة تستعد للهجوم ولكن الحزب لم يتراجع وقرر ان يستمر فى التقــدم بأسرع ما يستطيع •

---

(١) راجع محضرى النقاش مع السعيد العجرى وحافظ سند بالملاحق •
(٢) الأهرام ١٩٢٢/٨/٣ •

* المؤتمر الأول للحزب .. الانضمام للكومنترن

* المؤتمر الثاني .. تغيير اسم الحزب

* موجة من النشاط العارم

* ثم بدأت المطاردة ..

المؤتمر الأول للحزب
الإنضمام للكومنترن

فى الفصل السابق تابعنا كيف دعمت العناصر الماركسية مراكزها وكيف عززت نفوذها من خلال النضال اليومى وفى الاساس من خلال الالتصاق بالحركة العمالية ..

وبالتدريج أصبحت هذه العناصر هى القوة الاساسية فى الحزب . وبينما كان سلامة موسى والعنانى والاخرون يتربعون على قمة الحزب من الناحية الشكلية كان حسنى العرابى وصفوان أبو الفتوح واسكندر صادة وأنطون مارون وغيرهم من العناصر الماركسية يقومون بنشاط جم بهدف تأسيس مراكز حزبية فى أماكن عديدة وبهدف دعم الحركة النقابية ودعم التواجد الحزبى فيها ونشر الفكر الماركسى بين صفوف الأعضاء الجدد .

وهكذا وصل الحزب الى وضع غريب .

قاعدة ماركسية .. وقيادة يحكمها التركيب القديم الذى تابعنا كيف كان الحزب يعانى منه فى الصفحات السابقة .. قيادة تضم تابيين وهيجليين يساريين واشتراكيى الدولية الثانة وقاعدة شيوعية ، وكان لا بد من تصحيح هذا الوضع .

ولأن الحزب كان قد عزز لنفسه مراكز قوية فى مدينة الاسكندرية (حيث كانت تتركز القوى الاساسية للطبقة العاملة) ولان حسنى العرابى وروزنتال ومارن وصفوان أبو الفتح وأحمد المدنى ومصطفى أبو هرجه واسكندر صادة كانوا يقيمون بالاسكندرية فقد حدث فى هذه المدينة نوع من التركيز للعناصر الماركسية التى سيطرت على شعبة الحزب هناك وتابعت من هناك عملية القيادة الفعلية لكل فروع الحزب(١) بينما استمر سلامة موسى والعنانى وعنان وغيرهم يمارسون نشاطهم التقليدى ، وهو نشاط محدود جدا فى شعبة القاهرة وحدها عاجزين عن أن يخوضوا غمار المنافسة مع الماركسيين الذين نشطوا نشاطا متزايدا أعجز هذه العناصر التقليدية عن أن تلعب أى دور منافس .

ومن هنا برز التصور الذى حكم بعض الكتابات عن هذه المرحلة والذى أوحى بأن الصراع كان بين شعبة القاهرة وشعبة الاسكندرية (٢) لكن التعبير

(1) MURIUS Deeb — Party polotics in Egypt The walh and its Rivals 1919-1939 (London : ithaka press' 1979) — P.86.

(٢) رؤوف عباس وعبد العظيم رمضان ولاكوز وغيرهم .

الصحيح هو أن الصراع قد احتدم بين الاتجاه الماركسي الذى يسود عبر الحزب بزعامة قادة شعبة الاسكندرية وبين المثقفين التقليديين الذين يعادون اعلان ماركسية الحزب .

كذلك يحاول عبد العظيم رمضان أن يصور هذا الصراع على أنه صراع بين المثقفين من جانب والعمال من جانب آخر (١) قائلا ان الصراع قد انتهى بطرد المثقفين من الحزب .

ولنا على هذا الرأى ملاحظتان :

الأولى : صحيح أن التيار الماركسي وهو أحد قطبي الصراع كان يؤمن بقيادة البروليتاريا لكن ذلك لا يعني أنه ضد المثقفين .. فقادة هذا التيار أنفسهم كان كثير منهم من المثقفين ، العرابى وصفوان ومارون وغيرهم .. ويبدو أن عبد العظيم رمضان قد تأثر فى هذا الرأى بعبارة قالها فؤاد الشمالى يهاجم فيها المثقفين ويطالبهم بترك العمال يديرون شئون حزبهم ..

والثانية : ان أحدا لم يصدر قرارا بطرد المثقفين لكن عددا من المثقفين انسحب من الحزب رافضا فكرة اعلان ماركسية الحزب والانضمام الى الدولية الثالثة .

والحقيقة ان الغموض يحيط بأطراف وأساليب هذا الصراع الذى تفجر سريعا داخل الحزب وبلغ ذروته فى ٣٠ يوليو ١٩٢٢ عندما عقد الحزب مؤتمرا سريا لاقرار الاسس الجديدة للنشاط ولاقرار فكرة الانضمام للدولية الثالثة ..

وليست هناك معلومات كثيرة عن هذا المؤتمر .. لكن ثمة شواهد تؤكد انعقاده وتؤكد أنه قد اتخذ عددا من القرارات الهامة .

يقول روزنتال فى شهادته لقد تبين أن لجنة القاهرة لم تظهر اخلاصا كافيا على حين كان فرع الاسكندرية بالرغم من قلة عدد أعضائه يظهر كفاءة تفوق كفاءة المركز الادارى . وقد طلب بعض أعضاء الفروع جعل الاسكندرية مقرا للحزب ، وبالفعل تم هذا التغيير بعد موافقة أعضاء الفروع على ذلك فى **فى اجتماع خاص عقد لهذا الغرض(٢) .**

---

(١) ص ٢٥٨ ـ كذلك يقول عبد المنعم الغزالى أن الحزب قد انعزل تماما عن الجماهير الثورية الاخرى غير العمال وقاطع النشاط فى أى وسط جماهيرى ما دام غير عمالى . ص ٩٢ وهذا غير صحيح فى اعتقادنا .

(٢) الأهرام ١٩٢٢/٨/٣ .

كذلك أشارت الأهرام إلى بيان صادر باسم الجمعية العمومية للحزب الاشتراكى المصرى يتضمن القرارات التى اتخذتها هذه الجمعية (١)

لكن فؤاد الشمالى يقرر عقد المؤتمر صراحة فيقول « وفى يوم ٣٠ يوليو عقد فى الاسكندرية مؤتمر حضره مندوبون من جميع شعب الحزب فى انحاء القطر بينهم وفد من أعضاء لجنة القاهرة فتقرر بالاجماع جعل **شعبة الاسكندرية مركزا اداريا للحزب . كذلك تقرر بالاغلبية الكبرى** اعتناق المذهب الشيوعى وتم فى المؤتمر انتخاب اللجنة الادارية المركزية » .

وهكذا يمكننا ان نستخلص جدول أعمال **المؤتمر الأول للحزب** :

١ ـ نقل المركز الادارى للحزب .

٢ ـ تحديد موقف الحزب من الشيوعية **ومن ثم مسألة الانضمام** للكومنترن .

٣ ـ انتخاب لجنة مركزية جديدة .

والواضح أن هذا المؤتمر قد عقد سرا ، وفى الاغلب عقد فى الاسكندرية لكن مراسل الأهرام النشيط لم يستطيع اكتشاف الأمر الا بعد أن أصدر الحزب بيانا يعلن فيه قرارات المؤتمر .

والواضح أيضا ، أن المحور الأساسى للصراع داخل المؤتمر كان مسألة الموقف من الشيوعية ، ولم تكن مسألة نقل المركز الادارى للحزب ومسألة انتخاب لجنة مركزية جديدة سوى نتائج طبيعية للاتفاق على الموقف الأيديولوجى .

والحقيقة أن تفجير هذا الصراع كان مسألة حتمية وخاصة بعد ما شاهدناه فى الفصل السابق من تجمع عناصر من اتجاهات متباينة دون صراع فكرى حقيقى ، ودون أن تحدد مفهوما متقاربا لما تعنيه بكلمة **الاشتراكية** ، وكان النضال اليومى هو المفجر الحقيقى للصراع ، وهو الذى حدد أطرافه وحدد قوى كل طرف من هذه الأطراف .

وخلال عملية بناء الحزب كان الماركسيون هم أكثر العناصر نشاطا ومن ثم كانوا أكثرها نفوذا وبعد أقل من عام من النشاط الحزبى عقد

---

(١) الأهرام ١٩٢٤/٣/٧ .

... المؤتمر الأول ليقرر بالغالبية العظمى إعتناق المذهب الشيوعى ، والانضمام للدولية الثالثة .

وخلال هذا المؤتمر أمكن عزل العناصر المعارضة .. سلامة موسى والدكتور العنانى ويبدو أن عزلتهما كانت شبه تامة فلم يرتفع أى صوت بالمعارضة سوى صوت سلامة موسى نفسه أما محمد عبد الله عنان وأحمد المدنى فقد أمكن للماركسيين كسبهما فى هذه الجولة ..(١) .

وهذه مسألة هامة تستحق التأمل وتوحى بأن خطة الماركسيين كانت تستهدف كسب أكبر قدر من العناصر ـ بغض النظر عن مواقفها السابقة ـ طالما أنها تعلن موافقتها على النظرية الماركسية .

وقد بدأ الأمر بمسألة قد تبدو شكلية فاستمر الاسم كما هو « الحزب الاشتراكى المصرى » وأضيفت بعد ذلك عبارة « الشعبة المصرية للدولية الشيوعية » .

وهى خطوة تدل ـ بغير شك ـ على جانب كبير من الذكاء وتوحى أيضا بالاتجاه المرن للقيادة الجديدة ..

لكن مراسل الأهرام بالاسكندرية لم يشأ لهذا التغيير ان يمر بغير ضجة فكتب يقول « كل يوم يتكشف لنا هذا الحزب الذى يطلق على نفسه اسم الحزب الاشتراكى عن شىء جديد فهو يسمى نفسه الان ويطبع على أوراقه اسم « الحزب الاشتراكى المصرى » وتحت هذا الاسم الضخم يطبع كلمة « الشعبة المصرية للدولية الشيوعية » . وقد نشر فى البلاد ورقة باسم الجمعية العمومية للحزب أورد فيها ما أسماه قراراته ومن هذه القرارات أن تكون لجنة الحزب المركزية بالاسكندرية وأن ينضم الحزب للدولية الثالثة . فنحن اذا أمام البلشفية بتمامها لانه أورد فى برنامج أعماله قرارات ما أسماه بالدولية الثالثة فى موسكو »(٢) .

وكالعادة فقد كانت كلمة الاهرام اشارة البدء لاعلان الصراع على صفحات الجرائد ، وفى اليوم التالى نشرت الاهرام بيانا لسلامة موسى بعنوان « عام فى الاشتراكية » .

---

(١) لم يفطن عبد العظيم رمضان الى هذه الحقيقة الهامة فأدرج اسم عبد الله عنان ضمن المعارضين لهذه الخطوة ص ٢٩٠ .. وهذا غير صحيح كما سنرى فيما بعد .

(٢) الأهرام ١٩٢٢/٨/٣ .

قال فيه : « منذ عام تقريبا تألف بالقاهرة حزب اشتراكى معتدل المذهب يسير على خطة نيرة رشيدة يقودها زعماء أكثرهم تربى فى أوروبا وشاهدوا بأعينهم الحركة الشيوعية فى إقبالها وادبارها وغلوها واعتدالها وكلهم مع ذلك وطنى يعرف ان مصر لم تبلغ بعد الدرجة التى تستطيع فيها أن تهمل الرابطة الوطنية مستعيضة عنها بروابط أخرى شعبية أو اجتماعية ..

لهذا السبب أراد مبتدئو الحركة فى مصر أن تكون صيغتها مصرية بحتة تتكيف بتكيف المزاج المصرى ولا تنقل عن أوروبا نقلا . كما أرادوا أن ينهجوا نهج الاعتدال والثقة فى خطتهم بحيث لا يجد ولاة الامور مجالا للتخوف أو الشدة فى سيرهم » .

وبعد هذا الغمز والاشارة الى موقف السلطة من التغيير الجديد .. يبدأ سلامة موسى محاولة اظهار أن التحول الجديد تم على يد أجنبية هى يد روزنتال الذى قال عنه « انه مع اجتهاده فى نشر الدعوة الاشتراكية منذ أكثر من عشرين سنة لم يفلح فى ادماج الوطنيين فى الجماعة الافرنجية التى تلتف حوله . وانما أقبل الوطنيون على الحركة عندما رأوا اعتدالنا واخلاص نيتنا .

وعلى هذا سرنا عدة شهور الى أن رأى مسيو روزنتال أن صدره لا يتسع لاعتدالنا وان محاولته لكى يجرنا الى خطته قد ذهبت عبثا فاتفق مع بعض مشاركيه فى الرأى على نقل الحزب الى الاسكندرية » .

ثم يمضى سلامة موسى محددا نقطة الخلاف الاساسية بينه وبين الخط الجديد للحزب فيقول : « انى أعتقد أن الاشتراكية لن تفلح عندنا حتى يرضى بها المتوسطون ــ ان لم أقل الاغنياء ــ قبل العمال لانهم هم الطبقة المستنيرة التى تستطيع فهم مبادئها » .

ثم هو يؤكد « ان الثورة فى بلاد مثل مصر مقضى عليها بالفشل ولو نجحت لكان نجاحها أكثر شرا من الفشل » ..

وفى النهاية يكمل سلامة موسى تحديه قائلا : « بقيت كلمة أقولها للمتخوفين والمرتابين وهى أن الرعونة التى ظهر بها مسيو روزنتال لن يصيب بها غير نفسه وسيلتئم الحزب الاشتراكى بالقاهرة قريبا » . ويعود الى خطته التعليمية التمهيدية من غير هوج أو غلو وهو فيها يعمل ويعلم ويضع

مصلحة مصر فوق كل المصالح »(١). ولا شك أن تطور الاحداث قد أثبت خطأ تصورات سلامة موسى وخاصة فيما يتعلق بروزنتال ..

والشيء المؤكد أن سلامة موسى وزملاءه لم يبذلوا أى جهد جدى لتكوين تنظيم مستقل واكتفوا بالانسحاب تاركين الميدان تماما للحزب باتجاهه الجديد .. وحتى سلامة نفسه يؤكد هذه الحقيقة فهو يقول فى احدى مقالاته « فحاولنا أن نجدد الحزب حتى نقاوم هذه الحركة الجنونية فلم نقو لعدة أسباب فقنعنا بالسكوت ننتظر تقلب الأحوال »(٢) .

لكن سلامة موسى - بالرغم من توقفه عن أى نشاط حزبى - لم يكف عن اعلان معارضته للدولية الثالثة ولا عن هجومه على الاتجاه الجديد للحزب ..

وبعد أيام يكتب مقالا آخر بعنوان « الدولية الثالثة والاشتراكية » يتحدث فيه عن الدولية الثانية فيقول « لقد كان بمقدورها أن تضم جميع اشتراكيى العالم فيها .. لكنها فقدت شيئا كثيرا من مكانتها لما ظهر فيها من الضعف والانشقاق مدة الحرب .. » .

ثم يعرض على الحزب بديلا للدولية الثالثة فيقول : « وفى فيينا عاصمة النمسا الآن دولية تدعى « الاتحاد الدولى للاحزاب الاشتراكية » وقد تألفت فى ١٩٢٠ من الاحزاب التى رفضت قبول الاحدى وعشرين نقطة التى تشترطها الدولية الثالثة فى موسكو ، وهى مع ذلك لا تريد الرجوع الى الدولية الثانية فى بروكسل ..

.. ومصلحة الحزب الاشتراكى المصرى الان اذا أراد أن تكون له مكانة فى النظام الاشتراكى العالمى أن ينضم الى دولية فيينا .. أما الانضمام الى الدولية الثالثة فمعناه الخروج من الاشتراكية وقبول الثورة كوسيلة شرعية للحصول عليها .. ومن يحاول الان أن يدمج الحزب الاشتراكى المصرى فى الدولية الثالثة انما يخدع أعضاء هذا الحزب الذين انتموا الى الحزب باعتباره حزبا اشتراكيا فحسب » .

ثم يمضى سلامة موسى يعزف بنفس النغمة التى عاجمها من قبل فيقول : « واذا راجت الاشاعة بأن عندنا حزبا شيوعيا على اتصال دائم بموسكو باتت حركة الاستقلال عندنا فى خطر .. ان ولاءنا لمصر ينبغى

---

(١) الأهرام ١٩٢٣/٣/٤

(٢) الأهرام ١٩٢٤/٣/٨

ان يكون اكبر من ولائنا للاشتراكية فاستقلالنا هو الغاية الاولى والاشتراكية هى الغاية الثانية ٠٠ »(١).

ويبدو ان هذه الكلمات لم تكن ذات تاثير كبير ، فان أحدا لم يرفع صوته بتاييد هجوم سلامة موسى ، حتى د٠ على العنانى شريك سلامة موسى فى موقفه لم يكلف نفسه عناء كتابة كلمة تاييد لهذا الموقف ٠

لكن الحزب لم يترك هذا الهجوم بغير رد وتصدى للرد محمد عبد الله عنان (سكرتير فرع القاهرة) ٠

والحقيقة أن اختيار محمد عبد الله عنان للرد على سلامة موسى بالذات كان خطوة بارعة فهو اعلان بأن سلامة موسى لا يمثل فرع القاهرة واعلان بأن سلامة موسى لا يمثل حتى كل « المعتدلين » السابقين ٠

ويكتب « محمد عبد الله عنان المحامى وأحد مؤسسى الحزب الاشتراكى » ـ هكذا وقع المقال ـ مقالا عنيفا بعنوان اكثر عنفا هو « رسول شيوعى يشرح مذهبه » قال فيه :

« لقد دعونا الى تاليف الحزب الاشتراكى منذ عام واصدرنا اذ ذاك بيانا أو برنامجا ندعو اليه ٠ وقد مضى عام ونحن نعمل فى دائرة الطرق السلمية الهادئة ولم نهمل قط مراعاة ما يسود البلاد من ظروف خاصة ، وقد جاهرنا ولا زلنا نجاهر باننا لسنا من الثوريين وانا من دعاة التطور الاجتماعى والسياسى ٠ نقرر ذلك ولكننا نقرر أيضا اننا نعتنق المبادىء الاشتراكية الماركسية ٠٠٠ وانا لا نعرف اشتراكية « وطنية » اللهم الا ان تكون تلك التى تلقاها الرفيق سلامة موسى عن الاشتراكية الرجعية الانجليزية التى عاش فى ظلالها مدة من الزمن ٠٠

٠٠ لهذا لا نتفق مع الرفيق سلامة فى وجوب وطنية الاشتراكية المصرية ٠ ان للحزب الاشتراكى قاعدة خاصة بالسياسة المصرية لوجود مصر فى ظروف خاصة ولكن تلك القاعدة لا مساس لها بالاشتراكية :

ان من يقرا كلمة الرفيق سلامة موسى يعتقد أننا قد اصبحنا متطرفين .. وانه حافظ على اعتداله ٠ ٠ ٠

---

(١) الأهرام ١٩٢٢/٨/٩ ٠

والواقع اننا لم نغير شيئا من مبادئنا التى وافقنا عليها وأعلناها معا ومن التحامل أن يرى فى تقرير الحزب الانتماء الى الدولية الثالثة أمرا جديدا يسمه بسيماء الغلو لان ذلك متعلق بتضامننا مع باقى الرفاق فى العالم وبرأينا فى تفسير المبادئ الماركسية . وقد يتاح لنا أن نناقشه فى ذلك مناقشة خاصة غير أننا لانقره منذ الان على وجود متطرف ومعتدل فى الاشتراكية المصرية ونقرر أن اعتداله فى نظرنا نكوص على المبادئ وارتداد الى زوايا الرجعية .

وبعد ، فقد حدث ابهام جم فى ماهية الاشتراكية والشيوعية ، ونحن نقرر بملء الصراحة أن الغاية الاشتراكية مهما تنوعت لا تخرج عن شيوعية الملك ، وان الاشتراكية لا تنادى بذلك هى اشتراكية عتيقة نسختها **الاشتراكية الماركسية التى أصبحت نبراس القوة العاملة ومثلها الأعلى والتى قامت على مبادئها دعائم الجمهورية السوفياتية**»(١)

وهكذا أعلن الحزب صراحة موقفه ، لكنه اتخذ خطة تقول اننا لم نغير شيئا ، انما هى نفس أفكارنا القديمة لكن سلامة موسى هو الذى تغير .

ان تضمين الرد اسم سلامة موسى وحده دون اشارة الى زملائه يوحى بأن الحزب قد نجح الى حد كبير فى عزل أفكار سلامة موسى وأن المؤتمر الاول كان يمثل الى حد كبير جميع كوادر الحزب .

وفى اعتقادى ان تصدى محمد عبد الله عنان للرد بهذه الصورة هو خير دليل على نجاح المؤتمر فى توحيد كوادر الحزب ونجاحه فى كسب أكثر العناصر اعتدالا الى صف الخط الجديد .

واذا كان محمد عبد الله عنان ما لبث أن ارتد هو أيضا بعد قليل من الوقت فان ذلك لا يقلل مطلقا من أهمية هذا النصر الايديولوجى الذى حققه المؤتمر .. ولم يكن محمد عبد الله عنان هو الوحيد من بين « المعتدلين » الذى تم كسبه الى صف الاتجاه الجديد فهناك أيضا أحمد المدنى المحامى الذى تولى السكرتارية العامة للحزب فى فترة غياب حسنى العرابى فى موسكو(٢)

وبطبيعة الحال فان موجة الهجوم لم تقتصر على سلامة موسى بل شاركت فيها جريدة الاهرام كعادتها دائما .

ففى ٣ أغسطس هاجم مراسل الاهرام بالاسكندرية الاتجاه الجديد للحزب منددا بالبلشفية « التى أدت الى هدم وخراب الامبراطورية الروسية

---

(١) الأهرام ١٩٢٢/٨/١٨

(٢) الأهرام ١٩٢٢/١٠/٢٠ .

وهلالية مليونيين من أخشابه ، ويقولون أن نظام البلشفية ينجح وأو أتى بخير ما للصغير أو الكبير لكان لدعاته في مصر عذر مقبول لبعض القبول ولكن الأمر بالعكس ، فما بالهم يحلمون بأن يحل الفقير محل الغنى والضعيف محل القوى والملكية للمجموع بلا مالك وغير ذلك مما يضر بحياتنا ويؤدى الى الهلاك »(١) .

وفى تعليق على مقال سلامة موسى السابق تكتب الاهرام « نحن نقاتل هذه المذاهب الشيوعية لانها الفوضى ونحن محتاجون الى النظام ، ونحن بحاجة الى تقوية رؤوس الاموال حتى تعمر الخارب »(٢) .

وتنشر الاهرام أيضا هجوما شديدا بتوقيع « مالك » يطالب فيه الحكومة بمطاردة الحزب .

بل انه يهددها بأن الملاك قد يحاولون أن يدفعوا هذا الخطر بأيديهم فيقول « اننا ننبه الحكومة الى أن ما يقوم به هؤلاء الناس مما تمنعه القوانين المصرية عامة سواء فى ذلك القانون السماوى أو القانون الوضعى ويجب ان تنبهها كذلك الى أننا نحن الملاك ننتظر منها أن تقوم بالواجب ازاء ما يتهددها من الخطر وازاء أمر لا نريد أن ندفعه بأيدينا ، فهل عند الحكومة أذنان لتسمع بهما ؟ ذلك ما نظن والسلام »(٣) .

لكن الحزب لم يعبأ بذلك وواصل مسيرته ، وتنفيذا لقرار المؤتمر الأول سافر حسنى العرابى الى موسكو ليحضر المؤتمر الرابع للكومنترن طالبا الاعتراف بالحزب المصرى كعضو فى الدولية الثالثة ..

ومن موسكو كتب حسنى العرابى سلسلة من المقالات عن زيارته الى « روسيا الحمراء » .. وتوالت الاخبار عن خطب حماسية ألقاها فى المؤتمر قال فيها « أنه يؤمل بالرغم من معارضة الاستعمار الانجليزى والرأسمالية المصرية أن يرى الأعلام الحمراء تخفق يوما ما فوق ربى الاهرام » وقال ان « الحزب المصرى قد خطا خطوات واسعة وانه سيشترك فى الانتخابات القادمة وسوف يضع برنامجا للفلاحين »(٤) .

---

(١) الأهرام ١٩٢٢/٨/٣ .
(٢) الأهرام ١٩٢٢/٨/٤
(٣) الأهرام ١٩٢٢/٨/٢١ .
(٤) نقلا عن بيان محمد عبد الله عنان ــ الأهرام ١٩٢٣/١/٦ .

والحقيقة ان الخطوات الاساسية كانت قد أقرت فى المؤتمر الاول ، ولم يكن سفر حسنى العرابى الا تنفيذا لهـا ..

وكذلك كان حسنى العرابى لا يزال فى موسكو عندما أصدر احمد المدنى بيانا عن احتفال الحزب بذكرى « اعلان الثورة الروسية وانبثاق فجـر الحرية فحضر الاجتماع جمع غفير من الاعضـاء وافتتحت الحفلة بالنشـيد الدولى ثم وقف الرفيق أحمد أفندى المدنى المحـامى والقى خطـابا بين فيـه تاريخ الثورة الروسية واسبابها ونتائجها وما صادفته من العقبـات وانتهى من خطبته بين التصفيق والهتاف ..

وبعد ذلك رفع الستار عن تمثال الحرية المقيـدة التى أخذ العـامل على نفسه أن يحطم قيودها ويطلقهـا من الاسر الذى وضعها فيه الراسماليون .

ثم وقف الرفيق يوتسف روزنتال والقى خطـابا شرح فيه معنى الثورة الروسية واشار الى علاقتهـا بالشرق والشرقيين تقوبلت أقـواله بالتصفيق وقـام بعده الرفيق السيد هزيدى فشرح أعمـال الثورة وعلاقتها بالقضية التركية . وانتهى الحفل كما بدأ بالنشيد الدولى » (١)

كذلك اصدر الحزب قبيل عودة حسنى العرابى من موسكو ميثاقا هاما بعنوان « نداء الى العمال اليدويين والذهنيين فى العـالم » أدان فيـه « العدوان الوحشى الذى ترتكبه سلطات الاحتـلال البريطـانى ضـد مطـالب مصر المقدسة » ويعلن ان الحزب الاشتراكى المصرى سوف يقف فى طليعة الحـركة الوطنية .. » ولسوف تقف البرولیتاريا المصرية الواعية فى وجه اى تهادنات مع الطغـاة » .

ويعلن النداء « ان المثل الاشتراكية التى تتجسـد فى بعث كل شـعوب العالم قد ظهرت الان على مسرح السياسة فى مصر .. »

وفى النهاية يدعو البيان « المثقفين الاشتراكيين » الى « الاتجـاه نحـو الريف كى يخلقوا جبهة سياسية واقتصادية موحدة يمكنها ان تجابه نفـوذ البرجوازية »(٢) .

---

(١) بيان أحمد المدنى السكرتير العام للحزب ـ الاهرام ١٩٢٢/١١/١١ .
(2) walter Laquer — Communism and Nationaltsm in the Middle East. P. 34.

المؤتمر الثانى
تغيير إسم الحزب

لقد سافر حسنى العرابى ليحضر المؤتمر الرابع للكومنترن وليحقق هدفين محددين :

١ ـ قبول الحزب الاشتراكى المصرى عضوا فى الكومنترن والاعتراف به كممثل للبروليتاريا المصرية ٠

٢ ـ خلق ارتباط بين الحزب وبين الحركة البروليتارية العالمية ٠

وقد قام حسنى العرابى بدور نشط نألقى عديدا من الخطب والبيانات ٠ ولكن يبدو أن المسألة لم تكن سهلة فقد تشكلت لجنة لدراسة الموضوع كان مقررها الرفيق كاتاياما واستمعت اللجنة الى تقرير قدمه حسنى العرابى نورده بنصه للأهمية التاريخية (١) ٠

تقرير عن الحزب الاشتراكى المصرى وقرار حياله

أيها الرفـاق :

لقد اجتمعت لجنة المسألة المصرية عدة مرات واستمعت الى تقرير الحزب الاشتراكى المصرى وناقشت القضية باستفاضة ، اننا ندرك أن مصر تحتل مكانا هاما ، فهى من ناحية تفصل بين الشرق والغرب ومن ناحية أخرى تصل بينهما ، وهى المفتاح الى الشرق والشرق الاقصى ، ولذلك فالحركة الشيوعية المصرية ذات أهمية كبرى ٠

ولقد عانى الشعب المصرى طوال أربعين عاما من استغلال الاستعماريين الانجليزى والفرنسى ، وكانت احدى نتائج الحرب الاخيرة أن غير الشعب المصرى موقفه فثار ضد الاستعمار الانجليزى ، وبينما يكتفى صغار البورجوازيين والراسماليين المصريين بالاستقلال الاسمى لبلادهم فان

(1) International press Correspondence V. 3.N.
2-5-1-1923. P. 21

الشيوعيين والعمال والثوريين لا يرضون بهذا الاستقلال ، وانما يطلبون استقلالا حقيقيا ، وبالنسبة لموقفهم من هذه القضية فانهم يجب أن يحظوا بمساعدة الكومنترن ، ولقد إتفقنا ـ نحن لجنة المسألة المصرية ـ على أن الحركة الشيوعية فى مصر يجب أن تتلقى المساعدة والتشجيع ، فبناء حركة شيوعية فى مصر أمر ضرورى حتى تمسك بالمفتاح الى الشرق والشرق الاقصى . وفى حالة وقوع تمرد فى الهند فان مصر بفضل الموقع الجغرافى الذى تشغله يمكن أن تفتح الطريق للثورة الهندية وتساندها باغلاق قناة السويس ، لهذا تحدونا الرغبة فى مد يد المساعدة للحركة الشيوعية المصرية والى الاعتراف بالحزب الاشتراكي المصرى . ان الحزب الاشتراكى المصرى ما زال حديث الولادة لم يحرز بعد خبرة فى عدة نواح ، هذا بالرغم من أن الرفاق المصريين يسيرون على خط الكومنترن . ومع هذا نود أن نضع بعض الشروط لانضمامهم الى الكومنترن . لهذا قررنا طرح هذا القرار أمامكم :

« قرار من لجنة المسألة المصرية عن الحزب الاشتراكى المصرى ، صادر فى ٢٦ نوفمبر عام ١٩٢٢

بعد عدة جلسات وصلت اللجنة الى القرار التالى :

١ ـ يكفى تقرير مندوب الحزب الاشتراكي المصرى الذى أتيح لنا الاطلاع عليه للدلالة على أن الحزب الاشتراكي المصرى يمثل حركة ثورية عارمة تسير على نهج الدولية الشيوعية .

٢ ـ ومع هذا فاللجنة تقترح تأجيل قبول الحزب الاشتراكى المصرى فى الدولية الشيوعية الى حين :

(أ) يطرد الحزب بعض العناصر غير المرغوب فيها .

(ب) ويعقد مؤتمرا ينضم فيه الى الحزب الشيوعى المصرى أى عنصر شيوعى فى مصر يمكن أن يكون حاليا خارج الحزب الشيوعى المصرى ويقبل الشروط الواحد والعشرين الدولية الشيوعية .

(جـ) ويكون الحزب قد غير اسمه الى الحزب الشيوعى .

٣ ـ لذلك تعهد اللجنة الى الحزب الاشتراكى المصرى عقد مؤتمر يهدف الى تحقيق الشروط المشار اليها سابقا فى تاريخ قريب لا يعدو الخامس عشر من يناير ١٩٢٣ .

---

(١) لقد عاد حسنى العرابى وهو فى عجلة من أمره فقرار المؤتمر الرابع الكومنترن يلزمه بالقيام بأعمال جسيمة خلال فترة قصيرة جدا ـ لا تتجاوز

١٥ يناير ١٩٢٣ • واذا كانت لجنة المسألة المصرية قد أعدت تقريرها في ٢٦ نوفمبر ١٩٢٢ ثم عرض بعد ذلك على المؤتمر فان حسنى العرابى يكون قد وصل مصر حوالى منتصف ديسمبر ، ولم يكن امامه سوى شهر واحد تقريبا لانجاز ثلاث مسائل عسيرة •

١ - تغيير اسم الحزب من الحزب الاشتراكى المصرى الى الحزب الشيوعى المصرى ، وهو خطوة يبدو أن المؤتمر الاول للحزب قد أثار حولها جدلا طويلا انتهى بنوع من المساومة بين الأطراف المختلفة تمثلت فى الاحتفاظ باسم الحزب الاشتراكى المصرى مع اضافة عبارة « الشعبة المصرية للدولية الثالثة » وحتى هذه المساومة الذكية وافق عليها المؤتمر بالاغلبية وليس بالاجماع •

كذلك فان الدعايات المعادية للشيوعية كانت قد نشطت خلال الفترة السابقة الى حد أن كلمة « الشيوعية أصبحت مرادفا لتعبير آخر هو « الاباحية » بل ان بعض المترجمين كان يترجم كلمة Communism وربما بحسن نية - الى اللفظ العربى « أباحية » اشتقاقا من لفظ مباح وايماء الى أن الشيوعية تبيح الملكية للجميع •

كذلك نلاحظ أن الاهرام يعلن أن اللجنة المركزية للحزب قررت أن تغير اسم الحزب الى الحزب الاباحى(١) •

والحقيقة انه لا بد من التأمل - فى ظل الظروف الموضوعية لمصر عما اذا كان ضروريا تغيير الاسم أم لا ، فلينين عندما عرض عليه الحزب المنغولى فى ١٩٢١/١١/٥ تغيير اسمه من الحزب المنغولى الشعبى الثورى الى الحزب الشيوعى قال لقادة الحزب « أنا لا أنصحكم بذلك • المشكلة ليست استبدال اسم باسم آخر • ولو طلبتم رأيى فاننى لا أنصحكم بالتغيير » وقال لينين ايضا « ان أمام الثوريين المنغوليين واجبات كثيرة كى يبنوا دولة جديدة واقتصادا جديدا وثقافة جديدة قبل تحول هؤلاء الرعاة الى بروليتاريا •• الامر الذى يساعد فى المستقبل على تحويل هؤلاء الاشتراكيين الشعبيين الى شيوعيين ، لكن مجرد تغيير الواجهة مضر وخطير » •

الا انه يتعين ملاحظة أن ظروف مصر تختلف عن منغوليا من حيث قوة البروليتاريا المصرية وتصاعد نضالها ونضجها فى المعارك الثورية ، ومن حيث ضرورة تحديد حد فاصل يعزل اشتراكى الدولية الثانية الذين كانوا لا يزالون يمارسون نشاطا فى الحزب •

---

(١) ١٩٢٢/١٢/٢٧ •

لكنه وبالرغم من هذه الظروف الموضوعية فان عملية الاسراع الشديد بتغيير اسم الحزب دون صراع ايديولوجي كاف ودون توضيح للقواعد قد وصل بالمسألة الى الوضع الذى وصفه لينين بانه « مجرد استبدال اسم باسم آخر » أو « مجرد تغيير للواجهة » .

٢ – فصل بعض أعضاء الحزب ، أو بالدقة فصل روزنتال ونحن نعلم أن روزنتال قد لعب دورا أساسيا فى تأسيس الحزب ، وكان يمارس نفوذا واسعا وسط العناصر الاجنبية ووسط النقابات (١) .

٣ – عقد مؤتمر ، ولم تكن هذه مسألة سهلة . نظرا لضيق الوقت الذى يعوق أى اعداد جدى للمؤتمر . كذلك فاننا نلاحظ أن مجلة International Press Correspondence' قد نشرت القرار فى عددها الصادر فى ٥ يناير ١٩٢٣ وربما اذيع القرار قبل ذلك مما يجعل من المستحيل أمام الحزب عقد مؤتمره سرا كما حدث بالنسبة للمؤتمر الاول ، خاصة وأن السلطة تعلم أنه مضطر الى عقد المؤتمر فى مدة لا تتجاوز ١٥ يناير ١٩٢٣ ولهذا اضطرت اللجنة المركزية الى أن تحاول عقد المؤتمر علنا وعمل البوليس على منعه .

ولسنا نعرف الدوافع التى حدت بلجنة المسألة المصرية فى المؤتمر الرابع للكومنترن الى تحديد يوم ١٥ يناير كحد أقصى لتنفيذ هذه الأمور جميعا .

---

(١) تضاربت الاقوال حول سبب اصرار الكومنترن على فصل روزنتال فيقول لاكور أن السبب هو ميول روزنتال الفوضوية (الاتحاد السوفياتى والشرق الاوسط حاشية ص ١٠٦) وثمة شواهد تؤكد هذا الاستنتاج منها أن مقر الحزب الاشتراكى بالاسكندرية كان يضم صورا لماركس ولينين وروزا لوكسمبرج وباكونين « الزعيم الفوضوى » . كذلك ثمة رواية شخصية سمعتها تقول أن روزنتال هو الذى اقترح على سلامة موسى ترجمة « نداء الى الشباب لباكونين » ويقول لاكور فى كتابه « الشيوعية والوطنية فى الشرق الأوسط » أن روزنتال كان ضمن الاقلية التى عارضت الانضمام للدولية الثالثة ص ٣٣ كذلك نلاحظ أيضا فى شهادة روزنتال امام النيابة – راجع الملاحق – أن لروزنتال تحفظات على شروط الدولية اذ يقول اعرفها جميعا ولو كنت أحد واضعيها ربما كنت لا أوافق على مجموعها . ومما تجدر الاشارة اليه أن افيجدور واسمه الحقيقى يحيل كوسى وهو زوج ابنة روزنتال كان فى ذلك الوقت ممثل الكومنترن فى مصر . وان شارلوت روزنتال ظلت عضوا فى الحزب ، بل وأصبحت فى عام ١٩٢٥ عضوا فى اللجنة المركزية للحزب .

لكننا نحرك اية صعوبات واجهت قيادة الحزب عندما حاولت التقييد بهذا الموعد ·· وندرك ان الاسراع الشديد ربما أدى الى بغض النواقص ··

المهم ، لقد بدأ حسنى العرابى وزملاؤه العمل بسرعة ربما كانت أشد ضررا من الابطاء ودعوا الى اجتماع للجنة المركزية تقرر فيه :

١ ـ فصل روزنتال ·

٢ ـ اعلان تغيير اسم الحزب ·

كذلك قررت اللجنة المركزية أن يتولى أحمد المدنى أمانة الصندوق بدلا من روزنتال ، لكن الامور تتطور سريعا ·· فروزنتال يصدر بيانا غاضبا يتهم فيه « أحد الأشخاص » (حسنى العرابى) بالتسلط والسيطرة والوقيعة بينه وبين الكومنترن ··

وأحمد المدنى ما لبث أن قدم استقالته بحجة « أن الشيوعية بهذا الشكل كثيرة جدا على مصر ، وان البلاد لا تقوى على تحمل مبادئها ، وأنه لا يستطيع الاشتراك بالعمل مع اللجنة المركزية الموجودة » ·

وبعد عدة اسابيع انسحب أيضا السيد هريدى واسكندر صاده ··

ثم ما لبث محمد عبد الله عنان أن بدأ هو أيضا الهجوم ، لكن هجومه جاء مناقضا تماما لكل ما جاء فى بيانه السابق ، فبدأ يهاجم لجنة الاسكندرية « لانها خرجت وتمردت على ما اختطه الحزب لنفسه من سياسة الرزانة والتعقل وسرعان ما تأيد خروج تلك الشعبة بما زعمته من انها قررت نقل لجنة الحزب المركزية الى الاسكندرية وبما زعمته أيضا من فصل زعماء الحزب ومؤسسيه ورجالة العاملين تخلصا من رقابتهم الحكيمة وسياستهم الرشيدة ولم يقف خروجها عند ذلك الحد ، بل انها تحت ظل إسم الحزب الاشتراكى المصرى ارتكبت الشطط ونادت بأبعد المبادىء تطرفا وادعاها الى تشويه هيبة المبادىء الاشتراكية الصحيحة ، فلم ير مؤسسوا الحزب عندئذ الا ان يعلنوا للرأى العالم براءتهم من خطر هذه التصرفات وسفه تلك السياسة ، وان يؤكدوا لرفاقهم ومواطنيهم انهم ملتزمون جانب الروية متمسكون بشد أزر الغاية الوطنية » ·

لكن الناس جميعا كانوا لا يزالون يذكرون هجوم عبد الله عنان على سلامة موسى وكلماته الحاسمة التى تصف نفس الافكار التى يرددها اليوم بالرجعية ·

لكن الشىء الذى يلفت النظر فى بيان محمد عبد الله عنان هو ما يستنتج منه أن اجتماع اللجنة المركزية الذى عقد فى أواخر ديسمبر لم يحضره أحد من القاهرة .. ولا محمد عبد الله عنان نفسه ..

والسؤال المطروح هو : ألم يكن محمد عبد الله عنان سكرتيرا لجنة الحزب بالقاهرة عضوا فى اللجنة المركزية ..

أم ان منظمى هذا الاجتماع العاجل اكتفوا بجمع بعض أعضاء اللجنة المركزية فقط ..

هذه المسألة من الصعب التأكد منها ، خاصة وان نظام الحزب بالرغم من علنيته لم يكن يسمح بإعلان أسماء أعضاء اللجنة المركزية .

المهم ان عنان لم يشترك فى اجتماع الاسكندرية ، يؤكد ذلك ما نشره الاهرام يوم ٤ يناير نقلا عن رسالة واردة من مكتبة بالاسكندرية فى ٣ يناير « زارنا اليوم حضرة الاستاذ محمد عبد الله عنان المحامى سكرتير الحزب الاشتراكى المصرى فى العاصمة وأخبرنا أنه قدم الى الاسكندرية ليبحث عن حقيقة الظروف والعوامل التى دعت بعض أعضاء فرع الاسكندرية لفعل بعض أمور أدت الى أحداث ضجة شديدة حول مبادىء الحزب وغاياته » .

ثم ان عنان يذكر فى بيانه الذى نشر فى الاهرام : وأخيرا قامت حول تصرفات شعبة الاسكندرية ضجة ثانية ، وذكرت الاهرام أن فريقا من الأعضاء قرر أن يسمى الحزب « أباحيا » وان عضوا من أساطينه قد فصل وان زميلا له استقال احتجاجا على تلك التصرفات »(١) ..

وهكذا يستقى عنان معلوماته من الاهرام فيسرع الى الاسكندرية ليتلمس الموقف ثم صدر بيانه الذى يهاجم فيه الحزب ويحرض ضده السلطات فيقول « بان الذى فى التطرف المقوت ليس من شأنه الا أن يؤخر الدعوة الاشتراكية وأن يحمل السلطات على عدم الثقة بمبادئنا وأغراضنا العادلة » .

ولقد كان عنان من الانتهازية بحيث هاجم كل المواقف والاتجاهات التى دافع عنها دفاعا حارا منذ أسابيع قليلة وعلى صفحات نفس الجريدة « الاهرام » .

ولقد كان من السهل الرد عليه وافحامه بحججه هو ، وبنفس كلماته السابقة لكن الذى تصدى للرد عليه لم يكن موفقا ، بل ان طبيعة هذا

---

(١) الاهـــرام ١٩٢٣/١/٤

الشخص - فؤاد الشمالي - توحي بانه قد اندفع للرد دون تكليف من الحزب .. فقد اكتفى بعبارات عامة لا تقنع احدا ، ثم اذا به يقول « كلمتى الى زعماء الاشتراكية فى مصر أن يتركوا العمال يتولون بانفسهم جميع شئونهم لان الاشتراكية من العمال وللعمال وبالعمال وليست بالتجار والملاك والمحامين » (١) .

فهل كانت كلمات الشمالى موجهة ضد عبد الله عنان ، أم انها غمزة من طرف خفى للقيادة الجديدة ومن أعضائها حسنى العرابى « التاجر » وصفوان أبو الفتح « المدرس » وانطون مارون « المحامى » وغيرهم من المثقفين * .

وعلى أية حال فان الحزب لم يكتف بهذا الرد وتوجه عدد من أعضائه الى مكتب الاهرام بالاسكندرية وطالبوا بنشر رد على عبد الله عنان ، لكن الاهرام اكتفى بأن نشر فى اليوم التالى « أن عدداً من أعضاء الحزب قد زارنا وأطلعنا على مراسلات كثيرة متبادلة بين زعماء الحزب فى القاهرة والاسكندرية

---

(١) الاهرام ١٩٢٣/١/٩ .

* على أية حال ما لبث فؤاد الشمالى أن انسحب من الحزب معلنا تأسيس حزب جديد أسماه « الحزب الاشتراكى السورى اللبنانى » مقره الاسكندرية وأصدر بيانا مليئا بالتخبط يقول فيه « شرعنا فى تكوين جمعية ترمى الى تحرير سورية ولبنان سياسيا واقتصاديا وقلنا اشتراكى لا شيوعى لاننا وجدنا معنى الشيوعية يتفق والاباحية .. ولما وضعنا مبادئنا الاساسية التى استخلصناها من الدولية الثالثة رأينا أنها تتنافر مع معنى الشيوعية والاباحية .. وما نحن سوى لسان حال الطبقة العاملة المغلوبة على أمرها نعمل لتحسين حال العمال على قدر المستطاع فى الوقت الحاضر ، ونرمى الى تسليم مقاليد الاحكام وزمام الامور الى طبقة العمال والفلاحين فى أول فرصة تمكننا » . (الاهرام ٢٦ مايو ١٩٢٣) لكن سلطات الامن لم تسكت على محاولة الشمالى تأسيس حزب سورى لبنانى بالاسكندرية فاستدعته وأنذرته وقالت له - على حد قول مراسل الاهرام - « يجب أن تسكت وتحذر » (الاهرام ١٩٢٣/٦/١١) وقد سكت الشمالى ويبدو أنه قد غادر البلاد على الفور الى الشام حيث شارك هناك فى تأسيس الحزب الشيوعى السورى اللبنانى .

وقد ظهر اسمه فيما بعد عضوا فى اللجنة التنفيذية للعصبة المعادية للامبريالية . ثم ما لبث أن أبعد أيضا من صفوف الحزب الشيوعى السورى اللبنانى .

يستدل منها أن هناك أشياء شخصية كثيرة بينهم » (١) • ولم ينشر الاهرام رأى الحزب ، لكن هذه العبارة توحى على أية حال بأن ثمة محاولات قد بذلت لتسوية الامر مع عبد الله عنان • •

وعلى أية حال وبالرغم من بعض النواقص التى أدت اليها محاولة الاسراع الشديد فى التنفيذ ، فقد تمكنت اللجنة المركزية من التحكم فى الموقف واستطاعت أن تعد العدة لعقد المؤتمر الثانى للحزب •

ولقد كان الصراع حول حق الحزب فى عقد مؤتمره العام محكا لموقف السلطات من التطورات الجديدة التى طرأت على الحزب •

والحقيقة ان السلطة كانت قد بدأت منذ فترة فى محاولة تقييد نشاط الحزب وفى ٧ ديسمبر سنة ١٩٢٢ استدعت سلطات الامن بالاسكندرية روزنتال وابلغته أنها بامر مدير الامن العام تحظر عليه نشر الدعوة الشيوعية والا فإن الحكومة قد تفكر فى ابعاده عن البلاد • فرد روزنتال قائلا « انه مصرى الجنسية ويسرى عليه من القوانين ما يسرى على جميع المصريين فاذا كانت الحكومة ترى عمله مخالفا لهذه القوانين فليس أسهل عليها من محاكمته والا فلا داعى للتعرض له فى مبادىء ليس فى نيته الكف عن اتباعها » (٢) •

ثم تفجر الموقف من جديد عندما تقدم الحزب بطلب رسمى لسلطات الامن بالاسكندرية يطلب عقد مؤتمره العام يومى ٦ – ٧ يناير ١٩٢٣ • وقد احتاطت اللجنة المركزية للامر فقررت أن المؤتمر سوف يصبح قانونيا مهما كان عدد الاعضاء الحاضرين (٣) •

ويقول الاهرام إنه « كان مفهوما أن أحد أركان النهضة الشيوعية فى انجلترا وهو الدكتور بول سياتى الى الاسكندرية موفدا من قبل الحزب الروسى لحضور هذا المؤتمر • لكن هذا الرجل لم يأت حتى الان غير أن الحزب لا يزال عازما على عقد مؤتمره فى موعده » •

ويواصل الاهرام قائلا « وقد علمنا أن ادارة الامن فى الاسكندرية استدعت اليوم المسيو روزنتال سكرتير الحزب الذى فصل منه مؤخرا ومحمود أفندى حسنى العرابى السكرتير العام للحزب وابلغت كلا منهما على حدة ان وزارة الداخلية قررت ان تمنع عقد المؤتمر الشيوعى الذى ينوى الحزب

(١) الاهرام ٦/١/١٩٢٣

(٢) رؤوف عباس – المرجع السابق – ص ٢٤٤

(٣) رؤوف عباس – المرجع السابق – ص ٢٤٤

عقده في الاسكندرية ، وان البوليس في هذه المدينة سينفذ هذا الامر ويحول دون عقد ذلك المؤتمر » (١) .

لكن الحزب اعلن عن تصميمه على عقد المؤتمر في موعده ويبدو انه قد حاول الاستفادة من الامتيازات الممنوحة لاعضائه من الاجانب والتي تمنع البوليس من التدخل اذا ما عقد الاجتماع في مكان مستأجر باسم شخص اجنبي (٢) .

وفي ٣ يناير اصدرت اللجنة المركزية نداء الى الراى العام العالمي ارسلت صورا تلغرافية منه الى الاحزاب الشيوعية بالخارج والى النواب الشيوعيين في البرلمانات المختلفة جاء فيه :

« تقيم بعض الجماعات الرجعية في مصر اجتماعات ينازلون فيها الشعب المصرى العداء جهرة تحت حماية البوليس . وصحفهم تسيء للبلد في الداخل والخارج بما ينفثون من سموم بدون مراقبة ولا ازعاج .

ويعلن الحزب الشيوعي المصرى عن عقد مؤتمر له من بين أعضائه يومى ٦ و ٧ يناير ١٩٢٣ فتعلنه الوزارة المصرية بالتعطيل وتتحداه فتمنع محاضراته الاسبوعية وتحرمه من لسان يعبر عن آمال الشعب المصرى المغلوب على أمره . ففى أى زمن نحن ؟ وهل نحن حقا مستقلون ؟ وهل هذه ثمرة الاستقلال المزعوم ؟ .

فالى الشعوب الاوروبية نشهدها على مهزلة الاستقلال ونجار اليها من المظالم الاستعمارية التى لن يصبر المصريون على تحملها طويلا »(٣) .

ويتضح من هذه الرسالة ان المسألة لم تكن مجرد منع عقد المؤتمر ، بل ان البوليس قد منع ايضا المحاضرات الاسبوعية بدار الحزب .

وقرر الحزب ان يتوجه اعضاء المؤتمر الى مقر الاجتماع ولا يتفرقون الا اذا فرقهم البوليس بالقوة .

---

(١) الاهـــرام ١٩٢٣/١/٤

(٢) عبد العظيم رمضان ـ المرجع السابق ـ ص ٥٣٦ .

(٣) الاهـــرام ١٩٢٣/١/٥ .

وفى الموعد المحدد للاجتماع حاصرت قوات البوليس مكان الاجتماع ومنعت أعضاء المؤتمر بالقوة من دخوله .. واكتفى الحزب بالاحتجاج على هذا المنع ..

لكن هذه المسرحية لم تكن الا ستارا أخفى الحزب خلفه انعقاد مؤتمره سرا ، وان كان قد اكتفى بأن حضره عدد محدود من الاعضاء . وقد أقر المؤتمر الاجراءات التنفيذية التى اتخذت (١) ، كما يبدو أيضا أن هذا المؤتمر قد وافق على مشروع البرنامج الجديد .

[illegible]

---

(١) عبد العظيم رمضان ـ ص ٥٣٦ ، رؤوف عباس ـ ص ٢٤٤ . وشهادة روزنتال ـ بالملاحق .

موجة من النشاط العام

وبرغم هذه الظروف المعقدة فان الحزب قد مارس ابتداء من أول عام ١٩٢٣ نشاطا ملحوظا وواسع النطاق فى مختلف المجالات وفى مختلف الاتجاهات .

فاصدر الحزب برنامجه ــ الذى سبقت الاشارة اليه ــ وكان بغير شك برنامجا ممتازا يعبر عن المتطلبات الحقيقية للمجتمع المصرى ، وكان نموذجا للموقف الطبقى الواضح فى اظهار الفهم السليم للقضية الوطنية فى بلد مستعمر .

ويكفى للحكم على هذا البرنامج أن نورد هنا فقرة من حيثيات الحكم الصادر ضد قادة الحزب فى عام ١٩٢٤ .

ففى هذه الحيثيات تحاول هيئة المحكمة أن تتحدث عن هذا البرنامج فتقول « وحيث أنهم ابتدأوا هذا البرنامج بأمور تتعطش الى كثير منها نفس كل مصرى وتود تحقيقها ليجعلوا هذا البرنامج نافذا الى العقول » (١) .

كذلك تبنى الحزب فى برنامجه وخطوطه العامة سياسة سليمة تجاه القوى الوطنية الاخرى ، فدعا الى « تنظيم جبهة متحدة من العناصر الاشد تطرفا والموثوق بها فى الحركة الوطنية مع احتفاظ الحزب الشيوعى بشعاره ومبادئه » وضمن برنامجه نقاطا هامة يمكن للقوى الوطنية أن تلتف حولها وهى :

* العمل على تحرير مصر والسودان تحريرا تاما خاليا من كل شائبة وربط الشعبين أحدهما بالآخر لينتفعا معا ويتمكنا من استثمار ثروتهما الطبيعية وتعميم نفعها فى البلدين ، ويتعاونا على شن الغارة على مغتصبيها سواء كانوا وطنيين او اجانب .

* الغاء الدين العمومى الذى تستعمله القوة الاستعمارية لاستعباد الشعب المصرى استعبادا اقتصاديا .

(١) راجع حيثيات الحكم الصادر عن محكمة جنايات الاسكندرية فى الملاحق .

* الغاء الامتيازات الاجنبية .

* المطالبة بحرية الاجتماعات والمطبوعات والخطابة والافراج عن المسجونين السياسيين .

وهى جميعا مطالب وطنية وقومية يمكنها أن تمنح الحزب مكانا وسط القوى الوطنية التى كانت تغلى بالغضب من تهادن القيادات والزعامات مع الاستعمار .

ونود هنا أن نلاحظ ان هذه المطالب لم ترد فى البرنامج الذى أورده شهدى عطيه والذى قلنا فى فصل سابق أننا نعتقد انه البرنامج الذى أصدره الحزب عقب مؤتمره الثانى فى أوائل عام ١٩٢٣ .

وانما وردت ضمن حيثيات الحكم السابق الاشارة اليه مع تأكيد من هيئة المحكمة بأن هذه المواد كانت ضمن البرنامج المطبوع الذى أصدره الحزب فى كتيب مع الشروط الواحد وعشرين للدولية الثالثة .

لكن ذلك لا يشكك فى صحة البرنامج الذى أورده شهدى ، فان معظم نقاط هذا البرنامج مشار اليها وواردة بنفس العبارات فى حيثيات الحكم .

كذلك نلاحظ ان لاكور فى كتابه « الشيوعية والقومية فى الشرق الاوسط » لم يورد هذه المطالب أيضا وان كان قد أشار الى مطلب لم يرد عند شهدى وورد فى الحيثيات ، وهو الغاء الامتيازات الاجنبية (١) .

ونحن نعتقد أن ما أوردته المحكمة فى حيثياتها منقول من الديباجة الطويلة التى اتفق الجميع على أنها كانت تتصدر البرنامج .. بينما اكتفى شهدى بنقل مواد البرنامج ذاته .

كذلك فان الحزب قد إهتم بتثقيف أعضائه وبدأت حملة لترجمة عديد من الكتب الى اللغة العربية ، كذلك وزعت مطبوعات باللغات الاجنبية على الأعضاء الاجانب .

---

(١) ص ٣٠٤ - وان كان لاكور قد أخطأ فى فهم موقف الحزب من قضية السودان فقال ان الحزب كان مثل غيره يطالب بالوحدة مع السودان . لكن العبارات الواردة فى الحيثيات وهى بغير شك تتمتع بدقة الاحكام القضائية تؤكد أن الحزب قد اتخذ موقفا يطالب بربط الشعبين احداهما بالآخر لينتفعا معا » .

وتقول الحيثيات انهم « كانوا ينشرون بعض الكتب والرسائل الموضوعة فى هذا المذهب مترجمة وغير مترجمة ، وان المتهم الاول محمود حسينى العرابى ترجم الى العربية كتاب بوخارين أحد زعماء الحركة الشيوعية وكان يوزع على أفراد الشعب » .

كذلك يقرر بعض الاعضاء أنهم كانوا يتلقون مطبوعات عديدة وكتبا للينين مترجمة الى العربية (١) .

ويرد فى الحيثيات أيضا ما يوحى بان الحزب قد بدأ حملة من الدعاية النشطة لترويج أفكاره ..

« فالمتهم الثالث صفوان ابو الفتح ، وهو مدرس فى احدى المدارس كان يملى على تلاميذه بعض الامالى « المواضيع » التى يحبذ فيها الشيوعية . والمتهم الحادى عشر عبد الحفيظ عوض كان يطرق الشيوعية على ملأ من طلاب المعهد الدينى بطنطا وفى منزل أحد وجهائها ويزعم انها موافقة للدين الاسلامى » .

وقد حرص الحزب على ان يعلن رأية فى كل مناسبة عامة .. وفور صدور دستور ١٩٢٣ اجتمعت اللجنة المركزية للحزب فى ٢٨ ابريل واصدرت بيانا وقعه « صفوان أبو الفتح » والقائم باعمال السكرتير العام هاجم فيه الدستور هجوما شديدا .

وعندما تولى سعد زغلول رئاسة الوزارة وجه اليه الحزب « خطابا مفتوحا » تولى الحزب طبعه وتوزيعه .. وقد طالبه فيه « بالاعتراف بنقابات العمال والفلاحين وبحقها فى الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية » وطالبه بالعمل أيضا على حل مشاكل العمال العاطلين « وبانشاء مكاتب لاحصاء العمال العاطلين » كذلك طالبه « بتكليف لجان الوفد المركزية فى كل أنحاء القطر بأن تقوم بتنظيم فقراء الفلاحين فى نقابات ترفع مستواهم اسوة باخوانهم فى أنحاء العالم وايجاد صلة بين هذه النقابات ونقابات العمال حتى يمكن حشد القوى المصرية كلما تطلبت الحاجة .. » وأخيرا طالب حكومة سعد زغلول « بالاعتراف بحكومة السوفيات اسوة بالامم المتمدنة » (٢) .

---

(١) راجع محضر النقاش مع حافظ سند بالملاحق .
(٢) راجع الحيثيات السابق الاشارة اليها .. بالملاحق .

ولهذا الخطاب المفتوح اهمية خاصة ، فهو يوضح أن الحزب قد اتخذ موقفا صحيحا ازاء حكومة الوفد وانه سعى الى تأييدها تأييدا مشروطا بتحقيق امانى العمال والفلاحين .. بل ان الحزب قد سعى الى العمل من خلال تجمعات الوفد ذاتها بمطالبته لجان الوفد فى كل أنحاء القطر بأن تعمل على تنظيم فقراء الفلاحين ..

ولقد حاول الحزب فى خطابه المفتوح أن يقنع سعد زغلول بأهمية تعبئة قوى العمال والفلاحين وتعزيز التحالف بينهما ، حتى يمكن حشد القوى المصرية كلما تطلبت الحاجة ، موجها اليه أن الاحتلال لن يصبر على وجوده طويلا فى الحكم ، وان عليه أن يستند الى قوى الشعب كلما تطلبت الحاجة .

وقد ادركت قيادة الحزب حاجتها الشديدة الى تربية كوادر مدربة من الشباب تضطلع بالعمل الحزبى ، فقررت ارسال عشرة من الشباب الى موسكو للدراسة فى جامعة كادحى الشرق ، وبالفعل ارسل الحزب اربعة من الشبان وكان من المقرر أن تلحق بهم فتاتان احداهما من الزقازيق والاخرى من سمنود ، الامر الذى أثار جريدة الاهرام التى اعتبرت أن ارسال الفتيات الى روسيا الحمراء تطرف غير حميد ، وطالبت الحكومة بمنع الفتاتين من السفر (١) .

كذلك قررت قيادة الحزب تأسيس مدرسة للكادر فى الاسكندرية لتلقين الاعضاء مبادىء الشيوعية (٢) .

ويبدو أن مسألة ارسال شبان للدراسة بالاتحاد السوفياتى قد لقيت اهتماما كبيرا من جانب الشعب المصرى الذى كانت غالبيته محرومة من التعليم وقد أعد الحزب استمارات خاصة انهالت عليها طلبات كثيرة .

وتحفظ لنا تحقيقات قضية قادة الحزب فى ١٩٢٤ نماذج عديدة من طلبات السفر حررها على سبيل المثال سليمان مصطفى هدايت واخته ، وقد شهد سليمان هذا أمام المحكمة ، انه قرأ فى احدى الصحف أن الحزب الشيوعى المصرى يرسل بعثة للتعليم فى الخارج فقدم طلبا باسمه وطلبا باسم اخته ، فلما جاء الجواب وجد الطالب أن البعثة شيوعية فلم يوافق عليها (٢) .

---

(١) الاهـرام ١٩٢٤/١/٣١

(٢) رؤوف عباس - المرجع السابق ص ٤٥

كذلك طلب الانضمام الى البعثة محمد أفندى عوض جبريل مدير شركة التعاون التابعة لموظفى السكة الحديد والسيد العنانى التاجر بكفر الزيات الذى أرسل الى حسنى العرابى بطلب الانضمام الى البعثة المسافرة الى موسكو فجاءه رد من الشيحات ابراهيم بانه لا يمكنه الالتحاق بالبعثة الا بعد الالتحاق بالحزب وأرسل اليه استمارة عضوية . وثمة طلبات أخرى عديدة (١) .

كذلك يسعى الحزب الى توسيع نطاق دعايته مستخدما الفنون التشكيلية فطلب حسنى العرابى الى أحد الرسامين من أعضاء الحزب ، وهو حسين فوزى رسم صورتين كبيرتين ، احداهما تمثل العامل حاملا علما أحمر قاصدا وضعه فوق الشمس . والاخرى تمثل العامل يحرث وامامه صاحب العمل ممسكا بملعقة فى يده وكأنه يأكل بها رمزا على أن العامل يشتغل وصاحب المال يأكل » (٢) .

نشاط واسع وسط العمال

وقد ركز الحزب جهوده من أجل دعم مراكزه ونشط الحركة العمالية وتأسيس النقابات وتدعيم اتحـاد النقابات .. كذلك عمل الحزب على ضم عدد من القادة النقابيين الى صفوفه وتصعيدهم بسرعة الى مراكز القيـادة وعبد الحميد نره أحد قادة شركة الشرق للغزل .

وقد سيطر الحزب تماما على عديد من النقابات ، منها نقابة عمال الغاز ونقابة عمال النور ونقابة شركة ايجولين ونقابة شركة الغزل بالاسكندرية ونقابة عمال الترام ومعمل أبو شنب .

ويقول لاكور ان اتحـاد النقابات المصرى الذى تزعمه الشيوعيين قد انضم فى أواخر عام ١٩٢٢ الى الاتحاد العالمى للنقابات (٣) .

ويقول مراسل مجـلة The labour monthly ان اتحاد نقابات العمال .

---

(١) الاهـرام ٣٠/٩/١٩٢٤ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) لاكور . المرجع السابق ص ٣٦ .

الذي ظل تحت قيادة الشيوعيين حتى ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ كان في طريقه الى ان يصبح حركة جماهيرية حقا (١) .

وقد بدأ الحزب في تنظيم سلسلة من الاضرابات من أهمها اضراب عمال اضاءة مصابيح الشوارع بالاسكندرية في شهر فبراير ١٩٢٣ ، وقد نظم الاضراب عقب اجتماع لعمال الشركة حضره حسني العرابي الذى القى خطابا حماسيا • ومما تجدر ملاحظته ان العمال قد اضربوا دون انذار الشركة مسبقا •

ولم يكتف العمال بالاضراب لكنهم نظموا مجموعات من بينهم لتمنع الشركة من استخدام عمال آخرين في اضاءة مصابيح الشوارع •

وتنشر الاهرام الخبر التالي « ابلغ احمد مصطفى ان ثمانية من عمال الاضاءة العمومية المضربين عن العمل الان اعتدوا عليه في اثناء اشتغاله باضاءة المصابيح » (٢) •

وقد استمر هذا الاضراب أكثر من شهر • ونظرا ان نقابة عمال اضاءة المصابيح العمومية عضو في اتحاد النقابات العام فقد قرر الاتحاد تصعيد تأييده للعمال المضربين الى حد دعوة العمال في جميع انحاء القطر للتظاهر تأييدا لاخوانهم المضربين (٣) •

وهذه خطوة هامة بغير شك ، انها وضع لشعار وحدة الطبقة العاملة موضع التنفيذ وتشجيع للعمال في كل مكان الى التحرك مطمئنين الى تأييد الطبقة كلها •

وكان رد الحكومة على هذا الاضراب ان اصدرت قانونا يحرم على عمال الخدمات العامة الاضراب او الامتناع عن العمل (٤) •

ويحظر على العمال الاضراب قبل اخطار السلطات بخمسة عشر يوما ويعتبر الاضراب المفاجئ جريمة (٥) •

(1) The Labour Montly — May 1925

(٢) الاهرام ٢٢/٣/١٩٢٣

(٣) عبد العظيم رمضان ـ المرجع السابق ـ ص ٥٣٨

(٤) لاكور ، المرجع السابق ص ٣٦

(٥) شهدى عطية ـ المرجع السابق ـ ص ٤٥

وفى نفس الوقت بدأ الحزب بعد أن دعم مراكزه فى عديد من النقابات ـ فى شن هجوم عنيف على لجنة التوفيق : وهى لجنة حكومية تكونت فى ١٩١٩ برئاسة أجنبى ، هو الدكتور جرانفيل بهدف السعى فى الصلح بين العمال وأصحاب العمل .

وقد بدأ الحزب حملته بتوجيه « خطاب مفتوح » الى أعضاء لجنة التوفيق وقعه حسنى العرابى سكرتير الحزب وسكرتير اتحاد النقابات العام .. شن فيه حملة عليهم واتهمهم بالاستبداد والتآمر مع أصحاب الاعمال .

ونشر فؤاد الشمالى بيانا قال فيه أن لجنة التوفيق « حجر عثرة فى سبيل العمال » ، وأنها وان لم تكن لها سلطة تنفيذية الا أنها ترفع تقاريرا يتأثر بها المسئولون (١) .

وشارك روزنتال فى الحملة على لجنة التوفيق ـ رغم فصله من الحزب ـ فقال أنها لا نفع فيها ولا تأثير لها وان وجودها كما هى لا يتفق مع مصلحة العمال ، وذلك « لانها لا تملك سلطة تنفيذية ، وليست لها سلطة قانونية تشريعية ، ولان أعضاءها يعملون لصلحة الاغنياء ، وان كانوا هم أو بعضهم لا يعدون من طبقة الاغنياء الا أن مبدأهم هو مبدأ الرأسماليين » (٢) .

والحقيقة ان هذه الحملة ضد لجنة التوفيق لم تنظم مصادفة ، فهى تعبير عن رفض الحزب لاسلوب المصالحة بين العمال وأصحاب الاعمال وتعزيز للموقف الاضرابى والنضالى للطبقة العاملة ومطالبة بتعديل جذرى لاسلوب الحكومة تجاه العمال ..

وبعد أن نضجت المعركة ضد لجنة التوفيق قرر الحزب فى ١٦ مارس سنة ١٩٢٣ تنظيم مظاهرات للعمال امام منازل أعضاء لجنة التوفيق .

واستدعت سلطات الامن حسنى العرابى وطلبت منه منع المظاهرات فاعلن أن هذه المظاهرات تنظم وفقا لقرار صادر من اتحاد النقابات ، وانه شخصيا لا يستطيع الغاء هذا القرار .. وقال ان هذه المظاهرات هى مجرد تعبير عن شكوى العمال ، وليس من شانها الاخلال بالامن العام .

---

(١) الاهـرام ١٩٢٣/٣/١٧

(٢) الاهـرام ١٩٢٣/٣/١٣

... وصممت الحكومة على منع المظاهرة وفي يوم ١٨ مارس أحيط مقر اتحاد النقابات بقوات كبيرة من رجال البوليس ... وحاول العمال أن يصلوا فرادى من مختلف الاتجاهات لكن قوات البوليس منعتهم من الدخول ومن التجمع . وحدث اشتباك بين العمال والبوليس انتهى بأن ألقي القبض على أربعة من زعماء الاتحاد ، حسني العرابي وانطون مارون وحسني حسن والأمين ... وأقفل مقر الحزب ومقر اتحاد النقابات وصودر ما بهما من أوراق وأخرج البوليس من كان في المكان من العمال بالقوة وأغلق الأبواب بالشمع الأحمر ...

لكن استخدام القوة لم يكن نهاية المعركة ، بل كان بداية لتجدد نشاط النقابات في مختلف أنحاء البلاد في إرسال احتجاجات على إغلاق نادي النقابات وعلى اعتقال قادة الاتحاد ، وبرز روزنتال إلى الميدان محاولاً أن يبدو في صورة الفارس الذي يتقدم عندما يشتد الخطب ويسجن الرفاق ... وتقدم للحكومة معلنا استعداده لدفع أية كفالة تطلبها مقابل الإفراج عن الرفاق الأربعة . ورفض طلبه وتقرر تقديم الأربعة المقبوض عليهم إلى المحكمة العسكرية بتهمة مخالفة الأوامر العسكرية القاضية بمنع التظاهر والاعتداء على رجال البوليس ..(١)

.. لكن السلطات تباطأت في تقديم المعتقلين إلى المحاكمة ومضت شهور ثلاثة دون أن يقدموا للمحاكمة فأصدر الحزب بيانا إلى عمال القطر المصري ، يناشدهم فيه المطالبة بالافراج عن الرفاق وفي مايو ١٩٢٣ اجتمع اتحاد نقابات العمال بالاسكندرية وبحث أمر المعتقلين وقرر إيفاد وفد إلى النيابة للمطالبة بالافراج عنهم .

ويبدو أن الحملة كانت واسعة ومثمرة حتى أن الأهرام قد شارك فيها منددا بموقف الحكومة ومتسائلا في دهشة ، وحقا إننا لا ندري كيف تتجاهل الحكومة وجود حركة اشتراكية جادة بين ألوف العمال في مدن القطر المصري مع أن الواقف على سير الأحوال يرى أن هذه الحركة آخذة بالنمو ...

ويندد الأهرام بسياسة استخدام القوة التي تنتهجها الحكومة تجاه قادة الحركة قائلا : وغني عن البيان أن معالجة حركة العمال بالقوة لا يجدي نفعا ، بل يزيد الطين بلة فلابد من معالجتها بطريقة أخرى .. » .

(١) عبد العظيم رمضان ـ المرجع السابق ـ ص ٥٤ .

وأقترح الاهـرام بعد ذلك سن تشريعات جديدة للعمال تكفل حقوقهم (١)

لكن المعتقلين ما لبثوا أن أفرج عنهم عندما ألغيت الأحكام العرفية (٢)

ولقد رأينا كيف ان اعتقال قادة الحزب والاتحاد واغلاق داريهما لم يؤد الى تضاؤل النشاط ، بل على العكس تزايد نشاط الحزب وسط الطبقة العاملة تزايدا كبيرا . وكان عيد أول مايو مناسبة لمزيد من النشاط وبدأت النقابات المنضمة الى الاتحاد في الاستعداد للاحتفال بهذا العيد .

واصدر مجلس ادارة نقابة عمال النور نداء الى العمال جاء فيه :

« بمناسبة حلول عيد أول مايو الدولى للعمال نرفع تهانينا القلبية لجميع العمال بالاقاليم ونتمنى لنقابتنا الاستمرار والمثابرة ولعمالنا الاتحاد والتضامن ولرؤساء النقابات المعتقلين الافراج ، ولمسجوني العمال اطلاق السراح . ونرجو اعتبار هذه التهنئة خاصة لكل نقابة » .

ولسنا بحاجة الى الاشارة الى نفوذ الحزب الواضح في هذا البيان الصادر عن مجلس ادارة نقابة من أهم النقابات .

كذلك أصدر اتحاد النقابات قرارا بأن « ينقطع جميع العمال عن العمل فى أول مايو ، وأن يجتمع عمال الاسكندرية فى حديقة محمد على بالمنشية فلما نمى الخبر الى البوليس أصدر أمرا بمنع هذا الاجتماع وأبلغ الامر الى لجنة العمال » (٣)

وعندما تولى سعد زغلول الحكم بعد الانتخابات التى اجريت على أثر اعلان دستور ١٩٢٣ * بادر الحزب باصدار الخطاب المفتوح السابق الاشارة اليه ، داعيا الوفد الى الالتقاء مع الحركة الجماهيرية على أسس معقولة . غير ان سعد زغلول قد تجاهل هذه اليد التى مدها اليه الحزب .

---

(١) لاكور . المرجع السابق ص ٣٦
(٢) الاهـرام ١٩٢٣/٥/١
(٣) الاهـرام ١٩٢٣/٥/١

* لم يشترك الحزب الشيوعى فى الانتخابات رغم أن حسنى العرابى قد اعلن فى احدى خطبه فى موسكو أنهم سوف يشاركون فى الانتخابات ، وربما كان ذلك اعرابا عن موقف الحزب المعارض للدستور ، والذى اعلنه فى بيان صادر باسم صفوان أبو الفتح القائم باعمال السكرتير العام ، وربما أيضا لانه ادرك انه ما من مرشح يستطيع أن يقاوم جماهيرية مرشحى الوفد الذين يباركهم سعد زغلول .

ويبدو ان حكومة سعد زغلول كانت تتحرج من اتخاذ اى موقف جاد تجاه أصحاب رؤوس الاموال الاجانب ، فهي أول حكومة وطنية تمثل الاغلبية ، وربما خشيت من اتخاذ اي موقف حتى لا تثير مخاوف الاجانب ، لكن هذا الموقف المتهادن أدى الى نتيجة خطيرة . لقد تمادى أصحاب رؤوس الاموال في رفض مطالب العمال ، بل لقد كان وصول سعد زغلول الى الحكم ايذانا ببدء حركة هجوم مضاد شنها اصحاب المصانع لسلب ما ناله العمال من حقوق ضئيلة ، وربما كان هدف هذه الحركة احراج حكومة سعد زغلول وربما كان الهدف انتهاز فرصة الموقف المتهادن الذى يقفه سعد زغلول لدفع حركة العمال الثورية الى التراجع ، وربما كان الامران معا ، لكن النتيجة ان العمال الذين ضحوا بدمائهم في معارك طاحنة دفاعا عن سعد زغلول والذين سقطوا شهداء بالعشرات ، وهم يهتفون بحياة سعد لم يكن سهلا عليهم أن يسكتوا على محاولة انتزاع حقوقهم الضئيلة التي نالوها خلال سنوات مريرة من التضحيات .

والحقيقة ان العمال قد تعرضوا لحملة اضطهاد حقيقية . ولنتأمل بعض النماذج :

ففي نوفمبر ١٩٢٣ وبدون اى مبرر أعلنت شركة الغزل بالاسكندرية عزمها على تخفيض اجور العمال ١٠٪ فاضرب العمال عن العمل واستمر الاضراب ثلاثة اشهر متواصلة وعرض الامر على لجنة التوفيق التي حاولت ان تقنع الشركة بالتراجع عن موقفها المتعسف ، لكن الشركة صممت على موقفها .

واخيرا وافق العمال مرغمين على قبول هذا الوضع الجائر بشرط ان تتعهد الشركة بتوفير ظروف أفضل للعمل وان تمنحهم مكافآت في حالتي العجز والمرض . وانهى العمال الاضراب وعادوا الى العمل الا ان الشركة صممت على فصل خمسة من زعماء العمال بالرغم من تعهدها بعدم فصل اى من العمال المضربين .

فتفجر الموقف من جديد (١) ومما تجدر الاشارة اليه ان نقابة هذه الشركة كانت منضمة لاتحاد النقابات العام ، وكان انطون مارون مستشارها القانوني .

وثمة نموذج آخر هو مصنع ايجولين للزيت وهو مصنع كان يديره روسي ابيض هرب من روسيا عقب الثورة حيث تقدم العمال

(١) الاهرام ١٩٢٣/٥/١

ببعض المطالب فماطلت الشركة ثم اتبعت خطة فصل خمسة او عشرة عمال كل اسبوع ، ثم قررت فجاة فصل مائة عامل بحجة تقليل المصروفات ..
وكانت هذه النقابة احدى النقابات التى يتمتع فيها اتحاد النقابات بنفوذ كبير ، وكان انطون مارون مستشارها القانونى ايضا .

ويبدو انهم أحسوا ان صاحب المصنع يريد أن يستفزهم ليدفعهم دفعا الى الاضراب فاتخذوا موقفا غاية فى التساهل فاعلنوا استعدادهم اذا ما عدلت الشركة عن فصل المائة عامل ـ أن يقبضوا أجر خمسة أيام بدلا من سبعة كل اسبوع ، وبذلك يمكن للمصنع أن يوفر المبلغ المطلوب دون أن يفصل أحدا من العمال .

وهنا يبرز الموقف المتعنت بصورة لا تدع مجالا للشك ، فصاحب المصنع يصمم على فصل المائة عامل .. (١) .

وفى نفس الوقت تقدم عمال شركة الملح والصودا ، ونقابتهم أيضا احدى النقابات المنضمة للاتحاد بعدة مطالب الى الشركة ، وتلخصت مطالبهم فى زيادة الاجور وتحسين معاملة الشركة لهم وانقاص ساعات العمل وانذر العمال بالاضراب عن العمل اذا لم تجب مطالبهم خلال عشرة ايام لكن الشركة لم تجب هذه المطالب فبدأوا الاضراب فى اول مارس ١٩٢٤ وعرض الامر على لجنة التوفيق التى طلبت بدورها الى الشركة اجابة بعض المطالب وتعهدت الشركة بذلك ، لكنها ما لبثت ان فصلت ٤٠ من قادة العمال بحجة انهم عمالة زائدة ، لكنها ما لبثت أن استخدمت غيرهم باجور عالية .. فتجدد الاضراب بصورة اكثر عنفا ..

.. انها مجرد نماذج نسوقها محاولين أن ندلل على أن ثمة مؤامرة كانت تحاك لوضع العمال وجها لوجه أمام حكومة سعد ، وتضع حكومة سعد وجها لوجه امام الحزب الشيوعى . والنماذج السابقة توضح كيف أن الحزب واتحاد النقابات التابع له كانا يدركان الى حد ما ابعاد هذه المؤامرة وانهما قد حاولا تفاديها قدر الامكان باسلوب سياسى فى البداية عندما وجه الحزب خطابه المفتوح الى سعد زغلول ..

---

(١) راجع رؤوف عباس ـ ص ٢٥٣ ، عبد العظيم رمضان ـ ص ٥٤٣ ، الاهرام ١٩٢٤/٢/٢٦

ثم محاولة التساهل بدل الوصول بسياسة التساهل الى مدى بعيد لم تشهده من قبل التشكيلات النقابية المصرية .

لكن أصحاب رؤوس الاموال الاجانب تمادوا فى صلفهم وتمادت حكومة الوفد فى تهاونها معهم ، ولم تستطع أن تتصدى لتحديهم السافر لحقوق العمال ..

ولم يكن امام الحزب واتحاد النقابات سوى اللجوء الى سياسة الاضراب على نطاق واسع فى حملة اضرابية لم تشهد لها مصر مثيلا منذ الاضرابات التى صاحبت ثورة ١٩١٩ .

لكن أصحاب الاعمال اتبعوا خطة جديدة ، وهى استخدام عمال جدد .

حدث ذلك اثناء اضراب عمال شركة النور واثناء اضراب عمال مصنع ايجولين وشركة زيوت كفر الزيات وغيرها ، وهنا رفع اتحاد النقابات شعار « ايها العمال : ضعوا أيديكم على المحركات باستمرار » ومعنى هذا الشعار أن يحتفظ العمال بمواقعهم فى المصانع حتى لا تقوم الشركة باستخدام عمال جدد ، خاصة وان جيش العاطلين كان يتزايد باعداد ضخمة .

وهكذا بدأت تحت قيادة الحزب واحدة من أعتى الموجات الاضرابية التى شهدتها مصر .

فعمال شركة الغزل بعد أن أصرت الشركة على فصل زعماء نقاباتهم أعلنوا الاضراب من جديد ، لكنهم طبقوا شعار اتحاد النقابات « ضعوا أيديكم على المحركات باستمرار » .

ويصف مراسل الاهرام الاضراب فيقول « لقد احتلوا مصانع الشركة احتلالا مستمرا فكانوا يشتغلون نهارا وينامون فيه ليلا منذ ثلاثة أيام حتى لا يمكنوا الشركة من اقفال أبوابها فى وجوههم ، كما فعلت فى المرة السابقة ، ولتظل يدهم على المحركات » وهذه خطة جديدة من خطط المقاومة اهتمت لها الشركة اهتماما كبيرا لانها تغل يدها وتعرض آلاتها للعطب اذا ثار العمال عليها .. »(١) .

---

(١) الاهـــرام ١٩٢٤/٢/٢٥

اما عمال شركة ايجولين للزيت فقد وضعوا نفس الشعار موضع التطبيق ، وتقول الاهرام ان الصمال « احتلوا المصنع منذ قيامهم بالمطالبة بما يزعمون انه حق لهم وانقسموا الى فريقين يتناوبان الاحتلال بمعنى ان تظل فرقة منهم فى المصنع وتخرج الفرقة الاخرى للاكل والشرب والراحة والمطالبة » (١) ·

وكذلك فان عمال شركة الملح والصودا قرروا احتلال المصنع وتوجهوا الى مقر المصنع ، لكن قوات البوليس كانت قد سبقتهم اليه ومنعتهم بالقوة من الدخول ··

كذلك فان نقابة معمل ابو شنب للزيت والصابون بالاسكندرية ، وهى احدى النقابات المنضمة لاتحاد النقابات ومستشارها ايضا هو انطون مارون تقدمت بعديد من المطالب من بينها تخفيض ساعات العمل ، زيادة الاجور ، وصرف اعانات للعاجزين والمرضى من العمال ، لكن صاحب العمل رفض هذه المطالب ··

ويصف الاهرام الواقعة فيقول : « ذهب عمال معمل الخواجة ابى شنب اليوم الى المحافظة طالبين النظر فى مسألتهم فابلغهم وكيل المحافظة ان وزارة الداخلية امرت باحالة هذه المسألة الى لجنة التوفيق ، وكان الاستاذ انطون مارون يتكلم باسمهم فتبرم من هذه الاحالة واعلن انسحابه من الدفاع عن العمال · عندئذ ذهب العمال الى محل عملهم بقصد احتلاله حتى لا تذهب قوة الاضراب من ايديهم ، ودخلوه عنوة بالرغم من تدخل البوليس فى الامر ·

وقد تصادم الفريقان فجرح من البوليس شرطيان واصيب بعض العمال اصابات خفيفة وقد دخل ٢٥٠ من العمال الى محل العمل ، اما اصحاب العمل فيرفضون البحث فى امر عمالهم تحت تهديد الاضراب » (١)

وامتدت موجة الاضرابات لتشمل عمال تفتيش خلق الجمل التابع لشركة البحيرة ، وقد استمر الاضراب ستة اسابيع (٢) وعمال شركة زيت ناكوم وعمال شركة زيوت كفر الزيات وعمال شركة النور وشركة ميتو للاعلان وترام القاهرة وشركة هليوبوليس وتليفونات القاهرة وعمال المخابز (٣) ·

---

(١) الاهرام ٤/٣/١٩٢٤ ·

(٢) راجع محضر النقاش مع عبد الرحمن فضل وفيه يوضح ان نقابة هذا التفتيش كانت تحت قيادة الشيوعيين ·

(٣) رؤوف عباس — المرجع السابق ، ص ٢٥٥ ·

وامتلأت شوارع القاهرة والاسكندرية بمظاهرات العمال المطالبين بحقوقهم .. كذلك امتلأت بمظاهرات العمال العاطلين الذين تجمعوا فى ظل هذه الموجة مطالبين بالخبز أو العمل .

تقول الاهــرام « نهض اليوم نحو ١٧٠ عاملا من البرشمجية العاطلين فى الثغر وقدموا عريضة الى السلطة المحلية وبيانا الى الرأى العــام والصحف يبسطون فيه حالهم » (١) .

وقد هزت هذه الموجة الاضرابية العمالية أركان الحكومة ، وشعر سعد زغلول أن هيبة حكومته تضعف وأن جماهيريتها تهتز ، وأن استمرار الاضرابات والمظاهرات العمالية يفقد حكومته صفة الشعبية ، ولا شك فى أنه قد تعرض لضغط كبير من أصحاب الاعمال الاجانب ومن سلطات الاحتلال التى قيل أنها هددت بارسال قوات انجليزية لحفظ النظــام طالمــا أن الحكومة الوطنية عاجزة عن ذلك ..

وتعالت الصيحات تحذر من الخطر البلشفى الذى يحيق بالبلاد ، وفسر احتلال العمال للمصانع بانه تنفيذ لخطط بلشفى بالاستيلاء على المصــانع ونقل ملكيتها الى العمال .

وقيل أن العمال قد رفعوا أعلاما حمراء على المصــانع وأنهم أقاموا فيها سوفييتات (٢) ..

وتسهم الاهــرام فى حملة التخويف فتعلن « انفجرت الحركة الاشتراكية الملقحة بالشيوعية فى هذين اليومين فى الاسكندرية انفجارا قويا حمل الحكومة على المبادرة الى معالجتها والاستعداد لقمعها بالقوة المسلحة اذا قضت الحال » وتمضى الاهــرام قائلة « اننا نرجو أن تتخذ وزارة الشعب التدابير اللازمة لمنع تكرار ذلك ، وأن تقضى على المذهب الشيوعى قبل استفحاله .. ان للعمال حقوقا يجب أن تصان ، ولكن لهذه الحقوق حدودا يجب الا تتجاوزها واذا كانت الصحافة قد عطفت عليهم ، فانه لا يسعها اليوم الا أن تحذرهم من عواقب الميل الى الشيوعية والتشيع بالمبادىء المتطرفة » (٣) .

---

(١) الاهــرام ١٩٢٤/٣/٤

(٢) والغالب أن هذه الواقعة غير صحيحة رغم ترددها بكثرة بدليل أن أحدا من شهود الاثبات لم يوردها اثنــاء محــاكمة مارون وزملائه بالرغم من ايرادهم لكافة تفاصيل حوادث الاضراب . راجع الاهرام ١٩٢٤/٩/٢٩

(٣) الاهــرام ١٩٢٤/٣/٢٥

ثم هى تحمل الحزب الشيوعى المصرى مسئولية هذه الحركة كاملة فتقول « تنسب الحكومة حركة العمال القائمة فى الاسكندرية الان والتى بدأت فى ٢٣ فبراير الماضى .. الى تحريض الحزب الشيوعى المصرى ودعاته فى الاسكندرية وقد قررت بمناسبة ذلك أن تجتث هذه الحركة من أصولها للمحافظة على النظم الاجتماعية المحلية » (١) .

وأوفدت الحكومة على جمال الدين باشا وكيل وزارة الداخلية الى الاسكندرية مزودا بسلطات كبيرة لقمع حركة الاضراب بالقوة .. « ووضعت تحت تصرفه قوة من الجند أرسلتها خصيصا الى الثغر من القاهرة » (٢) .

ونزل سعد زغلول الى الميدان بثقله الجماهيرى الكبير وبدأ يتدخل بنفسه موجها رسائل باسمه الى العمال المضربين .. وعندما قرر عمال ترام القاهرة الاضراب أرسل اليهم سعد رسالة ينصحهم فيها بالعدول عن الاضراب ، ورد عليه العمال بالرسالة التالية :

« لقد قابلنا نصيحتكم بالطاعة والامتثال واستأنفنا أشغالنا اليوم راجين النظر فى أمرنا داعين لدولتكم بطول البقاء حتى تنقذونا من الجور النازل بنا » (٣) .

كما وجه سعد زغلول أيضا رسالة الى عمال معمل « أبو شنب » توجه بها رجال المحافظة الى العمال المعتصمين معلنين أن لديهم رسالة شخصية من صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول تقول :

« انكم ان احترمتم ملكية الغير ، وخرجتم من مكان الشركة طوعا فانكم تعاملون معاملة المخلصين للقانون والوطن . وان أبيتم الا احتلال ملك الغير اغتصابا فانكم تعاملون معاملة الغاصبين الخارجين على القانون » (٤) .

ويلاحظ أن سعد زغلول كان هو أيضا يعتبر احتلال العمال للمصانع « اغتصابا لملكية الغير » وتطوع مدبر مصنع ايجولين ، وهو كما قلنا روسى هارب من الثورة البلشفية ليعلن أن ما شاهده من أحداث « مشابه لما كان يراه فى روسيا من هذا القبيل فى ثورة ١٩١٧ وقد كان أيامها أيضا مديرا لمصنع » (٥) .

---

(١) الاهرام ١٩٢٤/٣/٤
(٢) الاهرام ١٩٢٤/٣/٢٥
(٣) الاهرام ١٩٢٤/٢/١٩
(٤) الاهرام ١٩٢٤/٣/٥
(٥) الاهرام ١٩٢٤/٩/٢٩

ويلاحظ أن النائب العام قد سأل روزنتال أثناء استجوابه « ألا تعد حركة احتلال المصانع كبدء لتنفيذ الفكرة الشيوعية ؟ فرد روزنتال قائلا : إن الحكومة تخلط بين الاضراب مع البقاء في محل العمل وبين نزع الملكية لأن العمال إذا احتلوا المصنع لا يطالبون بالاستيلاء عليه وانما لأنهم رأوا في ذلك أفضل وسيلة للتعجيل بحل المشكل والوصول الى اتفاق بينهم وبين أصحاب العمل » (١) .

ويبدو أن قادة الحزب قد شعروا بسحب الخطر تتجمع وأن ثمة مؤامرة تعد لتوجيه ضربة اليه فبدأ الحزب تنفيذ خطة للتراجع .

ويشير الاهرام « ويظهر مما علمنا إن سعادة علي جمال الدين باشا تمكن من إقناع مستشار النقابة الاستاذ مارون بوجوب اخلاء معمل الزيت عاجلا وقد ذهب المستشار المذكور وضابط ومفتش البوليس لمقابلة العمال وحملهم المستشار على العدول عن الخطة الاحتلالية التي اتبعوها ، والمفهوم أنهم قبلوا النصيحة » (٢) .

لكن المؤامرة كانت قد احكمت أطرافها وصدرت الأوامر باعتقال قادة الحزب وأغلاق دوره في جميع انحاء البلاد (٣) .

الاتجـاه نحو الفلاحين :

وفي بلد كمصر حيث الغالبية الساحقة من السكان فلاحون فإن المسألة الزراعية لابد وأن تحظى باهتمام الحزب ، بل ولابد لها وأن تفرض نفسها فرضا عليه ..

وإذا كان الحزب خلال الفترة الأولى لعمله قد أهمل ذكر المسألة الزراعية في برنامجه الصادر في ١٩ اغسطس ١٩٢١ فلا شك أن لذلك ظروفا موضوعية أهمها صعوبة المسألة وحاجتها الى دراسة متأنية ودقيقة ، وكذلك فإن توازنات القوى بين الاطراف المختلفة التي أصدرت البرنامج قد أدت في هذا الظرف المبكر الى خلو البرنامج من أية اشارات طبقية حاسمة .

---

(١) راجع شهادة روزنتال بالملاحق . (٣)

(٢) ١٩٢٤/٣/٢٥ ـ وكان لمارون نفوذ كبير وسط العمال بحيث يقول انجرام احد كبار رجال البوليس في شهادته أمام المحكمة « إن العمال كانوا يعملون بنصائح الاستاذ مارون ورفاقه . وانه لم يكن سهلا على البوليس اخراج العمال من المصنع . ولكن اخراجهم كان من أيسر الأمور على الاستاذ مارون ، كما ان كلمة واحدة كانت تكفي لانهاء احتلال العمال للمصنع » ـ الاهـرام ١٩٢٤/٩/٢٩ (٥)

لكن فهم الحزب وادراكه للمسالة الزراعية قد نما نموا سريعا وما لبث ان أصدر فى ١٩٢٣ برنامجا فلاحيا كاملا ...

ولقد قيل الكثير حول هذا البرنامج ...

قيل ان الحزب قد وضعه كتنفيذ لشرط ملزم صادر من الكومنترن .

ولقد ردد الكثيرون هذا القول دون ترو نقلا عن روزنتال الذى قال فى شهادته امام النائب العام « ولما عاد حسنى العرابى من روسيا ابلغنا ان اللجنة المركزية للدولية الشيوعية الثالثة اشترطت لقبول حزبنا كفرع للدولية الثالثة ثلاثة شروط وهى :

أولا : فصلى من الحزب

ثانيا : تغيير اسم الحزب من اشتراكى إلى شيوعى

ثالثا : أعداد برنامج للفلاحين »

ونقلا عن روزنتال ترددت هذه الشروط دون فحص دقيق ، وقد رددها عبد العظيم رمضان (١) ورؤوف عباس (٢) وترتب على ذلك بعض التحليلات التى تتهم الحزب بالانعزال عن الفلاحين وعدم ادراكه لأهمية المسالة الفلاحية (٣) .

لكننا نلاحظ ما يلى :

أولا : أن الحزب قد بدأ الاهتمام بمشاكل الفلاحين قبل سفر العرابى الى موسكو وقد بدأ فعلا فى الاتجاه الى الريف ومحاولة اقامة مراكز له فى المدن الريفية منذ أواخر ١٩٢١ وطوال ١٩٢٢ . ونلاحظ ان الحزب قد أصدر قبل عودة حسنى العرابى من موسكو نداءه الموجه الى العمال اليدويين والذهنيين فى العالم وفى هذا النداء ناشد الحزب المثقفين الاتجاه الى الريف ليخلقوا جبهة سياسية واقتصادية موحدة يمكنها ان تجابه نفوذ البرجوازية .

ثانيا : ان الوثيقة الرسمية التى أعدتها لجنة المسالة المصرية والتى تقدمها الرفيق كاتاياما الى المؤتمر الرابع للدولية الشيوعية تحدد شروط قبول الحزب المصرى عضوا فى الدولية بشروط ثلاثة .. ليس من بينها وضع برنامج للفلاحين ..

---

(١) المرجع السابق ــ ص ٥٣٣ .

(٢) المرجع السابق ــ ص ٢٤٢ .

(٣) من بين الذين رددوا ذلك مارسيل تشيريزى (اسرائيل) ــ المرجع السابق .

وعلى أية حال فان هذه المسألة فرعية ، وقد اهتممنا بتوضيحها تصحيحا للوقائع التاريخية وتحقيقا لها فقط .

لكن المهم هو أن الحزب قد انطلق للعمل وسط الفلاحين مستندا الى قواعده فى المدن الريفية .

يقول « التعيد الصنبرى » وهو أحد أعضاء شعبة الحزب فى المنصورة « لقد استمرت شعبة المنصورة فى العمل حتى أصبحت البلد قلعة للاشتراكية »(١)

ويقول حافظ سند مؤسس شعبة المنصورة « لقد حاولنا مد نشاطنا للريف ولتحقيق ذلك ضممنا إلى صفوفنا عددا من المهندسين الزراعيين واتصلنا ببعض الفلاحين فى عدد من المراكز وعندما وجهت الدولة الضربة كنا قد نجحنا فى اقامة مراكز قوية فى الريف »(٢)

كذلك فان الحزب قد امتد نشاطه إلى قرى الصعيد ، وينشر الاهرام « امتد نشاط الحزب إلى الصعيد حيث قبض على أشخاص من ناحية بلصفورة من أعمال مركز أبى قرقاص وضبطت لديهم أوراق تتعلق بالشيوعية » (٣) .

كذلك تنشر الاهرام محذرة من نشاط الحزب الشيوعي المصرى فى الريف « ان هؤلاء الشيوعيين ـ ودعاتهم يؤلفون لجانهم لهذا الغرض ـ وهو تنظيم عمال المقاولات وتطهير الترع والاعمال الزراعية والمزارع ـ ويقولون أن اتباعهم فى الريف تجاوز مائتين ، وان هذا العدد بازدياد »(٤)

كذلك فان الحزب قد أدرك من الناحية النظرية الدور الاساسى الذى يمكن للفلاحين أن يلعبوه فى بلد زراعى كمصر . وهكذا رفع الحزب لاول مرة فى مصر شعار « التحالف بين العمال والفلاحين .. »(٥) .

وعندما وجه الحزب خطابه المفتوح إلى سعد زغلول أبرز الاهتمام بالعمل فى الريف والاهتمام بتنظيم الفلاحين فى نقابات وايجاد صلة

---

(١) راجع محضر النقاش معه بالملاحق .

(٢) راجع محضر النقاش معه بالملاحق .

(٣) الأهرام ٧/٧/١٩٢٤ .

(٤) الأهرام ٢٧/٢/١٩٢٤ .

(٥) لاكور . المرجع السابق ـ ص ٣٤ .

بين هذه النقابات ونقابات العمال حتى يمكن حشد القوى المصرية كلما تطلبت الحاجة ...

كذلك فان برنامج الحزب الشيوعي المصري المعلن في اوائل ١٩٢٣ يعكس وعيا تاما بالقضايا النظرية التي تحيط بالقضية الزراعية في بلد مستعمر والتي تستهدف حشد الفلاحين كجيش للثورة المعادية للاستعمار وكجزء من الجبهة الوطنية العامة ، وفي نفس الوقت فان هذا الحشد لا يمكن أن يتم الا على أساس مطالب طبقية محددة تستهدف تصفية الاقطاع المتحالف مع الاستعمار .

وتشتمل مواد البرنامج الخاص بالفلاحين (١) :

١ ـ تنظيم فقراء الفلاحين في نقابات وايجاد الصلات بينها وبين نقابات العمال مع العمل على ربطها باتحادات الفلاحين الدولية .

٢ ـ الغاء نظام ملكية العزب التي لا تختلف كثيراً عن نظام الاقطاعيات

٣ ـ الغاء ديون الفلاحين الذين يملكون أقل من ثلاثين فدانا .

٤ ـ اعفاء الفلاحين الذين يملكون أقل من عشرة أفدنة من الضرائب .

٥ ـ وضع ضرائب على مياه الري للذين يملكون أكثر من ١٠ فدان .

٦ ـ انشاء مصارف تعاونية لصغار الفلاحين .

كذلك فان البرنامج العام قد طالب « بتمثيل العمال وفقراء الفلاحين تمثيلا صحيحا في البرلمان » .

ويبدو أن شهدي عطية قد اكتفى ـ كما لاحظنا من قبل ـ بنقل بنود البرنامج دون ايراد المقدمة .

---

(١) ترد في حيثيات الحكم الصادر في ٦/١٠/١٩٢٤ ضد قادة الحزب عبارة تقول « والحقوا بهذا البرنامج برنامجا آخر اسموه برنامج الفلاحين » ، وهي عبارة توحي بأن الحزب قد أعد برنامجا خاصا ومنفصلا للفلاحين . كذلك شهد عبد الرازق حسين مساعد ، وهو مقاول في بورسعيد أمام نفس المحكمة ـ بأنه طلب برنامج الحزب فأرسل اليه في فبراير مطبوع يحتوي على شروط الدولية الثالثة وبرنامج الفلاحين (الأهرام ٣٠/٩/١٩٢٤) وعلى أية حال فان البرنامج الذي نشره شهدي عطية يورد البنود الخاصة بالفلاحين في فصل مستقل تحت عنوان ـ رابعا .

ومع ذلك فان المحكمة التى حاكمت قادة الحزب تورد فى حيثيات حكمها عبارات هامة قد يكون مفيدا أن نعتبرها مكملة لهذا البرنامج، فهى تقول ان المتهمين قد وضعوا برنامجا للفلاحين « أتو فى مقدمته ـ وهذا دليل على انه كانت هناك مقدمة تفصيلية للبنود التى أوردها شهدى ـ بما يولد الشحناء والبغضاء فى قلوب الفلاحين على أصحاب الأملاك ووضعوا لهم من القواعد ما يخلب ألبابهم ويحسن لهم الثورة مثل [illegible]

ثم تورد المحكمة معظم البنود التى أوردها شهدى ، لكنها تضيف بنودا أخرى ـ ذات أهمية كبيرة هى « مصادرة جميع الأراضى المملوكة للأفراد والتى تزيد عن مائة فدان دون تعويض وتوزيع ما يزيد عنها على الفلاحين الذين لا ملك لهم أو استثماره لتدشين مزارع الشعب وتنظيم مجالس سوفياتية لفقراء الفلاحين »(١) .

واذا كنا سنعتبر حيثيات حكم كهذا وثيقة ذات حجية تاريخية فاننا يمكننا اعتبار ان هذه المطالب بالرغم من عدم ورودها فى البنود التى أوردها شهدى مكملة للبرنامج أو مقدمة له .

والآن سنحاول أن نستخلص من هذا البرنامج المفهوم النظرى للحزب حول المشكلة الزراعية فى مصر .

١ ـ نلاحظ أن الضربة توجه أساسا لتصفية كبار الملاك المتحالفين مع الاستعمار (مصادرة ما يزيد عن ١٠٠ فدان بدون تعويض وحتى يتم ذلك فانه يتعين فرض ضرائب على مياه الرى المنصرفة لهم والغاء نظام العزب) .

٢ ـ تحييد أغنياء الفلاحين (الغاء ديون الفلاحين الذين يملكون اقل من ثلاثين فدانا) .

٣ ـ كسب الفلاحين المتوسطين (اعفاء الفلاحين الذين يملكون اقل من عشرة أفدنة من الضرائب) .

٤ ـ حشد قوى فقراء الفلاحين وصغارهم باعتبارهم الجيش الأساسى للثورة (بالعمل على تنظيمهم فى نقابات ودعم تحالفهم مع العمال ـ وتوزيع الاراضى على الفلاحين الذين لا ملك لهم) .

---

(١) راجع الحيثيات بالملاحق .

ه ـ الاشارة الى فكرة الزراعة الاشتراكية (الجماعية) عندما قال البرنامج : توزيع ما يزيد منها على الفلاحين الذين لا ملك لهم او استعماله فى تدشين مزارع الشعب » ٠

ونلاحظ هنا ان الحزب قد اتخذ جانب الحذر الواجب والضرورى بالنسبة للفلاحين الفقراء الذين تطلعوا عبر قرون طويلة لتملك قطعية من الارض ، ولهذا فان مطالبة الحزب بمصادرة ما يزيد عن المائة فدان قد اقترنت بالمطالبة بتوزيعها على الفلاحين المعدمين مع الاشارة الى امكانية تحويلها الى مزارع للشعب .

وهذا موقف غاية فى الوعى وفى الذكاء وفى فهم عقلية الفلاح المصرى .

كذلك نلاحظ أن الحزب قد وضع بذور فكرة التعاونية فى الزراعة عندما طالب بانشاء مصارف تعاونية لصغار الفلاحين ٠٠

وبعد هذا التحليل فاننا نملك الحق فى القول بأن هذا البرنامج يعتبر دليلا على وعى تام بالموقف النظرى من المسالة الزراعية فى بلد كمصر ودليلا ايضا على فهم عميق وتحليل سليم للاوضاع الطبقية فى الريف المصرى ٠

وقد حاول لاكور أن يشكك فى قيمة هذا البرنامج (١) عندما قال ان البرنامج الزراعى للحزب كان هاما ، بالرغم من بعض الشكوك حول ان هذه المطالب قد بنيت على أساس دراسة حقيقية لواقع الفلاحين » ٠

لكن المقارنة مع الدراسات العملية الحديثة لواقع الريف المصرى ومحاولة استخلاص تجارب الواقع طوال الفترة الماضية تؤكدان لنا أن هذه المطالب والتحديدات الطبقية قد بنيت على أساس واقعى تماما ٠

واخيرا ٠٠

سنحاول أن نقوم نشاط الحزب وفقا للتقديرات التى أعطاها الكومنترن لعضوية عدد من الاحزاب التى كانت تعمل فى ظروف مماثلة ٠٠

---

(١) المرجع السابق ــ ص ٣٥ ٠

البلد	عدد الأعضاء فى عام ١٩٢٢	عدد الأعضاء فى عام ١٩٢٤ (١)
مصر	—	٧٠٠
فلسطين	—	[illegible]
الصين	—	[illegible]
تركيا	٣٠٠	

واذا كان الرقم الخاص بمصر يختلف عن الرقم الذى أعلنه الحزب ذلك أنه بطبيعة الحال قد خضع للتقويم الصارم والدقيق لشروط العضوية كما يحددها الكومينترن فان مقارنة هذا الرقم بأرقام العضوية فى فلسطين وفى تركيا ، بل وفى بلد كبير جدا مثل الصين تقدم لنا صورة واضحة لحقيقة دور ونشاط الحزب الشيوعى المصرى فى هذا الوقت المبكر ..

(1) International Press Correspondence 1924 No. 102

ويلاحظ أن حيثيات حكم محكمة جنايات الاسكندرية المتهم فيها أعضاء اللجنة المركزية للحزب تقول أن عضوية الحزب بلغت ١٥٠٠ عضو . راجع نص الحيثيات فى المراجع .

ثم بدأت المطاردة ..

والحقيقة أن حملة العداء لنشاط الحزب قد بدأت منذ زمن بعيد . ولقد شهدت الصفحات السابقة نماذج كثيرة من هذه الحملة ..

كذلك فإن واضعي الدستور الذي صدر في ١٩٢٣ قد حرصوا على ايراد عدد من النصوص من بينها :

م ١٥ : الصحافة حرة في حدود القانون والرقابة على الصحف محظورة وانذار الصحف أو وقفها أو الغاؤها بالطريق الادارى محظور كذلك **الا اذا كان ذلك ضروريا لوقاية النظام الاجتماعي .**

م ٢٠ : للمصريين حق الاجتماع في هدوء وسكينة غير حاملين سلاحا وليس لاحد من رجال البوليس أن يحضر اجتماعهم ولا حاجة بهم الى اشعاره ، لكن هذا الحكم لا يقيد أي منع أي تدبير يتخذ **لوقاية النظام الاجتماعي .**

وقد أضيفت عبارة « لوقاية النظام الاجتماعي » في المادتين السابقتين بناء على طلب وزارة يحيى ابراهيم التي صدر دستور ١٩٢٣ في عهدها وقد أضافت الوزارة هذه العبارة الى مشروع لجنة الدستور ووضعت مذكرة حددت على سبيل الحصر ما تقصد اليه بعبارة وقاية النظام الاجتماعي وذكرت أن المقصود هو وقايته من الدعاية البلشفية (١) .

كذلك فإن الحكومة قد أوفدت أحد كبار رجال وزارة الداخلية وهو انجرام بك الى انجلترا لدراسة طرق محاربة الشيوعية (٢) .

ولقد كان قادة الحزب يدركون أن السلطات لن تصبر على بقاء حزبهم علنيا لفترة طويلة وفي ١٨ مارس سنة ١٩٢٣ عندما اعتقل أربعة من قادة الحزب صدرت التعليمات الى جميع الفروع باحراق السجلات والأوراق

---

(١) السياسة المصرية والانقلاب الدستوري ، تأليف د . محمد حسين هيكل وعبد القادر المازني ومحمد عبد الله عنان ـ ص ٢٩ .

(٢) الأهرام ١٩٢٤/٩/٢٩ .

التى تضم أسماء أعضاء الحزب مع استمرار الفروع فى العمل علنـا(١) ٠

بل ان بعض الفروع قد اغلقت مقارها تماما وبدأت فى العمل بعيـدا عن هذه المقار ٠

فعندما توجـه البوليس لتفتيش مقر فرع المحلة الكبرى فى اوائل مارس ١٩٢٤ ، وجـد الاوراق ـ يكسوها الغبار ونسيج العنكبوت ،(٢) ٠

وذلك بالرغم من وجود نشاط حزبى مستمر بالمحلة الكبرى ٠

لكن الحزب مع ذلك استمر فى ممارسة نشاطه علنا وفى اصدار بيانات موقعة باسم قادته ، واستمرت الدار العـامة للحزب مفتوحة فى مقـر جـديد بمحرم بك بالاسكندرية ٠

وانما كان الامر مجرد استعداد لضربة متوقعة ٠

كذلك فان الحزب قد تقـدم بطلب رسمى لمحافظة الاسكندرية لعقـد مؤتمر عام له يومى ٢٣/٢٤ فبراير ١٩٢٤ ٠

ولا شك ان الحـزب قـد ادرك ان الحـاجة ماسة الى توحيـد قـواه وايديولوجيته تجـاه الموقف الجـديد ، الامر الذى يعكس لنـا ان المؤتمر الثانى الذى عقـد فى عجالة لم يكن قـد حقق كثيرا من اهدافه ٠

لكن المحافظـة ، ابلغت زعماء الحزب بعـدم السماح لهم بعقـد المؤتمر ثم عادت المحافظـة فسالت عن عدد المدعوين لحضور المؤتمر فقيل لها انه ينتظر حضور ٥٠ مندوبا من جهـات مختلفـة ، وعادت المحافظة لتؤكـد منع عقد المؤتمر فى اى يوم وفى اى مكـان ،(٣) ٠

ويلاحظ فى هذه المرة ان قادة الحـزب لم يعلنوا تصميمهم على عقـد المؤتمر رغم منع الحكومة له كما فعلوا فى المرة السابقة ، وانما اكتفوا بـأن طلبوا من المحافظة ، ان تصدر امرا كتابيا بالمنع ٠

لكن الضربة جاءت عنيفـة وسريعة بدرجة لم يكن يتوقعها احد ٠ لـ

---

(١) راجع محضر النقاش مع حافظ سند ـ الملاحق ٠
(٢) الأهـرام ٢/٣/١٩٢٤ ٠
(٣) الأهرام ٢٠/٢/١٩٢٤ ٠

فقد توجه الى الاسكندرية على جمال الدين باشا وكيل وزارة الداخلية والمستر « كين بويد » رئيس القسم الاوروبي بادارة الامن العام وقوة كبيرة من رجال البوليس . وفي الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٣ مارس تحركت ست مجموعات في وقت واحد لتفتيش منازل انطون مارون ـ حسني العرابي ـ احمد المدني ـ السيد مريدى ـ اسكندر صاده ـ صفوان ابو الفتح ، كذلك تحركت قوات اخرى لتفتيش دار الحزب بشارع عرفان باشا ودار اتحاد النقابات(١) .

ولم تكن هذه الحملة سوى اشارة البدء لحملة متصلة الحلقات شملت كل انحاء البلاد ...

ووصل الى الاسكندرية محمد باشا ابراهيم النائب العمومي ليشرف على التحقيق بنفسه ، والى الاسكندرية ايضا سيق عشرات المقبوض عليهم من مختلف بلدان القطر ـ القاهرة ـ المنصورة ـ ابو كبير ـ الزقازيق ـ طنطا ـ كفر الزيات ـ المحلة الكبرى ـ سمنود ـ العطف ـ بور سعيد ـ شبين الكوم وغيرها ..

وقد اتخذ عدد من المقبوض عليهم مواقف شجاعة ، فاعلن انطون مارون امام المحكمة « انه مستشار اتحاد النقابات ، وهو يكرس حياته لخدمة العمال ، وانه كان يدافع عن حقوق العمال كلما وقع عليهم ضيم وقد رأى وهو يخدم مصالحهم ان كثيرين منهم يعاملون كالحيوانات لان العامل يشتغل اثنتى عشرة ساعة في اليوم ويعطى اجرا ١٠ قروش يوميا ، وهذا الاجر لا يكفي للحصان علفا فكيف يكفي العامل وعائلته » .

وقال حسني العرابي « انه السكرتير العام للحزب الشيوعي المصري وان علاقة الحزب بالدولية الثالثة كانت علاقة اخوية ، وان الشيوعية المصرية كانت ترمى الى انهاض العامل واحداث تطور جديد في حالته يناسب الزمن » .

« وقال عبد الحميد تره « انه كان ينوي السفر الى روسيا طلبا للعلم لان التعليم في مصر غير ميسور الا للاغنياء وهو فقير » (٢) .

---

(١) الأهرام ١٩٢٤/٣/٤ .
(٢) الأهرام ١/يـ/١٩٢٤ .

وقال جولدنبرج سكرتير لجنة الحزب بالقاهرة انه شيوعي مجاهد يبث الدعوة الى الشيوعية بالقول والكتابة وكل وسيلة أخرى .

وبمناسبة القبض على بعض الروس تذكر الحكومة أن الحكومة السوفياتية قد تنازلت عن امتيازاتها بمصر فاعلن النائب العام « ان الروس قد فقدوا امتيازاتهم الأجنبية التي كانت لهم في عهد الحكومة القيصرية وأصبحوا خاضعين للقوانين المصرية » . كذلك تقرر نفي الأجانب الآخرين الذين لم يمكن اثبات التهمة عليهم ، ولكن عرف عنهم اعتناق الشيوعية (١) .

وتذكرت الحكومة باناكاكس وروزنتال رغم انقطاع علاقتهما بالحزب وصدر الأمر باعتقالهما (٢) ※ ، وقد حاولت الحكومة ابعاد روزنتال من البلاد وأبعدته فعلا لكنه تمكن من العودة الى مصر بعد سلسلة من المغامرات شغلت الصحف لفترة من الوقت (٣) .

كذلك امتدت الحملة التصفية مواقع الحزب وسط الطبقة العاملة وتنظيماتها النقابية .

ومنذ البداية حاولت الكوادر الحزبية في اتحاد النقابات انقاذ الاتحاد من خطر التصفية ، فعلى اثر القبض على قادة الحزب أصدر مصطفى أبو هرجة سكرتير عام الاتحاد بالنيابة بيانا قال فيه :

« ما كان اتحاد النقابات العام آلة للحزب ولا للأحزاب ولا لغيرها من الهيئات في مصر ، وانما هو هيئة وجدت لخدمة العمال » .

وقال ان البعض يتهم الاتحاد بانه ستار يعمل الحزب الشيوعي المصري من خلفه ، لكن الاتحاد ينفي ذلك والواقع ينفيه ، اذ ان اتحاد النقابات شيء قائم بذاته والحزب الشيوعي المصري شيء آخر لا تداخل ولا امتزاج بينهما والاتحاد خادم للعمال على تباين مذاهبهم السياسية ونزعاتهم الحزبية واختلاف عقائدهم الدينية .

---

(١) عبد العظيم رمضان — المرجع السابق — ص ٥٤٥ .

(٢) الأهرام ١/٩/١٩٢٤ ، ٣ — ٩ — ١٩٢٤ .

※ يروى نيقولا باباريدوتى في مذكراته — المرجع السابق — أن باناكاكس هو ومجموعة من اليونانيين قبض عليهم بطريقة غير قانونية وانه شارك أعضاء الحزب اضرابهم عن الطعام في السجن وأنه صدر ضده حكم ولكن حيثيات الحكم في القضية تخلو من اسمه الامر الذى يعنى انه قد أفرج عنه دون محاكمة .

(٣) يمكن تتبع هذا الموضوع في أعداد الأهرام ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ سبتمبر ١٩٢٤ .

وهو ينتهز هذه الفرصة ليعلن للعمال والرأى العام فى مصر والى رجال الحكومة ان حركته ليست مصطبغة بأية صبغة سياسية وان مجهوده ومرمى سهمه تكمن فى الوصول بالعمال الى مستوى اخوانهم فى الممالك الأوربية فيتمتع العمال بالحقوق الشرعية التى أقرها التشريع الوضعى والسماوى »(١).

لكن الاتحاد — رغم هذا البيان — لم يسلم من هجمات الحكومة التى سارعت بالقبض على مصطفى أبو هرجة وتقديمه للمحاكمة.

وبعد ذلك بدأت حملة تستهدف عزل النفوذ الحزبى عن الحركة النقابية وتنشر الأهرام « لقد ظهرت فى الاسكندرية فى هذين اليومين حركة مضادة للشيوعية ترمى الى تبرئة العمال من اتباع مبادئها والى ابعاد الاشتراكية المتطرفة عن القطر وأهله، وهى حركة طيبة نقابلها بمزيد من الارتياح ».

وبدأت البيانات تتوالى على صفحات الجرائد « لتعلن عن حفلات واجتماعات تقام تستهدف اعلان استنكار العمال للشيوعية وتبرئهم منها وشملت هذه الحركة عددا من النقابات، مثل نقابات عمال الصناعات اليدوية والترام والمياه وعلب الكرتون والمنجدين بالاسكندرية »(٢).

وامتلأت صفحات الجرائد أيضا بنداءات من نوع « اخوانى العمال افيقوا وانتبهوا واحذروا من تدخل الشيوعية » والتوقيع عبد العال جيسوية أحد رؤساء العمال »(٣).

كذلك بدأت محاولات لابعاد العناصر اليسارية من قيادة النقابات وتنشر الأهرام « عقدت نقابة عمال شركة ايجولين اجتماعات أمس وكان الغرض الأهم من هذا الاجتماع تنصل النقابة من سياسة الشيوعية التى كانت لجنتها الادارية السابقة تتبعها وقد حدث هذا التنصل وغيرت النقابة قانونها واختارت لها رئيسا جديدا يقودها فى طريق العمل المفيد »(٤).

لكن الخطوة الأكثر خطرا كانت القرار الذى اتخذه سعد زغلول بأن يدخل حزب الوفد ميدان العمل النقابى محاولا الاستيلاء على النفوذ فيه وعزل القيادة اليساريين بعيدا عنه.

---

(١) الأهرام ١٩٢٤/٣/١٠.
(٢) عبد العظيم رمضان — ص ٥٤٥.
(٣) الأهرام ١٩٢٤/٣/٤
(٤) الأهرام ١٩٢٤/٩/٩

ولم يكن صدفة أن يلقى القبض على قادة الحزب في ٣ مارس ١٩٢٤ بينما يعلن حزب الوفد تأسيس « النقابة العامة للعمال » في ٥ مارس ١٩٢٤ ثم تحولت هذه النقابة فيما بعد إلى اتحاد عام للعمال .

وقد بلغ من اهتمام سعد زغلول بالامر أن كلف بهذه المهمة واحداً من اكفأ قادة الوفد وأكثرهم التصاقا بشخص سعد زغلول وأحسنهم سمعة بين الجماهير هو عبد الرحمن فهمي سكرتير لجنة الوفد المركزية .

وفي ١٨ ابريل ١٩٢٤ صدرت مجلة عمالية وفدية باسم « العمال » يرأس تحريرها محمد متولي سويلم لتعلن في افتتاحية عددها الأول أن « واجب العمال أن يتضامنوا ويتآلفوا تحت لواء واحد وزعامة واحدة وأن يطرقوا باب الإصلاح بالطرق المشروعة » .

ثم هي تهاجم « من يتعجلون الامور ولا يتفقون معنا في الرأي ويحاولون الطفرة » وهي محال » ويرتكبون أعمالا مكدرة قد تضطر ولاة الامور حتى في العهد الدستوري إلى كبح جماح الخارجين على القانون والنظام » .

ثم تتوالى المقالات وكثير منها يهاجم « التطرف » و « التسرع » و « الخروج على القانون والنظام » و « المبادئ الضارة » لأن كل ذلك « غير مجد ويؤجل الخير الذي ننشده »(١) .

وفي أعداد أخرى نرى هجوما صريحا على الشيوعية عندما تنشر المجلة خبراً عن حفل نقابة عمال السجاير وقالت فيه « وفي ختام الحفل طلب رئيس الشريف من العمال أن يتبرأوا من الشيوعية فهتفوا ضدها مراراً ونادوا بحياة جلالة الملك »(٢) .

ثم يصدر الوفد مجلة عمالية أخرى اسمها « اتحاد العمال » وقد رأست تحريرها سيدة هي نجاة عبد العزيز ، وقد كانت هذه المجلة لسان حال « الاتحاد العام للعمال » وصدر عددها الأول في ٢ يونيو ١٩٢٤ .

وتوضح لنا صفحات هذه المجلة الدور الحقيقي الذي قام به الوفد وممثله عبد الرحمن فهمي وسط الحركة العمالية في ذلك الحين .

---

(١) العمال ـ العدد الأول ـ ١٩٢٤/٤/١٨ .
(٢) العمال ـ العدد الثالث ـ ١٩٢٤/٦/٣

فعندما أضرب عمال فابريقة المصرية للاسمنت ذهب اليهم محمد افندى فؤاد سكرتير النقابة العامة ، وأبلغهم نصائح الزعيم بفض الاضراب والعودة الى العمل فتقبلوا ذلك النصح الغالى بالطاعة الواجبة »(١)

وعندما أضرب عمال شركة السكر « بالمطاعنة ، انتقدهم محمد فؤاد طالبا منهم الصبر فان الله مع الصابرين ، والشعب كله ضامن الحقوق مثلهم »(٢)

والحقيقة ان عبد الرحمن فهمى قد تحول الى بوق يحمى مصالح الرأسماليين ، وكانت خطبه باستمرار تهاجم الاشتراكية وتعمل على تمييع الموقف الطبقى للعمال ... وفى خطاب له فى افتتاح فرع الاتحاد العام لنقابات العمال بالفيوم قال ان على العامل « ان يمشى تحت لواء النظام والشرائع ويجد ويجتهد لمصلحة بلاده قبل مصلحة نفسه .

.. ما هو الجاه والمال ؟ وما قيمتهما ؟ هما زائلان ... ولا يبقى الا العمل الصالح .. وان العامل الذى يطمع فيما بيد اصحاب رؤوس الاموال بلا حق انما يسعى لدمار بلاده وخراب سوقها الاقتصادى ، فانى قبلت زعامتكم لادافع عنكم وأحمى مصالحكم فلا تنتظروا منى أن أحاول الحصول لكم على أكثر من حقوقكم فانى كما أدافع عن حقوقكم أدافع عن حقوق الشركات معكم ، ولو لم تكلفنى هى بذلك لان حماية مصالحها صيانة لمصالح بلادنا التى فتحت صدرها للاجانب لتستفيد منهم ويستفيدوا منها لانهم ضيوفنا وقد اشتهرتم باكرام الضيف .

واعلموا أن هؤلاء القوم الذين يقولون ان العامل يشتغل طوال يومه وليله باجر زهيد بينما صاحب رأس المال يكدس الذهب ، انما هم قوم يفسدون العقول والعقائد »(٣)

ثم يلجأ قادة الاتحاد الى الهجوم المباشر على الشيوعية فيكتب محمد فؤاد سكرتير الاتحاد سلسلة من المقالات عن « حركة العمال فى مصر » يقول فيها :

« دفع الطيش بعض الشبان الذين لا خلاق لهم بالاسكندرية وغيرها من المدن الى اعتناق مذهب الشيوعية واحتالوا بهذا المذهب على العمال فنفثوا

---

(١) اتحاد العمال ١٩٢٤/٦/١٩ .
(٢) اتحاد العمال ١٩٢٥/٢/١٥ .
(٣) اتحاد العمال ١٩٢٤/١١/١٦ .

هذا السم ، وكان هذا الداء العضال يتفشى في هيكل الامة لولا أن قيض الله لها بعض رجال الحكم من ذوي الفطنة فاعتقلوا هؤلاء الشبان الاثمين وزجوا بهم في أعماق السجون جزاء ما قدمته أيديهم وما جنوه من الذنوب .

ثم يواصل حديثه موضحا حقيقة الدور الذي يلعبه عبد الرحمن فهمي « وقيض الله في هذا الظرف العصيب للعمال سعادة عبد الرحمن بك فهمي زعيم العمال فانتشلهم من هذه الهوة التى كادوا أن يقعوا فيها »(١)

ولم يكتف الوفد بذلك بل انه استخدم أيضا نفوذه وسط الطلبة لتهدئة العمال ومحاربة النفوذ اليسارى بينهم ففي ٢٦ مارس ١٩٢٤ « عقدت لجنة الطلبة بالاسكندرية سلسلة من الاجتماعات للنظر في مساعدة الحكومة على مواجهة حركة العمال ببث رواج السكينة فيهم لكى يكفوا عن الاضراب ويعولوا على عطف الحكومة والبرلمان »(٢)

وتجدر الاشارة هنا الى أن الوفد بعد أن استخدم هذا الاسلوب المزرى ضد العمال وضد الحزب الشيوعي ، ما لبث هو ايضا أن تلقى الضربة تلو الضربة ، وكان نصيب عبد الرحمن فهمي منها كبيرا . أما اتحاد العمال الذى أقامه الوفد فانه ما لبث أن تفرق بصورة لا يحسد عليها بعد أن أدى الدور المرسوم له .

وتمتد الحرب لتشمل كل الميادين وتجد القوى المعادية للجماهير عموما الفرصة سانحة لتحاول أن تستخدم هذه الحرب طريقا لضرب المكتسبات الديمقراطية والدستورية للشعب كله .. فتنشر جريدة المحاكم المختلطة مقالا تقول فيه : « بينما تتسلح مصر بما لديها من قوانين مكتوبة وغير مكتوبة للدفاع عن كيانها ازاء الدسائس الشيوعية قد يكون هناك بعض الفائدة من القاء نظرة الى الحرب العوان التى أعلنها الفاشست في ايطاليا على العدو المشترك .. »(٣)

إنها دعوة صريحة لاستخدام الاساليب الفاشية ضد العدو المشترك .

كذلك نظم الأهرام حملة واسعة ضد الطلبة المصريين الذين يدرسون في موسكو طالبا من النائب العام والسلطات التدخل بحزم ، حتى لا يعودوا ، « وكل منهم لينين صغير »(٤)

---

(١) اتحاد العمال ١٩٢٤/١٢/٢١ .

(٢) الأهرام ١٩٢٤/٣/٢٧ .

(٣) الأهرام ١٩٢٤/٩/٨ .

(٤) الأهرام ١٩٢٤/٣/٦ .

وقد وصل الأمر الى حد استخدام أشخاص كسلامة موسى وعبد الله عنان فى الهجوم على الحزب والتشهير بأعضائه .

ويبدو أن سلامة موسى قد خشى أن تشمله موجة الاعتقال كما شملت فى البداية أشخاصا هجروا الحزب منذ مدة مثل اسكندر عشاده والسيد عريدى وأحمد المدنى ·· فسارع الى الأهرام لينشر مقالا بعنوان « الاشتراكية والشيوعية وتاريخها فى مصر »(١) نشره الاهرام فى صفحته الاولى ، وهو مقال ملىء بالطعن فى الحزب وقادته والهجوم على الثورة والشيوعية ·· لكن أهم ما فى هذا المقال هو أن سلامة موسى حاول الى جانب اعلان براءته أن يربط نفسه بعجلة الحكومة العمالية البريطانية ملتمسا بذلك حماية لنفسه فقال « فقد كنت أنا نفسى عضوا فى الجمعية الفابية الانجليزية وعرفت من أعضائها مستر سدنى وب أحد وزراء انجلترا الآن .

كما حاول أن يخيف الحكومة ويمنعها من اعتقاله « فأنا أريد أن ألفت نظر حكومتنا الى أننا سنتفاوض مع حكومة اشتراكية مؤلفة من العمال هى حكومة رامزى مكدونالد ، وهى وان كانت لا توافق على الخطط الشيوعية فانها لا تحب وليس فى وسعها أن تنظر بعين العطف الى اضطهاد الاشتراكيين » ·

وهكذا ضمن سلامة موسى لنفسه السلامة ·· لكنه وحتى فى ظل تلك المحنة القاسية وجد من يتصدى بالرد عليه منددا بهؤلاء « الذين ينكرون اليوم بسماجة ما عبدوه بالامس »(٢) .

وكانت محكمة جنايات الاسكندرية قد نظرت فى المعارضة المقدمة من المتهمين ، وقررت الافراج عنهم مع حضورهم للمحاكمة فى جلسة شهر نوفمبر(٣) ·

لكن الحكومة لم تحتمل أن يبقى قادة الحزب طلقاء حتى نوفمبر ·· فعجلت بنظر القضية ، ذلك أن « سعادة النائب العمومى قد رأى تغيير موعد المحاكمة ، اذ يتقال أنه تقرر أن تكون محاكمتهم فى دور سبتمبر المقبل أمام محكمة الجنايات كما كان مقررا من قبل »(٤) ·

---

(١) الأهرام ١٩٢٤/٣/٨

(٢) الأهرام ١٩٢٤/٣/١٢

(٣) العمال ١٩٢٤/٨/٢٢

(٤) العمال ١٩٢٤/٨/٢٠

وقد حاول المتهمون أن يفسدوا هذه الخطة فعندما انعقدت جلسة المحكمة برئاسة أحمد طلعت باشا فى ٢٨ سبتمبر لم يحضر انطون مارون وقال الدفاع أنه مريض لا يستطيع الحضور .

فثار القاضى وأمر بالقبض على المتهمين وايداعهم السجن والقبض على مارون واحضاره (١)

وهكذا بدأت المحاكمة

ومع اشتعال حملة العداء بدأت حملات التضامن وتكونت فى عديد من البلدان جمعيات باسم « ارفعوا ايديكم عن مصر »

وفى باكو عقد مؤتمر عالمى للتضامن مع الشيوعيين المصريين حضره مندوبون من الاتحاد السوفياتى وايران وتركيا وغيرها من البلدان(٢)

واخيرا وقبل أن نطوى هذه الصفحات يتعين علينا أن نذكر أن واحدا من هؤلاء الرجال الذين تحدثنا عنهم طويلا فى هذا الفصل قد انتهت حياته بين جدران السجن مضربا عن الطعام . هذا الرجل هو انطون مارون(٣)

ويتحدث محمود حسنى العرابى عن هذا الاضراب قائلا إن الاضراب عن الطعام قد استمر ١٢٦ يوما ... وان ملك الموت قد حلق فوق رؤوسهم جميعا(٤)

كذلك يتعين علينا أن نقول أن الاحداث قد فرضت على المؤلف ألا يكتفى بكل ما سبق ، فثمة صفحات أخرى يجب أن تكتب ، فالحزب الذى صدر قرار بتصفيته والذى حوكم قادته قد واصل العمال سيره ولا بد من محاولة لتتبع هذا المسار الجديد

---

(١) الاهرام فى ٢٩/٨/١٩٢٤

(٢) International Press Correspondence pp. 1956 9-12-1924

(٣) الاهرام ١٥/٨/١٩٢٥

(٤) محمود حسنى العرابى – ٨٩ شهرا فى المنفى (د . ت) ص ٣١١



الملاحق

ملحق رقم ١

محضر نقاش مع السعيد الصبرى ※

اجرى النقاش يوم ٢٨/٥/١٩٦٩ بمدينة المنصورة

س : هل انت السعيد الصبرى الذى ورد اسمه فى جريدة الاهرام الصادرة فى ١٩٢٤/٣/١٠ ضمن المقبوض عليهم من أعضاء شعبة الحزب الشيوعى المصرى بالمنصورة ؟

ج : نعـــم ٠

س : كيف بدات علاقتك بالحزب ؟

ج : لقد بدأنا بالنشاط النقابى وأنا شخصيا كنت نشيطا فى نقابة صناع الاحذية التى تأسست فى المنصورة عام ١٩١٧ وكنت عضوا فى مجلس الادارة وكنت نشيطا غاية النشاط ٠

وكان هناك شاب من أسرة غنية هو عبد الحميد الطوبجى (١) ، وكان عائدا من انجلترا بعد أن تلقى علومه فى جامعتها ٠ وكان متأثرا جدا بفكرة الدفاع عن العمال وتنظيمهم فى نقابات وبدأ يتصل بالعمال النقابيين ويدعوهم الى الاتحاد معا ٠ وأقنعنا بالانضمام للنقابة العامة ٠٠

وبعد ذلك اتصل بى الاشتراكيون وانضممت للحزب ٠

س : من الذى اتصل بك بالتحديد ؟

ج : لا أتذكر بالضبط ربما عبد الحميد الطوبجى وربما حافظ سند ٠

س : ومن هو حافظ سند ؟

ج : هو أحد قادة شعبة المنصورة وأحد مؤسسيها وكان على ما أذكر أمينا للصندوق ، ويعمل نجارا ولا يزال حيا ومقيما بالمنصورة ٠

※ السعيد الصبرى (عمره ٧٩ سنة وقت اجراء الحوار) صانع أحذية بالمنصورة ورد اسمه ضمن قائمة المقبوض عليهم المنشورة فى جريدة الاهـــرام ١٩٢٤/٣/١٠ والذين رحلوا الى الاسكندرية للتحقيق معهم وبالبحث عن الذين وردت أسماؤهم بالقائمة تبين وفاة معظمهم ، بينما أمكن العثور على السعيد الصبرى ، وهو يتمتع بذاكرة قوية وان كان ينقصه الوضوح النظرى ٠

(١) ورد اسمه ضمن المقبوض عليهم فى الاهرام ١٩٢٤/٣/١٠ وبالبحث عنه تبين أنه توفى ٠

س : هل تعتقد أن عبد الحميد الطوبجي كان مؤسس شعبة المنصورة ؟

ج : الذى أعرفه ان الطوبجي كان يعطف على العمال ويساعدهم ويشجعهم على تاسيس النقابات لكنه لم يكن اشتراكيا بالمعنى المفهوم ٠

س : كم كان عدد اعضاء الحزب بالمنصورة ؟

ج : حوالى ٦٠ أو ٧٠ على ما أذكر ٠

س : ممن كان يتكون مجلس ادارة الشعبة ؟

ج : لا أذكر كل الاسماء كان هناك محمد أحمد عبد الجليل (١) وحافظ سند وعبد الحميد الطوبجي وشفيق باسيور ، وهو مهندس من أصل شامي وأنا وآخرون لا أذكر اسماءهم ٠

س : متى تاسست الشعبة ؟

ج : فى أواخر عام ١٩٢١ على ما أذكر ٠

س : هل كنتم تتصلون بالشعب الاخرى ؟

ج : نعم كانت هناك علاقات ، لكن علاقتنا الاساسية كانت بقيادة الحزب فى الاسكندرية ٠ فمثلا كان فى سمنود شعبة قوية جدا ٠٠ وكذلك فى المحلة والزقازيق لكننى لم أكن مختصا بمثل هذه العلاقات ٠

س : ما هو نوع العلاقة مع القيادة بالاسكندرية ؟

ج : كانوا يراقبون النشاط ويرسلون لنا معلومات كثيرة ، أذكر منها كتبا للبنين وكتبا أخرى ونشرات وكان يحضر من الاسكندرية بعض المسئولين منهم شخص شامى لا أذكر اسمه والشيخ صفوان أبو الفتح ومصطفى أبو فرجه ٠

س : هل كنتم تدرسون الاشتراكية ؟

ج : كنا نعتمد أساسا على المطبوعات التى تصل من الاسكندرية ، وكان عبد الحميد الطوبجي يلقى علينا محاضرات ٠

س : ما هى نسبة العمال فى الشعبة ؟

ج : كانت الاغلبية من العمال ٠

---

(١) نشر الاهرام ١٩٢٤/٣/٦ رسالة موقعة منه يحتج على تفتيش منزله وينفى عن نفسه تهمة البلشفية ٠

س : هل كان معكم اجانب ؟

ج : لا • لان ذلك كان سيضر بالحركة ، لكن كانت هناك مجموعات إشتراكية وسط الارمن واليونانيين وقد اتصلوا بنا وشجعونا وساعدونا كثيرا •

س : هل كانت فى المنصورة شعبة للحزب الديمقراطى ؟

ج : كانت هناك شعبة لكن معظم أعضائها كانوا من أبناء الاسر الغنية والمحامين ولم يكن بها عمال مطلقا •

س : هل سمعتم بالانقسام الذى حدث فى الحزب بعد اعلان انضمامه للكومنترن ؟

ج : سمعنا ان حسنى العرابى سافر الى موسكو والقى خطابا وقال فيه : أتمنى أن ترفرف قريبا الراية الحمراء فوق الاهرامات • لكننا لم نتتبع الخلاف بالتفصيل ، وعموما لم يكن الاتصال بالقيادة يتم عن طريقى ، وكان المسئول عن الاتصال بشعبتنا الشيخ صفوان ومصطفى أبو رعرجة وهما من مؤيدى الانضمام للكومنترن •

س : وأنت ماذا كان موقفك ؟

ج : أنا كانت معلوماتى عن الاشتراكية قليلة لكن كان عندى احساس ان اعلان بلشفية الحزب خطأ وبعد مناقشات لم أعارض •

س : وماذا حدث بالنسبة للشعب الاخرى ؟

ج : الذى أعرفه ان شعبة سمنود استمرت فى النشاط حتى أصبحت البلدة قلعة للاشتراكية ، أما شعبة المحلة فقد قال أعضاؤها فى التحقيق عند القبض علينا سنة ١٩٢٤ ان البوليس عندما فتش الشعبة وجد الاوراق والمكاتب يكسوها التراب مما يوحى بأن نشاطها كان قد توقف بعد اعلان ضم الحزب للكومنترن •

س : ما هى اوجه نشاطكم ؟

ج : كان هدفنا جذب أكبر عدد ممكن من العمال ، وقد نشطنا نشاطا واسعا فى النقابات ، وحولنا دار الحزب الى ناد للعمال وكان الكثيرون يترددون عليه • كذلك افتتحنا مدرسة ليلية مجانية لتعليم العمال القراءة

والكتابة ، وقد تطوع للتدريس فيها مجانا بعض المدرسين من أعضاء الحزب منهم الاستاذ القناوى الخولى وكان مدرسا أوليا (١)

كذلك فتحنا فصلا لتعليم اللغة الفرنسية مقابل ٢٥ قرشا شهريا ، وكان يتولى التدريس فيه أحد أصدقاء الحزب ، وهو موظف سابق بالمحاكم المختلطة محال الى المعاش .

كذلك قررنا أن تكون دار الحزب ملكا للعمال يقيمون فيها مآتمهم وأفراحهم مجانا ، وأيضا قمنا بتكوين فرقة موسيقى من أبناء العمال واشترينا لهم الآلات وعلمناهم على استعمالها ، وكانت هذه الفرقة تعزف فى أفراح العمال مجانا .

لكن أهم مشروعاتنا هى اننا أنشأنا جمعية للاسعاف ، لان المنصورة لم يكن بها جمعية اسعاف ، وقد جعلنا من دار الحزب مقرا للجمعية وتدرب عدد من أعضاء الحزب على الاسعافات وتطوعوا لخدمة الجمهور مجانا . وقد ساعدنا فى هذا المشروع حسن عوضين ، وهو ابن واحد من اغنياء المنصورة وكان متحمسا لفكرة تاسيس جمعية اسعاف ؛ لكنه لم يجد سوانا للمشاركة فى تنفيذ المشروع .

س : هل اطلعت على مجلة الشبيبة ؟

ج : نعم ولكن لم يصلنا منها سوى عدد واحد فقط ثم توقفت .

س : هل كانت لكم جماهيرية حقيقية بالمدينة ؟

ج : طبعا وقد أصبحت الشعبة محط أنظار العمال فعلا واتسع النشاط الى حد انه عندما رشح الوفد كامل يوسف صالح لعضوية المجلس البلدى اتصل بنا طالبا تاييدنا ، وقد أيدنا قائمة مرشحى الوفد ، ولم نرشح سوى شخص واحد هو سعد عثمان نور ، وقد نجح أيضا فى الانتخابات ولكى تعرف مدى تاثيرنا فى هذه الانتخابات يكفى أن أقول أن المجلس البلدى قد قرر فى اجتماعه الاول اعفاء دار حزبنا من دفع قيمة استهلاك المياه والنور واعتبارها دارا ذات نشاط اجتماعى مفيد .

لكن يجب أن تضع فى الاعتبار أن اغلبية الجمهور كانت وفدية ، وكان من الصعب اقناع الناس بالوقوف بعيدا عن الوفد .

وقد سبق القبض علينا حملة شديدة شنتها علينا جريدة كانت تصدر بالمنصورة اسمها « الدلتا » وكانت جريدة لا تتدخل فى السياسة ، فهى

---

(١) اشار حسنى العرابى فى أحد بياناته الى هذه المدرسة ـ الاهرام ١٩٢٢/٧/٢٩

مخصصة فى الابياس لنشر اعلانات الحاكم ، وفجأة بدأت تشن علينا هجوما شديدا وبدأت تتحدث عن النشاط الشيوعى الخطر بالمنصورة وتذكر أسماءنا وتحرض علينا الحكومة .

س : ماذا كان موقفكم فى التحقيق ؟

ج : لم يقبض علينا جميعا ، وانما قبض على البعض وتسارع عدد قليل الى نفى صلته بالحزب حتى لا يقبض عليه وممن نفوا صلتهم بالحزب محمد أحمد عبد الجليل ، اما نحن المقبوض علينا فقد اتخذنا موقفا موحدا وهو إعلان اننا نثق فى زعامة سعد زغلول وأننا لا نريد قلب الحكومة كذلك حاولنا شرح أفكارنا الاشتراكية .

س : وماذا فعلتم بعد هذه الضربة ؟

ج : لقد أغلق البوليس دار الحزب واستولى على دفاتر العضوية وتعقب الاعضاء يرهبهم ويضطهدهم ، والحقيقة اننا تفككنا وفقدنا صلتنا بالقيادة واقترح علينا عبد الحميد الطويجى أن نؤسس حزبا عماليا نسميه حزب العمال بالمنصورة دون أن نعلن عن أية أهداف اشتراكية ، فوافقنا ولم تتعرض لنا السلطات واستمر الحزب فى العمل لفترة لكننا كنا قد فقدنا التوجيه والحماس وسرعان ما توقف هذا الحزب عن العمل .

ملحق رقم ٢

محضر نقاش مع حافظ سند✽

أجرى النقاش فى مدينة المنصورة يوم ١٩٦٩/٥/٢٩

س : كيف انضممت الى الحزب الاشتراكى المصرى ؟

ج : كان ذلك فى أواخر عام ١٩٢١ وبالتحديد فى بداية نفى سعد زغلول الى سيشل (١) وأنا أذكر هذا تماما ، وكنت قد سافرت الى الاسكندرية لاشترى أخشابا لمجلس الذيرية لاننى كنت أعمل به . وفى أثناء تشيرى بالطريق قام شخص بتوزيع نشرة على مقابل خمسة مليمات وكانت النشرة صادرة عن الحزب الاشتراكى المصرى ، وبها عنوان دار الحزب بشارع نوبار بالاسكندرية ، وأعجبت جدا بالأهداف والآراء التى تضمنتها النشرة فتوجهت الى هذه الدار ، وهناك قابلت اسكندر ضادة وآخرين غيره ، وبعد نقاش حول أهداف الحزب اتفقت معهم على أن أفتتح شعبة بالمنصورة وأعطونى كمية من الكتب والنشرات .

والحقيقة ان هذه المقابلة قد اثرت فى جدا فقد كان قادة الحزب أناسا نشطاء وعماليين حقا .

س : هل افهم من ذلك انك مؤسس شعبة المنصورة ؟

ج : هذا صحيح ولو اننى لا أريد أن أتحدث كثيرا عن نفسى .

س : كيف تأسست الشعبة ؟

ج : اتصلت بعدد كبير من الاشخاص أذكر منهم محمود قفه (تاجر نحاس) وعبد الحميد الطوبجى والشيخ أحمد المواق ومحمد عبد الجليل والسعيد الصبرى .. وجمعت تبرعات من الكثيرين واستأجرنا دارا للحزب بميدان الطميهى وافتتحنا الدار فى حفل كبير ، وأذكر اننا طبعنا ٣٠٠ تذكرة دعوة وان الكثيرين حضروا حفل الافتتاح .

س : هل كان لك نشاط سابق على عملك فى شعبة الحزب الاشتراكى ؟

ج : كنت قبل زيارتى للاسكندرية عضوا فى جمعية الاستقامة وهى جمعية دينية وان كان عملها الاتشاسى محو الامية بين العمال .

✽ ورد اسم سند خلال النقاش مع السعيد الصبرى وذكر انه كان أمين صندوق شعبة المنصورة ، وهو نجار يبلغ من السن ٩٠ سنة وتم اجراء الحوار ومحدث لبق ثقافته واسعة ويغلب عليها الطابع الإسلامى ، وهو يؤكد باستمرار وفى حماس دافق أنه ماركسى ، وذاكرته قوية .

(١) نفى سعد زغلول الى سيشل فى ديسمبر ١٩٢١ .

س : كم بلغ عدد اعضاء الشعبة ؟

ج : كانوا كثيرين .. ربما اكثر من مائتين .

س : السعيد الصبرى يقول انهم كانوا ستين فقط ؟

ج : هذا غير صحيح ، والسعيد صبرى لم يكن يعرف العدد الحقيقى لكننى متذكر تماما ان دفتر العضوية كان قد امتلأ تماما وارسلنا الى الإسكندرية نطلب دفترا جديدا .

س : هل تتذكر أسماء أعضاء مجلس ادارة الشعبة ؟

ج : اللجنة الادارية كان عددها عشرة ، اذكر منهم :

شفيق باسيلى ـ (مهندس معمارى) وقد عمل لفترة كسكرتير للشعبة

احمد طرابية ـ مقاول .

عبد الحميد الطوبجى ـ خريج جامعة أوكسفورد من الاعيان .

محمد احمد عبد الجليل ـ موظف حسابات بالبلدية .

الشيخ احمد المواق ـ مدرس لغة عربية بمدرسة الفرير .

السعيد الصبرى ـ عامل .

وأنــــا ..

وقد تعمدت وفقا لتعليمات القيادة فى الاسكندرية أن يكون تشــكيل اللجنة الادارية ممثلا للفئات المختلفة .

س : اسم الشيخ مواق يلفت النظر فهل كان لديكم رجال دين آخرين ؟

ج : كان لدينا سبعة من رجال الدين وقد افادونا كثيرا جــــدا وكان الشيخ المواق يلقى فى دار الحزب مواعظ وخطبا تلقى استحسانا كبيرا .

س : من كان يحضر اليكم من الاسكندرية ؟

ج : كان يحضر مندوبون من القيادة بالاسكندرية لمناقشة نشــاطنا واذكر منهم اسكندر صادق والشيخ صفوان ابو الفتح . وكان يصلنا من الاسكندرية باستمرار مطبوعات وكتيبات ومنشورات ، واذكر انه وصـــلتنا كتبا للينين باللغة العربية .

س : هل كانت لكم علاقة بالشعب الاخرى ؟

ج : كانت هناك شعب نشطة بسمنود والمحلة وقد قمت بزيارة شعبة سمنود وتناقشت مع قادتها حول أساليب عملهم .

س : الم تحاولوا مد نشاطكم الى الريف ؟

ج : طبعا حاولنا ولتحقيق ذلك ضممنا الى صفوفنا عددا من المهندسين الزراعيين واتصلنا ببعض الفلاحين فى عدد من المراكز وعندما وجهت الينا الضربة كنا على وشك تاسيس شعبة بالشنبلاوين وشعبة بالمنزلة وتاسيس مثــل هاتين الشعبتين كان كفيلا باقامة اتصال مباشر بالفلاحين .

والحقيقة أن نشاط شعبتنا لم يستمر الا عامين فقط ، ولو تمكنا من الاستمرار لفترة أطول لكنا قد نجحنا فى اقامة مراكز قوية فى الريف ٠

س : هل كنتم مستعدين لمواجهة حملات الحكومة ضدكم ؟

ج : نحن كنا فى بداية نشاطنا ولم تتح لنا فرصة كافية للعمل وتربية الاعضاء تربية حقيقية حتى نحن لم نكن قد أصبحنا بعد كوادر حقيقية رغم اننا كنا نشيطين جدا ٠

وفور عملية القبض الاولى على قادة الحزب (١) صدرت تعليمات بحرق دفاتر العضوية حتى لا يحصل عليها البوليس ، ولكن نشاطنا ظل علنيا ٠٠٠

س : لماذا لم يقبض عليك ؟

ج : الحقيقة انهم مارسوا ضدى ضغطا شديدا جدا وأنا كنت أعمل فى مجلس المديرية وهددونى بالفصل وتشريد أولادى وأخيرا خضعت للضغط وكتبت استقالة من الحزب ما زلت اذكرها بالنص ٠

وهى « بما ان العمال فى مصر بين قوات ثلاث : الاستعمار الظالم والحكومة التى تربت فى أحضانه والقابضون على زمام الاموال ، فان على العمال أن يكتفوا بحزب عمالى وأن يبتعدوا عن الشيوعية والاباحية » ٠٠

وطبعا هذه الصيغة لم تعجب مدير الدقهلية لكننى رفضت تعديلها ٠٠

س : وهل اكتفت السلطة بهذه الاستقالة ؟

ج : اكتفت بها البداية لكنها عمدت بعد ذلك الى تشريدنا جميعا فأنا وكثيرون فصلنا من العمل ومحمد عبد الجليل فصل ثم أعيد للعمل بشرط نقله الى سوهاج فى أقاصى الصعيد ٠ وعلى العموم ظلت حملات التنكيل والاضطهاد والتفتيش تلاحقنا بشكل مستمر حتى ما بعد عام ١٩٣٠

بل ان البوليس كان يستدعى أى شخص يتصل بنا لاى سبب من الاسباب حتى ولو كان مجرد قريب أو صديق شخصى ويحذره من الاتصال بنا ٠٠

س : هل تريد أن تقول شيئا آخر ؟

ج : أريد أن أقول اننى لا ازال ماركسيا واننى حزين لاننى كتبت الاستقالة فى عام ١٩٢٤ تحت ضغط السلطات ٠

---

(١) ١٧ مارس ١٩٢٣

ملحق رقم ٣

محضر نقاش الدكتور عبد الفتاح القاضى

اجريت المناقشة بالقاهرة يوم ١٩٦٨/٩/٢١

س : كيف تأسس الحزب ؟

ج : الذى اعلمه عن حسنى العرابى انه كان يتاجر بالقطن والتقى خلال علاقاته بالتجارة بالاجانب بجندى انجليزى عضو فى حزب العمال ، واقنعه بالفكر الاشتراكى ، وبعدها التقى بسلامة موسى ومحمود عزمى وعزيز ميرهم وشيخ (نسيت اسمه) كان اماما فى مسجد برلين (واذكر ان هذا الشيخ قد ضم كثيرين من الطلبة المصريين فى المانيا الى حزب الوفد ، فهو قد قسم الجمعية المصرية فى برلين الى قسمين قسم وفدى وتركنا نحن فى الحزب الوطنى)

وبعد أن تحولت حركة ١٩١٩ الى حركة مطالبات اقتصادية وبرزت اضرابات عمال الترام وعمال النسيج تطورت المطالبة الوطنية الى حركة اقتصادية ، وفاعلية هؤلاء الاربعة مكونين الحزب الاشتراكى ، وقد بلغ الحزب من القوة .. انه اعتد بنفسه ونظم الاضرابات الشهيرة واحتل المصانع

وفى سنة ١٩٢٣ او حوالى ذلك لا اذكر بالضبط عقد مؤتمر الكومنترن فى موسكو ، وسافر حسنى العرابى لحضوره فى هذا الاجتماع صدر القرار الذى يدعو الاحزاب الاشتراكية الحقيقية الى ان تسمى نفسها بالحزب الشيوعى ، وجاء حسنى العرابى ورفع لافتة الحزب الاشتراكى ووضع مكانها لافتة الحزب الشيوعى

وطبعا بعد زغلول اصدر سنة ٢٤ قانون مكافحة الحركات الشيوعية .

واثناء زيارة حسنى العرابى لموسكو طلب منه ارسال مجموعة من العمال الشيوعيين للدراسة فارسل عددا منهم : د. حسونة طبيب اسنان ، شعبان حافظ ، عبد الرحمن فضل ومحمد عبد العزيز (الجاسوس) وكان يأتى

---

(١) الدكتور عبد الفتاح القاضى ، طبيب أطفال ، وقد اسهم فى النشاط منذ عام ١٩٣٠ واسهم فى الموجة الجديدة للنشاط بعد الاربعينات وشارك فيها مشاركة ايجابية . وهو احد النماذج الدالة على تأثير الفكر الاشتراكى الالمانى على الحركة الماركسية فى مصر .

موفدون من الكومنترن ولكن بكل اسف كان أغلبهم من اليهود .

وفى سنة ١٩٣٠ وبعد عودتى من المانيا اتصل بى عصام الدين حفنى ناصف وعرفنى بحسنى العرابى وكانت عندى ميول اشتراكية .. وكنت اتهمت بالشيوعية سنة ١٩٢٥ بسبب هذه الميول .. وفى هذه البيئة أصدرنا جريدة روح العصر .. صدر منها حوالى ٢٤ عددا وثمة نسخ منها موجوده بدار الكتب وكنا نحن الثلاثة مسئولين عنها (أنا وحسنى وعصام) وكانت تناصرها النقابات القائمة .. برغم تزعم عباس حليم للحركة النقابية وكان يرأس الوزارة اسماعيل صدقى وكانت الصحيفة علنية واشتراكية وسياسية واجتماعية .

- ولما لم يجد اسماعيل صدقى وسيلة قانونية لتعطيلها عطلها بقرار من مجلس الوزراء .

(أوقفت الجلسة الساعة السابعة وعشر دقائق بسبب اصابة الدكتور القاضى بأزمة قلبية) .

المحضر الثانى ١٩٦٨/٩/٢٣

قال الدكتور عبد الفتاح القاضى أود أن أبدأ من جديد لاننى تذكرت بعض المعلومات الهامة :

الحقيقة أن أول حركة اشتراكية ظهرت فى مصر كانت سنة ١٩٨٤ فى الاسكندرية بنشوء نقابة الكونترجية (عمال الاحذية) وكانت مكونة من الارمن والاروام (وقد قال لى هذه المعلومات الشيوعى القديم يانا كاكس .. وكانت الحركة المصرية خ . م قد كلفتنى سنة ١٩٤٢ بكتابة تاريخ الحركة الاشتراكية فاتصلت به وأبلغنى هذه المعلومات .. وقد كتبت فعلا موجزا لهذا التاريخ وسلمته للمسئولين فى خ . م ولا أذكر اذا كان قد قال لى اذا كان هناك مصريون فى هذه النقابة أم لا) .

وانا أريد أن أربط بين ذلك النشاط وبين بداية نشاط لينين فى روسيا فى ذلك الحين .. أريد أن أربط بين هذه الحركة فى مصر .. وبين الحركة فى روسيا ..

صحيح لم يكن هناك روابط مباشرة ، لكن أريد أن الاحظ أيضا أن تولستوى عندما مات سنة ١٩٠٦ رثاه شوقى رغم أن شوقى كانت ثقافته فرنسية وانه كان شاعرا رجعيا .. ان من يرثى تولستوى لا بد أن يكون قد اطلع على بعض تراثه الفكرى ثم لماذا لا نربط بين ثورة الفلاحين الروس ١٩٠٥ وثورة الفلاحين المصريين فى دنشواى ١٩٠٦

بعد ذلك كانت الخطوة الاشتراكية الثانية خطوة عمر لطفي على أساس الدعوة داخل الحزب الوطني .. عمر لطفي كان يمثل الجناح اليساري في الحزب الوطني .

أدرك هذا الجناح أن الاعتماد على طلبة المدارس العليا لا يكفي .. ولهذا بدئ الاهتمام بالعمال والنقابات .. ولم يكن من الممكن أن يتم ذلك بمعزل عن الحركة الاشتراكية الديمقراطية العالمية .. فمصطفى كامل ومحمد فريد كانا يسافران الى الخارج ويتصلان بالحركة الاشتراكية الاوربية وخاصة محمد فريد .

كذلك ثورة أكتوبر ١٩١٧ أثرت علينا في ثورة ١٩١٩ ولا ننس أن مبادئ حق تقرير المصير التي رددها لينين .. أخذها ولسون ليرددها في مؤتمر باريس .. ليكسب الشعوب الى صف الراسمالية ..

بعد ذلك أريد أن انتقل الى موضوع الجلسة السابقة .

أريد أولا أن أحاول تقويم حسني العرابي .. هو رجل كويس .. هو دوره كدور بليخانوف لم يكتف بممارسة دراسة الماركسية على يد الجندي الانجليزي .. وانما حاول أن يكون نفسه نظريا .. وترجم كتاب رامزي ماكدونالد عن الاشتراكية لكن حسني العرابي كان قلبه طيبا ويخدع بسهولة .. وكان لا يحسن اختيار الاشخاص وخاصة الذين أرسلهم الى موسكو للدراسة فقد أرسل مثلا محمد عبد العزيز وهو الذي اختياره .. وأنا قرأت مذكرات محمد عبد العزيز عند محام اسمه حنفي عبود .. كل مذكراته خيانة حتى وهو في الاتحاد السوفيتي .. فعندما كان في روسيا كان يخون .. وهو يذكر ذلك صراحة في مذكراته .. وكانت مكتوبة بخط اليد في حوالي خمس كراسات وعندما كان في روسيا أرسل مثلا الى مسلمي الاتحاد السوفيتي لاقناعهم بالاشتراكية .. فكان يحرضهم ضد النظام الاشتراكي وأورد في مذكراته أيضا سلسلة خياناته وتسليمه لكل المندوبين الذين أتوا الى مصر .

وقد اختار أيضا حسونة وهو شخص نشيط .. وينجز أعمالا كثيرة وقد عمل معنا كثيرا في الاربعينات في الطبع السري .. لكنه كان ماديا .. من نوع الثلاث ورقات وكان أحسن من اختار شعبان حافظ وعبد الرحمن فضل .. ولكن فضل لعبي .. وشعبان حافظ كان أحسنهم وكان عنوانا صحيحا جدا للعامل المصري .

وقد استفاد جيدا من مدرسة الكادر في الاتحاد السوفيتي .. وبرزت كفاءته في العمل السري وفي تكوين الخلايا وفي الاتصالات في العمل الجماهيري وفي كل المجالات .

أما أنا فأنا كنت أدرس فى ألمانيا وكنت قد قررت أن أقلل من اتصالى بالمصريين حتى أتعلم الالمانية بسرعة .. وجاء حظى أثناء دراستى لكورس اللغة الالمانية قبل بدء الدراسة الجامعية فى يناير ١٩٢٠ مع عدد من البلقانيين .. وخاصة البلغار منهم .. مثلا الزميلة بزبوفا وكنا نذاكر سويا وفى الكلية استمرت المذاكرة سويا ، وخاصة مادة التشريح لانهم يعرفون اللاتينى أكثر منى . وبوبوفا والبلغار الاخرون عرفونى بجماعة من الروس منهم لاديفسكى .. كانوا فى كلية أخرى وأنا كنت فى ذلك العهد وطنيا متطرفا .. وكل همى هو أن أطعن فى الانجليز ولن كنت تسيطر على فكرة الطبقات وكنت متدينا أيضا فكانت تنشب مناقشات حادة حول الفكرة الماركسية وحول تأييد نضال الطبقة العاملة العالمية .. وأنا كنت خالى البال تماما عن فكرة الاممية ، كنت وطنيا أؤمن بمصطفى كامل ومحمد فريد .. لم أكن أحب الوفد لانه يسعى للمفاوضة والمفاوضة تؤدى الى التسليم ..

ومع مضى الوقت ابتدأت هذه الافكار تختمر فى عقلى ، واقتربت من الاشتراكية أكثر فأكثر عن طريق الادب ..

فى شتاء ١٩٢٣ انتقلت الى جامعة فرايبورج – لا أذكر أن ذلك كان فى شتاء ١٩٢١ .. وهناك تعرفت بممثلة قديمة اسمها « فراو هيلدا بانداكا » جعلتنى أهتم بالادب ، وكانت تقيم ندوة أدبية فعرفتنى بادب ابسن ومكسيم جوركى وجيرك هوفمان وأناتول فرانس . وهكذا اتجهت الى الادب ..

وعن طريق القصص الاشتراكية ابتدأت أقتنع بالاشتراكية ، وبعد ذلك بدأت الاطلاع على النظرية الاشتراكية وساعدنى على ذلك اننى درست فى الجامعة كورس اقتصاد ، وكان أستاذ الاقتصاد فى جامعة فرايبورج له كتاب هام اسمه الراسمالية والاشتراكية والفوضوية .
وقرأت هذا الكتاب ..

المهم اننى أصبحت اشتراكيا فكرا ، لكن لم يكن لى نشاط وعندما رجعت الى برلين سنة ١٩٢٣ لأكمل دراستى اتهمتنى القنصلية المصرية بأننى لى علاقة متطرفة مع ذوى المبادىء الهدامة ، ولم يكن هذا صحيحا فأنا لم اقابل المصريين كثيرا الا أنى استمررت عضوا فى لجنة الحزب الوطنى الى أن عدت سنة ١٩٢٥ الى مصر .. ومن ١٩٢٥ حتى ١٩٣٠ لم تكن لى علاقة بالحزب ..

وعملت كطبيب أطفال وأحسست بحقيقة الفقر وبشاعته ، كنت أقول للأم اشترى دواء لطفلك او غذاء لطفلك وأشعر أنها لا تملك قرشا ، اقتنعت أنه لا فائدة من الطب ولا فائدة من أى مجهود يبذل الا اذا تغير المجتمع ،

وهنا يمكن أن تكون هناك جدوى من أى عمل وادركت أن الواجب الاساسى للانتخابات هو العمل لبناء الاشتراكية ...

ولذلك عندما اتصل بى عصام الدين حفنى ناصف وعرفنى بحسينى العرابى وعرضا على فكرة اصدار جريدة اشتراكية سياسية أسبوعية صادف ذلك هوى فى نفسى وجعلت عيادتى بشارع محمد على بعد اجزاخانة راتب ـ والبيت موجود حتى الان ـ دارا للجريدة ، والقيت اليها بكل ما أملك من نقود ، وكذلك حسينى العرابى أما عصام فقد بذل معنا لفترة ثم توقف كان معنا أنا وحسينى العرابى إلا نعطى لاسماعيل صدقى حجة قانونية لاغلاقها كان هدفنا أن تستمر المجلة أطول مدة ممكنة ، أما عصام فقد كان متطرفا وكان رأيه أن نهاجم ونستفز اسماعيل صدقى ...

وعن طريق المجلة التفت حولنا عدة نقابات وما زلت أذكر بالخير عددا من النقابيين الشيوعيين مثل سيد قنديل ... وهو مكافح نقابى ممتاز كان يحمل الجريدة على كتفه ليوزعها ... وشخصا آخر اسمه محمد ... لا اذكر بقية اسمه .

... كنا نعتمد على توزيع الجريدة باليد وبسط النقابات ، وكان ياتينا العمال لتوزيع الجريدة باليد ، لان متعهد الجرائد « النهلوى » كان يأخذ المجلات ولا يوزعها بايعاز من البوليس السياسى ، والحقيقة أن هذه الجريدة كانت مدرسة .

... واول عمل قمنا به ترجمنا العمل المأجور ورأس المال ، أنا ترجمته وكنا نقسم العمل كالاتى حسنى عرابى يكتب الافتتاحية ، وأنا أكتب مقالا صغيرا وأترجم على قدر طاقتى ـ ترجمت المذاهب الاشتراكية من سان سيمون حتى ماركس . ترجمنا لمكسيم جوركى قصصا ايطالية ، وقصصا لجاك لندن وأصدرنا عددا خاصا عن كارل ماركس فى صدره صورة لماركس وكان يمدنا بالكتب الاشتراكية مجانا شخص شيوعى مجرى لا أذكر اسمه كان يعمل فى المكتبة الالمانية وكانت مكان مكتبة النهضة ...

س : هل كانت لكم خلايا حزبية ؟

ج : لم تكن لنا علاقة بخلايا حزبية فحسينى العرابى كان خارجا من السجن . واكتفينا بالعمل العلنى ، وكانت الحركة النقابية يقودها فى ذلك الحين الأمير عباس حليم بمساعدة الانتهازى أحمد اسماعيل أخو محمد اسماعيل الذى قتل السردار ، وعندما اغلقت المجلة كانت الحسنة التى قدمها عصام ناصف انه ذهب الى دار الكتب واودع هناك خمس نسخ منها .

س : متى بدأت العمل الحزبى ؟

ج : لم نبدأ عملا حزبيا ، ولما أغلق إسماعيل صدقى المجلة ، كنا فى الحقيقة أفلسنا ، أنا أفلست وحسنى العرابى أفلس ، حتى اننى اضطررت الى الاقتراض لاسافر للخارج ، وبعد اغلاق المجلة ظل البوليس يطارد حسنى العرابى ويستجوب كل شخص يقابله حتى اضطر الى الهجرة من مصر ، وبعد عودتى من العلاج بالخارج لم أجد حسنى العرابى ، ولم يكن عندنا تنظيم ، فلم أجد من أتصل به ، وكنت مفلسا ومدينا فتوظفت فى شبين القناطر واستمررت فى العمل فى العيادة ـ دون نشاط سياسى الى أن أصدر حسنى العرابى كتاب ٨ سنوات فى المنفى وأنا كتبت المقدمة للكتاب معتقدا أن حسنى العرابى هو رجلنا الذى استمر كما كنا معا ، وقد عاد حسنى العرابى بواسطة حسن نشأت باشا سنة ١٩٣٨ أو ١٩٣٩ لا أذكر ⁕

وبعد عودته رحبنا به وحاولنا اقامة علاقة معه ، وبدأنا حركة جديدة لاصدار جرائد مستعملين ترخيص جريدة من الجرائد الخاملة ، لا أذكر اسمها ، وكنا كلما أصدرنا عدة أعداد أغلقت بواسطة السلطات وكانت الخطة تقريبا مثل خطة روح العصر ، وحول هذه الجرائد تكون تنظيم وكان معنا العرابى وضممنا أيضا عبد الفتاح الشرقاوى وعبد المغنى سعيد ٠

عبد المغنى سعيد والشرقاوى كانا يكونان جناحا يمينيا يؤمن بالماركسية دون الفكر المادى والشرقاوى ضم الشيخ سعاد جلال ٠٠ واستمر التنظيم فى العمل ٠٠ وعبد الرحمن فضل اتصل بنا فى هذا الوقت ٠٠

س : كيف التقيتم بالحركة الجديدة ح ٠ م ٠ ؟

ج : فى البدء استمررنا فى العمل فى التنظيم الخاخل لذى لا ينظم دراسات جدية ولا عملا جديا ٠٠

س : هل التنظيم جمع بقايا الحزب القديم ؟

ج : لا ٠ كانت خطتنا البحث عن عناصر جديدة وظل التنظيم مخلخلا حتى هاجمت ألمانيا الاتحاد السوفيتى وزارنى حسنى العرابى وطلب منى عقد اجتماع ، وكنا فى ذلك الحين نصدر جريدة (لا أذكر إسمها) وكنا نعلن على صفحات جريدتنا اننا محايدون ، وفى الاجتماع طلب حسنى العرابى مؤازرة ألمانيا ، وقلت له هل نحن اشتراكيون أم نازيون قال ان الالمان اشتراكيون أيضا ، قلت له اقرأ كتاب كفاحى واقرأ فيه الهجوم على الاشتراكية ، والحقيقة

⁕ الاسم الحقيقى للكتاب ٨٩ شهرا فى المنفى ٠

اننى دهشت من موقف حسنى العرابى هذا واقترحت تأييد الحلفاء ، وتحت ستار تأييد الحلفاء نؤيد الاتحاد السوفيتى وجمعنا المجموعة وانقسمنا ، بلديات حسنى العرابى من المحلة والمناطق المجاورة لها انضموا اليه والقسم الاخر أنا وعبد الفتاح الشرقاوى والآخرون استمرينا فى العمل ٠٠ (عبد المغنى سعيد كان مترددا) .

وذات يوم عند عودتى الى منزلى اذا بأحمد اسماعيل جالس فى مطعم يونيون ومعه عسكرى انجليزى ، وناداني وقدمه لى ، وكان اسمه سام باردل ، وكان قد تزوج فتاة يهودية اسمها جورجيت على ما اذكر (١) كانت تعمل فى مكتبة الميدان .

وقدمه لى كعضو فى الحزب الشيوعى الانجليزى وبعد حديث طويل سالنى سام لماذا تعملون متفرقين وأبلغنى أن هناك مجموعة أخرى وتعرفت بكوربيل .

وابتدأنا العمل مع كوربيل فى تنظيم ح ٠ م .

(١) اسمها الحقيقى هنريت آربيه وكانت تعمل فى مكتبة الميدان التى أسسها هنرى كوريل وكانت هى وسام عضوين فى ح ٠ م ٠ أما سام باردل فهو فى الاصل عضو فى الحزب الشيوعى الانجليزى وصل الى مصر جنديا فى الجيش البريطانى أثناء الحرب العالمية الثانية ٠ وبعد الحرب عاد الى انجلترا للعمل فى مكتب المستعمرات بالحزب ٠

ملحق رقم ٤

محضر النقاش الاول مع عصام الدين حفنى ناصف

أجريت المناقشة بالقاهرة يوم ١٩٦٨/٩/٣٠

س : ما هى معلوماتك عن نشأة الحزب القديم ؟

ج : سنة ١٩١٩ خلال الثورة بدأت فكرة تكوين أحزاب عديدة ، ونشأ الحزب الديمقراطى (عزيز ميرهم) ·· وفى الاسكندرية تاسس حزب اشتراكى كان فيه عبد الله عنان وكان حسنى العرابى يتزعم مجموعة وقد اتجهت مجموعة حسنى العرابى لتكوين حزب شيوعى ، وحدث انقسام فى الحزب ··

وكانت مجموعة حسنى العرابى تميل الى الفوزات المتسرعة فمثلا سنة ١٩٢٣ احتل العمال أحد فابريقات الزيت بايعاز من الشيوعيين ·· وكان هذا عملا متسرعا ، وسعد زغلول أرسل أورطتين من الجيش واستخدم العنف ضدهم وصدر قانون ضد الشيوعيين أظن ثروت باشا هو الذى أصدره وحوكم قادة الحزب وفقا لهذا القانون وحكم عليهم بثلاث سنوات وزعيمهم أنطون مارون مات فى السجن مضربا عن الطعام ··

وبعد ذلك أصبحت الحركة غير شرعية وكان باستمرار هناك مسجونون شيوعيون وحدثت عدة مرات محاولات لاحياء الحزب واحدى هذه المرات قام بها شخص اسمه العربى ، وهو شخص حكم عليه فى قضية محاولة اغتيال كتشنر وحكم عليه بالسجن ١٥ سنة وأفرج عنه عند وصول سعد زغلول للحكم ، وبعد الافراج عنه انضم الى مجموعة من الشيوعيين كان معظمهم صحفيين وكان العربى يكتب مذكرات تفصيلية ، وقبض عليهم وضبطت هذه المذكرات التفصيلية ، ولست أدرى ان كان العربى جاسوسا أم لا ، لكن مذكراته كانت دليل ادانة ضدهم جميعا لكن العربى أفرج عنه *

حسنى العرابى كان متخرجا من سنة ثانية ثانوى وكان عنده نقص فهو معقد من المثقفين ، وكان معظم أصدقائه من انصاف المثقفين ، مثلا عندما طلب اليه ارسال ٥ اشخاص الى موسكو ارسل محمد عبد العزيز (كان ممرضا) وشخصا من الاسكندرية اسمه يحيى (تاجر بطاطين) ·· وفى الاتحاد

---

* ثبت فيما بعد أن طاهر العربى كان عميلا للأمن

السوفيتي كان محمد عبد العزيز نموذجا سيئا ، وعندما عاد واتصل مباشرة بالمباحث وعمل معها وكان يرسل معلومات للكومنترن مبالغا فيها قال لهـم مثلا ان الحزب فيه ٢٠٠٠ عضو ...

الكومنترن ارسل شخصا نمساويا اسمه فاينس في عـام ١٩٢٧ على ما أظن وعندما وصل قابله محمد عبد العزيز واستولى على نقوده وسـلمه للمباحث ...

- وأذكر أنه حدثت محاولة لاغتيال محمد عبد العزيز ، بأن طعنه شخص أمام دار الكتب برقبة زجاجة وقيل ساعتها أن الذي حاول قتله شيوعي ...

وبعد ذلك في سنة ١٩٣٠ كان لي صديق هو د. عبد الفتـاح القاضي وتعرفت بحسني العرابي ، واجتمعنا نحن الثلاثة لاصدار مجلة ..

وأنا كنت معروفا إني شيوعي ، وكذلك حسني العرابي ولا يمكن منحنا رخصة للمجلة لهذا طلبت الرخصة باسم د. عبد الفتاح القاضي ..

وكان هناك شخص اسمه الهامي كان موظفا في السكة الحـديد وفصل لانه شيوعي وعمل في المجلة كمدير للادارة ..

وتآمر ضدنا متعهد توزيع الجـرائد الفهلوي فكان يخـزن الأعـداد ولا يوزعها ، واحسسنا اننا نفلس وافلسنا فعـلا وبدلا من أن نغلق المجـلة بأيدينا هاجمتنا الحكومة بشدة وعنف فاجتمع مجلس الوزراء وأصـدر قرارا باغلاق المجـلة ..

وسافر حسني العرابي الى المـانيا لانه افلس وفي المـانيا أعجب بالحركة النازية فكان يكتب لنا مادحا في هذه الحركة ، لكنه كان يعيش هناك في حالة سيئة جدا وكان يعطي دروسا في اللغة العربية ..

وعندما أوشكت الحرب على القيام ، أدرك الانجليز أن من الخطر بقـاء حسني العرابي في المـانيا حتى لا يستخدمه النازي بوقا للدعاية للنازية .

وهكذا تدخل حشمت باشا من الانجليز لاعادته لمصر .

وعندما عاد حسني وتقابل معي ومع الدكتور القاضي حاول أن ينضم الينا وتمسك بالمظهر الشيوعي لانه أحس أن كل ما له من احترام وكرامـة في مصر كان بسبب اضطهاده بسبب شيوعيته ..

وأصدرنا جريدة أظن اسمها « الكفاح » وكانت سياسة العرابى مائعة يقول مثلا ان الفلاحين مظلومون .. لكن لا يقول ما هو الحل لانهاء الظلم أى كلام يمكن أن يستخدمه الشيوعى ويستخدمه النازى

وظل الامر كذلك حتى غزت المانيا أراضى الاتحاد السوفيتى وأنا أوعزت الى د. القاضى بضرورة اعلان الهجوم على المانيا والدفاع عن الاتحاد السوفياتى ، وعقد اجتماع لمناقشة الموقف وقال القاضى ان علينا أن نعلن دفاعنا عن الاتحاد السوفياتى فقال حسنى العرابى أنه يطلب ثلاثة أيام مهلة للتفكير . كان يأمل أن تسفر الايام الثلاثة عن نتيجة الحرب ، فلما سمع جورنج يقول ان الجيش الالمانى سيشق روسيا كما يشق السكين قالبا من الزبد خيل اليه أن الالمان هم الحصان الرابح ، واعلن رفضه لفكرة الهجوم على الالمان ، وتركنا وانضم الى مجموعة من مؤيدى الالمان وكون تنظيما بالفعل .. وكون « وزارة ظل » فى انتظار احتلال النازى لمصر .. واعدوا رايات وفصلوا قمصانا لونها بني .. وعندما انتصر الاتحاد السوفياتى حاول حسنى العرابي أن يتصل بنا من جديد فرفضنا ..

س : فى الفترة من ١٩٣٠ حتى ١٩٣٨ ألم تشكلوا تنظيما ؟

ج : لا كان مجرد عملية اصدار مجلات أساسا .

وأنا مثلا أصدرت رواية اسمها « عاصفة فوق مصر » سنة ١٩٣٩ عن نضال الفلاحين ، وفى سنة ١٩٣١ أصدرت كتابا اسمه « التجديد الاجتماعى — أبحاث فى شؤون العمال والفلاحين » وفى سنة ١٩٢٦ ترجمت لتولستوى قصة « النور يضىء فى الظلام » .. وفى سنة ١٩٣٣ اصدرت كتاب « مبادىء الاشتراكية » ..

وترجمت كتاب « حركة العمال والاشتراكية الديمقراطية » وقد ترجمته عن الالمانية وهو بقلم كامفماير .

وهذه الكتب كانت ذات تأثير لدرجة أنهم قبضوا مرة على خلية شيوعية فى المنصورة اتضح انها تقوم اساسا على دراسة هذه الكتب ..

والحقيقة انه فى فترة الحرب العالمية الثانية الانجليز تهادنوا مع الشيوعية ، وبالتالى سكتت الحكومة المصرية عنا ، فانا مثلا أصدرت عدة كتب منها : « لماذا تعنى الراسمالية الحرب » وكتاب « الاتحاد السوفياتى » ونشطت مجموعة سلامة موسى وظهر معه جماعة تحيط به مثل رمسيس يونان ، ومصطفى كامل منيب .. لكن الحركات الجديدة كانت فى الاساس من أناس جدد ..

س : مجد الدين حفنى ناصف ، ما هى علاقته بالحركة الاشتراكية ؟
ج : لا علاقة له ، لكن هو اشتراكى وزار الاتحاد السوفياتى وقابل هناك تشيشرين ، لكنه لم يعلن اشتراكيته لأسباب شخصية ولأنه لا يريد أن يدخل معركة ..

س : لكن لماذا اتهمه الوفد باليسارية ؟
ج : كنا أنا وهو أعضاء فى الحزب الوطنى وكنا نهاجم تهادن الوفد ، ومجد الدين كان سكرتير جمعية الطلبة فى باريس وكان ضد الوفد ، لكنه كان ضد الوفد لأنه من الحزب الوطنى . وأنا مثلا حضرت مؤتمر الطلبة المصريين الذين يدرسون فى أوروبا ، وكان ذلك فى سنة ١٩٢١ وفى الاجتماع هاجمت سعد زغلول وقلت له أنا أسحب الثقة منك فثار سعد وقال أنا وكيل الأمة ، ولست وكيل جمعية طلبة

س : اتهمت فى العشرينات بأنك على علاقة بعناصر إرهابية وبأنك وضعت فى سترتك شارة عليها صورة الوردانى (الذى اغتال بطرس باشا غالى) فهل كنت تؤيد الاغتيالات السياسية ؟

ج : هذا صحيح ، وأنا كنت أعتقد أنه فى ظل التخلف السياسى وضعف النشـاط الحزبى فان الاغتيالات يمكن أن تلعب دورا ثوريا فى تحريك الجمـاهير .

محضر النقاش الثانى

مع عصام الدين ناصف يوم ١٩٦٨/١٠/٢

س : هل كانت لكم صلة مباشرة بالحزب الشيوعى الألمانى ؟

ج : كنا نتعلم منه وكنا نتابع أعماله ، لكن لم تكن هناك علاقة مباشرة بالحزب .. والحقيقة أننى لم أدرك أهمية النضال العملى من أجل الاشتراكية الا بعد عودتى من ألمانيا ...

لكن الذى لا شك فيه أننا تأثرنا كثيرا بهذا الحزب وأفكاره .

وأيضا أود أن أذكر أنه كانت فى القاهرة مكتبة فى شارع عدلى اسمها المكتبة الالمانية كان يعمل فيها شخص شيوعى وكان يمدنا ببعض الكتب الاشتراكية .

س : لماذا اختلفت مع الدكتور القاضى ؟

ج : لاسباب كثيرة منها اننى لم أكن أثق فى الطبقة العاملة المصرية وكنت أطلب الاتجاه الى المثقفين ، ومع ذلك فقد قررت يوما ما الاتصال بالحركة النقابية فاتصلت بعباس حليم وأعلنت أننا يجب أن نسعى لتكوين حزب للعمال ، ولكن فشلت العملية ، وأود أن أذكر أننى تناقشت مع عباس حليم كثيرا وبالرغم من أنه كان يكره الملك الا أنه كان ضد الاشتراكية وكان يدافع عن العمال فى حدود ، وكثيرا ما قال لى لا تنس اننى نبيل .

وأنا لدى تعليق أود أن أقوله على الحركة الاشتراكية عموما .

كانت الحركة الاشتراكية فى مرحلتها الاولى التى تولى زعامتها حسنى العرابى تهدف الى الاثارة واحداث ضجيج عال يصل صداه الى موسكو تأييدا للحركة العالمية التى توجه من هناك .

ولهذا فقد جانبها التوفيق واعوزتها الفطنة عندما اصطدمت بقيادة الحركة الوطنية الاستقلالية المشهورة باسم ثورة ١٩١٩ والتى كان يضطرم بها الشعب كله . فكانت عقبى ذلك أن حملت الصحف جميعا على الشيوعية

وجعل الناس ينظرون اليهـا على انهـا موحى بها من احزاب الاقليات السياسية المعادية للوفـد ، وظلت هذه النظرة قائمة لفترة طويلة فعانت الحـركة الشيوعية من جرائهـا ، وكان دعاتها يلقون الاضطهـاد من الجـانب الحكومى والشعبى على السواء ، ولم يطلع زعماء تلك المرحلة على الشعب بأى كتاب يشرح المذهب الاشتراكى ومما أقعدهم عن ذلك أن أكثرهم كانوا ذوى ثقـافة ضحلة وعلى العكس من ذلك ، امتازت المرحلة التالية (مرحلتنا) بظهور كتب ومجلات وشعارات ودراسات اشتراكية وكان من الممكن أن يتضاعف عددها لو أنـه كان هنـالك حزب منظم يباشر الامر بطريقـة جماعية ، ويجب ألا ننسى أن اخراج الكتب كان أمرا بالغ الصعوبة للافتقـار الى المراجع وهو النقص الذى سيحته فيما بعـد مكتبة الميـدان (هنرى كورييل) ولان الوعى الطبقي كـان مفتقـدا نكيان المؤلف او المترجم يتبيل على العمل والشك يداخله هل تسمح به السلطات أم لا ، وهل سـيباع أم لا ، ومن المؤكـد انه لن يربح منه مطلقـا .

[illegible]

ملحق رقم ٦

محضر نقاش مع عبد الرحمن فضل(١)

س : متى بدأت العمل الحزبي ؟

ج : بدأ سلامة موسى بحزب اشتراكي على علاقة بحزب العمال الانجليزي ، كان هناك ثلاثة زعماء ، سلامة موسى وعبد الله عنان وثالث ٠

ثم انضم اليهم حسني العرابي ٠٠

س : ما هي معلوماتك عن حسني العرابي ؟

ج : من عائلة أرستقراطية من تجار القطن فقدت أموالها ، وكان يبحث عن عمل ، كان مثل البكوات الذين فقدوا أرضهم ويمثلون الارستقراطية التى افتقرت ، كان لبقا ومجلسه لطيف ، انضم مع سلامة موسى ، وانضم معه أنطون مارون (محامي مختلط) ٠

س : هل تعرفت بمارون ؟

ج : نعم ٠٠ كان مارون زعيما حقيقيا كان مش عايش لنفسه ، كان يعلمنا الماركسية بينما حسني كانت معلوماته ضئيلة قرأ عدة كتب ، لكن

---

(١) عبد الرحمن فضل – تجار – السن حوالى ٨٠ سنة (عند اجراء المناقشة) ٠٠

- وهو شخصية شهيرة فى تاريخ مصر لانه بعد ذهابه الى الاتحاد السوفييتى موفدا من الحزب الشيوعى المصرى ٠٠ صدر قرار باسقاط الجنسية عنه وعن كل زملائه وعند عودته سنة ١٩٣٦ منع من النزول الى الأراضي المصرية ٠٠ ورفضت السلطات اليونانية السماح له بالنزول الى الاراضى اليونانية وظل لفترة طويلة على ظهر المركب ، واهتمت الصحف المصرية ببسالته وأطلقت عليه اسما ما زال معروفا حتى الآن هو « ذارع البحار » وبعد أن هرب من السفينة وتسلل الى الاراضي المصرية سمحت له السلطات المصرية بالبقاء تحت ضغط الرأى العام ، ولكنه لم يستعد جنسيته الا بعد فترة ٠

وهو شخصية معروفة أيضا لان وضعه القانونى ، وهو على المركب قد اتخذ نموذجا كلاسيكيا فى دروس القانون الدولى وقانون الجنسية التى تدرس لطلبة كلية الحقوق وقد أشير الى حالته فى أكثر من مؤلف هام منها المؤلف الشهير فى القانون الدستورى للدكتور سيد صبرى ، بل ان الدكتور سيد صبرى قد ألقى ثمانى محاضرات حول عدم دستورية القرار الذى أصدرته الحكومة المصرية بحرمانه من الجنسية ٠

مارون بالنسبة لنا كان زعيما ماركسيا عظيما ، كان يحب العمال جدا كما يكره الانتلجنسيا لانهم كانوا يكرهون العمال ويحتقرونهم وكان مارون يعيش عيشتنا وترك مكتب المحاماة واكتفى بالمرافعة في قضايا الفقراء مجانا ، وكان يعيش عيشة فقيرة جدا .

س : ماذا عن الزعماء الاخرين ؟

ج : كان هناك الشيخ صفوان أبو الفتح – من علماء الازهر ، وهو استاذ أزهرى عظيم ، كنا نسميه « أستاذنا » كان يكتب كل المنشورات ، كان نارا حمراء متوهجة ، خلع العمامة ولبس بدلة ، يلعب دورا كبيرا في الازهر وكسب كثيرا من مشايخ الازهر ، وكسب مثلا الشيخ مهدى ، وكان هناك أيضا بيومى التنسوتى عامل برداد

واللجنة المركزية كان فيها عمال ، شعبان حافظ (موظف صغير بالسكة الحديد مرتبه ٣ جنيهات شهريا) .. وبيومى التنسوسى (برداد) .. وعبد الرحمن فضل (نجار) .. ومن المثقفين (صفوان ابو الفتح ، مارون ، حسنى العرابى ، الشيخ مهدى الخ)

س : كيف انضممت الى الحزب ؟

ج : كنت اعيش في قرية حلق الجمل وكنت أنا وعبد الحميد العتال ومحمد سلامة رؤساء نقابة عمال استصلاح الاراضى ، وكانت الشركة لعبيد ورشية بها اكثر من ٢٠٠٠ عامل ، وانضمت النقابة الى اتحاد عمال ديهور ، ثم انضممنا الى الحزب الاشتراكى وتعرفنا هناك بحسنى العرابى ، ثم ابلغونا انهم سوف ينتسبون عن الحزب لان الدولية الثالثة طلبت منا اذا اردنا الانضمام اليها أن نعلن خروجنا من الحزب وتكوين حزب شيوعى .

والشيخ صفوان هو الذى كتب البرنامج . كان صفوان يطبق الاشتراكية **كان النبى قال عليها** (١) .

عقب انقسامنا عن الحزب الاشتراكى

---

(١) هذه العبارة هامة جدا فهى تشير الى اهتمام الحزب بالدين الاسلامى ، مما يوضح أن الحزب قد استفاد من الخطأ الذى وقع فيه الاشتراكيون الاوائل – وخاصة شبلى شميل – بهجومهم على الدين الامر الذى عزلهم عن الجماهير وعرضهم لهجوم ساحق .

س : هل تعرف شخصا اسمه روزنتال ؟

ج : روزنتال كان اشتراكيا قديما ، وبقى روزنتال مع سلامة موسى لان حسنى هاجم بشدة الاجانب وخاصة اليهود .

س : أين كان مركز الحزب ؟

ج : فى شارع نوبار بالاسكندرية .

س : لماذا ؟

ج : لان الاسكندرية هى العاصمة الحقيقية ومركز الثروة والصناعة والتجمعات العمالية .

س : متى أعلن الحزب الشيوعى ؟

ج : حوالى ٢١ أو ٢٢ .. لكن أنا فاكر اننا اشتغلنا بمنتين جيد واتحاد النقابات كان كله تحت ادارة الحزب الشيوعى ، كنا نهز الاسكندرية .. استولوا على الفابريقات ورفعوا الرايات الحمراء ، كانت الاسكندرية فى أيدينا تماما .. كان المحافظ يرتعش أمام مارون

سعد زغلول هو الذى قضى على الحركة .

س : ما هو عدد أعضاء الحزب ؟

ج : ما أذكره حوالى ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ عضو .

وكانت لنا مراكز فى كثير من البلاد .

وأود أن أؤكد أن معظم نضالنا كان ضد الاستعمار ..

وكان هناك بعض الاجانب يعملون معنا ونستفيد من تمتعهم بالامتيازات الاجنبية ، وأنا شخصيا كنت أعمل مع سائق اسمه جورجى ، وهو بلغارى الجنسية ، وكان يقوم بنقل النشرات والمطبوعات بعد صدور قرار الحكومة بحل الحزب .

س : كيف بدأت الحملة ضد الحزب ؟

ج : فى سنة ١٩٢٤ جاء سعد زغلول ، وكانت حركة الاسكندرية قد بدأت واستولينا على ٣ فابريقات (الزيوت فى الاول) لكن الثلاثة كانوا فى الاسكندرية .. استمرت العملية ١٥ يوما ، لدرجة أن ستالين قال لزعماء ألمانيا أنتم لستم ثوريين اذهبوا وتعلموا من مصر كيف يستولى العمال على الفابريقات ، وأغلق الحزب ، وقدم الاعضاء للمحاكمة ..

س : كم شخص قبض عليه ؟

ج : قبض على الزعماء صفوان حبشى مارون والبعض هرب .

س : وأنت ماذا فعلت ؟

ج : انا كان مفروضا أن اسافر الى الاتحاد السوفياتى ومعى رسائل هامة ، وكان مفروضا أن ينتظرنى شخص فى تركيا وكانت هناك علامات معينة متفق عليها حتى أعرفه ولم أجد الشخص ، لان الحزب التركى كان قد ضرب فى ذلك الوقت ، لكنى قابلت شابا ثريا ابن اميرة تركية سابقة مهنته تهريب بعض السجاير ، وقد انزلنى على نفقته فى فندق اسمه الاسكندرية ولما لم يحضر الرفيق التركى الذى اتفق على مقابلتى قررت البحث عنه وساعدنى بعض المصريين الذين تعرفت بهم فى قهوة خاصة بالمصريين وأخيرا عثرت على منزله وكان مراقبا بشدة من البوليس التركى وفتحت الباب سيدة عجوز قالت ان الاسم الذى أسأل عنه غير موجود فاعطيتها صورتى وبطاقة باسمى وعنوان اللوكاندة وانتظرت فى اللوكاندة أربعة أيام وفى اليوم الرابع حضر الرفيق وظل يقبلنى ربع ساعة وقال أنه قبل حضورى بثلاثة أيام قبض على كوادر الحزب التركى وانه هارب ، وطلب الى العودة لكننى رفضت العودة ، وأعطانى نقودا وبقيت فى تركيا ٤٠ يوما احاول البحث عن طريقة للسفر للاتحاد السوفييتى والامير لم يحضر لسداد أجرة اللوكاندة ونفذ ما معى من نقود فقررت أن أعمل شيالا فى الميناء حتى أهرب على أحد المراكب الروسية لبست برنيطة ونزلت فى القارب متجها الى المركب السوفييتى وكنا قد اتصلنا بقائد السفينة من قبل ورغم مساعدتى وفوجىء قائد المركب بى على السلم ولم يستطع طردى وبعد شهرين وصلت حقيبتى من تركيا فقيد عدد الرفاق الاتراك أجر اللوكاندة وتسلموا حقيبتى وأرسلوها لى . أنا أقول لك هذه التفاصيل عشان تعرف قد ايه كان هناك حب أكثر من الاخوة بين رفاق الاممية .

س : عندما وصلت الى موسكو من كان هناك من المصريين ؟

ج : كان هناك خائن اسمه عبد العزيز ويحيى (مغربى الاصل) ، لكنه أرسل من مصر وكان هناك آخرون من سوريا ولبنان والجزائر ومن فلسطين يهود وعرب (لكن الاغلبية يهود) وعندما كنت هناك وصل اثنان أو ثلاثة من المصريين محمد دويدار (عامل فى السكة الحديد عطشجى) وشخص اسمه عبد العزيز مرغنى (تراد لكنه فشل فى دراسته) وحمدى سلام واخذنا

فى الدراسة أنا كنت ادرس هندسة أنواع الخشب والاقتصاد السياسى ، وحمدى سلام درس الطب (١) .

س : ماذا عن المسجونين ؟

ج : مارون مات فى السجن ـ بعد اضراب عن الطعام ، ولباقى أنهى الاضراب عن الطعام واستمر مارون مضربا أكثر من أربعين يوما ومات .

س : أين تركز نشاط الحزب ؟

ج : فى الارياف كانت الحركة أحسن من الاسكندرية ، وكانت تتخذ اساسا شكل اتحاد النقابات العمالية ، واستمر هذا الشكل بعد حل الحزب ، لكن الاجانب لعبوا دورا رئيسيا وأضروا بالحزب والعمل الحزبى .

لقد أكد لينين أكثر من مرة على أهمية تعريب الاحزاب الشيوعية فى البلاد العربية بينما كانت هناك عناصر أجنبية تصمم على السيطرة على الاحزاب العربية كان هناك روزنتال ، وابنة روزنتال ، وأصدقاء روزنتال وحتى الكومنترن عندما أرسل مندوبا الى مصر أرسل أنيجدورن ، وهو زوج ابنة روزنتال ، وكان هناك شخص يهودى عربى فى الكومنترن مسئول عن الشرق الاوسط كله اسمه (أبو زيام) وكان خطيرا جدا ..

كان لا يريد أن يتولى أى عربى منصبا قياديا فى أحزاب الشرق الاوسط ، كان يساعده عدد من اليهود فى الكومنترن وكان شخصا لبقا ، كان ينفذ الأغراض الصهيونية وكلما كنا ننادى (آرابيز اتسيا) أى التعريب يهاجمنا بشدة ، بل انهم عملوا لنا نقدا لاننا رفعنا شعار آرابيزاتسيا وأنا شخصيا حوكمت أمام هيئة الكومنترن ، أبو زيام قال فى المحاكمة ان العرب لا يصلحون لانهم متخلفون واستقدم شخصا أبله أسمه ابراهيم كان قد أحضره أبو زيام معه من الشام وسلمه خطابا أمامهم ، وقال له ارم هذا الخطاب فى الصندوق فرماه فى صندوق الزبالة فقلت ان أبو زيام هو الذى اختار هذا الشخص ، وهذا يوضح خطر أبو زيام ، وعلى أية حال أوقفت المحاكمة . لكن بعد ذلك

---

(١) حمدى سلام كان موزع بريد ودرس الطب فى الاتحاد السوفييتى وتخرج طبيبا ، وفضل الاقامة فى الاتحاد السوفييتى حتى وفاته ..

حدث تطهير فى الكومنترن وأبعد ٧٠ شخصا صهيونيا ، وهذا يؤكد صحة مخاوفنا(١) .

س : ماذا فعلت فى الاتحاد السوفياتى ؟

ج : احتكيت بالزعماء . تعلمت . درست ..

عندما غادرت موسكو قال لى مبسئول وهو (أرمينى) نحن لا نريد فلاسفة وانما نريد اناسا يوقظون الشعب .

س : كيف عدت ؟

ج : الباسبور كان معى ، لكنه كان يستخدم خلال وجودى فى موسكو لسفر أشخاص آخرين ، ملىء بالفيزات لف العالم كله . مزقت الباسبور وقلت فى الاسكندرية أن الباسبور فقد ، ولما سألونى عن اسمى قالوا انى ممنوع من الدخول لأن قرارا صدر باسقاط الجنسية عنى واستمرت المسألة ١١ شهرا . الجرائد (الأهرام) أثارت قضيتى وكذلك البلاغ والمقطم وأخيرا المصرى كتب ، وانا كنت أستفيد من ذلك كله فى اثارة القضية ككل وفى احداث أكبر ضجة ممكنة ، وابتدأت السفينة تذهب الى بيريه ثم تعود بى الى الاسكندرية فمنع نزولى طوال الفترة من منتصف ١٩٣٦ حتى ١٩٣٧ وكانت معظم الصحف تتحدث عن القضية .

وانتهزت الفرصة لاثارة قضية الشيوعية من جديد ، واثارة عطف الناس لدرجة أن بعض الرأسماليين بدأوا يعطفوا على ، وكانت المركب تمشى فى خط بيريه الاسكندرية بانتظام وكان يسافر عليها كثير من المصريين وكنت أتصل بهم جميعا فاتصلت مثلا بالدكتور قناوى رئيس المجلس البلدى فى اسكندرية ، وكان شخصية كبيرة ، قابلنى على المركب هو وزوجته ، زوجته بكت عندما سمعت القصة ، وعندما عاد اتصل بأحد أصدقائه وهو عبد الوهاب الوكيل مراسل المقطم فى الاسكندرية وطلب منه اثارة قضيتى وبدأ المقطم يهتم بمشكلتى وأسمانى ذارع البحار .

وعلى المركب اضربت عن الطعام ، وزارنى الطبيب وقال انني سأموت بعد بضع ساعات .

ونشر المقطم مقالا بعنوان « الكلمة الاخيرة لذارع البحار » وتدخل الحزب الشيوعى اليونانى واكتشفت أن قبطان السفينة رفيق هو وعدد من البحارة وكانوا يكشفون لى باستمرار الجواسيس الذين ترسلهم الحكومة المصرية لمراقبتى على السفينة ..

(١) لا بد أنه يشير الى حملة التطهير التى قام بها ستالين .

وأخيراً اتفقت معهم على تهريبى من البحر بعد أن يتركنى الحراس المصريون حتى لا يضار أحدهم ، وكان النظام المتبع أن يصعد الى المركب فور وصوله الى الاسكندرية حراس يلازموننى طوال فترة بقاء المركب فى الميناء ، وكان هناك لنش حراسة يدور حول المركب باستمرار وعندما تتحرك المركب يتسلم الحراس ايصالاً من القبطان بأننى موجود على ظهر المركب ويستمر لنش الحراسة فى تعقب المركب حتى تخرج من المياه الاقليمية . وكنت قد رتبت الامر مع القبطان واتفقت على ترك المركب ورتبت لنشا خارج المياه الاقليمية ليعود بى الى الاسكندرية وكنت أعلم أنه بمجرد ملامستى لأرض الاسكندرية فإن أية قوة لن تستطيع ابعادى عنها والحقيقة أن الحراس كانوا يعطفون على ، وفى ليلة الهروب أحس شاويش الحراسة اننى مرتبك فسألنى وهو يغادر المركب « أنت ناوى » فقلت له نعم فقال لى : اتجه يميناً ، ففى الاتجاه الآخر توجد حراسة على الشاطىء وبعد أن ابتعدت السفينة عن المياه الاقليمية ألقيت بنفسى الى الماء وكان الموج عالياً جداً والبحر هائجا والظلام حالكا وبعد أربعين دقيقة فى الماء عثر على اللنش وعاد بى الى الوطن وخرجنا من باب سراى رأس التين وفى نفس الليلة تحدثت تليفونياً مع عباس المصرى مدير مكتب الاهرام بالاسكندرية وزارنى فى مخبئى وكلمت المقتطف أيضا .

س : هل صدر قرار من الكومنترن بحل الحزب فى سنة ١٩٣٠ ؟

ج : لا أعتقد ، وانما صدر قرار بفصل محمد عبد العزيز وكان جاسوسا فعلا .

س : الى متى استمر نشاط خلايا الحزب الشيوعى ؟

ج : كان النشاط مستمرا حتى سنة ١٩٤٠ أو ١٩٤١ وكل مرة كانت الحكومة تعلن أنها قبضت على آخر خلية ثم تظهر خلايا جديدة .

س : عند عودتك سنة ١٩٣٧ هل وجدت حزبا متماسكا ؟

ج : وجدت مجموعة معقولة من الناس كويسين وقالوا ان هناك مجموعات أخرى وطلبوا منى التوسط لتوحيد هذه المجموعات .

س : كيف اتصلت بهذه المجموعة ؟

ج : عن طريق د . عبد الفتاح القاضى

ملحق رقم ٧

شهادة روزنتال أمام النائب العام

في ٥ مارس ١٩٢٤ استدعى النائب العام المشرف على التحقيق مع أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصرى المقبوض عليهم المسيو روزنتال لسؤاله والاستماع الى شهادته .

وقد نشر الاهرام هذا التحقيق قائلا : انه عبارة عن بيان تاريخى خطير لنشأة حركة العمال وتطورها فى مصر منذ ٢٥ سنة فلا يخفى أن هذا الرجل هو بمثابة تاريخ حى لنهضة العمال فى هذه البلاد ، وهو الذى أيقظ التعاون بين العمال بقوة النقابات .

وعندما دخل المسيو روزنتال الى قاعة التحقيق سأل معالى النائب العمومى عن سبب استدعائه الى النيابة ، وهل هناك تهمة خاصة موجهة اليه فقال له النائب العام انه انما استدعاه ليسأله أن يروى له ما يعرفه عن نشاة الحزب الاشتراكى المصرى بصفة عامة فاظهر المسيو روزنتال تمام استعداده لاجابة هذا الطلب وطفق يسرد تفاصيل المسألة فقال :

. انى منذ حداثتى أميل الى المبادىء الاشتراكية واحن اليها ، وقد كان اعظم الامال عندى أن أرى حالة العمال تتحسن بقوة التربية والنظام . ولما وفدت الى مصر منذ ٢٥ سنة جعلت أسعى لتاليف النقابات . وأول نقابة اشتركت فى تاليفها كانت نقابة عمال السجاير ، وبعد ذلك اشتركت فى تاسيس بضع نقابات أخرى للخياطين وعمال المعادن وعمال المطابع ، وكانت تلك النقابات كلها تقريبا للعمال الاجانب لان العمال الوطنيين كانوا فى ذلك الوقت اقلية فى جميع الحرف ودوائر العمل بالنسبة الى زملائهم الاجانب .

ولكن الوطنيين أخذوا بالنهوض منذ ذلك الحين وتعلموا كثيرا من الحرف الفنية فكثر العمال الفنيون منهم . وما زالت الاحوال تسير بسيرها الطبيعى التدريجى حتى جاءت الحرب العظمى واضطر العمال الأجانب الى مغادرة مصر فصار العمال الوطنيون أغلبية كبرى فى الدوائر العاملة ، وهذا النمو ساعدهم على تاسيس النقابات التى كانت مسيرة لأغراض سياسية مختلفة تتبع الاحزاب الناهضة بالقضية الوطنية فى البلاد كالوفد والحزب الوطنى وغيرهما ولم اشترك اشتراكا فعليا بادارة هذه النقابات وكان من رأيى أن ننشىء للطبقة العاملة مراكز للدفاع الاقتصادى والتربية الفكرية ولهذه الغاية نشرت فى غضون سنة ١٩٢١ نداء الى النقابات العاملة ادعوها الى تاسيس اتحاد يضم شملها جميعا فتلقت هذا النداء بالقبول بالاجماع وأرسلت الى الاسكندرية مندوبين امن قبلها يمثلون ٣٥ الفا من

العمال للاشتراك فى البحث فى المشروع غير أن رؤساء النقابات المتشبعين بالفكرة السياسية شعروا اذ ذاك بأن انشاء النقابات الحقيقية بطريقة تراعى فيها حالة العمال يؤدي الى نزع كل ما لهم من سلطة عليها ويحول دون الوصول الى أغراضهم السياسية فسعوا سعيا جديا لحمل نقاباتهم المشار اليها على عدم الاشتراك بالاتحاد وظلوا يماطلون فى التدابير الاولية سنة كاملة وفى بدء عام ١٩٢١ تمكنا من تأسيس اتحاد النقابات بعدد محدود لا يتجاوز ثلاثة آلاف من العمال ..

ولما كنا نرى أن النقابات لا تستطيع أن تتدخل تدخلا فعليا فى الأمور السياسية لكونها مؤلفة من عمال مختلفين وذوى نزعات سياسية متضاربة فكرنا فى تأسيس حزب سياسى يكون بمثابة لسان حال لنقابات العمال ويكون فى استطاعته أن يدافع عن مصالحهم فى المجلس النيابى وغيره ويسعى لحمل الحكومة على اصدار قانون لحماية العمال المتروكين تحت رحمة الرأسمالية وظالميها .

وعملا بهذه الفكرة انشأنا الحزب الاشتراكى .

س : كيف تأسس الحزب الاشتراكى ومن هم الاشخاص الذين اشتركوا فى تأسيسه ؟

ج : اتفق فى ذلك الوقت أن قمت بحملة على الحكومة بقصد حملها على اصدار قانون يحدد أجور المنازل ووافق السعى هوى فى نفس الجمهور فهبت الصحف تساعدنى فى هذه المسألة ونشرت اسمى مرارا فى بعض مقالات تتعلق بالشئون المحلية فرأيت من بعض الوطنيين عطفا على الاشتراكية وكان من هؤلاء العاطفين حسنى أفندى العرابى والدكتور على العنانى أفندى وسلامة أفندى موسى والاستاذ عبد الله عنان ، فاتفقت معهم على العمل وقررنا تأسيس الحزب الاشتراكى المصرى كما تقدم ، وقد كتبوا لهذا الغرض منشورا يحتوى على مبادىء الحزب موقعا عليه منهم ولم اشترك فى التوقيع عليه لانى كنت اعتبر أن ظهور اسمى الاجنبى بالرغم من كونى مصرى الجنسية يمكن أن يعد بمثابة تدخل من أجنبى فى مسألة مصرية ..

وقد جعلنا مركز الحزب فى العاصمة وظللت عضوا فى اللجنة الادارية وانشأنا بعض فروع للحزب فى الأقاليم ثم تبين لى أن لجنة العاصمة لم تظهر اخلاصا كافيا لغاية مهمة كهذه فى حين كان فرع الاسكندرية بالرغم من قلة عدد أعضائه يظهر كفاءة تفوق كفاءة المركز الادارى ، وقد طلب أعضاء الفروع جعل الاسكندرية مقرا للحزب وبالفعل تم هذا التغيير وبعد موافقة أعضاء الفروع على ذلك فى اجتماع خاص عقد لهذا الغرض ، فانتخب

أعضاء لجنة القاهرة من هذا النقل وطفقوا يحملون على ويطعنون في شخصي .

وبعد انقضاء بضعة شهور من ذلك التاريخ تقرر عقد المؤتمر الشيوعي الرابع في موسكو ، فأرسل الحزب مندوبا يمثله فيه ، وكان هذا المندوب الرفيق حسني العرابي .

ولما عاد حسني أفندي من روسيا أبلغنا أن اللجنة المركزية للدولية الشيوعية الثالثة اشترطت لقبول حزبنا كفرع للدولية الثالثة ثلاثة شروط

أولا : فصلي من الحزب .
ثانيا : تغيير اسم الحزب من اشتراكي الى شيوعي .
ثالثا : اعداد برنامج للفلاحين .

وعلى اثر ذلك نشرت اللجنة في الصحف خبر فصلي من الحزب وبعد أيام اجتمع عدد محدود من الأعضاء عدتهم اللجنة مؤتمرا ووافقوا على قراراتها التنفيـــذية .

س : ما هي الاسباب التي اعتبروها كافية لفصلك من الحزب ؟
ج : انى لا أعرف أسبابا معينة ، ولكن مما نشروه في الصحف أن السبب كان ما زعموه من كوني غير شيوعي وأني أنتفع من الشيوعية أكثر ممـــا أفيدها ، وقد كتبت اذ ذاك الى المركز الرئيسي في موسكو طالبا ايضاحا عما اذا كان قد طلب فصلي حقيقة وعن السبب في ذلك فلم أتلق جوابا حتى الان .

س : ما هو الفرق بين الاشتراكية والشيوعية ؟
ج : الاشتراكية والشيوعية تشتقان من مصدر واحد بمعنى أن مبادئهما الاساسية متشابهة باعتبار أن كلا منهما يعمل لابطال الملكية الشخصية وتجديد النظام على قاعدة الملكية الاجتماعية والحزب الاشتراكي ينقسم إلى قسمين أحدهما يعمل لتغيير الحالة بقوة الاصلاح والاخر يسعى للتغيير بالعمل الثـــوري .

أما الحزب الشيوعي فانه يختلف عن الحزب الاشتراكي الثوري من حيث تقدير ملاءمة الزمن للثورة الاجتماعية ، ذلك أن الاشتراكيين يرون ان الطبقـة العاملة غير ناضجة لتولى أزمة الحكم وادخال الاشـــتراكية على الانظمـة الحالية ، فهم يتبعون طريقة التعاون بين الطبقات العاملة والمتوسطة الحرة للوصول الى غرضهم في حين أن الشيوعيين يرون أن الحرب العالمية الاخيرة عجلت الرأسمالية بضربة قاضية وأظهرت أن الفرصة سانحة للقيام بعمل حاسم وعملا بهذه الفكرة قام الحزب الشيوعي الروسي بثورته ، وهو يؤمـل في وصول البلدان الصناعية في أوروبا الى الثورة الاجتماعية العالمية عاجلا أو آجـلا .

س : هل انت توافق على البرنامج الاخير للحزب الشيوعي المصرى ؟
ج : لا استطيع ان ابدى رايا فى برنامج لم أشترك فى وضعه .
س : الا تعد حركة احتلال المصانع كبدء لتنفيذ الفكرة الشيوعية ؟
ج : يلوح لى أن الحكومة تخلط بين الاضراب مع البقاء فى محل العمل وبين نزع الملكية لان العمال ان احتلوا المصنع لا يطالبون الاستيلاء عليه ، وهم عمال بدون سلاح امام إصحاب العمل الاقوياء الذين يستطيعون تجويعهم وإرغامهم على قبول شروط قاسية ، فاذا اتفق أن العمال وقفوا فى اماكنهم داخل المصنع فلانهم رأوا ذلك افضل طريقة لتعجيل بحل المشكل والوصول الى اتفاق بينهم وبين اصحاب العمل ؟

س : هل انت توافق على عمل كهذا ؟
ج : لاجل الاجابة على هذا السؤال بالسلب أو بالايجاب يجب أن اكون مطلعا على الظروف والاحوال التى تم فيها هذا العمل .
س : ما رايك مبدئيا فى ذلك؟
ج : لا شك فى أن عملا فرديا محدودا كهذا يعتبر غير جائز مبدئيا فانا أرى ان الفرد ايا كان لا يجوز له ان يكون حكما اجتماعيا والمجموع هو صاحب الحق فى تغيير النظام ، سواء كان ذلك بالطرق المشروعة أو بغيرها اذا هو اضطر الى غير ذلك .
س : هل ترى أن الحزب هو المحرض على الاضراب ؟
ج : ان العمال المصريين محرومون من كل وسيلة للدفاع عن مصالحهم فهم على استعداد بطبيعة الحال لطلب المساعدة من كل من يظهر عطفه عليهم .
س : هل تعرف البنود الواحد والعشرين وما بعدها الى تشملها المبادىء الشيوعية وما رايك فيها ؟
ح : اعرفها جميعا ولو كنت احد واضعيها ربما كنت لا أوافق على مجموعها ، ولكنى أرى أن التفسير الحرفى لكل بند لا يؤدى الى المعنى المقصود ، ومعانى المبادىء والشرائع جميعا لا تظهر الا عند التطبيق .

ولا اظن أن اللجنة المركزية الدولية ترى أن مصر قابلة للتغيير حتى تدفع الفرع المصرى الى تنفيذ الفكرة الثورية .

ويلوح لى أن البعض يستعمل كلمة ثورة كشبح مخيف ، مع ان هذه الكلمة تستعمل فى جميع العلوم والتواريخ لاغراض علمية وتاريخية ، على كل حال فان الطريق المتبعة للشيوعية تختلف باختلاف البلدان والمجالات الاقتصادية والنفسية فى كل بلد بالرغم من كون المبدأ واحدا للجميع .
انتهى التحقيق .

الاهرام - ١٩٢٤/٣/٧

ملحـــق رقـــم ٨

بيــان من روزنتــال ردا على بعض التعليقات

على شـــهادته امام النائب العــام

وردت فى بعض الصحف ملاحظات وتعليقــات تتعلق بتصريحاتى التى فهت بها امام معانى النائب العمومى عن الحركة الشيوعية فى مصر ، وقـد رايت أن ذلك يستدعى بعض التصحيح ٠

أولا : انى لم اكن قط رئيســا للحزب الاشــتراكى المصرى ، ولكنى اشتركت فى تاسيسه وكنت احد اعضاء لجنته التنفيذية ٠

ثانيا : ان الحزب الاشتراكى المصرى لم يتحول فى الحقيقة الى حـزب شيوعى لانه كان منذ تاسيسه حزبا شيوعيا يتسمى بالاسم الاشتراكى ، وقد اعترف بمبادىء الشيوعية وتعاليمها ووافق على خطط الدولية الشيوعية اما تغيير الاسم فقد تم وفقا لطلب اللجنة المركزية للشيوعية الدولية ، وكان ذلك شرطا لقبول الحزب فى هذه الدولية ٠

ثالثا : اذا كان لا علاقة لى بالحزب الشيوعى الحالى فذلك ليس ناتجـا من تلاشى الحزب الاشتراكى المصرى (الذى لم يتلاشى غير اسمه) ولكنى أرغمت على ذلك على اثر وشـايات ومطاعن وجهها الى بعض المتطفلين على السياسة من الذين دخلوا الحزب وتوصلوا الى فصلى منه فتنحيت حتى لا اوجـد انقساما فى وحدة الحزب ولا اظهر كانى أعمل ضد حركة اجتماعية اشاطرها مبادئهـــا ٠

رابعا : ما كنت ولن أكون ابداً من اولئك الاعضاء ذوى النفوذ (يقصـد سلامة موسى والعنانى) الذين ينكرون اليوم بسماجة ما عبدوه بالأمس فقـد كنت ولا زلت ولا ازال حتى آخر نسمة من حياتى شيوعيا كاملا ومخلصـا اخلاصا تاما لقضية البروليتاريا ٠

خامسا : بالرغم مما اظهرته اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى عن قلة الخبرة وما ارتكبته من الاغلاط فانا اتضامن معها تضامنا تاما واطالب بنصيبى من المسئولية ٠

الاهـرام ـ ١٩٢٤/٣/١٢

محضر تحـــريات مقـــدم من بوليس مصر عن نشاط بعض الشيوعيين الأجانب

ملحق رقم ٩

D

✓ صموئيل كرزون SAMUEL KIRSOHN

يهودي روسي عمره [illegible] سنة [illegible]

[illegible]

[illegible] الحزب الشيوعي [illegible]

✓ ابراهام كاتز ABRAHAM KATZ

يهودي روسي عمره ٦٠ سنة [illegible]

[illegible]

[illegible]

✓ هلال او خليل ساندبرج HELAL (or HALIL) SANDBERG

يهودي بولندي عمره [illegible] سنة [illegible]

[illegible]

[illegible]

✓ جريجوري شاكلندر GREGORY SHOKLENDER

يهودي روسي عمره ١٩ سنة [illegible]

[illegible] الحزب الشيوعي [illegible]

✓ موئيس ولبوشفتش MOISE WILBUSHEVITCH

يهودي روسي عمره ٦٠ سنة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

Technical Supply Co
Ras [illegible] 14

✓ صموئيل زسلافسكي SAMUEL ZASLAVSKY

يهودي روسي عمره [illegible] سنة [illegible]

[illegible] الحزب الشيوعي [illegible]

[illegible]

[illegible]

✓ يوسف روزنتال JOSEPH ROSENTHAL

يهودي [illegible]

[illegible]

سكيلاريس يانكاكس SAKELLARIS YANNAKAKIS

[illegible] الحزب الشيوعي [illegible]

[illegible]

البرت فرونديلخ ALBERT FREUNDLICH

[illegible] الحزب الشيوعي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ملحق رقم ١٠

(١)

١٨١٥٨

تقــرير اتهــام

مقدم من النيابة العمومية لحضرة قاضى الاحالة بمحكمة اسكندرية الاهلية

فى قضية الجناية رقم ٣٩٣ محرم بك سنة ١٩٢٤

تتهم النيابة العمومـــــية/

(١)	محمود حسنى العرابى	عمره	٣٠ سنة	تاجـــر	ومقيم بالابراهيمية ومحبوس بسجن كوم الدكة
(٢)	انطون مارون	"	٣٩	" محامى مختلط	ومقيم بالرمل "
(٣)	صفوان ابوالفتح	"	٣٨	" مدرس	" بمحرم بك "
(٤)	الشحات ابراهيم	"	٣٣	" كاتب	" باسكندرية "
(٥)	عبد الحميد احمد عزه	"	٣٣	" "	" بمحلة ابوعلى "
(٦)	محمود ابراهيم السكرى	"	٣٠	" سمكرى	" بالملقطية "
(٧)	ابرام كانس	غير معلوم له محل اقامة بالدولة المصرية الآن			
(٨)	هليل زانبرج	"	"	"	"
(٩)	شعبان حافظ	"	١٩	" مساعد اجزجى	" بالزقازيق "
(١٠)	محمد المغنفر	"	٣٥	" فنون	" بشبين الكوم "
(١١)	عبد الحفيظ عوض	"	٢٧	" مدرس	" بطنطا "

بانهم اولا — فى المدة بين ٢٥ يناير سنة ١٩٢٣ الموافق ٨ جماد ثانى سنة ١٣٤١ و٢ مارس سنة ١٩٢٤ الموافق ٢٦ رجب سنة ١٣٤٢ بمدينة الاسكندرية

اتفقوا اتفاقا جنائيا بان اتحدوا مع آخرين غيرهم على ارتكاب الجنايات والجنح وعلى الاعمال المجهزة والمسهلة لارتكابها الا وهى جنايات القتل العمد ونشر الافكار الثورية المغايرة لمبادئ الدستـــور المصرى الاساسية وتحبيذ تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب وبوسائل اخرى غير مشروعة المنطبقة على المواد ١٩٤ و١٩٨ و١٥١ فقرة ثانية وثالثة من قانون العقوبات وجنح انتهاك حرمة ملك الغير والضرب والجرح والسعى علنا فى تكدير السلم العمومى بتحريض طائفة العمال وصغار الفلاحين على بغض طائفة اصحاب العمل والملاك والتحريض علنا على عدم الانقياد للقوانين وتحريض العمال على استعمال الوسائل الغير المشروعة فى الاعتداء على حق اصحاب الاعمال فى العمل وفى استخدام وعدم استخدام العمال المنطبقة على المواد من ٣٢٣ الى ٣٢٧ ومن ٢٠٥ الى ٢٠٧ و١٤٨ و١٤٩ و١٥٠ و١٥٣ و١٥٤ و٣٢٧ (٣) من قانون العقوبات وقد حرضوا على الاتفاق الجنائى المذكور وادار وا جميعهم حركته

ثانيا — فى المدة من شهر اكتوبر سنة ١٩٢٢ الموافق ربيع اول سنة ١٣٤١ و٢ مارس سنة ١٩٢٤ — الموافق ٢٦ رجب سنة ١٣٤٢ بمدينة الاسكندرية.

اشتركوا فى اتفاق جنائى الغرض منه ارتكاب جريمة تأليف عصابة من العمال وصغار الفلاحين لمهاجمة طائفة من السكان وهى طبقة اصحاب الاعمال والملاك وهذه هى الجناية المنطبقة على المادة ٨٠ من قانون العقوبات وقد حرضوا على الاتفاق المذكور وقد اخلوا فى ادارة حركته

ثالثا — فى الزمان والمكان المذكورين آنفا

ملحق رقم ١١

حكم محكمة جنايات الاسكندرية فى قضية الشيوعية

فيما يلى حكم محكمة جنايات الاسكندرية فى ٦ اكتوبر الماضى فى قضية الشيوعية الكبرى *. وهو بعد الديباجة :

وحيث أنه تبين للمحكمة وثبت لديها من التحقيقات التى حصلت فى هذه القضية وشهادة الذين سمعتهم بالجلسة ومن الاطلاع على الأوراق والكتب المضبوطة عند المتهمين وفى نقابة اتحاد العمال أن المتهمين اعتنقوا المذهب الشيوعى الذى نبتت بذوره فى روسيا وسرت عدوته الى كثير من بلاد العالم . وأساس هذا المذهب الثورة على الحكومة وعلى أصحاب رؤوس الاموال وقلب النظام الاجتماعى بالقوة والعمل لمحو الفروق بين طبقات الناس وجعل السيادة للعمال ، كما يستفاد ذلك صريحا من الكتب التى الفها زعماؤه المقدم بعضها فى هذه القضية ، مثل مذكرات لينين وكتاب بوخارين وكتاب قانون وأوضاع روسيا الشيوعية للدكتور ، ليدينا باق ، وغيرها ومن الواحد والعشرين شرطا التى اقرها مؤتمر الدولية الثالثة فروسيا وأذاعها فى الفروع التابعة له للعمل على مقتضاها وأن المتهمين لم يكتفوا باعتناق هذا المذهب الضار المبنى على الاوهام والخيالات ، وانما الفوا له شعبا فى كثير من الجهات ، مثل مصر وطنطا وبورسعيد والزقازيق والمحلة الكبرى وشبين الكوم وغيرها ، وكانوا يوزعون شروط الدولية الثالثة السابق ذكرها مطبوعة بين افراد الشعب التى كانت مكلفة ببث الدعوة الى هذا المذهب بين طبقات العمال وسعوا الى جمع نقابات العمل والتاليف بينها وأسسوا لها محلا سموه اتحاد نقابات العمال جعلوا مركزه بمدينة الاسكندرية وعلقوا على جدرانه صور زعماء الثورة الروسية ووضعت لكل شعبة لائحة تجرى عليها فى تنظيم عملها ، واتخذت بعض الدفاتر لتسجيل أعمالها وقراراتها ومحاضر جلساتها وسعى المتهمون خصوصا أولهم ، محمود حسنى العرابى ، فى ايجاد صلة بين هذا الحزب وبين المركز الرئيسى للشيوعية فى موسكو . وسافر الى روسيا وطالب بالانضمام الى الدولية الثالثة فقبل طلبه بشرطين ، أحدهما عزل المسيو روزنتال الذى كان عضوا فى الحزب من قبل لما كان مسمى بالحزب الاشتراكى وثانيهما تغيير هذا الاسم باسم الحزب الشيوعى ، وكان يذهب الى المانيا للاجتماع بالشيوعيين هناك وبث الدعوة لمساندة عمال الرور فيها ، ولما عاد من روسيا نشط فى بث الدعوة الشيوعية وأخذ يحسن

للنـاس ارسال أولادهم الى روسيا بحجة تعلم العلوم والصنائع والمبادىء الشيوعية مجانا فانخدع بدعوته بعضهم ، وسافر اربعـة من شـبان مصر ليتضلعوا فى هـذا المذهب ويعودوا الى بلادهم فيكونوا أعـوانا للـدولية الثالثة فى نشر مبـادئها الثـورية وكـان الحزب الشيوعى المركزى فى روسـيا يمـد هذا الحزب ببعض رجاله وأمواله لتقـوية الدعوة . كما تفيـد أقوال بعض المتهمين فى التحقيق والمكتوب الفرنسى العبـارة الذى أمضـاه محمود حسنى العرابى المتهم الاول باسم اللجنة التنفيذية للدولية الشيوعية الذى ضبط قبل ارساله وقـدم للنيـابة بتاريخ أول مارس ١٩٢٤ والذى بين غيه اعمـال الحزب وجهوده وسوء حالته من الوجهـة المـالية وطلب مده بالمـال والرفقـاء فقـال صريحـا ما ترجمته : « أيهـا الرفـقاء والقادة وحراس الثورة العالمية انكم تعلمون العمل الذى ستقوم به مصر فى هذه الثورة وتعلمـون الحـالة النفسية للشرقيين ، وقـد بينـا لكم حالة الحزب فى مكتوباتنـــا السابقـة كما وصفناها فى هذا المكتوب فاعينوه وارسلوا اليه المـال والرفقـاء الأكفـاء فبذلك تؤدون خدمة كبرى الى الثورة العالمية » .

وحيث انه قـد بلغ من تعلق المتهمين بالمـــذهب الشيوعى واشراب نفوسـهم حبه انهم ارسلوا تعـزية فى الزعيم لينين حين وفاته للمركز الرئيسى فى موسكو واتخذوا يحتذون الشيوعية فى قرارات شعبهم وخطب الخطبـاء معهم واتخذوا اليوم الاول من شهر مايو من كل سنة عيدا للعمال يسـتريحون فيه من العمـل تذكارا لنهضتهم .

وحيث ان مقتضى الواحد وعشرين شرطـا التى وضـــعتها الدوليـة الثالثة وجعلتها برنامجـا لهـا وجميـع شـعبها ومنهـا الحـزب الشـيوعى المصرى الذى يدين بهـا التزام كل شيوعى ببث الدعوة الشـيوعية بجميع الوسائل الممكنة ومقاطعة الاشتراكيين المعتـدلين الذين مبدؤهم تحسين حـالة العمـل بالوسائل المشروعة واعتبارهم اعداء للثورة ومحاربتهم بكل ما فى الوسع وصبغ الدعوة والتهييج اليوميين بصبغة شـيوعية والرقابة العامة على الصحف المتخـذة لنشر الدعوة ووجوب اقـامة نظـام سرى شـيوعى بجانب النظـام العلنى الشيوعى يكون قادرا فى السـاعة الحاسمة على أن يقـوم بواجبه نحو الثورة ، وبث روح التهييج بين الجيوش ، وان هذا التهييج ضرورى لنشر الدعـوة وانه لابـد من اسـتمالة الفـلاحين المدقعين فى الفقر الى الدعوة والاستعانة بهم ، وانه لا بد من القيام بعمل حاسـم ونهـائى ضد الاحـزاب المعتدلة وبث هذه الفكرة بين اعضاء جميع الهيئات وان العمل الشيوعى الذى يتبع ذلك لا يمكن تنفيذه الا بدفع هذا الثمن وان الدوليـة الشيوعية تحتم بطريقـة قاطعة وبدون مناقشة ذلك العمل الذى يجب تنفيـذه باسرع ما يمكن وأن كل حزب يريـد الانضمام الى الدولية الشـيوعية يجب

عليه أن يواصل اذاعة دعوتها بين النقابات وهيئات التعاون وطبقات جميع العمال وان ينشىء نواة شيوعية ليكون عملها مؤثرا فى انضمام النقابات الى الشيوعية وتنتقى من تريد انابتهم عنها فى البرلمان من العناصر غير المشكوك فيها وأن تطلب من كل مندوب شيوعى أن يضع جميع مجهوداته فى مصلحة الدعوة الثورية والتهييج وان على هذه الاحزاب أن تبنى على مبدأ المركزية الديمقراطية حتى اذا اشتعلت حرب أهلية استطاع الحزب الشيوعى أن يقوم بواجبه اذا نظم نظاما جديا يماثل انتظام العسكرى وزود بقوات واسعة يتمكن بها من بسط نفوذه من غير مقاومة . ولا يكون ذلك الا اذا تمتع بثقة المحاربين الاجتماعية . وان من الواجب على الاحزاب التى تريد الانضمام الى هذه الدولية أن تؤيد الجمهوريات السوفييتية فى قيامها بحرب ضد الثورة الرجعية بلا قيد ولا شرط . وأن تفهم العمال بالاستمرار على وجوب رفض نقل الذخائر والمعدات لاعداء هذه الجمهوريات .. وان على الاحزاب التى تحتفظ ببرامج الاشتراكيين الديمقراطيين القديمة أن تنقحها بلا تأخير وتضع لكل منها برنامجا شيوعيا جديدا موافقا لاحوال بلده الخاصة ومفرغا فى روح الدولية الشيوعية ويجب أن تكون جميع برامج الاحزاب مطابقة لبرنامج الدولية الشيوعية وان جميع القرارات التى تصدرها مؤتمرات الدولية الشيوعية وقرارات لجانها التنفيذية ملزمة لجميع الاحزاب المنضمة اليها وان على كل حزب ان يغير اسمه فيجعله « الحزب الشيوعى لجهة كذا » وان المنضمين الى الحزب الذين يرفضون الشروط والموضوعات التى قررتها الدولية الشيوعية يجب اخراجهم من الحزب .

وحيث انه تنفيذا لهذه الشروط التى يدين بها المتهمون قد وضعوا لحزبهم برنامجا سموه برنامجا للحزب الشيوعى المصرى وطبعوه معها فى كراسة ونشروه بين العمال كما ذكرنا آنفا وفى احدى الجرائد الكثيرة الانتشار فى مصر وهى جريدة الأهرام .

وحيث انهم ابتداوا هذا البرنامج بأمور تتعطش الى كثير منها نفس كل مصرى وتود تحقيقها ليجعلوه نافذا للعقول وهى العمل على تحرير مصر والسودان تحريرا تاما خاليا من كل شائبة وربط الشعبين أحدهما بالآخر لينتفعا معا ويتمكنا من استثمار ثروتها الطبيعية وتعميم نفعها فى البلدين ويتعاونا على شن الغارة على مهتضميها سواء كانوا وطنيين أم اجانب ، وذلك بواسطة الصراع الدائم وتنظيم جبهة متحدة من العناصر الاشد تطرفا والموثوق بها فى الحركة الوطنية مع احتفاظ الحزب الشيوعى بشعاره ومبادئه وجعل قناة السويس مرفقا أهليا والغاء الدين العمومى الذى تستعمله القوة الاستعمارية لاستعباد الشعب المصرى

استعباداً اقتصاديا والغاء الامتيازات الاجنبية والمطالبة بحرية الاجتماعات والمطبوعات والخطابة والافراج عن المسجونين السياسيين ، ثم اتبعوا ذلك بامور هى مقتضى ما تدعو اليه الدولية الثالثة فى برنامجها ، وهى العمل بين نقابات العمال السياسية الى غير ذلك مما هو فى مصلحة العمال والحقوا بهذا البرنامج آخر سموه برنامج الفلاحين اتوا فى مقدمته بما يولد الشحناء والبغضاء فى قلوب الفلاحين على أصحاب الاملاك وصعوا له من القواعد ما يخلب الـبابهم ويحسن لهم الثورة ، مثل الغاء نظام ملكية العزب والغاء ديون الفلاحين الذين يملكون أقل من ثلاثين فدانا واعفاء من يملكون منها اقل من عشرة افدنة من الضرائب الاميرية ومصادرة جميع الاراضى المملوكة للافراد التى تزيد عن مائة فدان بدون تعويض وتوزيع ما يزيد منها على الفلاحين الذين لا ملك لهم واستعماله لتدشين مزارع الشعب وتنظيم مجالس سوفيتية لفقراء الفلاحين حتى اذا سنحت الفرص امكن استنهاضهم أو حجز الارض لمنفعتهم الخاصة .

وحيث أنهم عملوا لتنفيذ هذا البرنامج باعداد النفوس له ، وذلك بالتدخل بين طبقات العمال وتفهيمهم أنهم هم أصحاب الشأن فى البلد ، وهم الذين يجب أن تكون لهم السيادة على من عداهم من الطبقات وانهم مغبونون فى حقوقهم مهضومون فى أجور اعمالهم ، وان اصحاب الاعمال يظلمونهم ويقسون عليهم حتى أوجدوهم عليهم وثارت ثائرتهم فاضربوا عن اعمالهم فى كثير من الشركات كشركات الايجولين وكفر الزيات والغزل وابى شنب وظهروا فى هذا الاضراب بمظهر بغى وعدوان لم يعهد فيهم من قبل وذلك بعدم اقتصارهم على الكف عن العمل ، بل تعدوا ذلك الى احتلال المعامل ووقف حركتها والحيلولة بين اصحابها وبينها حتى لا يتمكنوا من تشغيلها بواسطة عمال آخرين ، ومقاومة بعضهم لرجال الشرطة بالقوة ، وعدم خروج البعض الاخر منها الا بعد انذارهم من جهة الحكومة باستعمال قوة السلاح ، وكان الذى يدير حركة هذا الاضراب ويحرض عليه فى بعض الشركات بعض المتهمين بموافقة الاخرين لتضامنهم فى المبدا وكان اظهرهم تحريضا هو انطون مارون و لشحات ابراهيم وابرام كاتس وهليل زانبرج وكان العمال فى أثنائه يقبضون على قطع من حديد المعامل ويهددون بها من يناوئهم ويقولون لبعض رجال الشرطة ان هذه المعامل ملك لنا ونحن احق بها من أصحابها ، وهذه ولا شك نزعة شيوعية لقنها لهم المتهمون فى تعاليمهم وفاضت بها نفوسهم على السنتهم كما يستفاد ذلك من المكتوبات التى ضبطت عند بعض المتهمين خصوصا ابرام كاتس المتهم السابق وقرارات لجنة اتحاد العمال المسجلة فى دفتر محاضر جلساتها ومن شهادة بعض الشهود من رجال الشرطة بان انطون مارون المتهم الثانى كان يحرض العمال أمامهم ويسوىء لهم حالتهم .

وحيث أن المتهمين استمروا على العمل لنشر الدعوة وجمع صفوف العمال على مقتضى برنامجهم وفقا لشروط الدولية الثالثة السابق تلخيصها فى اواخر فبراير ١٩٢٤ اذ كانوا على وشك عقد مؤتمر عام لاتحاد النقابات اتخذوا له المعدات وبثوا الدعوة اليه بين أفراد وشعب الحزب لاقرار برنامجهم أو تعديله ولكن الحكومة منعت عقد هذا المؤتمر .

وحيث أنه يتبين من قرارات الحزب واتحاد نقابات العمال ان المتهمين كانوا يحذون فى أعمالهم كلها حذو الدولية الشيوعية الثالثة وينفذون مقاصدها وكانوا جادين فى الدعوة الى مبادئها الى حد أنهم كانوا ينشرون بعض الكتب والرسائل الموضوعة فى هذا المذهب مترجمة وغير مترجمة وان المتهم الأول محمود حسنى العرابى ترجم الى العربية كتاب بوخارين أحد زعماء الحركة الشيوعية . وكان يوزع الاشتراك على أفراد الشعب وان المتهم الثالث صفوان أبو الفتح وهو مدرس فى احدى المدارس كان يملى على تلاميذه بعض الامالى « الموضوعات » التى يحبذ فيها الشيوعية وان المتهم الحادى عشر عبد الحفيظ عوض كان يطرى الشيوعية على ملا من طلاب المعهد الدينى الاحمدى فى طنطا وفى منزل احد وجهائها ويزعم أنها موافقة للدين الاسلامى مع انها تغايره كل المغايرة ، بل تنكر الأديان عامة كما يستفاد ذلك من أقوال أحد زعمائها المدعو بوخارين فى كتابه (أ ب ت) عن الشيوعية . فقد قال فى الصفحة نمرة ٢٤٦ من هذا الكتاب ما ترجمته تحت عنوان « لماذا يتنافى الدين والشيوعية » قال كارل ماركس « الدين هو افيون الشعب » فمن واجب الحزب الشيوعى ان يفهم هذه الحقيقة احط جماهير الشعب العامل وأن يبث فى نفوس الجماهير العاملة حتى أشدها تأخرا هذه الحقيقة ، وهى ان الدين كان ولا يزال آلة من أقوى الآلات فى أيدى الظالمين لابقاء التفاوت بين الطبقات واستغلال العمال وضمان طاعتهم وأن بعض متوسطى الادراك من الشيوعيين يستدلون على صحة الدين بأنه لا يمنعه من أن يكون شيوعيا فيمكن أن يعتقد بالله وبالشيوعية وايمانه بالله لا يمنعه من أن يقاتل لنصرة ثورة العمال ، ومثل هذا الاستدلال معيب من أساسه لان الدين والشيوعية لا يتفقان لا من الوجهة النظرية ولا من الوجهة العملية .

وحيث أنه مما يدل أيضا على أن المتهمين كانوا ينفذون سنن الدولية الشيوعية الثالثة وينفذون تعاليمها كما جاء فى الخطاب المفتوح الذى أرسلوه الى دولة رئيس الحكومة المصرية بعد أن طبعوه ونشروه من طلبهم الاعتراف بنقابات العمال والفلاحين وحقها فى الدفاع عن حقوقهم اقتصاديا

واجتماعيا وسياسيا وانشاء مكاتب لاحصاء العمال العاطلين وتكليف لجان الوفد المركزية في كل انحاء القطر أن يقوموا بتنظيم فقراء الفلاحين في نقابات ترفع مستواهم أسوة باخوانهم في أنحاء العالم وايجاد صلة بين هذه النقابات ونقابات العمال حتى يمكن حشد القوى المصرية كلما تطلبت الحاجة والاعتراف بحكومة السوفييت أسوة بالامم المتمدنة .

وحيث أن المتهمين قد وصلوا بالمثابرة على نشر دعوتهم دون تعرض أحد لهم الى ان دخل في حزبهم ما يزيد على الف وخمسمائة عضو ، وذلك لأن مبادئه تستهوى النفوس الساذجة الجاهلة غير البصيرة بعواقب الأمور بما يمليها من الاماني الكاذبة . ولو أن من انضموا اليه كانوا من ذوى العقل والبصيرة لانكروه أشد الانكار لانه مغاير لمقتضى الفطرة التي قضت بأن يكون الناس متفاوتين في الادراك والمواهب ، وانه من الظلم والبغي بغير الحق أن تكون ثمار العقول الكبيرة ونتائج الافكار الصحيحة ملكا لغير اهلها وليس من السهل على عاقل أن يسلم بأن واضعي هذا المذهب يعتقدون صحته عن سلامة قلب وحسن طوية ، والاشبه بالحق أن تكون النزعة الشيوعية حجابا لستر ما وراءه من غرض سياسي كبير لطائفة من الناس وهم الذين اثاروا هذه الثورة في روسيا ورأوا أن أحسن وسيلة لادراك غرضهم هي التظاهر بالرحمة على البؤساء من العمال والفلاحين والرثاء لحالهم والقاء العداوة والبغضاء بينهم وبين الحكومات واصحاب الأملاك وتأليبهم عليهم بحجة ان النظام الاجتماعي الحالي فيه قسوة وظلم على طائفة العمال وحضهم على الثورة للتخلص منه وسلب أموال الأغنياء وتوزيعها بينهم كما حصل في روسيا حتى اذا دان لمذهبهم العمال في كل قطر وضعوا انظمتهم واظهروا مكنون غرضهم واصبحوا أشد الناس ظلما وقسوة .

وحيث أنه يتبين من جميع ما تقدم أن المتهمين في المدة التي مضت بين ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٤١ (٢٥ يناير ١٩٢٣) وبين ٢١ رجب سنة ١٣٤٢ (٢ مارس سنة ١٩٢٤) بمدينة الاسكندرية :

أولا – اتفقوا اتفاقا جنائيا بأن اتحدوا مع آخرين غيرهم وهم اعضاء الدولية الثالثة الشيوعية بروسيا كما يؤخذ ذلك من انضمامهم اليهم على تحبيذ تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية في مصر بالقوة والارهاب ووسائل أخرى غير مشروعة .

ثالثا – انهم في المدة التي مضت بين ٢ صفر ١٣٤٢ (١٣ سبتمبر ١٩٢٣) وبين ٢٣ رجب سنة ١٣٤٢ (٢ مارس ١٩٢٤) بالاسكندرية وطنطا والزقازيق وبور سعيد وشبين الكوم وبلاد أخرى في المملكة المصرية نشروا

افكارا ثورية مغايرة للمبادىء الاساسية لدستور الدولة المصرية حبذوا فيها تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية فى البلاد المصرية بالقوة والارهاب وذلك علنا بتوزيع نشرات مطبوعة وغير مطبوعة والقاء مقالات فى بعض المحافل العمومية وباشهار صور لزعماء الحزب الشيوعى الروسى وهذه النشرات والمقالات تحوى امورا وافكارا تخالف مبادىء الدستور الاساسية للهيئة الاجتماعية ، مثل الغاء نظام الملكية الفردية المقرر فى دستور الدولة ونزع ملك الغير بغير الطرق المشروعة واستبداله بالنظام الشيوعى بالثورة والقوة والارهاب ٠

ثالثا ـ انهم فى المدة التى مضت بين ربيع الاول ١٣٤١ (اكتوبر ١٩٢٢) وبين ٢٦ رجب سنة ١٣٤٢ (٢ مارس ١٩٢٤) بمدينة الاسكندرية قاموا متفقين على تحريض عمال شركات زيت الايجولين والغزل وكفر الزيات وابى شنب على ارتكاب جريمة استعمال القوة والارهاب والتهديد والتدابير غير المشروعة والاعتداء على حرية اصحاب الاعمال المذكورة فى استخدام غيرهم من العمال ، وذلك باغرائهم عمال هذه الشركات على احتلال معاملها التى يشتغلون فيها بالقوة وتهديد أصحابها اذا لم يذعنوا لطلباتهم واذا استخدموا غيرهم او فصلوا احدا منهم من العمل ٠

وحيث ان عقاب جميع المتهمين على هذه التهم الثلاث ينطبق على نص المواد ٤٢ مكررة والفقرتين الثانية والثالثة من المادة ١٥١ من قانون العقوبات المعدلة بالقانون نمرة ٣٧ لسنة ١٩٢٣ والمادة ٣٢٧ المكررة المضافة الى قانون العقوبات بالقانون المذكور ٠

وحيث ان باقى المواد التى طلبت النيابة تطبيقها ضد المتهمين المذكورين لا ترى المحكمة محلا لها لان ما وقع من المتهمين بالفعل يدخل تحت نص المواد سالفة الذكر ٠

وحيث ان التهم التى رات المحكمة ، ادانة المتهمين بها مرتبط بعضها ببعض لانها كلها ترمى الى غرض واحد ، وهو قلب النظام الاجتماعى بالقوة وتبديله بآخر شيوعى فيتعين معاملتهم بالمادة ٣٢ من قانون العقوبات ٠

وحيث ان دفاع المتهمين يتلخص فى هذه المسائل وهى :

اولا ـ ان السلطة العسكرية سبق لها أن فتشت محل الحزب الشيوعى

المصرى واخذت ما فيه من الاوراق واطلعت عليها وبرات اثنين منهم وادانت الآخرين بتهمة اخرى .

ثانيا – انهم لم يتفقوا جنائيا على الجرائم المذكورة فى التهم المسندة اليهم . وانما كان غرضهم مساعدة العمال على نيل حقوقهم ودفع الظلم عنهم ورفع مستواهم الى الدرجة اللائقة بهم فى المجتمع الانسانى . وان الاتفاق الجنائى مشروط بان يكون على تنفيذ الجرائم لا على مجرد الدعوة اليها وبالاستمرار عليه وتعيين الجرائم المتفق على ارتكابها . والحزب لم يستمر فى عمله لان بعض أعضائه كانوا محبوسين . وكل ما عمله البعض الآخر انما هو نشر المنشورات .

ثالثا – انهم لم يجمدوا على الواحد والعشرين شرطا التى وضعتها الدولية الثالثة . بل وضعوا لأنفسهم برنامجا خاصا وما جاء فيه من الغاء نظام العزب ومصادرة ما زاد عن المائة فدان ليس فيه ما يدل على أن ذلك يكون باستعمال القوة . بل أن غرضهم الوصول اليه عن طريق التشريع على أن التعرض لحق الملكية واخذ الاملاك من أربابها حصل له نظير فى مصر من قبل فى زمن سيدنا عمرو بن العاص الذى صادر الاطيان من أصحابها وجعلها خراجية . وفى زمن محمد على باشا خديو مصر الاسبق وفى عهد اسماعيل باشا . وعلى أن المراد بالثورة فى عرف الشيوعيين انما هو الثورة الفكرية وأن قلب النظام ليس من الضرورى أن يكون بالقوة بل قد يحصل بغيرها بعد اعداد النفوس له .

رابعا – أن شروط علانية النشر المذكورة بالمادة ١٤٨ عقوبات لم تتوفر لأنهم ما كانوا ينشرون مبادئهم الا بين اعضاء الحزب وبطريقة سرية .

خامسا – ان القانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٢٣ المطلوب معاقبة المتهمين بمقتضى المادة ١٥١ منه مغايرة لحرية الفكر التى هى من المبادىء الاساسية للدستور . وبذلك يكون معارضا له وكان يجب عرضه على البرلمان قبل اصداره وانه نص فى الدستور على أنه يعمل به من تاريخ انعقاد البرلمان وعلى ذلك لا يصح تطبيقه على المتهمين .

وحيث ان هذا الدفاع فى غير محله :

اما أولا – فان المتهمين لم يقدموا للمحكمة اى دليل على سبق محاكمتهم على ما هم محاكمون من اجله اليوم وتبرئتهم منه . بل الثابت من الاوراق

ان التهمة التى كانت موجهة الى بعضهم امام المحكمة العسكرية ، انما هى تهمة المظاهرة .

اما ثانيا ـ فان الاتفاق الجنائى وقع منهم فعلا على تحبيذ قلب نظام الهيئة الاجتماعية المصرية بالقوة والتهديد والوسائل الاخرى غير المشروعة كما يدل انضمامهم الى الحزب الشيوعى الروسى الذى مبدؤه الأساسى قلب نظام الحكومات وعدم أرباب رؤوس الاموال بالثورة والقوة بعد الاستعداد لذلك بتكوين نقابات للعمال وضم هذه النقابات فى عروة اتحاد واحد لايجاد القوة الكافية للثورة ، وذلك يستفاد صريحا من الواحد والعشرين شرطا السابق تلخيصها ومن عمل الشيوعيين فى الحكومة القيصرية بروسيا ، وتحبيذهم لقلب نظام الهيئة الاجتماعية هو جريمة معينة جاء ذكرها فى الفقرة الثانية من المادة ١٥١ من قانون العقوبات السالف ذكرها . وقد استمروا على الاتفاق حتى وقت ضبطهم بنشر الدعوة الى مبادىء حزبهم وانكارهم على الحكومة ضبط بعضهم وضبط أوراقهم .

واما ثالثا : فان برنامجهم الذى نشروه فى بعض الجرائد وطبعوه فى كراسة ووزعوه على أعضاء الحزب هو مستمد من شروط الدولية الثالثة التى لا يمكنهم ان يحيدوا عنها ويتفق معها فى المبادىء والمقاصد ، وحيث انه لا يمكن ان يكون غرضهم الوصول الى ما قرروه فى هذا البرنامج عن طريق القانون لان هذا يكون منافيا تمام المنافاة للمبادىء الثورية التى وضعتها الدولية الشيوعية الثالثة والتى هم مطالبون بالاستمساك بها ومعاداة من يعمل على نقيضها ولا معنى لتفسير كلمة ثورة التى لاكتها السنتهم وجرت بها أقلامهم فى كثير مما قالوا وكتبوا بالثورة الفكرية لان أقوال زعماء الحزب الشيوعى وأعمالهم تدل على خلاف ذلك وان المراد بالثورة ، انما هو الثورة الفعلية التى أساسها القوة المادية ولا معنى كذلك للمقارنة بين ما يرمى اليه المتهمون من الغاء الملكية الفردية وبين أعمال بعض ولاة مصر السابقين لان سيدنا عمرو بن العاص دخل مصر فاتحا بجيشه وسلاحه فتشبيههم ما يطمحون اليه بعمله هو حجة عليهم فى انهم يريدون بالثورة اغتصاب الاطيان من أربابها بالقوة على ان هناك فرقا بين عمل ذلك الفاتح العظيم وبين ما عمله الشيوعيون فى روسيا وما يطمح المتهمون الى ان يحصل نظيره فى مصر فان ذلك الفاتح ترك الاطيان للناس يزرعونها بكل حرية واختيار ويحصلون على ثمراتها فى مقابل دفع خراجها . واما الشيوعيون فى روسيا فانهم انتزعوها قهرا من أربابها وصيروا غلتها الى الحكومة توزعها كيف تشاء .

واما فى عهدى محمد على باشا واسماعيل باشا فالنظام الذى حدث فيها كان مبنيا على طرق مشروعة تناسب ذلك الوقت :

وأما رابعا – فلان المتهمين لم يكتفوا فى سبيل نشر دعوتهم الى الشيوعية بالافضاء بها سرا ، بل قد جهروا بها ونشروا برنامجهم فى احدى الصحف السيارة وطبعوه مع شروط الدولية الثالثة فى كراسة وكانوا يوزعونها علنا حتى علم فوق الف وخمسمائة عضو بها ونشروا بعض هذه المبادىء فى المكتوب المفتوح الذى وجه الى دولة رئيس الحكومة المصرية الذى طبع ونشر ، وكان احدهم يحبذ هذه المبادىء الشيوعية فى محفل وجد فى بيت من شانه أن يجتمع فيه كثير من الناس لمكانة صاحبه وكونه زعيما من زعماء الحركة الوطنية وكان آخر يملى على تلاميذه امالى «موضوعات» فى تحبيذ الشيوعية وهذا كله كاف فى توافر شروط العلانية ·

اما خامسا – فلان القانون رقم لسنة ١٩٢٣ المعدل للمادة ٥٩ من قانون العقوبات قد صدر من الجهة التى لها ولاية التشريع وقت صدوره ولم يات نص فى الدستور مانع لتنفيذه أو معلق له الى الوقت الذى ينظره فيه البرلمان فاحكامه لا يمكن تعطيلها الا بقانون آخر ينسخها وما دامت موجودة فلا بد من تطبيقها على المتهمين ·

وحيث ان المتهمين محمود حسنى العرابى وانطون مارون وصفوان ابو الفتح والشحات ابراهيم وابرام كاتس وهليل زانبرج هم زعماء هذا الحزب وأشدهم تحمسا للشيوعية واكثرهم نشاطا فى بث دعوتها وهم بذلك أعظم خطرا فيتعين التمييز بينهم وبين باقى المتهمين فى العقوبة وتدعو الى معاملتهم بمقتضى المادة ١٧ من قانون العقوبات ·

وحيث ان اجراءات الغياب قد اتخذت فى حق المتهمين ابرام كاتس وهليل زانبرج حسب القانون فيصح الحكم عليهما غيابيا .

فلهذه الاسباب وبعد الاطلاع على المواد سالفة الذكر ··

حكمت المحكمة :

اولا : بمعاقبة كل من محمود حسنى العرابى وانطون مارون وصفوان ابو الفتح والشحات ابراهيم وابرام كاتس وهليل زانبرج بالسجن ثلاث سنوات ·

وثانيا : بمعاقبة كل من عبد الحميد احمد تره ومحمود ابراهيم السمكرى وشعبان حافظ ومحمد الصغير وعبد الحفيظ عوض بالحبس مع الشغل لمدة ستة شهور .

(الأهرام : ١٩٢٤/١٠/٧)

مراجع عربية ومترجمة

أحمد بهاء الدين	أيام لها تاريخ
أحمد رشاد	مصطفى كامل حياته وكفاحه
أنور الجندى	عبد العزيز جاويش
اسماعيل مظهر	مذهب النشوء والارتقاء
أمين عز الدين	تاريخ الطبقة العاملة منذ نشأتها حتى ١٩١٩
أمين عز الدين	المنصورى = سيرة مثقف ثورى
توفيق دياب	اللمحات
جوستاف لوبون	روح الاشتراكية ترجمة عادل زعيتر
جوستاف لوبون	روح الثورات ترجمة عادل زعيتر
جوستاف لوبون	روح السياسة ترجمة عادل زعيتر
جوستاف لوبون	سر تطور الامم ترجمة فتحى زغلول
حسين فوزى النجار	احمد لطفى السيد
حسين نامق	خلاصة الاقتصاد ونبذة من التاريخ الاقتصادى
خليل بك سعاده	اسرار الثورة الروسية
رامزى ماكدونالد	الحركة الاشتراكية ترجمة محمود حسنى العرابى
رشدى صالح	كرومر فى مصر
رفعت السعيد	الاساس الاجتماعى للثورة العرابية
روزنشتين	دمار مصر ترجمة على شكرى
رؤوف عباس	الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ ـ ١٩٥٢
زكى فهمى	صفوة العصر فى تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر
سليمان محمد النخيلى (دكتور)	الحركة العمالية فى مصر وموقف الصحافة والسلطات المصرية منها ١٨٨٢ ـ ١٩٥٢
سامى الكيالى	ولى الدين يكن
سلامة موسى	مقدمة السوبرمان
سلامة موسى	الاشتراكية
سلامة موسى	تربية سلامة موسى
سلامة موسى	مختارات سلامة موسى
سلامة موسى	جيوبنا وجيوب الأجانب
شهدى عطية الشافعى	تطور الحركة الوطنية المصرية
صبحى وحيده	مارس ١٩١٩ الدامى والفلاحون
طاهر الطناحى	خليل مطران

عباس محمود العقاد	الفصـــــول
عبد الوهاب بكر (دكتور)	أضـــواء على النشـــاط الشـــيوعى فى مصر ١٩٢١ - ١٩٥٠
عباس محمود العقاد	مطالعات فى الكتب والحياة
عبد العظيم محمد رمضان	تطور الحركة الوطنية فى مصر
عبد المنعم الغزالى	تاريخ الحركة النقابية ١٨٩٩ - ١٩٥٢
عبد الرحمن الرافعى	مذكـــراتى
عبد الرحمن الرافعى	محمـــــد فـريد
على فهمى كامل	سيرة مصطفى كامل
عبد الرحمن الرافعى	نقابات التعاون الزراعية
عزيز خانكى	شئون مصرية
عزيز ميرهم	الديمقراطيـــــة
عمر الدسوقى	فى الادب الحديث
غورست وكتشنر	تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر
فكرى اباظة	الضــــاحك الباكى
فوزى جرجس	دراسات فى تاريخ مصر السياسى
قسطاكى الياس عطارة	تاريخ تكوين الصحف المصرية
كامل ابو جابر	جـذور الاشتراكية
محمد انيس	دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩
محمد عبد الله عنان	تاريخ المؤامرات السياسية
محمد عبد الله عنان	تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة
محمد على غريب	الفدائى الاول
محمد حسين هيكل وآخرين	السياسة المصرية والانقلاب الدستورى
محمد سيد كيلانى	ترام القاهرة
محمد صبيح	مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية
محمود ابو الفتح	المسالة المصرية والوفد
محمود حسنى العرابى	٨٩ شهرا فى المنفى
محمود عزمى	خبـــايا سياسية
محمود الشرقاوى	سلامة موسى المفكر والانسان
مصطفى حسنين المنصورى	تاريخ المذاهب الاشتراكية
نقولا حـداد	الاشــــتراكية
نقولا حـداد	علم الاجتمــــاع
نيكولاى كوتساريف	من الف عام من الزمان
والتر لاكور	الاتحاد السوفييتى والشرق الأوسط

وجه لامبللان	الى الاستقلال ، مصر وانجلترا
ولى الدين يكن	المعلوم والمجهول
ولى الدين يكن	التجـــاريب
ولى الدين يكن	الصحائف السـود
ولى الدين يكن	عبـو الخاطر

وثائق وابحاث وتقارير غير منشورة

ـ محفوظات دار الوثائق المصرية .

ـ وثائق وزارة الداخلية المصرية ـ ادارة الامن العام ـ مودعة بالارشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية .

عبد الرحمن فضل — مقدمة لتاريخ الحركة العمالية فى مصر (مخطوط)

مارسيل اسرائيل — تقرير حول تاريخ الحركة الاشتراكية المصرية

مراجع اجنبية

— A.E. Crouchly — The investment of Foregn Capital in Egyptian Companies and Public debt.

— Charles issawi — The Economic History of the Middle East.

— Jane De Gras (ed.) — The Communist international ' 1919-1943.

— Mona Hammam — women workers and the practice of Freedom as education — The Egyptian Experience.

— Selma Botman — The Rise and Experience of Egyptian Communism .

— Suliman Bashir — Communism in the Arab East 1918-1928.

— Roger owen — Lord Crommer and the development of Egyptian industry 1882-1907

— Roger owen — The Middle East and the world Economy

— Dr. L. RATHMAN : Some remarks on the stay in Germany of Mustafa Kamel and Muhamed Farid.

— N. Paparidotai — Petit Resumé du movement politique Grec en Egypt.

— GABRIEL BEAR — A History of Landownership in Modern Egypt.

— EDI — La Fortune immobilière de l,Egypte et sa dete hypothécaire

— Lord LLOYD — Egypt since Crommer.

— J. A. AHMED —The Intellectual Orgins of Egyptian Nationalism.

— JACQUES BERQUE — L,Egypte Impérialisme et Révolution.

— WALTER Z. LAQUER — Communism and Nationalism in the Middle East.

— Oeuvres du Congrès National Egyptien tenu à Bruxelles, 1910.

— VALLET — Contirbution à l,étude de la condition des ouvriers de la grand indústrie au Caire.

« صحف ودوريات »

الاقـــدام
اتحـــاد العمـــال
العمـــال
المؤيـــد
مقـــالات قصر الدوبارة (مختارات من المؤيـــد)
اللـــواء
العلـــم
ليتنـــدار
الأهـــرام مجموعات عام ١٩٠٧ حتى ١٩٢٥
الجـــريدة
الأهـــالى
الأفكـــار
الأخبـــار (جريدة للحزب الوطنى)
الهـــلال
المقتطف
البـــلاغ
مجلة مجمع اللغة العربية مجموعة ١٩٦٢
كل شىء والدنيـــا
المجلة الجديدة
الطليعـــة
السياسة الأسبوعية
الأمـــل
النـــور
المـــؤيد
المقطـــم

— International Press Correspondenece. 1923-1928
— The Labour Monthly. 1925
— Le Phare d,ALexandrie
— Limpazzial

فهرست الجزء الأول

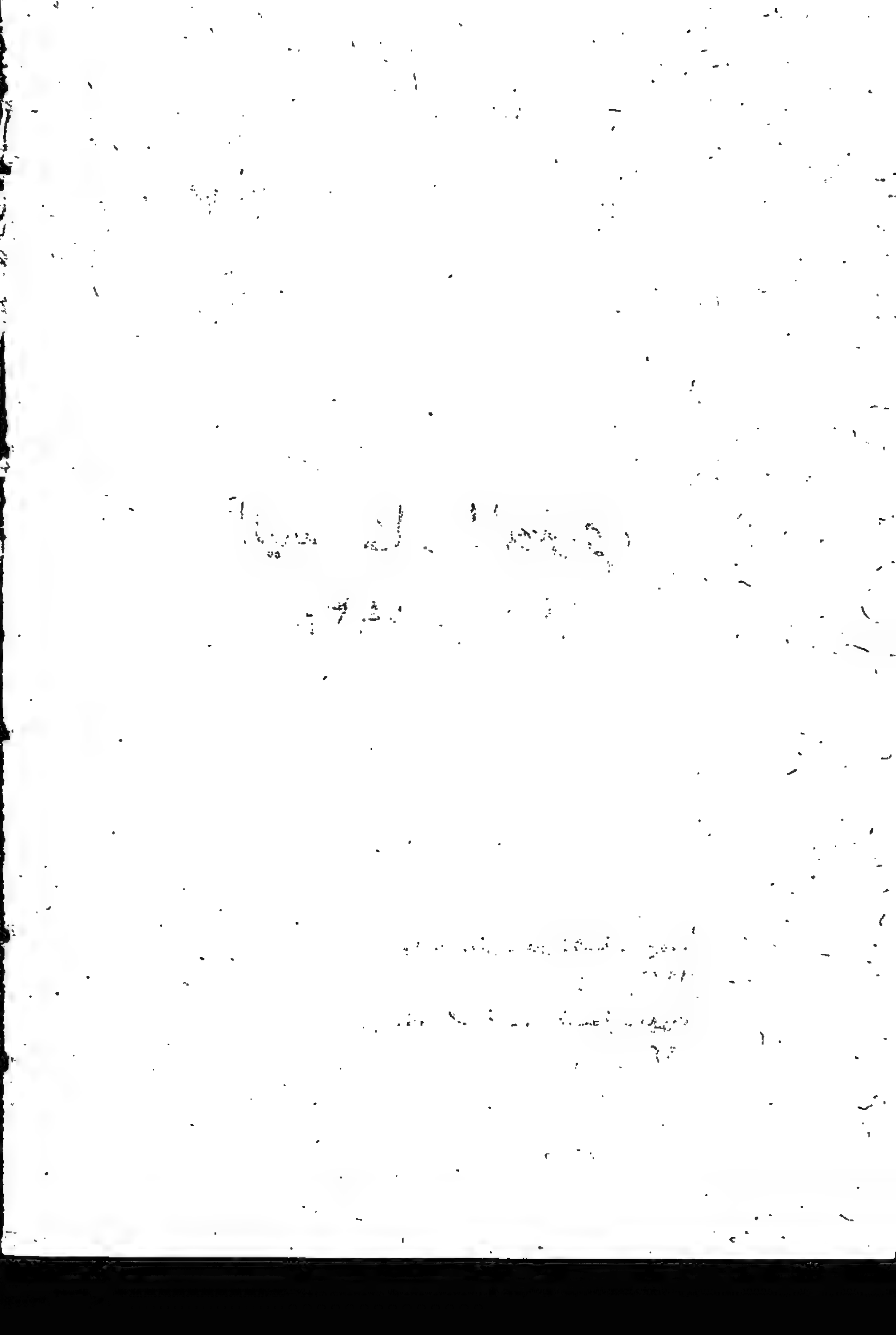
القسم الأول :

الجزء الثانى

اليســـار المصري

١٩٢٥ - ١٩٤٠

الطبعة الاولى ـ دار الطليعة ـ بيروت
١٩٧٢
الطبعة الثانية ـ دار الطليعة ـ بيروت
١٩٧٣



الى .. ابي وامي

[illegible]

ان أجيالا متعاقبة من شباب مصر قرات تاريخهـا الوطنى على غير حقيقته • وصور لهـا الأبطـال فى تاريخها تائهين وراء سحب من الشك والغموض ، بينما وضعت هالات التمجيـد والاكبـار من حول الذين خـانوا كفاحها •••

جمـال عبد الناصر (الميثاق)

ليست مقدمة ...

نعم فالمقدمة ـ ان صح استخدام هذا التعبير ـ قد استغرقت عدة مئات من الصفحات في الجزء الاول من هذه الدراسة .

لكننا نعرف أن الرواية لم تتم فصولها بعد ، لا بالنسبة للقارىء ولا للكاتب فثمة فصول هامة يجب أن تكتب . واذا كان المؤرخون البرجوازيون قد نجحوا الى حد ما فى طمس كثير من معالم تاريخ الحركة الشيوعية فى العشرينيات ، فانهم قد نجحوا الى حد كبير فى طمس كل معالم تاريخ هذه الحركة فى الثلاثينيات .

والذين كانوا يشكون من قلة المعلومات عن نشاط الاشتراكيين المصريين فى العشرينيات ويتبرمون من أن أيديهم لا تمتلك غير تعميمات وأنصاف حقائق ووقائع مبهمة ، فانهم بالنسبة للثلاثينيات فى ظلام تام ، فالمعلومات تكاد أن تكون منعدمة .

والحزب الذى كان ملء السمع والبصر فى عام ١٩٢٤ بدأت مطاردته ..

والحركة النقابية الثائرة ونقاباتها الحمراء وصناديق المعونة البروليتارية ... اختفت لتحل محلها نقابات صفراء ...

والقادة العماليون الحقيقيون ، الشيخ صفوان أبو الفتح ، والشحات ابراهيم ، وأنطون مارون ومصطفى أبو هرجة ، اختفوا ليحل محلهم قادة برجوازيون بل واقطاعيون يحاولون امتطاء حركة الطبقة العاملة .. أسماء مثل عبد الرحمن فهمى والنبيل عباس حليم وداوود بك راتب ، عزيز بك ميرهم ، وادجار جلاد باشا الخ .

لكن هذه الصورة زائفة تماما ...

صحيح أن حركة اليسار المصرى قد تعرضت لجذر حاد فى الثلاثينيات لكن الحزب كان لا يزال موجودا بشكل أو بآخر ..

والحركة العمالية كانت تموج بالتيارات الثورية الحقة ...

وانتفاضات عمال المنابر ضد ارهاب صدقى لم تكن انتفاضة وفدية بقدر ما كانت انتفاضة عمالية ..

وهكذا كان لابد من محاولة لاستكمال فصول الرواية ...

واذا كانت دراسة تاريخ الحركة الشيوعية فى العشرينيات مسالة صعبة ، فانها بالنسبة للثلاثينيات شىء بالغ الصعوبة وبالغ التعقيد معا : لكننا مع ذلك سنحاول ..

* * *

وتتسم حركة اليسار فى الثلاثينات بالتشعب وتعدد المنابر ...

هناك خلايا الحزب القديم ومحاولاته الدائبة والمستمرة لكى يؤسس مراكز فعلية لنفسه وسط الجماهير ، ووسط تجمعات العمال على وجه الخصوص .

وهناك محاولات أخرى عديدة للمثقفين الماركسيين المصريين .. بعضها اتخذ طابعا ثقافيا والبعض الاخر اتخذ طابعا تنظيميا ...

وهناك محاولات لليسار الإجنبى المقيم فى مصر انحصرت وسط تجمعات الاجانب ومحاولات أخرى امتدت لتجذب فى صفوفها يساريين مصريين ..

ولا بد من جهد لتجميع شتات المعلومات المتناثرة حول هذه النشاطات جميعا ، لكن مثل هذا الجهد يصطدم بعقبات حقيقية :

فالمعلومات قليلة ، ومعظمها مختزن فى صدور أصحابه ، وهؤلاء الناس بعضهم طواه الموت ، والبعض الاخر تناثر فى أرجاء العالم ، اما مطرودين بسبب نشاطهم السياسى واما مهاجرين ضمن موجات هجرة الاجانب التى توالت منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وهكذا فان البحث عن هذه المعلومات والذكريات الشخصية ، يجب ان يمتد الى فرنسا وايطاليا وقبرص ، وألمانيا ، والسودان .. الخ .

ولقد كان الجهد الذى بذل فى هذا الصدد - بالرغم من صعوبته البالغة - مجزيا ..

فلقد استطعنا من خلاله أن نحصل على معلومات بالغة الاهمية تكشف أمامنا حقيقة الدور الذى لعبه يسار الثلاثينيات بصورة لم يكن من الممكن التوصل اليها دون الاستعانة بالذكريات الشخصية .

فلا المراجع التاريخية ، ولا صحف هذه الفترة ، ولا حتى معلومات أجهزة الأمن تستطيع ان تغنى عن هذه الذكريات الشخصية ، فمعظم هذا النشاط تم بشكل جانبى بعيدا عن أعين أجهزة الامن متخذا فى كثير من الاحيان ستارا

من نشاط علنى .. بل أن بعضه قد أمكن فى سريته الى حد أنه أصبح سرا منيعا لا يتوصل اليه الا افراد قلائل أما الاخرون ــ فبالرغم من مشاركتهم فيه ــ فقد كانوا يعيشون على هامش الحقيقة ٠

وبحثا عن الحقيقة كان من الضرورى أن نبحث عن هؤلاء الرجال ، وأن نجوب مختلف البلدان ، سعيا وراء ذكرياتهم ..

لكن الذكريات وحدها لا تكفى ٠

فالذكريات انطباعات شخصية ، تتأثر بالنوازع الذاتية ، وتنظر للمسائل دوما من زوايا شخصية ، وهى كثيرا ما تتخذ مسارات جانبية دون تحليل شامل للاتجاهات العامة وأهم من هذا كله فان هذه الذكريات لا تتحدث الا عن بعض المحاولات دون الاخرى ، وللاسف فان الجانب الذى تتجاهله هذه الذكريات جميعا هو متابعة نشاط خلايا الحزب القديم وجهوده المثابرة لاعادة تكوين نفسه ٠

تتجاهل قصة هؤلاء الرجال الشجعان الذين تعرضوا لضغوط قاسية ، وارهاب لم تشهد له مصر مثيلا ومع ذلك فقد صمموا على أن يواصلوا المسيرة .. وواصلوها فعلا فى اصرار غريب ثم راحو ليطويهم نسيان متعمد..

هؤلاء الرجال الشجعان الذين تعرضوا فيما تعرضوا لتجاهل الماركسيين الجدد الذين نبتوا من بطن أحداث الثلاثينيات العاصفة فراحوا يبحثون عن طريق جديد لمصر ، لكنهم بحثوا عن هذا الطريق بمعزل عن النشاط القديم ، لا لأنه غير موجود ، وانما تصوروا بأن مجرد التلامس مع هؤلاء الرجال سوف يجر وراءه ويلات المطاردة والسجن ٠

وهكذا وكأنه قد كتب على هؤلاء الرجال أن يتحملوا تبعات المسيرة أكثر من خمسة عشر عاما يحملون فيها رايات تنوء بحملها السواعد .. ثم يأتى الآخرون ليجنوا ثمار هذا الجهد المتواصل ، ولا يكون أمام هؤلاء الرجال الا الانزوا فى صمت فى صفوف المؤخرة تحت دعاوى الامان وتجنب مطاردات البوليس .. الخ ..

ومن هنا كان لا بد من جهود أخرى كى تكتمل الصورة ..

❋ ❋ ❋

وعلى صفحات جرائد ومجلات هذه الفترة تردد صوت هؤلاء الرجال فى مرات عديدة فى مقالات أو بيانات يرددها مثقفوا اليسار ويشرحون فيها وجهات نظرهم .. وفى أخبارهم وهم يقفون فى اقفاص الاتهام يدينون قضاتهم ويدافعون ببسالة عن « الاشتراكية » أو أخبار كوادرهم وهم يتحدون قرارات الطغيان

باسقاط الجنسية المصرية عنهم فيخلقون بتصميمهم على العودة الى أرض الوطن ملحمة تتردد أصداؤها على صفحات جميع الجرائد وتتحول الى قضية دستورية تناقش فى كافة الاوساط وتدرس لطلبة كلية الحقوق وتنتهى بانتصارهم وباسقاط المرسوم الجائر ٠

وفى مضابط البرلمان ـ الذى شغل نفسه كثيرا ـ بمقاومة التيار الاشتراكى والنشاط الشيوعى توجد معلومات كثيرة أيضا ٠٠

وفى ارشيفات أجهزة الامن معلومات أكثر ٠٠٠

لكن الجهد المتواصل لا يكفى وحده ، فثمة معلومات لا يمكن التوصل اليها مهما بذل الانسان من جهد ومع ذلك فلقد كان لا بد من المحاولة ٠٠

واثمرت هذه المحاولات بصورة غير متوقعة ٠٠٠

وحتى معلومات رجال الامن أمكن التوصل الى بعضها معروضة فى المتحف البريطانى فى لندن ٠ وهى مجموعة وثائق خاصة بوزارة الخارجية البريطانية وتتضمن تقارير من السفارة البريطانية فى مصر وبعض أوراق المخابرات البريطانية وتقارير البوليس السرى فى القاهرة ٠٠ الخ ٠

وهنا ٠٠ وبعد أن تتجمع خيوط كافية ، يملك الانسان الجراة على أن يبدأ محاولة الكتابة فى موضوع كهذا ٠٠٠

***

وهكذا يحدد الموضوع نفسه ٠

* مجموعة من الصور التمهيدية فى محاولة لتصور المناخ العام الذى حاول اليسار ان يتحرك فيه على ارض مصر ٠

وهى ليست باية حال استقصاء أو دراسة تحليلية للاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمصر فى الثلاثينات فهذه مسالة تتطلب دراسة مستقلة واسهاما لا يتوفر ضمن محاولة كهذه ، وانما هى مجرد لمحات أو صور يمكنها أن تعطى فكرة عن المناخ العام ويمكنها أن توضح آفاق حركة اليسار والامكانيات المتاحة أمامها والاسباب التى حددت لها مسارات معينة ٠

* محاولة لتتبع مسار القوى الشيوعية التى واصلت النضال عقب الضربة التى وجهتها السلطة للحزب فى عام ١٩٢٤ ٠ وهو مسار بالغ التعقيد، فان الحزب الذى فرضت عليه السرية بصورة مفاجئة ودون استعداد كاف قد خاض معركة البقاء ضمن قوالب وأشكال متعددة من الصعب استقصاؤها

جميعـا لكنه من المفيـد تقـديم كل ما أمكن التوصل اليه من معلومات فى هذا الصدد لعله يكون بداية لدراسات أخرى تبحث عن خيوط أخرى بهدف استكمال الصـورة ٠

* مجمـــوعة من محــاضر النقــاش مع من أمكن التوصـــل اليهم من المسؤولين عن النشاط اليسارى فى مصر فى ذلك الحين ، وكذلك بعض آرائهم مثبتة فى تقـارير ٠

وهى تقـدم بصورة ـ شبه وافية ـ ومن خلال مجموعة من الذكريات الشخصية صورة عن نشاطات وأفكار وأساليب وامكانيات يسار هذه الفترة٠

* مجموعة من الوثائق والاوراق القضائية ووثائق وزارة الخـارجية البريطـانية ووثائق النشاط الحزبى ٠٠

* * *

والحقيقــة أن أكثر ما يستمتع به كتاب التاريخ ، هو أنهم يطلقون يدهم فى اصدار التقييمات والاحكـام على كل شىء وعلى كل شخص أو حـدث أو موقف ٠

فكتاب التاريخ يتحركون فى مجـال معظمه أناس قد طوتهم الأحـــداث وتخطاهم الزمن ومن هنـا تكون الجرأة فى اصدار أحكام وتقييمات قاطعة ٠

لكننى لست أملك مثل هذه الجرأة ، وفى هذا الموضوع بالذات فاننى أعترف بعجـزى عن أى ادعاء للتقييم العـام أو استصدار أحكام شاملة وقاطعة فهو بالنسبة لى أمر غير ممكن ، ولا هو مطلوب ٠

فالتقييمات وهى ضرورية ـ لا يمكن التجرؤ على استصدارها الا بعـد استقصاء الحقيقة كاملة ، ونحن بالنسبة لهـذه الحقيقـة لا زلنـا فى أول الطريق ، ومن هنـا فان الاجتراء على التقييم هو اجتراء على الحقيقـة ذاتها ٠

لكننى مع ذلك أشعر اننى بهذه الدراسة أخطو الخطوة الاولى نحو محاولة التقييم فلنبذل جهـدا آخر ٠٠ مرة أو مرتين أو ثلاث ، أنا وغيرى ثم بعدها يكون من الممكن أن نستصدر أحكـاما ، وبعـدها يكون لاحكامنـا بعض من رنين الحقيقة ، ويكون بامكاننا أن نجترىء على التقييم ، دون أن نجترىء على الحقيقة ٠

* * *

ولسوف يجـد القـارىء وخاصة فى القسـم الخاص بمحاضر النقاش ، آراء متناقضة ، وروايات تختلف عن بعضها البعض ، وهجوما من شخص على شخص ، وانتقادات واتهامات ومحاولات لالقـاء مسؤوليات على هذا الشخص

أو ذاك ، وكل هذا طبيعى ، وهو فى ذاته انعكاس للصورة الواقعية التى عاشها يسار الثلاثينيات فى مصر .

ولقد تعمدت أن أتركها كما هى ، فلست أعتقد أن من حقى أن أقف حكماً بين هؤلاء الرجال ، ولست أعتقد أن من حقى أن امسك فى يدى قلم الرقيب أشطب هذا وأبيح ذاك ، والمسألة ليست مجرد موقف اخلاقى ، ولا هى تمسك بحقوق من قالوا هذه الكلمات ، لكنها فى واقع الامر - وقبل كل شىء - تمسك بالحقيقة واحترام للتاريخ .

وكما قلت من قبل فان تجميع هذه الذكريات يستهدف - فى الاساس - استنقاذها من الضياع ، وتقديمها للباحثين والقراء مادة تخضع للدراسة والتقييم ولاستخلاص النتائج .

* * *

وبعد ...

ان المحاولات التى بذلت لدراسة تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر قليلة جدا ، ومعظم هذا القليل مغرض ومضلل ، يقدم نصف الحقيقة ويطمس النصف الآخر أو يزيفه ، ولعل كتابات «والتر لاكور»(١) نموذج لذلك كله ، لكن اكبر ما رددته هذه الكتابات من اكاذيب هو تأكيدها أن الثلاثينيات لم تشهد تحركا لليسار فى مصر ، وأنها كانت فترة تضاءل فيها وجوده الى حد الانعدام .

ولست أعتقد أن من حقى أن أسبق تسلسل الكتاب لأؤكد ان هذا الزعم غير صحيح ففى الصفحات القادمة الرد الحاسم على ذلك الادعاء .

ولكنى لا أزعم أننى قلت الحقيقة كلها ، أو أننى قد استوفيت كل ما يمكن أن يقال عن يسار الثلاثينات فى مصر ، فهذه الدراسة ليست سوى بداية ..

ليست سوى محاولة لتحديد معالم الطريق وتعبيده ودعوة للاخرين أن يسلكوه ، وأنا واثق تمام الثقة أن تاريخ اليسار فى مصر من الثراء بحيث يجد كل باحث فيه جديدا وبحيث يثمر فيه كل جهد اثمارا يفوق كل توقع .

وأخيرا فان هذه الكلمات لم تكن مقدمة لكتاب بقدر ما كانت استعراضا لأفكار كاتب يحاول أن يثبتها على الورق ، كى يستطيع أن يبدأ ...

---

(١) راجع كتابيه :

- The Soviet Union and the Middle East.
- Communism and Nationalism in the Middle East.

القسم الأول

مصر الثلاثينات

الصراعات الفكرية والسياسية

بين

اليمين واليسار

- ١٠ -

اليمن

* حرب الدعاية ..
* قادة برجوازيون للطبقة العاملة .
* ... وللفلاحين ايضا .
* الفاشست ينشطون .

إن مذهبـا من المذاهب الاخرى لم يوجه اليه كل هذا القـدر من الهجمات والافتراءات ، فلقـد شعرت البرجوازية المصرية أن فكرة الاشتراكية لم تكن مجـرد رأى استهوى عددا من المواطنين لكنها أصبحت شيئا لا يمكن اقتلاعه ٠٠ أو كمـا وصفه أحمد الصاوى محمد « شوكا دق جذوره العميقة فى الأرض » ٠

ولم تعد السجون وحـدها تكفى ، ولا حملات الارهاب ، ولا اجراءات منع ورود المذهب من الخـارج ٠٠ فلقـد دقت الجذور نفسها عميقـا فى تربة مصر ، ولم يعـد هنـاك مناص من محاولات عنيفة لاقتلاع هذه الجذور ٠٠

وتماما كما شن الحكام ارهابا بشعا ضـد دعاة الاشتراكية فقـد شن مفكـرو البرجوازية حملات تستوى معهـا فى البشاعة ولكن على المستوى الفكرى

وانهالت الكتب والمقالات والدراسات تهاجم الفكرة الاشتراكية بل وفكرة المساواة من أساسها ، وتبث فى عقول وقلوب المصريين أوهاما وأكاذيب حول التجربة التى كان البلاشفة يبنونها على أرض روسـيا ٠

بل لقـد تصـدى بعض المفكرين البرجوازيين لمحـاولة تفنيد « المذهب الاشتراكى » وتقديم نظريات لتطوير المجتمع المصرى ٠٠ بعضها دفاع صريح عن الرأسمالية والبعض الآخر يتستر خلف محاولات أحياء النموذج الاسلامى ٠٠ الخ ٠

ومن بين هؤلاء الذين شغلوا أنفسهم كثيرا بقضية « تفنيد » المذهب الاشتراكى » اسماعيل مظهر الذى أصدر كتيبا بعنوان « الاشتراكية ٠٠ تعوق ارتقاء النوع الانسانى »(١) ٠

ويبدأ اسماعيل مظهر محاولته قائلا « نسمع بين آونة وأخرى صدى الاشتراكية يرن فى آذاننا فى أنحاء مصر ، فنشفق أن يكون من أثر ذلك ان تدلف بعض الجماعات فى تلك السبيل بقدمها مأخوذه بمزينات تلك المبادىء الخيالية ، دون الوقوف على حقائقها العلمية والاقتصادية ومرتكزها الفلسفى وآثارها الاجتماعية ٠

والحق أن كلمة المساواة التى تقـوم عليهـا المبادىء الاشتراكية الشيوعية

---

(١) الاشتراكية ٠٠ تعوق ارتقاء النوع الانسانى ـ مجموعة مجلة العصور لنشر المعرفة والآداب ـ مطبعة الترقى ، سنة ١٩٢٧ ٠

كافة ، لتاخذ بالروع وتستهوى الانفس كما تستهويها كلمات الشرف والفضيلة »(١).

... ثم يمضى اسماعيل مظهر مهاجما فكرة المساواة ذاتها « ان ما تدعو اليه الاشتراكية من المساواة مناقض فى ذاته لحقائق الكون الاولية . مضاد لحرية الفرد وتمتعه بمزاياه ومواهبه التى وهبته اياها الطبيعة »(٢).

... « وليس فى العالم من شىء أبعد عن العدل والحرية اكثر تناقضا مع بديهة العقل من التسوية بين غير المتساوين »(٣).

ثم ينحنى اسماعيل مظهر ليهاجم التجربة السوفيتية . ولقد مثل هذا الهجوم محور نشاط كل أعداء الاشتراكية . ذلك أن عدم النموذج الذى ينتجه الثورة الاشتراكية – فى العقول – هو السبيل لهدم فكرة الاشتراكية ذاتها .. « أن محصل ما وقع فى روسيا السوفيتية هو أنه قام فى روسيا حكم الاستبداد العسكرى الشيوعى مقام الحكم القيصرى المستبد تحت طلاء من المساواة المفروضة الواقعة بالفعل . ولا يستطيع باحث اجتماعى أن يقضى فى حالة روسيا القائمة اليوم بحكم فيه شىء من روح اليقين قبل أن تنجلى غمرة الدماء التى تجتازها روسيا ، وقبل أن تستقر المدنية على أساس ثابت ، وقبل أن ينقشع عن أنقها غيهب المجاعات التى تكاد تفنيها وتذهب بريحها »(٤) .

ويحاول بعد ذلك أن يقدم انتقاده لكثير من جوانب الفكر الماركسى فيهاجم المادية التاريخية – وينتقد موقف الماركسية من الحرب ، وموقفها من الدين ، لكنه لا يلبث أن يكشف القناع عن نفسه تماما فيدافع عن الرأسمالية « أن الفكرة القائمة على أن رأس المال أصل الشرور الاجتماعية كلها ، غير صحيحة وان كان لرأس المال كما هو موضوع اليوم ضلعه ونصيبه منها ، وان كان نصيبا ضئيلا تافها »(٥) .

بل هو يمعن فى موقفه فيتشبث بالنظام القائم فى مصر فى ذلك الحين « ان البقاء على ما نحن فيه خير من استبدال نظام موروث بنظام موضوع ، لا نعلم من أمره الا تجربة مرة وقعت فى ناحية من نواحى الارض سفكت فى سبيلها الدماء ، وضحى لها رؤساء الدين قربانا لصنم المساواة ، وعبث من أجلها بأخص ما يمتاز به الانسان عن الحيوان من المبادىء القويمة الخالدة ، مبادىء الرحمة والعدل والحرية وما اليها »(٦) .

---

١ – المرجع السابق ص ٣ .
٢ – المرجع السابق ص ٤ .
٣ – المرجع السابق ص ٥ .
٤ – المرجع السابق ص ١٢ .
٥ – المرجع السابق ص ٨
٦ – المرجع السابق ص ٩ .

والغريب بعد ذلك كله أن اسماعيل مظهر لا يلبث أن يقوم بمحاولة لتأسيس « حزب للفلاح » ويعد لهذا الحزب برنامجا مطولا سنحاول مناقشته فى فصل قادم لكننا نكتفى هنا بالاشارة الى أنه قد رفع هذا البرنامج الى زعيم الامة مصطفى النحاس وفى النهاية وضع توقيعه تحت عبارة « خادمكم المطيع »(١) .

وثمة محاولات أخرى عديدة لتفنيد وانتقاد المذهب الاشتراكى .. من بينها كتاب السيد محمد عفيفى البقلى المحامى(٢) ، ولقد قدم البقلى فى محاولته هذه مجلدا ضخما حاول أن ينتقد فيه تفصيلا كل المذهب الاشتراكية وان كان قد ركز أساسا على النظرية الماركسية وعلى نظرية القيمة بشكل خاص .. ويخلص من هجومه الى النتيجة التالية « ان هذا المذهب (يقصد المذهب الاشتراكى) مهما تنوعت مبادئه فى الشدة والضعف ، ومهما تنوعت أسماؤه تبعا للمغالاة فى المطالب وفى السعى لقلب النظام الاجتماعى الاقتصادى أى ان كان اشتراكيا بسيطا أو متضامنا ، أو شيوعيا أو فوضويا ، فانه يذهب الى أن القواعد الطبيعية غير قابلة للبقاء وأساسه الاعتراض على الملكية الفردية التى يقول عنها بأنها معيبة فى تكوينها وفاسدة ويجب لغوها واستبدالها بالملكية المشتركة أو الشيوعية »(٣) .

هو اذن يضع كل المذاهب الاشتراكية فى كفة واحدة ويشن عليها هجوما .. قائلا « ان الذى يخابر الثروة فى بعض الدول ، أن عدد الاغنياء قليل والفقراء كثير .. ومن هنا يتضح جليا خطأ الاشتراكيين حيث يزعمون بأن فى سلب الأغنياء أموالهم وتوزيعها بالعدل بينهم وبين الفقراء يصبح جميع الأفراد أغنياء ، وهذا وهم لا محل لاعتباره مطلقا ونظرية فاسدة لا تحل مشكلة »(٤) .

ولا يكتفى البقلى بالهجوم على الاشتراكية لكنه يدافع بصراحة غريبة عن الملكية الفردية قائلا « وعليه فكل وسيلة تتخذ لتكون عقبة فى سبيل الملكية الفردية والمجهود الشخصى مقضى عليها بالفشل »(٥) .

ويقول « ومن ذلك وجب علينا أن ندافع عن الملكية العقارية لاهميتها للمجتمع الانسانى لانها هى رأس الانتاج والتى عليها قضاء حاجات الغذاء .

---

١ ــ مجلة الطليعة ــ مارس ١٩٦٥ .

٢ ــ السيد محمد عفيفى البقلى . فوائد الثمرات الاحمدية فى المباحث الاقتصادية والسياسية . الطبعة الاولى ــ ١٩٢٥ ــ مطبعة المقتطف والمقطم .

٣ ــ المرجع السابق ص ٢٦ .

٤ ــ المرجع السابق ص ٢٣٤ .

٥ ــ المرجع السابق ص ٢٧ .

والذي يهم الاقتصاد هو أن تزيد الغلة بقدر المستطاع لأن المساحة محدودة ولا وسيلة للوصول الى هذه الغاية الا بالدفاع عن الملكية العقارية الفردية والتقول بأنها لم تكن مؤسسة فقط على حق طبيعي بل وعلى حق مدني وعلى العدل المطلق وعلى المنفعة العامة واذا سلمنا بأن المجتمع هو صاحب الحق على الأرض فليس له نظرا للمصلحة العمومية المشتركة بين المخلوقات الا أن ينتدب عنه فى حقه من يقوم مقامه ويستطيع أن يستخرج من الارض أكبر فائدة . ولهذه اللحظة لم نجد الا الافراد الذين يختصون بالملكية هم القادرون دون غيرهم على تحقيق هذه الغاية »(١) .

بل هو يحاول جهده تثبيت النظم الاجتماعى التى كانت ترسف فيه مصر قائلا : « ولذلك ولجميع الاسباب المتقدمة والانتقادات المختلفة التى لاطائل تحتها نلتزم بقبول الحالة الحاضرة عن طيب خاطر - اذ ليس فى مقدورنا أن نغير القوانين الطبيعية .. وانما نجتهد بتلطيف عيوبها بواسطة الشركات وبتداخل الدولة بسن القوانين واللوائح اللازمة لذلك »(٢)

ثم يختتم دفاعه عن الرأسمالية بعبارة قاطعة « ... واذا كان لا محل من التظلم من الحالة الحاضرة ويجب قبولها بعلاتها ، فاحسن حل الرضا بالحالة الحاضرة »(٣) .

لكننا نشهد للبقلى بأنه كان برجوازيا مصريا .. بمعنى أنه أدرك بوعيه الطبقى أن الخطر لا ياتى من الاشتراكية وحدها .. وانما يأتى أيضا من الاحتكارات الأجنبية التى تحدث عنها قائلا أنها « تخلق تضامنا مزيفا فاسدا لان التضامن الصحيح يترتب عليه الاشتراك فى السراء والضراء .. وبمقتضاه ان عم الخير وجب أن يأخذ كل فرد منه حظه »(٤) .

« ... ان عم الخير وجب أن يأخذ كل فرد منه حظه » انها عبارة غريبة على هذه الدراسة التى تستند أساسا على محاولة هدم فكرة المساواة .. لكن البرجوازية كانت تحارب فى جبهتين ، فهى تخشى الاشتراكية .. وهى ترى أيضا منابع الثراء الوفير تنساب الى جيوب الاجانب فتطالب بنصيبها منه ..

ولسوف نكتفى بهذه الامثلة برغم وجود محاولات أخرى عديدة لعل من اهمها كتاب (كميل فلامريون) « على أطلال المذهب المادى » وكتاب (قسطاكى اليس عطاره) « تاريخ تكوين الصحف المصرية » ... الخ . لكننا قليلا

---

١ - المرجع السابق ص ٢٦٨ .
٢ - المرجع السابق ص ٢٤٥ .
٣ - المرجع السابق ص ٢٣٤ .
٤ - المرجع السابق ص ١٨٩ .

منذ البداية اننا سنحاول فقط أن نقدم « ملامح » لصورة العصر الذى نتصدى للحديث عنه .

فلننتقل اذن الى مجال الصحافة . والمحاولة هنا صعبة للغاية ، المقالات التى تهاجم الاشتراكية لا يمكن حصرها .. ولنحاول أن نستعرض هنا بعضا منها .

« ان الطبيعة لا تأذن بان يتساوى أفراد البشر مهما بذل الاشتراكيون المتطرفون من السعى لتحقيق فكرتهم الزائفة . فوجود الخلاف بين الأفراد والطبقات ضرورى للعمران ، ولا يمكن الاستغناء عنه بوجه من الوجوه . فاختلاف الطبقات هو السند الذى يشحذ العزائم وينتقز مطامح البشر .. »

ثم تختتم « مجلة كل شىء » افتتاحيتها قائلة « الا انها لحكمة بالغة أن تكون أنت كما أنت وأنا كما أنا . فالشكوى من هذه الحال لا يستند إلى شىء من الحق(١) .

هذه هى الحكمة البالغة التى حاولت البرجوازية أن تغرسها فى العقول ..

ويسهم أحمد الصاوى محمد فى المعركة هو أيضا بمقالات عديدة أحدها بعنوان « على أطلال المذهب الشيوعى » جاء فيه « فى هذه الأيام كثر لغط مكاتبى الصحف الأجنبية بالقاهرة عن وجود حركة شيوعية بهذا البلد الامين . ونحن لا نعرف مبلغ هذا القول من الصحة وقربه أو بعده عن الحقيقة . لكننا نعرف أن بعض أصحاب عقول الذباب وأحلام العصافير قد سولت لهم أنفسهم أمرا فجنوا شيئا غير قليل على أنفسهم وأهليهم وسمعة بلادهم » .

ولعهد قريب طالع الناس رسالة مكاتب الاهرام الفاضل بمدينة الاسكندرية عن « عائلة شيوعى فى السجن » ورأوا الدموع التى أراقتها تلك المرأة المسكينة جليلة السيد زوجة الشحات ابراهيم .. هذا الرجل الذى كان على ما اذكر عاملا صغيرا من عمال مصلحة سكة الحديد بالزقازيق يعيش مع زوجته وأطفاله فى أمان الله .. لكن سعاة الشر منبثون لسوء الحظ فى كل مكان .

وقد وصل شرهم من موسكو حتى مسكن الشحات ابراهيم عامل الدريسة بمدينة الزقازيق فأصبح المأفون شيوعيا .. أى أن شحاتنا صار رفيقا للينين وتروتسكى وزينوفيف وبزبوس ..

فاف !! كيف لشحاتنا أن يفهم ماهية الشيوعية هذه التى أكاد أوقن أن القائمين بأمرها ونشرها لا يكادون هم أنفسهم يفهمونها !!

---

١ — كل شىء — ٢٠ — ١٢ — ١٩٣٠ .

أي عقل يمكن أن يتهم ويهضم فهم الفوضى التي تقضي على النظام الالهي الذى سنته طبيعة الكون والعمار للعالم منذ بدء الدهور .

فهل تفهم جليلة زوجة الشحات ابراهيم أن نظام الشيوعية يقضي بحرمانها من أولادها ويقضي بوضعهم في الملاجئ ويقضي عليها بأن تشتغل طوال أيامها لا في أشغال بيتها والعناية بأبنائها بل في مصانع الحكومة لتأخذ تذكرة تأكل بها في مطعم عمومي في حين يكون زوجها أيضا يدأب ويعاني الحصول علي تذكرة أخرى لنفسه ؟

فالشيوعية تضيع سعادة البيت وتقتل حب المرأة ، حب الزوجة حب الأم .

فهى عدوة الأسرة وعدوة الأمة وعدوة الله ، أي والله .

والشيوعية ليست سماء تمطر ذهبا أو فضة كما يخيل للذين يغريهم صدى الذهب الروسي الزيف ، بل ان الشيوعية ليست سماء تمطر أرغفة وفراخا مكتفة .

واليك مثل ابن الشحات ابراهيم فقد يكون مريضا بالحصبة أو بالحمى ولا تستطيع المسكينة أمه ترك عملها لتذهب لرؤيته بينما يكون الطفل العاثر الجد في أيد غريبة عنه وليس بصدور أصحابها ذرة من الحب الحقيقي العميق المهول المدهش الذى لا حد له وقد أودعه الله قلب امرأة واحدة هي الأم .

والنظام الذي يقصي الام عن ابنها وزوجها ، كما يقصي الزوج ويشرد الأطفال ويمحو القومية ويهدم الدين لهو نظام فاسد ، بل كيف يكون نظاما وليس فيه من النظام أي شيء ؟ » .

.. ثم يواصل أحمد الصاوى محمد مقاله متنقلا الى موضوع آخر : « أما والشيء بالشيء يذكر فان لهذه الصحيفة أن تفخر بأنها أول من تصدى لمحاربة تلك الطائفة الخاطئة التي كان يحمل علمها الاحمر القاني ذلك الشيوعي التائه روزنتال ، لكن روزنتال رماهم بدائه وانسل .. رجل لبق زرع الشوك وأنبته ولم يجمعه بل أنه ترك الحصاد لابناء من وطننا السذج مثل الشحات ابراهيم وزملائه فراحوا ضحاياه وها أنت تراهم الآن في غياهب السجن وهو حر طليق » .

ثم يختتم أحمد الصاوى محمد مقاله الذى اختار لنشره يوم أول مايو محرضا الحكومة مطالبا بمزيد من العنف « فلنؤمل من حكومتنا الموقرة السهر واليقظة المضاعفين للضرب بالحديد على أيدى دعاة البغي والفوضى »

في البلاد ولنؤمل من وزارة معارفها الجليلة العناية بتقرير التعليم الديني وتربية الأخلاق في المدارس »(١) .

ولقد تعمدت أن استطرد في عرض هذا المقال ، فهو وحده كاف لعرض المحتوى الفكري والمنطلقات الاساسية لحملة العداء التي شنتها الطبقات المصرية الحاكمة .

بل ان كتابا من امثال سلامة موسى قد تورطوا هم ايضا في حملات كهذه ، فتحت عنوان « الفاشية والشيوعية » يكتب سلامة موسى في مجلته الجديدة :

« تمثل الفاشية والشيوعية الطرفين للغلو السياسي في أوربا الآن . فالفاشية غلو المحافظين والشيوعية هي غلو الاشتراكيين . ومع انهما طرفان خصمان فكلاهما يسير على وتيرة واحدة هي الغضب بدل الرفق ، والالتجاء الى القوة بدلا من الالتجاء الى القوانين وكلاهما لهذا السبب خطر على الامن العام ، ومن مصلحة الاحزاب المعتدلة ، الاشتراكيين والمحافظين والاحرار ان يقاطعوا الطرق التي يلجأ اليها كل من الشيوعيين الروس أو الفاشيين الايطاليين لانها طرق غير دستورية تعمل للفوضى بدلا من النظام »(٢) .

والغريب في الامر ان سلامة موسى نفسه كان يتعرض في هذا الوقت بالذات الى هجمات شديدة ... ويتحدث سلامة موسى عن بعض هذه الهجمات التي صدرت في كتاب بغير توقيع فيقول « وسألت عن كاتبه في ادارة المطبوعات فعرفت انه ابن أخ رشيد رضا الصحفي السوري المعروف الذي وفد على بلادنا كما تفد الطواعين وخص نفسه بشتم الشبان المصريين واتهامهم بالالحاد والشيوعية ... » .

وبعد ان يورد سلامة موسى نماذج من الشتائم التي كالها له الكاتب يقول : « وهكذا بحيث أنك تحتاج الى أن تغسل يديك عقب قراءة هذا الكتاب . وقد تناولنا هذا السوري السافل بتهمة الشيوعية والدعاية لها . فوضع نفسه بالموضع الذي يستحقه وهو موضع الجاسوس على الناس يفترى عليهم كي يؤذيهم » .

واذا كان سلامة موسى قد كتب هذه الكلمات في نفس العدد السابق من « المجلة الجديدة » بدا واضحا لنا كيف ان العناصر الرجعية كانت تتعقب الكتاب

---

(١) الاهرام - ١ مايو ١٩٢٥ .

(٢) المجلة الجديدة - العدد التاسع - المجلد الاول - يوليو ١٩٣٠ - ص ١١٤٩ .

للديمقراطيين والتقدميين بالاتهامات وتحاصرهم بها قد يجد البعض منهم سبيلا للدفاع عن نفسه الا بالمشاركة فى نفس حملة الهجوم .

والحقيقة ان الرجعية المصرية قد استخدمت سلاح الدين استخداما ذكيا فى هجومها ضد التيار الاشتراكى فقد اكتشفت من تجربة السنوات السابقة انها مهزومة لا محالة فى أى نقاش متزن حول موقف الدين الاسلامى من الاشتراكية ، وقد نجح الاشتراكيون بالفعل فى افحامها واسكات اعتى دعاتها وهو الشيخ التفتازانى مؤكدين ان مبادىء الاشتراكية لا تتعارض مع تعاليم الدين الاسلامى (١) .

وهكذا ركزت الصحف هجومها حول موقف الثورة البلشفية من الدين وامتلأت صحف هذه الفترة بمقالات عديدة مثل « روسيا تحارب الدين »(٢) « القضية التركستانية ــ تعاضد الشعوب الاسلامية فى محاربة البلشفية »(٣) ... ودعوات كثيرة تستنهض همم المصريين للدفاع عن مسلمى الاتحاد السوفييتى . ولعل أهم هذه الدعوات ذلك الكتاب الذى يحمل عنوان « مذكرات » القادرى »(٤) .

والقادرى شخصية غريبة يقول عن نفسه انه « كردى الاصل قبل كل شىء ومسلم بعد ذلك »(٥) .

وقد شارك فى قيادة الجيوش البيضاء ضد الثورة البلشفية وتولى قيادة احد هذه الجيوش برتبة « ميجر جنرال » وقد صدره اعداء الثورة لهذه القيادة كسبيل لمجع مسلمى الشرق الاقصى ضد الثورة البلشفية ، وتولى « القادرى » بعد ذلك وظيفة « المفتش العام لحكومة كردستان الجنوبية » حتى عام ١٩٢٢ ... ومع توالى هزائم الجيوش البيضاء هرب القادرى مغادرا الاراضى السوفيتية وعلى الحدود قبض عليه الحرس الاحمر ليجد معه ثروة مقدارها « نحو ألف ليرة ذهبا وعقدار خمسين ألف روبل قيصرى »(٦) لكنه استطاع الهرب ليعود الى بغداد ليكتب مذكراته هناك .

وتستهدف كل صفحات هذا الكتاب تعبئة الشعور الاسلامى ضد

---

١ ــ لمزيد من التفاصيل راجع ــ د. رفعت السعيد ــ تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ــ المرجع السابق ــ ص ١٩٠ وما بعدها .

٢ ــ المجلة الجديدة ــ يوليو ١٩٣٠ .

٣ ــ السياسة الاسبوعية ــ ٢٥ يوليو ١٩٢٧ .

٤ ــ الميجر جنرال صديق رسول القادرى ــ مذكرات القادرى ــ نقله الى العربية القاسم العلوى ــ طبع على نفقة محمود حلمى صاحب المكتبة العصرية .

٥ ــ المرجع السابق ص ٢٥٨ .

٦ ــ المرجع السابق ــ ص ١١٣ .

البلاشفة وهو يختتم مذكراته في صفحة عنوانها « كلمتي الاخيرة » يقول فيها :

« ولم تكن احدى هذه الصدمات المادية التي وردت لحد الان لتثنيني عن عزيمتي وتفثى همتي وتحولني عن غايتي ومسلكي ، بل ازال معتمدا على نفسي وثني مستعد ابدا لاكمال الخدمات التي بذأت بها في روسيا بقصد انتعاد مسلميها ولا ازال مؤمنا بظهور حكومة روسية شرقية في المستقبل تعترف للتاتار بحقوقهم . وما فتئت مستعدا لترويج رأي فكرة قومية أو حركة وطنية تحدث في روسيا بقصد تأسيس « روسيا المعتدلة » التي لا تفرق قطعا بين التتار وبين ابنائها البررة ، كما انني لا ازال منتظرا بكل جوارحي لأي نداء يدعو الي حمل السلاح ضد البلشفية في روسيا ، ومستعدا تمام الاستعداد للرجوع الى قيادة جنودي البواسل »(١) .

والحقيقة ان يقظة الرجعية المصرية واهتمامها بالبحث عن مثل هذه الكتابة ونشره في مصر هو امر يثير الدهشة ويوضح لنا عنف وعمق حرب الدعاية التي شنتها ضد الاشتراكية .

لكن الامر لم يقتصر على قضية الدين فهناك مسألة الاخلاق والزواج وما نسج حولها من اكاذيب ومقالات مثل « فوضى الزواج في روسيا . تجويز تعدد الازواج والزوجات .. تجربة خطيرة تهدد النظام العمراني »(٢) .

وحملات اخرى تصور البلاشفة في صورة جزارين سفاحين ، فالسياسة الأسبوعية تنشر مثلا صورة تكتب تحتها الكلمات التالية « جزار البشرية - ناضرولا اسمالوفا رئيس الشناقين البلشفيين في قوقازيا ويبلغ عدد الذين شنقوا بيديه ٣٨٥٤ نفس في مدة وجيزة »(٣) .

واللطائف المصورة تنشر خبرا يقول « وفاة جلاد البلاشفة - جاء في الانباء من موسكو بأن شتابين جلاد حكومة السوفييت السابق مات ، وكان عدد من أعدموا بيدي هذا الجلاد خمسمائة شخص وقد اشتهر بقتل المحكوم عليهم بعيار ناري واحد »(٤) . وتحت عنوان « من مظالم الشيوعية » تقول مجلة « كل شيء » : « يخطئ من يحسن الظن بالشيوعيين الروس ويستمع الى تغنيهم بخيالاتهم الكاذبة فان الواقع الذي دلت عليه الحوادث انهم مثل

---

١ _ المرجع السابق ص ٢٥٦ .

٢ _ السياسة الاسبوعية _ ٢٠ اغسطس ١٩٢٧ .

٣ _ السياسة الاسبوعية _ ٢٥ اغسطس ١٩٢٧ .

٤ _ اللطائف المصورة _ ١٤ فبراير ١٩٢٧ .

القاصرة ظلما وعتوا بل هم أشد منهم فتكا بالشعب الروسى المسكين »(١) .

ومقالات عديدة اخرى تستهدف تقديم صورة وحشية وبشعة عن تلك الثورة التى تنبأوا لها بالانهيار . فتحت عنوان « هل اذنت شمس البلشفية بالأفول » تؤكد السياسة « لا ريب فى اننا اليوم نشهد احتضار النظام البلشفى »(٢) .

واذا كان اعدام العاملين ساكو وفانزيتى بأمريكا قد اثار موجة استياء فى اوساط عديدة من العالم فان هذه المأساة قد استخدمت هى ايضا فى الصحافة المصرية كمادة للهجوم .

فتحت عنوان « مأساة فانزيتى الغرامية ـ ما الذى يجعل المرء شيوعيا » تروى « السياسة » قصة نسبتها الى أخت فانزيتى تقول « انه احب فتاة لكن اخوتها اجبروها على دخول الدير حيث ماتت » .

ثم تستخلص « السياسة » من هذه القصة النتيجة التالية « ومنذ ذلك اليوم تحول قلب فانزيتى الى حجر صلد واعلن الحرب على المجتمع ونظمه المقررة »(٣) .

والشىء الهام الذى اريد ان الفت نظر القارىء إليه .. هو انني اكتفى دوما بمجرد أمثلة قليلة . ذلك ان حرب الدعاية كانت اوسع واشمل من ان تدرس تفصيلا فى مثل هذه العجالة .

لكننا فقط نحاول ان نشير الى اتساع هذه الحرب ... والى منطلقاتها الاساسية .

ويهمنا ان نلاحظ مسألتين هامتين :

* ان الرجعية المصرية التى تظاهرت فى البداية بأنها ضد التطرف .. وانها لا ترفض « الاشتراكية المعتدلة » قد انتهزت فرصة التراجع الذى عانت منه حركة اليسار المصرى لتسفر عن وجهها لترفض أى نوع من أنواع الاشتراكية ، بل وترفض فكرة المساواة ذاتها .. وتؤكد فى سفور تمسكها بالنظام الرأسمالى كما هو « أن تكون أنت كما أنت ، وأنا كما أنا ، فالشكوى من هذه الحال لا يستند الى شىء من الحق » ..

* ان الرجعية المصرية فى حربها ضد الاشتراكية قد ركزت نيرانها على النموذج السوفييتى محاولة هدمه فى العقول والقلوب كسبيل لاقناع الجماهير بفشل الاشتراكية فى التطبيق .

ـ لكننا مع ذلك نخطىء لو تصورنا ان الرجعيين كانوا وحدهم فى ميدان الدعاية فلسوف نشهد فى فصل قادم كيف نجح اليسار المصرى فى شن حرب دعاية مضادة حققت نجاحا ساحقا ..

---

١ ـ كل شىء والدنيا ـ ٢٠ فبراير ١٩٣٢ .

٢ ـ السياسة الاسبوعية ـ ١٨ فبراير ١٩٢٨ .

٣ ـ السياسة الاسبوعية ـ ١٠ سبتمبر ١٩٢٧ .

قادة برجوازيون للطبقة العاملة

لقد كان الدرس الذى تلقته البرجوازية من نجاح الحزب الشيوعى فى السيطرة على حركة الطبقة العاملة فى مطلع العشرينات درسا قاسيا .

فلقد استطاع الحزب ان يوحد كثيرا من النقابات الهامة فى اتحاد عام قوى تلعب فيه الكوادر الحزبية الدور الرئيسى ..

وقد استطاعت هذه الكوادر ان تنضم بالاتحاد العام (٣٥ الف عامل) الى الاتحاد العالمى للنقابات الحمراء (البروفنترن) Protintern (١) .

وكتبت مجلة Labour Monthly « أن الاتحاد العام لنقابات العمال المصريين الذى ظل تحت قيادة الشيوعيين حتى ١٩٢٣ ــ ١٩٢٤ كان فى طريقه لان يصبح حركة جماهيرية بحق »(٢) .

وكان انطون مارون المستشار القانونى للاتحاد قائدا فعليا « فلقد كان من الصعب على البوليس اخلاء المصانع من العمال المصريين ، بينما اشارة واحدة من اصبع مارون كانت كافية لانهاء الاضراب »(٣) .

ولقد كانت قيادة الحزب للحركة العمالية قيادة واعية ومحنكة ، حاولت قدر الامكان أن تكون مرنة وأن تتلافى ما توقعته من ضربات محتملة توجهها حكومة سعد زغلول .

لكن الضربة كانت مدبرة ومبيتة الى حد كان من الصعب معه تلافيها .

وعندما وجهت الضربة الى الحزب والقى القبض على قادته حاول اتحاد العمال أن يفلت نفسه منها فاصدر سكرتيره العام مصطفى أبو هرجه بيانا يقول فيه « ما كان اتحاد النقابات العام آلة لحزب من الاحزاب أو هيئة من الهيئات فى مصر ، انما هو هيئة وجدت لخدمة العمال ... والاتحاد

---

(1) Laqueur — Communism and Nationalism in the Middle East. P 36.

(2) The Labour Monthly — May 1925.

٣ ــ من شهادة انجرام بك امام محكمة جنايات الاسكندرية فى قضية الشيوعية عام ١٩٢٤ ــ الاهرام ٢٥ ــ ٣ ــ ١٩٢٤ .

خادم للعمال على تباين مذاهبهم السياسية ونزعاتهم الحزبية واختلاف عقائدهم الدينية »(١) .

لكن مصطفى ابو هرجه ما لبث ان اعتقل واغلقت دور الاتحاد بالاسكندرية ومختلف المدن وغرقت صفحات الجرائد فى حملات معادية للحزب ولنشاطه وسط العمال ..

ولقد أسهمت جريدة الاهرام فى تدبير المؤامرة والاعداد لها منذ البداية نشرت تقول « حقا اننا لا ندرى كيف تتجاهل الحكومة وجود حركة اشتراكية حادة بين الوف العمال فى مدن القطر المصرى ، مع ان الواقف على سير الاحوال يرى ان هذه الحركة آخذة بالنمو »(٢) .

ومرة اخرى تسهم الاهرام فى حبك المؤامرة فتقول « انفجرت الحركة الاشتراكية الملقحة بالشيوعية فى هذين اليومين فى الاسكندرية انفجارا قويا حمل الحكومة على المبادرة الى معالجتها والاستعداد لقمعها بالقوة المسلحة اذا قضت الحال » . ثم تمضى قائلة « اننا نرجو ان تتخذ وزارة الشعب التدابير اللازمة لمنع تكرار ذلك ... ان للعمال حقوقا يجب ان تصان ولكن لهذه الحقوق حدودا يجب الا تتجاوزها واذا كانت الصحافة قد عطفت عليهم فانه لا يسعها اليوم الا أن تحذرهم من عواقب الميل الى الشيوعية والتشبع بالمبادىء المتطرفة »(٣) .

واستجابت « وزارة الشعب ! » لنداء الاهرام وخاضت المعركة ضد الحزب وضد اليسار الى اقصى مداها ...

ولقد بذل الوفد كل ما لديه من نفوذ سياسى وقومى فى الضغط على النقابات المختلفة للتخلص من قادتها اليساريين .

ونزل الوفد بكل ثقله فى هذه المعركة ، فسعد زغلول بكل ما لزعامته القومية من تاثير أسهم شخصيا فى توجيه نداءات للعمال تناشدهم « احترام ملكية الغير » والا « فانهم يعاملون معاملة الغاصبين الخارجين على القانون »(٤) .

واسهم كبار قادة الوفد فى هذه المعركة ايضا ... كذلك اسهمت فيها كل التنظيمات الوفدية الجماهيرية مثل لجان الطلبة الوفديين وغيرها ...

---

١ ــ الاهرام ١٠ــ٣ــ١٩٢٤ .
٢ ــ الاهرام ١٧ــ٣ــ١٩٢٣ .
٣ ــ الاهرام ٢٥ــ٣ــ١٩٢٤ .
٤ ــ الاهرام ٥ــ٣ــ١٩٢٤ .

وتنشر الاهرام: « عقدت لجنة الطلبة بالاسكندرية سلسلة اجتماعات للنظر فى مساعدة الحكومة على مواجهة حركة العمال ببث روح السكينة بينهم لكى يكفوا عن الاضراب ويعولوا على عطف الحكومة والبرلمان »(١).

وقد تركزت الحملة الوفدية فى بداية الامر على محاولة ابعاد القادة اليساريين عن مراكز القيادة فى النقابات وانهمك رؤساء لجان الوفد فى المدن والاقاليم ومختلف التنظيمات الوفدية لانجاز هذه المهمة.

وتنشر الاهرام: « عقدت نقابة عمال شركة ايجولين اجتماعا امس وكان الغرض الاهم من هذا الاجتماع تنصل النقابة من سياسة الشيوعية التى كانت لجنتها الادارية السابقة تتبعها وقد حدث هذا التنصل. وغيرت النقابة قانونها واختارت لها رئيسا جديدا يقودها فى طريق العمل المفيد»(٢).

وقد شملت هذه الحركة عديدا من النقابات مثل نقابات عمال الصناعات اليدوية والترام والمياه وعلب الكرتون والمنجدين بالاسكندرية .. الخ(٣).

لكن الخطوة الاكثر خطرا كانت القرار الذى اتخذه سعد زغلول بان يدخل حزب الوفد ميدان العمل النقابى مقدما من بين اعضائه قادة للحركة العمالية.

وهكذا كانت المرحلة الأولى هى مرحلة اغلاق الباب فى وجه اليسار. وبعد ذلك اتت المرحلة الثانية وهى فتح الباب للبرجوازية كى تقود الحركة.

ولم يكن من قبيل الصدفة البحتة ان يلقى القبض على قادة الحزب فى ٣ مارس سنة ١٩٢٤ ثم يعلن الوفد تأسيس « النقابة العامة للعمال » فى ١٥ مارس ١٩٢٤، ثم تحولت هذه النقابة فيما بعد الى اتحاد عام للعمال.

وقد بلغ من اهتمام سعد زغلول بالامر ان أوكل هذه المهمة الى واحد من أكفأ القادة الوفديين وأكثرهم قدرة على التنظيم وعلى العمل بين الجماهير هو عبد الرحمن فهمى صاحب اليد الطولى فى كل التحركات والتنظيمات الوفدية التى صاحبت ثورة ١٩١٩، وسكرتير لجنة الوفد المركزية.

بل ان سعد زغلول خاض المعركة بنفسه ـ ايضا ـ وخطب اكثر من مرة فى الاجتماعات العمالية معلنا ابتهاجه بتوجه الوفد الى التجمعات العمالية متملقا العمال ما استطاع

---

١ ـ الاهرام ٢٧ـ٣ـ١٩٢٤.

٢ ـ الاهرام ٩ـ٩ـ١٩٢٤.

٣ ـ عبد العظيم رمضان. تطور الحركة الوطنية فى مصر ـ دار الكاتب العربى عام ١٩٦٨ ص ٥٤٥.

وفى خطبة له فى حفل اقامته نقابة عمال شركة البنك الحديدية وواحات عين شمس يوم ٤ يوليو ١٩٢٤ قال :

« افرح كثيرا وأسر كثيرا كلما شعرت أن هذه الحركة ليست فيما يسمونه بالطبقة العالية فقط ، بل هى على الاخص فى الطبقة التى اسماها حسادنا « طبقة الرعاع » وافتخر بانى من الرعاع مثلكم .. ويمضى سعد زغلول قائلا « طبقة الرعاع » هى الطبقة التى ليس لها صالح خاص والتى دوما ثابت على الدوام .. هذه الطبقة لا تسعى وراء وظيفة تنالها ولا منصب تحل فيه ... ولا يبهر نظرى ولا يطرب سمعى أكثر من أن أرى رجلا فقيرا لا قوت عنده ينادى « يحيى الوطن » ، وليس يطمع فى شىء إلا ان يعيش كما هو ، ولكن ذلك الرجل صاحب الاموال وذلك الموظف فى المنصب العالى اذا قال يحيى الوطن فانما يقول « يحيى وظيفتى أو مصلحتى » ولذلك رأيت كثيرا من أرباب تلك المصالح ومن ذوى الوظائف تقلبوا أو تغيروا ، ولكن الرعاع أمثالكم ما تغيروا ولا بدلوا عقائدهم » .

ثم يوجه سعد زغلول مديحه لعبد الرحمن فهمي وحسن نافع مثنيا عليهما « ثناء جميلا ، لما أتقياه عليكم من النصائح الغالية ، وما أوصياكم به من التمسك بالصدق وحسن المعاملة والوفاء والطاعة وحسن النظام .. نعم ان تلك الصفات لازمة لكم لزوما أكيدا » .

وهكذا يحدد سعد زغلول مطالبه تجاه حركة العمال ، الصدق .. حسن المعاملة .. الوفاء .. الطاعة .. حسن النظام ..

وهى الى جانب أنها الفاظ أخلاقية عامة الا أنها اذا قدمت من رئيس الحكومة – فى ذلك الحين – فان كلمات مثل الطاعة وحسن النظام تحمل معان ذات دلالة . خاصة واذا شفعها سعد زغلول بشرط هام « فاذا درجتم على المنوال الذى رسم لكم فان الحكومة التى هى حكومة الشعب تساعدكم »(١) .

وفى ١٨ أبريل ١٩٢٤ صدرت مجلة عمالية وفدية باسم « العمال » وهى مجلة نصف شهرية رأس تحريرها محمد متولى سويلم .

وفى ١٢ يونيو ١٩٢٤ تصدر مجلة وفدية عمالية أخرى اسمها (اتحاد العمال) وترأس تحريرها نجاة عبد العزيز .

---

١ – آثار الزعيم سعد زغلول – عهد وزارة الشعب – جمعها ورتبها محمد ابراهيم الحريرى . الجزء الأول . نوفمبر ١٩٢٧ – الطبعة الاولى . ص ٢٤١ .

.. وهكذا خيل للوفد أن المسرح قد تهيأ لكي يتولى قيادة الحركة العمالية .. فماذا كانت النتيجة ؟

وما هو موقف جماهير العمال من سياسة إغلاق باب اليسار وفتح الباب أمام قيادة البرجوازية ؟

.. لقد بدت الخطوة الاولى وكأنها تحقق نجاحا كبيرا ..

فالعمال الذين حل اتحادهم العام ، كانوا لا بد ساعين الى تأسيس اتحاد جديد ، وحتى الكوادر اليسارية التى كانت لا تزال طليقة ركزت اهتمامها على تكوين وحدة عمالية صلبة تواجه المد الرجعي الذى صاحب الحملة عند اليسار .

ولا شك أن اسهام الوفد فى عملية تكوين الاتحاد قد جذب اليه كثيرا من القوى التى كانت تتخذ موقف التردد .

كذلك فقد كان « عبد الرحمن فهمى » يقوم بهذه الخطوات فى ظل مباركة حكومة الوفد .. وكان يتحرك فى مواكب شبه حكومية .

ففى حفل افتتاح فرع الاتحاد بالفيوم حضر الحتال محمود بك صبرى مدير تخطيط المدن بمصلحة التنظيم ومندوب الحكومة فى النقابات وحضر الأستاذ حسن نافع عضو مجلس النواب وعبد الستار بك الباسل وعلى بك نجيب عضوا مجلس النواب .. وحضر الحتال كذلك سعادة مدير الفيوم وحكمدار البوليس وكبار الموظفين .. وقد قضى الضيوف ليلتهم فى سراى سعادة المدير(١) .

.. والحقيقة أن البداية كانت مشجعة جدا .. فالنقابة العامة التى تأسست كخطوة أولى لتأسيس الاتحاد العام ضمت بعد ثلاثة أشهر من اعلانها ١٢٠٠٠ عضو(٢) ثم تضاعفت الارقام سريعا عندما تأسس الاتحاد العام .

وتتضح صورة النجاح الذى تحقق من الخطاب الذى القاه محمد أفندى فؤاد سكرتير الاتحاد العام بمناسبة تأسيس فرع الاتحاد بالاسكندرية (تحت رئاسة محمد بك حسيب نقيب المحامين) ... وقد جاء فى هذا الخطاب ان « الاتحاد يجمع نيفا ومائة نقابة تضم نحو مائة وخمسين الف عامل » .

---

١ - اتحاد العمال ١٦ - ١١ - ١٩٢٤ .

٢ - اتحاد العمال ١٢ - ٦ - ١٩٢٤ .

فضلا عن الجهود التى لا يزال يبذلها العمال لتوحيد كلمتهم بالانضمام للاتحاد وينتظر أن تتكون ١٠٠ نقابة أخرى فى وقت قريب » .

وقال محمد فؤاد « أن هذا النجاح العجيب كان ابن شهرين فقط »(١) .
لكن ماذا فعلت قيادة الوفد بهذه الألوف المؤلفة من العمال ... ؟
لقد حاولت معها نفس القصة القديمة اغلاق باب وفتح باب آخر ...

وهكذا تركزت الحملة الأساسية داخل صفوف الاتحاد العام لاغلاق الباب فى وجه اليسار ...

واتخذت حملة اغلاق باب اليسار أشكالا متعددة ، مقالات وخطب وحملات تطهير فى النقابات ... الخ .

وفى مجلة اتحاد العمال وهى المجلة الرسمية للاتحاد يكتب محمد فؤاد سكرتير الاتحاد مقالا يقول فيه « دفع الطيش بعض الشبان الذين لا خلاق لهم بالاسكندرية وغيرها من المدن الى اعتناق مذهب الشيوعية واحتالوا بهذا المذهب على العمال ، فنفثوا هذا السم وكاد هذا الداء العضال أن يتفشى فى هيكل الأمة لولا أن قيض الله بعض رجال الحكم من ذوى الفطنة فاعتقلوا هؤلاء الشبان الآثمين وزجوا بهم فى أعماق السجون جزاء ما قدمته أيديهم وما جنوه من الذنوب .. »

ثم يواصل حديثه موضحا حقيقة الدور الذى يلعبه هو وعبد الرحمن فهمى وكل الاتحاد العام (الوفدى) « وقيض الله فى هذا الظرف العصيب للعمال سعادة عبد الرحمن بك فهمى زعيم العمال فانتشلهم من هذه الهوة التى كادوا أن يقعوا فيها »(٢) .

وفى افتتاحية العدد الاول من مجلة « العمال » (الوفدية) يكتب رئيس التحرير قائلا « واجب العمال ان يتضامنوا ويتآلفوا تحت لواء واحد وزعامة واحدة وأن يطرقوا باب الاصلاح بالطرق المشروعة والحكومة نفسها لا تضن عليهم بما يطلبونه ما دام فى دائرة المعقول ... بيد أن من يتعجلون الامور لا يتفقون معنا فى الرأى ويحاولون الطفرة وهى محال ، وهم مع اخلاصهم يندفعون اندفاعا يحاكى التيار الجارف ولا يقبلون التانى والتريث فيما يقدمون عليه وهذه حال لا تسر أصحاب المدارك ومن ذلك نرى أعمال مكدرة .

١ ـ اتحاد العمال ـ ١٦ ـ ١١ ـ ١٩٢٤ .
٢ ـ اتحاد العمال ـ ٢١ ـ ١٢ ـ ١٩٢٤ .

قد تضطر ولاة الامور حتى فى العهد الدستورى الى كبح جماح الخارجين على القانون والنظام »(١) ...

لكن اغلاق الباب فى وجه اليسار كان مجرد خطوة لا بد أن تتبعها خطوة أخرى تستهدف بث الفكر البرجوازى فى صفوف العمال ... ولقد بذل عبد الرحمن فهمى (زعيم العمال ـ كما أسمى نفسه) كل ما لديه من جهد فى محاولة افراغ هذا التجمع العمالى من أى محتوى ثورى وطلائه بطلاء مفتعل غاية الاعتدال تهيمن عليه الافكار البرجوازية ...

وفى خطابه فى افتتاح فرع الاتحاد بالفيوم يتساءل عبد الرحمن فهمى « ما هو الجاه والمال ؟ وما قيمتهما ؟ هما زائلان بزوال الزمن فانيان مع العمر ولا يبقى الا العمل الصالح والذكرى الطيبة ... ان العامل الذى يطمع فيما بيد أصحاب رؤوس الأموال بلا حق انما يسعى لدمار بلاده وخراب سوقها الاقتصادى . فاننا فى حاجة لان نثبت للعالم أن العامل المصرى متمسك بحقه فقط . فلقد قبلت زعامتكم لادافع عنكم وأحمى مصالحكم فلا تنتظروا منى أن أحاول الحصول لكم على أكثر من حقوقكم . فانى كما أدافع عنكم وعن حقوقكم أدافع عن حقوق الشركات معكم ولو لم تكلفنى هى بذلك . لان حماية مصالحها صيانة لمصالح بلادنا التى فتحت صدرها للاجانب ليستفيد منهم ويستفيدوا هم لانهم ضيوفنا ولقد اشتهرتم باكرام الضيف » .

ثم يمضى عبد الرحمن فهمى قائلا « واعلموا أن هؤلاء القوم الذين يقولون ان العامل يشتغل طوال يومه وليله بأجر زهيد بينما صاحب رأس المال يكدس الذهب ، انما هم قوم يفسدون العقول والعقائد »(٢) .

ولكن الامر لم يكن مجرد خطب جوفاء عن «العمل الصالح والذكرى الطيبة» فقد أثبت الاتحاد العام (الوفدى) أنه كان أداة برجوازية لفرض الاستسلام على أى تحرك عمالى ولشل كل محاولة ايجابية يتخذها العمال سبيلا لتحقيق مطالبهم ...

وعندما أضرب عمال فابريقة المعصرة توجه اليهم عبد الرحمن فهمى طالبا منهم تفويضه فى « حل الاشكال » وما أن منحه العمال هذا التفويض حتى أصدر اليهم أوامره « بفض الاضراب والعودة الى العمل » .
وتقول مجلة « اتحاد العمال » ان « العمال قد قبلوا ذلك النصح الغالى بالطاعة الواجبة » .

---

١ ـ العمال ـ ١٨ ـ ٤ ـ ١٩٢٤ .
٢ ـ اتحاد العمال ـ ١٦ ـ ١١ ـ ١٩٢٤ .

وتصف نصيحة عبد الرحمن فهمي بفض الاضراب بأنها « نصيحة أبوية سامية غالية »(١) .

وعندما يعلن العمال الزراعيون فى تفتيش المطاعنة التابع لشركة السكر الاضراب احتجاجا على عدم منحهم علاوات طوال خمسة أعوام .. فان محمد فؤاد سكرتير عام الاتحاد لا يجد ما يوجهه لهم سوى اللوم قائلا « ولو أنى أشفق على العمال الا انى أوجه اليهم بعض اللوم فقد كان الاجدر بهم أن ينظروا بعين الحكمة ، وكما صبروا على الآلام خمس سنوات فليتحملوا شهورا أخرى .. فالشعب كله ضائع الحقوق ونحن جزء من الشعب فلنا سلوى ولنا عزاء ، وان الله مع الصابرين لا يضيع أجر المستحقين .. »(٢) .

وفى الاسكندرية واجه عمال مطبعة لاغوداكس ظروفا عصيبة فقد حرمهم صاحب المطبعة من مكافآتهم السنوية وفصل عددا من العمال النقابيين قائلا « من كان منكم فى النقابة فلا عمل له عندى » ثم قرر تخفيض أجور العمال بنسبة ٤٠ ٪ .. وحينما طرح بعض العمال فكرة الاضراب قاومهم الاتحاد .. وقالت جريدة « العمال » « أنه من نقاوة قلوب العمال وطهارة ضمائرهم وعينهم الى حب السلام رفضهم لقرار الاضراب والاكتفاء بانذار صاحب العمل بواسطة محافظ الاسكندرية »(٣) .

وفى أكثر من مرة أصدر الاتحاد بيانات يحذر فيها العمال من القيام بأى اضراب مطالبا العمال أن يتقدموا بمطالبهم الى الاتحاد ليعمل هو على تحقيقها « وليقرر الطريق الذى يراه مناسبا لذلك ... والا فان الاتحاد لن يناصر العمال الذين يضربون من تلقاء أنفسهم »(٤) .

وهكذا اكتشف العمال بخبرتهم الذاتية أن الاتحاد (الوفدى) لم يكن سوى تجمع يستهدف شل كل تحرك ثورى لهم واعاقتهم عن اتخاذ أية خطوة جادة للحصول على مطالبهم العادلة ...

وسرعان ما أدركت تلك الألوف المؤلفة من العمال التى تجمعت سريعا فى صفوف الاتحاد ، أنها قد تجمعت فى المكان الخاطىء ، وأن الوفد وان كان أداة للنضال الوطنى الا أنه لا يمكن أن يكون أداة للنضال الطبقى للعمال .

ربما لم يكن الامر واضحا بمثل هذه الصورة القاطعة فى أذهان هذه الألوف من العمال وربما كان البعض قد اقتنع لبعض الوقت بالكلمات

---

١ ـ اتحاد العمال ـ ١٩ ـ ٦ ـ ١٩٢٤ .
٢ ـ اتحاد العمال ـ ١٥ ـ ٢ ـ ١٩٢٥ .
٣ ـ العمال ـ ٣ ـ ٦ ـ ١٩٢٤ .
٤ ـ الأهرام ـ ١٦ ـ ٨ ـ ١٩٢٤ .

الساذجة عن « الصبر » و « القناعة » و « العمل الصالح » و « اكرام الضيف » ... الخ .

لكن الصراع الطبقي العنيف الذي كانت تموج به مصر ، والضغط الاستغلالي البشع الذي مارسه الراسماليون المصريون والاجانب على السواء حفز العمال الى نضال طبقي كان لابد لقيادة الوفد أن تقف ضده ...

وهكذا وكما تجمع الوقت العمال سريعا حول قيادة الاتحاد العام الوطنية ، انفضوا سريعا ...

« ومن بين ٣٥٫٠٠٠ عامل ضمهم اتحاد العمال الخاضع لنفوذ سعد زغلول لم يبق سوى ١٢٫٠٠٠ في عام ١٩٢٧ ، وفي بعض النقابات تسربت العضوية بنسبة ٦٠ أو ٧٠٪ وهكذا فقدت مقومات استمرارها »(١) .

وما أن اعتقل عبد الرحمن فهمي في حادث مقتل السردار ، وما أن جاء زيور الى الحكم خلفا لحكومة الوفد حتى انهار هذا الاتحاد من أساسه واختفى من ذاكرة التاريخ مسجلا الفشل الاول والصارخ لمحاولة البرجوازية لقيادة النضال الطبقي للعمال .

وفي الوقت الذي كان الشيوعيون والنقابيون اليساريون يهاجمون هذا الاتحاد (الوفدي) ويسمونه « الاتحاد الأصفر »(٢) كان الرجعيون وسلطات الاحتلال يعارضون ... أيضا جهود الوفد لكسب نفوذ العمال .

فجريدة الاجبسيان جازيت (الناطقة باسم سلطات الاحتلال) هاجمت هذا النشاط الوفدي وحاولت التشكيك فيه « لأن حركته لا تحددها الغيرة على مصالح العمال ولا يديرها عمال ، ولأن غرض المشروع هو خدمة صالح أولئك الذين وجدوا لأسباب مختلفة أن الطريق العادي للتقدم مسدود أمامهم ، فأخذوا في البحث عن وسائل أخرى تمكنهم من خلق مراكز تخدم أغراضهم السياسية »(٣) .

وربما كان الاهرام أكثر ذكاء عندما أدرك أهمية أن يسيطر الوفد على زمام حركة العمال غرد على الايجبسيان قائلا :

(1) The Labour Monthly — vol. 10 — No5 — May 1928.

(2) Zaki Badaoui- les Problemes du travail et les organisations ovriers P.235.

(3) The Egyptian Gazette 19-4-1924.

« ان العمال فى كل بلد محتاجون الى ان يأخذ بيدهم فى كل طور من اطوار الانتقال من عهد عتيق الى عهد جديد » ، وقال ان هذه الجريمة ترمى الى « ايجاد جو هادى يعيش العامل فيه مطمئن البال راضى النفس بعيدا عن الفوضى والعبث بالنظام »(١) .

لكن الرجعية المصرية ظلت على الدوام فى حذر شديد من أى نفوذ وفدى وسط صفوف العمال المنظمة وربما نبع خوفها من أن يؤثر مثل هذا التلاحم على المحتوى الطبقى والنضالى لحزب الوفد ذاته .

وفى فترة لاحقة – يناير ١٩٣٥ – عندما قرر الوفد بناء على تقرير تقدم به عزيز ميرهم انشاء المجالس الاعلى للنقابات برئاسة حمدى باشا سيف النصر ※ ماجت الدوائر الاستعمارية والرجعية ودوائر اتحاد الصناعات .

ونشرت الديلى تلجراف برقية لمراسلها فى القاهرة جاء فيها « ان قرار الوفد بانشاء مجلس أعلى لتنظيم اتحاد العمال يعد فى نظرهم أهم تطور سياسى وقع فى مصر منذ عام ١٩٢٢ . لقد انشأت الحكومة مكتبا للعمل والعمال وقام هذا المكتب بتنظيم حالة العمال تدريجيا على قاعدة سياسية ولهذا يعد ما قرره الوفد من انشاء مجلس أعلى للعمال بمثابة سعى منه لاغتصاب سلطة الحكومة وبعبارة أخرى يمكن أن يقال أن الوفد يتحدى وزارة نسيم باشا »(٢) .

وتحركت الرجعية المصرية أيضا فوجهه اسماعيل صدقى رسالة الى نسيم باشا رئيس الوزراء جاء فيها « ان الوفد بقيامه بانشاء مجلس أعلى لعمال انما يهدف الى اتخاذ طوائف العمال اداة يستغلها فى أغراضه السياسية »(٣) .

وقد اهتزت الحكومة بالفعل لقرار الوفد هذا ... ويشير « البلاغ » الى ذلك قائلا « اهتم ولاة الامور بوزارة الداخلية بالقرار الذى أصدره الوفد المصرى منذ يومين بانشاء مجلس أعلى لاتحاد العمال . وقد اتصل بى ان مستر جريفز مدير مكتب العمل رفع اليوم الى صاحب الدولة محمد نسيم باشا وزير

---

١ – الاهرام – ٢٢–٤–١٩٢٤ .

※ تولى الرئاسة فى البداية عباس حليم ولكنه ما لبث أن تنحى تحت ضغط مستر جريفز مدير مكتب العمل .

٢ – ١٢–٢–١٩٣٥ .

٣ – عبد المنعم الغزالى – تاريخ الحركة النقابية المصرية – دار الثقافة الجديدة – الطبعة الاولى ١٩٦٨ ص ١٨١ .

الداخلية مذكرة بشأن هذا القرار ... وقد قابل حسن بك رفعت (وكيل وزارة الداخلية) صاحب الدولة نسيم باشا صباح اليوم مقابلة دامت أكثر من ساعة ونصف .. والمفهوم أن مسألة العمال كانت موضوع الحديث بينهما »(١) .

وهكذا ارتكبت الرجعية وسلطات الاحتلال الخماقة الكبرى . فلقد كان الوفد بطبيعة موقفه السياسي وتركيبه الطبقي ومنطلقاته الوطنية هو الحزب البرجوازي الوحيد المؤهل لأن يلعب دورا في صفوف الطبقة العاملة ... وكانت الحرب التي شنت ضده في هذا الصدد اشهار لافلاس مسبق لاية محاولات اصلاحية أو برجوازية للتسلل لصفوف الطبقة العاملة والتأثير فيها تأثيرا فعالا .

وعلى أية حال فلم يكن الوفد هو الحزب الوحيد الذي حاول أن يلعب دور القائد البرجوازي لجماهير العمال ـ اذا أنه يبدو أن الغياب المفاجيء لكوادر اليسارية عقب حل الحزب في ١٩٢٤ ونتيجة للملاحقات المستمرة ضدهم قد أعطى انطباعا بأن ميدان العمل النقابي قد أصبح مستباحا لأي انسان .. وهكذا تقدمت جميع القوى تحاول أن تكسب لنفسها مكانا في موقع القيادة الخالي ...

وحتى عناصر مثل د. محجوب ثابت حاولت هي أيضا أن تلعب دورا فاشلا في تكوين اتحاد عمالي بعيد عن السياسة وبعيد عن الأحزاب ..

ومحجوب ثابت واحد ممن اسهموا في الحملة المسعورة ضد اليسار في عام ١٩٢٤ . وفي ١ مارس ١٩٢٤ اصدر بيانا يعلن فيه « براءة سائر أعضاء نقابته (نقابة الصنائع اليدوية) من الشيوعية » ويؤكد من ناحية اخرى « انه يعطف كل العطف على مطالب العمال العادلة تحت لواء السلم »(٢) .

وعندما ناقش البرلمان موضوع منع النائب الانجليزي الشيوعي شكلاتفالا من دخول مصر كان موقفه استمرارا للموقف السابق يطالب الحكومة بمنعه من الدخول (٣) .

وقد نشط محجوب ثابت في عام ١٩٢٧ محاولا تأسيس اتحاد للعمال بعيدا عن الاحزاب ووجه نداء للعمال جاء فيه :

---

١ ـ البلاغ ١١-٢-١٩٣٥ .

٢ ـ أمين عز الدين ـ شخصيات ومراحل عمالية ـ كتاب الجمهورية ـ ص ٢٧ .

٣ ـ راجع نص مضبطة مجلس النواب ـ بالملاحق .

« أيها العمال : جانبوا الاحزاب لمصلحتكم ومصلحة وطنكم • ولا تكونوا مطايا للاشخاص • أحذروا الزعماء والمتزعمين وسماسرتهم المستغلين •• لا تتحزبوا بل قفوا من الاحزاب موقفا سلبيا »(١) •

واذا كان ظاهر الكلمات هو عزل العمال عن حزب الوفد ، فقد كان أساس الدعوة لابعاد العمال عن السياسة والاحزاب هو محاولة عزل العمال عن ادراك دورهم النضالي والطبقي وحصر كفاحهم فى اطار المطالب الاقتصادية وحدها •

واذا كنا لا نملك الحق فى تقييم دور رجل كمحجوب ثابت فى عجالة كهذه ، فاننا نكتفى بأن نشير الى علاقاته الوثيقة باسماعيل صدقى وان صدقى هو الذى عينه كبيرا لاطباء الجامعة ثم عينه مستشارا لمكتب العمل ، بل لقد رشحه لعضوية النواب عن دائرة بولاق بعد مذبحة عمال العنابر وان كان محجوب قد تحرج من ذلك الترشيح واعتذر عنه (٢) •

ويكفى أن محجوب ثابت وصف اسماعيل صدقى بعد كل ما ارتكبه من جرائم فى عام ١٩٣٠ بأنه « الرجل الوطنى الشديد فى وطنيته ، القوى المعارضة ، الصعب المراس ، البعيد النظر ، والربان السياسى الماهر »(٣) •

لكن محاولة محجوب ثابت لم تكن المحاولة الوحيدة ، كما أن فشله لم يكن الفشل الوحيد •

فهناك محاولات أخرى عديدة قام بها أشخاص مثل عزيز بك ميرهم (الوفد) داود راتب بك (الاحرار الدستوريين) ادجار جلاد باشا (السراى)(٤) لكنها باءت جميعا بفشل ذريع مسجلة أن الحس الطبقى المرهف لجماهير العمال المصريين كان أعمق من أن يضلل بقيادات برجوازية ••

وكانت هناك أيضا تجربة عباس حليم وهى تجربة طويلة مرت عبر عديد من المنحنيات وأسهمت فيها قوى مختلفة من بينها كوادر اليسار التى

---

١ — أمين عز الدين — المرجع السابق ص ٣٤ •

٢ — للتفاصيل راجع — رؤوف عباس • الحركة العمالية فى مصر • دار الكاتب العربى — ص ٧٨ وما بعدها •

٣ — صالح على عيسى السودانى — الاسرار السياسية لابطال الثورة المصرية وآراء الدكتور محجوب ثابت — شركة فن الطباعة (د•ت) ص ٢٠٨ •

٤ — رؤوف عباس — المرجع السابق — ص ١٤٣ •

حاولت أن تؤيد دعوة عباس حليم كطريق للدعوة لخلق حزب سياسي للطبقة العاملة(١).

وعلى أية حال فان تجربة عباس حليم قد عانت هي الاخرى من فشل ذريع.

وهكذا وبعد جهود مستمرة ومتعددة بذلتها قوى وتيارات برجوازية عديدة للسيطرة على الحركة العمالية المصرية ابتداء من عام ١٩٢٤ وحتى نهاية الثلاثينيات يأتى مطلع الاربعينيات ليجد الحركة العمالية وهى متجهة من جديد نحو اليسار ولا تكتفى بأن تفرز قادة وكوادر عمالية ونقابية وانما أفرزت أيضا كوادر سياسية يسارية.

***

والحقيقة أن الحركة العمالية لم تتعرض فقط فى هذه الفترة لمحاولات من الغزو الطبقى الخارجى للتسلط على قيادتها، وانما تعرضت أيضا لغزوات فكرية عديدة حاولت جهد الطاقة افراغ التحرك العمالى من مضمونه النضالى والسياسى والطبقى.

وقد شارك فى محاولات الغزو هذه كتاب وصحفيون ومفكرون عديدون لكنا سنكتفى بتقديم بعض النماذج التى تقدمت للعمال فى صورة الناصح المخلص والمؤيد المتعقل.

فعندما أضرب عمال النسيج فى عام ١٩٢٧ مطالبين بزيادة الأجور وتحسين شروط العمل كتبت مجلة الرقيب «نشرت الصحف أن النيابة العمومية أحالت بعض عمال نسيج الحرير الى قاضى الاحالة توطئة لمحاكمتهم جنائيا وذلك لما نجم عن اضراب عمال النسيج فى الجمالية وما يترتب على هذا الاضراب من الهياج والشروع فى القتل.

ويجب أن يكون مفهوما لدى العمال أنه قد ينال بالين ما لا ينال بالشدة والعنف، وأن الاضراب سلاح كريه يمكن ذوى النشاط من اشهاره سلاحا للقيل والقال. والدعوى بأن الشيوعية وأمثالها متفشية بينهم ولعمر الحق انهم أبرياء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ولعل اخواننا العمال يعقلون بأنهم لابد مرتدعون»(٢).

---

١ ـ للتفاصيل راجع ـ د. رفعت السعيد ـ عصام الدين حفنى ناصف ـ سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى ـ دار الثقافة الجديدة.
٢ ـ الرقيب ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٩٢٧.

وحتى كاتب مثل احمد الصاوى محمد نجده يخصص بعضا من « ما قل ودل » للاسهام فى مثل هذا الغزو الفكرى فهو يحث العامل على أنه « لا يجوز أن يكون فى يد الحكومة أو على الحكومة ، وعندما تصبح تلك عقيدة عنده ، ويأبى أن يستغل باليمين أو الشمال لاهواء سياسية سيصل الى ما يطمح اليه من احترام جميع طبقات البلاد ..

وكل ما نطمع فيه ونتمناه أن ينفصل العمال عن السياسة .. واذا خلص العمال حركتهم من التطرف فى المذاهب الخطرة فان حركتهم تكون جديرة بكل تشجيع »(١) .

كذلك خضعت الحركة العمالية لمحاولات أخرى من الغزو من قبل تجمعات مثل الاخوان المسلمين أو مصر الفتاة أو تجمعات شبه فاشية كالقمصان الخضر والزرق .. الخ .

لكن الحركة العمالية المصرية استطاعت بأصالتها الثورية وحسها الطبقى ان تكنس ذلك كله . وأن تفرض أسلوبها الخاص فى النضال وأن تعزز مكانة قادتها العماليين المخلصين .

ولقد كان الاضراب السلاح الاساسى للطبقة العاملة المصرية .. وثمة دراسة تقول :

« لقد كان هناك اضراب أو تهديد بالاضراب فى كل أسبوع .. »

وفى سبتمبر ١٩٢٧ اضرب ٣٠٠٠ عامل بسكة حديد الفيوم بسبب قسوة المشرف على العمل ، ولم ينته الاضراب الا بعد طرد هذا المشرف . وما لبث العمال أن عادوا للاضراب فى الشتاء بسبب محاولة الشركة انقاص الاجور بنسبة ١٠٪ .

وفى نوفمبر ١٩٢٧ أضرب عمال غزل الحرير ضد محاولات تخفيض الأجور ، وقد احتشد العمال أمام المصنع فى مظاهرة صاخبة وتصدى لهم البوليس واعتقل عددا كبيرا منهم .

كذلك فقد انهى البوليس بطريقة دموية اضرابا آخر لعمال النسيج بالقاهرة وسجن ٥٠ عاملا .. ونظمت اضرابات عديدة أخرى لعمال السجاير وعمال قناة السويس وعمال المخابز وعمال ميناء الاسكندرية وعمال الاسكندرية

---

١ ــ أحمد الصاوى محمد . ما قل ودل . الجزء الاول . مطبعة دار الكتب عام ١٩٣٤ ص ١٢٥ .

لكن أهم حدث اضرابى شد أنظار الجمهور كان أضراب عمال الترام بالاسكندرية والذى استمر من ٢١ الى ٢٦ نوفمبر ١٩٢٧ ، وقد تقدم العمال بالمطالب الاتية :

١ - زيادة الاجور بنسبة ٤٠٪ .

٢ - حق العمال فى العلاج الطبى المجانى .

٣ - الحفاظ على حقوق العمال فى حالة انتقال الشركة الى مالك آخر .

وبينما كانت هذه المطالب معروضة أمام لجنة التحكيم قرر العمال الاضراب ، وكان اضرابا شاملا وجماعيا ، وقد تقرر الاضراب فى اجتماع عام للعمال ، وفشلت كل محاولات الشركة فى تسيير قطارات الترام .. وسرعان ما تدخلت الحكومة وأعلنت أن الاضراب غير مشروع بحجة أنه قد بدأ قبل الانتهاء من عرض الامر على لجنة التحكيم ومن ثم فقد أصدرت الأوامر للبوليس بل وللجيش بالتدخل لانهاء الاضراب بالقوة ، لكن هذه التهديدات لم تؤثر فى العمال كثيرا ، كما لم يؤثر فيهم قرار الشركة باعتبار كل عامل لا يعود للعمل فورا مفصولا ، واستمر العمال فى الاضراب ، وتضامن معهم سائقو التاكسى بما أظهر الاضراب بشكل مؤثر فعلا .

.. ولم ينفض الاضراب الا بعد أن أعلنت الحكومة مسئوليتها عن تنفيذ مطالب العمال » (١) .

ثم ما لبثت الطبقة العاملة أن شنت فى الثلاثينيات نضالا شجاعا بعضه ذو صبغة سياسية مثل اضراب عمال العنابر فى مواجهة الارهاب الشيتانى لحكومة صدقى « فقتل فى هذا الاضراب ١٦ عاملا وجرح ١٢٠ - وحوكم ١٢٠ أمام محكمة الجنايات - وفصل ٤٧٧ عاملا »(٢) .

وبعضه الاخر ذو صبغة اقتصادية والحقيقة أن أعوام الثلاثينيات شهدت موجات لا تنقطع من الاضرابات العمالية التى تفجرت نتيجة لمختلف عوامل القهر السياسى والإقتصادى والاجتماعى(٣) والتى لم يكن من الممكن

---

(1) The Labour Montly - vol . 10- No. 5 - May 1929.
The strike wave in Egypt . by . j...B .

٢ - عبد المنعم الغزالى - المرجع السابق - ص ١٦٧ .

٣ - للبحث تفصيلا فى التحركات الاضرابية فى هذه الفترة راجع :
عبد المنعم الغزالى - المرجع السابق ص ١٦٦ وما بعدها .
رؤوف عباس - المرجع السابق ص ٩٨ وما بعدها .

لأى متزعمين برجوازيين فى صفوف العمـال ولا لاى دعاوى برجوازية أن توقف تدفقها الجـارف ... ذلك التدفق الذى كان بمثابة الالهام المستمر للتجمعات الحزبية اليسارية ولقـوى المثقفين اليسـاريين ، وكان دليلا حيـا ومستمرا لفشل محاولات الغزو البرجوازى وعجـزه عن أخماد الروح الثورية فى صفوف حركة الطبقـة العـاملة .

* * *

واذا كانت القـوى الرجعية قـد قاومت أى نفوذ وفـدى فى صـفوف الطبقـة العاملة ، فانهـا قـد قاومت أية اتجاهات اصلاحية أخرى .

والحقيقـة ان انتفاضات العمـال المتكررة والتى اتخذت فى كثير من الاحوال طابع العنف والتحرك الجماعى الفعـال ، قـد حفـزت كثيرا من المفكـرين البرجوازيين الى الدعوة لانتهـاج مواقف اصلاحية تخفف من حدة اندفـاع العمـال نحـو اليسـار ..

لكن القوى الرجعية كانت لا تزال تعيش بعقلية مطلع القرن ، وكانت لا تزال تصمم على أن العـامل جاهل ويجب أن يبقى مغمض العينين وأن أى بصيص من النور ، خطر يتعين مقـاومته ، وكانت تصمم على اتهـام أيـة اتجـاهات اصـلاحية بأنها تحرك بلشفى .

وعندما طالب الاصلاحيون وفى طليعتهم بعض النواب الوفديين مثل حسن نافع وغيره بسن تشريعـات عمالية ، وأصدر البرلـمان تحت ضغطهم

ونتيجة لالحـاحهم قرارا فى عام ١٩٢٧ بتشكيل لجنة لاعداد تشريع عمـالى برئاسة عبد الرحمن رضا باشا ، رفض اتحـاد الصناعات من حيث المبـدأ فكرة استصدار أية قوانين عمالية . واعلن أنه فى حالة الاصرار على سـن قوانين عمالية يجب أن تصدر هذه القوانين تدريجيا ، كما يجب حمايتها من خطـر الآراء الفقهية الهـدامة »(١) .

.. وبينما كانت لجنة «رضا» تواصل عملهـا فى وجه مقـاومة ضارية من البرجوازية المصرية شكل « اتحـاد الصناعات » لجنة لبحث الامر ووضعت الشروط التى يراهـا الاتحـاد ضرورية فى حالة البحث فى اصدار أى تشريع عمـالى .

---

١ ـ عبد المنعم الغزالى ـ المرجع السابق . ص ١٦٣ .

ومن بين هذه الشروط :

* ألا ينفذ أى قانون عمالى الا بعد فترة يستعد خلالها أصحاب الأعمال لتنفيذ التشريع .

* ألا يكون للتشريع العمالى أى أثر رجعى .

* ألا تنقل التشريعات الاجنبية ، بل يجب عند وضع التشريع أن تراعى مستوى عقلية العمال وتوعيتهم والقدرة المالية لاصحاب الاعمال (١) .

وأخيرا انتهى الصراع بأن تجاهلت الحكومة مشروع القانون الذى أعدته لجنة « رضا » وانفقت فى اعداده ثلاث سنوات كاملة وضمنته ١٠٣ مادة فى ثمانية عشر فصلا .

وكان وأد قانون لجنة « رضا » تعبيرا قاطعا عن رفض البرجوازية المصرية لأية اتجاهات اصلاحية وتصميمها على مواصلة الاستغلال الشرس للعمال دون أية مراعاة لظروفهم الانسانية أو المعيشية .. الا أن النضال العمالى المستمر ما لبث أن أجبر الحكام على الرضوخ للمطالبة بضرورة سن تشريعات تحمى العمال وتنظم علاقاتهم بأصحاب العمل ، وفى عام ١٩٣٢ تشكل المجلس الاستشارى الاعلى لشئون العمال وفى أعوام ٣٤ ـ ١٩٣٦ صدرت أول أربعة تشريعات عمالية تنظم أولها تشغيل غير البالغين (قانون ٤٨ لسنة ١٩٣٤) والاخر تشغيل النساء (قانون ٨٨ لسنة ١٩٣٣) وتعلق التشريع الثالث بتحديد ساعات العمل فى الصناعات الخطرة (القانون ١٤٧ لسنة ١٩٣٥) أما الرابع فحدد حقوق العمال فى حالات حوادث العمل (القانون ٦٤ لسنة ١٩٣٦) وبرغم قصور هذه التشريعات الا أنها كانت نقطة تحول هامة فى تنظيم علاقات العمل »(٢) .

* * *

لكن كل محاولات الاصلاح هذه كانت تتم فى مناخ معاد تماما يعتبر أن كل تحرك عمالى هو عمل هدام ومعاد للنظام الاجتماعى .. ويشير

---

١ ـ المرجع السابق ـ ص ١٦٤ .

٢ ـ السفارة الفرنسية ـ القاهرة ـ تقرير مؤرخ فى ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ مرسل من موريس كوف دى مورفيل سفير فرنسا بالقاهرة الى وزير الخارجية روبرت شومان ـ معنون « الحركة النقابية والعمالية فى مصر » ـ محرر بالآلة الكاتبة الفرنسية ـ مودع بالارشيف الخاص بوزارة الخارجية الفرنسية فى باريس ومثبت فى صدره أنه قد أعد بناء على طلب ادارة قسم افريقيا الشرقية برسالة مؤرخة فى ٢٣ مايو ١٩٥٠ .

احد الباحثين الى ذلك قائلا ·· « وتمثل حالة الرعب هذه فى ذلك البنيان البوليسى الذى شكل « مكتب العمل » عندما أنشىء بمقتضى القرار الوزارى رقم ٤٠ فى ٢٩ نوفمبر ١٩٣٠ · فالمكتب الحق بادارة عموم الامن العام المختصة بالجريمة والامن فى البلاد ، والتى كان الوجود البريطانى يهيمن عليها · وأسندت رئاسة المكتب الى أحد مفتشى الداخلية من الانجليز وهو ر·م جريفز الذى كان يشغل منصب وكيل عام الادارة الاوربية ·

·· وفوق هذا فقد كان القسم المخصوص ممثلا فى تشكيل المكتب وهذا كله رسخ الاعتقاد عند الطبقة العاملة بأن مهمة هذا المكتب هو مراقبتها والسيطرة عليها ·· لا حمايتها »(١) ·

وهكذا قاومت الرجعية المصرية أى نفوذ للوفد فى صفوف حركة الطبقة العاملة ··

وقاومت أية تجمع عمالى نقابى أو سياسى حتى ولو كان تحت قيادة نبيل من الاسرة المالكة كعباس حليم ··

ورفضت أية محاولات اصلاحية ، سواء أكانت تشريعية أو اجتماعية ·

ولقد أدى هذا الاصرار الرجعى على رفض أى موقف اصلاحى بالعمال المصريين الى موقف محدد هو رفض النظام ككل ، ولم يكن ثمة طريق آخر أمامهم ·

ولكم هون هذا الموقف الرجعى على اليسار كثيرا من المعارك كان يتعين عليه أن يخوضها لو أن البرجوازية نجحت فى إقامة منظمات عمالية تحت قيادتها ، أو لو أنها استطاعت نشر دعاوى اصلاحية ناجحة ··

وهكذا فان تحجر العقلية الرجعية قد أغنى القوى الثورية المصرية عن خوض معارك صعبة ··· وحدد أمام العمال المصريين طريقا وحيدا هو خوض الصراع الطبقى حتى مداه ··

---

١ ـ د· عبد الوهاب بكر ـ أضواء على النشاط الشيوعى فى مصر ١٩٢١ ـ ١٩٥٠ ـ دار المعارف (١٩٨٣) ص ٤١ ·

وللفلاحين أيضا

وكالعادة .. فقد كان الريف المصرى يعانى أكثر من أى مكان آخر فى مصر .

وبالاضافة الى المعاناة التقليدية ، تراكمت فوقه كل اضطهادات عهود الارهاب والتسلط ابتداء من حكم زيور الى حكم « اليد الحديدية » الى حكومة صدقى ..

وكانت أزمة القطن وتدهور أسعاره تمثل خاتمة المطاف التى هوت بالريف المصرى الى حالة الانهيار الاقتصادى الكامل وتوالت حالات الافلاس والحجز والبيع الاجبارى بحيث أصبحت أسلوبا معتادا ...

وارتفعت الاصوات تطالب الحكومة بالتدخل . وحتى تلك الاصوات التى ظلت لعدة سنوات تنشد أغنية عدم التدخل والحرية الكاملة للاقتصاد، عادت لترتفع مطالبة الحكومة بان تدخل سوق القطن مشترية ...

وبعد تردد طويل ــ كما تقول جريدة « الاتحاد » لسان حال « حزب الاتحاد » أخذت الوزارة تشترى كل يوم حوالى المائة بالة مع أنها قررت مشترى القطن من سوق ميناء البصل لغاية ٥٠٠ ألف قنطار . والقدر الذى كانت تشتريه الحكومة هو دون ما يشتريه كثير من المصدرين كل على انفراد .. وفضلا عن ذلك فقد كانت الحكومة تدفع أسعارا دون ما يدفعه أكثر المصدرين ... فلو أن الوزارة لزمت السكوت لكان الأوفق لان ضعف مقدار ما تشتريه وتؤديه من السعر أطمع المضارب وهيأ له سبيل الغش على أمل هبوط الاسعار بالتدريج »(١) .

وقد تدهورت أسعار القطن الى حد لم يسبق له مثيل « حتى خسرت البلاد بسبب ذلك نحو ثلاثين مليونا من الجنيهات المصرية ، مما كانت عليه الأسعار فى أول السنة ولا يعلم أحد الى أى حد تهبط بعد ذلك »(٢) .

---

١ ــ الاتحاد ــ ١٤ ــ ١ ــ ١٩٢٦ .

٢ ــ أحمد شفيق باشا ــ حوليات مصر السياسية ــ الجزء الثالث ــ طبعة سبتمبر ١٩٢٩ ص ١٩٦ .

وعجز المستأجرون تماما عن تسديد الايجارات ، وارتفعت أصوات عديدة فى الصحف تطالب « أصحاب الاطيان بتنزيل أجور أطيانهم تفريجا للازمة وتهوينا لحال الفلاح المستأجر الذى أصبح فى ضيق من جراء هبوط أسعار القطن . وكأن سعد باشا زغلول أول من أقدم على هذا العمل الخيرى حيث جمع المستأجرين لاطيانه ، وسألهم عما يريحهم فى الاجرة ، فأجابوا أن تخفيض أجرة الفدان ثلاثة جنيهات يكفى ويزيد ولكن مكارم أخلاقه والمثل الأعلى الذى أراد أن يضربه للكبار والصغار من أصحاب الأطيان حمله على أن يجيب أولئك المستأجرين بأنه تنازل عن ستة جنيهات من أجرة الفدان »(١) .

واذا كان هذا الموقف ـ الشخصى ـ من سعد زغلول ، قد أكسبه « دعاء الآلاف المؤلفة من الفلاحين » كما قال الاهرام ، فانه لم يحل المشكلة التى كانت تعصف بكيان الريف المصرى ...

وعلى أية حال فقد حاول بعض النواب ـ الوفديين ـ أن يستصدروا من مجلس النواب قانونا فى عام ١٩٢٧ « بتخفيض ايجارات الأطيان عن عام ١٩٢٦ بمقدار الربع وما يكون قد تسدد منها يرد بما يوازى هذه القيمة أو تحتسب من ايجار السنة القادمة » .

وقد تقدم بهذا الاقتراح النائب محمد حافظ حتحوت أفندى ـ فهاجمه الاعضاء هجوما عنيفا جدا ، وقاطعوا أى دفاع عن الاقتراح واتهموه بالدعوة البلشفية .

وساد جلسة مجلس النواب جو غريب من العنف ظهر فى المضبطة الرسمية للجلسة فى صورة مقاطعات مستمرة وضجيج فى مواجهة أى دفاع عن الاقتراح ، ثم تصدى حاد لاى معارضة له ...

الامر الذى دفع أحد مؤيدى الاقتراح وهو حسن يوسف عامر الى تهديد المجلس قائلا : « ان نظرية التدخل هى فى الحقيقة أقل النظريات تطرفا لان هناك من النظريات الاقتصادية ما هو شديد الخطر على الهيئة الاجتماعية مثل الاشتراكية والبلشفية ، وهما يرميان الى أخذ الملك من المالك واعطائه لعامة الشعب (ضجة) . ولست أخال حضراتكم الا عالمين بالسبب فى وجود هذه النظريات المتطرفة ، فهى لم تنشأ الا لعدم وجود روح العدل والشفقة من الملاك .. » (ضجة) .

ولم يستطع المتحدث أن يكمل دفاعه وسط الضجيج الصاخب الامر الذى اضطر رئيس الجلسة الى التدخل محاولا تلطيف الجو قائلا « أرجو

---

١ ـ الأهرام ـ ٣٠ ـ ١٠ ـ ١٩٢٦ .

عدم المقاطعة-فحضرة الخطيب بين لكم أنه يرى الشفقة بالمستأجرين درا لاخطار النظريات الاشتراكية التى أشار اليها »(١) ٠

لكن انخفاض أسعار القطن وتشدد كبار الملاك واصرارهم على عدم تخفيض الايجارات لم يكن كل الكارثة التي تعرض لها الفلاح .

فحكومة صدقي قد عمدت « الى استخدام الحالة الاقتصادية السيئة وسيلة لاضعاف المقاومة السياسية للجماهير ٠ وقد أدى تدهور أسعار القطن بالمزارعين الى حد حال بينهم وبين الحصول على المال لتسوية ضرائب أموالهم ، فعمدت الحكومة الى الحجز على مواشيهم وبيعها في الاسواق العامة بأثمان بخسة لا تدور بخاطر أحد من الناس »(٢) ٠

وتورد جريدة « الأحرار الدستوريين » نماذج من الاسعار التى بيعت بها مواشي الفلاحين وفاء للضرائب :

بيع ثوران وجاموسة يملكها محمد العتباوى من دراجيل بـ ٨ جنيهات وبيع للسيد فريره من كوم مازن جاموسة بـ ٤١٣ قرشا وبيع ١٠ أرادب ذرة يملكها عبد العزيز مطر من بشلة بسعر الاردب ٣٦ قرشا ٠ وبيعت حمارة لأحد الاهالي بسوق بيرسنا بـ ٧٠ قرشا »(٣) ٠

وكما رفض مجلس النواب في عام ١٩٢٧ اصدار قانون بتخفيض الايجارات ٠٠٠ فقد رفض - فيما بعد - اصدار قانون بمنع الحجز على الضروريات اللازمة للفلاح الصغير ومعيشته ٠

ان الصورة البشعة التى قدمتها جريدة « الأحرار الدستوريين » لبيع أخص مستلزمات الفلاح الصغير بأبخس الاسعار ، لم تدفع نواب حزب « الأحرار الدستوريين » الا الى مزيد من التشدد ورفض اية اصلاحات أو تسهيلات ٠٠٠

فلقد كانت الرجعية المصرية مازالت متشبثة بنفس الفكرة التى تشبثت

---

١ - مضبطة الجلسة السابعة عشرة لمجلس النواب يوم ١٠ - ١ - ١٩٢٧ - المطبعة الرسمية - ص ٢٣٦ ٠

٢ - د٠ محمد حسين هيكل ، ابراهيم عبد القادر المازنى ، محمد عبد الله عنان - السياسة المصرية والانقلاب الدستورى - مطبعة السياسة عام ١٩٣١ ص ٥٦ ٠

٣ - الأحرار الدستوريين ٢ - ١ - ١٩٣١ ٠

بهما فى مجال العمال وهى أن أى تنازل اصلاحى .. « بلشفية » وأن مزيداً من القهر ومزيدا من الاستغلال هما السبيل الوحيد لحكم مصر ..

ويظل « الاتهام » بالبلشفية « معلقا » فى رقاب كل دعوة للاصلاح ، وحتى الحكومة عندما تقدمت فى ١٩٤٠ الى مجلس النواب قانونا ينص على عدم السماح بالحجز على الضروريات اللازمة للفلاح الصغير ولعيشته ، لم تسلم هى الاخرى من الاتهام بالبلشفية .

فقد ثار النواب وتتابعوا فى الهجوم على القانون :

« - لبيب أبو قورة بك : هذا القانون ليس له معنى وهو معطل للفلاح الصغير .

- محمود سليمان غنام : ان هذا المشروع فيه تعقيد لشؤون الفلاحين .
- خليل ابو رحاب : هذا القانون يعلم الناس الباطل والتضليل .
- اسماعيل فهمى الشلقانى بك : لا يتضح عرض هذا القانون هنا » .

أما أحمد عبد الغفار فقد قذف صراحة بالاتهام الذى كانت ترتعد الفرائص خوفا منه فى ذلك الحين وصاح فى وجه ممثل الحكومة قائلا « أنا أعارض هذه القوانين التى تتبعها لنا الحكومة لانها قائمة على مبادىء البلشفية »(١) .

لكن تشدد الاقطاعيين واصرارهم على رفض أية حلول ولو جزئية أو وقتية لمشاكل الفلاحين وتصميمهم على فرض القهر الكامل والاستغلال الكلى على الفلاحين لم يزد الفلاحين الا نضالية ، بل لعل عنف الاستغلال الرجعى كان دافعا الى عنف التحرك النضالى للفلاحين ، فالفلاح الذى مارس العنف الثورى الى أقصى مداه فى ثورة ١٩١٩ ، والفلاح الذى توجه اليه الاشتراكيون منذ مطلع العشرينيات ببرامج ثورية تطالب بتصفية الاقطاعيات وبتوزيع الارض على الفلاحين المعدمين والذى مارست الكوادر اليسارية عملا نشيطا فى صفوفه ، امتد الى أعماق الريف فى قرى الصعيد والوجه البحرى (٢) ، هذا الفلاح كان - بالرغم من كل شىء - محورا للنضال السياسى الوطنى حتى بعد أن صفيت ثورة ١٩١٩ .

فعملية النضال ضد انتخابات زيور كانت فى الاساس نضالا فلاحيا .. ومقاطعة الانتخابات والاستقالات العمد الجماعية وهى تحركات نضالية

---

١ - التطور - مايو ١٩٤٠ .

٢ - لمزيد من التفاصيل راجع د. رفعت السعيد - تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ - ١٩٢٥ - المرجع السابق - ص ٢٠٣ وما بعدها .

ألهبت حماس المجتمع المصري ككل اسهاما فلاحيا فى النضـال ضـد الاستبداد السياسى ومن أجل احترام الدستور .

والنضال الفعلى ضد ارهاب صدقى كان نضالا فلاحيا وعماليـا قـدم العمال والفلاحون ضحاياه وتضحياته بينما اكتفت البرجوازية بالتشدق بشعاراتها الليبرالية .

لكن الفلاح المصرى لم يكتف بالنضال السياسى ، بل لجأ فى كثير من الأحيان الى العنف الثورى ، وواجه طغيان كبار الملاك مواجهة مسلحة ..

وثمة أمثلة عديدة لكننا سنكتفى بأن نورد بعضا منها .

* تحت عنوان « الحادث المروع فى بنى سويف » كتبت مجلة السياسة الأسبوعية عن أحداث يوم ٣١ يوليو ١٩٢٧ تقول : « قام معاون أوقاف ببا لتنفيذ حكم قضائى لصلحة الأوقاف ببلدة الشنطور التى بها نقطة بوليس فاعترضه المنتفعون فى هذه الأرض فاستعان بالنقطة الا أن هذا لم يكن ليحسم النزاع فاضطر الى طلب النجدة من المركز فأعانه بقوة أخرى وقام بعدئذ عراك عنيف تبودلت فيه العيارات النارية والنبابيت . ولما نما الخبر الى المديرية قام فى الحال سعادة المدير بالنيابة ومعه الحكمدار ورئيس النيابة وقوة من الهجانة وباشروا التحقيق . وقد انجلت هذه المعركة عن وفاة ثلاثة من الأهالى واصابة رابع اصابة خطيرة أرسل من أجلها الى المستشفى ، كما أصيب خمسة من رجال البوليس اصابات غير خطيرة »(١) .

* وبعد أسابيع قليلة تنشر « السياسة » خبرا آخر بعنوان « معركة جسيمة بين البوليس والاهالى » جاء فيه : « أبلغ تفتيش صبيح التابع لمركز مغاغة أن خلافا شجر بينه وبين مزارعى التفتيش يدعو الى التدخل البوليسى ، فقامت قوة من المركز لحسم النزاع فاشتبك الاهالى والبوليس فى معركة استخدمت فيها الأسلحة النارية وانجلت عن اصابة كثيرين من الفريقين فقد أصيب من الاهالى أنور محمد الشحات وابراهيم حسن هجين ، عبد الستار مصطفى الصباغ ، ابراهيم حسن الشرقاوى ، حسن على الصبحى ، على عبد الرحمن سويلم ، آمنة بنت عبد الله ، محمد عبده ، أحمد موسى ، فيدى محمد موسى . وقد توفى الاول وحالة الثانى خطيرة . وأصيب من البوليس والخفراء فضل الله خلف الله من قوة الهجانة بمقذوف نارى فى بطنه ومحمد ابو زيد سرور فى رأسه .

---

(١) ـ السياسة الاسبوعية ـ ٦ ـ ٨ ـ ١٩٢٧ .

وتوفيت غزلان بنت سعيد اذ اصيبت برصاصة قضت عليهـا فى الحال ٠

اما من اصيب من الضباط فمامور المركز موسى افندى جاد الله اصابة خفيفة ٠ ومعاون البوليس ٠ وبلغ مجموع المصابين ٣٥ مصابا منهم ٢٨ من الأهـالى »(١) ٠

وهكذا خاض الفـلاحون العنف الثورى الى اقصى مداه متمثلا فى المواجهة المسلحة مع كبـار الملاك ومع السلطة التى تساندهم ، وقدموا شهداء وشهيدات بغير حصر بعضهم تحدثت عنه الصحف فى خبر صغير يفحط لنـا ذكـرى معركة نضالية شجاعة والكثير طواه نسيان متعمد ٠

ولقـد كانت هذه الانتفاضات الفـلاحية المسلحة مثارا لفزع كبـــار الملاك والسلطة بشكل عـام ٠٠٠

وتماما كما تطوعت البرجوازية لتخوض محاولة فاشلة لقيـادة الحركة العمالية بهـدف كبح جماحهـا ، فقـد تطوعت أيضا لتحاول ان تروض الفـلاحين وتحـد من تحركهم النضـالى عن طريق فرض قيـادة برجوازية عليهم ٠٠

وكان المتطوع فى هذه المـرة « اسماعيل مظهر » ٠

واذا كان الوفـد المصرى بزعامة سعد زغلول قـد شعر فى عـام ١٩٢٤ باهمية التوجه نحو العمال ومحاولة فرض قيادة وفـدية عليهم ،٠ فقـد كانت محاولة اسماعيل مظهر حثا للوفد على التوجه نحو الفلاحين ، مؤكـدا ضرورة مثـل هـذا التوجـه كسـبيل لكبـح جمـاح حركـة الفـلاحين وفـرض وصاية برجوازية عليهـا ومنعهـا من الاتجـاه يسارا ٠

والحقيقـة أن « اسماعيل مظهر » كان من الصراحة بحيث لم يحـاول اخفاء هـدفه ٠٠ فنى « مشروع تاسيس حزب الفلاح المصرى » الذى وجهـه الى مصطفى النحاس رئيس الوفد قائلا « بالصفة العليا التى لكم فى هـذه البلاد كرئيس للوفـد المصرى وخليفـة للزعيم الاكبر المغفور له سعد زغلول باشا والمدافع الطبيعى عن الديمقراطية الحقيقية ، وبحكم انكم الزعيم الاول للاغلبية الساحقة من المصريين اتقـدم اليكم بهذا المشروع ٠٠ » ٠٠ ثـم اختتمه بعبـارة « خادمكم المطيع »(٢) ٠

---

١ ـ السياسة الاسبوعية ـ ٢٩ ـ ١٠ ـ ١٩٢٧ ٠

٢ ـ العصور ـ الشهرية ـ أكتوبر ١٩٢٩ ، حيث نشر البرنامج والمذكرات الملحقـة به ٠ وقـد أعادت «الطليعة» نشر هذا البرنامج فى عدد مارس ١٩٦٥

وفي هذا المشروع أكد اسماعيل مظهر ، أن الفلاح لن يقتنع بنقابات زراعية ولا بمعارف زراعية تظل على ضعف وعلى خطر من الانحلال ما دامت تفقد السند الذي يمكن أن يعضدها في الحياة وهو القوة السياسية ، ونحن نتطلب للفلاح القوة السياسية باعتبارها أساس الاصلاح الاجتماعي قانعين بأن الإصلاح الاجتماعي شيء ونضال الطوائف (يقصد صراع الطبقات) شيء آخر » .

وفي المذكرة التمهيدية المرفقة بالبرنامج يقول « وإذا علمنا أن هذا النظام من شأنه أن يجعل الطبيعة عنصرا قويا في تكوين الأسباب التي تفضي إلى الأزمات الاجتماعية الكبرى ، شعرنا الى أي حد بلغت بنا الحاجة الى تكوين حزب اجتماعي يكون أساس الاصلاح فيه فلاح مصر باعتباره الأكثرية العظمى ، وأنه أصل الثروة ، كما أنه لا يجب أن يغيب عن أذهاننا أن إهمال تكوينه سوف يكون عما قريب أبين أسباب القلق الاجتماعي » .

وأخيرا فهو يحدد بشكل أوضح الهدف من مشروعه قائلا :

« لهذا وجب علينا أن نبحث في أمثل الطرق والوسائل التي تحمينا من الانقلابات الفجائية والتي تصد عنها سيل الأفكار المتطرفة الحديثة التي تفيض علينا بها دوليات أوروبا الشيوعية ... وإني لشديد الاقتناع بأن تنفيذ مشروع حزب الفلاح المصري على القواعد التي وضعتها في مبادئه كفيلة بأن تحمينا هذه الشرور » .

وفي نصوص البرنامج ذاته مادة خاصة بعنوان « محاربة المبادىء البلشفية » تقول : « تقوم الشيوعية والبلشفية على مبادىء خيالية ــ مساواة ــ اخاء ــ حرية ــ فالمساواة تنافي الحرية والحرية تقتضي المنافسة المشروعة بين الافراد ، فهي بذلك تنافي الاخاء على المعنى الشائع الذي يلوح به الشيوعيون للناس » .

اذن فهو أساس للفوضى الاجتماعية ودواء دلت التجارب على أنه غير ناجح في شفاء الامراض الاجتماعية التي نشأت مع حلول العصر الانتاجي الحديث .

لهذا يحاربها حزب الفلاح المصري بكل قوة لأنها تنافي مبادئه القائمة على اشتراك الناس في فرص الحياة وتقوية مبادىء الفردية » .

وبالرغم من الصبغة « الاصلاحية » السافرة للمشروع الذي قدمه اسماعيل مظهر ،

وبالرغم من تأكيداته القاطعة بأن هذه الانسانية هو حماية الفلاح من خطر الاتجاه يسارا .

وبالرغم من أن البرنامج الذي قدمه جاء خلوا من أية مطالب ثورية ، أو شبه ثورية ..

وبالرغم من أن أقصى تطرف لجأ اليه البرنامج كان حديثا عن تحديد الحد الاقصى للملكية الزراعية بخمسمائة فدان .. وبشرط أن يتم ذلك دون أى تدخل قانونى أو حكومى وانما بمجرد الانتظار لأن تفعل أحكام المواريث فعلها الطبيعى فى تقسيم الملكيات الكبيرة ..

« والمقترح أن تحدد الملكية فى النهاية القصوى بخمسمائة فدان يملكها رأس عائلة وأولاده فى حال حياته ، وبحكم التوريث بعد الوفاة نصل من غير احتياج للقيام بأعمال يشعر معها الناس بعسف الى هذه النتيجة . فمن يملك ١٠٠٠ر١٠ فدان تقسم بعد وفاته على اثنين فيملك كل منهما ٥٠٠٠ ثم تقسم على عشرة بعد وفاتهما وبهذا نصل الى النتيجة المرغوب فيها من غير حاجة للالتجاء الى عمل غير عادى أو نزع قهرى للاملاك » .

أقول أنه بالرغم من ذلك فان الرجعية المصرية قد وقفت من محاولة اسماعيل مظهر موقف العداء تماما مثلما وقفت موقف العداء من الاتجاهات الاصلاحية فى صفوف العمال ..

ذلك أن عبارة « حزب الفلاح » كانت فى حد ذاتها خروجا عن كل تصورات الرجعية المصرية وآمالها فى حكم مصر حكما يستند على القهر .. وعلى القهر وحده ..

وكانت حدود الاصلاحات المسموح بها فى نظر كبار الملاك المصريين تقف عند حد « ردم البرك والمستنقعات وتعميم المياه الصالحة للشرب »(١)

اما عندما طالب مريت غالى « بتأسيس المعهد الوطنى للبناء والتجديد » .. وتواضع فطالب بأن تقتصر عمليات البناء .. على اعادة بناء القرى التى يدمرها الحريق ، وقد تحترق كل سنة قرية أو قريتان فينتهز المعهد هذه الفرصة لانشائها على طراز يتفق وحاجة التقدم الاجتماعى فى بلادنا »(٢).

---

١ ـ اليد القوية ـ خطب وأحاديث حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا منذ أسندت له رياسة مجلس الوزراء ـ مطبعة الاسكندرية عام ١٩٢٩ ـ ص ٢٧ .

٢ ـ مريت بطرس غالى ـ سياسة الغد ـ برنامج سياسى واقتصادى واجتماعى ـ مطبعة الرسالة بالقاهرة ـ ص ١٠٦ .

.. فأن الرجعية المصرية تعزب عن أنزعاجها ورفضها القاطع لهذه الدعوة « الخطرة » • ويدلى قلينى فهمى باشا بحديث الى « مجلة الأدب الحى » يقول فيه « أما الفلاحون الصغار أو الاجرية فاهم شيء يلزم عمله لاصلاح حالهم وتحسين معيشتهم هو ردم البرك والمستنقعات المحيطة بمساكنهم انقاذا لصحتهم من الامراض التى تتولد بها • كذلك يجب انشاء دورات مياه صحية فى كل قرية ، وإمدادهم بمياه نقية صالحة للشرب • هذه هى أهم المطالب • أما النغمة القائلة بتشييد القرى النموذجية وتجهيز بيوتها بالغرف الرحيبة والحمامات البديعة فضلا عن انارتها بالكهرباء ، وتزيينها بالمقاهى وأماكن اللهو والتسلية ، فهذه مظاهر لا تفيد الفلاح بل تفسده لانها تؤخره عن عمله وتدعوه الى النفور من طبيعته الخشنة التى ألفها وتعود عليها آباؤه وأجداده »(١) •

وهكذا ووجهت محاولة « اسماعيل مظهر » بالتجاهل من حزب الوفد وبالرفض القاطع والحرب العنيفة من كبار الملاك المصريين •••

وإذا كان رد الفعل الذى نجم عن مثل هذا الموقف من حركة العمال هو اتجاه العمال الى الموقف الوحيد المتاح وهو اليسار •

.. فإن الغريب فى الامر هو أن « اسماعيل مظهر » نفسه هو الذى اتجه يسارا تحت تأثير هذا الرفض القاطع من جانب الرجعية المصرية •••

. لقد تبنى المحاولة فى البداية حتى يعوق اتجاه الفلاح نحو اليسار ••

لكن تجاهل الوفد وعنف الحرب التى شنتها الرجعية ضد فكرته ـ هذا بالاضافة ـ الى أن يد اليسار قد امتدت اليه ممثلة فى احد قادة الاتجاه اليسارى فى ذلك الحين هو عصام الدين حفنى ناصف • كل ذلك دفع بالرجل الى مواقع أقرب من اليسار •

وفى تلك الاثناء كان عصام ناصف منشغل البال بفكرة تأسيس حزب اشتراكى ، أو حزب عمالى وكان على اتصال بعدد من الشخصيات العمالية منها محمود محمد ناصر مراقب نقابة الصنائع اليدوية بالاسكندرية وعدد آخر من العمال(٢) •

---

(١) قلينى فهمى ـ آراء وذكريات فى السياسة والاقتصاد والاجتماع ـ صفحة ٥٤ •

(٢) رفعت السعيد ـ عصام الدين حفنى ناصف ـ المرجع السابق ـ ص ٦٥ وما بعدها •

وكان طبيعيا أن تلتقى هذه المحاولة بمحاولة « اسماعيل مظهر » لتأسيس حزب فلاحى ·

وتم اللقاء أولا فى صورة مقالات عن الماركسية كتبها عصام على صفحات مجلة «العصور» ·

ثم استطاعت هذه المجموعة التى يتزعمها عصام أن تقنع « اسماعيل مظهر » بأن يعملا سويا لتأسيس « حزب للعمال والفلاحين » ·

وبالفعل أعد عصام برنامجا جديدا ·· يختلف اختلافا جذريا عن برنامج اسماعيل مظهر السابق ، فهو وثيقة غاية فى الثورية وغاية فى التقدمية تتخذ مواقف ومنطلقات تختلف تماما عن افكار اسماعيل مظهر السابقة · فهى تتضمن مطالب مثل :

* القضاء على الاستعمار البريطانى وكافة النزعات الاستعمارية فى جميع بلدان العالم ·

* تحرير الطبقات العاملة فى مصر من عمال وفلاحين ، مع تقليل الفوارق بين الطبقات الاجتماعية · وجعل هذه الفوارق قائمة على أساس الاجتهاد والمنفعة للجميع ·

* بث الافكار الديمقراطية وروح المساواة العامة فى الشعب ·

* التكاتف مع الامم المستبعدة ولا سيما الامم الشرقية والعربية على محاربة الاستعمار ·

* عدم التعاون مع المحتلين اطلاقا ومقاطعة التجارة البريطانية ··
* قيام الحكومة باصلاح أراضيها البور وتوزيعها على صغار المزارعين ·
* فرض ضرائب متدرجة على الدخل والميراث ·
* حماية العمال والفلاحين بقوانين تحدد أجور وساعات العمل ، وتحتم على أصحاب المزارع والمصانع بناء مساكن صحية مريحة للعمال ·

* مجانية المعالجة للطبقات العاملة الاجيرة ·
* جعل التعليم مجانيا بجميع درجاته ·
* الغاء الرتب والنياشين ·
* تحديد الملكية الزراعية ·

* القيام بنشر الدعوة لاظهار بشاعة الحروب الاستعمارية وغرس روح الاخاء الشعوبي بين الامم (١) .

وقد نشر هذا البرنامج موقعا باسم اسماعيل مظهر نيابة عن « اللجنة التحضيرية لحزب العمال والفلاحين » .

والغريب في الامر ان كثيرا من الدارسين لم يتنبه الى هذا التغيير الجذري الذي طرأ وخلال فترة وجيزة جدا — على مواقف ومنطلقات اسماعيل مظهر ...

وحتى ابنه الأستاذ جلال مظهر لم يتنبه الى هذا التغيير وتصور ان هناك برنامجا واحدا وليس برنامجين فقال في مقال نشرته جريدة الاخبار « ومما جاء في مبادىء الحزب التي نشرت بمجلته « العصور » في اكتوبر سنة ١٩٢٩ ثم في يونيو ١٩٣٠ ما يأتي : »(٢) ثم اورد بعض فقرات برنامج يونيو ١٩٣٠ .

وعلى اية حال فان مقارنة البرنامجين تغني عن اى جدال فهما وثيقتان مختلفتان تمام الاختلاف في كل شيء ..

وفي نفس الوقت الذى نشر فيه « اسماعيل مظهر » البرنامج الجديد في عدد يونيو من مجلة العصور . قام محمود محمد ناصر مراقب نقابة الصنائع اليدوية بطبعه في منشور وقام بتوزيعه موقعا باسمه في الدوائر العمالية الامر الذى ادى الى القبض عليه واتهامه بالترويج للافكار البلشفية .. ويعترف محمود ناصر في التحقيق بأنه اشترك في محاولة لتأسيس حزب العمال والفلاحين وبأنه قد طبع بيانا من الف نسخة يدعو فيه الى تأسيس هذا الحزب ووزع معظمها (٣) .

* * *

وعلى اية حال فان محاولة اسماعيل مظهر لم تكن الوحيدة في هذا المجال فثمة محاولات اخرى قام بها عدد من المثقفين الاصلاحيين الذين كونوا « جمعية نهضة القرى » وفي عام ١٩٣٣ ثم استقال احد اقطاب الجمعية — وهو احمد كامل قطب — ليعلن عن تأسيس « حزب الفلاح الاجتماعي والاقتصادى » تأكيدا لبعد الحزب عن السياسة (٤) .

---

١ — العصور يونيو ١٩٣٠ .

٢ — الاخبار — ١٥—٣—١٩٦٢ .

٣ — ملف القضية رقم ٣٤٤٤ كلي السنة ١٩٣١ محكمة جنايات الاسكندرية . دور يوليو .

٤ — قام المؤلف بتجميع الوثائق الخاصة بهذه المحاولات ونشرت كاملة في مجلة الطليعة — القاهرية — عددى اغسطس وسبتمبر سنة ١٩٧٠ .

كذلك كان كثيرا من المفكرين قد ساءتهم حالة الفلاح المصرى فأسـهموا بأقلامهم فى الكتابة عن مشاكله ·

إن مراجعة قوائم الكتب الصادرة فى هذه الفترة تقدم لنا نماذج لا تحصى من المحاولات التى بذلها المثقف المصرى لتفهم قضايا الفلاح ومشاكله والبحث عن حلول لهـا (١) ·

لكن كل هذه المحاولات سواء تلك التى اكتفت بالتعبير عن نفسها فى صورة مقال أو كتاب أو تلك التى اتخذت طريق الدعوة لتأسيس احزاب أو جمعيـات اصلاحية ، قد لقيت ـ جميعا ـ الصدود والنكران من جانب الرجعية المصرية التى لم تتوان عن توجيه تهمة « البلشفية » ضد أية محاولة اصلاحية ···

الامر الذى دفع عصام ناصف الى الكتابة قائلا « لعل السادة الاغنياء والنواب المحترمين يفهمون ـ قبل فوات الوقت ـ ان الترويج للمبادىء البلشفية وتحبيبها للقلوب لا يكون بالمطالبة بهذه الاصلاحات الطفيفة التى اذا نحن رضينا بها فليس ذلك على انها اصلاحات حقيقية ، بل على انها دلالة على التفكير نحو الاصلاح ليس الا ·

وان ما يتركه هذا الترويج بافهام البائسين الذين يحسون مسيس الحاجة الى الاصلاح ان الاصلاح قرين البلشفية ، وان فرض ضريبة الايلولة على تركات الاغنياء ·· بلشفية ، وأن نشر التعليم الالزامى ·· بلشفية ، وأن تعليم البنات ·· بلشفية ، وان محاربة البذخ والتبذير ·· بلشفية ، وأن المطالبة بترقية أحوال العمال والفلاحين والجنود ·· بلشفية ·· وعلى ذلك فان حضرات النواب المحترمين لا يخدمون أنفسهم ولا طبقتهم حين يكثرون من ترديد الاتهـام بالبلشفية »(٢) ·

··· وهكذا ومرة أخرى تثبت الرجعية المصرية افتقارها الى الذكاء والمرونة الكافية لاستيعاب الاتجاهات الاصلاحية والاستفادة منها ·

وكانت النتيجة المنطقية كما قلنا هى اتجاه كثير من القوى التى ترفض الاوضاع القائمة آنذاك ··· الى اليسار ··

---

١ ـ راجع ـ عايدة ابراهيم نصير ـ الكتب العربية التى صدرت فى مصر بين عامى ٢٦ـ١٩٤٠ ـ رسالة ماجستير ـ غير منشورة ··

٢ ـ التطور ـ مايو ·١٩٤٠ ·

... الفاشست ينشطون

« الفاشيزم مدينة بنجاحها الى مساعدة الظروف والاحوال ، اذ فزع المتمولون فى ايطاليا من عجز الحكومة عن قمع الحركات الشيوعية فى البلاد والتفوا حول الفاشست حيث رأوا ان تحميل عبء مطاردة الشيوعية على عاتق الفاشست اولى من تركه الى الحكومة التى كانت عبئاء فوق ما هى ضعيفة ولا ريب فى أن الفاشزم لو لم تكن مؤلفة من رجال شديدى البأس والعزيمة لما كانت تنال هذا الفوز الباهر فى وقت قليل »(١)

وهكذا تنحدر الرجعية المصرية فى حربها العنيفة ضد اليسار لتلجأ الى الدعاية للفاشية فى محاولة للايهام بان الفاشية هى السبيل لصد تيار اليسار ..

« ولقد كان هذا التصور سبيلا لسلسلة من المقالات والكتابات التى سعت الى تمجيد الفاشية .. « أصبح موسولينى حديث أوروبا بأسرها بل العالم أجمع . وهو فى الحقيقة من أعظم رجال هذا العصر ان لم يكن اعظمهم طرا . وقد اتى منذ توليه زمام الامور فى ايطاليا اعمالا مجيدة وجعل الشعب الايطالى يقلع عن كثير من العادات القديمة التى كادت تؤدى بايطاليا الى الثورة والخراب »(٢) ..

وهكذا اصبح موسولينى ملهما لكل اعداء اليسار ونموذجا يتعين السعى لخلق مثيل له لكبح جماح الشيوعيين « فأوربا تنبهت الى ما تقدم ، وكان لها من قيام الفاشسيت فى ايطاليا ونهوضهم بهذه البلاد التى كادت تهوى الى هاوية البربرية ويتقوض عمرانها عبرة اتخذها الاوروبيون مثلا يحتذونه ، خصوصا بعد الذى شاهدوه من صنيعها واستتباب الامن واطلاق الحرية الشخصية حتى شخصت الى هذه الحركة الابصار ودارت عليها المباحث فاستنتجوا من نجاحها ما يجب الاقتداء به . وعليه قامت طوائف من الاوروبيين فى مختلف البلدان الى

---

١ ـ كل شىء ـ ١٧٠ ـ مايو ١٩٢٦ .

٢ ـ اللطائف المصورة ـ ٢٨ فبراير ١٩٢٧ .

تأثيف الجمعيات الفاشستية وصارت عندهم رمزاً الى حب العمل والاخلاد الى النظام ... وهذا انتصار اجتماعى نالت به ايطاليا فوزا كبيرا أكسبها ميل الشعوب الاوروبية وأحلها محل الاحترام عندهم . وقد سمعت كثيرين يعربون عن الاسف على أن لا يكون عندهم موسولينى من أهل بلادهم ليسير دفة البلاد الى العمل والنجاح »(١) .

. وليس الامر بحاجة الى تعليق ، فان الكاتب يدعو ويلح ويتوسل باحثا عن « موسولينى مصرى » يخلص البلاد من مخاطر الثورة ...

ولقد كان كل مجد موسولينى عند الرجعية المصرية يتلخص فى انه « أسكت المعارضة فى البرلمان الايطالى . وصان بذلك حياة المملكة التى كانت جرائدها ولسان معارضتها تقودها بخطوات سريعة نحو البلشفية »(٢) .

كذلك تنشر جريدة المحاكم المختلطة مقالا جاء فيه « بينما مصر تتسلح بما لديها من قوانين مكتوبة وغير مكتوبة للدفاع عن كيانها ازاء الدسائس الشيوعية قد يكون مفيدا التفاء نظرة الى الحرب العوان التى اعلنها الفاشست فى ايطاليا على العدو المشترك »(٣) .

ومن الطبيعى أن يتطور مديح الفاشية الى الهجوم على الديمقراطية ذاتهـــا ..

« فهذا التيار الجارف الذى بدأ فى ايطاليا أخذ بالانتشار شرقا وغربا ودفع الديمقراطية التى لم تعد تصلح لحكم الشعوب » (٤) .

وهكذافان تمجيد الفاشست هجوما على اليسار المصرى قد تطور ليصبح هجوما على كل القوى الديمقراطية .

ويبدو أن مثل هذا الهجوم قد تردد من فوق منبر البرلمان المصرى الامر الذى دفع محمد حافظ رمضان الى أن يصيح من فوق نفس المنبر قائلا « نحن لا نريد أن نعيش كما تعيش بلاد أخرى مهما وصلت مدنيتها ـ تحت نظام دكتاتورى كنظام ايطاليا ونحن ديمقراطيون ولنا مجلس نيابى .

---

١ ـ ملحق مجلة الفلاح الاقتصادى . سبتمبر وأكتوبر ١٩٣٨ .

٢ ـ قسطاكى الياس عطارة ـ تاريخ تكوين الصحف المصرية ـ مطبعة التقدم ـ عام ١٩٢٨ ص ١٩٧ .

٣ ـ نقلا عن : الاهرام ٨ـ٩ـ١٩٧٤ .

٤ ـ قسطاكى عطاره ـ المرجع السابق ـ ص ٢٤٧ .

أن تذكر الدكتاتورية من فوق هذا المنبر والاستناد الى أعمالها فى البلاد الاخرى ليس من الحكمة السياسية ولا من التربية البرلمانية التى نريد أن نتعلمها ونسير عليها .

والغريب فى الامر ان الرجعية المصرية قد تسامحت الى حد السماح للفاشست الايطاليين بتكوين تنظيمات لهم وسط الجالية الايطالية فى مصر .

ولقد تابعنا فى الجزء الاول من هذه الدراسة النشاط الواسع الذى لعبه الاشتراكيون الايطاليون وسط هذه الجالية الكثيرة العدد فى مصر . وكيف أثروا ايضا فى نشاط اليسار المصرى فى مطلع القرن العشرين وكيف اسهموا فى تاسيس الحزب الاشتراكى عام ١٩٢١ .

ولقد كان الاشتراكيون الايطاليون مصدر قلق بالغ للرجعية المصرية ، فانطلقت ضدهم التنظيمات الفاشية .

وثمة اشارات فى صحف هذه الفترة إلى وجود هذه التنظيمات الفاشية من بينها خبر اوردته اللطائف المصورة يقول « . . صورة الطيارة الايطالية البحرية التى وصلت الى مصر يوم الجمعة الماضى فى طريقها الى مصوع . وقد حطت رحالها على ضفة النيل المبارك واقبل شبان الفاشست الايطاليين فى القاهرة للاحتفال بطياريها »(١) .

والحقيقة ان موسولينى قد بذل جهده للاستفادة من هذه الفرصة المتاحة أمامه فى مصر فنشط فى تاسيس المدارس الايطالية فى عدد من المدن المصرية ليلقن فيها الطلاب من ايطاليين ومصريين امجاد الفاشست ، وهكذا حلت هذه المدارس محل « الجامعة الشعبية » التى انشاتها قوى اليسار الايطالى فى الاسكندرية فى مطلع القرن العشرين لتكون منارة للفكر الاشتراكى .

وكما وجد موسولينى من يدعو له . . وجد هتلر هو الاخر دعاة نشيطين فبات ثابت يصدر ملحقا خاصا من مجلته الفلاح الاقتصادى بعنوان « المانيا اليوم . . أودلف هتلر » .

وبطبيعة الحال فقد كانت أهم أمجاد هتلر هى ضرباته ضد البلاشفة . . .

« أخذ المستشار هتلر بالعمل فى غير توان فى التعمير والتهذيب وتدعيم قوة الرايخ والدفاع عنه من أخطار البلشفية ، والبلشفيون يقيمون العثرات فى سبيل الحكومة باعمالهم الارهابية وبالدعاية المزيفة ، ثم جاءت حادثة البرلمان

---

١ ـ اللطائف المصورة ـ ٧ مارس ١٩٢٧ .

وكان الرايخستاغ الأخير فيما يدبره البلشفيون . ولم يكن الا وحد رأى هتلر حل الرايخستاغ . وفى ٢١ مارس ١٩٣٣ انعقد البرلمان الجديد وذهب هندنبرج الى كنيسة بوتسدام وهناك عند ضريح فريدريك الكبير قال قوله المشهور « استيقظت المانيا ، لتعود الى تقاليدها الشريفة القديمة »(١) .

ان نظرة على سيل الكتب التى صدرت خصيصا لتمجيد النازية والفاشية والدعوة لهما لتوضح لنا مدى عمق هذه الحملة واتساعها ... ولنورد بعض الأمثلة :

* أحمد محمد السادات – أدولف هتلر زعيم الاشتراكية الوطنية مع بيان المسألة اليهودية – عام ١٩٣٤ .
* محمد لطفى جمعة – بين الاسد الافريقى والنمر الايطالى – عام ١٩٣٥
* رياض جيد – الامبراطوزية الايطالية – عام ١٩٣٧ .
* فتحى رضوان – موسولينى – عام ١٩٣٧ .
* محمد صبيح عبد القادر – هتلر – عام ١٩٣٧ .
* ثابت ثابت – ألمانيا اليوم – عام ١٩٣٨ (٢) .

وكان لابد لهذه الموجة من الدعاية التى شجعتها الرجعية المصرية عن عمد أن تجد لها أثرا فى أوساط عديدة ...

فعباس حليم يعمل « على تشكيل فرق خاصة من الشباب يطلق عليها اسم « جيش الخلاص » تلقت تدريبا عسكريا شبيها بنظام الكشافة والحق بها الشباب من طلبة المدارس وفرض على الاعضاء تحية خاصة برفع اليد »(٣)

كذلك نمت هذه الاتجاهات فى عدد من التنظيمات الحزبية الصغيرة مثل مصر الفتاة والحزب الوطنى . بل إن حزب الوفد قد انجرف هو أيضا فى هذا التيار الخطر .. وثمة وثيقة هامة من وثائق وزارة الخارجية البريطانية*

---

١ – ملحق مجلة الفلاح الاقتصادى . العدد الثانى عشر . السنة الخامسة ص ٢١،٢٠ .

٢ – عايدة ابراهيم نصير – (المرجع السابق) .

٣ – رؤوف عباس – المرجع السابق ص ٢١٤ .

* هذه الوثيقة موجودة الان فى المتحف البريطانى ومكتوب على صفحتها الاولى :(هذه الوثيقة مملوكة لحكومة صاحب الجلالة الملك . طبعت كى تستخدم فقط فى وزارة الخارجية . ملف رقم ٣٧١ – ٢٠٩١٩ – سرى – ١٥٢١٧ – أرشيف رقم ٨ – مصر . التقرير السنوى عن عام ١٩٣٦ (ل ٣٥٢٢ – ٣٥٢٢ – ١٦) من السير مايلز لامبسون الى مستر ايدن . استلم فى ١٩ اغسطس تحت رقم ٩٠٦

تتحدث عن محاولة الوفد هذه فتقول : « فقرة ٢٠٦ : اتخذ مؤتمر الشباب الوفدى قرارا فى ٩ يناير بتأسيس منظمة للشبيبة على النهج الفاشستى وقد أيد الوفد هذا الاتجاه بعد أن وجد أن أحزاب الاقليات قد بدأت فى تجنيد عديد من الطلاب فى تنظيمات فاشستية بهدف حشدهم فى حركة مناهضة للوفد .

فقرة ٢٠٨ - تأسست لجنة من حزب الوفد لتنظيم واعداد القمصان الزرق الذين وصلتنا تقارير تفيد أن عددهم قد بلغ فى يوليو ١٠٫٠٠٠ شخص والذين تقوم نسبة ضئيلة منهم بنشاط جدى وقد تكونت لجنة من ثلاثة من الضباط السابقين للاشراف على التدريب العسكرى . واختير النجاشى باشا رئيسا للحركة .

فقرة ٢٠٩ - وفى يوليو قام القائد العام بتحذير مكرم عبيد من السماح لهذه الحركة بالنمو دون رقابة . ورد الاخير بأن تعليمات قد صدرت لقادة القمصان الزرق بأن يوجهوا نشاطها نحو المسالك القانونية فقط مثل الرياضة وأعمال الكشافة .

وأشار مكرم عبيد الى أن الحزب حريص على ألا يتولى أحد السياسيين أى منصب قيادى فى القمصان الزرق ...

لكن هذه التأكيدات لم تنجح فى أن تمحو أو حتى أن تقلل من خوف المسؤولين المصريين من تطور هذه الحركة ... » .

وهكذا فان البعبع الذى صنعته الرجعية المصرية وأطلقته ليرهب حركة اليسار قد انقلب ليخيفها هى .

والحقيقة أن الفاشست قد جعلوا من القاهرة واحدا من أهم المراكز لتجسسهم ونشر نفوذهم فى المنطقة وثمة معلومات بالغة الاهمية فى هذا الصدد توردها مجلة The Conununist International فى مقالة هامة عن « الدعاية الفاشستية فى الشرق الادنى » وقد جاء فيها « أن القاهرة هى احد المراكز الرئيسية للتجسس لحساب الفاشست الايطاليين والالمان وفى اجتماع عقده العملاء الفاشست فى القاهرة وضعت خطة عامة لنشر الدعاية الفاشستية فى الشرق الادنى ... وقد رصدت وزارة الدعاية الالمانية مبلغ ٣٫٠٠٠ جنيه استرلينى شهريا للدعاية الفاشستية بالقاهرة . ان القطن المصرى وأرض وادى النيل الخصبة تداعب جفون وأحلام كلا من هتلر وموسيلينى . ان الدعاة الفاشست يرددون للجماهير المسلمة دعايات تقول ان الكثيرين من الالمان والايطاليين قد اعتنقوا رسالة محمد ... وهم يوزعون كتاب « كفاحى » باعتباره قرآنا جديدا » .

ويمضى المقال متحدثا عن آلاف الجواسيس الالمان الذين يعيشون فى منطقة الشرق الاوسط ثم يقول « ووفقا لما أوردته الصحف التركية فان فى مصر وحدها ما يزيد على ٣٠٠ جاسوس ·· كما ان الدعاية الفاشستية تساند أيضا فكرة معاداة السامية »(١) ·

وثمة وثائق عديدة أودعتها الخارجية البريطانية بالمتحف البريطانى (لندن) تشير الى علاقات وثيقة بين المانيا النازية وكل من القصر الملكى (البندارى باشا ، على ماهر باشا وصهر الملك فاروق) وجماعة الاخوان المسلمين ، بل ان الاستيلاء على وثائق بنك (درسدنر بنك) الالمانى بعد الحرب العالمية الثانية قد كشف وجود علاقات مالية أيضا كان على ماهر وعزام باشا والاخوان المسلمون طرفا فيها ·

والحقيقة أن هذا النشاط الفاشى كان فى ذاته حافزا لنشاط ديمقراطى مضاد · وتجمع آلاف من العناصر المناهضة للفاشية وللعداء للسامية والمناصرة للديمقراطية والتحرر وتحذر من خطرها · ومن هذا الخضم الجديد نبتت تجمعات يسارية كانت ارهاصا لوجه التنظيمات الجديدة ·

كذلك فان انغماس يسار الثلاثينيات فى النضال ضد الفاشية قد دفع دوائر الاحتلال الى أن تغمض عينها عنه لبعض الوقت مستفيدة من حركته ضد الفاشية ·

بل ان الانجليز وجماعتهم « اخوان الحرية » قد اتصلوا بكوربيل والنادى الديمقراطى يطلبون « تعاونا » فى النضال ضد الفاشية واذا كان كوربيل قد رفض مثل هذا التعاون(٢) فان الذى لا شك فيه أن معركة النضال ضد الفاشية كانت فرصة لطلائع اليسار الجديد اتاحت لهم امكانية العمل العلنى الواسع النطاق والتمتع بتغاضى الحكام الى حد ما لفترة كافية من الوقت مكنتهم بالفعل من أن يجدوا الفرصة الكافية للانطلاق نحو تأسيس منظمات ماركسية ···

ومرة أخرى . فان حسابات الرجعية تنقلب رأسا على عقب ، فاذا كان « البعبع الفاشى » قد أطلق ليخيف اليسار ، فان الانغماس فى محاربته قد مكن اليسار من أن يقيم لنفسه قواعد راسخة ساعدته على أن يبدأ من جديد موجة من النشاط المنظم ·

* * *

(1) The Communist International . Vol : XVII-No6 - 1939 - PP. 476 By - D. Davos .

٢ — راجع محاضر النقاش معه باللاحق ·

- ٢٠ -

اليســـار

* موجـات من الدعـاية الاشـتراكية ·
* مسرحية سكلاتتفـالا ·
* عبد الرحمن فضل ·· يعـدل قانون الجنسية ·
* تهادنت قيادة الوفـد فتحالف المستضعفون ·

موجـات من الدعاية الاشتراكية

بقـدر ما انهمك الرجعيون فى نسج شباك الدعاية المعادية للاشتراكية ، كانت القـوى الاشتراكية والديمقراطية والتقـدمية فى مصر منهمكة هى أيضـا فى البحث عن مختلف الثغرات لنشر دعوتها للاشتراكية ٠

واذا كان سيف قانون العقوبات قـد سلط على محاولة « التنظيم والدعوة لقلب نظـام الحكم بالقوة والعنف » فان القـانون لم يكن من الممكن أن يمنع دراسة النظـرية الاشتراكية ولا حتى « تحبيذها » ٠٠ طالمـا أن هذا « التحبيذ » لا يتضمن دعوة لقلب نظـام الحكم بالقوة ٠

وهكذا أمكن للافكـار والنظريات الاشتراكية أن تجـد لنفسها ـ بشكـل أو بآخر ـ سبيلا لمجابهة هذا السيل الجارف من حملات الكراهية والعداء ٠

والحقيقــة أن قوى التقـدم كانت من المثابرة والذكاء والحنكة بحيث استطاعت أن تعرض أفكـارها فى كثير من المجـالات وأن تتحين الفرص ، بـل وأن تخلق هذه الفرص بسعيا وراء هدفهـا ٠٠

وعلى صفحات الجرائد كان الصحفيون اليساريون والتقدميون يحاولون ـ كما قلت ـ خلق الفرص لنشر آرائهم وكان من بين الوسائل التى استخدموها بنجـاح باب « بريد القراء » ٠

ولعله من حق « سلامة موسى » علينـا أن نذكر له انه كان صاحب هـذه الفكرة الذكية نما من موضوع أراد الكتـابة فيه أو ابداء الرأى حوله الا واستطاع أن يجـد لنفسه منفـذا من خلال رسالة يقـال أنهـا واردة من قارىء لا يذكر اسمه بطبيعـة الحـال ٠٠ واجـابة على هذه الرسالة المصطنعة يقـول فيهـا سلامة موسى كل ما يريد ٠٠

ولنتامل هذا المثال الذى أورده سلامة موسى فى باب أسئلة القراء تحت عنوان « الفـاظ سياسية » ٠

« الاسكندرية ـ مصر ـ ع٠م٠ ما الفرق بين هذه الألفاظ : الاشتراكية ـ الفاشية ـ البولشفية ـ الشيوعية ؟

المجلة الجديدة : الإشتراكية هى التدرج بالطرق البرلمانية القانونية الى جعل العقارات المغلة التى تحتاج لاستغلالها الى استخدام عمال كالارض والمصانع والمناجم ملكا للامة .

أما الشيوعية والبولشفية فكلتاهما مسمى لشئ واحد وهى تشبه الاشتراكية فى النتيجة ولكنها تختلف فى الوسيلة لانها تعمد الى الثورة والانتفاض كما حدث فى روسيا »(١) .

لكن الأمر لم يقتصر على مجلات سلامة موسى فقد استخدمت الصحف الأخرى نفس الاسلوب هى أيضا فثمة قارئ يسأل « ما معنى لفظ بلشفيك ؟ والجواب : إن لفظ بلشفيكى مشتقة من لفظ روسية معناها الأغلبية »(٢) .

وفى باب « بين الهلال وقرائه » ترد الرسالة التالية :

« ١ - ارونوس - البرازيل - توفيق أبو جمره .

ما هى حقيقة البولشفية - وهل البلشفيك منتشرون فى أنحاء المسكونة ؛ وهل أفادوا الشرق بشئ ؟

- الهلال : البولشفية مذهب من مذاهب الاشتراكية المتطرفة ظهرت فى الربع الاخير من القرن الغائب وانتشرت بين الروس بسرعة لان طبقة العمال الروس فى عهد الحكم القيصرى كانت تعانى حيفا كبيرا . وكان انصار هذا المذهب (ويعرفون أيضا بالشيوعيين وبأتباع ماركس.) يتحينون الفرص الملائمة لاعلان مبدئهم والاستئثار بالسلطة السياسية لتحويل روسيا كلها الى بلاد اشتراكية .. وقد أتيحت لهم هذه الفرصة فى أواخر الحرب العظمى الماضية فقلبوا نظام الحكم الروسى وأنشأوا على أنقاضه النظام البولشفى .

وهذا النظام هو الد أعداء المتملكين وأصحاب رؤوس الاموال . ولذلك ألغى نظام الملكية أو الاحتياز ونشر موضعه نظاما اشتراكيا متطرفا . وجعل جميع موارد الدولة فى يد الحكومة من مناجم وبواخر وسكك حديدية وتلغرافات ومدارس ومعاهد على أن تستغلها الحكومة لصلحة الأمة »(٣) .

لكن الامر لم يقتصر بطبيعة الحال على رسائل مصطنعة وردود مختصرة وحذرة ، فقد كانت هناك محاولات عديدة لا بأس بها لتقديم الافكار الماركسية للقارئ المصرى ..

---

١ - المجلة الجديدة - العدد العاشر - المجلد الاول - أغسطس ١٩٣٠ - ص ١٢٨٧ .

٢ - كل شئ والدنيا - ٢٣٠ - مايو ١٩٣١ .

٣ - الهلال - مارس ١٩٣١ .

وسوف نرى في فصل قادم كيف أسهمت التنظيمات والتجمعات الحزبية والعناصر الماركسية في إصدار مجلات وكتب ودراسات تدعو فيها للفكرة الماركسية فهناك مثلا مجلة « الحساب » التى كانت منبرا علنيا للحزب والتى تناولت اعدادها كما سنرى فيما بعد ـ كثيرا من الافكار الماركسية بالشرح والتحليل · وهناك أيضا مجلة « روح العصر » التى اصدرها عصام الدين ناصف وعبد الفتاح القاضى وحسنى العرابى كمنبر تتجمع حوله بعض قوى الماركسيين المصريين في وجه طغيان صدقى عام ١٩٣٠ · وهناك أيضا عصام الدين حفنى ناصف وكتبه العديدة التى قدم فيها شروحا وافية وعلمية للنظرية الماركسية وتصوراته لتطبيقها على الواقع المصرى · وهى كتابات غاية في الثورية والجرأة تعرض بسببها للسجن أكثر من مرة ولعبت دورا هاما في التكوين الثقافي المصرى بشكل عام(١) ·

كذلك هناك مفكرون أمثال « نقولا حداد » الذى واصل لفترة طويلة الكتابة شارحا افكاره الماركسية من خلال ما أسماه هو « حركات التفاف » تمكن من خلالها التحدث عن الفكر الماركسى وعن منطلقاته الفلسفية والسياسية الاجتماعية من خلال دراسات متقنة حول علم الاجتماع وحول مشكلات الزواج والأسرة والحب ، واثقا ·· كما اكد هو أكثر من مرة أن « الشعب ذكى يفهم »(٢) ·

لكن الامر لم يقتصر على المنابر الماركسية فقد تمكن الفكر الماركسى من أن يجد لنفسه سبيلا حتى على صفحات مجلات مثل المقتطف والهلال وغيرها ···

فعلى صفحات المقتطف نجد مقالا ـ بغير توقيع ـ بعنوان « ماركس ومذهبه ـ على ذكر انقضاء خمسين سنة على وفاته » ويتضمن المقال دراسة جيدة لتاريخ حياة ماركس وأفكاره ، ومكانته العالمية ··· ثم تمضى الدراسة قائلة « ولا ريب في أن كارل ماركس كان متفوقا من الناحية الذهنية بين الذين اشتركوا في تأييد الدعاية الاشتراكية والترويج لها · وكتابة رأس المال بمثابة كتاب منزل في نظر الشيوعيين والعمال الاشتراكيين بوجه عام · قال الاستاذ هارولد لاسكى فيه (في خلال خمسين سنة انقضت على وفاة ماركس اتسع نطاق نفوذه اتساعا كان من المتعذر توقعه ·· ان مذهبا لم يكن ـ من نحو جيل أو أكثر قليلا ـ الا تصورا كماليا يخالطه الجنون ، أبدعه منفى

---

١ ـ د· رفعت السعيد ـ عصام الدين حفنى ناصف ـ (المرجع السابق) ·

٢ ـ د· رفعت السعيد ـ نقولا الحداد ـ سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى ـ دار الثقافة الجديدة ـ عام ١٩٧١ ·

ثورى ، قد أصبح من المذاهب المنجبة فى العالم الحديث · فهو الآن متشح بوشاح الدولة المسلحة فى روسيا ، واسم صاحبه يوقظ فى صدور الملايين معانى الايمان والاجلال على ما لم يعهد من قبل الا فى الرسل والانبياء لا فى اصحاب المذاهب الفلسفية · ان كلماته تورد تاييدا وادحاضا فى المناقشات التى تدور حول السياسة الاجتماعية ، وفيها القول الفصل الذى كان يعلق باقوال التوراة والانجيل عند المدرسيين فى القرون الوسطى) ·

(ولا ريب فى انه ليس ثمة اشتراكية يصح أن يعنى بها رجال الدول الاشتراكية ماركس) ·· ثم بين لاسكى فى فقرة تالية (ان فلسفة ماركس كانت اولا عقيدة تدين بها شرذمة قليلة من الجمعيات الثورية التى تعمل فى الخفاء فأصبحت ايمانا يواجه الناس فى سبيله السجن والموت كما فعلت الديانات الكبرى فى العصور الماضية) ·

ثم يمضى كاتب المقال بعد ذلك قائلا « والى القارئ ملخصا عن فلسفة ماركس الاقتصادية الاجتماعية » ··

ويمضى الكاتب فى عرض أفكار ماركس عن القيمة وفائض القيمة ، ويشرح نظرية المادية التاريخية ثم يستعرض المبادئ الاساسية الواردة فى البيان الشيوعى · وبعد ذلك يشرح فكرة ماركس عن دولة دكتاتورية البروليتاريا كمرحلة ضرورية تسبق المجتمع اللا طبقى ، ثم تلخيص لكتاب « القيمة والثمن والربح »(١) ·

واذا كان هذا الكاتب قد اغفل ذكر اسمه فثمة كتاب آخرون وجدوا الشجاعة الكافية لاعلان أسمائهم ·· فعلى صفحات المقتطف أيضا وعلى مدى خمسة أعداد متتالية ينشر الدكتور عبد الرحمن شهبندر دراسة قيمة بعنوان « معرض المذاهب السياسية من جمهورية أفلاطون الى شيوعية روسيا »(٢) ·

ولقد كانت الدراسة التى قدمها الدكتور شهبندر دراسة قيمة بالفعل ، وهو فى دراسته هذه يهاجم الاسس الفكرية للنظام الرأسمالى الذى يقوم على أساس « ان المصلحة الفردية فوق سائر المصالح » ويؤكد ضرورة أن تتدخل الدولة فى مختلف الشئون الاقتصادية « حرصا على المصلحة العامة ومنعا من سوء الاستعمال » ويسوق مختلف الأدلة على وجوب تدخل الدولة قائلا ··· « ولعل أثمن تحفة أدبية خلفتها لنا نصوص المشترعين فى وجوب

---

١ ــ المقتطف ــ الجزء الخامس ــ المجلد الثانى والثمانين ــ مايو ١٩٣٣ ــ ص ٥١٧ ·

٢ ــ المقتطف ــ أعداد يناير ــ فبراير ــ مارس ــ ابريل ــ مايو ١٩٣٣ ·

التدخل ما جاء في حديث عبد الله بن المبارك « ان قوما ركبوا سفينة في البحر فاتتسموا .. فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم بفأس فقالوا ما تصنع ؟ فقال هو مكاني اصنع به ما شئت ، فان اخذوا على يديه نجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا) » .

ويمضي الدكتور شهبندر قائلا « ولسنا بحاجة الى القول ان هنالك ميلا مضطردا في الحكومات الحاضرة الى الاضطلاع بالوظائف المتزايدة . واستجماع القوى المشتتة مما حمل الكثيرين من أهل البحث على القول بأن هذا الميل سيشتد الى أن تقبض الدولة على الاملاك والصنائع والمرافق والاعمال فتتألف حينئذ الدولة الاشتراكية باختيار الامة ونزولا على ارادة الرأي العام فيها » (١) .

ويواصل الدكتور شهبندر تقديم دراسته حتى يصل بها الى النظرية الماركسية فيقول عن ماركس انه « رسول الاشتراكية وانه لم يعتد بالفكرة اعتداد هيجل ولا حسبها أصل الاشياء بل قال ان العامل المؤثر في النشوء الاجتماعي هو القوى المادية المنتجة التي تتجهز بها الجمعية البشرية — يعني أن ينابيع الثروة التي يستخدمها الانسان من اراض وآلات وأجهزة ... كل ذلك يكسب الناس شكل الحياة الاجتماعية التي يتمتعون بها فتكون الافكار المنتشرة بينهم نتيجة ما هم عليه من الظرائق الانتاجية التي توصلوا اليها » .

ثم يحاول ان يقدم تلخيصا لفكره ماركس هذه قائلا « والخلاصة ان ماركس يقول ان وسائل الانتاج في المجتمع وما يبنى عليها من العلاقات بين الناس تؤلف النظام الاقتصادي في الهيئة الاجتماعية وهذا النظام هو العامل الاساسي في تكوين النشوء العقلي في الشعوب » .

ثم يتحدث عن « المادية التاريخية » قائلا « ويدعى مذهب ماركس في الفلسفة (التعليل المادي للتاريخ) وقد ابان فيه الاطوار التي مر عليها المجتمع منذ أن استولى على شؤونه أصحاب الاراضي الواسعة الى أن هبت الثورة الصناعية والتجارية .. لكن عمل الرأسمالية الصناعية اتاح للعمال من القوة والفرصة ما ينظمون به انفسهم في وجه اسيادهم الذين استخدموهم .

وهكذا فان الرأسمالية تحفر قبرها بيديها .. وثورة العمال مسألة حتمية لا بد منها . « والخلاصة فان اضطرار الرأسمالية الى انفاق مجهودها للحصول على أعظم الارباح أدى الى نهضة العمال وانتشار مذهبهم الاشتراكي » .

١ — المقتطف ابريل ١٩٣٣ .

وبما ينطوى عليه من تهـتـيد يقض مضاجع الرأسماليين ودعاويهـم الطويلة العريضة • وقـد تنبأ ماركس عن العمـال بقوله : « ان هذه الطبقة الخاضعة التى لا يحق لأحـد أن يمنعهـا من تنظيم نفسها ، أو يحول دون ضيحاتها العـالية بالاحتجـاج سيتيل عروش الرأسماليين ، وتقضى على رأس المـال كنظـام اقتصادى تعيش تحت لوائه الشعوب ٠٠ »

ثم هو يتحدث عن صورة المجتمع الذى ناضل ماركس والماركسيون من أجل بنائه « ٠٠٠ ومتى تألف المجتمع الخالى من الطبقات ، يزول الاستثمار وتزول معه حكومة الطبقة لتحل محلها الادارة المشتركة العـامة التى تدير ينابيع الثروة فى الشعب لمصلحة الجميع وعلى العمال ليس فقط أن يقبضوا على زمام الحكومة الحاضرة ويستخدموها لغاياتهم ، بل أن يمحوها محوا هى والطبقة الاقتصادية المسؤولة عنهـا ويحلوا محلهـا نظـاما يؤسسونه من جديد »

ويتحدث الدكتور شهبندر أيضا فى دراسته هذه عن « البيان الشيوعى » فيقـول : « ويعـد البيـان الشيوعى الذى نشره ماركس بالألمانية عام ١٨٤٨ – وهو فى خمس وعشرين صفحة – أول نص عالج الاشتراكية بطريقة علميـة واضحة وأخرجهـا من صف الفلسفة الخيـالية والاحلام الذهبية ، وقـد ختمه بالوعيـد المشهور (فلترتعش فرائص الطبقـات الحاكمة عند شبوب الثـورة الشيوعية أما الصعاليك (يقصـد البروليتاريا) فليس لديهم ما يخسرون سوى السلاسل والأغلال ، ولكن أمامهم دنيـا يربحونها ، اتحدوا أيها العمال فى الآفاق »(١)

أما « الهلال » فتنشر مقالا بعنوان « شركات الاحتكار ـ تطور الصناعة من المنافسة الى التعـاون » تقـول فيه « ٠٠٠ فى القرن المـاضى وضع كارل ماركس زعيم الاشتراكية كتابا عن « رأس المـال » ارتأى فيه رأيا تحققه الايام الان من بعض وجوهه ٠٠٠

وهذا الرأى يتلخص فى أن المصنع الكبير يأكل المصنع الصغير . وكل هذا كلام واضح يسلم به كل انسان ، ولكن كارل ماركس ارتقى من ذلك الى أن هذا التطور الاولى فى العمل من يد العامل الى الآلة الصغيرة ثم أخيرا الى الآلة الكبيرة سوف يحدث تطورا آخر فى نظام الصناعة ـ ذلك أن المصانع الكبيرة ستحتكر الصناعة وتمنع منافسة المصانع الصغيرة بل تمحوها وعندئذ تترى الامة أن الثروة قد تجمعت فى أيدى شركات تعد على أصابع اليد فتقـوم

١ ــ المقتطف ــ مايو ١٩٣٣ ٠

شيوعية واحدة وتستولي على هذه المصانع وتجعلها ملكا للأمة بدلا من أن تكون ملكا للافراد . وهذه هي الاشتراكية .

والاشتراكية لم تتحقق بعد . الا اذا تسامحنا وقلنا انها تحققت الى حد ما في روسيا ولكن التطور الذي رآه كارل ماركس لا يزال يسير بقدم ثابتة في الطريق الذي رسمه »(١) .

ولم يكن الحديث عن النظرية والافكار الفلسفية وحدها ، فلقد اهتم المثقف المصري اهتماما بالغا « بالأدب الروسي » وحفلت صحف ومجلات هذه الفترة بدراسات وكتابات عديدة عن الادب الروسي الذي وصفه أحد المثقفين يوما على صفحات الهلال بانه « خير الآداب التي انتجها العقل البشري »(٢) .

والحقيقة ان اهتمامات المثقفين المصريين بدراسة الادب الروسي وبالادباء الروس ومدى تاثر الفكر المصري بهذه الدراسة مسالة تستحق التامل والبحث .

والذي لا شك فيه أن كثيرين من المثقفين الاشتراكيين المصريين قد وصلوا الى الاشتراكية عبر ميدان الادب ، والادب الروسي على وجه التحديد .

- يقول د . عبد الفتاح القاضي « وهكذا اتجهت الى الادب وعن طريق القصص الاشتراكية بدأت اقتنع بالاشتراكية ... وبعد ذلك بدأت الاطلاع على النظرية الاشتراكية »(٣) .

ومن الأدباء الروس الذين تركوا آثارا عامة في المفكرين المصريين وفي الثقافة المصرية على وجه العموم « تولستوي » ومن الحقائق المتداولة في التاريخ المصري الحديث تاثر عدد من كبار المفكرين المصريين امثال لطفي السيد به ومحاولتهم تقليده في العودة الى « الريف » كذلك من الغريب أن يقوم أحمد شوقي برثاء تولستوي عندما يموت . وهناك ايضا مراسلات الشيخ محمد عبده والحوار المثمر الذي قام بينهما (٤) .

وقد قدم د . عبد الفتاح القاضي دراسة غاية في العمق عن تولستوي وعن منهجه الاجتماعي وموقفه الفكري ، وعرضا لاهم كتاباته وخاصة رواية « النور يضيء في الظلام »(٥)

---

١ - الهلال - يناير ١٩٢٨ - ص ٢٩٦ .

٢ - الهلال - مقال بقلم محمد علي ثروت - ديسمبر ١٩٢٨ .

٣ - د . رفعت السعيد - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - المرجع السابق - ص ٢٧٣ - (محضر نقاش) .

٤ - الاذاعة والتلفزيون - مقال للدكتور عثمان امين : ١ - ٧ - ١٩٧١ .

٥ - نشرت هذه الدراسة في خمس حلقات في كوكب الشرق ابتداء من ٢٥ - ٣ - ١٩٢٦ .

كل هذا في الوقت الذى كان المثقف المصرى يعتبر فيه أن تولستوى قريب من الفكر البلشفى ·· وثمة دراسة نشرتها « السياسة الاسبوعية » بعنوان « تولستوى والثورة البلشفية » جاء فيهـا « وهناك ظاهرتان لا يمكننـا أن لا نعتد بهما ، الاولى ان البلشفيين أنفسهم يعدون تولستوى قديسهم العظيم ، كما عد رجـال الثـورة الفرنسية روسو ·· والحكومة السوفييتية لا تألو جهدا فى اظهار اجلالها العظيم لذكرى تولستوى المقدسة اذا كانت الكلمات مثل (اجلال والمقدسة) توجد فى القاموس البلشفى · وقد فتح ولاة الامور متحفين لتولستوى فى موسكو ···

والظاهرة الثانية هى ان المحافظين الروس ينظرون الى التولستوية والى البولشفية بمنظار واحد » (١) ·

ولم يكن تولستوى وحده محط اهتمام المثقفين المصريين بل كانت هناك أيضا العديد من الكتابات والدراسات عن جوركى الذى سمى « اديب الصعاليك » وثمة دراسة هامة نشرتها الهـلال تحت عنوان « ثلاثة من الادباء الروس · دستويفسكى ، وتولستوى ، وجوركى » (٢) ·

ولم يقتصر الامر على تقـديم الدراسات المنهجية التى تتنـاول بالنقـد والتحليل كتابات الادباء الاشتراكيين الروس وانما ذخرت هذه الفترة بترجمات لفيض غامر من الاعمال الادبية لهؤلاء الكتاب ·· ولنأخذ نموذجا واحدا هو مجلة السياسة الاسبوعية ، وهى — كما هو معروف — مجلة حزب الاحرار الدستوريين ··· فقـد نشرت فى فترة وجيزة مجموعة كبيرة من الاعمال الادبية للكتـاب الاشتراكيين والتقـدميين الروس من بينهـا ··

« الرهـان — تشيكوف — ٢٠ اغسطس ١٩٢٧ ·
القدر — ايفان تورجنيف — ١٠ سبتمبر ١٩٢٧ ·
الطبيب — ايفان تورجنيف — ٢٧ أغسطس ١٩٢٧ ·
خادم الكنيسة — ايفان تورجنيف — ٢٤ سبتمبر ١٩٢٧ (٤) ·
كتى — ايفـان تورجنيف — ١ أكتوبر ١٩٢٧ (٥) ·
المـال — مكسيم جوركى — ١٦ يونيو ١٩٢٨ ·
الشحاذ — ايفان تورجنيف — ٣٠ يونيو ١٩٢٨ » ·

---

١ — السياسة عددى ٣ ، ١٢ — ٢ — ١٩٢٧ مقـال محمد مصطفى أبو رحاب
٢ — المجلة الجديدة — يوليو ١٩٣٠ ··
٣ — الهلال — أغسطس ١٩٢٨ ·
٤ — ترجم هذه القصص جميعا محمد كامل البهنساوى ·
٥ — ترجمها ابراهيم زكى وكيل النائب العـام ··

على ان الامر لم يقتصر على النظر الى الجانب الادبى والروائى من التجربة السوفيتية . فقد اهتمت الصحف المصرية إهتماما كبيرا بتتبع تجربة البناء التى يقوم بها البلاشفة ، وكما تتالت مقالات النقد والهجوم ، تتبعت فى مقابلها - وربما بصوت أعلى فى بعض الاحيان - مقالات التاييد والثناء .

ولقد كان تقديم التجربة الاشتراكية الاولى فى صورة مقبولة - يمثل فى ذاته دعاية كبيرة الاثر للفكرة الاشتراكية التى كان الرجعيون يقطعون باستحالة وضعها موضع التطبيق الصحيح محاولين أن ينسجوا حول التجربة السوفييتية أكاذيب توحى بفشل الاشتراكية عندما توضع موضع التطبيق .

ولقد كان أكثر ما اهتم به اليسار المصرى فى ذلك الحين هو ابراز الانجازات الاجتماعية والاقتصادية التى استطاعت الثورة البلشفية أن تحققها .

ولقد كان القارئ المصرى يتابع بأنفاس مبهورة هذه الانجازات الرائعة ويقارن ما يعيش فيه من تخلف وتدهور بهذا التقدم الرائع ثم يشعر بالفارق بين النموذج الرأسمالى والنموذج الاشتراكى .

والحقيقة أن متابعة الانجازات الاقتصادية والاجتماعية للبلاشفة قد شغلت معظم الصحف المصرية وليس فقط الصحافة اليسارية . فالسياسة (جريدة الاحرار الدستوريين) تنشر مقالا تحت عنوان « روسيا والعالم كله » تقول فيه : فى الخامس من أكتوبر وفى مدينة لينينجراد عقدت اللجنة التنفيذية المركزية اجتماعها الثانى بمناسبة ما سيجرى قريبا من الاحتفال بالذكرى العاشرة للثورة البلشفية وقد بلغ عدد الحاضرين ٦٣٣ مندوبا من اتحاد روسيا .

وقررت اللجنة فيما قررت لمناسبة هذه الذكرى انقاص ساعات العمل الى سبع ساعات بدل ثمانية فى اليوم دون تخفيض الاجور التى تعطى الان وزيادة المخصص فى ميزانية الدولة لبناء منازل العمال بمبلغ خمسين مليون روبل زيادة على اعتمادها الحالى وتخفيض الضرائب التى تجبى من الفلاحين والعمال وتخصيص معاشات لذوى الحاجة من الفلاحين الشيوخ »(١)

وفى الذكرى العاشرة للثورة البلشفية تكتب « السياسة » تحت عنوان « البلشفية فى عامها العاشر » : « إن مبادئ البلشفية وغاياتها تتلخص فى عبارة واحدة هى الثورة العالمية وسيما الكتلة العاملة ، فهى لا تقف عند أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات ولا تتقيد بحدود جنسية أو قومية أو تحجب

---

١ - السياسة - ٢٢ اكتوبر ١٩٢٧

حبيابا للفروق والأقدار الاجتماعية بل هى تهدف الى تحطيم النظم « الرأسمالية » الحاضرة وأن تمحى نظم الديمقراطية والبرجوازية وأن تكون كلمة الكتلة العاملة هى العليا »(١) .

وفى المناسبة ذاتها تنشر « الهلال » ما أسمته « حقائق ومعلومات منزهة عن الدعاية والاغراض » فى مقال بعنوان « بعد عشر سنوات : ماذا تم فى روسيا الشيوعية » جاء فيه « كان الانحلال العام فى الامة الروسية (قبل الثورة) أكبر مما قدر له .. وكان الشيوعيون هم القوة الوحيدة فى وسط أمة تموج بالفوضى كالبحر الهائج وأعلنت الشيوعية فى روسيا ، وكان أول ما ضمن النصر للشيوعيين انهم استصفوا الاملاك وسلموها للفلاحين والجنود الذين كان اغلبهم من الفلاحين . وبهذا العمل انضمت كثرة الامة الي الشيوعية . ثم استولوا على المصانع وأسسوا مجالس العمال لادارة البلاد وعمموا التعليم وأسسوا الدولية الثالثة ..

... وسار لينين فى نظام الشيوعية دائبا فجعل الحكومة تمتلك الارض والمنازل والمصانع ... أما الارض فقد امتلكها الفلاحون وعم روسيا كلها الفرح العظيم لهذا الانقلاب » .

ثم يمضى كاتب المقال متسائلا ...

« والآن ما هى الحال فى روسيا ؟ الفلاح يملك أرضه كما يملك الفلاح المصرى أرضه فى مصر . ولكن ليس فى روسيا رجل يملك أرضه ولا يشتغل فيها . فالارض يملكها من يشتغل فيها فقط . أما المالك القديم الذى كان يؤجر أرضه للفلاح أو يزرع ضيعته وهو بعيد عنها مرتاح البال فى احدى المدن ينعم بالدخل الضخم كل سنة فقد زال من روسيا .

ويحكم أقاليم روسيا الآن (السوفييت) أى مجلس العمال . والانتخاب عام يستوى فيه الرجل والمرأة لهذه المجالس . ومن اتحاد هذه المجالس تتألف دولة روسيا .

... ويشتغل العامل فى روسيا الآن ٨ ساعات فقط . أما الموظف فعمله لا يزيد عن ٦ ساعات وللعامل ١٥ يوما تمنح له أجازة بكل سنة ويتقاضى فيها أجرته . ويمتاز العامل أيضا بأنه يعالج مجانا ويرسل الي المصحات مجانا .

والمرأة تستوى تماما بالرجل فى روسيا فهى مثله فى الحقوق والواجبات

---

٢ ـ السياسة ـ ٥ نوفمبر ١٩٢٧ .

المدنية ... وفي وقت الحمل تأخذ أجازة قبل الولادة بنحو ٧ اسابيع وبعد الولادة أيضا وتعطى اعانة مالية »(١) ..

ومن حقنا أن نتساءل ما هو تأثير مثل هذه المعلومات على المواطن المصرى ؟

الأمر الذى لا شك فيه أنها قد تركت أثرا هاما .. ولا بد أن مثل هذه الحقائق قد لعبت دورا هاما في نسف كل الدعايات المغرضة التى حيكت ضد الاشتراكية وضد تجربتها الاولى على أيدى البلاشفة .

وفي العام التالى .. أى في الذكرى الحادية عشرة للثورة تقدم « السياسة » « صورة البلشفية في عامها الحادى عشر » فتقول : « مضت احدى عشرة عاما كاملة والبلشفية تقبض على مصائر روسيا والشعب الروسى ونظمها ومبادئها تصوغ من الشعب الروسى مجتمعا جديدا يبقى على كر العصور أعذب صورة يقدمها الينا تطور الجماعات البشرية »(٢) .

وفي نفس المناسبة تنشر « السياسة » ترجمة لحديث صحفى أدلى به برناردشو جاء فيه :

« س : لقد سمعت أنك ممن يعتقدون أن البلشفية ستعيش في روسيا ، فهل لك أن تحدثنى بتعليل هذا ؟

ج : التعليل بسيط ، وهو أن البلاشفة يعلمون أبناء روسيا الأمانة العامة بعكس الدول الرأسمالية كافة فانها تعلم ابناءها ان غاية الغايات هى أن يكونوا اغنياء عاطلين »(٣) .

ويبدو أن اللجوء الى الآراء الايجابية التى تعبر عنها شخصيات ذات شهرة عالمية واسعة كان أسلوبا ناجحا في الدعاية للاشتراكية ...

وعلى لسان برناردشو أيضا .. تنشر « السياسة » حديثا بعنوان « في البلشفية » جاء فيه : « كنت دائما أشارك السوفييت شعورهم . وانى اقول لزعماء العمال عندنا أن البلشفية ما هى الا الدفاع عن طبقات العمال » .

ويمضى برناردشو قائلا « انى اكرر اننى لم أخف يوما شعورى نحو السوفييت وفي سنة ١٩١٧ أو ما يقرب منها لنا كان لينين يعد عتيا

---

١ ـ الهلال ـ يناير ١٩٢٨ ـ ص ٣٢٩ .
٢ ـ السياسة ـ ٢٢ أكتوبر ١٩٢٧ .
٣ ـ السياسة ـ المرجع السابق .

اكبر عدو لحدود لانجلترا قدمت اليه نسخة من آخر رواية الفتها فى ذلك العهد منقوشا عليها عبارة اخلاص قلبى • وأرسلتها اليه بواسطة السفارة الروسية •

س : لقد سمعت أن قوة السوفييت فى تدهور ، فخطاباتهم هذه ما هى الا الكبرياء التى تسبق السقوط •

برناردشو : وعلى كل • حتى اذا ما سقطت حكومة السوفييت فان الفكرة سوف تعيش •• ان الاراء لها طريقها الى الخلود • وليس بامكان اى فرد أن يقتلع تلك العقيدة من نفوس السوفييت • كما أنه ليس بامكان أى سياسى أن يمحو من ذاكرة العالم عقيدة حكم الامم نفسها بنفسها •

وكيفما يحكم القدر فى مصير الروسيين فان نفوذهم على افكارنا لن يكون بأقل تاثيرا من التغيير الذى أحدثته الثورة الفرنسية ، او عندما اعلنت المستعمرات الأمريكية استقلالها »(١) •

وثمة حديث آخر من العلامة اينشتين ، تنشره « المجلة الجديدة » جاء فيه :

« س : أليست آسيا هى أم الأديان جميعا ؟

ج : يبدو أنها الكنز العظيم للافكار ، بل لقد عرفت ان الشيوعية نفسها قد جربت فى آسيا قبل آلاف السنين •

س : هل تظن أن العالم الغربى سيمر فى طور شيوعى ؟

ج : اذا حدث هذا فانى لن أدهش ••

س : وكيف تكون حياتك فى مثل هذا النظام ؟

ج : تكون لا بأس بها •

س : هل توافق لينين على أن الحرية الاقتصادية من أوهام الاغنياء والطبقات المتوسطة ؟

ج : ربما كان لينين صادقا ، فالحرية الكاملة لا تتفق والحضارة • فاذا كدت لا أحب أن أحدا يدوسنى فانى أضطر الى الخضوع لانظمة تحد من حريتى ، وكلما زاد رقى الامة زادت تضحيات الفرد وهذه التضحيات هى ثمن الحضارة »(٢) •

---

١ – السياسة – ١١ أغسطس ١٩٢٨ ، حديث مع برناردشو بقلم سلفتر فيريك ترجمة أحمد محمود بيومى •

٢ – المجلة الجديدة – السنة الاولى العدد السادس • أبريل ١٩٣٠ ترجمة لحديث أجراه فيريك ص ٧٤٦ •

ولنا أن نتصور الاثر البالغ الذى تركته آراء كهذه عندما تصل إلى المثقف المصرى منسوبة إلى اثنين من أشهر الشخصيات العالمية « برنارد شو وأينشتين » .

ولقد كان اللجوء إلى هذا الاسلوب الذى تكرر كثيرا والذى لم يكن ما أوردناه عنه سوى نماذج قليلة تعبيرا عن ذكاء وفطنة تلك العناصر اليسارية والتقدمية التى كانت تتحين الفرصة لالتقاط أى خيط يمكن أن يصل بدعايتها إلى قلوب الجماهير ، وإلى ـ وهذا هو المهم ـ امكانية النشر .

لكننى أعتقد أن أهم ما حققته التجربة السوفييتية من آثار فى نفوس المصريين كان نابعا من نجاحها الحاسم فى بناء الاقتصاد السوفييتى ، ولقد رأينا كيف اهتمت الصحف والمجلات المصرية بالمنجزات السوفييتية المختلفة وابرزتها فى كثير من كتاباتها ... لكن أهم ما شد انتباه المثقف المصرى كانت برامج السنوات الخمس

وهى ما أسمى فى الصحف المصرية « التجربة الشيوعية الاقتصادية » .

وفى حديث عن برنامج السنوات الخمس والاهداف التى يزمع تحقيقها تقول « الهلال » : « ... ويشرف على تنفيذ هذا البرنامج العظيم لجنة تسمى « جوسبلان » وهى أعظم لجنة اقتصادية فى الدولة ولها سلطة لا حدود لها فى الشؤون المالية والاقتصادية ... وقد انشئت هذه اللجنة منذ سبع سنوات واليها يرجع برنامج السنوات الخمس الذى نحن بصدده .

واليك بعض ما قدرته هذه اللجنة ...

١ ـ أن يزيد مجموع القوى الكهربائية بنسبة ٧٧٫٦ بالمئة .
٢ ـ أن يزيد مجموع انتاج الفحم والزيت بنسبة ٨٢٫٣ بالمئة .
٣ ـ أن يزيد انتاج البلاد الزراعى إلى أكثر من ضعفيه .
٤ ـ أن يزيد انتاج معامل النسيج والالات على اختلاف أنواعها بحيث يزيد فى آخر السنوات الخمس على حاجة البلاد ويكون فى الامكان تصديره .
٥ ـ أن تقام فى البلاد المعامل الكيماوية التى تفى بالحاجة .
٦ ـ أن ينفذ البرنامج كله على أحدث الاساليب الاشتراكية بحيث تعتبر جميع المعامل والمصانع والموارد والمنتجات ملكا للدولة »(١) .

---

١ ـ الهلال ـ مارس ١٩٣١ ـ ص ٧١٠ .

ولقد كان اشتراكيو الثلاثينيات من النشاط والجرأة بحيث اننا نلاحظ مثلا أن عددا واحدا من مجلة « العصور » كان يتضمن الموضوعات التالية : « حياة لينين » وفيه تاريخ جيد لنضال لينين وتلخيص لكثير من كتاباته ثم حديث عن زوجته « المناضلة » كروبسكايا وعن كثير من المحيطين به .

ومقال آخر بعنوان «كارل ماركس واهم نظرياته الفلسفية والاقتصادية» ويتضمن مقدمة عن الاشتراكيات الخيالية ثم دراسة لجوهر أفكار الاشتراكية العلمية وتاريخ حياة كارل ماركس وحديث عن الفلسفة المادية للتاريخ وعن « التفسير المادى للتاريخ » ونضال الطبقات .. ثم بعد ذلك عرض جيد لنظريات ماركس الاقتصادية حول القيمة والقيمة الاكثر (فائض القيمة) والتركز والتكدس (التمركز) ونظرية الأزمات فى الاقتصاد الرأسمالى مع شرح مبسط لكل من هذه النظريات .

ومقال ثالث عن « تاريخ الحرب الأهلية فى روسيا » ـ وفيه حديث عن تاريخ الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى وانقسامه الى بلشفيك ومنشفيك وأسباب الإنقسام ونظرية لينين حول الحزب ودور الحزب بقيادة لينين فى ثورة ١٩٠٥ ثم فى ثورة ١٩١٧ .

ثم بعد ذلك كله النص الكامل لبرنامج الحزب العمال والفلاحين المصرى(١) .

كل هذه الدراسات فى عدد واحد من مجلة « العصور » ، ولعل فى هذا المثال الكفاية ليوضح لنا طبيعة الدعاية الاشتراكية واكتساحها فى بعض المواقع ، وشجاعة القائمين بها .

وهكذا نجحت الدعاية الاشتراكية رغم محاصرتها ورغم كل اجراءات القمع ورغم موجة الدعاية المضادة الجارفة ـ أن تجد لنفسها سبيلا لتدخل بالحقيقة الى قلوب وعقول المصريين .

ولكننا نخطئ لو تصورنا أن هذه الدعاية الاشتراكية قد اكتفت بالحديث عن الادب الروسى أو التجربة السوفييتية .. فلقد اجهد الكثير من مثقفى مصر فى هذه الفترة انفسهم سعيا وراء تفهم النظرية الاشتراكية وبحثا عن تطبيقات مصرية وتصورات مصرية لها .

وفى هذا الصدد فان الكتابات والاجتهادات كثيرة ، أكثر من أن تحصر ،

---

(١) العصور ـ يونيو ١٩٣٠ .

لكننا سنكتفي ببعض هذه الكتابات كنماذج للاجتهاد المصرى فى مجال الفكر الاشتراكى ...

ولنبدأ بمقال بعنوان « احتضار معتقدات وتولد معتقدات ... » كاتبه هو نجيب محفوظ .. « فلما أخذت الاعتقادات القديمة فى الفناء وأخذ العقل يسلط نوره عليها فيظهر من عيوبها ويكشف عن سوءاتها التى عاشت ورسخت فى النفوس أجيالا كحقائق لا مراء فيها ولا جدال ، ولما حل الشك محل الايمان تأثر الادباء بذلك التطور الذين هم من أكبر دعاته ومؤيديه بما يؤلفون من كتب تحمل على القديم ، تحاول أن تأتى عليه وتخلصنا من استعباده ورقه ..

وكان من نتيجة ذلك ان أصبحت بين أيدينا مجموعة وافية من الكتب والقصص تبعث قراءتها على الشك فى الماضى بآرائه ومعتقداته أو تدعو لمذهب جديد كالاشتراكية والعالمية وغيرهما ...

والذى يجدر بنا أن نلاحظه هو أن جميع الاديان الجديدة ترمى الى اتحاد العالم وازالة الفروق الوطنية ، وهى تتفق فى ذلك مع الاديان القديمة مثل المسيحية والاسلام ، ولكنها تزيد على ذلك فيدعو بعضها الى ازالة فوارق الطبقات المادية ..

ولو اننا أردنا ان نتنبأ بالمذهب الذى سوف يكون له الفوز من بين المذاهب لقلنا - أو لأحببنا أن نقول - بأنه مذهب الاشتراكية » .

ويورد نجيب محفوظ سلسلة من الاسباب يستند اليها فى تنبؤه بانتصار الاشتراكية ثم يقول « وهناك أسباب كثيرة اخرى تجعلنا نكاد نوقن بأن المستقبل للاشتراكية » .

كذلك فان الاشتراكية - عند نجيب محفوظ - ليست نهاية المطاف بل هى مقدمة لمجتمع أفضل « فانه وان كانت الاشتراكية لن توصلنا لحالة من النعيم لا مطلب خلفها الا أنها تستطيع أن تنتشلنا من حالتنا هذه الى خير منها ، وليست الاشتراكية نهاية ما يمكن أن يتطور اليه النظام الاجتماعى وعليه فالتطلع للاحسن سيدفعنا دائما للتنقيب عما فيه سعادتنا ورفاهيتنا » .

واذا كان البعض يوجه انتقادات الى التجربة السوفييتية - واذا كانت هذه التجربة قد تعرضت فى البداية لبعض المصاعب فان نجيب محفوظ يعلق على ذلك قائلا « وجملة ما اريد أن اقوله عن هذا الامر انه لو خاب املنا فى الاشتراكية بعض الخيبة فليس معنى ذلك اننا نرغب فى الرجوع الى

حالتنا السيئة – الحالة الحاضرة – انما يجعلنا ذلك نزيد ايماننا بالتطور الذى هو الخالق الوحيد للاشتراكية وغيرها من الآراء والمعتقدات »(١) .

وثمة كتاب وأدباء كثيرون أيدوا الاشتراكية أو تنبأوا بانتصارها على أرض مصر ... وعندما يحاول ابراهيم عبد القادر المازنى أن يتصور «مصر بعد مائة عام » فانه يؤكد « ان الاشتراكية لا مفر منها – بطبيعة الحال – ولو بقوة العدوى من الغرب »(٢) .

أما اسماعيل مظهر فانه يركز هجومه على النظام الراسمالى فى مقال بعنوان « الأزمة الاقتصادية ، بواعثها واحتمالاتها الأخيرة » ويركز هجومه فى سلسلة من الأحكام القاطعة الحاسمة « سوف ينتهى النظام الرأسمالى من حيث بدأ . بدأ بالانتاج الصناعى وسيحطمه الانتاج الصناعى . بدأ باختراع الآلات وسوف تقضى عليه الآلات . وبدأ باستجماع رؤوس الأموال ، وسوف تقتله رؤوس الأموال »(٣) .

لكن الهجوم لم يكن هجوما مجردا على الرأسمالية بشكل عام وانما تناول أهم قضايا المجتمع المصرى .. فى الزراعة والصناعة على السواء ..

« من يملك مصر » هذا هو السؤال الذى قذفت به « المجلة الجديدة » فى وجه النظام القائم ... واجابت على تساؤلها هذا قائلة « المصريون لا يملكون مصر وانما يملكها من يمتلك الارض الزراعية فيها وهم ١٢٢ر٠٩٧ر٢ مالكا . وسائر الامة الذى يبلغ ١٣ مليونا لا يملك شيئا من هذه الأرض . وأغرب من هذا أن يملك نصف الثروة الزراعية فى مصر أقل من ٠٠٠ر١٣ نفس »(٤) .

ويضيف كاتب آخر هو عبد الحميد عبد الغنى الى هذه الحقائق حقيقة أخرى أشد مرارة « فأكثر من ١٥٪ من كبار الملاك هم من الاجانب . وأكثرهم سلب أملاكه بطريق الربا الفاحش » .

لكن هذا الكاتب لا يكتفى بانتقاد الشكل القائم لتوزيع الملكية الزراعية وانما يتحدث عن « نظام الملكية المشاعة .. الذى حققته روسيا الشيوعية فى جزء كبير من أرضها » .

ويمضى الكاتب قائلا « ومن الناحية التاريخية نجد أن الملكية المشاعة

---

١ – المجلة الجديدة – اكتوبر ١٩٣٠ – ص ١٤٦٨ .
٢ – الهلال – فبراير ١٩٢٩ .
٣ – المجلة الجديدة – سبتمبر ١٩٣٠ .
٤ – المجلة الجديدة – سبتمبر ١٩٣٠ .

سبقت الملكية الشخصية فالارض فى العصور التاريخية الاولى كانت ملكا مشاعا لجميع الناس يستثمرها من يشاء » .

لكنه اذا كان من المستحيل أن يطبق فى بلد كمصر نظام الملكية الزراعية المشاعة فان الكاتب يقدم تصورا آخر لفكرة الملكية فيقول « ... اذن لو وجدت قرية مساحتها ٥٠٠ فدان موزعة على خمسين شخصا تختلف ملكية الفرد منهم بين ٥ ، ٢٠ فدانا لوجد بذلك نظام الملكية الصغيرة . وفى الوقت ذاته يستطيع هؤلاء الملاك الصغار أن يكونوا مزرعة واحدة تتبع نظام الانتاج الكبير ، وذلك بتكوين جمعية تعاونية ذات ٥٠٠ سهم كل سهم ينوب عن فدان فتحل هذه الجمعية محل المالك الكبير » .

وفوق ذلك يعرض الكاتب لاراء هنرى جورج الواردة فى كتابه الشهير « الفقر والتقدم » فيقول « يرى هنرى جورج انه كلما ازدادت الثروة العامة ازداد الفقر انتشارا ـ ففى افريقيا الوسطى لا نجد من يستحق أن يسمى غنيا . ولكننا لا نجد هؤلاء الذين لا يجدون القوت الضرورى الا فى الأقطار الغنية ... وهذا لا يرجع الى عجز الطبيعة عن كفاية الناس بل الى الامتلاك الفردى للأرض ، والعلاج الوحيد هو جعل الارض ملكا مشاعا . فالامتلاك الفردى مناف للطبيعة . فكما أن لجميع الناس حقوقا متساوية فى الهواء والضوء كذلك يجب أن يكون لهم حقوق متساوية فى الأرض »(١) .

وحول الاستغلال الرأسمالى فى مجال الصناعة شن الكتاب التقدميون والاشتراكيون هجوما عنيفا .. وعندما لاحت بوادر الازمة الاقتصادية فى مصر ، أكد هؤلاء « أن معظم ما يصيبنا من كساد فى مصر ناشئ من أن طائفة العمال لا تستنفد شيئا عظيما لا فى اللباس ولا فى الطعام ولا فى المسكن ولا فى أى شئ آخر وليس ذلك الا لانهم يعانون من قلة الأجور بحيث لا يستطيعون التأثير فى الأسواق الداخلية بما يشترونه حتى تروج الاعمال فاذا استعملنا الشح مع العمال انعكس علينا عملنا بالكساد »(٢) .

ثم هم يهاجمون محاولات الراسماليين لعقد اتفاقات احتكارية فيما بينهم فيقولون : « هناك احتكار جديد نشأ بالاتفاق بين الشركات التى كان الوضع التجارى الاصلى يقول أو يوهم بتزاحمها . مثلا فى الشركات التى

---

١ ـ المجلة الجديدة ـ أبريل ١٩٣٤ ـ مقال امتلاك الأراضى الزراعية ـ بقلم عبد الحميد عبد الغنى ص ٤٣ .

٢ ـ كل شئ ـ ٢٥ أكتوبر ١٩٢٦ .

تبيع البترول والبنزين فانها رأت انها تخسر بالمزاحمة ، وقد أصبحنا بامتناعها هذا تشترى البترول والبنزين باغلى الاثمان » ٠ ٠

وفرصة كهذه لا يمكن أن تمر بغير اثاره قضية اخرى بالغة الأهمية هى العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفييتى » ومما زاد هذه الشركات طغيانا ثقتها بأن الحكومة المصرية تقاطع روسيا وتكره الاتجار معها فليس هناك ادن ما تخشاه من استيراد البترول منها وبيعه بثمن منخفض لقاء تصدير القطن اليها مثلا ٠٠ »(١) ٠

بل لقد نجح الكتاب الاشتراكيون أيضا فى ربط قضية الاشتراكية بقضايا النضال ضد الاستعمار ٠٠ ومرة أخرى فاننا نشهد اللجوء الى أسلوب بريد القراء ٠٠

« بيروت ٠ سائل ٠

هل تفيد الاشتراكية البلاد الشرقية وتعينها فى نيل استقلالها ؟

الهلال : يقوم الاستعمار على استغلال عمال البلاد المستعمرة ٠ فلو كانت أجرة العامل الهندى لا تقل عن أجرة العامل الانجليزى لما وجد أغنياء انجلترا فائدة من استغلال الهنود ولاكتفوا باستثمار أموالهم فى بلادهم ٠ والاشتراكية تريد أن تنصر العمال وتمنع استغلالهم فهى من هذه الوجهة تكافح الاستعمار »(٢) ٠

ولسنا نستطيع أن ننتقل الى موضوع آخر بغير أن نؤكد أن كل ما أوردناه من محاولات للدفاع عن الاشتراكية أو الحديث عنها لم يكن الا مجرد نماذج قليلة من موجات لا تنتهى من الابداعات الفكرية ٠ ـ كتب ومقالات ومنشورات وأزجال وقصائد وقصص ٠ موجات بغير حدود من الابداع الفكرى المصرى دفاعا عن الاشتراكية ٠٠

وفى الثلاثينيات حيث كانت سطوة حكم كبار الملاك والرأسماليين فى أوج عنفوانها ، وحيث حاولوا مرارا أن يجربوا الوسائل الديكتاتورية بحثا عن « موسيلينى مصرى » وحيث كانت مصر كلها تفتش لنفسها عن طريق جديد ٠٠

كانت هذه الكتابات ذات قيمة غير محدودة ٠٠

فقد عبرت عن اصرار اجيال متعاقبة من الماركسيين المصريين على أن يقولوا كلمتهم وعن اصرارهم على مواصلة تحدى الرأسمالية وحكامها ٠٠

---

١ ـ المجلة الجديدة ـ أبريل ١٩٣٤ ـ ص ١١١ ٠
٢ ـ الهلال ـ أبريل ١٩٢٦ ص ٧٧٦ ٠

وقد عبرت أيضا عن خصوبة الابداع الفكرى الاشتراكى فى مصر وتنوعه وشموله لجوانب هامة من جوانب الحياة الاساسية للمجتمع ..

كذلك فان دراسة هذه المواد تبدو مسالة ضرورية لتفهم كثير من الاتجاهات والآراء والمواقف التى نمت فى قلب الحركة الوطنية المصرية فيما بعد ..

فان سنوات الثلاثينات كانت سنوات « الاحتضان » و « العطاء » و « الخلق » بالنسبة لجيل ما بعد الحرب العالمية الثانية ذلك الجيل الذى لعب فى تاريخ مصر كله وفى مستقبلها كله آثارا بغير حدود ..

وبغير أن نكون بحاجة الى أن نسبق الاحداث ، نستطيع ان نقرر ان مثل هذه الكتابات كانت دليلا كافيا على ان فكرة الاشتراكية قد ظلت حية راسخة فى وجدان مصر ..

وان كان البعض قد توهم فى الثلاثينات ان الاشتراكية قد صفيت وضربت فى مصر فقد كان مخطئا كل الخطأ ..

فلقد احتضنت مصر هذه الافكار ومنحتها دفئا وخصوبة مكناها من ان تختمر وتنبت وتنجب لمصر جيلا جديدا من الماركسيين .. ظل يواكب ويسهم فى عملية الاختمار هذه وينمو معها وبها حتى ظهر .. وربما بشكل بدا وكأنه مفاجئ فى نهاية الثلاثينات فى صورة كتائب كاملة من الشيوعيين المصريين ..

وهكذا فان الصفحات السابقة كانت محاولة لتصور المنــاخ الفكرى والسياسى الذى عاشت وابدعت فيه وعانت منه طلائع الجيل الجديد من الشيــوعيين ..

••• مسرحية سكلا تفالا

وسكلا تفالا كان النائب الشيوعى الوحيد فى البرلمان الانجليزى ، وكان عضوا فى اللجنة التنفيذية « للعصبة الناهضة للامبريالية » وهى تنظيم عالمى يضم ممثلين عديدين لحركات التحرر الوطنى فى مختلف انحاء العالم •

ولقد كانت الرجعية المصرية شديدة الحذر من ان يمد الحزب الشيوعى الانجليزى نطاق اهتماماته الى مصر • فان ذلك سوف يخلق لها صعوبات جمة ، وان كان الامر قد حسم تماما مع سلطات الاحتلال بحيث لا يستثنى من حملة الاضطهاد أى يسارى مهما كانت جنسيته •

ويبدو ان الحزب الشيوعى الانجليزى قد حاول ايجاد علاقة ما بالشيوعيين المصريين ، ونشرت الاهرام تحت عنوان « مساعى البلاشفة فى مصر ، ايدى الشيوعيين الانلجيز فيها » فقالت : « لندن فى ٢ يونيو - خطب المستر كل فى المؤتمر الشيوعى بمدينة جلاسجو فقال انهم قطعوا خطوات جدية جدا فى سبيل ايجاد روابط بينهم وبين الاحزاب الثورية فى مختلف انحاء الامبراطورية وهم الآن على اتصال مع احزاب اخرى فى فلسطين وسوريا ومصر •• »(١) •

لكن الخطر لاكبر كان يأتى فى نظر الرجعية المصرية وسلطات الاحتلال من « عصبة النضال ضد الامبريالية » •

وقد ركزت اجهزة عديدة للمخابرات جهودها لتتقصى نشاط هذه المنظمة الدولية وعلاقاتها بالقوى الوطنية المختلفة •

وثمة وثيقة حصلت عليها المخابرات البريطانية من المخابرات الهولندية حول نشاط هذه العصبة وتقول هذه الوثيقة (٢) « فى فبراير ١٩٢٨ تلقت المخابرات الهولندية المعلومات التالية عن منظمة عصبة النضال ضد الامبريالية : والعصبة تضم الشيوعى الانجليزى سكلا تفالا والهندى الثورى

---

١ - الاهرام - ٣ يونيو ١٩٢٥ •

(2) — F . 371/13417-File : 152/792 - W : 5302/157/29

وهى محفوظة بالمتحف البريطانى ومؤرخة فى ٤ مايو ١٩٢٨ ومثبت على صفحتها الاولى انها ترجمة لتقرير سرى باللغة الالمانية ••

جواهر لال نهرو (الذى يتردد كثيراً على برلين) والصينى لوشان سن ومندوب جنوب افريقيا كولركين ٠٠٠

وقد حضر نهرو المؤتمر الاول للعصبة الذى عقد فى بروكسل فى فبراير ١٩٢٧ كممثل لحزب المؤتمر الهندى واصبح عضوا فى اللجنة التنفيذية للعصبة ٠ وهو ابن بانديت لوتى لال نهرو الذى حضر المؤتمر الثانى للعصبة فى برلين فى ديسمبر ١٩٢٧ ولكن نهرو الاب يبدو اكثر اعتدالا من ابنه .

ومن المفيد ان نشير الى ان هذا السياسى العجوز والذى يبدو انه قد زار موسكو مؤخرا قد قام ايضا بزيارة القاهرة ٠ وخلال زيارته هذه اتصل عدة مرات بجمعية الشباب المحمدى التى تأسست فى مطلع هذا العام ٠ وهى جمعية دينية ذات اهداف سياسية ويرأسها الدكتور عبد الحميد بك (عبد الحميد سعيد) عضو البرلمان وهو احد القادة المتطرفين للحزب الوطنى وقد وعده نهرو بنشر الدعوى لتاسيس فروع لهذه الجمعية فى الهند » ٠

ولسوف تشهد صفحات قادمة مدى الذعر الذى اصاب الدوائر الامبريالية والرجعية المحلية من مثل هذه العلاقات ٠٠

لقد احسوا بالحركة الوطنية المصرية وهى توشك تتفتح على حركة اليسار العالمى فكان لابد من ضربة سريعة وحاسمة ٠٠

ذلك ان العناصر اليمينية فى الحركة الوطنية المصرية كانت تكره اليسار الى حد انها كانت ترفض ما يأتى عن طريقه حتى ولو كان تأييدا للامانى الوطنية المصرية وللنضال الوطنى المصرى ضد الاستعمار ٠٠

وهكذا بدات مسرحية سكلا تفالا ٠٠ بهدف ادانة أى اتصال باليسار العالمى حتى ولو كان هذا الاتصال فى اطار النضال العام ضد الاستعمار ٠٠٠

وسكلا تفالا نائب شيوعى فى مجلس العموم البريطانى ٠ وهو عضو فى اللجنة التنفيذية لعصبة النضال ضد الامبريالية ٠ وتكتسب عضويته هذه وضعا خاصا نظرا لكونه من اصل هندى وقد طلب سكلا تفالا تاشيرة دخول لمصر من المفوضية الملكية المصرية لندن لكنها ابلغته ان وزارة الداخلية ترفض ذلك ٠

واقام سكلا تفالا الدنيا واقعدها ٠ فلعلها المرة الاولى التى ترفض فيها حكومة بلد شبه مستعمر منح تاشيرة دخول لعضو فى برلمان الدولة الاستعمارية ٠

ووجه سكالا تفالا نداء الى الراى العام المصرى ٠٠ ورسالة الى عدلى يكن رئيس وزراء مصر يحتج فيها على منعه من الدخول الى مصر ٠ وعن طريق

النزع المصرى لعصبة النضال ضد الامبريالية وصلت نسخ عديدة من هذه الرسائل الى كثير من الشخصيات الوطنية المصرية وأعضاء البرلمان الذين اثارهم ان ترفض الحكومة المصرية منح تاشيرة الدخول للنائب الوحيد فى البرلمان البريطانى الذى يدافع عن حق مصر والذى وقف فى البرلمان - وحيدا - معترضا على طرد القوات المصرية من السودان وغرامة النصف مليون جنيه فى اعقاب مقتل السردار ٠

ولقد كانت خطابات سكلا تفالا الى اصدقائه المصريين والى الرأى العام المصرى عنيفة غاية العنف وكان يصيح قائلا « تكلموا ، تكلموا يا ابناء مصر ، تكلموا ، تكلموا بأعلى صوتكم ، وبأصرح وبأسرع ما يمكن ، حتى استطيع ان استمع الى صوتكم والى ارادتكم من هنا من بعيد » ٠

وكان يوجه فى رسالته اسئلة مريرة ، اجاباتها اكثر مرارة « هل صحيح انكم تمنعون رجلا فقيرا مثلى من دخول بلادكم لمجرد اننى اناضل من أجل الحرية الكاملة لشعب بلادكم ومن اجل تخلصه من أى تحكم أو استغلال أجنبى ايا كانت جنسية القائمين به ؟ وهل من حق اصدقائى الهنود ان يفترضوا ان المصريين يضطهدوننى وانا العضو الشرقى الوحيد فى البرلمان البريطانى بينما لا يمنعون أى عضو آخر فى البرلمان ، هؤلاء الاعضاء الذين ايدوا فرض غرامة النصف مليون جنيه استرلينى على مصر والذين طردوكم من اراضى اقليمكم السودان ؟ ام ماذا يا شعب مصر ؟ هل برلمانكم مجرد العوبة ؟ وهل كان وزراؤكم مجرد منفذين مطيعين لتعليمات بريطانية بمنعى من دخول مصر ؛ ام ان استقلالكم وبرلمانكم محدودا الاثر »(١) ٠

واحدثت هذه الاسئلة المريرة اثرها وانتقلت القضية الى الصحف ومنها الى البرلمان ٠٠

وفى البرلمان جرى نقاش حاد اثاره سؤال موجه الى وزير الخارجية من الدكتور حامد محمود ٠٠ ثم استجواب موجه الى رئيس الوزراء من النائب حسن سيد احمد نافع (٢) ٠

---

١ - راجع النص الكامل للنداء فى الملاحق ٠ وهى احدى الوثائق المحفوظة بالمتحف البريطانى وتتضمن صفحتها الاولى البيانات التالية (وثائق وزارة الخارجية الريطانية - مكتب السجلات العامة - ملف رقم ١٢٣٥٤/٣٧١ - رقم الوثيقه ١٨٨٠ لا يجوز تداولها ولا تصويرها الا باذن خاص) ٠

٢ - احمد شفيق باشا ٠ حوليات مصر السياسية ٠ الحولية الرابعة عام ١٩٢٧ - الطبعة الاولى ١٩٢٨ مطبعة حوليات مصر السياسية ٠ ص ١١

والحقيقة ان النصوص الكاملة لمضبطتي مجلس النواب حول مناقشة موضوع سكلا تفالا تقدمان لنا صورة مسرحية بالغة الدلالة ..

فلقد حاول النواب الرجعيون ان يقلبوا المائدة على سكلا تفالا .. فسروا عبارة وردت في خطاباته التي اصدقائه المصريين جاء فيها « ان البرلمان البريطاني لا يتقاضا يدعي دلطما واقتدارا حق الرقابة العليا على المرافق المصرية ويحتفظ بممثلين عسكريين وملكيين في الاراضي المصرية والسودانية .. فبصفتي عضوا في هذا البرلمان اجد من واجبي ازاء الشعبين البريطاني والمصري ان آتي الى مصر لدرس مسائل معينة في مواقعها » ..

ويقف محمد صالح حرب مفسرا هذه العبارة على هواه متهما سكلا تفالا بانه يعتبر مصر جزءا من الامبراطورية البريطانية ويصيح باعلى صوته « ان هذا التصريح قد افقد المستر سكلا تفالا كل عطف في هذه البلاد لان مصر لم تكن يوما ما ولن تكون تابعة للامبراطورية البريطانية » ويعلو صوته اكثر فاكثر « ان القلوب التي امتلأت بحب الحرية لا تزال في صدورنا .. كما ان اشباح النفوس التي سالت دماؤها على حد السيوف وأسنة الرماح في سبيل الحصول على استقلال البلاد لا تزال ماثلة امام اعيننا (تصفيق) .

اننا يا حضرات النواب الكرام نغار على استقلالنا ان يمس حتى ولو بالكلام ولهذا نحن لا يمكننا مطلقا ان نقبل في ضيافتنا رجلا يريد ان يهين ارضنا باعتبار اننا جزء من الامبراطورية البريطانية »(١) ..

ويتصدى محمد حافظ رمضان بالرد كاشفا الحقيقة قارئا على النواب فقرات من الخطاب الشخصي الذي وصله من سكلا تفالا مؤكدا ان منعه من دخول مصر هو مساس بالاستقلال وليس دفاعا عنه ..

ثم يكشف حافظ رمضان كل اوراق اللعبة موضحا الاسباب الحقيقية لمنع سكالا تفالا من دخول مصر فيقول « في الواقع يا حضرات الزملاء ان هذا النائب لم يك نائبا بريطانيا فقط بل الحقيقة انه عضو في جمعية انشئت في العالم الغربي وتجتمع في يوم ١٠ فبراير القادم وهي ضد كل استعمار غربي ، جمعية اعضاؤها في جميع البلدان المحايدة كالسويد والنرويج والدانمرك وغيرها ونظريتها ان جمعية الامم الحاضرة انما هي جمعية حكومات تريد ان تقتسم بلاد الضعفاء . واذا اريد ان توجد جمعية امم حقيقية وجب ان يكون فيها نواب من الامم انفسهم لا من حكوماتها فقط . وعلى هذه القاعدة

---

١ - مضبطة الجلسة الثانية والعشرين لمجلس النواب يوم ٢٥ يناير ١٩٢٧ - النص الرسمي - ص ٣١٦ وما بعدها . - راجع النص الكامل بالملاحق - .

يريدون ان تكون اعمال جمعية الامم وتصريحاتها موجهة ضد كل استعمار ونلاخذ بناصر الامم المستضعفة ٠

ايعقل ان يحضر الى مصر رجل هذا شانه ليدافع عن الاستعمار البريطانى مع انه حوكم فى بلاده من اجل آرائه ضد الاستعمار »(١) ٠

وهكذا تتكشف اللعبة ويتضح السبب الحقيقى لمنع سكلا تفالا ٠٠ فالرجعيون المصريون لا يريدون أى علاقة بعصبة النضال ضد الامبريالية ٠٠ وهم لا يريدون اية تمس مع اليسار حتى ولو تضمن تأييدا من هـذا اليسار لحقوق مصر القومية ٠٠

ويمضى النقاش عنيفا ثم يوجه عبد الرحمن عزام سؤالا يقول « أريـد ان استعلم اولا من دولة رئيس مجلس الوزراء هل حصل احتجاج من الحكومة البريطانية أو من احد ممثليها على منع هذا النائب ؟ » ويبتلع رئيس الوزراء الطعم ويجيب « لم يحصل احتجاج » ٠

وهنا يعلق عبد الرحمن عزام قائلا « اردت بهذا السؤال ان الفت نظر حضراتكم الى ان الحملة التى اشهرت على المستر سكلا تفالا بانه رجل يؤيد الاستعمار البريطانى ويدعو اليه فى مصر وانما هى حملة غير حقيقية اصـلا ولا تستند الى شىء من الصواب ٠٠ والدليل على ذلك انه لو منع نائب آخـر لا يعتنق مبادىء المستر سكلا تفالا المتطرفة لاحتجت الحكومة الانجليزية على هذا التصرف ٠ واننى ارى هذا كافيا فى ان يزيل من اذهان حضراتكم آثار الحملة التى اريد بها ان تنزع من قلوبكم العطف على ذلك النائب المحترم » ٠
وهنا يكشف النواب الرجعيون النقاب عن وجوههم ليتحدثوا بصراحة ٠

« عبد السلام عبد الغفار بك : اننى اؤيد الحكومة بكل قوة فى الاجراءات التى اتخذتها ضد المستر سكلا تفالا ٠٠٠ وعلى كل حال الشيوعية مكروهة وانا احبذ تصرف الحكومة فى هذا الحادث وارجو ان نؤيدها وان تطلبوا منهـا الاستمرار على اتباع هذه الخطة » ٠

٠٠ ويقول الدكتور محجوب ثابت « ارى ونحن فى وقت يراد فيه الصيد فى المـاء العكر بكل الوسائل ان من واجبنا ان لا نمكن شيوعيا كائنا من كان من الحضور الى هذه البلاد » ٠

واخيرا يعلن رئيس المجلس قفل باب المناقشة ويقرا اقتراحين « احداهما من حضرة عبد الرحمن عزام افندى وحفنى محمود بك ونصه « نقترح ان تعيد

---

١ ـ المرجع السـابق ٠

الحكومة النظر فى مسألة المستر سكلا تفالا وان تسمح له بالدخول فى القطر المصرى اذا تعهد بالا يتكلم وبالا ينشر الدعوة الشيوعية فى مصر » . ويمضى رئيس المجلس معطيا لنفسه وحده حق رفض هذا الاقتراح فيقول « يخيل الى ان هذا الاقتراح غير مناسب فى صيغته لطبيعة الاستجواب .. واظن ان الاقرب الى ذلك هو الاقتراح الثانى المقدم من حضرة محمد صبرى ابو علم افندى وهذا نصـــــه :

« المجلس بعد سماع بيانات حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء يكتفى باثباتها وينتقل الى جدول الاعمال » ..

وهكذا اسدل الستار على موضوع سكلا تفالا ..

لكنه يبقى امامنا ان نعرف ان البرلمان الذى ناقش هذا الموضوع كانت اغلبيته لحزب الوفد .. وان رئيس الجلسة كان سعد زغلول ثم مصطفى النحـــاس ..

ولعل هذا يلقى ضوءا على علاقة الوفد باليسار فى هذه الايام ، فقد اختطت قيادة الوفد فى ذلك الحين لنفسها خطا يمينيا يبتعد بها عن اى تلامس مع اليسار حتى ولو كان الهدف منه .. نضال مشترك ضد الاستعمار .

وهكذا ولد تحالف اليسار مع القوى الوطنية الاخرى ضعيفا غاية الضعف بعد ان فقد مباركة قيادة الوفد وتأييدها ..

لعلها قصة اشبه ما تكون بالملحمة الدرامية منها بالحديث السياسى ··

قصة ذلك النجار الذى خاض معارك الحزب الاشتراكى المصرى منذ بدايتها الاولى ·· ثم سافر الى فلسطين فتركيا فى طريقه الى حلم يريد ان يحققه ·· ان يدرس النظرية الماركسية فى الاتحاد السوفييتى ·

ومن تركيا يتسلل الى مركب تحمله الى الاتحاد السوفييتى ، وينضم عبد الرحمن فضل بتوصية من الحزب الى « جامعة ستالين لكادحى الشرق » وتمتد اقامته فى الاتحاد السوفييتى قرابة العشر سنوات ·· يدرس ويعمل ويتزوج فتاة روسية ·· لكنه يقرر ان يعود الى وطنه مصر ·

كان بامكانه ان يبقى هناك ، لكن الرجل العجوز ترتعش يده وهو يحاول جاهدا ان يهزها فى حماس قائلا : « كان لازم ارجع · مش المهم انى ادرس واتعلم ، المهم انى ارجع بلدى عشان اناضل فيها من اجل الاشتراكية » ·

وقرر عبد الرحمن فضل ان يعود ··

وكان يعلم ان ثمة مشكلة خطيرة تنتظره فقد اسقط الرجعيون عنه جنسيته ·

فصدقى باشا بعد ان الغى دستور ١٩٢٣ ، استصدر فى يونيو ١٩٣١ مرسومين بقانونين استهدف بهما توجيه ضربة عنيفة لكل القوى التقدمية والديمقراطية فى مصر ··

المرسوم الاول عدل به قانون المطبوعات ومواد قانون العقوبات المتصلة بالصحافة ·

والمرسوم الثانى عدل به قانون الجنسية ·

ووفقا لهذا المرسوم الذى صدر فى يونيو ١٩٣١ صار تعديل المادة ١٣ من قانون الجنسية بحيث يصبح نصها كما يلى :

« **مادة ١٣** : يجوز اسقاط الجنسية المصرية بمرسوم عمن يقبل دخول الخدمة العسكرية لدى احدى الدول الاجنبية بدون ترخيص من الحكومة المصرية وكذلك عمن يقبل خارجا عن القطر المصرى وظيفة لدى حكومة اجنبية ويبقى فيها بالرغم من الامر الذى صدر له من الحكومة المصرية بتركها ·

وكذلك يجوز اسقاط الجنسية المصرية بمرسوم عن كل شخص يقيم خارجا عن القطر المصرى ويكون منضما الى هيئة غرضها نشر دعاية ثورية ضد النظام الاجتماعى أو الاقتصادى للدولة أو ضد النظم الاساسية للمجتمع أو ترمى الى الوصول الى ذلك الغرض بأية وسيلة أخرى أو يكون منضما الى مركز أو فرع أو معهد دراسى أو غير دراسى أو الى مكتب أو جماعة تابعة لمثل تلك الهيئة أو متصلة بها أيا كان وجه التبعية أو الاتصال وسواء كانت تلك الهيئة أو احد ملحقاتها موجودة فى القطر المصرى أم فى الخارج ، وكذلك يجوز اسقاط الجنسية عن كل شخص يتلقى فى مثل هذه الشروط المتقدمة تعاليم مثل تلك الهيئات وأساليبها سواء كان ذلك بحضور دروس أم بأية طريقة أخرى »(١) .

هكذا تسقط الجنسية بسهولة ويسر وبحكم ما اسماه صدقى قانونا عن كل مواطن يتصل أى نوع من الاتصال بهيئة .. تتصل بأى نوع من أنواع الاتصال بالاتحاد السوفييتى . أو يتلقى دروسا فى معهد دراسى أو غير دراسى عن النظرية الماركسية وسواء كانت تلك الهيئة أو احد ملحقاتها موجودة فى القطر المصرى أم فى الخارج ..

وكان واضحا تماما ان الهدف من استصدار هذا المرسوم هو اعتبار « ان مجرد اتهام المصريين اتهاما اداريا بالشيوعية يقضى باسقاط الجنسية عنهم . كذلك فهم ان استصدار المرسوم بقانون الخاص بهذا التعديل فى قانون الجنسية قبل ان ينعقد البرلمان بيومين اثنين معناه قيام هذا الحكم الجديد من يوم اصداره وعدم اعطاء الفرصة لمناقشته فى البرلمان أو تعديله »(٢) .

وكانت الرجعية المصرية تنتظر هذه الفرصة طويلا .. فطالما صرح الاهرام مطالبا باعادة هؤلاء الشبان الذين يدرسون فى موسكو .. أو بمنعهم من الدخول « حتى لا يعود كل منهم وهو لينين صغير »(٣) .

وهكذا ما ان عقد البرلمان حتى تقدم النائب عبد الله لملوم ليتسائل الحكومة متى تعتزم الحكومة تطبيق احكام قانون الجنسية الجديد فتسقط الجنسية المصرية عن اولئك المصريين المقيمين بالخارج والمتصلين بجماعات تدين بالمبادىء الشيوعية ..

---

١ ـ مرسوم بقانون بتعديل قانون الجنسية .

٢ ـ محمود عزمى ـ خبايا سياسية ـ كتب للجميع . مطابع جريدة المصرى ـ فبراير ١٩٥٠ ص ٧٨ .

٣ ـ الاهرام ـ ٦ ـ ٣ ـ ١٩٢٤ .

ولم تتوان الحكومة عن تنفيذ هذا الطلب وبالفعل اصدرت فى اغسطس مرسوما بحرمان ثمانية من المصريين المقيمين بالخارج من جنسيتهم بحجة اتصالهم بانظمة شيوعية ·· (١) ·

وكان عبد الرحمن فضل واحدا من هؤلاء الثمانية ·

لكنه كان يعرف انه أكثر مصرية من هؤلاء الباشوات الرجعيين ، وانه ما من قوة فى الارض تستطيع أن تنتزع منه مصريته ·

وقرر ان يعــود ·

وفى موسكو ودعه احد اساتذته وهو يشد على يديه قائلا « عبد الرحمن لقد تعلمت كثيرا ، لكن لا تحاول ان تتفلسف على ابناء وطنك · نحن لا نريد فلاسفة وانما نريد اناسا يوقظون الشعب » ··

ومن موسكو الى باريس ثم الى بيريه حيث استقل السفينة « ايونيا » فى طريقه الى الوطن وفى ميناء الاسكندرية قبض عليه البوليس ومنع من مغادرة المركب ونبه على القبطان بأنه مسؤول عن بقائه على ظهرها حتى تغادر المياه الاقليمية ·· وعادت به السفينة الى ميناء بيرية حيث رفض هو النزول ، ثم عادت به السفينة الى الاسكندرية ورفضوا مرة اخرى السماح له بمغادرتها ··

ورفض عبد الرحمن فضل التراجع عن موقفه ، مصمما على حقه فى العودة الى وطنه ، رافضا أى تنازل عن هذا الحق ··

وهكذا وضع الحكومة المصرية فى مأزق ··

اما الشركة صاحبة السفينة فقد وجدت نفسها فى مأزق هى ايضا وحاولت التخلص منه دون جدوى حتى انها فكرت فى بيع السفينة تخلصا من هذا الضيف الدائم ··

« وتكرر ذهابى وايابى من ميناء بيريه اليونانى الى الاسكندرية والعكس ٥٤ مرة وفى كل مرة اصل فيها الى ميناء الاسكندرية كنت اجد عشرات من مندوبى الصحف المحلية والعالمية فى انتظارى »(٢) ··

وهكذا ومن خلال الاصرار العنيد نجح عبد الرحمن فضل من جديد فى تفجير مشكلة الشيوعيين الذين اسقطت عنهم جنسيتهم ·· وبدأت الصحف تثير القضية من زوايا مختلفة وطنية وانسانية وقانونية ··

---

١ ــ محمود عزمى ــ المرجع السابق ــ ص ٨٠ ــ راجع النص الكامل للمرســـوم بالملاحق ·

٢ ــ صبرى ابو المجد « المصور » ٢١ ــ ٣ ــ ١٩٦٦ ، ــ مقال « هذا النجار المصرى العجوز تدرس قضيته فى كلية الحقوق » ·

.. وقد بدأ مراسل الاهرام بالاسكدرية الحملة ..

.. « وصل امس بعد الظهر على السفينة ايونيا الشاب المصرى محمد فضل الذى نزعت عنه جنسيته المصرية ومنع من الدخول الى هذا القطر اربع مرات قبل هذه المرة . وكان قد وصل الى هذا القطر فى المرة الاخيرة من نحو ثلاثة اسابيع ثم أعيد الى السفينة التى جاء عليها . وعند وصول هذه السفينة امس الى الميناء ذهب ربانها الى قنصلية اليونان فى الاسكندرية وقابل انطونوبلو القائم باعمال القنصلية وقدم له مذكرة يشكو فيها مما اصابه من وجود هذا الرجل على ظهر سفينته لان الحكومة اليونانية لم تسمح له بالنزول فى بلادها عندما اعيد اليها وكذلك الحكومة المصرية لا تعترف به من رعاياها ولا تسمح له بالنزول فى هذا القطر وان البوليس قد اتخذ الاحتياطيات اللازمة حين وصول السفينة لعدم تمكين محمد فضل المذكور من النزول والتسرب الى داخل البلاد .

وقال الربان انه بات حائرا لا يدرى كيف العمل للتخلص من هذه الورطة .. وقد وعده القنصل بعرض المسالة على ولاة الامور فى مصر للنظر فيما يمكن عمله .. وقد علمنا ان البوليس قرر اعادة محمد فضل غدا على الباخرة ايونيا »(١) .

.. ويذهب عبد الرحمن فضل ليعود مع السفينة مرة اخرى وتكتب الاهرام مرة اخرى « عادت الباخرة اليونانية ايونيا الى الاسكندرية اليوم من بيريه فعاد عليها محمد فضل المجرد من الجنسية المصرية بسبب ما اتهم به من اتباع المبادئ الشيوعية . وعودته هذه هى السادسة فهو يذهب فلا يباح له النزول هناك ويأتى فلا يؤذن له بالنزول هنا . واذا نزل فانه يعتقل ويعاد الى السفينة وسترجع هذه الباخرة فى الساعة السادسة مساء فيرجع محمد فضل عليها .. والمفهوم ان ادارة الامن العام لا تعده مصريا بسبب تجرده من الجنسية وهى لذلك لا تبالى بامره . وكان ينبغى اتخاذ بعض التدابير لحل مشكلته من الوجهة الانسانية لانه ليس من الطبيعى ان يظل ذاهبا آتيا بين مصر والبرنان »(٢) .

.. وفى المرة السابعة تكون المسالة قد نضجت ويكون الرأى العام قد تهيأ فيوجه عبد الرحمن فضل نداء الى الرأى العام تنشره الاهرام تحت عنوان « من المصرى التائه الى حضرة المحترم وكيل الاهرام السكندرى » وتعلق الاهرام على هذا النداء قائلة : « لقد طلبنا الى ذوى الشأن الاهتمام بحل

---

١ ـ الاهرام ٢١ـ٨ـ١٩٣٦ .

٢ ـ الاهرام ٢٧ـ٨ـ١٩٣٦ .

مشكلة هذا الشاب من الجهة الانسانية بحيث يتسنى له ان يصل الى بر ولا يظل مسافرا على الباخرة ذاهبا آتيا لا يقبله بلد »(١) ٠

والآن لم يعد عبد الرحمن فضل وحده ٠٠ فهناك مشكلة شعبان حافظ الذى كان قد عاد الى البلاد خلسة ومارس نشاطا حزبيا انتهى به الى السجن ويوشك ان يفرج عنه لكنه ايضا مجرد من جنسيته ٠٠ وهناك ايضا مشكلة حسنى العرابى وكان فى برلين ٠ « وهو منذ زمن طويل يطرق كل باب يؤذن له للعودة الى وطنه »(٢) ٠

وتحاول ادارة الامن العام ان تجد مخرجا من هذه الازمة فتقدم مذكرة الى وزارة الداخلية تقترح فيها النظر بعين الرفق فى حالة هؤلاء الاشخاص « اذا قامت الادلة على كفهم عن الشيوعية »(٣) ٠

ويبدو انه كان مطلوبا من عبد الرحمن فضل نوعا من الاقرار بتخليه عن الشيوعية لكنه رفض وواصل رحلته جيئة وذهابا على ظهر الباخرة ايونيا ٠٠

وتبدأ الاهرام حملة جديدة تطالب فيها اعضاء مجلس النواب بالتدخل فتقول : « عسى ان يهتم بعض نوابنا الكرام بهذا الحادث الغريب ويطلب من الحكومة اخراج هذا الشاب من هذه الورطة الشنيعة والنظر فى مسألته بعين الرفق والعدل فى حدود القانون »(٤) ٠

وتتعقد المشكلة اكثر عندما يقرر القبطان ان « يمتنع عن تقديم الطعام لهذا الشاب على حساب الباخرة منذ امس وقد حاول احد اقاربه اليوم أن يقدم له بعض الطعام قبل سفر السفينة فرفض ٠٠ فسفرته الحادية عشر هذه الى اليونان ستكون سفرة سيئة ولا ندرى ماذا يليها ٠

ونحن لا نظن ان ربان السفينة قصد بما فعل اقتصـــــاد قيمة غـذاء عبد الرحمن فضل ٠٠ وانما قصد لفت نظر السلطات المصرية الى حالة هـذا الشاب المصرى الذى يقاسى العذاب فى سبيل العودة الى وطنه ولا يجـد من يهتم بأمـره »(٥) ٠

ويبدو ان الحكومة المصرية قد ضغطت على الشركة صاحبة السفينة فعاد القبطان من جديد الى تقديم الطعام له ٠

---

١ — الاهرام ٣٠-٨-١٩٣٦ ٠
٢ — الاهرام ٢٣-١٠-١٩٣٦ ٠
٣ — الاهرام — المرجع السابق ٠
٤ — الأهرام ١٢ — ٩ — ١٩٣٦ ٠
٥ — الأهرام ٢١ — ٩ — ١٩٣٦ ٠

ولم يكن عبد الرحمن فضل يكتفى بهذا الموقف السلبى ذاهبا آتيا بل كان هو وزملاؤه فى داخل البلاد يثيرون حملة واسعة للمطالبة بتعديل قانون الجنسية والغاء الفقرة التى تسمح باسقاط الجنسية المصرية عن الشيوعيين المقيمين بالخارج .

فهو يقول فى نقاش معه « أنا كنت استفيد من ذلك كله فى اثارة القضية ككل وفى احداث أكبر ضجة ممكنة .. حتى أصبحت معظم الصحف تتحدث عن القضية .. واستطعت أن أثير عطف الناس على القضية وكانت المراكب تسير فى خط منتظم الإسكندرية ــ بيريه وكان يسافر عليها كثير من المصريين وكنت اتصل بهم جميعا وأثير معهم قضيتى وأذكر اننى اتصلت فى احدى المرات بالدكتور قناوى رئيس المجلس البلدى بالاسكندرية وكان مسافرا على المركب هو وزوجته .. وقد بكت زوجته عندما سمعت قصتى ووعدنى الدكتور قناوى بمساعدتى ، وعندما عاد اتصل بأحد أصدقائه هو عبد الوهاب الوكيل مراسل المقطم بالإسكندرية وطلب اليه اثارة قضيتى »(١) وبدأ المقطم يشارك فى الحملة وأطلق على عبد الرحمن فضل اسم « ذارع البحار » (٢) .

وبدأت الحكومة تشعر بالحرج ، وتحس أنها محاصرة ولا بد من أن تتخذ موقفا يحل هذه المشكلة ، لكنها حاولت أن تسوف الى أطول مدة ممكن عسى أن يتراجع « ذارع البحار » عن موقفه .

ونشر الاهرام « ما زال عبد الرحمن أفندى فضل يذرع البحر ذاهبا وآتيا ، فاذا كان الجمهور يتناساه بين الاسبوع والاسبوع ، فان البوليس لا يتناسى الوقوف له بالمرصاد .. وكنا قد ذكرنا قبل الان أن بعض ذوى الشأن باتوا يميلون الى اصلاح حالة أولئك الاشخاص الذين جردوا من جنسيتهم من أجل ما كان ينسب اليهم من اتباع الحركة الشيوعية .. وان هناك مذكرة وضعت لهذا الغرض . والمفهوم ان هذه المذكرة ما زالت فى وزارة الداخلية تحول دون البحث فيها كثرة الاعمال . وربما كان من سوء حظ هؤلاء الاشخاص ولا سيما عبد الرحمن فضل أن تنهمك الحكومة وينهمك البرلمان وجميع الدوائر العاملة فى البلد فى مسألة المعاهدة فى هذه الأيام .... فان هذا يرجى كثيرا من المسائل الاخرى ومنها مسالتهم الخاصة ولكن ما دامت النية منصرفة الى انصافهم فلهم أن ينتظروا النتيجة باطمئنان »(٣) .

---

١ ــ راجع النص الكامل لمحضر النقاش مع عبد الرحمن فضل . فى كتابنا تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ــ المرجع السابق ــ ص ٢٨٣ .
٢ ــ المقطم ٤ ــ ٩ ــ ١٩٣٦ .
٣ ــ الاهرام ١٦ ــ ١١ ــ ١٩٣٦ .

كذلك تنشر البلاغ خبرا يقول « يعرض حضرة صاحب العزة أحمد حمدي محجوب بك بدار الامن العام على دولة وزير الداخلية هذا المساء أو بعد ظهر السبت القادم مسألة عبد الرحمن فضل للفصل فيها . ويقول مندوبنا أن النية متجهة الى اباحة دخوله القطر بقيود ثقيلة »(١) .

وهكذا توشك المعركة أن تنضج ، ان الحكومة تستعد للتراجع لكنها تماطل عل هذا الشاب العنيد ينسحب من المعركة ويريحها من تعديل قانون الجنسية .

ويشعر عبد الرحمن فضل انه قد آن الأوان لشن هجوم جديد فيعلن اضرابه عن الطعام :

وتقول الاهرام « عادت الباخرة أيونيا من اليونان وعاد عليها عبد الرحمن فضل .. لكن موقف الفتى في هذه المرة يختلف عنه في المرات السابقة لانه أضرب عن الطعام فعلا منذ ستة أيام ولا يزال مضربا وستعيده السفينة اليوم بعد الظهر الى بيريه وهو بهذه الحالة . وقد علمنا أنها ستعود الى الاسكندرية يوم السبت القادم جريا على عادتها ثم تبحر الى اليونان وقد تنقطع عن السفر بعد ذلك مدة لان الشركة ستدخلها الى الحوض الجاف هناك لاصلاحها فيه وترميمها . فماذا يحل بفضل في هذه المرة اذا لم يسعف ويؤذن له بالنزول الى البر ..

ولقد أصبح موقفه دقيقا ومحفوفا بالخطر .. وسألنا عما جرى بمشروع اعادة النظر في مسألة الشبان المصريين المجردين من جنسيتهم بسبب تهمة الشيوعية .. فقيل أن مذكرة قدمت الى صاحب الدولة رئيس الوزراء ووزير الداخلية بهذا الشأن ولكن الفصل في هذه الحالة نهائيا يتطلب بعض الوقت »(٢) .

.. وطوال هذه الشهور الخمس لم يكن عبد الرحمن فضل بغير اتصالات برفاقه داخل مصر وخارجها .. وكان يستطيع أن يهرب من المركب الى مصر لكن الوقت لم يكن قد حان بعد ، وكان لا بد لصموده على المركب أن يستمر الى أطول مدة ممكنة حتى يهيىء الرأى العام في مصر ضد قانون الجنسية الظالم وحتى يجبر الحكومة على التراجع ...

.. لكن المركب سوف يدخل الى الحوض الجاف .. كذلك فان المعركة قد نضجت تماما « كانت المسألة قد » استوت « وكانت أخبارى في الصحف

---

١ ـ البلاغ ٢٢ ـ ١١ ـ ١٩٣٦ .
٢ ـ الاهرام ٢٢ ـ ١١ ١٩٣٦ ..

تحتل مكانا ثابتا فى كل يوم ، وكانت قضيتى قد انتقلت الى البرلمان عن طريق الاستاذين مكرى أباظه وعبد الحميد عبد الحق »(١) ..

وهكذا قرر عبد الرحمن فضل أن يبدأ الجولة الأخيرة من معركته .. أن يهرب من المركب الى أرض مصر ..

وكانت الترتيبات قد أعدت باحكام « فقد تدخل الحزب الشيوعي اليونانى ، ونجح فى استبدال قبطان السفينة بأحد الرفاق اليونانيين » .

كذلك نجح رفاق عبد الرحمن فضل من أعضاء الحزب القدامى فى اعداد وسائل الهرب له .. وأعد كل شيء وحان يوم التنفيذ .

عندما تتحرك المركب تاركة ميناء الاسكندرية سيقف القبطان بنفسه لمراقبة الحالة ثم يشعل سيجارة فيلقى عبد الرحمن فضل بنفسه الى الماء حيث تنتشله مركب مصرية ستكون فى انتظاره ..

وأحس أحد جنود البوليس المصريين الذين كانوا يلازمونه على المركب طوال بقائها بالاسكندرية بشيء غير عادى .. فسأله « هل تنوى أن تفعلها الليلة .. وأجاب عبد الرحمن : نعم . فقال الجندى : حسنا لا تذهب من الجهة الشرقية فهناك كمين معد لبعض مهربى المخدرات »(٢) .

.. وهكذا كانت حملة ايقاظ الرأى العام قد نجحت الى حد كسب جنود البوليس الى صفه ..

وأخيرا .. وبعد حوالى خمسة أشهر غادر عبد الرحمن فضل المركب الى أرض الوطن ولم تعد هناك قوة فى الارض تستطيع اقتلاعه منها ..

وتنشر الاهرام « بلغنا اليوم أن عبد الرحمن أفندى فضل .. قد غادر السفينة يوم السبت الماضى عند مغادرتها ميناء الاسكندرية .. فهو لم يعد فيها ولا يعرف أين هو .. وقد سألنا ادارة الضبط والربط فى المحافظة عن نصيب هذا الخبر من الصحة فأكد لنا جناب مأمور الضبط أن عبد الرحمن فضل ابحر على أيونيا ولم يغادرها »(٣) .

لكن عبد الرحمن فضل كان فى الاسكندرية .. فى أحضان رفاقه القدامى . بل لقد اتصل تليفونيا بمراسل الاعرام .. وينشر الاعرام مؤكدا الخبر « مسألة عبد الرحمن فضل ـ ثبوت نزوله الى البر ـ مسألة دستورية هامة »

١ ـ المصور ـ المرجع السابق .
٢ ـ المصور ـ المرجع السابق .
٣ ـ الأهرام ـ ٢٣ ـ ١٢ ـ ١٩٣٦ .

ويقــول الأهرام « ان البوليس أبرق الى بيريه يسأل عن فضل وهل هو باق على ظهر الباخرة أم خرج منهــا فكــان الجواب أنه افتقـد عند الســاعة العاشرة من مساء يوم السبت ولم يوجـد بين ركابها ٠٠ » ٠

ويمضى الاهرام مدافعــا عن فضل « ليس جرما ما فعله فضل وزملاؤه فى الاصل وليس عدلا تجريدهم من جنسيتهم بسببه ، فكيف يكون من العــدل الآن حرمانهم من العودة الى أهلهم وبلادهم ٠٠٠ أن القضاء قادر على الفصل فى كل حــادث من حوادث الاخلال بالقــانون والامن العــام فيجب أن تكــون له السلطة العليــا فى حــل مشكلة هؤلاء الشبان لا ادارة الامن العــام التى كثيرا ما تنظر الى الامور بنظــارة سوداء ٠ ثم أنه بات صعبا على هذه الادارة أن تنفى فضــلا وشعبان من مصر من الوجهــة العملية لعــدم وجود بــلاد تتقبــل ذهابهم اليهــا مطرودين من وطنهم ولا جنسية لهم ٠٠ وكيف يتيسر تجريــد فضل وزملاؤه من الجنسية المصرية وهم مصريون بحــق الولادة ٠٠ لا شك فى أن المسألة مسألة دستورية هامــة يرجى حلهــا حلا دســـتوريا عادلا »(١) ٠

وحاول البوليس أن ينفى وجود عبد الرحمن فضل فى الاسكندرية وقال أنه هرب بعيــدا الى قلب الصحراء ٠٠ لكن بعض أعضاء مجلس النواب أعلنوا أنهم قابلوا عبد الرحمن فضل فى الاسكندرية وتناولوا معه طعــام الغداء (٢) كذلك تنشر البلاغ أنه قــد اتصل بهــا (٣) ٠

ووجه عبد الرحمن فضل ـ وهو مختف عن الانظــار ـ خطابا مفتوحا الى مصطفى النحــاس رئيس الوزراء جاء فيــه « اننــا الان فى ظــرف جــديد نتمنى أن تصل مصر فيه الى ما تصبو اليه وتأخذ مكانتها بين الامم ٠ ان القــانون الحــائل بينى وبين منحى الحرية الفردية التى كفلهــا الدستور هو قــانون جائر ٠٠ وها قد انتقلت الامة الى حيــاة جديدة وألغت جميع القوانين التى صدرت رغم ارادتها كما صرحتم بذلك ٠٠ فهل مثل هذا القــانون يتفق مع الدستور وهل من السهل على المرء أن يكون محروما من جنسيته ووطنــه وأهله وجميع حقوقه الطبيعية ؟ اننى على ثقــة من أن حكومتنا المصريــة ستقضى بالغــاء هــذا القــانون ، كما اننى واثق جدا من أنهــا لن تضطرنى الى الاعتقــاد بأن مصيرى سيكون كمصير الفيلسوف اليونانى حينما راح يفتش بفانوسه فى رائعــة النهــا قائلا أنه يبحث عن العدالة وانصارها ٠

---

١ ـ الأهرام ٢٥ ـ ١٢ ـ ١٩٣٦ ٠
٢ ـ المصور ـ المرجع السابق ٠
٣ ـ البلاغ ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٩٣٦ ٠

ان كل ما اعتمد عليه فى حل مشكلتى هو عطف الامة وصراحة الدستور ونزاهة القضاء وشهامة الصحافة الحرة فى تأدية مهمتها » . وينشر الاهرام هذا الخطاب المفتوح وان كان يعيب على عبد الرحمن فضل بعض ما فيه من حدة قائلا « ان العرائض التى يتقدمها الى دولة رئيس الوزراء يجب أن تكون خالية من الملاحظات الفلسفية »(١) .

وتحت ضغط الرأى العام أعلن البوليس أن حل المشكلة يتطلب الغاء المرسوم الصادر فى ١٩٣١ بشأن تجريد بعض المصريين من الجنسية المصرية . وانه حتى يلغى هذا المرسوم فان البوليس سيكتفى « بمعرفة مقره الى أن تحل مسألته حلا قانونيا »(٢) .

وفى نفس الوقت « كان الدكتور سيد صبرى أستاذ القانون الدستورى والأستاذ زكى عريبى المحامى قد رفعا دعوى باسمى أمام القضاء ضد وزارة الداخلية ..

وقد ألقى الدكتور سيد صبرى أكثر من ثمانى محاضرات عن مسألتى – من الناحية الدستورية – ونشر بعض هذه المحاضرات فى كتب القانون ، واتخذها موضوعا من الموضوعات التى يدرسها لطلاب الحقوق .. »(٣) .

وأخيرا .. وبعد أن تأكد عبد الرحمن فضل أن أعداءه أعجز من أن يبعدوه مرة أخرى عن مصر .. وان قوى واسعة قد التفت حوله لتساندة وتحميه أعلن أنه سيسلم نفسه ولكن ليس للبوليس .. وانما لرئيس مجلس النواب « باعتبار أن مسالته مسألة دستورية ولا علاقة لها بالقانون الجنائى » .

وكان عبد الرحمن فضل قد اتصل بالاستاذ فريد جرجس عضو مجلس النواب عن دائرة العطارين حيث كان يقيم وبحث معه هذا الأمر ..

ووزع عبد الرحمن فضل من مكمنه على الصحف كتابا مفتوحا الى رئيس مجلس النواب جاء فيه « .. انى التجىء اليوم الى مجلس النواب بصفته أكبر هيئة تشريعية فى مصر وأعضاؤه هم ممثلو الأمة وانى أعتقد بأن النواب الكرام الذين أخذوا على عاتقهم الدفاع عن مصالح الامة والحرية الفردية هم القادرون على حل مشكلتى .. وانى أعلن اليوم على صفحات الجرائد العربية والافرنجية انى فى حماية البرلمان ونوابه ، وكل ما أعتقد

---

١ – الأهرام ٤ – ١ – ١٩٣٧ .
٢ – الأهرام ٢٠ – ١ ١٩٣٧ .
٣ – المصور – المرجع السابق .

فيه واعتمد عليه فى حل مشكلتى . هو عدالة البرلمان وشهامة نوابه وصراحة دستور البلاد الذى لا يتفق مع وجود بعض نصوص قانون الجنسية الشاذ الذى بموجبه تسلب حقوق الانسان الطبيعية »(١) .

كذلك وجه عبد الرحمن فضل نداء الى الرأى العام قال فيه : « لا يمكننى أن أتحدث لكم خدماتكم فى الدفاع عن الحق وخدمة الانسانية فى مشكلتى الشاذة .. ان السلطة التنفيذية عاجزة عن حل هذه المعضلة لانها معضلة قانونية ودستورية فلذلك التجىء الى البرلمان فى هذا الظرف العصيب بصفته أكبر هيئة تشريعية فى البلاد أى الهيئة القادرة على أن تسن القوانين التى تتفق مع روح العصر .

.. كما انى على ثقة من أن البرلمان الذى يمثل الامة المصرية ونوابه الذين أخذوا على عاتقهم حماية الدستور وحرية الافراد قادرون على حماية كل فرد من أفراد الامة يلتجىء الى البرلمان والى شهامة نوابه .

ولقد عزمت بعد كتابة هذه السطور أن أقدم نفسى لمجلس النواب معتمدا على عدالته وللعدالة أن تفعل بى ما تشاء »(٢) .

ورضخ الرجعيون .. واستسلموا أمام اصرار عبد الرحمن فضل وأمام غضبة الرأى العام وسمحوا له بالاقامة فى مصر ..

لكن هذا لم يكن الانتصار الوحيد له ولرفاقه ، فان المشكلة التى فجروها والتى استطاعوا أن يحشدوا حولها أوساطا واسعة من رجال القانون والنواب والصحفيين وجمهرة الرأى العام كان لا بد لها من تحقق نتيجة ايجابية .. وكان لا بد لقانون الجنسية أن يسقط وسقط فعلا ..

فلم يمض سوى أقل من شهر حتى نشرت جريدة المصرى « علمنا أن ولاة الأمور بوزارة الداخلية أتموا تعديل قانون الجنسية لا سيما المادة ١٣ منه الخاصة باسقاط الجنسية وسيرفع القانون بعد تعديله الى صاحب المقام الرفيع وزير الداخلية للاطلاع عليه قبل احالته الى اللجنة التشريعية لمراجعته من جهة الصيغة القانونية ليمكن عرضه على البرلمان فى دورته الحالية »(٣) .

وبعد يومين ينشر المصرى المبادىء الاساسية لتعديل المادة ١٣ فيقول « أريد بالتعديل الجديد فى هذه المادة العمل على توسيع نطاق المادة

---

١ ـ الأهرام ٢٥ ـ ١ ـ ١٩٣٧ .
٢ ـ البلاغ ـ ٢٥ ـ ١ ـ ١٩٣٧ .
٣ ـ المصرى ٢٣ ـ ١٢ ـ ١٩٣٧ .

١٥٠ من قانون العقوبات حتى تشمل معاقبة الاشخاص الذين يشتغلون فى الخارج بالشيوعية والدعوة الى نظم تغاير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية عند عودتهم الى مصر ٠

ونص على أن اشتغال المصريين بهذه الاعمال فى الخارج يعرضهم للعقوبة المقررة ولو لم تكن قوانين البلاد التى قاموا فيها بهذه الاعمال تعاقب عليها ٠٠ »

وتمضى جريدة المصرى قائلة « ٠٠ والنتيجة البارزة لهذا التعديل هى جعل جريمة الاشتغال بالشيوعية فى مستوى الجرائم الاخرى من حيث تعرض مرتكبها للعقوبة المقررة من غير حرمان من جنسيتهم وبذلك لا تتكرر حادثة تشابه حادثة عبد الرحمن فضل مرة أخرى »(١) ٠

ولا شك أنه من حق عبد الرحمن فضل ورفاقه أن يعتبروا أنفسهم أصحاب هذا الانتصار ٠

لكنه ليس من حقنا أن ننتقل الى حديث آخر دون أن نشير الى دلالة كل ما سردناه من أحداث ٠٠

ذلك أن تنظيم هذه الحملة الذكية على صفحات كل الجرائد المصرية ٠٠ وكل هذه الاتصالات برجال القانون وبالمحامين ، والصحفيين وأعضاء البرلمان الخ ٠٠

كما أن ترتيب عملية الهرب والتسلل الى داخل البلاد ٠٠ ثم تهيئة مخبأ أمين لعبد الرحمن فضل يظل فيه لفترة طويلة بعيدا عن متناول يد البوليس وان كان قد ظل طوال هذه الفترة على علاقة وثيقة بالجماهير وبالرأى العام يوجه اليه نداءاته ٠٠ ويقابل عديدا من الشخصيات ٠٠

كل ذلك يوحى بوجود قوى منظمة بل ودقيقة التنظيم وذات قدرة عالية على الحركة خلف هذا الانتصار العظيم ٠٠

انها قوى هؤلاء الرجال الذين واصلوا فى دأب واصرار غريبين نفس المسيرة الشجاعة ٠٠ منذ العشرينيات حتى مطلع الاربعينيات ٠

---

١ ـ المصرى ٢٥ ـ ١٢ ـ ١٩٣٧ ٠

تهادنت قيادة الوفد .. فتحالف المستضعفون

عندما تأسس الحزب الاشتراكي المصرى فى أغسطس ١٩٢١ سعى منذ اليوم الأول لميلاده لايجاد نوع من التحالف بينه وبين حزب الوفد على أساس وحدة النضال المشترك ضد الاستعمار ..

بل وربما بالغ الحزب فى تقديره للدور الوطنى لقيادة الوفد ففى ١٤ ديسمبر ١٩٢١ أصدر الحزب « بيانا الى الأمة » أعلن فيه اغتباطه بانقطاع المفاوضات ، وحدد الحزب فى هذا البيان برنامجا من ثلاث نقاط لتوحيد النضال الوطنى ضد الاستعمار ..

١ – تضامن الصحافة على ترك مسائل الشقاق ، والاقتصار على ما فيه خير البلاد .

٢ – توحيد السياسة الوطنية بأن لا يقبل مصرى تأليف وزارة تعمل بأى شكل تحت هيمنة مشروع كيرزن .

٣ – الاتفاق على تعيين خطة الجهاد الوطنى المشروع تحت لواء وكيل الأمة وزعيمها المخلص الأمين سعد باشا زغلول »(١) .

ولقد كان هذا الموقف المتساهل محل انتقاد من جانب الحركة الشيوعية العالمية التى حددت موقفها من خلال مقال هام نشره م.ن. روى فى النشرة الرسمية للكومنترن بعنوان « الانقلاب السياسى فى مصر » جاء فيه :

« .. وهنا جاء دور سعد زغلول ليظهر على مسرح السياسة فأراد أن يستخدم الوضع الثورى الحاد فى البلاد ليفرض على انجلترا مطالب الفئات التقدمية من ملاك الارض والزراع والبرجوازية الكبيرة ، وهى الفئات التى كان يمثلها والتى كانت مطالبها تفوق مطالب الاقطاعيين ا

---

١ – الأهرام – ١٤ ديسمبر ١٩٢١ .

* م.ن. روى – أحد مؤسسى الحزب الشيوعى الهندى ، وأحد العناصر التى لعبت دورا هاما فى الكومنترن ولقد كانت مناقشات روى مع لينين حول دور الحركة الوطنية فى المستعمرات ذات أهمية خاصة فى الادبيات الماركسية .

الرجعيين المتحالفين مع الملكية الفاسدة . لقد تكون الوفد المصرى بقصد المساومة مع الاستعمار البريطانى على استقلال مصر ، ولكى يضمن مساندة الشعب الثائر كان على الوفد أن يتبنى المطالب التى تمثل ثورة الشعب .. لكن الاتفاق الذي تم بين الوفد المصري بقيادة سعد زغلول وبين اللورد ملنر — وهو لا يختلف الا قليلا عن التبعية التى قبلها ائتلاف (عدلى — ثروت) — يثبت ان الوفد المصري لم يكن جادا في طرح تلك الشعارات فقد طرح هذه الشعارات فقط ضمانا للتأييد الشعبي » .

« ولكن الحكومة البريطانية ازعجتها هبة الجماهير الثورية لدرجة انها لم تدرك ان الصلة التى تربط بين قيادة الوفد والحركة الشعبية صلة مفتعلة . ولهذا اتخذت بعض الخطوات التي قوت تلك الصلة .. فرفضت السماح للوفد بالسفر الى انجلترا ، وهكذا صنع اغبياء الاستعمار من سعد زغلول بطلا شعبيا ، بينما هو لم يكن يهدف الا الى الوصول — ومن خلال المفاوضات — الى تسوية جزئية » .

ويمضى روى محددا موقفا قاطعا من قيادة الوفد فيقول « وتبين الاحداث السياسية الاخيرة ، سقوط التجمع الانتهازى ، وتؤكد ان التاريخ قد جرد برجوازية المستعمرات من أى دور ثوري حق ، والحقيقة ان عدم استعداد سعد زغلول لقيادة الكفاح الثورى عند عودته من لندن في سبتمبر عام ١٩٢١ يدل على ان حزب سعد زغلول قد استنفذ دوره الثورى . ولم يمض وقت طويل حتى كانت القوى الاجتماعية الثورية ترفض قيادته . فقد رفض عمال السكك الحديدية القيام باضراب عام دعا اليه سعد زغلول فى ديسمبر ١٩٢٠ . وكان هذا الرفض أول دليل على التباعد بين القوى البرجوازية وبين قوى الثورة الجماهيرية وهكذا وفى النهاية سقطت القوى البرجوازية فى احضان الاستعمار بعد ان حققت لنفسها طوال شهور حافلة نجاحا مثيرا .. وقد كان الكفاح الثورى التلقائى خلالها هو الذى يمنعها من ان تسقط هذا السقوط »(١) .

وكان لابد لمثل هذه الافكار ان تؤثر فى صفوف الحزب ، الذى كان فى ذلك الحين يسعى للانضمام الى الكومنترن . وكان ايضا قد طهر صفوفه من كثير من العناصر « المعتدلة » واليمينية . فما ان تولى سعد زغلول رئاسة الوزراء فى ٢٨ يناير ١٩٢٤ حتى وجه له الحزب خطابا مفتوحا يتضمن ما يسمى فى الادبيات السياسية « بالتاييد المشروط » فبدلا من المطالبة « بتعيين خطة الجهاد الوطنى المشروع تحت لواء وكيل الامة وزعيمها المخلص الامين سعد باشا زغلول » كما تضمن بيان الحزب الى الامة فى ديسمبر ١٩٢١ :

---

(١) International Press Correspondence 21/1/1923.

نجد أن الحزب يطالب الحكومة « بالاعتراف بنقابات العمال والفلاحين وبحقها فى الدفاع عن حقوق العمـــال والفلاحين الاقتصـــادية والاجتماعية والسياســـية » كذلك طالب الحكومة « بحل مشـــاكل العمال العاطلين .. وبالاعتراف بحكومة السوفييت اسوة بالامم المتمدينة »(١) .

وعلى اية حال فان سعدا لم يعط فرصة لا للتحالف المشروط ولا غير المشروط فقد استخدم كل قبضته ونفوذه فى توجيه ضربة الى الحزب .. وكان النجاح الاكبر للاحتلال وللرجعية المصرية هو استخدام سعد لاداء هذه المهمة غير النظيفـــــة .

ولم يقتصر الامر على قرار بالحل .. أو دفع كوادر الحزب الى السجون ، ولا على تعمد سعد لان يشرك قواعد حزبه فى المعركة ضد الحزب وان يبذل جهد طاقته فى هذا الصدد ..

فان ذلك لم يكن كل الخطأ الذى ارتكبه سعد زغلول ، ذلك انه نهج بالفعل نهجا معتدلا بل ومتهادنا فى اغلب الاحيان تجاه القضية الوطنية نفسها ..

وتماما كما تنبأ روى فى مقاله عام ١٩٢٣ سار سعد زغلول فى طريق الانفصال عن الجماهير الشعبية والتهادن مع الاحتلال .:

وحتى عندما تجاوز زيور كل حد وتجاهل الدستور وحل البرلمـان وفرض قانونا جديدا للانتخاب فقد اتخذ سعد موقف الاعتدال الشديد فى مهاجمته وتحالف مع عدلى والدستوريين فى محاولة لتسوية الخلاف عن طريق « حسن التفاهم » مع المندوب البريطانى ..

وتعلق جريدة الاخبار (الحزب الوطنى) على هذا الموقف قائلة « ويجب ان لا ننسى فى هذه الحالة ان رجال الاحزاب وان اظهروا تمسكهم بشرعية البرلمـان المنحل الا انهم كانوا متمسكين ايضا باهداب التروى والاعتدال طوال المحادثات المعلومة (المحادثات بين المندوب السامى وعدلى) املا منهم بأن الخلاف يسوى بينهم وبين المندوب البريطانى بالتى هى أحسن .. حتى اذا وجدوا ميلا جديا منه للتسوية شرعوا فى وضع اسسها متهاونين معه بقدر الاستطاعة »(٢) .

كذلك دعى فتح الله بركات بصفته رئيس النادى السعدى اعضاء مجلس الشيوخ الى حفل شاى بالنادى يوم ٨ فبراير ١٩٢٦ .. وصدر عن الاجتماع (٧٢ شيخا وأيدهم ٣ بالتلغراف) بيان ضعيف يلوم الحكومة على تصرفاتها —

---

١ — الاهرام ١٩—٢—١٩٢٤ . حيثيات الحكم الصادر عن محكمة جنايات الاسكندرية فى قضية الشيوعية .

٢ — الاخبار — ٧ يناير ١٩٢٦ .

.. وبدا الامر وكأنهم يخاطبون المندوب السامى وهم يختتمون بيانهم قائلين « ... وتفاديا من اشتداد الازمة وتفاقم الخطر رأينا أن نبادر بتقديم هذا النصح الخالص »(١) .

وتهاجم جريدة الحزب الوطنى (الاخبار) هذا الموقف قائلة « انهم يحملون راية التراجع والهزيمة »(٢)

وحتى عندما فاز حزب الوفد بالاغلبية الساحقة فى الانتخابات ، وضغط الانجليز لمنع زعيمه من تولى الوزارة رضخ سعد دون مقاومة تذكر واكتفى بتولى رئاسة مجلس النواب .

.. وفى هذه الاثناء وجهت الدعوة لسعد ليقابل المندوب السامى البريطانى وتمت المقابلة فى ٣٠ مايو . وتروى « الكشكول » بعضا من الحديث الذى تقول انه قد جرى بينهما .

ـ « سعد : كنت اتوقع أنك تخافنى ، ولكن ها انت مش خايف .

ـ لويد : ولماذا اخاف منك ؟

ـ سعد : ألست قاتلا ؟ الم تتهمونى بأنى قاتل ؟ ولكن قد برأتنى والحمد لله المحكمة وبرأت رجالى .

ـ لويد : كثيرا ما برأت المحاكم مجرمين ... (ثم قال لويد) ماذا نويت ان تكون نحو انجلترا ونحو الاجانب ؟ .

ـ سعد : فى نيتى ان اخطب خطبة طويلة أحث فيها الى مصادقة الاجانب « حتى » الانجليز .

ـ لويد : أظن أنك تريد أن تقول و « على الاخص » الانجليز ؟

ـ سعد : بل قصدت « حتى » الانجليز »(٣) .

وهكذا كان الفارق بين « على الاخص الانجليز » و « حتى الانجليز » هو بالضبط الفارق بين زيور وسعد زغلول .

لكن اليسار العالمى والمحلى لم يكن بحاجة لانتظار كل هذه الخطوات المتهادنة من سعد زغلول وقيادة حزب الوفد ، فثمة أحداث اخرى جذبت

---

١ ـ احمد شفيق باشا . حوليات مصر السياسية جـ ٣ . طبعة سبتمبر ١٩٢٩ ص ٥٣ .

٢ ـ الاخبار ـ ٩ فبراير ١٩٢٦ .

٣ ـ الكشكول ـ ١١ يونيو ١٩٢٦ .

الكومنترن واليسار العالمى ككل الى محور العداء لبرجوازية المستعمرات واشباه المستعمرات واتهامها بالارتماء فى احضان الاستعمار ، ولم تكن مواقف سعد زغلول سوى ادلة فرعية تؤكد صحة التحليل العام ..

فكان ستالين قد اكد « انه فى بلدان مثل مصر والصين حيث البرجوازية المحلية قد انقسمت فعلا الى حزب ثورى وحزب متهادن وحيث دعم الحزب المتهادن علاقاته الوثيقة بالامبريالية · فان الشيوعيين فى بلدان كهذه لا يمكنهم ان يرفعوا شعار الجبهة المتحدة ضد الامبريالية · بل تعين عليهم ان يعبروا مرحلة الجبهة الوطنية المتحدة الى مرحلة انتهاج سياسة الكتلة الثورية بين العمال والبرجوازية الصغيرة (الفلاحين »(١) ·

ثم جاء المؤتمر السادس للكومنترن ليكرس هذه السياسة ويجعل منها منهجا عاما للحركة الشيوعية العالمية ..

والحقيقة ان هذا الموقف كان يمثل فى الاساس رد فعل لخيانة شان كاى شيك لقضية الجبهة الوطنية فى الصين ، ولقد اثرت خيانة كاى شيك للقضية الوطنية على تفكير الدولية الثالثة ككل ·

وقد عقد المؤتمر السادس للكومنترن فى اطار التأثر بهذه التجربة · وعقد المؤتمر ١٢ جلسة هامة لمناقشة قضية المستعمرات والموقف فى الصين · وخيانة شان كاى شيك ··· ثم صدرت احكام معممة على كل الاحزاب وعوجمت البرجوازيات المحلية عموما · وانعكس ذلك على مصر واندونيسيا واعتبر الوفد قوة معادية للثورة وكان هذا خطأ فادحا · وكان الخطأ الآخر انه تحت شعار الهجوم على البرجوازية امتد الهجوم الى اجزاء من البرجوازية الصغيرة »(٢) ·

ويقول والتر لاكور ان فازليف قد تحدث فى المؤتمر السادس للكومنترن

---

١ ــ والتر لاكور · الاتحاد السوفييتى والشرق الاوسط ــ ترجمة المكتب التجارى ببيروت · طبعة اغسطس ١٩٥٩ ص ٣٨ نقلا عن ستالين · مجموعة الاعمال · الجزء السابع ــ الواجبات السياسية لجامعة شعوب الشرق ·

٢ ــ هانز بياشر ــ تقرير بالالمانية حول الدور التاريخى للكومنترن ــ قدم للندوة العالمية التى عقدت فى موسكو بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الكومنترن ·

قائلا: « ان حزب الوفد هو أعدى أعداء العمال والفلاحين ، والشيوعيون مدعوون لان يوجهوا اليه حربا مميتة »(١) .

وعلى اية حال فان دراسة القرارات والوثائق الخاصة بالمؤتمر السادس للكومنترن توحى بان هذا الاتجاه المناهض تماما للبرجوازية كان سائدا بالفعل . وفيما يتعلق بواجبات الحزب الشيوعى المصرى تنص قرارات المؤتمر على ما يلى « ان الحزب الشيوعى المصرى يلعب دورا هاما فى حركة التحرر الوطنى ويعتمد فى تنظيمه على البروليتاريا . والنقابات التى تضم العمال المصريين هى مصدر الطلائع والقيادات . ان الحزب الشيوعى المصرى يرى ان واجبه الرئيسى دعم النقابات لكن هناك خطر خضوع النقابات للبرجوازية ويتعين على الحزب ايجاد علاقات وثيقة بالعمال الزراعيين ومحاولة تنظيمهم .. وعلى أساس النواقص فى هذين الميدانين بالذات كان الضعف الذى يعانى منه الحزب الشيوعى المصرى »(٢) .

ان تحديد مثل هذه الواجبات القاطعة فى بلد شبه مستعمر كمصر دون ذكر ولو باشارة عابرة الى ضرورة السعى لتأسيس جبهة وطنية مناهضة للاستعمار يمكنه أن يوضح طبيعة هذا الخط المنعزل ..

لكننا لا يمكننا ان نسوق اللوم كله الى قرارات المؤتمر السادس فان قيادة الوفد كانت قد اتخذت بالفعل موقفا متهادنا مع المستعمر ، وقد استخدمت كل نفوذها ـ عندما كانت فى السلطة ـ ضد الحزب ، واستمرت فى حملة العداء ضده حتى وهى خارج الحكم .

ومن هنا كان موقف الحزب الشيوعى المصرى الذى سعى فى البداية الى تكوين « جبهة من العمال والفلاحين » متجاهلا البرجوازية الوطنية سواء تلك المتواجدة فى صفوف الوفد أو فى التجمعات الحزبية الاخرى .

وفى الانتخابات التى أجراها زيور باشا أسس الشيوعيون « لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين » وقد ضمنت اللجنة بيانها الاول برنامجا يتضمن واحدا وعشرين مطلبا ودعت مرشحى العمال ـ وكان عددهم ١٢ مرشحا ـ

---

١ ـ والتر لاكوز ـ الاتحاد السوفييتى والشرق الاوسط ـ المرجع السابق ص ١٠٢ . (وقد اورد الياس مرقص ـ تاريخ الأحزاب الشيوعية فى الوطن العربى . القسم الاول ـ الطبعة الاولى ـ ١٩٦٤ ـ نفس هذا النص فى ص ٦٦ دون ان يشير الى مصدره والأرجح انه نقله عن لاكوز) .

٢ ـ بروتوكول المؤتمر السادس للكومنترن ـ الطبعة الالمانية ، الجزء الرابع ص ١٩٥ .

الى تبنى هذا البرنامج وناشدت العمال والفلاحين «الا يعطوا أصواتهم لاى شخص لا يقبل هذا البرنامج »(١) .

كذلك هاجمت مجلة الحساب قيادة الحزب الوفد واتهمتها بالتهادن مع الاستعمار وقد جاء في احدى مقالاتها «ان زعماء الحركة الوطنية انفسهم لم يحسنوا التصرف عندما هبت هذه الامة النشيطة مطالبة بحقوقها مدافعة عن استقلالها وحريتها فهم اغتنموا فرصة نهوضها ليضعوا انفسهم في مقدمة الصفوف وعلى رأس القيادة ولكن اين الخطط التى وضعوها لاستمرار الجهاد والتقدم شيئا فشيئا فى سبيل الغاية القصوى وهى الاستقلال التام ؟ واين هى المطالب المحددة تحديدا دقيقا والتى دعوا الشعب الى التمسك بها وجعلها ميثاقا وطنيا وعهدا مقدسا ؟ بل أين ما وعدوا به الفلاح الذى حمل عبء النهضة المصرية على كتفيه القويتين وأين وعودهم للعامل الذى قذف بنفسه فى اتون ثورة ١٩١٩ فالتهمته نيرانها ؟ .. لم يفعلوا شيئا من ذلك » .

ثم تمضى مجلة الحساب قائلة «ولولا جبن الوفد المصرى وخوفه ، ولولا معرفة الانجليز بجبنه وخوفه لما تجاسروا قط بل لما فكروا قط بامتهان حقوق مصر بعدما وجفوا من عملها المدمر عام ١٩١٩ . ولما اقدموا على ما اقدموا عليه من الاستهتار بالامة هذا الاستهتار الذى نعانى مرارته حتى الآن »(٢) .

على ان الحزب – برغم ذلك كله – لم يسقط الوفد من حسابه تماما ، بل حاول ان يقيم نوعا من العلاقة مع القواعد الثورية لحزب الوفد .

ولقد كان الحزب يمتلك فرصا عديدة لذلك .

فهناك فى صفوف قادته ولجنته المركزية على وجه التحديد عناصر مثل رفيق جبور المحرر فى جريدة النظام الوفدية والذى ظل لفترة طويلة معدودا – فى نظر الكثيرين – كواحد من الوفديين المرموقين .

كذلك فان الشيوعيين الذين ارسلهم سعد زغلول الى السجن سرعان ما التقوا داخله بالشباب الوفدى الذى ساقته حكومة زيور الى هناك بتهم شتى أخطرها المشاركة فى حملة الاغتيالات السياسية . وثمة روايات حول علاقات عديد من سجناء الوفد فى هذه الفترة بزملائهم فى السجن من الشيوعيين ، وقد ركزت الروايات حول شخصيات هامة مثل النقراشى وأحمد ماهر .

---

١ – راجع النص الكامل للبرنامج فى الملاحق .

٢ – مجلة الحساب – ٨ مايو ١٩٢٥ – مقال تاسيس حزب للطبقة العاملة من عمال وفلاحين . (وقد نشرت بعض هذه المقالات فى – عبد المنعم الغزالى – المرجع السابق ص ٩٧ وما بعدها) .

وعلى اية حال فان هذه المحاولة المتواضعة قد لقيت تحديا وهجوما عنيفا من سلطات الاحتلال ومن الرجعية المصرية ·· فنشرت المورننج بوست الانجليزية مقالا لمراسلها فى القاهرة يقول « والظاهرة انه توجد روابط بين مساعى البلاشفة وحملة القتل الموجهة ضد البريطانيين · وبين المقبوض عليهم اثنان من محررى الصحف الوفدية »(١) ·

وقالت الديلى تلغراف « وأعظم ما يلفت الانظار فيما اكتشفه البوليس ، هو ما يدل على العلاقة الوثيقة بين دسائس البلاشفة وحملة القتل ، وعلاقتهم أيضا بالوفد لانه يوجد بين المقبوض عليهم طاهر أفندى العربى المحرر بجريدة كوكب الشرق ورفيق أفندى جبور المحرر بجريدة النظام وهى من الصحف الوفدية أيضا · والمعروف فوق ما تقدم أن شقيق أولاد عنايات الذى لا يزال فى برلين طالبا على اتصال دائم بمندوب السوفييت هناك»(٢) ·

والحقيقة ان قصة شقيق اولاد عنايات هذه قد استخدمت فى محاولة واضحة للتحريض ضد الشيوعيين ومحاولة الايهام بضلوعهم فى عمليات الارهاب ··

« فقد جاء فى مرافعة النيابة ضد عبدالفتاح وعبد الحميد عنايت فى قضية السردار ان اخا لهما هو عبد الخالق عنايت قد سافر الى اوربا فى عام ١٩٢٣ بحجة تلقى دراسة الطب ·· وقد وصل الى النائب العام من ادارة الامن العام تقريرا وصل الى هذه الادارة من برلين مذكور فيه « عاد عبد الخالق عنايت فى أواخر شهر يناير ١٩٢٥ ومنذ عودته اليها زار عدة مدن ألمانية من غير ان يكون عليه اية رقابة ، وهو الآن متغيب عن برلين ولو انه من المنتظر عودته اليها قريبا · وفى عزمه التوجه الى استكهولم لحضور مؤتمر الطلبة الشرقيين ، وكذلك التوجه الى موسكو اما فى شهر مايو أو يونيو ·· وهو على اتصال بالمصريين فى الحزب الوطنى المتطرف ·· وهو كثير الزيارة لسفارة حكومة السوفييت ويصله بواسطتها نقود ، وقيل ان جماعة الشيوعية الدولية تنظر اليه بعين الريبة كوطنى وكأحد دعاة الجامعة الاسلامية شديدى التحمس ، وهو على اتم وفاق مع جرونشتين ولينتسكى وهو متعلم تعليما حسنا الا انه شديد الكراهية للبريطانيين والاوربيين »(٣) ·

بل ان سعد زغلول نفسه ما لبث أن اتهم بتحبيذ الشيوعية ، الامر

---

١ ــ الاهرام ٣ــ٦ــ١٩٢٥ ·
٢ ــ الاهرام ١ــ٨ــ١٩٢٥ ·
٣ ــ د· محمود متولى ــ مصر وقضايا الاغتيالات السياسية ــ كتاب الحرية ــ نوفمبر ١٩٨٥ (القاهرة) ــ ص ١٤١ ·

الذى دفع زغلول الى ان يذكر متهميه « بان وزارة الشعب كانت عنيفــة على الشيوعيين ، وانها أرسلت الكثيرين منهم الى القضاء »(١) ٠

كذلك فان الشباب المتحمس فى حزب الوفد ، وخاصة امثال النقراشى واحمد ماهر ما لبثوا هم ايضا ان انجرفوا بعيدا فى السياسة البرجوازية باحثين لانفسهم عن طريق خاص قادهم الى اعلى مناصب السلطة ٠

وبرغم الاقاصيص التى حيكت حول علاقة الوفد بالحزب الشيوعى فى ذلك الحين ٠ وكلها مرتبطة باسمين محددين احدهما رفيق جبور والآخر طاهر العربى ٠٠ فان الحقيقة هى ان كلا الشخصين لم يكن وفديا فرفيق جبور كان يساريا قديما وأحد قادة التجمعات اللبنانية فى مصر « جمعية لبنان الفتى » وكان عضوا بالحزب الشيوعى منذ فترة طويلة رغم انه عمل محررا فى مجلة النظام ذات الميول الوفدية ٠ ورغم انه كان على علاقة وثيقة بالوفد ٠

أما طاهر العربى (٢) فلم يكن وفـديا على الاطلاق فقد قبض عليه فى عام ١٩١٢ بتهمة تدبير محاولة لاغتيال كتشنر حيث بقى اثنى عشر عاما بالسجن ٠ وكان عند القبض عليه عضوا فى الحزب الوطنى وكان تدبير محاولة الاغتيال يجرى باشراف ودعم من بعض قادة الحزب الوطنى ٠

وبعد ان افرج عنه وحصل على مبلغ ٢٢٣ قرشا أجرا لعمله فى السجون طوال الفترة التى قضاها فيها قرر ان يتبرع بها للحزب الوطنى فوجه رسالة الى جريدة اللواء يقول فيها :

« ٠٠ وحيث أن هذا المبلغ على ضآلته له فى نفسى من القداسة والتكريم ما يجعلنى أضن به أن يصرف فى غير وجه الوطن والجهاد فى سبيل تحريره ٠

وحيث انى لا اعترف ولا اعرف ـ الى هذا الوقت على الاقل ـ غير الحزب الوطنى حينة حملة لواء الجهاد من فجر النهضة الوطنية الى اليوم ٠

لهذا كتبت الى المحافظة ارجو ارسال هذا المبلغ تحويلا الى خزينة الحزب الوطنى واكتب هذا الى عزتكم راجيا ان تتفضلوا بقبوله هدية من مجاهد قديم الى حزب المجاهدين الاوفياء »(٣) ٠

---

١ ـ الاخبار ٢٩ـ٨ـ١٩٣٦ نقلا عن مذكرات سعد زغلول عن يوم ٤ـ٦ـ١٩٢٥ ٠

٢ ـ اورد عبد العظيم محمد رمضان ـ تطور الحركة الوطنية فى مصر ـ اسمه اكثر من مرة على انه طاهر العرابى ص ٥٥٢ والاسم الصحيح محمود طاهر العربى ٠

٣ ـ اللواء ١٤ـ١٠ـ١٩٢٣ ٠

وقد عمل العربى بعد ذلك لفترة محررا بجريدة اللواء ..

وثمة واقعة اخرى يرويها العربى نفسه تؤكد انه لم يكن وفديا وأن الوفد لم يكن يعتبره وفديا .. فشفيق منصور يوجه دعوة الى المسجونين السياسيين لقابلة سعد زغلول عندما كان رئيسا للوزراء لبحث حالتهم وتدبير اعمال لهم . ويذهب طاهر العربى مع الذاهبين لكن زغلول يشطب اسمه بالقلم الاحمر قائلا لشفيق منصور « ده مش بتاعنا . لما نشوف بتوعنا نبقى نبحث عن غيرهم »(١)

وليس ممكنا بعد ذلك ان نتصور أن العربى كان وفديا . لكنه عمل ضمن تنقلاته العديدة من عمل الى آخر محررا فى كوكب الشرق الوفدية .. وقد قبض عليه عام ١٩٢٥ متهما بالشيوعية وهو يعمل بها .

بل ان طاهر العربى نفسه ما لبث تحت وطأة الحاجة لتملق السلطة أن اعترف كتابة بأنه فى علاقته مع الحزب الشيوعى فى ذلك الحين كان مجرد جاسوس لجهاز الامن . فقد وجه رسالة الى على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى فى ٣١ مايو ١٩٣٩ اعترف فيها بما يلى :

.. فى مايو ١٩٢٥ صادفت رجلا شيوعيا خطرا جدا يدعى قسطنطين فايس هو رئيس الدولية الثالثة فى الشرق وكان محكوما عليه بالاعدام فى ايطاليا باسم افيجدوز .. وكان البحث جار عنه فى انحاء مصر حيث دخل اليها بجواز مزور . قابلته ولم اكن اعلم شيئا عن حقيقة امره بل قادنى اليه زميل صحفى اسمه رفيق جبور وعرفنى بانه صحفى انجليزى يدرس شئون العمال فى مصر . وكان الرجل يجيد عدة لغات وسرعان ما توثقت بيننا عرى الصداقة ، وتبادلنا شتى الاحاديث . وشممت رائحة كريهة لم آلفها من قبل اذا لم اكن سمعت أو قرأت شيئا عن الشيوعية قبل ذلك وكنت حديث العهد بمغادرة السجن ، سمعته يتحدث بكل سوء عن الملكية والرأسمالية ... وقابلت صديقا ضابطا بوزارة الداخلية هو كمال افندى حشيش . وتحدثت عن هذا الاجنبى الصحفى الذى يدرس شئون العمال ، ولم اكن عرفت عنه شيئا من الناحية الشيوعية . وكانت صورته معى اهداها الى فاطلعت الضابط عليها ، وما كدت افعل حتى انتفض كمن مسته الكهرباء ـ وقبلنى فى وجنتى وكاد يرقص من شدة الفرح وفى اليوم التالى زارنى فى منزلى واستدعانى لمقابلة سعادة التيتى باشا مدير الامن العام وكان معه كامل بك الرحمانى .. فاخذا يقنعانى بالعمل معهما فى مكافحة الشيوعية .. ولم تمض بضعة شهور حتى كنت موضع سر هذا الزعيم الشيوعى وعرفت كل شىء عن هذه العصابة

---

١ ـ محمود طاهر العربى ـ هذا المجتمع الظالم ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة دار المستقبل ص ١٧٩ .

الخطيرة الكبيرة الدولية» وفى ساعة مبكرة من الصباح قبض البوليس فى انحاء مصر على اكثر من ثلاثين شيوعى مصريين واجانب .. وقبض على ايضا بينهم ، ودخلت السجن وبقيت فيه شهرين كاملين ، ثم مثلت امام المحكمة وشهدت عليهم .. ولم انل أى جزاء مادي ولا ادبى »(١) .

وعلى اية حال فان من الواضح ان قصة علاقة الوفد بالحزب الشيوعي فى ذلك الحين كانت قصة ملفقة لفقها المستعمرون والاحزاب الرجعية كسبيل لضرب حزب الوفد نفســـه .

وهكذا فان جنوح قيادة حزب الوفد نحو التهـــادن مع الاستعمار ، ورفضه أى منهج ثورى أو حتى وطنى حق فى مواجهة الانجليز قد اجبر الحزب الشيوعى على السير فى الطريق الوعر طريق معاداة الوفد .. معرضا نفســـه لعزلة شديدة .. كذلك لم يدع امامه اية فرصة للخيار فى التحالف فلم يبق امامه سوى « الحزب الوطنى » .. فكان تحالف المستضعفين .

وكان م . ن روى قــد وصف فى مقــاله « الانقــلاب السياسى فى مصر »(٢) اعضــاء الحزب الوطنى بانهم « متطرفى البرجوازية الصغيرة الثرثارين » .

وقال عنه ايضا « ان تكوينه الاجتماعى ـ بعد اعادة تنظيمه واستعانته شبابه قد اتجه ناحية التجار الصغار والمثقفين المطحونين والحرفيين المستقلين وفقراء الفلاحين والبروليتاريا .. لكنه لم يكن يضم من هؤلاء واولئك الا النذر اليســـير » .

ولقد رأينا كيف استخدم الحزب الوطنى كل قوته فى الهجـــوم على سياسة الاعتدال والتهادن لكنه قد عجز بالفعل عن ان يرفع شعارات محددة ذات قدرة فعلية على تعبئــة الجماهير فظل اسيرا لمعارضة جوفاء لم تستطع ان تثمر شيئا جادا .

ولقد كان حجم الحزب الوطنى اقل بكثير من شعاراته الطنانة الامر الذى جعل من هذه الشعارات ـ التى كانت مجرد تشدد لفظى لا يصاحبه أى موقف نضالى ـ مثارا لسخرية الكثيرين وخاصة الصحف الوفدية .

وفى مقال افتتاحى نشرته روزا اليوسف يمكننا ان نطالع نماذج من السخرية مثل « للحزب الوطنى ان يطيل النظر ما شاء فى مرآته المســـحورة وان يرى هناك جسمه (الفوزعة) عملاقا طويلا يقف على باب البلد موقف

---

١ ـ دار الوثائق المصرية ـ محفظة ٤ داخلية عربى ـ ملف ٦ ـ وثيقة اصلية بخط محمود طاهر العربى عبارة عن خطاب موجه الى على ماهر باشـا رئيس الديوان الملكى .

(2) International Press Correspondance ..

الميدان ليخفر حقوقها وكرامتها ودستورها بالفاس والنبوت ... وله علينا ما دام يترح العين في موقفه هذا وان لم نتقدم فتحيه أو نؤخره الا نعكر عليه من خياله هذا بأكثر من ابتسامة السخرية من مجهوده الهزيل ...

.. طاب نومكم يا رجال الحزب الوطني ... وغطوا انفسكم جيدا بالبرد يحرسكم الله ـ قاتل في هذه الايام»(١)

وعلى اية حال فما لبث قادة الحزب الوطني ـ عندما اشتدت الازمة في عام ١٩٢٨ ـ ان غادروا مصر واحدا بعد الاخر ... ولم يبق سوى عبد الحميد سعيد الذي رسمت روزا اليوسف صورته على الغلاف وهو مرتبك يلاحظ ويصيح « فكرى اباظة هرب وحافظ رمضان هرب الى روما ... وانا يعنى الى اقعد وحدي هنا ؟ »(٢)

على هذا الضوء يمكننا ان نقدر قيمة التحالف الذى نشا بين اليسار والحزب الوطني والذي تمثل في دعوة الحزب وزعيمه حافظ رمضان بالتحديد للمشاركة في « عصبة النضال ضد الامبريالية » والاتصالات التى قام بهـا ممثلو العصبة مع عبد الحميد سعيد والشيخ ابو العيون وغيرهم ، لقد كان تحالفا مع حفنة معزولة لا اثر جماهيري لها ..

وتاتى مشارف الثلاثينات بما حملته من أحداث ومن محاولات الاقطاعيين وكبار الراسماليين لفرض حكم ديكتاتورى على مصر وكان من المفروض ان يؤدى قيام مثل هذا الحكم الديكتاتوري والمناهض للدستور الى بعض التغيير في مواقف الحزب الشيوعي تجاه الاحزاب الاخرى ، والى مزيد من الوضوح تجاه دور حزب الوفد والحزب الوطني لتطرح من جديد امكانية قيام تحالف وطني واسع .

فعندما وصل محمد محمود الى السلطة وفرض حكم « القبضة الحديدية » وعندما جاء صدقى ليلغى دستور ١٩٢٣ واقام حكما ارهابيا مستبدا كان من المفترض ان يلجأ حزب الوفد الى الجماهير وان يقوم تبعا لذلك تحالف وطني ديمقراطي يضم كل القوى المطالبة بالدستور واحترام ارادة الشعب .

لكن الثوريين المصريين فوجئوا بان حزب الوفد يلعب دوره على المسرح من أجل متفرج واحد هو المندوب السامى البريطاني لورد لويد .. فقد

---

١ ـ روزا اليوسف ـ ٢ يوليو ١٩٢٨ .
(٢) ـ روزا اليوسف ـ المرجع السابق .

كان كل من محمد محمود والنحاس باشا يحاول أن يقنع المندوب السامى بان حكم مصر ممكن فقط بواسطته هو شخصيا »(١) .

واكتشفوا أيضا « ان الوفد فى صراعه ضد الحكومة الحالية يرفع شعارا سياسيا محددا هو عودة الدستور ، لكن الوفد لم يكن يضع فى اعتباره قوى الجماهير المصرية ونضالها ضد الدكتاتورية الحالية وانما كان يعلق كل آماله على انتصار حزب العمال الانجليزى » .

بل ان الوفد قد حاول أيضا أن يلعب على الخلافات فى وجهات النظر داخل الوزارة البريطانية ذاتها ، وعقب انقلاب ١٩ يوليو افتتح الوفد فى لندن مكتبا سياسيا خاصا (حتى ديسمبر ١٩٢٨) برئاسة وليم مكرم عبيد . ولنفس الغرض ايضا أصدر الوفد جريدة فى لندن باللغة الانجليزية تسمى « مصر » .

كذلك فان سياسيى حزب الوفد عندما كانوا يهتمون بالجماهير فانما كانوا يفعلون ذلك لمجرد تحقيق أهداف الحزب ، وبشرط أساسى هو الا تتمكن الجماهير من تحقيق أى دور ايجابى فى التأثير على أعمال الوفد أو دوره .

ان رئيس حزب الوفد النحاس باشا قد ركز فى خطابه الذى القاه فى القاهرة بمناسبة مرور عشرة أعوام على تأسيس حزب الوفد على إصرار الحزب على عدم فتح الباب أمام الصراع الطبقى الذى وصفه بأنه « يقود الشعب إلى الهاوية والهلاك »(٢) .

وهكذا فان تطورات الاحداث ، والمواقف المتعاقبة التى اتخذها حزب الوفد تجاه الجماهير قد اقتادت الحزب الشيوعى الى موقف بعيد تماما عن فكرة التحالف معه . ومرة أخرى تتساقط فكرة اقامة تحالف وطنى يضم القوى المطالبة بالدستور واحترام القانون وحريات الشعب .

أما « الحزب الوطنى » فقد كشف هو ايضا عن ضعف وتخاذل شديدين ، وما لبث الحزب الشيوعى أن أخضعه هو أيضا لمحاولات تحليل صارمة استندت فى كثير من الاحيان الى التصرفات الفعلية التى صدرت عن قادة هذا الحزب .

وكما اتهمت الصحافة الوفدية الحزب الوطنى بأنه حزب « ثرثار » فان

---

١ — « ريفولوسيونى فوستوك » (الشرق الثورى) — مقال بعنوان « بلا مخرج » — رسالة من مصر — بقلم أ. الجبالى — مؤرخة فى نوفمبر ١٩٢٧ العدد ١ — ٢ عام ١٩٣٢ الطبعة الروسية (راجع النص الكامل بالملاحق) .

٢ — « ريفولوسيونى فوستوك » — مقال « مصر بعد الانقلاب » بقلم أ. شامى — المرجع السابق ص ٢٨٤ .

عدة سنوات من التحالف المفترض معه قد كشفت للحزب الشيوعي صدق هذا الوصف » (٢).

وما لبث الشيوعيون أن وصفوه في مقالاتهم بأنه « الحزب الذي يثرثر كثيرا » بل وصفوا قبوله للتحالف معهم بأنه مجرد استعراض مظهري وقالوا « لقد أقام قادة الحزب الوطني تحت ضغط العناصر الراديكالية في البرجوازية الصغيرة باستعراضات ثورية في مظهرها فشاركوا في تكوين فرع « عصبة النضال ضد الإمبريالية » لكن مثل هذه الاستعراضات المظهرية لم تغير ولو لأدنى درجة الخط السياسي للحزب »(١)

والآن فانه لم يعد أمام الحزب الشيوعي إلا أن يحاول استخلاص بعض الدروس من المواقف التي اتخذتها أحزاب البرجوازية المصرية المختلفة.

.. ويمضى أ. الجبالي محاولا أن يستخلص هذه الدروس فيقول :

« لقد مثل قادة الحزب الوطني لعدة سنوات دور حماة الجماهير الكادحة وحاولت البرجوازية الصغيرة الراديكالية أن تقنع الجماهير بأنها لم تبتعد عن خشبة المسرح . لكن الصراع الدائر وسط صفوف أعضاء الحزب الوطني لم يكشف فقط عن مدى الضعف السياسي لقادة الحزب وانما كشف أيضا عن ضرورة البحث عن « مسارات » جديدة لحركة التحرر الوطني ».

فما هي هذه « المسارات الجديدة » التي يدعو إليها الحزب في مجال « التحالف الوطني » يقول الجبالي « وكلما تم الإسراع « بتفجير » الحزب الوطني من الداخل كلما وجدت العناصر الشريفة داخل هذا الحزب - بسرعة أكبر - طريقها للسعي نحو تأسيس « الجبهة الثورية الوطنية الموحدة » تحت قيادة حزب الطبقة العاملة »(٢)

وهكذا فان لجوء الوفد والحزب الوطني نحو سياسة « التهادن » التام والمستمر قد وضع الشيوعيين المصريين في مأزق حقيقي وسد السبيل أمام أى تحالف وطني جاد.

ودفع الحزب الى رفع شعار انعزالي يدعو الى « تفجير » هذه الأحزاب من الداخل وتأسيس « جبهة ثورية وطنية موحدة ».

---

١ - ريفولوسيونى فوستوك ، مقال بعنوان « خطاب من مصر - الحزب الذي يثرثر كثيرا » بقلم أ. الجبالي مؤرخ في مايو ١٩٢٩ ص ٢٨٨ من المرجع الثاني (راجع النص الكامل بالملاحق).

٢ - المرجع السابق . ص ٢٩٠ .

ولسنا نريد أن نلقى اللوم كله على الاطراف المصرية لمركبة التحالف هذه .. ذلك أنه من المتعين علينا أن نذكر أن الكومنترن قد نهج بالفعل في هذه الفترة منهجا مماثلا .

ولسنا نشك مطلقا في حتمية تأثر الحزب بموقف الكومنترن هذا لكن الذى لا شك فيه أيضا أن الاحداث التى كانت تجرى على مسرح السياسة المصرية كانت - في ذاتها - كافية لان تشكل وبصورة موضوعية تماما مثل هذا الموقف .

وعلى اية حال فلقد كان على الحزب أن يعانى من وطأة « الحصار » الذى فرضته عليه الاحزاب الوطنية الاخرى نتيجة لسياستها المتخاذلة والمتهادنة .

ويروى لاكور أن أفيجدور قد تحدث في اجتماع اللجنة التنفيذية للكومنترن عام ١٩٣٤ عن أسباب ضعف الحزب الشيوعى المصرى فقال « أن الشيوعيين المصريين قد أخفقوا لان الجماهير كانت تؤمن بالوفد »(١) .

وهذا صحيح الى حد كبير ، فلقد ظل الوفد - برغم كل شيء - المنبر الاساسى للتحرك الوطنى المصرى وكان - برغم كل شيء - هدفا للهجمات الرجعية والاستعمار على السواء .

وهكذا كان على الحزب أن يهاجم الوفد ويدين تهادنه وضعفه في الوقت الذى شان غلاة الرجعيين والسراى وعملائها ومن خلفهم سلطات الإحتلال يشنون هم أيضا هجماتهم على الوفد ..

ولقد عانى الحزب كثيرا من مثل هذا الموقف .

ولسنا نريد أن ننتقد هذا الموقف ، فلقد كانت قيادة الوفد تنهج بالفعل موقفا متخاذلا وبعيدا عن الاعتماد على حركة الجماهير الشعبية ، لكننا نعتقد أن الامر كان بحاجة الى بعض المرونة - في مصر بالذات . ودونما ربط الاوضاع فيها ربطا ميكانيكيا بخيانة شان كاى شيك أو حتى بتهادن سعد زغلول نفسه .

وعلى أية حال فان صفحات هذا الفصل ليست بأية حال محاولة لتقييم دور حزب الوفد ، ولا تستهدف بأية حال التقليل من دوره في الحركة الوطنية ، وهى أيضا ليست محاولة لتقييم دور الحزب الوطنى وانما هى في الاساس محاولة لالقاء نظرة على خطة التحالف التى نهجها اليسار المصرى والعوامل الموضوعية التى أجبرته على اقامة تحالف بين المستضعفين انتهى بطبيعة الحال الى لا شيء ..

---

١ - والتر لاكور - الاتحاد السوفييتى والشرق الاوسط - المرجع السابق ص ١٢١ .

لكن الثلاثينيات قد شهدت محاولات أخرى لاقامة تحالفات أكثر فعالية من بينها التحالف مع القوى النقابية الموالية لعباس حليم من أجل انشاء حزب عمالى .

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية وبعض التجمعات الأجنبية .

لكن ذلك كله - بالرغم من أهميته - كان يجرى على هامش الاحداث وكان يقلل من فعاليته الى حد كبير انه كان يجرى بمعزل عن حزب الوفد ..

ومرة أخرى لم يكن ذلك خطئاً من اليسار وحده بل كان رد فعل طبيعي لاصرار قادة الوفد على انتهاج سياسة الاعتدال والتهادن مع الاستعمار وتشبثهم المزرى بسياسة العداء لليسار ورفض أى تحالف معه

القســم الثــانى

* وبرغم المطاردة المجنونة .. واصلوا المسيرة .
* العرابى ـ ناصف ـ القاضى . جماعة التمسك بالقانونية .
* بعض القضايا الايديولوجية ..
* كلمــة أخيرة ..

... وبرغم المطاردة المجنونة واصلوا المسيرة

ان تاريخ مصر الحديثة يشهد لبرجوازيتها وكبار ملاكها ، بالوعى الكامل والحرص الشديد تجاه النشاط الاشتراكى ٠

ومنذ البدايات الاولى ، وحتى قبل أن تصل قوى الطبقات الغنية الى مركز السلطة سواء السلطة الحقيقية او المفترضة ، كانت القوى الرجعية تدبر أمورها بحيث تجعل من ارض مصر مكانا محرما للفكر الاشتراكى والتيارات الاشتراكية ٠

وثمة وقت كانت فيه الطبقات المالكة المصرية لا تزال تجاهد من اجل مكان لها بالقرب من مواطىء السلطة ، لكنها كانت وفى نفس الوقت ـ تسعى بنفس القدر من المثابرة ـ وربما أكثر ـ لتقاوم الخطر الاشتراكى المفترض ٠

واذا كانت الطبقات المالكة قد كرست كثيرا من الجهد فى اعداد دستور ١٩٢٣ كسبيل لدعم سلطاتها ، وبذلت كل ما ستطاعت من جهد كى تنتزع لنفسها حقوقا وضمانات ، فقد بذلت كل جهدها كى لا تستفيد الطبقات الكادحة من هذه الضمانات ٠

وفى مذكرة أحمد ذو الفقار وزير الحقانية حول الظروف الجديدة التى يخلقها اعلان دستور ١٩٢٣ تحدث طويلا عن الضمانات التى كفلها الدستور لحرية الصحافة ، لكنه ما لبث أن استدرك قائلا « ولكن يبقى هنالك إستثناء واحد لانذار الصحف أو تعطيلها أو الغائها بالطرق الادارية ، فان بعضا من الحرية الدستورية لا يمكن تطبيقه على حملات تحمل على أساس الهيئة الاجتماعية ، كخطر الدعوى البلشفية الموجودة الان ٠ فانه يضطر جميع الحكومات الى اتخاذ تدابير قد تكون مناقضة للمبادىء المقررة فى الدستور لاجل ضمان حرية أهل البلاد المسالمين والموالين للقانون ٠ فلكى يمكن انشاء تشريع لمكافحة امثال هذه الدعوة الضارة نص فى المادة ١٥ على أن انذار الصحف وتعطيلها والغاءها بالطرق الادارية قد يجوز فى حالة ما تقتضى الضرورة بالالتجاء اليه لحماية النظام الاجتماعى ٠ وأضيف تحفظ مماثل لهذا الى نص المادة ٢٠ التى تكفل للمصريين حق الاجتماع بسكينة ومن دون سلاح ، والمادة ١٥١ التى تحظر النفى لجرائم سياسية »(١) ٠

---

١ ـ الدستور ٠ تعليقات على مواده بالاعمال التحضيرية والمناقشات البرلمانية ـ الجزء الاول ـ مطبعة مصر ـ ١٩٤٠ ـ ص ١٤ ٠

وقد علقت اللجنة الاستشارية التشريعية على المادة ١٥ وهي المادة الخاصة بحرية الصحافة قائلة : « هنالك بعض حريات دستورية لا يمكن السماح بها في حالة الاعتداء على الاسس الجوهرية للهيئة الاجتماعية • فخطر الدعاية الشيوعية القائمة في الوقت الحاضر يجعل من واجب الحكومات أن تعمل على حماية الدولة ولو استلزم ذلك الرجوع الى تدابير قد تكون مخالفة للمبادىء المقررة في الدستور لصيانة حرية السكان الهادئين والمخلصين للبلاد • فيكون من الحكمة التمكين من وضع التشريع المناسب لمناهضة مثل هذه الدعاية الهدامة »(١) •

وهكذا ومنذ البداية الاولى •• وحتى قبل أن تصل البرجوازية الى السلطة المفترضة ، كانت حريصة كل الحرص على مقاومة الحزب الذى كان قد وجد فعلا ••

وفي الجزء الاول من هذه الدراسة استغرقت رواية المطاردة الشرسة التى خاضتها سلطات الاحتلال وحكومة سعد زغلول ضد الحزب صفحات طويلة ••

ثم ذهب سعد وجاء زيور ، وان كانت الخلافات بين الاثنين كبيرة وكثيرة في مجال القضية الوطنية فقد اتفقا في موقف واحد هو مواصلة الهجوم على الحزب واستمرار عملية المطاردة التى بدأها وباركها سعد زغلول ••

وكانت حكومة زيور بكل ما أوتيت من عنف وضيق أفق تصدر القرار تلو القرار في هستيرية واضحة ••

فصدرت قرارا بمنع السفن الروسية من دخول الموانىء المصرية وتنشر الأهرام قصة وصول السفينة « البلشفية » تشيشيرين فتقول « وصلت الى الاسكندرية أمس باخرة روسية بلشفية تدعى تشيشيرين تنقل بضاعة الى هذا القطر ، وربما كان عليها بعض الركاب أيضا • فلم تكد تصل الى الميناء الخارجي حتى أصدرت السلطة المحلية أمرا الى البوليس بمراقبتها ودراستها ومنعها من الدخول الى المرفأ » فأوقفت في الخارج ولا تزال حتى الآن تحت حراسة الشرطة • والمفهوم أن الحكومة ستأذن لها بتفريغ مشحونها حيث هي راسية ثم تأمرها بالانصراف فتنصرف غدا •

ويظهر أن الباخرة « تشيشيرين » هذه لا تدرى ما نحن فيه من الانهماك في قضية الشيوعية البلشفية في هذه الايام »(٢) •

---

١ ـ المرجع السابق ص ٩٧ •
٢ ـ الأهرام ١٩ ـ ٦ ـ ١٩٢٥ •

وفيما يبدو أن بعض الحائزين لجوازات سفر فلسطينية والذين كانوا من أصل روسي قد أصبحوا مصدرا لكوادر شيوعية عديدة الى الدرجة دفعت الحكومة المصرية الى اتخاذ اجراءات خاصة لتحديد منحهم تأشيرات دخول الى مصر ويبدو أن هذه الاجراءات كانت قاسية الى الدرجة التى دفعت الحكومة البريطانية الى التدخل ربما فى هذا الأمر .

وترد السفارة البريطانية فى برقية موجهة الى صاحب الفخامة السير أوستن تشمبرلين – مؤرخة فى ٣ مايو ١٩٢٩ » تقول فيها : « لى الشرف أن أشير الى برقية فخامتكم رقم ٣١٩ (ت – ٣٢٧٦/٢١٨/٣٧٨) والمؤرخة فى ١١ ابريل والمتعلقة بموضوع فرض قيود متشددة على منح تأشيرات دخول لحائزى جوازات السفر الفلسطينية .. »

ثم توضح السفارة البريطانية أن هذه القيود مفروضة فقط على الذين هم من أصل روسي .. ويقول ان وزارة الداخلية المصرية تصر على فرض أكثر القيود شدة فى هذا الصدد .. « ذلك أنه بعد البحث ثبت أنه من بين ٨١ اجنبيا لوحظ اشتغالهم بالدعاية الشيوعية فى مصر منذ عام ١٩٢٣ وحتى الآن كان من بينهم ٣٥ على الأقل من الذين هم من أصل روسي »(١)

بل إن الحكومة قد لجأت الى تشكيل مكاتب خاصة فى القاهرة والاسكندرية وبورسعيد يشرف عليها عدد من الروس المعادين للشيوعية وثمة مذكرة موقعة من محمد محمود باشا ومؤرخة فى ٧ – ١١ – ١٩٢٧ تقرر « تعيين المستر نيقولا فينوجرادوف والمدموازيل نينا بتتاروسلكى والمسيو الكسندر بيتروف والمدموازيل فالنتين سيمنوف والمسيو قونسطانطين كراتشيف مديرين وكتبة لمكاتب تقييد الروس فى القاهرة والاسكندرية وبور سعيد »(٢)

ثم قامت الحكومة باعتقال كل الروسيين المشتبه فى شيوعيتهم فى الاسكندرية والقاهرة وبور سعيد وعددهم ٥٢ شخصا ثم أبعدتهم من مصر فى يوليو ١٩٢٥ حيث تسلمتهم باخرة روسية أمرت بان ترسو بعيدا خارج الميناء »(٣) . وقد وجه قومسيير الشعب للخارجية بالحكومة السوفيتية

---

(١) F.O. 372/2564 – T. 5503 – 13. MAY. 1929 – No. 391 (371/777) .
مودعة بالارشيف العام بالمتحف البريطاني بلندن .

٢ – دار الوثائق المصرية – محفظة مجلس الوزراء ديسمبر ١٩٢٧ – مذكرة موقعة من محمد محمود باشا ، مؤرخة ٧ – ١١ – ١٩٢٧ .

٣ – الاهرام ١ – ٨ – ١٩٢٥ .

احتجاجا على هذا الطرد لكن الحكومة المصرية قررت تجاهل هذا الاحتجاج وعدم الرد عليه.(١)

كذلك أصدرت حكومة زيور قرارا بعدم السماح ببيع أو تداول الكتب الشيوعية والإشتراكية أو جلبها من الخارج .

كما أصدرت قرارا بمنع دخول جريدة « الاومانيته » الفرنسية وجريدة « الإنسانية » التى تصدر فى بيروت أو أية جرائد أو مجلات شيوعية أو اشتراكية . ويعلق الاهرام على ذلك قائلا « عزمت السلطة عزما ثابتا على مكافحة الشيوعية ومبادئها ودعاتها فى هذا القطر وغدا هذا العزم يتضح من اتساع نطاق المساعى المبذولة لاستئصال شأفة ذلك الداء الاجتماعى الخطير » .

ثم تقول الاهرام « ان البوليس صادر مؤخرا بعض كتب اشتراكية وجدت عند شاب يونانى يقول أصحابه أنه لا علاقة له بالحركة الشيوعية مطلقا وقد أرسل هذا الشخص الى القاهرة للبحث فى أمره » .

وتختتم الاهرام الخبر قائلا « ولا شك بأن هذا الكشاف ستشتد بعد الان ولا سيما بعد أن علم أن الحكومة البريطانية شديدة الاهتمام بمكافحة هذه الحشرة المقوتة التى تنخر قلب السنديانة كما ورد فى التلغرافات الاخيرة نقلا عن كلام وزير الداخلية »(٢) .

وقد ظل قرار حكومة زيور بمنع السفن الروسية والرعايا الروس من الدخول الى مصر ساريا لفترة طويلة . وحتى عندما اشتدت أزمة القطن وزاد المعروض فى السوق العالمى وتدهورت أسعار القطن المصرى نتيجة لقلة الطلب العالمى عليه ، وارتفعت أصوات عديدة تطالب ببيع القطن للروس ، تحرجت الحكومة طويلا .. وترددت وأخيرا وبعد الحاح شديد وتحت ضغط الحاجة الاقتصادية الملحة اضطرت للسماح لاثنين من الروس بدخول مصر وتنشر الصحف الخبر قائلة « وافقت وزارة الداخلية يوم ٢٥ يوليو على الترخيص لاثنين من خبراء الروس ينوبان عن نقابة اتحاد النسيج الروسية بدخول مصر ومعاينة أقطان الحكومة وشرائها كلها أو بعضها وشراء ما يروق لهما من الاقطان المعروضة فى السوق » .

لكن الصحف لم تنس أن تؤكد أن الوزارة قد تحققت من أنهما فى الواقع خبيران فى الاقطان ولا شأن لهما بالدعاية البلشفية ، وانهما يمثلان نقابة ترغب فى شراء القطن المصرى رغبة جدية . ولا ريب أن هذا العامل ...

---

١ ــ دار الوثائق القومية ــ محفظة مجلس الوزراء نوفمبر ١٩٢٥ (بدون رقم) مذكرة يحيى باشا ابراهيم الى مجلس الوزراء بتاريخ ٧ سبتمبر ١٩٢٥

٢ ــ الأهرام ١٦ ــ ٦ ــ ١٩٢٥ .

الجديد الذى يدخل منذ الآن سوق القطن سيكون له أثره النافع ويعود ما يعوه الفضل فيه الى معالى وزير الداخلية بالنيابة الذى جمع بين الحرص على وقاية البلاد من البلشفية وبين اتصال الشركات الروسية بالاقطان المصرية» (١)

وقد اشترى هذان المندوبان بالفعل صفقة ضخمة من القطن المصرى بلغت ١٤٠٠٠ بالة من القطن الجود (٢)

كما أن الحكومة زيور قد أصدرت قانونا جديدا هو «قانون الجمعيات السياسية» حاولت فيه تحت ستار محاربة البلشفية ان تشن هجومها على كل الاحزاب السياسية المعارضة وقد تحدثت مجلة الامل (الوفدية الميول) عن هذا القانون قائلة «أصدرت الوزارة قانونا غريبا اسمته الصحف اليومية «قانون الجمعيات السياسية» وعندى أن من المجازفة أن يسمى هذا الذى أصدرته الوزارة قانونا فالقانون المزعوم ليس الا اجراء استبداديا أرادت الوزارة أن تتحكم به فى وجود الاحزاب السياسية ولكن يظهر لى أن هذا القانون او بالحرى هذا السلاح ذو حدين»

ثم تمضى مجلة الامل قائلة «لقد ذهبت شركة رويتر الى حد القول بأن هذا القانون يمهد للثورة ونشوء الجمعيات السرية» (٣)

وفى ٢٥ مايو ١٩٢٦ أصدرت وزارة زيور قرارا بقانون «يطلق يدها فى تعقب الشيوعيين» وقد نص على معاقبة كل من يزاول نشاطا من شأنه الاضرار بأمن البلاد الداخلى أو الخارجى أو النظام الاجتماعى» (٤)

واذا كانت القوانين التى سنتها الحكومة الرجعية بحجة مقاومة «البلشفية» قد استخدمت بهدف كبت القوى الوطنية الاخرى فان هذه القوى الوطنية نفسها قد واصلت — هى أيضا — استخدام سلاح القانون ضد اليسار

وعندما نشبت معركة بين السراى واللورد لويد من جانب والنحاس باشا من جانب آخر عام ١٩٢٨ حول مشروع قانون الاجتماعات حاول النحاس أن يمرر القانون من فوق جسر العداء لليسار فقال فى خطاب له فى احتفال أقامه المحامون لتكريمه فى ٢٧ ابريل سنة ١٩٢٨ «ان تنظيم المظاهرات المنصوص عليها فى هذا المشروع قاصر على المظاهرات السياسية وأما غيرها كالمظاهرات الشيوعية وغيرها فخارجة عن أحكام هذا المشروع

---

١ — السياسة الاسبوعية ٣٠ — ٧ — ١٩٢٧

٢ — السياسة الاسبوعية ٢٦ — ١١ — ١٩٢٧

٣ — الأمل — ١٧ — ١١ — ١٩٢٥

٤ — رؤوف عباس — المرجع السابق ص ٢٦٢

وخاضعة للقانون العام ... وللبوليس أن يمنع من غير قيد ولا شرط أية مظاهرة شيوعية أو اجتماع شيوعي وقاية للنظام العام »(١).

واستمرت حملة المطاردة في التصاعد وتطلب الامر اعتمادات اضافية وترد في مضابط مجلس النواب الفترة التالية « الرئيس : وردت مكاتبة من وزارة المالية بشأن فتح اعتماد اضافي بمبلغ ٣٠٠٠ جنيه تحت بند المصاريف السرية بميزانية وزارة الداخلية لانشاء مكاتب لتسجيل الرعايا الروسيين ومحاربة الشيوعية فهل توافقون حضراتكم على احالتها الى لجنة المالية ؟

(موافقة عامة) (٢) .

ويبدو أن النواب في لجنة المالية كانوا ينوون مناقشة الامر بصورة جدية والسؤال عن جهات الصرف وأسباب الزيادة وغير ذلك مما قد يثور في المناقشات البرلمانية وان وزارة الداخلية خشيت من مثل هذه المناقشة فعادت وسحبت طلبها ..

وابلغ رئيس المجلس الاعضاء في جلسة تالية ان هناك مكاتبة من لجنة المالية تفيد « إن سعادة وكيل المالية قرر أمام اللجنة أن الوزارة رأت سحب طلب الاعتماد لوجود وفورات بالبنود الاخرى أمكن بها سد عجز المصاريف السرية »(٣) .

لكن الامر لم يقتصر على ذلك كله ، بل تجاوزه الى حد تلفيق القضايا والتهم وثمة امثلة عديدة نكتفي بايراد مثل صارخ منها .. وهو مثال تناولته صحف هذه الفترة تحت عنوان « المؤامرة الموهومة » .

« ففي ٣ أكتوبر ١٩٢٧ طلعت الصحف على الناس بخبر مؤامرة لاغتيال جلالة الملك وقلب نظام العرش في مصر . وظهر بعد التحقيق الدقيق أنها مؤامرة وهمية .. وتحرير الخبر أن شخصا يدعى على أفندى محمد شحاتة مستخدم بمصلحة التلغرافات ، قدم في ٢١ يونيو ١٩٢٧ بلاغا إلى ادارة الامن العام يدعى فيه بوجود مؤامرة لاغتيال جلالة الملك أثناء رحلته في أوروبا وقلب نظام الحكومة الى جمهورية واتهم في هذه المؤامرة بعض أعضاء الحزب الشيوعي القديم ومحمد بك حافظ رمضان رئيس الحزب الوطني الذى قال عنه

---

١ ـ أحمد شفيق باشا ـ حوليات مصر السياسية ـ الحولية الخامسة ص ٣٧٨ .

٢ ـ مجلس النواب . مضبطة الجلسة الثامنة عشر برئاسة سعد زغلول باشا جلسة ١١ يناير ١٩٢٧ ص ٢٤٥ من المضبطة الرسمية .

٣ ـ المرجع السابق ـ جلسة ٢٥ يناير ١٩٢٧ ص ٢٨٩ .

وانه مسافر الى اوروبا ليقوم بالتدابير الخاصة بها هناك . وقال ان البولشفيك الروس يمدون المتآمرين بالمال . وبعد التحريات الدقيقة التي استغرقت نحو شهرين ظهرت الحقيقة وهي أن المبلغ كاذب فيما ادعاه »(١) .

ويلاحظ أن المؤامرة لم تمتد فقط لبعض أعضاء الحزب وإنما شملت أيضا حافظ رمضان ولم يكن اختيار حافظ رمضان بالتحديد محض مصادفة وانما بسبب علاقاته بالعصبة العالمية للنضال ضد الامبريالية .

وبرغم ثبوت كذب البلاغ الذى قدمه محمد علي شحاتة التي أكدت صحف هذه الفترة انه كان لفترة طويلة عميلا للبوليس وانه حصل من دوائر الامن على مبالغ كبيرة من المال وانه سبق أن أبلغ عن مؤامرة سابقة وحصل على الف جنيه من البوليس(٢) .

وبرغم أن بقية الذين تناولهم هذا البلاغ الكاذب وهما روزنتال وابنته شارلوت قد اقاما دعوى البلاغ الكاذب ضد المبلغ .

فإن الصحف الرجعية لم تعدم وسيلة للتشهير بالحزب فعادت لتتهم المبلغ نفسه بأنه شيوعي ووصفته بأنه « جرئ وعصبي المزاج وسريع الغضب بسبب ارائه والمبادئ الشيوعية التي اعتنقها ويدين بها ويدافع عنها ويروجها في كل مكان »(٣) .

وهكذا فان الهدف الدائم والمستمر كان التشهير والتشهير المستمر بالحزب واعضائه وتنظيم عملية المطاردة والهجوم بحيث تظل ساخنة على الدوام .

لكن الامر لم يقتصر على ذلك كله بل تعداه الى مطاردة الاشخاص الذين كانوا في يوم من الايام على علاقة بالحزب حتى ولو قطعوا علاقاتهم به بعيد ذلك .

وقد تركز الضغط البوليسي في ذلك الحين على الأعضاء القدامى كي يستنكروا مبادئ الحزب ، لكن هذا الاستنكار ، الذى كان ينتزع تحت ضغوط وتهديدات عديدة لم يكن سوى مقدمة لبداية الاضطهاد الحقيقى ، فبعد تجريد العضو من ارتباطه بالحزب عن طريق الاستنكار كان من المتعين مطاردته واضطهاده اضطهادا مستمرا حتى يكون باستمرار عبرة لغيره .

١ ـ أحمد شفيق باشا ـ حوليات مصر السياسية ـ حولية السنة الرابعة ـ ص ٥٩١ .

٢ ـ الاهرام ٣ ـ ١ ـ ١٩٢٧ .

٣ ـ المرجع السابق .

ويروى حافظ ستد أحد مؤسسي شعبة الحزب بالمنصورة قصته قائلا :

« الحقيقة انهم مارسوا ضدى ضغطا شديدا جدا ، وانا كنت اعمل فى مجلس المديرية وهددونى بالفصل وتشريد اولادى واخيرا خضعت للضغط وكتبت استقالة من الحزب لازلت اذكرها بالنص وهى :

« بينما ان العمال فى مصر بين قوات ثلاث ، الاستعمار الظالم والحكومة التى تربت فى احضانه ، والقابضون على زمام الاموال ، فان على العمال ان يكتفوا بحزب عمالى وان يبتعدوا عن الشيوعية والاباحية ». وطبعا هذه الصيغة لم تعجب مدير الدقهلية لكننى رفضت تعديلها » .

وأواصل سؤال الرجل :

س : هل فعل آخرون مثلك ؟

ج : ضعف البعض مثلى والبعض رفض ، والحقيقة ان الذين ضعفوا كانوا جميعا موظفين بالحكومة لان سلاح الفصل من الوظيفة كان سلاحا مخيفا جدا .

س : وهل اكتفت السلطات بهذه الاستقالة ؟

ج : إكتفت بها فى البداية ، لكنها عادت بعد ذلك الى تشريدنا جميعا فانا وكثيرين فصلنا من العمل ، ومحمد عبد الجليل فصل ثم أعيد للعمل بشرط نقله الى سوهاج وعلى العموم ظلت حملات التنكيل والاضطهاد والتفتيش تلاحقنا بشكل مستمر حتى ما بعد ١٩٣٠ .

بل ان البوليس كان يستدعى أى شخص يتصل بنا لاى سبب من الاسباب حتى ولو كان مجرد قريب أو صديق شخصى ويحذره من الاتصال بنا »(١) .

وتحمل لنا الذكريات الشخصية لهؤلاء الرجال نماذج غريبة من الاضطهاد ، فالشيخ صفوان تطارد زوجته وهو بالسجن ويضغط عليها البوليس كى تنفصل عنه لكنها ترفض »(٢) .

والشحات ابراهيم ظلت زوجته وأطفاله الجياع نموذجا يتردد فى الصحافة لردع أى عامل فقير عن التفكير فى النضال السياسى ، لقد تحدث الكثيرون من الصحفيين ومنهم أحمد الصاوى محمد فى كتاباتهم عن السيدة

---

١ ـ راجع محضر النقاش معه فى د. رفعت السعيد ـ تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ـ المرجع السابق . ص ٢٦٧ .

٢ ـ راجع محضر النقاش مع عبد الرحمن فضل فى المرجع السابق .

« حليلة » زوجة الشحات وأولادها ووصفوا كيف يعانون من الجوع والتشرد وأبوهم في السجن .. ولم يقدم لهم أي انسان أية مساعدة وانما تركوهم هكذا نموذجا رادعا للعمال المصريين .. (١)

.. ويحكى مصطفى حسنين المنصورى أحد رواد الفكر الاشتراكى مصر مأساته ، والاضطهاد الذى تعرض له عام ١٩٣٠ .. برغم انه قد قطع علاقاته نهائيا بأى عمل سياسى منظم منذ الأشهر الأولى لنشأة الحزب الاشتراكى في عام ١٩٢١ .

يحكى المنصورى فيقول :

« كنت مديرا للتعليم في مجلس مديرية الفيوم ، وكان المدير هو في نفس الوقت رئيس مجلس المديرية . وحدث خلاف بيني وبينه تطور الى حد التشاتم ، فجمع شهودا من بعض المعلمين واستكتبهم اتهامات ضدى تشمل جميع الجرائم التى يعرفها البشر من رشوه الى سوء الأخلاق مع المعلمات وما الى ذلك . وتقدمت بشكوى الى وزارة الداخلية بأن المدير يرتب ضدى هذه الاتهامات في السر ، ورجوت ارسال محقق من قبل الوزارة ، وأرسلت الى وزارة المعارف التمس منها أن ترسل مفتشا للتحقيق ، لم أجب الى طلبى . ولجأت الى نيابة الفيوم طالبا التحقيق . فما كان من المدير الا أن استصدر أمرا بايقافى ، ثم جمع مجلس المديرية وقرر فصلى من الوظيفة وصرف ٣٠٠ جنيه مكافأة . ولم يكتف حمد الباسل باشا بذلك ، فسعى لدى رئيس الوزراء النحاس باشا لالغاء المكافأة بحجة أننى ضد الوفد . لقد بلغت التهم التى كالوها الى نحو ١٣٠ تهمة ، صحيح أن الفكر الاشتراكى لم يكن ضمن هذه التهم ، ولكننى اتهمت بالكفر ، وبأننى غير مؤمن بالدين الاسلامى ، وادعوا أن كتابى يشهد على ذلك » .

.. ويقول المنصورى في مرارة لن انسى ما حييت ذلك اليوم الذى وصلنى فيه خطاب الاستغناء . لقد كان يوم ٣ ابريل ١٩٣٠ . ولم يكن معى سوى ١٥٠ قرشا .. (٢)

والحقيقة أن الرجعية المصرية قد أعدت نفسها لحرب طويلة الامد مع كوادر الحزب . وعندما نوقشت فكرة انشاء معتقل سياسى خاص بمجرمى

---

١ ــ الاهرام ١ ــ ٥ ــ ١٩٢٥ ــ مقال أحمد الصاوى محمد ــ على أطلال المذهب الشيوعى .

٢ ــ امين عز الدين ــ المنصورى ، سيرة مثقف ثورى ــ دار الغد العربى ــ القاهرة ــ (١٩٨٤) ــ ص ٥٥ .

الرأى ، حبذت الصحف هذه الفكرة « لانه بات منتظرا أن يكون ضيوفه كثيرين وبصفة دائمة »(١) .

ويحاول أحمد الصاوى محمد أن يصف هذه الحملة المسعورة فيقول فى مقال له بعنوان « فى الشيوعية وفى التربية » ..

« ان الانسان ليدهش اذ يرى حكومتنا قد جردت خيلها ورجلها للضرب على أيدى الشيوعيين حتى أصبح شبح « روزنتال » ماثلا لها فى كل مكان وفى كل انسان »(٢) .

وبعد كل هذا الارهاب المستمر كان من حق الرجعية أن تتباهى فى زهو معلنة « إن زعماء الحركة الشيوعية يشكون من الفشل فى نشر الدعوة البولشفية فى مصر . ويقولون أنها تربة غير صالحة لها . لسبب الشدة التي تتخذها ادارة الامن العام فى مطاردة الرفقاء ومراقبتهم والقبض عليهم وابعادهم »(٣) .

فهل كان الاهرام محقا فى تباهيه هذا ؟

وهل أمكن للاضطهاد المستمر والمطاردة العنيفة أن تجعل أرض مصر تربة غير صالحة للنشاط الشيوعى ؟

هذا ما تستهدف الصفحات القادمة أن تجيب عليه بالنفى ..

لكن الذى لا شك فيه أن هذا الاضطهاد الوحشى الذى لم يسبق له مثيل قد أعاق الى حد كبير النشاط الشيوعى ، ودفع به الى اختناقات ومسالك وعرة ، وصعوبات بالغة وتضحيات جسيمة ، غير أنه لم ينجح مطلقا فى أن يغلق باب مصر فى وجهه ، ولم ينجح مطلقا فى أن يوقف المسيرة ..

ففى ٦ أكتوبر ١٩٢٤ ـ وهو نفس اليوم الذى صدر فيه حكم محكمة جنايات الاسكندرية بالسجن على أعضاء اللجنة المركزية للحزب ـ تشكلت اللجنة المركزية الجديدة .

وكانما كا ناختيار هذا اليوم بالذات تحديا للارهاب الحكومى واعلانا لتصميم كوادر الحزب على مواصلة النضال . وقد تكونت اللجنة سرا . ومارست نشاطها سرا .

---

١ ـ أحمد شفيق باشا ـ الحولية الرابعة . المرجع السابق ص ٩١ .
٢ ـ السياسة الاسبوعية ـ ١٧ ـ ٩ ـ ١٩٢٧ .
٣ ـ الاهرام ـ ١٠ـ٤ـ١٩٢٧ .

وهكذا تلقن الحزب الدرس من الضربة التى وجهت إليه فى مارس ١٩٢٤

وكان قرار « العمل السرى » مثارا لجدل شديد داخل صفوف الحزب : فان البعض من بقايا التيارات اليمينية التى مارست نفوذا واسعا عندما تأسس الحزب فى ١٩٢١ كانوا يرون أن السرية هى السبب فى كل الكوارث ، وانه اذا كان القانون والدستور لا يسمحان بالشيوعية ولا بالاشتراكية فلا بأس من البحث عن مخرج بالعمل على تأسيس حزب للعمال ‥ أو ما شابه ذلك ، بحيث لا يضطر الحزب مطلقا الى العمل « خارج حدود القانون » ‥

وكانت شعبة « المنصورة » أحد المراكز التى سيطر عليها هذا التفكير « القانونى » ولم يكن هذا غريبا فقد رأينا فى الجزء الاول ـ كيف أن أحد مؤسسيها كان عبد الحميد الطوبجى (وهو واحد من أبناء الاسر الغنية بالمدينة وكان متأثرا الى حد كبير بافكار حزب العمال الانجليزى حيث درس فى انجلترا لفترة طويلة من الزمن) ‥ وقد استطاع عبد الحميد الطوبجى ، مستندا الى حجة قوية هى سيف الارهاب البشع الذى سلط على أعضاء الحزب بالمدينة والمطاردات المستمرة أن يقنع بعض أعضاء الشعبة بالعمل معه على تأسيس حزب جديد باسم حزب العمال ‥

وأسرع الطوبجى بالعمل بالرغم من معارضة قيادة الحزب لهذا الاتجاه الاستسلامى واليمينى ونجح بالفعل فى تجميع مندوبين يمثلون مختلف المهن بالمنصورة وعقدت جمعية عمومية انتخبت مجلس ادارة لحزب العمال بالمنصورة وتولى رئاسته كامل يوسف صالح رئيس لجنة الوفد بالدقهلية وكان الوكيل عبد الحميد الطوبجى ‥ وقد ضمت اللجنة الادارية للحزب الجديد عددا من الشيوعيين القدامى أمثال رضوان الألفى (ممثلا للاسطرجية) والسعيد الصيرى (ممثلا للجزمجية)(١) ‥

لكن هذا التجمع لم يعمر طويلا وما لبث أن تفرق عندما أبعد الوفد عن الحكم وجاء زيور بارهابه ‥

وثمة دلائل ـ غير مكتملة ـ تشير الى أن بعض شعب الحزب الاخرى قد سارت فى اتجاه مماثل ، مثل شعبة العطف ‥ لكن الاتجاه العام فى الحزب رفض هذه الفكرة وصمم على مواصلة النضال سرا ‥

لكن ذلك لا يعنى أن الحزب ـ الذى لجأ الى العمل سرا ـ لم يستفد من المنابر العلنية بمختلف اشكالها ، بل على العكس من ذلك فان اللجنة المركزية

---

١ ـ اتحاد العمال ـ ٢١ ـ ١٢ ـ ١٩٢٤ ‥

الجديدة قد سارعت الى تأسيس مجلة « الحساب » كمنبر علنى للحزب بالاضافة الى مجلة سرية »(١) .

وقد استطاع الحزب أن يتولى الاشراف على اصدار مجلة الحساب بعد أن صدرت كمجلة عادية لفترة من الوقت وابتداء من العدد الحادى عشر الصادر فى ٦ مارس ١٩٢٥ أعلنت « الحساب » عن نفسها كجريدة « الطبقة العاملة المصرية » .

وفى المقال الافتتاحى لهذا العدد حددت مجلة الحساب أهدافها فقالت :

٠٠٠ لأجل الطبقة العاملة من فلاحين وعمال أنشأنا هذه الصحيفة ، لاجل اسماع السلطات الحاكمة وباقى الطبقات فى مصر صوت هذه الطبقة البائسة المظلومة أقدمنا على هذا العمل الشاق الذى طالما عجلت النفس الى خوض أمواجه المتلاطمة فصدتها العقبات والموانع فاقدمت تارة بضع خطوات الى الأمام ـ وتراجعت طورا الى الوراء بضع خطوات ٠٠ ان الطبقة العاملة فى مصر هى أكثر الطبقات عددا وبؤسا ، وأقلها نصيبا من اعتناء الحكومة والعمل على رفع مستواها وازالة المظالم عنها ٠٠ » .

وتمضى مجلة الحساب قائلة ٠٠٠ « وهكذا نرى أن الفرق بين طبقات الشعب المصرى كبير جدا وبين وظاهر واضح . فمن فلاح مسكين يملك من الارض لا شىء ويعمل فى أرض سواه بما لا يسد له رمقا ولا يقيه من جوع أو برد من برد ، الى مالك غنى يحوز ألف فدان أو أكثر . من فلاح فقير يملك بعض الفدان أو فدانا أو اثنين أو ثلاثة على الاكثر ، الى ثرى من كبار المالكين قد تتجاوز الفدادين التى يملكها العشرة آلاف أو أزيد . ومن ابن فلاح يعمل طول اليوم فى الحقل لقاء قرشين أو قرش ونصف القرش فى الايام العادية ٠٠ الى موسر غنى يصرف بلا حساب ويرمى الجنيهات كيفما اتفق ٠٠ ومن عامل اما يشتغل لحسابه فيعمل يوما ويعيش بلا عمل لعدة أيام مكرها فلا يزيد أجره اليومى عن سبعة قروش أو أربعة قروش ٠٠ أو يشتغل فى شركة من الشركات الأجنبية بريال كل يوم يخصم نصفه أو أكثر من نصفه ما بين جزاءات وغرامات واجازات اجبارية وغلطات حسابية وألف ضريبة أخرى ، من عامل هذا شأنه الى صاحب عمل لو طحن الذهب وعجنه بدل الدقيق وأكله خبزا ابريزا لما تمكن أن يأكل هو وآله وأقاربه وخدمه وحشمه ورفيقاته وسراريه عشر دخله اليومى » .

---

١ ـ المرجع السابق ص ٣٦ .

ولا تخفى مجلة الحساب نفسها فهى تلمح فى نفس المقال الى انها امتداد لنضال قديم ، كنا ممن اندمج فى حركة العمال منذ تجدد نهضتهم الى الآن وجاسنا معهم وتمشينا وايامهم درجة درجة فاختبرناهم واختبرونا ، فقد عزمنا على اصدار هذه الصحيفة كل اسبوع مؤقتا ..

ثم تأكيد آخر ، ستخصص جريدتنا هذه لمجرد خدمة العمال لتكون صوت العمال ، فلا يسمع من على صفحاتها صوت آخر .. ولا تخدم هيئة غير هيئاتهم ، ولا شخصا غير أشخاصهم واشخاص الذين يعطفون عليهم ويسعون فى مناهضتهم وفى سبيل وصولهم الى حقوقهم .

وقد اهتمت مجلة الحساب بالحركة النقابية اهتماما كبيرا فقدمت سلسلة من المقالات ابتداء من العدد ١١ حتى العدد ١٧ الصادر فى ١٨ مايو ١٩٢٥ حول كيفية تأسيس النقابات كمنابر نضالية لحركة الطبقة العاملة وكيفية ممارسة العمل النقابى على أسس ديمقراطية وقدمت بشكل تفصيلى وجهة نظر الحزب فى مختلف القضايا النقابية .

وقد ناقشت « الحساب » سلسلة من القضايا الهامة وأعلنت سياسة الحزب فى كثير من المواقف ، وناقشت قضية تأسيس حزب العمال والفلاحين .

لكن « الحساب » لم تكن الوسيلة الاعلامية الوحيدة للحزب ، فقد كانت هناك المجلة السرية والكتب الماركسية التى ترجمها الحزب وأصدرها بأسماء مستعارة ، أن أحدهم ترجم كتابا فى الشيوعية باسم محمد عنتر المصرى وظهر أن المترجم لهذا الكتاب هو رفيق جبور أفندى »(١) .

وكانت منشورات الحزب توزع بكثرة ونشر الاهرام « الى منشور سرى ظهر مؤخرا واستخلص منه أن الحركة الشيوعية لا تزال قائمة فى البلد »(٢) .

وتقول الاهرام أيضا « ثبت من التحقيق فى قضية الشيوعية أن المعتقلين كانوا يذيعون بين حين وآخر منشورات لاستمالة الجمهور الى الشيوعية كلما حدث حادث مهم فى مصر وقد ضبط كثير من أمثال هذه المنشورات التى كانت توزع خاصة بين الفلاحين »(٣) .

وخلال انتخابات زيور عمد الحزب الى تأسيس منبر علنى يخوض به معركة الانتخابات داعيا العمال الى ترشيح أنفسهم والى انتخاب مرشحين

---

١ ـ الأهرام ١٧ ـ ٦ ـ ١٩٢٥ ـ فى تعليقه على نتائج التحقيق مع بعض المقبوض عليهم .

٢ ـ الأهرام ١ ـ ٦ ـ ١٩٢٥ .

٣ ـ الأهرام ١٩ ـ ٦ ـ ١٩٢٥ .

عماليين ملتزمين ببرنامج أعده الحزب . وسمى هذا المنبر الجديد « لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين » وقالت مجلة الحساب أنها « كانت مؤلفة من بعض الاشخاص الغيورين الذين يهتمون بشأن الطبقة العاملة »(١) .

وأصدرت اللجنة منشورا يتضمن برنامجا انتخابيا لكن البوليس صادره من المطبعة فاعادت مجلة الحساب نشره(٢) . وأكدت المجلة « أن أعضاء اللجنة لا يزالون متمسكين بمبادئهم وعند حسن ظن الطبقة العاملة بهم، ولكن الظروف الجأتهم الى استعداد تام للعودة الى الجهاد » .

كذلك استمرت « لجنة المعونة الحمراء » فى الوجود وهى لجنة تقوم بتجمع تبرعات لتقديم معونات مادية للعمال المضربين وقد استمر نشاطهم حتى عام ١٩٣١ عندما قدمت مساعدات لعمال مرفق مياه أسيوط فى اضرابهم(٣) .

كذلك فان الحزب لم ينس فى غمرة المصاعب التى واجهها الاحتفال بعيد « أول مايو » فقد أصدر بيانا موقعا من « رفيق جبور » نشرته مجلة الحساب جاء فيه :

« ان أول مايو هو رمز التضامن المشترك بين عمال العالم الذين يجاهدون فى سبيل تحرير طبقتهم وتحسين أحوالهم » .

ويبدو أن الحزب قد قرر أن ينتهز هذه الفرصة ليعلن عن برنامج مرحلى يناضل العمال من أجله فالبيان يتساءل « ما هى المطالب التى يجدر بالطبقة العاملة المصرية أن تطالب بها فى مثل هذا اليوم ؟ » ثم يجيب « عليها أن تطالب بجلاء الجيش الانجليزى عن القطر المصرى . وباستقلال مصر الكامل . بالغاء الامتيازات الاجنبية التى تقضى على حياة البلاد الاقتصادية والسياسية وبجعل ساعات العمل ثمانى ساعات فى اليوم ، وبتحديد حد أدنى لاجور كل طائفة من طوائف العمال ، وأن تقاوم الحكومة غلاء الحاجات المعيشية الاولية ومعاقبة المضاربين فيها ، على الطبقة العاملة أن تطالب بالبيوت الصحية . وبالعلاج المجانى ، وبمقاومة البطالة بانشاء مشروعات عامة فى البلدان لتشغيل العمال العاطلين ، وبتوزيع بعض أراضى الحكومة على فقراء الفلاحين لاصلاحها واستغلالها مع تسهيلها عليهم هذا العمل ، وبزيادة الضرائب على نسبة كبر الثروة والتعليم الاجبارى المجانى لطبقة الشعب » .

ثم يمضى البيان مخاطبا جماهير الشعب المصرى كلها قائلا « هذه هى المطالب والحقوق الاولية التى يجب على الشعب المطالبة بها . وعلى الشعب

---

١ ـ الغزالى ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٣ .

٢ ـ راجع الملاحق .

٣ ـ لاكور . المرجع السابق ـ حاشية ص ٣٧ .

أن يكون شعاره : نريد أن نعيش فى بلاد حرة كمواطنين أحرار . ولكى تصل الطبقة العاملة الى هذه المطالب يجب أن تنظم صفوفها فى هيآتها ونقاباتها الخاصة والا فانها لن تحصل على شيء » .

وهكذا يحدد الحزب هدفه الأساسى « تنظيم العمال فى هيئات ونقابات خاصة بهم » .

ثم يحدد ما يسمى فى الادبيات الماركسية ـ باتجاه الضربة الرئيسية ـ وهى عزل العناصر البرجوازية والرجعية عن هذه التنظيمات . فيمضى البيان قائلا « على كل عامل مصرى حقيقى أن يقول لنفسه فى يوم أول مايو أن واجبى أن أسعى لتقوية نقابتى لأتمكن مع رفاقى من وضع مطالبنا والسعى للحصول عليها ، يجب أن أعلم أن هيئة الطبقات العاملة المنظمة هى وحدها التى تدافع عن حقوقى فيجب أن أسعى لطرد كل طفيلى غريب من العمال يندس بينهم لمصلحته الخاصة . على أن أفعل ذلك لأحرر نفسى وزملائى من الانحطاط الخلقى والمعنوى ولأحصل على حالة معيشية لعائلتى أحسن من حالتها الحاضرة ولأهيىء مستقبلا حسنا ان لم يكن لى فلأولادى »(١) .

ولم يكتف الحزب باصدار بيان بهذه المناسبة ، لكنه حاول قدر طاقته وبقدر ما سمحت به ظروف مصر فى ذلك الحين أن يحتفل بهذا اليوم احتفالا جماهيريا سجل نتائجه بصورة موضوعية خالية تماما من المبالغة « لا يزال عمال القطر المصرى يجهلون حقيقة أهمية عيد أول مايو والمغزى الذى فيه من تضامن عمال العالم بقصد اتحادهم على المطالبة بحقوقهم واظهار حقيقة قوتهم المعنوية ويقظتهم ونهوضهم ولذلك فقد مر هذا العيد فى جميع انحاء البلاد دون أن يشعر به أحد اللهم الا فى أماكن قليلة » .

ثم يمضى المقال أو بالدقة التقرير الذى تنشره مجلة الحساب عن نتائج الاحتفالات بتعداد الاماكن التى احتفل فيها العمال بهذا العيد « ففى العاصمة اجتمع عدد من عمال نقابة ترام القاهرة فى دار نقابتهم حيث تكلم أحد المدعوين عن أصل هذا العيد ومغزاه ومراميه وعن تأثيره وفوائده وما جناه العمال فى اتحاد كلمتهم على جعله عيدا عاما لهم » .

لكن الاحتفال فى بورسعيد التى كانت منذ البداية واحدة من قلاع الحزب قد اتخذ صورة أشمل « أما فى بورسعيد فقد انقطع جميع العمال عن العمل واحتفلوا بعيد أول مايو احتفالا شائقا إذ أقاموا فى حى الافرنج سرادقا واسعا جدا اجتمعت فيه جماهيرهم لسماع الخطب القيمة . . وقبل الظهر بساعة خرج المجتمعون فى مواكب فخمة متلاحقة تتقدمهم الموسيقى وفرقة راكبى

---

١ ـ الحساب ١ ـ ٥ ـ ١٩٢٥ .

الدراجات والموتوسيكلات . وكانت كل فئة من العمال تحمل علمها الخاص بها وقد سارت هذه المظاهرة الهادئة المفرحة فى وسط شوارع المدينة حيث كانت تقابل فى كل مكان مرت به بالهتاف للعمال وبالتصفيق الحاد . ولم يتعرض أحد من رجال الادارة للمتظاهرين فلم تقع أية حادثة ولو طفيفة وبسيطة وهذا أكبر دليل وبرهان على أن الحوادث التى تقع ابان اجتماعات الجماهير انما يسببها تعرض قوات الادارة ومحاولة منعها بالقوة ..

وبعد أن طافت الجماهير العاملة معظم أحياء المدينة المهمة حسب البرنامج الموضوع لها من قبل عادت الى المكان الذى بدأت منه . وأخذ أفرادها يهنئون بعضهم بعضا بهذا العيد معربين عن أملهم بأن يروه ثانية ومصر متمتعة باستقلالها ، حائزة على حقوقها من غاصبيها والطبقة العاملة على أحسن ما يرجى لها من الاتحاد والوئام »(١) .

ويبدو أيضا أن الحزب كان يمارس نشاطا جماهيريا وسط البحارة الى درجة أن أحد التقارير السرية المرفوعة من وزارة الخارجية المصرية الى السفارة الانجليزية فى ٨-١-١٩٢٥ يتحدث عما يسميه عملاء الكومنترن بمصر فيذكر شخصا أسمه مراد حافظ ثم يذكر « نادى البحارة بالاسكندرية »(٢) .

والقصة التى يرويها طاهر العربى عن علاقته بالحزب توضح أن الحزب كان جم النشاط فى هذه الفترة . فقد تعرف الى كونستانتين فايس « أنيجدور » عن طريق رفيق جبور الذى قدمه له على أنه « مكاتب لجريدة عمالية دولية حضر لمصر لدراسة حالة العمال والفلاحين » وحدثه فايس طويلا بالانجليزية « وأخذ يندد بالاستعمار والرأسمالية وسوء حالة العمال والفلاحين المصريين وانهم أسوأ عمال وفلاحى العالم » .

ويمضى العربى قائلا « واستمرت الصلة بيننا وعرفنى بكثيرين من أصدقائه ومنهم الانجليزى واليونانى والفرنسى والسورى والمصرى وأكثرهم من رجال العلم والأدب والثقافة » .

وقال العربى أيضا أن فايس قد أمده بعدد من المنشورات العمالية (٣) .

ولعل اشارة سريعة وردت فى خطاب نشر باسم محمد صديق عنتر فى

---

١ - الحساب ٨ - ٥ - ١٩٢٥ .

٢ - مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية . محفوظة بالمتحف البريطانى والوثيقة تحت رقم

F.O - 371 . Egypt And Sudan —— Piece No. 11010 .

٣ - محمد طاهر العربى - المرجع السابق - ص ١٨٧ .

مجلة « الحساب » توضح لنا موقف الحزب في هذه الفترة الصعبة وفي مواجهة حملة الارهاب العنيفة فالخطاب يسأل أو بالدقة يتظاهر بأنه يسأل كي يجد الفرصة لنشر الاجابة « لماذا لا تبذلون جهودكم في سبيل انشاء حزب للطبقة العاملة مع إن جميع الوسائل متوفرة لديكم من وجود جريدة تحت تصرفكم وجموع كبيرة من العمال تثق بكم ثقة لا حد لها »(١).

ولم يكن بامكان الحزب أن يرد علنا على صفحات « الحساب » مؤكدا أن ثمة حزب للعمال موجود بالفعل ولكنه يعمل سرا ، واكتفى الحزب بأن نشر عددا من المقالات وقعها بعض اعضائه مثل « رفيق جبور » والشاعر « محمد رمزى نظيم » بتوكيد ضرورة قيام الحزب كسلاح طبقي فعال في يد العمال والفلاحين (٢).

•• لكن اسم محمد صديق عنتر يستوقفنا ! فهو كما تؤكد تحريات البوليس في ذلك الحين الاسم السري لرفيق جبور .. وعبر هذا الاسم قدم رفيق جبور اكثر من جهد نظري واعلامي ..

ففي ابريل ١٩٢٥ صدر كتاب مترجم عن الفرنسية بعنوان « المبادىء الاشتراكية » تأليف كارلوس رابوبورت وترجمة محمد صديق عنتر المصري ..

وفي الصفحة الثانية برواز « نشر هذا الكتاب لاول مرة في جريدة الامانتيه سنة ١٩٢١ وترجم الى عشر لغات في ذات السنة » ثم مقدمة بقلم المترجم تتوالى في تحذير وتشدد « الى القارئ : ليس هذا الكتاب رواية فتطالعه على عجل ، ولا صحيفة اخبارية تلقى عليه نظرة سطحية ، ثم تلقيه من يدك في زوايا النسيان ، ان هو إلا مبادىء قد سادت بلادا كثيرة شاسعة الاطراف ويجب أن تسود العالم يوما ، فاقرأه ، وهذه الفكرة أمام عينيك ، ثم ارجع اليه كلما قرأت في الصحف نبأ من أنباء انتصار هذه المبادىء في العالم ، وهي أنباء ستتوالى بكثرة كما سيريك المستقبل ..

لقد كنت مثلكم حائرا في معرفة نهاية الطريق الذي تدفعنا اليه الهيئة الاجتماعية الحاضرة ، وقد عرفت هذه النهاية الان وهي انا واصلون يوما لا محالة الى سيادة المبادىء التي عرضتها عليكم في كتابي هذا ، فترتاح الانسانية من تنازع الطبقات وظلم الانسان لاخيه الانسان فاقرأوا هذه المبادىء وادرسوها ، واحفظوها فهي ستسود بلا ريب »(٣).

---

١ ـ الحساب ـ ١ ـ ٥ ـ ١٩٢٥

٢ ـ الحساب ـ ٨ ـ ٥ ـ ١٩٢٥

٣ ـ محمد صديق عنتر المصري (مترجم) ـ المبادىء الاشتراكية ـ (٢٠ ابريل ١٩٢٥) ـ المطبعة العربية بمصر ـ شارع الزين الموسكي ـ ص ٥

وفى نهاية الكتاب المترجم نقرأ خاتمة بقلم « طالب معونتك ـ محمد صديق عنتر » ·· يقول فيها « ·· واذا ظننت ـ كما كنت أظن أنا نفسى فى زمن مضى ـ ان هذه المبادىء ليست سوى مجرد نظريات خيالية قد لا يمكن تحقيقها فارجوك ان تعيد قراءتها ، وتأخذ كل فكرة منها على حدة وتقابل بين حال الهيئة الاجتماعية فى الماضى وبين حالتها اليوم ، فترى بوضوح وجلاء كيف تسير الانسانية بخطوات واسعة نحو تحقيق هذه الافكار والمبادىء ، وكيف ان ما كان فى الماضى مستحيلا قد حقق فيما بعد مع توالى الأيام »(١)

ثم وعد من الحزب ·· « وسأتبع كتابى هذا بكتب اخرى فكلما رأيت اسم رفيقك « محمد صديق » على كتاب اعرف انه تقدمة منى اليك ، وقد سميت نفسى رفيقك وأنا متأكد انك حالما تقتنع بهذه المبادىء نصبح « رفاقا » وإن كنا لم نتعارف بعد » ·

ويضيف « أما انت أيها العامل المصرى المظلوم ، فلأجلك خصيصا قد ترجمت هذا الكتاب ، ومن أجلك سانشر كتبا اخرى فى هذا الموضوع ·· فاسع الى نشرها بين زملائك وأولادك وذوى قرباك ، وجاهد فى سبيل سيادتها ··

وكلما ساور اليأس نفسك من ظلم أخيك الانسان لك ، فاذكر مبادئى هذه وتذكر أن لا خلاص لك الا بنشرها وجدد همتك ونشاطك فى سبيل رواجها ليقرب يوم الخلاص ·

ان كاتب هذه الاسطر رفيق من رفاقك ، وعامل من العمال مثلك ، وهو يبذل جهوده فى سبيل سعادة الطبقة العاملة فى المستقبل ، فهلا شاركته فى هذا العمل ؟ »(٢) ·

وبرغم ضآلة المعلومات التى يمكن أن تبقى عن نشاط سرى لحزب مثل هذا الحزب فى ظل ذلك الارهاب الشديد القسوة فان الطبيعة الواسعة لهذا النشاط يمكن أن تتضح من الصورة التى حاولت الصحف البريطانية أن ترسمها له مع بعض المبالغة ·

فالاهرام تنقل عن الديلى ميل تلغرافا لمراسلها بالقاهرة يقول فيه « حدثت ضجة عظيمة من جراء عصبة شيوعية كبيرة فى مصر » ·

وينقل أيضا عن الديلى كرونيكل تلغرافا لمراسلها بالقاهرة قال فيه « قامت الدلائل على وجود مؤامرة بلشفية واسعة النطاق لتدبير ثورة شيوعية

---

١ ـ المرجع السابق ـ ص ٦٣ ·
٢ ـ المرجع السابق ص ٦٢ ·

في مصر تكون جزءا من مشروع يرمي الى اثارة افريقيا كلها في وجه الدول الاستعمارية »(١).

وكان الاهرام قد نشر في اليوم السابق مقالا بعنوان تجدد الحركة الشيوعية في مصر وفلسطين أورد فيه تلغرافا لمراسله في لندن يقول « نشرت جريدة الديلي اكسبريس تلغرافا لمراسلها في القدس قال فيه « تبذل الشيوعية الدولية والجمعية التجارية الحمراء الدولية * مجهودات عظيمة لتقويض أركان الحياة الاقتصادية والاجتماعية في فلسطين ... وهم على اتصال وثيق بمصر بواسطة وكيل متنكر يتنقل باستمرار بين فلسطين ومصر ».

ويمضي الاهرام قائلا « وقد وصلت الى الحكومة المصرية في اليومين الماضيين اخبار هذه المجهودات التي تبذلها الشيوعية والجمعية التجارية الحمراء الدولية في فلسطين واخبار المساعي التي تبذلها لبث الدعوة الشيوعية في مصر فبكر بوليس القاهرة والاسكندرية امس حوالي الفجر بامر النيابة العمومية ففتش في المدينتين في احيائها المختلفة مساكن طائفة كبيرة من الاشخاص الوطنيين والاجانب المشتبه في انتمائهم الى الشيوعية ، وبعضهم ممن سبق التحقيق معهم واعتقالهم في غضون السنة الماضية في قضية الشيوعية الكبرى المعروفة ثم اخلى سبيلهم واعتقل منهم نحو ١٥ شخصا في سجن الاستئناف في القاهرة ونحو هذا العدد في سجن الحضرة في الاسكندرية »(٢)

والواضح ان هذه الحملة كلها من تدبير سلطات الاحتلال التي اطلقت دعايتها لتثير الفزع في قلوب الحكام الرجعيين المصريين من مؤامرة بلشفية في مصر .. وتطوع الاهرام هو ايضا بايعاز من سلطات الاحتلال بالمشاركة في حملة اثارة الفزع هذه ..

فكتب في اليوم التالي لحملة القبض على الشيوعيين يقول « وقد سبق للحكومة في العام الماضي ان عملت مثل عملها الحالي أيضا ولكن ذلك لم يحل دون عودة البلاشفة الى استئناف الكرة هذا العام ، وقد يستأنفون عملهم في المستقبل مرة اخرى فيجب ان يروا امامهم سدا منيعا لا يستطيعون أن ينفذوا منه ».

---

١ ـ الاهرام ـ ١ـ٦ـ١٩٢٥ .

* كلمة الجمعية التجارية الحمراء ترجمة للعبارة الانجليزية Red Trade Union وصحة الترجمة « الحركة النقابية العمالية الحمراء » وقد اخطا الاهرام في الترجمة ونقل عنه هذا الخطا ايضا محمد عبد العظيم رمضان ـ المرجع السابق ـ ص ٥٥١ .

٢ ـ الاهرام ـ ٣ـ٦ـ١٩٢٥ .

ان مصر محاطة بالدعاية الشيوعية من معظم اطرافها ففي فلسطين حزب شيوعي ، وفي تونس تستفحل الحركة الشيوعية ويعظم بها الخطب ، وفي جدة تتصل بلشفي مسلم .. فهذا السور البلشفي الذي يحيط بمصر من معظم جهاتها جدير بان يوضع موضع الاعتبار في كل تدبير لمكافحة الشيوعية » .

وكان الاهرام لم يكتف بكل تدابير الارهاب التى اتخذتها حكومة زيور فانها تواصل الحملة قائلة « ومازال التشريع المصرى ناقصا من هذه الوجهة فجدير بالذين يتحملون المسؤولية عن التشريع أن ينظروا فى جميع الاساليب التى يتخذها دعاة البلاشفة لنشر دعايتهم فى مصر ويقيمون أمامها من التشريع سدا منيعا . فيحرم على كل من يشتبه به باعتناق الشيوعيـة دخول القطر المصرى وتصدر تعليمات صريحة دقيقة الى القناصل المصريين فى هذا الصدد ويعاقب من يثبت احتياله على مقتضيات هذه التعليمات عقابا شديدا . ويجعل للمنظمات الشيوعية درجة معينة من الجرائم التى ترتكب ضـــد النظام ويشمل هذا التحديد اجتماعاتها وكل عمل يعمل فيها »(١) .

ومن الثابت ان سلطات الاحتلال كانت مهتمة اهتماما بالغا بمكافحة الشيوعية ، وقد تجاوبت معها الحكومات المصرية تجاوبا دفع وزارة الخارجية المصرية الى رفع تقارير بصفة مستمرة الى السفارة البريطانية فى القـاهرة عن نشاط الشيوعيين والاجراءات المتبعة فى مكافحة هذا النشاط . وتتضمن مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية الموجودة فى المتحف البريطانى الان عددا من هذه التقارير .

وعلى اية حال فقد نجح البوليس فى القبض على ثلاثين شخصا فى آخر مايو .. ثم ما لبث ان القى القبض على آخرين فى منتصف يونيو . وينشر الاهرام خبرا من مراسله بالاسكندرية « اعتقل البوليس فى الاسكندرية اليوم (١٧ يونيو) اربعة من الوطنيين متهمين بالاشتراك فى الحركة الشـيوعية وارسلهم الى القاهرة بقطار الساعة الثالثة بعد الظهر »(٢) .

ولا يحفظ لنا قرار الاتهام الذى اذاعته النيابة فى ٨ سبتمبر ١٩٢٥ الا ثلاثة عشر اسماء فقط اما الباقون فقد افرج عنهم لعدم توافر الادلة (٣) .

والاسماء الثلاثة عشر هى كونستنتين فايس (افيجدور) ، شـــالوم بولاك ، ليون الكوني ، ريدل هرشليك ، محمد عبد السميع الغنيمى ، رفيق

---

١ ــ الاهرام ــ ٢ــ٦ــ١٩٢٥ .

٢ ــ الاهرام ١٨ــ٦ــ١٩٢٥ .

٣ ــ راجع نص قرار الاتهام فى الجناية رقم ٨٢٧ شبرا سنة ١٩٢٥ بالملاحق .

جبور ، شاكر عبد الحليم ، شعبان حافظ ، شارلوت روزنتال ، الهامى امين ، بيومى مرسى الباسوسى ، سكلاراديس ياناكاكيس ، هارون وانيتبرج .

وثمة اسماء اخرى من بين المقبوض عليهم في هذه الحملة يمكن التقاطها من صحف هذه الفترة فقد اهتم « المصور » بنشر صور عدد من المقبوض عليهم معلنا سبقه الصحفى والصعوبات التى احاطت بالتقاط هذه الصور مؤكدا انها « لم تنشر قبلا » .

وتحت عناوين مثل « خطر الشيوعية في مصر » « البلشفية خطر يهدد العالم » « لن تنجح الشيوعية في مصر »(1) ينشر « المصور » مجموعة من الصور التاريخية للمقبوض عليهم وبين الاسماء نجد بالاضافة الى الاسماء التى وردت في قرار الاتهام اسماء محمد طاهر العربى ، محمود ابراهيم العسكرى ، حسن قطب ، حسن عبده ، تيودوس كاليدس .

وهكذا يمكننا تجميع ١٨ اسما فقط بينما تشير الدلائل الى ان عدد المقبوض عليهم حوالى ٣٤ شخصا . فاهرام ١-٦-١٩٢٥ يقول « واعتقل منهم نحو ١٥ شخصا في سجن الاستئناف في القاهرة ونحو هذا العدد في سجن الحضرة » .

ثم يذكر في ١٨-٦-١٩٢٥ انه قد قبض بالاسكندرية على اربعة من الوطنيين بل ان احد تقارير وزارة الخارجية المصرية الى السفارة البريطانية يشير الى ان عدد المسجونين الشيوعيين في القاهرة والاسكندرية قد بلغ حوالى خمسين شخصا في فبراير (٢) بما يوحى ان حملات القبض قد استمرت واتسعت الى حد كبير .

وقد جرت المحاكمة سرية كما يشير الأهرام (٣) الا ان بعض لمحات نشرتها الصحف تشير الى مواقف شجاعة اتخذها المقبوض عليهم .

فيشير الاهرام اثناء تحقيقات النيابة الى ان بعض المقبوض عليهم « قد سئلوا عن علاقاتهم بالآخرين فاجابوا بانهم لا يتكلمون الا عن انفسهم وانه لا يجوز لهم الكلام عن غيرهم الا اذا اذنوا لهم بذلك »(٤) .

واشارت ايضا الى ان احد المعتقلين قال اثناء التحقيق « انه لو كان

---

١ — المصور اعداد ٢٦-٦ ، ٢-٧ ، ١٧-٧-١٩٢٥ .
(2) — F.O. — 371 — Egypt And Sudan — Piece No. 11010
محفوظة بالمتحف البريطانى .
٣ — الاهرام ٨-١١-١-١-١٩٢٦ .
٤ — الاهرام ١٧-٦-١٩٢٥ .

العالم يدار بايدى حكومات من العمال لكانت الحالة افضل مما هى الآن كثيرا »(١) ٠

وقد احتج المقبوض عليهم ومحاموهم على سرية الجلسات وقد تنبأ الاهرام بذلك قبل ان تبدأ الجلسات مستندا الى تجربة القضية السابقة الذى طالب فيهـا المتهمون بان يسمع الشعب صوتهم وهـم فى قفص الاتهام ٠٠ وقال الاهرام « والمفهوم انه ستقوم مناقشة حادة بين النيابة والدفاع فى سرية وعلنية محاكمة الشيوعيين قبل البدء فى نظر القضية »(٢) ٠

وفى الساعة التاسعة من صباح ١٠ يناير ١٩٢٦ بدأت المحاكمة « وقد حضر للدفاع عن المتهمين حضرات توفيق دوس باشا عن شارلوت روزنتال ، وهيب دوس بك عن ياناكاكيس ، صالح جودت بك عن رفيق جبور ، حسين عامر عن محمد عبد السميع الغنيمى ، توفيق حداد عن الهامى امين ، زهير صبرى عن الاخرين »(٣) ٠

ويلفت النظر هنا وضع زهير صبرى الذى حضر للدفاع عن ثمانية من المتهمين دفعة واحدة ويبدو ان زهير صبرى ـ وهو محام وفدى ـ كان على علاقة ما بالحزب فقد ظل اسمه يتردد دوما كمحام فى كل قضايا الشيوعية بعد ذلك ، ثم وردت اشارات فى تقارير لاحقة تشير الى علاقاته بالتنظيم السرى للحزب فى عام ١٩٣٧ ٠

وقد واجه المتهمون سلسلة من الاتهامات غير تلك التى تضمنها قرار الاتهام فقد ادعت النيابة ان بين الاوراق المضبوطة ما يفيد « علاقة بعض المتهمين بالجمعية الشيوعية الدولية الثالثة بموسكو ٠ وان الجمعية كانت تنفق على المتهمين فى قضية الشيوعية الاولى ، كمـا كانت تنفق على عائلاتهم »(٤) ٠

كذلك واجه المتهمون ثمانية وعشرين شاهدا منهم ستة فقط من رجال البوليس اما الباقون فكان معظمهم من بين قادة الاتجاه اليمينى الذى انسلخ عن الحزب عام ١٩٢٣ ، والذين لم يتورعوا عن الحضور للشاهدة ضد زملائهم

---

١ ـ الاهرام ١٩ـ٦ـ١٩٢٥ ٠
٢ ـ الاهرام ٨ـ١ـ١٩٢٦ ٠
٣ ـ الاهرام ١١ـ١ـ١٩٢٦ ٠
* تقرير سبانو احد قادة الحزب الايطالى وسوف نشير اليه تفصيلا فيمـا بعـد ٠
٤ ـ الاهرام ١٧ـ٦ـ١٩٢٥ ٠

القذامى وهم فى قفص المحاكمة ومن بين هؤلاء الشهود د. محمد عبد الله عنان والدكتور على العنانى وسلامة موسى » .

كذلك حضر للشهادة ضد المتهمين «محمد فؤاد سكرتير اتحاد النقابات (الوفدى) »(١)

وقد استغرقت المحاكمة اسبوعا كاملا وكانت الجلسة برئاسة حضرة صاحب العزة على بك سالم وعضوية حضرات كامل بك ابراهيم وعبد العزيز بك محمد وقد صدر الحكم فى الساعة التاسعة من صباح الثلاثاء ١٩ يناير وهو يقضى بسجن كونستنتين فايس وشالوم بولاك وليون الكونين ثلاث سنوات . وشعبان حافظ سنة مع الشغل ورفيق جبور والشيخ شاكر عبد الحليم والهامى امين ستة أشهر مع الشغل (وهؤلاء يخرجون بعد الحكم لاحتساب مدة سجنهم احتياطيا) وبراءة كل من ريدل هارستيلت ومحمد عبد السميع الغنيمى وشارليت روزنتال وبيومى الباسيونى واسكالاريوس وياناكاكس وهارون واينبرج »(٢) .

وبرغم ان هذه القضية لم تكن تمثل – فى ذاتها – شيئا خطيرا لا بالنسبة لعدد المتهمين فيها ولا بالنسبة للاحكام التى صدرت عليهم ، فقد اتخذت محورا لعدد من المؤامرات والمناورات السياسية المختلفة :

* فالانجليز استخدموها كسبيل للضغط على مصر مطالبين بمزيد من الحزم أو بالدقة بمزيد من الارهاب .

* واستخدمها الانجليز ايضا كحجة لتوجيه ضربة لحزب الوفد ، وقد شاهدنا فى فصل سابق كيف حاولت الصحف الانجليزية ان تثير شكوكا غير صحيحة حول علاقة الوفد بهذه القضية وحول قيام تحالف بين الوفد والبلاشفة . وقد ادعت الديلى كرونيكل « ان هناك علاقة بين محرضى البلاشفة فى القاهرة وحملة القتل (التى اتهم فيها عدد من الوفديين) وبين المقبوض عليهم رجل حكم عليه فى ١٩١٢ لاشتراكه فى مؤامرة دبرت لاغتيال اللورد كتشنر . ولكن افرج عنه فى العام الماضى بأمر احد وزراء حكومة زغلول باشا وينتظر ان تظهر اسرار خطيرة »(٣) .

وهذا الشخص هو محمد طاهر العربى وقد تعنينا من قبل علاقته بحزب الوفد بل واثبتنا أنه كان مجرد عميل للامن اما واقعة الافراج عنه بأمر احد الوزراء

---

١ – الاهرام ١١–١–١٩٢٦
٢ – الامل ٢٣–١–١٩٢٦ .
٣ – الاهرام ٣–٦–١٩٢٥ .

الوفديين فهى غير صحيحة على الاطلاق فقد افرج عنه فى ٢١ يوليو ١٩٢٣ بعد ان اوفى مدة العقوبة »(١) .

كذلك انتهزت « الورننج بوست » الفرصة لتهاجم الوفد ولتدين « الوسائل التى يستخدمها بلا ضمير للحصول على المساعدة الاجنبية لتأييد دسائسه ضد البريطانيين »(٢) .

* كذلك استخدمت حكومة زيور هذه القضية لتبرر ارهابها العنيف ضد كل القوى الوطنية والديمقراطية ولتبرر كل قراراتها الطائشة والمضحكة فى هذا الصدد بحجة مقاومة الخطر البلشفى .

* كذلك فان هذه القضية قد استخدمت فى محاولة للضغط على الدول الاجنبية حتى تتنازل – الى حد ما – عن بعض الامتيازات الاجنبية الممنوحة المقيمين الاجانب . وتقول الاهرام ان « علاقات مصر بالدول الموالية لها شأن مهم فى ما تقتضى الحاجة بوضعه من التدابير . فاستفحال الشيوعية فى مصر خطر على نظام مصر وعلى المصالح الاجنبية الكبيرة فى مصر فى وقت واحد . فجدير بالدول الموالية لمصر ان تكون عونا لها على مكافحة هذا الداء لا سيما وان الذين يحملونه الينا اشخاص من الاجانب »(٣) .

* بل ان « الاهرام » قد استخدم هذه القضية كنذير لتهديد الانجليز انفسهم . وهكذا وكما حاولت سلطات الاحتلال ان تجعل من الشيوعية شبحا تخيف به المصريين فان بعض الدوائر التى يتحدث الاهرام باسمها حاولت ان تستخدم نفس « الشبح » لتخيف به سلطات الاحتلال ففى افتتاحية الاهرام تحذير واضح للانجليز .. « فعسى ان يكون الحكم الذى صدر امس على دعاة الشيوعية خير نذير ايضا للسياسة البريطانية لكى تسلك سبيل الولاء نحو الامة المصرية وتنظر نظرة انصاف الى حقوقها المهضومة استبقاء لولائهـا ورضاها .. فليس من المستحيل ان تكون السياسة البريطانية سببا من اسباب الجرائم الشيوعية فنرى نفرا من المتهوسين يعتقد ان الشيوعية وسيلة لتحقيق مطالب الامة »(٤) .

* وفوق ذلك فان عددا من الكتاب قد استخدم هذه القضية كسبيل للضغط على الحكومة لبذل مزيد من الجهود لحل المشكلات الاجتماعية المعقدة ملوحا بان تفاقم هذه المشاكل سوف يزيد من خطر انتشار الشيوعية ، وعلى

---

١ – محمود طاهر العربى : المرجع السابق ص ١٥٤ .
٢ – الاهرام ٣–٦–١٩٢٥ .
٣ – الاهرام ٢–٦–١٩٢٥ .
٤ – الاهرام – ٢٠–١–١٩٢٦ .

بصفحات « المصور » وجنبا الى جنب مع اخبار القبض على المتهمين ومع الصور التى تباهى « المصور » بانفراده بنشرها يكتب فكرى اباظة تحت عنوان « البلشفية في مصر » وهل مررت على القهوات العامة عقب نتائج الامتحانات ؟ كرر هذا المرور شهرا أو شهرين أو ثلاثة شهور ، وخذ بالك ، من جمعيات المتخرجين تجد « البلشفية » في عيونهم وحركاتهم ونبراتهم واعتقد ان « البلشفية » في مصر لن تنبت من اكواخ الفلاحين أو مساكن العمال ، وانما ستنبت وتترعرع بين اوساط المتعلمين .. الذين افنوا زهرة العمر في عناء الدرس حتى اذا تخرجوا وجدوا ابواب العمل في وجوههم مقفلة وجو المستقبل مكفهرا ينذر بالاعاصير » ..

ثم يختتم فكرى اباظة مقاله بتهديد قاطع .. « لئن لم تعن الحكومة بهذه الحالة فلتتاكد ان البلشفية ستنتشر في المدن اولا بين طبقات المتعلمين ثم تسرى الى الارياف وبين الفلاحين »(١) .

* كذلك فان وجود كونستنتين فايس (افيجدور)(٢) بين المتهمين قد

---

١ ـ المصور ٩ـ٧ـ١٩٢٥ .

٢ ـ يوزد والتر لاكور ـ الاتحاد السوفييتى والشرق الاوسط . المرجع السابق المعلومات التالية عن افيجدور في ص ١٥٥ :

افيجدور : (بنيل كوتمى) ولد في اوكرانيا عام ١٨٩٢ والتحق بالحركة الثورية في وقت مبكر وهاجر الى الولايات المتحدة قبيل الحرب العالمية الاولى .. التحق في امريكا بالفيلق اليهودى Jewish Legion الذى كان قيد التاليف وقتئذ ، ثم ذهب الى فلسطين لوقت قصير عام ١٩١٨ . واقام في مصر عاما ونصف ثم عاد الى روسيا .. ارسل الى مصر مرتين عام ١٩٢٢ وعام ١٩٢٤ لينظم او بعبارة ادق ليبلشف الحزب الشيوعى المحلى . ولقد قبض عليه في المرة الثانية في القاهرة . وحكم عليه بالسجن لمدة طويلة . ولم يرجع الى موسكو الا في أواخر العقد الثانى . وقد صار معروفا كثقة في شؤون مصر . ثم ارسل عام ١٩٣٢ ليتجول في الشرق الاوسط ويفتش على الاحزاب المحلية . وقبض عليه عام ١٩٣٦ في موسكو بتهمة الاشتراك في مؤامرة تروتسكى وحكم عليه بالسجن عشرة اعوام ومات في احد المعسكرات عام ١٩٣٨ . واعيد اليه اعتباره عام ١٩٥٥ .

وقد تزوج افيجدور من ابنة جوزيف روزنتال مؤسس الحزب الشيوعى ـ الاشتراكى في مصر . والذى طرد من الحزب بتهمة انحرافاته الفوضوية . اما زوجة افيجدور فقد اعتقلت في موسكو بعد اعتقال زوجها وامضت ١٨ عاما في معسكرات الاعتقال الى ان افرج عنها عام ١٩٥٦ .

اثار موجة عنيفة من الاتهامات بان للكومنترن أصابع فى نشاط الحزب ، وان الكومنترن وممثليه هم الموجهون لنشاطه .

ويشير لاكور ايضا الى شخص امريكى يدعى Ignaz Semenyuk قام بتاسيس شركة تركية روسية فى القاهرة فى عام ١٩٢٥ والى Alexei Vasiliev الذى قام فى ١٩٢٧ بتاسيس وكالة تجارية باسم Textil Import ويقال ان الاثنين قد بذلا جهودهما فى تنشيط عمل الحزب الى ان طرد الاول فى عام ١٩٢٨ والثانى فى عام ١٩٢٩ »(١).

وتشير مصادر الحزب الالمانى الى ان شيوعيا المانيا اسمه هوجو رودولف Huga Rudolf قد وصل الى مصر عام ١٩٢٥ ليدرس اوضاع الشيوعيين المصريين وظروف عملهم وانه افتتح مصنعا للنسيج بالاسكندرية وظل مقيما بها حتى عام ١٩٢٩ ثم غادر مصر الى موسكو حيث عمل كمندوب بالدولية الثالثة .

والذى لا شك فيه ان الكومنترن كان يقدم نوعا من العون السياسى والتنظيمى للاحزاب الحديثة التاسيس وانه كان يمدها فى بعض الاحيان بعدد من الكوادر المدربة .

كذلك تشير الدلائل الى ان الكومنترن وقد كان بمثابة هيئة مركزية بالنسبة لكل الاحزاب المنتسبة اليه كان يرسل ممثلين سريين له فى عدد من البلدان التى تعانى الاحزاب فيها متاعب ما ، وكان هؤلاء المندوبون السريون حتى على الحزب نفسه يعدون تقارير حول مشاكل معينة .

وفى وثائق المؤتمر الخامس للكومنترن ما يشير الى شكوى بعض الاحزاب من ان اللجنة التنفيذية للكومنترن تتلقى معلومات غير دقيقة بطرق غير سليمة من الناحية التنظيمية .

وربما كان ذلك كله ضروريا فى البداية حيث كانت الاحزاب وخاصة تلك التى نشأت فى المستعمرات تفتقر الى الخبرة والى الكادر المدرب . لكن تواجد هذه العناصر الاجنبية فى صفوف حزب يعمل فى بلد يناضل اساسا ضد الاستعمار ، ويعانى سكانه فى الاساس من التسلط الاجنبى ومن الامتيازات التى يعانى منها الاجانب كان سببا فى كثير من المتاعب .

ولسنا هنا بصدد تقييم الدور الذى لعبه اشخاص مثل « انيجدور » وهل

---

(١) لاكور : الشيوعية والقومية فى الشرق الاوسط ، المرجع السابق ص ٤٠ .

كانت نتائجه سلبية ام ايجابية ، لكن الشيء المؤكد ان تواجدهم قد اثار بعض الاضطراب في صفوف الحزب .

وما ان افرج عن حسني العرابي السكرتير العام للحزب وكان قد قبض عليه في حملة عام ١٩٢٤ ، حتى رفع شعار الابتعاد عن الكومنترن .

وكان التصور العام الذي ينادي به العرابي هو ان الحزب ظل علنيا ونشيطا طوال الفترة التي كان يسمى نفسه فيها بالحزب الاشتراكي وان الانتماء للكومنترن واصرار الكومنترن على تغيير اسم الحزب الى الحزب الشيوعي قد وضع الحزب في مواجهة مباشرة وحتمية ضد الدستور والقوانين التي تنص صراحة على تحريم الشيوعية وتحريم اقامة اية تنظيمات تدعو لها .

وان على الحزب كي يعيش ان يرفع من الشعارات ما يسمح له بالعلنية ، ذلك انه لا امل في اقامة تنظيم سري .

يقول مارسيل اسرائيل « وعندما خرج محمود حسني العرابي من السجن اقترح ان ينسحب الحزب من الدولية وطالب باتخاذ مواقف ذات مضمون انتهازي »(١)

لكن مجموع كادر الحزب قاوم هذه الفكرة ورفضها ، فالرجعية المصرية ليست فقط ضد هذه الكلمة او تلك لكنها ضد كل تجمع طبقي يمثل جماهير العمال والفلاحين .

ان اتجاه حسني العرابي قد هزم هزيمة ساحقة فقد انسحب وحيدا من الحزب ولم يخرج معه الا الهامي امين (المخزنجي بالسكة الحديد والذي قبض عليه في حملة ١٩٢٥ ثم افرج عنه لاستيفاء مدة العقوبة) .

وقد ظل الهامي امين على ولاء تام للعرابي فاصدر في ١٩٢٧ كتيبا بعنوان « مقالات العرابي » قال في مقدمته « اعتقد عن يقين ان من ابلغ واقوى وامتن ما كتب بالعربية في تقويض الرجعية ونشر الثقافة الجديدة ورفع لواء التجديد سواء اكان ذلك في الادب ام الاجتماع ام التاريخ ام الاقتصاد

---

(١) مارسيل اسرائيل (تشيزيزي) تقرير - راجع النص الكامل بالملاحق .

ما كتبه صديقى الاستاذ محمود حسنى العرابى . ولا اكون مغرقا اذا قلت ان غير محمود حسنى العرابى فى مصر لا يقوى على صرخته الجريئة »(١) .

وعلى اية حال لقد ابتعد العرابى عن الحزب محاولا ان يشق لنفسه طريقا جديدا هو طريق « العلنية » ولسوف نحاول تتبع هذا الطريق الجديد فى صفحات قادمة فلنركز الان انتباهنا على المسيرة الاساسية ولنتابع خطى الحزب بعد حملة القبض التى تمت فى ١٩٢٥ .

وكما يحدث فى كل مرة فان الرجعية قد تصورت ان القبض على هذه المجموعة الكبيرة من الكادر قد اوقفت نبض الحزب لكن التقارير السرية المرفوعة من وزارة الخارجية المصرية الى السفارة الانجليزية تكشف عكس ذلك .

فبعد التهليل لعمليات القبض وبعد التباهى الذى ظهر فى هذه التقارير بان السجون تضم اكثر من خمسين من اعضاء الحزب فاننا لا نلبث ان نجد احد هذه التقارير يشكو من « ان الشيوعية تنتشر بكثرة فى القاهرة وهناك شيوعيين كثيرين وسط العمال . ان هناك مطبوعات شيوعية سرية تصدر بكثرة »(٢) .

فلنحاول ان نبحث عن مصدر هذه الشكوى الجديدة .

والحقيقة ان النشاط الحزبى قد انطلق سريعا بالرغم من حملات القبض التى استمرت من اواخر مايو حتى اواخر يونيو ١٩٢٥ .

وبالرغم من النشاط العنيف الذى قامت به قوات البوليس المصرى تحت القيادة الاجنبية وبرغم الخبراء الذين سافروا الى لندن عدة مرات لدراسة مكافحة « المبادىء الهدامة » فقد استطاع الحزب ان يواصل نشاطه فى مواجهة هذه الصعوبات البالغة .

وكانت الخطة التى انتهجها الحزب بعد حملات الدعاية المضادة التى شنت عقب القبض على انيجدور هى الاستغناء عن الكوادر الاجنبية والاعتماد قدر الامكان على ايفاد كوادر مصرية وعمالية على الاخص للدراسة والتدريب فى جامعة كادحى الشرق بموسكو حتى يعودوا الى مصر ليقودوا نضال الحزب .

وفى هذه الفترة نجح الحزب فى ايفاد عدد من كوادره العمالية للدراسة فى

---

١ ـ محمود حسنى العرابى . مقالات العرابى . عنى بجمعها وترتيبها ونشرها الهامى امين ـ الطبعة الاولى . المطبعة الاهلية الكبرى . ص ٢ .

٢ ـ مؤرخ فى ٣٠ـ٩ـ١٩٢٥ ومدرج فى مجموعة الوثائق السرية تحت رقـم :

F.O. 371. Egypt And Sudan. File 29 - Piece No 10888.

ـ مودع بالمتحف البريطانى .

موسكو ومن بينهم عبد الرحمن فضل (نجار) - محمد دويدار (عطشجى فى السكة الحديد) - عبد العزيز مرعى (براد بالسكة الحديد) - وآخرين .

وهكذا فاننا نرى أن الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية قد بدأت تقلل من حديثها عن مبعوثى الكومنترن وتركز الاهتمام على الطلبة المصريين العائدين من موسكو .

ومع ذلك فقد ظلت بعض العناصر الاجنبية التى قيل انها تمثل الكومنترن متواجدة فى مصر ، وثمة وثيقة تقول : منذ عام ١٩٢٦ كان هناك شيوعيا تحت مراقبة البوليس .

ومن بين هؤلاء (مندوبا الكومنترن) ماكس كوجيل Max-Kogeil

والياهو تيبر ElHialiou Teper (١)

لكن الشيء الجديد والملفت للنظر فى هذه الوثيقة هو العبارة التى تشير الى الكوادر المصرية العائدة من موسكو ، ان خمسة من الطلبة المصريين الذين درسوا فى مدرسة كادحى الشرق قد عادوا وهم يتصلون بنشاط بالعناصر اليسارية فى حزب الوفد .

وكان من بين العائدين من موسكو محمد عبد العزيز .

وقد سارع « باناكاكس » زعيم المجموعة الشيوعية اليونانية والذى كان فيما يبدو على علاقة مباشرة بالحزب الشيوعى اليونانى وببعض مندوبى الكومنترن بمصر بترشيح محمد عبد العزيز سكرتيرا عاما للحزب .

وتؤكد العديد من المصادر هذه الواقعة ، ويؤكدها أيضا مارسيل اسرائيل (تشيريزى) « وبعد ذلك عين عامل يدعى عبد العزيز كان قد تلقى دراسته فى موسكو فى منصب سكرتير الحزب وكان ترشيحه بناء على توصية من مناضل يونانى قديم يدعى « باناكاكيس » (٢)

وكان محمد عبد العزيز - كما تجمع مصادر عديدة عميلا للبوليس منذ بدء انضمامه للحزب . وكان البوليس المصرى مطعما بخبرة البوليس البريطانى فى اللجوء الى أسلوب التسلل الى صفوف الحزب والانتظار الطويل سعيا وراء اصطياد أكبر عدد من الكوادر .

---

(1) F.O. 371 - Egypt And Sudan - File 2073 / 230 - Piece No 1380.

مودعة بالمتحف البريطانى .

٢ - مارسيل اسرائيل (تشيريزى) . المرجع السابق .

وتقارير البوليس السرية المرفوعة لوزارة الخارجية البريطانية تشير باستمرار الى اشخاص موضوعين تحت المراقبة انتظارا لصيد أكبر عدد من الكوادر ..

« منذ ١٦ ـ ٤ ـ ١٩٢٤ والدعو اندرييف تحت مراقبة البوليس »(١) .

« منذ عام ١٩٢٦ كان ٤٠ شخصا تحت مراقبة البوليس وكانوا يقومون بتاسيس خلايا »(٢) ..

وبرغم كل ذلك فقد استطاع الحزب أن يواصل المسيرة ..

ولنحاول أن نستخلص بعض المعلومات عن اسلوب النشاط الحزبى من حوار مع محمود دويدار(٣) وهو واحد ممن ضمهم الحزب فى هذه الفترة .

« س : كيف انضممت الى الحزب ؟

ج : فى سنة ١٩٢٧ كنت أعمل فى طنطا وكان لى زميل اسمه أحمد عبد العزيز كان هو أيضا عطشجى بالسكة الحديد . وفى أحد زياراتى له أطلعنى على خطابات وصلته من اخيه محمد عبد العزيز الذى كان فى موسكو فى ذلك الحين ويخبرنى وصفه للحياة فى الاتحاد السوفييتى . وقد دفعنى هذا الى توطيد علاقاتى بأحمد عبد العزيز حتى أطلع على المزيد من المعلومات عن الاتحاد السوفييتى .

ثم عاد محمد عبد العزيز من موسكو وسعيت الى التعرف عليه وفى أول مناقشة سألنى عن انتمائى الحزبى فقلت له اننى أميل الى الحزب الوطنى لانه يهتم بشؤون العمال لكننى لا أعمل معهم .. وبعد عدة مقابلات ضمنى محمد عبد العزيز الى أحد خلايا الحزب فى طنطا .

س : هل يمكن أن تشرح لى اسلوب عملكم الحزبى فى عام ١٩٢٧ ؟

ج . كان التنظيم سرى ، لكننى كنت أعرف أن هناك خلايا فى القاهرة والاسكندرية وطنطا وفى أماكن اخرى . وكان شعبان حافظ يتصل بنا فى طنطا احيانا . وفى أحيان أخرى كنت أسافر أنا الى القاهرة لأقابل محمد عبد العزيز . اتسع نشاطنا فى طنطا فانا مثلا جندت عددا من العمال بينهم

---

(1) F.O. 371 - Egypt And Sudan . File 2073/2730 - No : 1380

(2) F.O: 371 - Egypt And Sudan - File 29 - Piece No : 10888

٣ ـ محمد دويدار عطشجى بالسكة الحديد ـ جند فى صفوف الحزب عام ١٩٢٧ ـ راجع محضر النقاش معه فى الملاحق ..

اثنان سافرا الى جامعة كادحي الشرق بموسكو هما عبد العزيز مرعى (براد فى السكة الحديد) والثانى اسمه عبد الحميد (لا أذكر بقية أسمه) وكان أيضا عاملا فى السكة الحديد ٠

وكانت الخلايا تدرس الماركسية وتدور مناقشات عديدة حول الاوضاع فى الاتحاد السوفييتى » (١) ٠

وفى مناقشة اخرى قال محمد دويدار « بالاضافة الى المعلومات التى أدليت بها فى الجلسة السابقة أذكر اننى جندت فى طنطا وكنت عضوا فى خلية عدد اعضائها خمسة ، ولم أكن أعرفهم فقد كانت السرية مطلقة ، وكنا نستخدم إسماء حركية ٠ وأحيانا كنت أستدعى لحضور اجتماعات القاهرة وأذكر أننى دعيت الى اجتماع فى منزل بشارع كلوت بك حضره محمد عبد العزيز وثلاثة من عمال العنابر لمناقشة بعض المشاكل العمالية ٠ وكانت معظم الموضوعات الدراسية تتركز حول حالة العمال واستغلال الرأسماليين لهم ٠٠ وكنا باستمرار نربط بين الرأسمالية والاستعمار »(٢) ٠

وقد نشط الحزب فى ذلك الحين لتأسيس فرع مصرى لعصبة النضال ضد الأمبريالية ٠ ويبدو انه قد نجح فعلا فى تأسيس فرع يضم عدداً من الوطنيين والعناصر اليسارية والتقدمية ويسار حزب الوفد وعناصر الحزب الوطنى ٠

وقد وجهت الدعوة لحافظ رمضان لحضور مؤتمر العصبة فى بروكسل وقد اعتذر عن الحضور لكنه وجه رسالة تحية للمؤتمر نشرتها مجلة العصبة وبناء على هذه الرسالة قرر المؤتمر الاول للعصبة ضم حافظ رمضان الى اللجنة التنفيذية للعصبة ٠

وتشير الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية الى اتصالات واسعة قامت بها عصبة النضال ضد الامبريالية مع أوساط واسعة وشخصيات هامة فى مصر ٠٠ وقد طالعنا فى فصل سابق بعض ما جاء فى وثيقة حصلت عليها المخابرات البريطانية من المخابرات الهولندية حول نشاط هذه العصبة(٣) ولنواصل الآن متابعة ما جاء فى هذه الوثيقة الهامة من المعلومات ٠

---

١ ـ محضر نقاش معه بتاريخ ٢٢ ـ ١ ـ ١٩٧٠ ـ بالملاحق ٠

٢ ـ محضر نقاش بتاريخ ١٧ ـ ٣ ـ ١٩٧٠ ـ راجع النص الكامل بالملاحق

(3) F. 371/13417 - File 156/792 - W - 5302 : 157/29.

من وثائق وزارة الخارجية البريطانية ـ ومشار فى صفحتها الاولى الى أنها مترجمة عن تقرير سرى مكتوب باللغة الالمانية ـ مودعة بالمتحف البريطانى ٠

وهنالك فى القاهرة أيضا الياس يعقوب محرر جريدة Piliwan Timoer التى تصدر فى القاهرة والتى صدر عددها الاول فى أكتوبر ١٩٢٧ وهو يعمل أيضا كمراسل لجريدة تصدر فى جاوة باسم Pembrita Kemadjoean وهى جريدة شيوعية كانت تتسمى من قبل باسم Sinar Indonesia.

ومن المعروف أن الياس يعقوب هذا قد قام بعدة زيارات لرئيس جمعية الشباب المحمدى (عبد الحميد بك سعيد) يصحبه الشيخ محمود أبو العيون مفتش الجامع الازهر وعضو الحزب الوطنى المتطرف » .

وتمضى الوثيقة قائلة « وهنا يثور تساؤل هام هو : هل قامت موسكو عن طريق العصبة المناهضة للامبريالية فى برلين بدور أساسى فى تأسيس جمعية الشباب المحمدى بهدف التأثير فى الطلاب الهنود والاندونيسيين الذين يدرسون فى الازهر ٠ ومن ثم يمكن أن تتحول هذه الجمعية التى مقرها القاهرة الى مركز للدعاية الموالية لموسكو والمناهضة لبريطانيا وهولندا ؟ والحقيقة أن هناك ثمة عوامل ترجح أن الرد على هذا السؤال هو بالايجاب » ٠

ويبدو الذعر واضحا فى هذه الوثيقة من تلك العلاقة التى نجحت العصبة من خلال الحزب فى اقامتها مع بعض عناصر الحزب الوطنى المصرى ومع بعض رجال الدين والجمعيات الاسلامية ٠٠ ومع بعض القوى الوطنية وسط طلاب العالم الاسلامى ٠

وفى المؤتمر الثانى للعصبة الذى عقد فى فرانكفورت فى ١٩٢٩ مثل مصر عضوان هما عبد الحميد سعيد وعبد الفتاح العزيزى ٠

وفى المجلة التى تصدرها العصبة باسم (Anti Imperialism Review) كان يعمل مصريان هما ابراهيم يوسف وعبد الرؤوف مالك ٠

كذلك نجحت هذه العصبة فى اقامة علاقات واسعة مع المنظمات الاسلامية فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى وتشير مجلة السياسة الاسبوعية الى هذه العلاقة فى مقال بعنوان : « الاضطرابات فى الهند الشرقية ونشاط الدعاة البلاشفة » قالت فيه « ان الدعاة البلاشفة قد التفوا حول جمعية (رابطة الاسلام) حتى غلبت فيها العناصر المتطرفة ٠٠ ويبذل الدعاة قصارى جهدهم لكى يجعلوا من هذه البيئة القائمة القوية آلة لدعوتهم فاتخذوا شعارهم تحقيقا لهذه الغاية « أرض الاسلام للمسلمين » ٠ والفى الدعاة عضدا قويا لتحويل التيار الدينى الى تيار سياسى فى كون أصحاب الأعمال يضنون بالعمل على العمال الذين يلتحقون بالرابطة وبذلك يظهرون أنهم أعداء الدين الاسلامى »(١) ٠

---

١ ــ السياسة ــ ٢٦ مايو ١٩٢٨ ٠

كذلك نجحت العصبة في اقامة علاقات وثيقة مع حركات التحرير الوطني في مختلف البلدان العربية .

وقد حضر المؤتمر الثاني للعصبة بالاضافة الى مندوبي مصر حمدي الحسيني والعيني (الشام) ، شبيل بن مصيطفى (تونس) ، الجشتزائرى (الجزائر) .

وكان قد حضر المؤتمر الاول مظهر البكرى المناضل السورى المعروف . وثمة وثيقة في المتحف البريطاني عبارة عن ملخص لترجمة مقال منشور في جريدة Bandra Islam الصادرة في ٤ يوليو ١٩٢٧(١) تنقل وتتحدث المقال عن العصبة ونشاطها ، وعن تقرير السكرتارية العالمية حول النشاط الذي قامت به خلال الفترة بين شهري فبراير ومايو ١٩٢٧ .

ويتضمن المقال معلومات تقول ان السيد مظهر البكري قد اقترح تكوين فروع لهذه العصبة في كل البلدان العربية ، على أن تبذل جهود لتوحيد هذه الفروع وتكوين قيادة مركزية عربية يمكن أن تسمى « عصبة تحرير البلدان العربية » .

كذلك اقترح السيد البكرى عقد مؤتمر عربي للنضال ضد الامبريالية بالقاهرة . وذلك بهدف تعزيز النضال العربي ضد الاستعمار .

وقال انه قد تم الاتصال بالفعل بعدد من الشخصيات العربية لبحث مسألة عقد هذا المؤتمر معهما ، ومن بين هذه الشخصيات عضو في البرلمان المصري .

وسوف يدعى الى هذا المؤتمر ايضا مندوبون من الصين واندونيسيا وانجلترا والهند .

وثمة مقال مثير للاهتمام والدهشة فيما نطالع فقرة منه تقول :

ان مصر تقبل الان على بحر متلاطم الامواج انها تحتاج الان الى حزب قومي قادر وزعيم قومي ذو نفوذ واسع ، حزبا يرفع شعار « كل الثلاثة الجمهوريات العربية الانحلالية في الشرق الادنى » فهل يستطيع سعد زغلول باشا ان يلعب هذا الدور ، نؤمل ذلك ، وان كنا نشك كثيرا في امكانية ذلك (٢) .

والفقرة على قصرها تثير اكثر من تساؤل حول مسائل وردت

---

١ ــ راجع النص الكامل للوثيقة بالملاحق .

(2) F.O. 371 - Egypt And Sudan - File 2073/2730 - Piece No. : 1380

بريقعنا دون ايضاح بل ولم تتكرر كثيرا فيما بعد ـ فيما نعلم ـ مسميات مثل « حزب قومى » ، « زعيم قومى » ، « كل السلطة للجمهوريات العربية الفيدرالية فى الشرق الادنى » .

وقد نجح الحزب فى ان ينشر موضوعا مصورا عن المؤتمر الاول للعصبة فى مجلة اللطائف المصورة ، وقد تضمن الموضوع صورة لمظهر البكرى كتب تحتها « مظهر بك البكرى مندوب سوريا فى مؤتمر الشعوب المظلومة وهو شقيق نسيب بك البكرى الزعيم السورى المعروف » .

وقد تضمن الموضوع بيانات هامة عن المؤتمر جاء فيها « عقد فى بروكسل عاصمة البلجيك فى شهر فبراير الماضى مؤتمر الشعوب المظلومة وقد تألف من ١٧٥ عضوا يمثلون جميع الشعوب المستعبدة ومعظم الاحزاب الاشتراكية والشيوعية وممثلى الاحزاب الاستقلالية فى تونس والجزائر وافريقية الجنوبية والهند والصين وقد استمرت جلسات المؤتمر خمسة ايام القيت فيها الخطب وتكلم مندوبو الشعوب عن استعمار الدول فى مختلف البلدان وكان اشد الاعضاء تحمسا مندوبو الصين ، وقد قال احدهم فى احدى خطبه « نحن نعلم كيف يجب علينا ان نموت فى سبيل الثورة » ـ وكانت جدران قاعة المؤتمر مزينة بصور كبيرة للثورة الصينية وبطائفة من الصور الاخرى ـ وكان بين مندوبى تلك الشعوب كثير من الزنوج والعبيد »(١) .

وتشير احدى وثائق وزارة الخارجية البريطانية عن هذه الفترة الى ان الحزب قد اتصل بالعناصر اليسارية فى حزب الوفد .. وتقول نفس الوثيقة « وقد يكون مصر فرع لعصبة النضال ضد الامبريالية »(٢) .

كذلك فان احد التقارير السرية المرفوعة من السفارة الانجليزية بالقاهرة الى وزارة الخارجية تشير الى ان الحزب « حاول الاتصال بالشيخ عبد العزيز جاويش (مات عام ١٩٢٩) لكنه فشل فى ذلك »(٣) .

وعندما منعت الحكومة المصرية النائب البريطانى الشيوعى سكلا تفالا من دخول البلاد .. كشفت المناقشات التى جرت فى البرلمان حول هذا الموضوع عن اتصال بعض نواب الوفد والحزب الوطنى بفرع العصبة فى مصر

---

١ ـ اللطائف المصورة ٢١ ـ ٣ ـ ١٩٢٧ .

(٢) F.O 371 - Egypt And Sudan - File 2073/2730 - Piece No : 1380 مودعة بالمتحف البريطانى .

٣ ـ التقرير السنوى للسفارة الانجليزية المرفوع لوزارة الخارجية عن عام ١٩٢١ ، ومودع بالمتحف البريطانى تحت رقم File 2862/38746 Piece No : 14652

التي يبدو انه نشط في توزيع صور من خطابات كتبه سكلا تفالا على عدد من النــواب ...»

وقد قال النائب حسن سيد أحمد نافع « أنه قد ورد لاكثر من واحد من المصريين كتب شخصية من المستر سكلا تفالا ... واسمحوا لي ان اتلو على حضراتكم ترجمة احدى الفقرات من بعض خطاباته »

ويقول محمد حافظ رمضان في نفس الجلسة انه قد يتلقى واحدا من هذه الخطابات .. (١) .

ولعل مسرحية سكلا تفالا بكل ما كشفت عنه من صراعات كانت الفصل الاول من الحملة الجديدة ضد الحزب الذي استطاع أن يقيم الى حد ما نوعا من التجمع الوطني المناهض للاستعمار .. والذي نجح الى حد ما في تحقيق المحاولة الاكثر خطرا من وجهة نظر الرجعية المصرية والاحتلال البريطاني وهو ايجاد علاقات بين الحركة الوطنية المصرية وبين حركة اليسار العالمي المناهض للاستعمار والامبريالية والسعي لايجاد تجمع عربي مناهض للامبريالية ..

وكانت قضية المؤامرة الوهمية التي حاول فيها احد عملاء البوليس اتهام الشيوعيين وحافظ رمضان بالاشتراك في مؤامرة لاغتيال الملك فؤاد خلال زيارته لأوربا (٢) .. هي الفصل الثاني من الحملة التي صار توجيهها ضد اليسار وضد القوى الوطنية التي تحالفت معه ..

ثم بدأ الفصل الثالث بحملات التشهير والقبض ضد الزعماء العرب الذين شاركوا في نشاط العصبة .. واذا كان مظهر البكري واحدا من ابرز القادة العرب الذين اسهموا في نشاط العصبة .. وصاحب الاقتراح الخاص بتأسيس « عصبة عربية مناهضة للامبريالية وبعقد مؤتمر عربي للنضال ضد الاستعمار بالقاهرة .. فان الضربة الاولى يجب ان توجه اليه ... ويجب ان تجد صدى لها على صفحات الجرائد المصرية لعلها تكون تحذيرا للوطنيين المصريين وردعا لهم ...

وتنشر الصحف المصرية الخبر التالي : تحرى البوليس في يافا دار السيد نسيب البكري للتفتيش عن أوراق هامة يقال أن لها صلة بعلاقة السيد نسيب وأخيه مظهر بقبض مبالغ من اللجنة الشيوعية باسم بعض الحملات ... وقد شاع قبل شهرين أن الحكومة عثرت على أوراق تشير الى ذلك في دار اللجنة

---

١ - مضبطة الجلسة الثانية والعشرين لمجلس النواب يوم ٢٥-١-١٩٢٧ . راجع النص الكامل بالملاحق .
٢ - اللطائف المصورة ٢٢-١١-١٩٢٧ .

الشيوعية بيافا . ويقال ايضا ان السيد مظهر البكرى سافر بأموال الشيوعيين الى مؤتمر بروكسل »(١) ..

والآن فان المسرح يبدو معدا لتوجيه ضربة جديدة للحزب فى مصر . ذلك ان كل نجاح جديد يحققه فى أى مجال من المجالات كان يستتبع بالضرورة حملة بوليسية عنيفة تستهدف اجهاض هذا النجاح ..

وكذلك فان توجيه الضربة للحـزب كان يعنى بالضرورة احباط المحاولات الجادة التى بذلها بوعى وكفاءة لخلق جبهة مصرية مناهضة للاستعمار ولخلق جبهة عربية ضد الاستعمار ايضا ..

وكان ضروريا ان تشن حملات دعاية تكون بمثابة الموسيقى المصاحبة لحملات الاعتقال وتركزت الحملات فى هذه المرة ايضا على العلاقات بالكومنترن ، وعن العناصر الاجنبية ، واخيرا ـ وهذا هو المهم ـ حول دور يهود فلسطين فى الحركة .

وهكذا ومع اول علاقة ثورية ينظمها الحزب أو يدعو لتنظيمها مع القوى الثورية العربية تشن الحملة ضده من جانب ذكى يحاول نفض التحالف العربى من حـــوله ..

فيستخدم النشاط الشيوعى وسط يهود فلسطين وعلاقته بنشاط الحزب فى مصر .

.. وكالعادة .. فقد بدأ احد المراسلين الاجانب الحملة ..

ففى أوائل مايو ١٩٢٨ كتب مراسل التايمز بالقـاهرة مقـالا حـذر فيه من ان « الدعوة الشيوعية عادت تسرى فى مصر سرى سريعا ، وانها ستلعب دورا خطيرا فى المستقبل القريب ان لم تتخذ احتياطات حازمة لقمعها ... » وقال ان النشاط قد بدأ يدب فى اوساط الشيوعيين من جديد .. « وقد عاد من موسكو اخيرا شبان مصريون بعثوا اليها على نفقة السوفييت حيث تلقوا هناك المبادىء فى موســـكو ، وهؤلاء دعاة قادرون وســـينظمون بروباجنــدة ناجحة . ومن المحتمل ان تستمر هذه البعثات فى السنوات القليلة القادمة . فمن الضرورى ان تنشط السلطات المصرية لمراقبة حركات هؤلاء الطلبة التى ينظمها السوفييت فى اوديسا وغيرها من الموانىء الشرقية » ثم يصل الى بيت القصيد فيقول « ومما يزيـد من مهمة السلطات المصرية صعوبة ومشقة ان فلسطين مركز قوى للشيوعية فهى بمثابة حلقة اتصال بين موسكو والقاهرة(٢)

---

١ ـ السياسة ـ ٢٠ـ٨ـ١٩٢٧ .

٢ ـ عبد العظيم رمضان ـ المرجع السابق . ص ٥٥٦ .

وعلى الجانب الآخر يرتفع ايضا صوت الموسيقى المصاحبة وتنشر المقالات فى الصحف المصرية تردد ذات النغمة وينشر البلاغ مقالا للدكتور محمد ابو طائلة يطالب الحكومة بان تزيد رقابتها على الاجانب الوافدين من فلسطين خاصة ، فقد سرت افكار الشيوعية بين المهاجرين الذين استعمروها حديثا وصاروا رسل البلشفية الى هذه البلاد ، والصلة بين روسيا والشرق .. ومن المصريين ايضا افراد قلائل غرهم رونق المبادىء الشيوعية وحسن طلائها او دفعتهم الحاجة الى ان يبتغوا انفسهم للبلاشفة ويصبحوا مأجوريهم فى مصر ، ومنهم شبان يتلقون التعاليم البلشفية فى جامعة موسكو »(١)

أما « السياسة » فانها تربط بين النشاط الشيوعى وبين مؤامرة عالمية واسعة النطاق فى « حوادث الايام الاخيرة ما ينهض على ان الشيوعية تقوم بوثبة فى سبيل بث الدعوة الثورية ، والظاهر ان هذه الوثبة عامة تشمل البلدان التى تأنس فيها الشيوعية ميدانا للعمل ، وليس بعيدا ان مصر احدى هذه الميادين ، وانها وثبة محكمة مدبرة تجمع بينها وحدة الوحى والخطط والمؤازرة المادية والمعنوية »

وبعد حديث مسهب عن النشاط الشيوعى المتزايد فى النمسا والمجر وفنلندا وبريطانيا واليابان تمضى السياسة قائلة « وهكذا نرى ريح الشيوعية تعصف فى انحاء مختلفة من اقصى العالم الى اقصاه وابعده ـ كما عودتنا ان يرجع اتحاد هذه الثورات فى الظروف والاساليب والمقاصد الى الاتفاق المجرد ، فليس من ريب انها حركة موحدة مدبرة ، وانها ترجع كلها الى وحى واحد »(٢)

وفى مواكبة هذه الموسيقى المصاحبة بدأت حملات القبض والاعتقال وفى ٥ مايو ١٩٢٨ تلقت حكمدارية بوليس القاهرة من وزارة الداخلية تعليمات خاصة بالقبض على ٢١ شيوعيا

ان سرية الاجراءات التى تمت خلال عملية القبض توحى بان البوليس طور الى حد كبير اساليبه فى مكافحة الحزب

فأخذ جناب بيكر بك مأمور الضبط فى الحكمدارية فى وضع الترتيبات بمهاجمة منازل هؤلاء الشيوعيين واصدر فى الحال دعوة الى ضباط البوليس الآتية اسماؤهم بالحضور الى فناء الحكمدارية فى الساعة الخامسة صباحا (وهم ٦ من ضباط الاقسام و ٣ من ضباط قلم المكتب السياسى وضباط قلم الضبط الاجنبى)

---

١ ـ البلاغ ـ ٩ـ٥ـ١٩٢٨

٢ ـ السياسة ـ ٨ـ٥ـ١٩٢٨

ولما كانت الاجراءات والترتيبات سرية غاية فى الكتمان لم يستطع أى ضابط من الضباط الوقوف على الامر الذى دعى من اجله .

« وعند الساعة الخامسة والثلث من صباح امس كان كل الضباط مجتمعين فى فناء الحكمدارية وهناك سلم بيكر بك الى كل منهم أمرا مكتوبا باعتقال شخص معروف مبينة أوصافه ومميزاته واقامته وتفتيش منزله واحضاره هو وكل ما يعثر عليه فى منزله من صور فردية أو عائلية وصحف أجنبية وخطابات وبطاقات زيارة واوراق خاصة »(١)

وهكذا هاجم البوليس فى وقت واحد ١٨ منزلا فى شوارع محمد على وكلوت بك وحارة السقايين وشوارع اخرى فى شبرا وعابدين والازبكية .

والى هنا كان الامر يبدو بالنسبة لكثير من المؤرخين وكأنه خاتمة المطاف .

فقد اكتفى هؤلاء المؤرخون بالبحث عند هذا الحد معلنين ان ما بعد ذلك مجرد « لا شيء » .

وهكذا أعلن رؤوف عباس أن « النشاط الشيوعي في مصر ظل خلال الثلاثينات عزيلا فرديا يعتمد على جهود العناصر الاجنبية »(٢) .

اما عبد العظيم رمضان فقد اعلن ـ بصورة قاطعة غريبة على اسلوب البحث العلمى ـ « ومنذ ذلك الحين لم تتم محاولة تذكر لاعادة تأسيس الحزب الشيوعى المصرى »(٣) .

بل ان عبد العظيم رمضان قد حاول استخراج ما يمكن تسميته « بشهادة الوفاة » لهذا الحزب فأفرد فصلا تحدث فيه عن أسباب فشل الحركة الشيوعية والاشتراكية فى تثبيت اقدامها فى التربة المصرية .

وعلى اية حال ـ وبدون ان نكلف انفسنا عناء اثبات خطا هذا رأى ـ فاننا سنواصل البحث عن معلومات حول نشاط الحزب .

والذى لا شك فيه أن الحزب كان يعانى معاناة لا حدود لها ، ليس فقط من المطاردات المستمرة والعنيفة من جانب البوليس ، ولا من حملات الدعاية والتشويش التى نسجتها صحافة وكتب هذه الفترة ، وانما ـ وهذا هو الاكثر خطرا ـ من تسلل أحد عملاء البوليس ليصل حتى منصب السكرتير العام .

---

١ ـ السياسة ١٢-٥-١٩٢٨ .
٢ ـ رؤوف عباس المرجع السابق ص ٢٦٤ .
٣ ـ عبد العظيم رمضان ـ المرجع السابق ص ٥٥٨ .

... الامر الذي مكنه من توجيه ضربات عنيفة للحزب .. فاكثر كوادره وقياداته اخلاصا كانوا يقبض عليهم أو يختفون بطريقة غامضة ، بل يبدو ان احد مبعوثي الدولية الشيوعية قد اختفي هو ايضا لدى مروره بمصر ، والبعض الاخر قبض عليه أو طرد من البلاد »(١)

وبرغم ذلك كله فإن ثمة دلائل تشير الى ان الحزب قد واصل - الى حد ما - تقدمه.

ولنعد مرة اخرى الى وثائق وزارة الخارجية البريطانية والى صحف هذه الفترة لنحاول ان نستجمع منها بعض اشارات أو لمحات حول نشاط كان يجرى في سرية تامة.

وفى التقرير السنوى للسفارة الانجليزية بالقاهرة المرفوع لوزارة الخارجية البريطانية عن عام ١٩٣٩(٢) فقرة بعنوان «الشيوعية جاء فيها «يواصل البوليس مراقبته الحذرة ضد الشيوعيين ، ويحاول جهد الطاقة منع أي عميل شيوعي من التسلل الى مصر».

وخلال عام ١٩٢٩ حاول ١٣ عميلا التسلل الى مصر وقبض عليهم لكن الكومنترن لم يكف عن نشاطه ومحاولاته لتحويل مصر الى مركز للنشاط الشيوعى فى العالم العربي.

ويستخدم الكومنترن السفن السوفييتية فى عمليات التهريب كذلك يستند الى النفوذ الشيوعى فى اوربا (ايطاليا واليونان).

وقد قام الكومنترن بتوجيه الدعوة الى عدد من المصريين للدراسة فى جامعة كادحى الشرق . وقد عاد ٦ من المصريين بعد ان اتموا دراستهم وبقى فى موسكو ٦ آخرون ».

والحقيقة ان المحور الاساسى لتربية الكادر واعداده كان يتركز حول ايفاد عدد جديد من اعضاء الحزب من الشباب للدراسة فى جامعة كادحى الشرق وتشير الدلائل الى ان الحزب قد استمر بنجاح فى عملية ايفاد الكادر للدراسة ثم اعادتهم الى مصر.

وهكذا فان الامر قد اصبح وكأنه نوع من السباق الذى يدور فى حلقة مفرغة .. الحزب يفرز على الدوام كوادر جديدة ومخلصة ويستقدم باستمرار عناصره التى دربت فى جامعة كادحى الشرق لكن كل ذلك يذهب الى مصفاة البوليس التى نسجها السكرتير العام محمد عبد العزيز ..

---

١ - مارسيل اسرائيل تشيريزى - الزعيم السابق.

(2) F.O - 371 - Egypt And Sudan - File 2862/3874 - Piece No : 14652.

ومرة إخرى تتحدث وثائق وزارة الخارجية البريطانية عن عمليات قبض جديدة ٠

فثمة وثيقة بعنوان « التقرير السنوى لبوليس القاهرة عن ١٩٣٠ » جاء فيها (١) :

« ألقى القبض على مجموعتين للشيوعيين الاولى مكونة من الارمن وقد سجن اعضاؤها أو نفوا والاخرى من المصريين وقد سجنوا » ٠

وتمضى الوثيقة لتورد عبارة ذات دلالة هامة « ويقول رئيس بوليس القاهرة ان رؤساء هذه المجموعة كانوا من الفعالية بحيث ان نشاطهم كان مؤثرا فى اوساط واسعة » ٠

والحقيقة ان النشاط الحزبى قد استمر برغم كل هذه الصعوبات ٠ ففى أول مايو ١٩٣٠ وزع الحزب على نطاق واسع منشورا دعا العمال الى الاحتفال بعيد أول مايو ٠ وتقدم كعادته ببرنامج عمل للطبقة العاملة بهذه المناسبة ٠

وقد قبض البوليس على اثر توزيع هذا المنشور على عدد من العمال من بينهم شعبان حافظ لكن شعبان حافظ افرج عنه بضمان وتمكن من السفر سرا الى الاتحاد السوفييتى وعاد سرا فى عام ١٩٣٤ حيث اقام بالزقازيق وكون خلية حزبية هناك (٢) ٠

وقد استطاع الحزب مرة اخرى ايفاد عدد من كوادره الى الاتحاد السوفييتى وفى عام ١٩٣٠ يسافر عدد من اعضائه العمال من بينهم يوسف حسن خضر (٣) ٠

ويبدو ان حملات القبض على الشيوعيين قد اتسعت مرة اخرى خلال عامى ٣٠ ـ ١٩٣١ بحيث بدأت الصحافة العربية فى الشام تطالب بالافراج عن « العمال المصريين الذين يعانون فى السجون بتهمة الشيوعية »(٤) ٠

كذلك فان وثائق المؤتمر السادس للكومنترن (١٩٢٨) تشير الى « ان الحزب الشيوعى المصرى يلعب دورا هاما فى حركة التحرر الوطنى ٠ ويعتمد فى تنظيمه على البروليتاريا ٠ والنقابات التى تضم العمال المصريين هى مصدر الطلائع والقيادات بالنسبة له »(٥) ٠

---

١ ـ F.O. 371 - Egypt And Sudan - File 3759/3789.

٢ ـ الاهرام ١٩ـ٦ـ١٩٣٥ ٠

٣ ـ المصرى ـ ٣٠ـ١٠ـ١٩٣٦ ٠ وردت هذه الاشارة عرضا فى موضوع خاص بمحمد عبد العزيز ٠

٤ ـ الف ـ باء ـ تشرين ثانى ـ نوفمبر ١٩٣١ ٠

٥ ـ بروتوكول المؤتمر السادس للكومنترن ٠ الجزء الرابع ص ١٩٥ من الطبعة الالمانية ٠

لكن النجاح الاكثر الذى حققه الحزب فى ذلك الوقت هو اكتشاف خيانة محمد عبد العزيز وطرده من صفوف الحزب

فمن هو محمد عبد العزيز هذا .. ان جريدة المصرى تروى قصته فتقول «ابان الثورة سنة ١٩١٩ فصل محمد عبد العزيز الموظف بالسكة الحديد عقب الاضراب العام .. وبعد تركه الخدمة بعامين اتصل به بعض الاشخاص ممن كانوا يروجون للمبادىء الشيوعية فعرضوا عليه السفر الى روسيا.

وما وافق عام ١٩٢٢ حتى كان فى طريقه الى روسيا مع صديق له من المصريين .. والتحقا بالمدرسة الشرقية الشيوعية وظلا يتلقيان العلوم الخاصة بالمبادىء الشوعية وما يتبعها من علوم اخرى وفنون متنوعة .. وفى سنة ١٩٢٥ اتما علومهما وغادرا المدرسة الى ميدان العمل.

وعين محمد عبد العزيز على اثر تخرجه من المدرسة قاضيا بالمحكمة الثورية فى موسكو وظل يقوم بمهمته كعضو فى هذه الهيئة حتى نهاية ١٩٢٧» .

وتقول جريدة المصرى فى روايتها ان محمد عبد العزيز لما وضع قدمه فى مصر راح ينشر دعايات ضد المبادىء الشيوعية خصوصا وانهاء تحالف الدين الحقيقى»(١).

واذا كان مارسيل اسرائيل (تشيريزى) يلقى اللوم على ياناكاكس فى اختيار محمد عبد العزيز سكرتيرا للحزب فان د. عبد الفتاح القاضى يلقى اللوم على حسنى العرابى فى اختياره اصلا للسفر الى موسكو.

لكن حسنى العرابى كان قلبه طيبا ويخدع بسهولة وكان لا يحسن اختيار الاشخاص وخاصة الذين ارسلهم الى موسكو للدراسة فقد ارسل مثلا محمد عبد العزيز وهو الذى اختاره.

ووفقا لرواية د. عبد الفتاح القاضى فانه يؤكد ان محمد عبد العزيز كان جاسوسا منذ اليوم الاول .. وهو يؤكد ذلك مستندا الى مصدر هام هو اعترافات محمد عبد العزيز نفسه «انا قرأت مذكرات محمد عبد العزيز وكان قد اودعها عند احد المحامين .. وكل المذكرات خيانة وحتى وهو فى الاتحاد السوفييتى كان يخون .. وهو يذكر ذلك صراحة فى مذكراته وكانت مكتوبة بخط اليد فى حوالى خمسة كراسات .. وعندما كان فى روسيا ارسل مثلا الى مسلمى الاتحاد السوفييتى لاقناعهم بالاشتراكية فكان يحرضهم ضد النظام الاشتراكى وأورد فى مذكراته ايضا سلسلة خياناته وتسليمه لكل المندوبين الذين اتوا الى مصر»(٢).

---

١ ـ المصرى ـ ٣٠ ـ ١٠ ـ ١٩٣٦

٢ ـ راجع النص الكامل. تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ـ المرجع السابق ـ ص ٢٧٠

ويقول عصام الدين حفنى ناصف فى مناقشة معه « الكومنترن ارسل شخص نمساوى اسمه فايبس فى عام ١٩٢٧ على ما اظن وعندما وصل قابله محمد عبد العزيز واستولى على نقوده وسلمه للمباحث »(١) ٠

وقد جرت عدة محاولات لاغتيال محمد عبد العزيز قال البوليس ان الشيوعيين هم الذين قاموا بها ، وقال الشيوعيون ان البوليس هو الذى يريد التخلص من عميل اكتشف واصبح مجرد عبء ٠

وعلى اية حال فان المصادر جميعا تجمع على توالى محاولات الاغتيال ٠٠ وعلى أن محمد عبد العزيز قد مات يائسا وفى حالة قريبة من الجنون ٠

واذا كان اكتشاف محمد عبد العزيز يمثل خطوة هامة فى تاريخ الحزب بحيث مكنته بعد ذلك من أن يحاول من جديد بناء كوادره ومجموعاته بعيدا عن المراقبة المباشرة لعيون البوليس فان استمرار عميل للبوليس فى موقع السكرتير العام للحزب طوال اربعة سنوات كان كفيلا بتوجيه ضربات بالغة العنف لحزب سرى ٠

ان الكوادر كانت تكتشف على الفور ، والذاهبون الى موسكو والعائدون منها يجدون انفسهم بعد فترة أو اخرى فى قبضة البوليس ٠٠

وكان طبيعيا أن يصاب الحزب بضربات عنيفة وبضعف شديد ، وأن يعانى كوادره من فقدان الثقة فى بعضهم البعض وثمة محاولة موجزة لتصوير حالة الحزب فى كتاب « الدولية الشيوعية قبل المؤتمر العالمى السابع » تقول « لقد سيطر البوليس على بعض المجموعات غير المبدئية فى الحزب الشيوعى المصرى ، وهو يعمل من خلالها لتقسيم الحزب ٠٠ ولهذا فانه يمكن وصف حالة الحزب المصرى بأنه غير نشيط »(٢) ٠

والحقيقة ان قصة ترشيح ياناكاكس لمحمد عبد العزيز تتردد من اكثر من مصدر ٠٠ ونيقولا بباريدوتى * يقول « ياناكاكس قابل محمد عبد العزيز

---

٣ ــ راجع النص الكامل فى المرجع السابق ــ ص ٢٧٧ ٠

١ ــ الدولية الشيوعية قبل المؤتمر العالمى السابع ــ الطبعة الالمانية ص ٩٠

* نيقولا بباريدوتى شيوعى يونانى قديم ٠ انضم للمجموعة الشيوعية اليونانية بالقاهرة سنة ١٩٢٥ وكان صديقا شخصيا لياناكاكس ويروى عنه تذكريات هامة تدل على تعلقه الشديد به وعلى قوة ذاكرته ٠

ولا يزال يقيم بالقاهرة حتى الآن (توفى عام ١٩٨٤) ٠ وقد قام بباريدوتى بكتابة مذكراته باللغة الفرنسية واودعها لدى المؤلف ٠

فى السجن واعجب به ٠٠ » ويقول « كنت انا وعدد من الرفاق اليونانيين منهم جورج بيريدس ونيكوس نيقولاييدس نجتمع كل يوم بعد الظهر فى محل باناكاكس واذكر انه فى عام ١٩٢٨ أو حوالى ذلك مر شخص من امام المحل فقال باناكاكس هذا هو محمد عبد العزيز ٠٠ كان معنا ثم عمل مع البوليس » ٠

واذا كان الاستناد الى تحديد تواريخ دقيقة من ذكريات قديمة لاشخاص ، يمثل مجازفة بالنسبة للمؤرخ الا ان بباريدوتى يؤكد ان هذه الواقعة قد حدثت حوالى ١٩٢٨ ويقطع بانها كانت قبل ١٩٣٠ ٠٠

واذا كان الامر كذلك فان معركة طرد محمد عبد العزيز من الحزب قد استغرقت وقتا طويلا وصراعا داخليا عنيفا ٠٠ وهو امر يسبب لاى حزب ازمات ومصاعب جمة ٠

ولقد رأينا كيف حاول مارسيل اسرائيل (تشتيريزى) ان يلقى اللوم على باناكاكيس لانه هو الذى رشح محمد عبد العزيز كسكرتير عام للحزب عام ١٩٢٧ ٠

وكيف أن عبد الفتاح القاضى حاول أن يلقى اللوم بدائه على محمود حسنى العرابى لانه هو الذى رشح عبد العزيز أصلا للسفر إلى موسكو عام ١٩٢٢ ٠

لكننا نعتقد أن الجزء الاكبر من اللوم يجب أن ينصب اساسا على اسلوب الكومنترن فى تعيين سكرتير عام للحزب ، بقرار علوى يصدر بعيدا عن كادر الحزب وعن أعضائه ٠٠

وعلى اية حال فان قرارا كهذا قد أصاب الحزب المصرى والعمل الثورى المصرى ككل بضربات عنيفة ، واجهها أعضاء الحزب فى بطولة نادرة ، محتملين فى شجاعة وصبر نتائج خطأ لم يرتكبوه ٠

وبعد طرد محمد عبد العزيز قرر الكومنترن أن يحدد علاقاته بالحزب المصرى ٠

وقد ترددت شائعات كثيرة عن صدور قرار من الكومنترن بحل الحزب ، لكن البحث فى وثائق الكومنترن ومجلاته لم يسفر عن وجود مثل هذا القرار الذى نشك كثيرا فى صدوره ٠

وعلى اية حال فان كثيرا من الشواهد وخاصة تلك المتعلقة باستمرار ذهاب الكوادر للدراسة فى موسكو والعودة منها ٠٠ تدل على ان الكومنترن وان كان قد « حد » الى درجة كبيرة من علاقاته بالحزب الا انه لم يقطعها تماما ٠

ذلك أن عددا من كوادر الحزب مثل محمد دويدار ، وشعبان حافظ ، وعبد الرحمن نخنن ، كانوا لا يزالون وحتى عام ١٩٣٧ يجدون العون من « الأحزاب الشقيقة » في تسهيل مهمتهم في العودة الى أرض الوطن تحديا لقرار اسقاط الجنسية عنهم ٠

وعلى أية حال فان الكومنترن وان كان لم يصدر قرارا بحل الحزب ، فانه ابتداء من عام ١٩٣٥ لم يعد يعترف بوجوده كعضو في الكومنترن ٠

ذلك أن طبعة عام ١٩٣٥ من دائرة المعارف السوفيتية قد اسقطت اسم الحزب المصرى من قائمة الاحزاب الشيوعية في العالم ٠

* * *

وبرغم ذلك كله فقد واصلت كوادر الحزب نشاطها ، بل ان الحزب قد غمرته موجة من النشاط بعد أن تخلص من هيمنة محمد عبد العزيز ٠

يقول لاكور « لقد نسب الى محمد عبد العزيز أنه نصح الشيوعيين بالا يشتركوا في مظاهرات مايو ١٩٣١ العظمى ٠

وبعد أن كشف أمره كجاسوس للسلطات بدأ الحزب وكأنه يدنو من النجاح وقد تبنى برنامجا سليما »(١) ٠

واذا عدنا مرة أخرى الى الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية ، فاننا نجد اشارات هامة توحي بتجدد نشاط الحزب وبتمركز هذا النشاط وسط التجمعات العمالية الهامة ٠٠

ففى « التقرير السنوى المرفوع من السفارة البريطانية الى وزارة الخارجية البريطانية عن عام ١٩٣٣ » نجد فقرة بعنوان « تقرير عن الشيوعية في مصر عام ١٩٣٣ » وقد تضمنت هذه الفقرة معلومات هامة من بينها « يحاول الكومنترن معاودة تاسيس النشاط الشيوعى ، ففى ورش الترسانة بالقاهرة بدأ النشاط الشيوعى هناك عن طريق عميل أساسى هو سالم يوسف واسمه الحقيقى وهيب المالك ٠ وفى عنابر السكة الحديد هناك شخص آخر أسمه حسين الخراط واسمه الاخر على حسنين ٠ والاثنين كانا يدرسان في موسكو ثم عادا سرا ٠

---

١ ــ لاكور ٠ الاتحاد السوفيتى والشرق الاوسط ٠ المرجع السابق ص ١٢٢ ٠

وقد حاول الخراط تأسيس خلية شيوعية وسط عمال العنابر وكان يعطى للعمال محاضرات عن النظرية الماركسية .

وفى يونيو ١٩٣٤ قبض على ٢٢ من العمال بعد أن وزعوا منشورات شيوعية فى عدد من المصانع »(١) .

وعلى أية حال فإن صحف هذه الفترة ظلت على الدوام تحمل أنباء القبض على خلايا الحزب أو محاكمة أعضائه . وفى كل مرة كانت الصحف تؤكد أن الخلية التى تم القبض على أعضائها كانت « آخر خلية » ..

ولعل تتبع مثل هذه الانباء يقدم لنا بعض المعلومات عن نشاط المجموعات الحزبية التى ظلت تعمل طوال السنوات التالية وحتى نشأة التنظيمات الشيوعية الجديدة والتي ركزت جهودها أساسا وسط تجمعات العمال ..

ففى ٢٠ مايو ١٩٣٥ خبر عن محاكمة مجموعة من العمال الشيوعيين أمام محكمة الجنايات وهم محمد وهيب المالك وعلى حسن حسنين ومحمود السيد على ومحمد على »(٢) .

وبعد شهر واحد قضية أخرى تشير اليها الصحف تحت عنوان قضية المنشورات الشيوعية »(٣) .

ثم قضية أخرى تشير الى أن الكوادر العائدة من موسكو قد تمركز بعضها فى التجمعات الصناعية بعيدا عن القاهرة بعنوان آخر فى الصحف « قضية الشيوعية بالمحلة الكبرى » .

والخبر يقول « نظرت محكمة جنايات طنطا قضية الشيوعية فى جلسة سرية وبعد سماع الشهود واستعراض المنشورات المضبوطة تبين أن عزيز عبد الملك نيروز المتهم الاول كان منفيا باحدى الدول الشيوعية عام ١٩٢٧ وجاء الى مصر وأقام بالمحلة الكبرى . وان المتهم الثانى محمد عبد الوهاب والمتهم الثالث مصطفى اسماعيل حافظ والمتهم الرابع مصطفى الحراج »(٤) .

لكن أخبار القبض والاعتقال برغم أنها دليل لا يدحض على استمرار

---

(1) F.O. - 371 - Egypt And Sudan - File 421/493 - Piece No. : 19089

مودعة بالمتحف البريطانى :

٢ ـ الأعرام ٢٠ ـ ٥ ـ ١٩٢٥ .

٣ ـ الاهرام ١٩ـ٦ـ١٩٣٥ .

٤ ـ الاهرام ١٨ ـ ٤٠ ـ ١٩٣٧ .

النشاط الحزبى ناتهـا دليل سلبى : بمعنى أنهـا تمثل أيضا وفى نفس الوقت قـدرة البوليس على ضرب التنظيم الحزبى وربما كانت ـ فى ذاتها دليلا ـ على ضعف هذا التنظيم وعدم كفـاءته ٠

ومن هنـا كان البحث المضنى عن أدلة أخرى أو دلائل أخرى على هـذا النشاط الذى لا تعكس لنـا صحف هذه الفترة عنه الا أخبارا متقضية عن الاعتقـالات والمحاكمات ٠٠

ومن حسن الحظ أمكن العثور على بعض ملاحظـات دونهـا الرفيـق « سبانو » وهو أحـد قادة الحزب الشيوعى الايطـالى وقـد حضر لمصر حوالى عام ١٩٣٥ حيث أقـام لبعض الوقت هربا من ملاحقـات الحكم الفاشى(١) ٠ ويضم أرشيف اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الايطـالى عدة تقارير تتضمن ملاحظـات مختصرة ورموزا واشارات حول نشاط الشيوعيين المصريين فى هـذه الفترة وسوف نثبت فيما يلى بعضامن هذه الاشارات المختصرة ، فهى على اختصارها تقـدم دليـلا عاما على استمرار النشاط الحزبى وعلى قيام تنظيم متماسك ذى قيـادة مركزية وفروع مختلفة وقـدرة على التأثير وسط الحركة العمالية والحركة النقـابية وسط التيار اليسارى فى حزب الوفـد ٠٠

ان هذه الملاحظات المختصرة التى أوردها « سـبانو » والتى أمعن فى اختصارها ربما حفـاظا على أمن وسرية العمل ذات دلالة هامة بالرغم من اختصارها ٠

« سالمون سوريانو » ٠ منتدب فى الاسماعيلية كموظف فى شركة القنال ٠ نشاطه محدود فى الوقت الحاضر وقـد « جنّد » مهندسا فرنسيا فى الشركـة اسمه كوزناكوفسكى ٠ ثمة بعض اتجاهات طفيفـة فى آرائـه تميـل الى التروتسكية ٠

وهو فى سبيله لانشاء مدرسة للاسبرانتو ٠

شقيقه ادوارد احتفظ دائما باتصالات فى بورسعيد ٠ ولكنه حاليـا مستقر فى القـاهرة حيث يدير L.I.S.C.A (لجنة مكافحة معاداة السامية) التى تضم ١٢٠٠ عضو ٠

* ومن أحسن الرفاق مويز أصغر عائلة ماصارى عمره ١٩ سنة ٠ يتكلم

---

١ ـ يقول لاكور ـ الاتحـاد السوفييتى والشرق الاوسط ٠ « أقام سبانو فى مصر كلاجىء سياسى منذ قيـام الفاشستية ، وعاد الى ايطـاليا بعـد الحرب » ٠ المرجع السابق ٠ حاشية ص ٣٢١ ٠

ويكتب العربية والفرنسية والانجليزية والاسبرانتو . نشيط وشجاع وجرئ له تاثير كبير بين موظفى البلـدة .

* اما ادوارد سوريانو فيتميز بنفس الصفات لكنه مثقف اكثر من اللازم .. ولا يعرف العربية الفصحى .

* اما العشرون رفيقـا الاخرون فهم مصريون وموزعون بين الزقازيق والسويس والقـاهرة والاسكندرية .

* من بين هؤلاء الرفاق يوجـد « العجوز » وأبناؤه .

* وشيخ من الزقازيق يعمل سكرتيرا للجنة السلام بالمدينة .

* وشيخ آخر هو سكرتير نقـابة عمال السكة الحديد بالزقازيق .

* ومدير الشركة التعاونية للاوتوبيس .

* وآخر من اللجنة المركزية لنقـابات عباس حليم .

* للحزب لجنة مركزية ـ من الذى انتخبها ؟ ـ من ٧ أعضاء من بينهم « العجوز ابراهيم » من الزقازيق سكرتيرا .

و « الجزار » الذى اعتبر عضوا لكنه لم يدع أبدا للاجتماعات . واثنان من المحـامين من القـاهرة أحـدهما يدعى زهير صبرى وكلاهما عضو فى الوفد والنقـابات الوفدية . ومدير الشركة التعاونية للاوتوبيس واثنين آخرين .

* طرح اقتراح بتوزيع منشورين فى المظـاهرات الكبرى التى نظمهـا الوفـد ولكن « العجوز » رفض .

* وكان هنـاك استياء كبير فى صفوف عمال النقـابات الوفـدية ـ فالاجتماعات قليلة والعمال ليس لهم حق الكـلام فيهـا . ومن ثـم وزع ابراهيم من القـاهرة (واضح أنه غير « العجوز ابراهيم » السكرتير وهو من الزقازيق) منشورا بين الجماهير عن طريق العـلاقات الشخصية ، وقـد أعيد نشر هذا المنشور بواسطة النقـابات المستقلة للاوتوبيس وكان شعاره الاساسى حرية الكـلام والمبادرة العمالية داخل النقـابات ، والانتخابات الديمقراطية لقيـادات النقـابات بواسطة مجالس النقـابات .

* وقد تلقى ٤ عمـال من قيـادة الحركة العمالية هذه الشـعارات ثم طلبوا انعقـاد اللجنة العليـا (يقصد اللجنة الاستشارية العليـا للنقابات التى أسسها الوفـد) ولكن « العجوز » اعتبر هذه السياسة متناقضة مع القيـادة .

* وابراهيم العجوز من الزقازيق رفيق طيب ونشط جدا ولكنه متأثر جدا بحلقية الرفاق السوريين وكذلك بالمحامين الوفديين الذين فى القيادة المركزية وجمدوا الحركة ٠

* مراكزا ثقل « الجزار » فى بورسعيد ٠ ابراهيم يوسف فى القاهرة ٠

* ابراهيم من القاهرة (الصديق العربى الالمانى الذى كان على صلة بعصبة النضال ضد الامبريالية) وقد أحضره الحاج(١) ٠

* هناك تجمع من الاستفزازيين والعناصر المشبوهة (عزيز ويحيى) يقال انهم كانوا فى موسكو ٠ وقد حاولوا الاتصال بلجنة التسلام فى الاسكندرية ، وبلجنة مكافحة معاداة السامية » ٠

والآن فان هذه الملاحظات المختصرة تفتح الباب أمامنا لنبحث عن تفاصيل نشاط هذا «الحزب» كما أسماه « سبانو » وعن أعضاء لجنته المركزية السبعة ٠٠ وعن « العجوز » السكرتير العام ٠

واذا كان من حق المؤرخ أن يطرح بعض الافتراضات فاننا نفترض أن « العجوز » من الزقازيق هو شعبان حافظ هو الكادر المهم الذى استقر فى هذه الفترة بالزقازيق وقد قبض عليه البوليس فعلا فى عام ١٩٣٥ بالزقازيق(١) ٠

لكن الشىء الواضح هو أن هذا « الحزب » كان كيانا ذا قيمة ، فله علاقات هامة بالنقابات والتجمعات العمالية ٠ وكانت له علاقات أيضا بالتجمعات الاجنبية « سوريانو » ولجنة مكافحة معاداة السامية (١٢٠٠ عضو بالقاهرة) وكانت له علاقات أيضا بيسار حزب الوفد وبتجمعات الوفد النقابية والعمالية ٠٠

واذا كان هذا « الحزب » قد عانى من بعض التردد والحلقية وعدم الانفتاح على الجماهير فان ذلك طبيعى تماما كرد فعل لكل هذه الضربات البوليسية التى وجهت اليه ٠٠

وكان لهذا الحزب تجمع هام فى الاسكندرية لعب دورا هاما فى ادارة ملحمة عبد الرحمن فضل والانتصار فيها ٠ وقد أشار اليه محمد دويدار فى مناقشة معه ٠

---

١ ــ أشرنا من قبل الى اسم ابراهيم يوسف كأحد اثنين من المصريين كانا يعملان فى مجلة العصبة ٠

١ ــ الأهرام ١٩ ــ ٦ ــ ١٩٣٥ ٠

« س : ماذا فعلت بعد وصولك الى مصر ؟

« ج : اتصلت بالدكتور حسونة (١) بالاسكندرية الذى أبلغنى أن هنا خلايا حزبية وان خلية الاسكندرية قررت استضافتى لعدة أشهر للاستجمام والراحة بعد هذه الفترة الصعبة وفعلا أقمت فى بيت بجليم يملكه الرفيق محمد عمر « عمروف » .

وانضممت الى مجموعة الاسكندرية وكانت تضم د. حسونة ـ عبد الرحمن فضل ـ محمد عمر ـ الشيخ صفوان أبو الفتح

وبعد ذلك انتقل عبد الرحمن فضل الى القاهرة وقررت أنا أيضا أن أذهب للقاهرة لأبحث عن عمل ، وفى القاهرة انضممت الى المجموعة الحزبية فيها وكانت تضم شعبان حافظ . د. عبد الفتاح القاضى ـ وعبد الرحمن فضل وآخرين ..

وبعد ذلك اتصلنا جميعا بهنرى كوربيل وانضممنا الى تنظيمه »(٢) .

ويروى د. عبد الفتاح القاضى قصة التقائه هو ومجموعته مع كوربيل فيقول :

« ذات يوم عند عودتى لمنزلى اذا بأحمد اسماعيل جالس فى مطعم زينون ومعه عسكرى انجليزى ، ونادانى وقدمه لى وكان اسمه سام باردل وكان متزوجا من فتاة اسمها جورجيت على ما أذكر كانت تعمل فى مكتبة الميدان التى يمتلكها كوربيل (اسمها الصحيح هنريت آربيه) . وقد قدم أحمد اسماعيل سام باردل لى على انه عضو فى الحزب الانجليزى ، وبعد حديث طويل سألنى سام لماذا تعملون متفرقين وأبلغنى أن هناك مجموعة أخرى .. وتعرفت بكوربيل وابتدأنا العمل معه فى تنظيم ح.م »(٣) .

---

١ ـ اسمه الكامل حسونة حسين اسماعيل وقد تعلم طب الاسنان بالاتحاد السوفييتى . وقد الف كتابا عن « النقابات العمالية فى مصر » ـ الأخبار ٧ ـ ٧ ـ ١٩٧٠ .

٢ ـ راجع محضر النقاش معه بالملاحق .

٣ ـ راجع النص الكامل ـ تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ـ المرجع السابق ـ ص ٢٧٠ .

وهكذا .. وأخيرا وبعد تضحيات - تفوق الوصف - وصعاب ومخاطر ومطاردات هى من أعنف ما شهدته مصر ، استطاع هؤلاء الرجال الشجعان ، أن يسلموا رايتهم التى حملوها منذ عام ١٩٢٤ الى الطلائع الجديدة للحركة الماركسية المصرية فى الاربعينيات .

والحقيقة أن كل هذه التضحيات الغالية وكل هذا التحمل الباسل للمشاق والصعاب ليتضاءل أمام روح التواضع وانكار الذات التى دفعت رجالا كهؤلاء كى يقبلوا عن طيب خاطر تسليم زمام القيادة لاخرين غيرهم . بينما قنعوا هم بمكان - فى القاعدة - يواصلون من خلاله النضال من أجل بناء مصر الاشتراكية .

العرابى ناصف ـ القاضى ـ جماعة التمسك بالقانونية

قلنا فى فصل سابق أن محمود حسنى العرابى قد نادى عقب خروجه من السجن بالاتجاه الإصلاحى القانونى الذى يطالب بالانسحاب من الكومنترن ـ عدم اعلان شيوعية الحزب ـ الاكتفاء بطرح برامج وشعارات تتمشى مع القانون والدستور بحيث يحافظ الحزب على علنيته .. ذلك أن العلنية هى السبيل الوحيد لتحقيق أية دعوة ناجحة ..

وقد قاوم الحزب هذا الاتجاه ورفضه بشدة وأدى الامر بحسنى العرابى الى الانسحاب وحيدا •

ذلك أن كافة المصادر توضح أن أحدا من كوادر الحزب لم يخرج مع العرابى باستثناء الهامى أمين •

وخير دليل على ذلك أن حسنى العرابى سعيا وراء تنفيذ فكرته لم يجد من يعاونه سوى اثنين من المثقفين اليساريين هما عصام الدين حفنى ناصف والدكتور عبد الفتاح القاضى وكانا بعيدين حتى ذلك الحين عن صفوف الحزب •

والحقيقة أن كلاما كثيرا قد قيل عن حسنى العرابى .. أول سكرتير عام لاول حزب شيوعى مصرى • وسكرتير عام اتحاد النقابات وأول ممثل للحزب لدى الكومنترن ، والرجل الذى تم على يديه انضمام الحزب للكومنترن •

فلما اختلف مع الحزب وابتعد عن صفوفه حاول أن ينفذ فكرته عن العمل « العلنى » بأن يتحول الى كاتب ينشر أفكاره عن طريق الكتابة فى الصحف وفتحت له بعض الصحف أبوابها وبدأت مقالاته تتوالى فى الظهور ابتداء من يناير ١٩٢٧ على صفحات الهلال ـ المقتطف ـ الرقيب ـ الحياة الجديدة .. الخ •

وربما كان افساح المجال بهذه الصورة للعرابى كى يكتب فى كل هذه المجلات دفعة واحدة نوعا من المؤامرة المحبوكة التى استهدفت اصطياد العرابى بعيدا عن الحزب وتشجيعه على سياسته الانفصالية ومحاولة ايهامه بان تحقيق فكرته أمر ممكن ..

ثم بعد ذلك وبعد أن تحقق هدف المؤامرة أوصدت كل الصحف أبوابها فى وجه الرجل ..

لكن الرجل لم يكن يريد بالفعل أن يتخلى تماماً عن القضية التى آمن بها .

وربما كان يتصور أن انفصاله عن الحزب لا يعنى انفصاله عن النضال وهكذا حاول أن يخوض المعركة القانونية من أوسع أبوابها ، باب اصدار الصحف ..

واتفق مع عصام الدين ناصف ومع الدكتور عبد الفتاح القاضى اصدار مجلة « روح العصر » ..

ويبدو أن تجمع العرابى ـ ناصف ـ القاضى لم يكن وليد المصادفة ولم يكن موقوتا باصدار روح العصر . بل كان سابقا عليها ..
فعصام الدين ناصف يقول فى محضر تحقيق أمام النيابة أجرى فى أبريل ١٩٣١ ما يلى :

« س : هل تعرف محمود حسنى العرابى ؟

ج : نعم أعرفه وهو صاحبى .

س : من أى وقت تصادقه ؟

ج : من بضع سنوات »(١) .

ومجلة روح العصر صدر عددها الاول فى فبراير ١٩٣٠ .

وثمة شىء آخر يلفت النظر ، ففى نفس الوقت الذى انسحب فيه العرابى من الحزب وهو أواخر عام ١٩٢٦ أو أوائل ١٩٢٧ تصدر اسم عصام ناصف بيانا صادرا « اللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكى المصرى » .

فقد نشرت كوكب الشرق برقية واردة اليها من هذه اللجنة تقول « اللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكى المصرى تحتج بشدة على منع النائب الشيوعى البريطانى سكلا تفالا من دخول مصر ، وتعلن أن اضطهاد الحرية الفكرية لا يمكن أن يدل على شجاعة الحكام الذين يخافون من ذيوع الحقائق .
السكرتير ـ عصام الدين ناصف » .

وتتهكم « كوكب الشرق » على هذا الحزب الذى « لم يسمع به أحد والذى نبت نبتا شيطانيا »(٢) .

---

١ ـ ملف القضية ٣٤٤ كلى ١٩٣١ جنايات الاسكندرية ـ ص ٣٤ .
٢ ـ كوكب الشرق ـ ٨ ـ ١ ـ ١٩٢٧ .

لكن المؤكد أن الرجعية المصرية قد كتمت أنفاس هذه المحاولة بالرغم من تمسكها بأهداب العلنية ومراعاتها لنصوص القانون ، وهكذا تعذر على العرابى أن ينفذ مشروعه بتأسيس حزب علنى فلا بأس من أن يتواضع وأن يكتفى باستخدام الامكانيات « القانونية » المتاحة · وهى الكتابة فى الصحف ولا بأس من التجرؤ فيما بعد واصدار « جريدة » ··

وأعتقد أنه من الضرورى أن نستعرض بعضا من هذه الافكار التى روجها العرابى ومجموعته واعتبروها بديلا كافيا عن العمل الحزبى السرى ·

وأمامنا فى البداية مجموعة مقالات العرابى التى كتبها فور انسحابه من الحزب ·· وهى فى مجموعها مقالات أدبية واجتماعية وتاريخية ·· تمثل الى حد كبير محاكاة متطورة وذكية لكتابات سلامة موسى التى تستهدف « التنوير » بشكل عام ولفت أنظار جمهور القراء الى عديد من الحقائق الاجتماعية والاقتصادية بأسلوب يتمشى مع المنهج العلمى والجدلى ·

ولنحاول أن نستعرض بسرعة بعض هذه الافكار التى حاول العرابى أن يقدمها لقرائه · وثمة مقال بعنوان « الاكتشاف طليعة الاستعمار »(١) يعرض فيه كتاب السير صموئيل بيكر عن رحلته الى منابع النيل ·· وهو ينتهز فرصة عرض الكتاب ليدين الاستعمار ويكشف عن جذوره ويعبىء المشاعر ضده فهو يقدم مؤلف الكتاب قائلا « ·· فالسير صموئيل أرستقراطى بحكم نشأته ، مستعمر بحكم بيئته ، مسيحى متعصب ناقم على الشرق والشرقيين والاسلام والمسلمين يراه القارىء فى كتاباته ينعى على الديمقراطية، ويهزأ بصوت الشعب ويضحك من المساواة ويبرر الاستعمار ويستحسنه ؟· ويحمل على المصريين والاتراك حملات شعواء بدون مبالاة لفتا لانظار شعبه الى استذلال وادى النيل » ·

· لكن العرابى لم يكتف بالهجوم على الاستعمار والمستعمرين فهو يدافع عن حقوق العمال مطالبا لهم بأجور أعلى قائلا « ان فى بلادنا عمالا يجب البحث فى شؤونهم والتفكير فى سياستهم ولو من الوجهة العلمية البحتة ان لم يكن كذلك من الوجهة الاجتماعية ، وانه عن قريب سيظهر لهم أثر فى شؤون الدولة وستكون لهم دوائر تنطق عن لسانهم كما حدث فى الصين مثلا ، وان دلائل الامور تدلنا على صحة ماذهبنا اليه بالمشاكل التى نسمع

---

١ ـ الهلال ـ يوليو ١٩٢٧ ·

عنها ونقرأها كل يوم بين العمال واصحاب رؤوس المال فى مصر تنذر بقرب هذا اليوم » .

لكن الرجل لا يريد لكلماته أن تتهم على أنها دعاية أو تحريض ، وهو حريص كل الحرص على ذلك فهو يؤكد فى مقاله « والذى نريد أن نبحثه اليوم فى مقالنا ليس مذهبا سياسيا ولكنه نظرية اقتصادية حديثة دلت المدرسة الحديثة من الاقتصاديين على ضرورة الاخذ بها لصالح العمال والعمل أو قل لصالح الصناعة والدولة » .

وبعد هذا الايضاح – الذى يرى العرابى أنه ضرورى . يمضى ليشرح نظرية اقتصادية تطالب بمنح العمال أجرا يوفر لهم « ضروريات الكفاية » وليس مجرد « ضروريات الحياة » ويتحدث طويلا عن نضال العمال الاوروبيين والمكاسب التى أحرزوها نتيجة لنضالهم المستمر ثم يعرج على مصر قائلا « ما زالت أجور العمال عندنا منحطة لدرجة تكاد تكون تحت مستوى (ضروريات الحياة) فأجر العامل غير المدرب عشرة قروش تقريبا بينما عدد الأنفس التى يعولها ستة أنفس كما جاء فى أحد تقارير جمعية الصنائع – وأجور البنات والأولاد التى تعمل نحو ١٥ ساعة فى اليوم زهيدة جدا فلا تزيد عن قرشين ونصف قرش . وساعات العمل على العموم عندنا أطول منها فى كل البلاد المتمدنة . والثقافة معدومة . والمسائل الصحية وغيرها لم يات دور التفكير فيها بعد » .

ومرة أخرى يشعر الرجل أنه بحاجة الى « ايضاح » موقفه والى تبرير دفاعه عن العمال بل والى دفع شبهة تحمسه للدفاع عنهم فيقول :

« ونحن لا نطلب للعمال شيئا فهم أحق وأقدر على الطلب منا ولكننا اذا قصدنا من الكتابة شيئا انما نقصد أن نلفت أصحاب الصناعات ورجال السياسة فى مصر الى الضرر المحقق الذى يحيق بالصناعة المصرية وهى فى مهدها من اضعاف الانتاج على توالى الايام باهمال تحسين حال العمال اكتفاء بالربح القريب المؤقت »(١) .

ويستخدم العرابى فى مقالاته كل ما لديه من ذكاء ليهاجم الحكومة القائمة فى ذلك الحين وليهاجم الاستبداد والاعتداء على حرية الرأى .. ، وتحت عنوان برئ مثل « الجريمة أسبابها وعلاجها » يشن هجومه العنيف قائلا « البيئة التى تقتل حرية الرأى وتعتدى على الحرية الشخصية خدمة لبعض أفرادها ، لا بد وأن تبلى بالجمعيات السرية . والمؤامرات تدبر

---

١ – الهلال – أغسطس ١٩٢٧ .

لتحطيمها في الظلام تحت الارض ، والبيئة التي تعمل على انقاذ افرادها لا بد وأن يكثر فيها اللصوص وقطاع الطريق ٠٠ » ٠

بل أنه يوشك أن يقدم نوعا من « البرنامج » فيقول :

« فلو تدبرت البيئة في العوامل الاقتصادية المحيطة بها لامكنها أن تشل سير الاجرام ، فمثلا لو لاحظت احدى البيئات الزراعية بعض اصلاحات كجعل ايجار الفدان لا يزيد عن نسبة مخصوصة من قيمة الضريبة كأن تكون مثلا أربعة أضعاف ، وعملت على اصلاح الاراضي البور والمستنقعات وتوزيعها بعد الاصلاح على فقراء الفلاحين ، وقربت بين الثروات بتخفيف الضريبة على المالك الصغير ، وسن ضرائب على التركات الكبيرة ، وعممت التعليم الى غير ذلك : لكان من الصعب على الجريمة أن تجد مثل تلك البيئة مجالا للفتيس والتفريخ .

فأما البيئة التي تغض النظر عن الاعتبارات الاقتصادية ، وتكتفي باصدار القوانين الاستثنائية من وقت لاخر ، وتشيد كل يوم سجنا وتطلب اعتمادات جديدة من هيئاتها النيابية لاعمالها السرية فيشر حكامها وسواسها بتفشي الجريمة وازديادها على مر الايام ٠ وهذه هي الحال في كل البلاد المتأخرة »(١) ٠

فهل كان العرابي يقصد فعلا الحديث عن أسباب الجريمة أم أنه تستر تحت عنوان برىء ليقدم أفكارا وبرنامجا محددا ٠٠

واضح أن الاحتمال الثاني هو المرجح ٠

كذلك فقد شن العرابي في مقالاته هجمات اجتماعية جريئة غاية الجرأة تناول فيها موضوعات مثل « الزواج الحاضر » الذي وصفه بأنه « بغاء مشروع » « أليس الزواج عندنا زفاف مجهولة الى مجهول طمعا في ثروة أو اطفاء لشهوة ؟ فاذا تزعزعت الثروة لسبب ما تزعزعت معها أركان الزوجية ، واذا أخمدت حرارة الشهوة فترت علائق الزوجية »(٢) ٠

بل انه يتحدى مشايخ الازهر مطالبا باصلاح جذري لشؤون الازهر وتحويله الى كلية للاهوت ويقول « لقد كان الدين في العصور الاولى صناعة احتكرتها طائفة من الناس فأطفأوا بها شهوة ، ونالوا من ورائها جاها وسلطانا ، فشادوا المعابد ، وأقاموا القصور وقصموا ظهور الشعوب بما كانوا يجمعونه من كدهم وعرق جبينهم ٠٠٠ وقد جرى في الاسلام شيء كثير مما

---

١ ـ الرقيب ١٩ ـ ٢ ـ ١٩٢٨ ٠
٢ ـ الحياة الجديدة ١٥ ـ ١ ـ ١٩٢٨ ٠

جرى فى المسيحية فى القرون الوسطى فجلد المفكرون الاحرار وأحرقت كتبهم وسجن الأئمة والمجتهدون » •

ثم يوجه الهجوم الى «المشايخ» أنفسهم قائلا أنهم « قطعوا حياتهم الدراسية يرتزقون باسم الدين بما يُنفق عليهم من « الجراية » ويعيشون بعد أن تخرجوا من الدين • والازهريون جيش كبير لو وجه به الى عمل منتج فى أعمال الدولة لخطت البلاد خطوة واسعة الى الامام »(١) •

ثم هو – فوق ذلك – يقدم دراسات فى تاريخ تطور المجتمعات ونشأتها متبعا نفس الاسلوب الكلاسيكى الذى نهجه الماركسيون القدامى فى استعراض ما أسماه « تاريخ البشرية المادى » عارضا فكرة ماركس عن « المادية التاريخية »(٢) •

وثمة سؤال آخر يطرحه العرابى ليجيب عليه « كيف يكتب التاريخ اليوم ؟ » وهو ينتقد فى اجابته المنهج « البرجوازى » فى كتابة التاريخ شارحا وجهة نظر الاشتراكيين فى ضرورة أن ينظر المؤرخ الى « الشعوب نفسها والى المؤثرات الطبيعية فيها والطارئة عليها ، ويحلل عاداتها وأعمالها ومدنياتها »(٣) •

بل ان مجلة الرقيب تطلب اليه أن يسجل ذكرياته فى السجن فتقدمه الى قرائها قائلة « الرجل الكبير النفس كالذهب ، لا تذهب بقيمته الخطوب ، ولا تفل من عزمه الكروب ، فهو لا تبدله النعمى ولا البأساء ، ولا تغيره الايام السوداء ، فالذهب فى التراب ، هو الذهب فى أعناق الحسان وصدورهن •• ومن هؤلاء الاصدقاء الكرام الاستاذ حسنى العرابى الذى حوكم كزعيم للشيوعيين فى مصر ثم أفرج عنه منذ زمن قصير » •

أما العرابى فقد قدم الحلقة الاولى من ذكرياته « فى الأسر وبعد الاسر » بعبارة لجول سيمون تقول « فحرية الاعتقاد التى قتل فى سبيلها ذلك العدد العظيم من الشهداء ليست حرية التفكير الباطنى وانما هى حرية اعلان الفكر » •

أما الحلقة الثالثة والاخيرة من ذكرياته هذه فتتصدرها عبارة أخرى لجول سيمون « فيا للشقاء لقانون مكتوب لا يكون صدى لقانون الاخلاق ؛ ويا ضيعة

---

١ – الحياة الجديدة ٢٩ – ١ – ١٩٢٨ •
٢ – المقتطف – مارس ١٩٢٩ •
٣ – الحياة الجديدة ٨ – ١ – ١٩٢٨ •

مجتمع يكون القانون فيه ممالئا للاحزاب لا للعدل ويقع السيف فيه على رؤوس الشهداء مكان المجرمين »(١)

ولقد تعمدت أن أورد بعضا من كتابات الرجل لعلها تكون فرصة لنا لنتعرف على أول سكرتير عام للحزب الشيوعى المصرى وعلى أسلوب تفكيره ومستواه الثقافى والفكرى ، وعلى أية حال فان الفرصة لم تتح طويلا أمام الرجل كى يكتب فما لبثت الصحف أن أغلقت أبوابها فى وجهه وكان هو كما أسمى نفسه فى ذلك الحين « الأسير الطليق » فقد أفرج عنه لكنه خاضع لحكم « الرقابة » يفرض عليه عدم مغادرة منزله بعد الغروب وعدم مغادرة المدينة التى يقيم فيها « المحلة الكبرى » الا باذن خاص من البوليس ..

وتنتهى فترة الرقابة ، ويصل الرجل الى القاهرة ليبدأ مرحلة جديدة هى مرحلة « روح العصر » ..

و « روح العصر » تمثل خطوة جديدة فى نضال جماعة « الاصلاحيين » فهى تعلن عن نفسها صراحة بأنها « جريدة اشتراكية سياسية » وكان من المستحيل منح ترخيص باصدار المجلة لحسنى العرابى أو عصام ناصف . فحصل د. عبد الفتاح القاضى على الترخيص باسمه وتولى رئاسة التحرير وصدر العدد الاول فى ١٤ فبراير ١٩٣٠ .

وتتمثل الاهمية الاساسية فى مجلة « روح العصر » فى انها تكشف لنا بوضوح عن المدى الذى وصل به هؤلاء الرجال الثلاثة بفكرتهم عن « العلنية » ، والى أى حد أصبحت « العلنية » والتقيد بها سبيلا لترويج أفكار خاطئة وانتهازية من وجهة النظر الماركسية ..

فالافكار التى أمكن لها أن تتردد « علنا » فى ظل الظروف السياسية التى سادت مصر عام ١٩٣٠ كانت مجرد أفكار ليبرالية أو تكرار لمفاهيم الدولية الثانية .

صحيح أنها تضمنت مقالات بالغة القيمة تتناول الفكرة الاشتراكية بالشرح والتحليل وتجيب على كثير من التساؤلات التى تثور حولها .. مثل ذلك المقال القيم الذى نشره عصام الدين ناصف فى أول أعداد « روح العصر » بعنوان « ما هى الاشتراكية ؟ » ويجيب على السؤال قائلا :

« الاشتراكية هى نظام اقتصادى واجتماعى يراد به :

---

١ ــ مقالات العرابى ــ المرجع السابق ص ١٦ .

١ ـ منع الانسان من استعباد الآخرين أو استغلال مجهوداتكم ، فلا يسمح لرجل أن يمتلك مصنعا يستخدم فيه مئات العمال يتحكم فى أرزاقهم ، ولكن يسمح له بامتلاك منزل صغير لسكناه ..

٢ ـ منع الأفراد والشركات الرأسمالية من التحكم فى كمية المحاصيل الزراعية والصناعية وفى تقدير ثمنها .. وذلك لا يتأتى الا بجعل وسائل الانتاج ملكا للامة تديرها الحكومة أو المجالس البلدية أو النقابات التعاونية .

٣ ـ منع الاستعمار والحروب التى تنشأ من الرغبة فى الاستعمار ..

٤ ـ منع الحروب التى تنشأ من التنافس لتجارى ، فان الحرب العظمى التى قتل فيها ملايين الشبان ممن لا ذنب لهم والتى صرفت فيها الدول ألوف الملايين من الجنيهات ، هذه الحروب نشأت بسبب التنافس التجارى بين الدول ..

٥ ـ تقليل تكاليف الانتاج ، فاذا كانت الاراضى الزراعية التى فى مصر تستثمر كلها على الطريقة الاشتراكية فان وابورات الحرث وماكينات الدراس وغيرها تحل محل المحراث البلدى والنورج . فتقل تكاليف حرث الفدان فى المرة الواحدة من ٧٩ قرشا الى ١٥ أو ٢٠ قرشا فقط .

وينشأ من ذلك أنه يمكن للزراعة أن تستغنى عن عدد من عمالها فيشتغل بعضهم فى بناء منازل صحية للفلاحين وانشاء طرقات جميلة فى القرى ومسارح للتمثيل ومدارس ومستشفيات ودور للكتب ...

٦ ـ تقليل عدد ساعات العمل .. وقد خفضت روسيا ساعات العمل الى ٧ ساعات فى اليوم .. والمأمول أننا نستطيع فى ظل النظام الاشتراكى أن نخفض ساعات العمل الى ٤ ساعات فى اليوم على الاكثر حتى يستطيع العامل أن يجد الوقت اللازم لتثقيف ذهنه بالقراءة والدراسة وترييض جسمه بالألعاب المختلفة ، والشعور بالهناء العائلى وهو يقيم مع عائلته ويلاعب أطفاله .. »(1) .

وصحيح أيضا أن « روح العصر » قد تعرضت لكثير من القضايا السياسية المحلية متخذة مواقف صحيحة تقف الى جانب الشعب ومصالحه وتدين الرجعية ومؤامراتها على هذه المصالح .. فتحت عنوان « دسائس الرجعيين ضد التعليم الالزامى » يهاجم د. عبد الفتاح القاضى الحملة الرجعية التى ترفض التعليم الالزامى وتقاومه بحجة أن « السواد الأعظم ..

---

١ ـ روح العصر ١٤ ـ ٢ ـ ١٩٣٠ .

إذا قرأ وكتب ، لن يرضى بأن يعمل عمله الحالي في الارض أو المصنع »

ويرد عبد الفتاح القاضي على هذه الحجة بعنف وصراحة قائلا « نحن لا ننكر أن انتشار التعليم والثقافة بين السواد الاعظم لهذا الشعب وهي الطبقة العاملة - سيثير في نفوسهم عدم الرضى بحالتهم الراهنة من أجور منخفضة لا تكاد تسد الرمق ، إلى مسكن هو بالقبر أشبه منه بالمسكن ، إلى ازدراء وسوء معاملة ، نعم لن يرضى العامل المصري إذا ما تثقف وتعلم بهذه الحال »(١) .

وعندما توقفت المفاوضات بين الحكومتين المصرية والبريطانية تتساءل « روح العصر » : « قطعت المفاوضات ، فماذا نحن فاعلون ؟ » وفي الاجابة على هذا السؤال تتحدث المجلة طويلا عن حقوق الشعوب ثم تؤكد ان السبيل للقضاء على الروح الإستعمارية هو إنتصار الاشتراكية وانضواء الغالبية الساحقة للعمال في العالم تحت لوائها ، ثم تقول « ان من يمعن النظر في تطور المذاهب في العالم في السنين الأخيرة لابد وأن يعترف معنا بأن المذهب الاشتراكي يكسب انصارا ويزداد قوة اليوم بعد اليوم . وان العالم كله صائر الى الاشتراكية لا محالة ، وهنا يتحقق ما تراه الانسانية اليوم وتصبو اليه فتستعيد الامم جميعا حريتها واستقلالها وتحل المعاهدات الاقتصادية محل القيود الاستعمارية في ضمان تزويد كل شعب بما يلزمه من المواد الخام أو غيرها ليعيش عيشة هنيئة سعيدة في سلام »(٢) .

كذلك فقد جعلت « روح العصر » من صفحاتها منبرا تجمع حوله عدد من قادة العمال والنقابيين والثوريين الذين لم يكتفوا بتحرير صفحاتها بل كانوا يقومون ايضا بتوزيعها .

ومن بين هؤلاء النقابيين الذين التفوا حول « روح العصر » كمنبر اشتراكي ، النقابي القديم السيد قنديل الذي كتب على صفحاتها مقالا بعنوان « كيف نكون اشتراكيين ؟ » قال فيه « ان اتحادنا دليل قوتنا ، ودليل عظمتنا ، ودليل تقدمنا وباعث انتصارنا وفوق هذا فهو عنوان اشتراكيتنا ... وحيث تكلمنا عن الاشتراكية فليكن منا اشخاص عاملون لها بكل قواهم باذلون في سبيلها جميع جهودهم ، لا يرهبهم غير صوت الحق ولا يقعد بهم ما يلاقونه من عسف وجور فالحق في ايديهم والله كفيل به ، والجور في يد مضطهديهم والله غير راض عنه » .

ثم يقدم السيد قنديل نوعا من « برنامج العمل » ويهيب باخوانه العمال ان يلتزموا [illegible]

[illegible]

١ - روح العصر - المرجع السابق .

٢ - روح العصر ١٦-٥-١٩٣٠ [illegible]

« ١ – تشجيع صحافتنا الناطقة بلسان حالنا ٠

٢ – ضم صوتنا لصوت اخواننا الاشتراكيين فى بلدان العالم وعلى الاخص العاطفين علينا منهم فى الشرق ٠

٣ – مطالبة الحكومة بسرعة اصدار وطبع تشريع العمال – وضرورة سن قوانين تحمينا من عسف الممولين واصحاب الاعمال خصوصا وغالبهم من الاجانب ٠

٤ – مطالبة الحكومة بمساعدتنا لدى الممولين المصريين فى تشجيع العامل المصرى » ٠

ثم يختتم سيد قنديل مقاله قائلا « فاذا قمنا بما يجب علينا من ذلك نكون اشتراكيين (مع التحفظ) فما قصدنا من الاشتراكية الا اصلاح حالنا نحن العمال جميعا ٠ وانى وان قلت جميعا فهذا دليل اشتراكيتنا الخالصة من ما فى ظنون محاربينا الذين لا غاية لهم الا استثمار اموالهم باستغلال مجهودنا وعرقنا ٠٠ ولئن كنت اخص احدا بكلمتى هذه – وهذا واجبى – فلاخص بها اخوانى العمال المصريين »(١) ٠

لكن « روح العصر » قد فتحت صفحاتها ايضا امام اتجاهات لا تمت للاشتراكية بصلة وان ادعت الاشتراكية ٠٠ فثمة مقال بتوقيع « احمد المصرى » بعنوان « اشتراكية الدولة – حكومة مصر تسير على نظام اشتراكى » « يتحدث فيه عن عيوب النظام الفردى ويدعو الى تدخل الدولة فى ادارة المشاريع الانتاجية ويقول : « وحكومة مصر تكاد تكون سائرة على نظام اشتراكى فهى تدير السكك الحديدية باحسن نظام وها هى تدير البريد والتلغراف ٠٠ »(٢) ٠

ثم مقال آخر لنفس الكاتب بعنوان « محمد على باشا – يطبق النظام الاشتراكى فى مصر »(٣) ٠

لكن ذلك كله لم يعف « روح العصر » من هجوم عنيف شنته عليها جريدة « السياسة » واتهمتها بالشيوعية ٠ ويحاول عبد الفتاح القاضى ان ينفى عن مجلته وعن الجماعة التى تصدرها هذه « التهمة ! » فيكتب مقالا عنيفا بعنوان « اجهل ام تجاهل – كشف النقاب عن وجه السياسة » يؤكد فيه « ان روح العصر اشـــتراكية سياسية لاتختلف فى لهجتهـــا ولا فى ابحاثها عن الديلى هيرالد »(٤) ٠

---

١ – روح العصر – ١٦–٥–١٩٣٠ ٠
٢ – روح العصر – ٢٨–٢–١٩٣٠ ٠
٣ – روح العصر – ١٤–٣–١٩٣٠ ٠
٤ – روح العصر – ٢٨–٣–١٩٣٠ ٠

لكن ذلك ايضا لم يستطع ان ينقذ المجلة من سيف الارهاب واصـــدرت حكومة صدقي قرارا بالغاء رخصتها ومنعها نهائيا من الصدور ..

وهكذا انهار آخر امل للعمل « القانوني » عند العرابي وتبخرت نظريته التي انفصل بسببها عن الحزب تحت بطش ارهاب الرجعية المصرية التي لم تكن لتسمح حتى بايجاد منبر امثل « روح العصر » ..

وتفرقت الجمـــاعة ..

عبد الفتاح القاضي سافر الى المـانيا للعلاج .. وحسني العرابي يسافر هو ايضا الى المـانيا ولكنه يسافر هربا من الضياع والمحاصرة والفقر وانكار النـــاس له ..

ويروي العرابي في كلمات حزينة قصة سفره « والساعات الأخيرة التي قضاها متجولا في شوارع الاسكندرية » احب بلاد مصر الى نفسي فيها قضيت زهرة شبابي ، فيها درست في « العباسية الثانوية » ، فيها ضاربت في « البورصة » وجمعت عشرات الالوف من الجنيهات فيها بدأت حياتي السياسية وخطبت في الوف العمال ..

طفت في شوارعها ساعات أسال الدور والمنازل هل اصابها ما اصابني ، وهل عدت عليها الايام كما عدت علي ، فكان جوابها صريحا ، لا ، الشــوارع نظيفة والعمارات جديدة شبابها والشمس مشرقة ضاحكة .. والناس رائحون غادون وعلى وجوههم مظاهر المرح والمسرة ـ اما انا فاسير وحدي كسير القلب ، مهيض الجناح ، لا يأبه لي مار ولا مارة ، كان لم يكن لي فيها دولة .. أغريب انا ؟ »(١) .

هكذا وجد الرجل نفسه فجاة وحيدا .. بلا امل فقرر ان يهاجر ..

وكانت هجرة العرابي اشهارا جديدا لافلاس الفكرة « الاصلاحية » ولقد طالعتنا في فصول سابقة كيف سدت الرجعية المصرية بصلفها وتعنتها البـــاب امام اية دعوة اصلاحية ولقد كان على العرابي ان يدرك منذ البداية ان الذين رفضوا بل وقاوموا الدعوات « الاصلاحية » لعبد الرحمن فهمي واسماعيل مظهر ، كان من الضروري والحتمي ان يرفضوا دعوة صادرة منه بالذات .

---

١ ـ محمود حسني العرابي ـ ٨٩ شهرا في المنفى ـ مطبعة التوكل ـ القاهرة (١٩٤٨) ـ ص ٧ ..

وعلى اية حال لقد هاجر الرجل واقام فى المانيا شهورا طويلة جرد خلالها من جنسيته بمرسوم ملكى . وفى برلين عانى الرجل كما روى فى مذكراته الكثير من التشريد والجوع والحرمان .. ثم عاد الى مصر .

وهنا تثور تساؤلات عديدة حول عودة الرجل ، وحول مدى تورطه فى علاقة مع النازى .. ويؤكد الدكتور محمد انيس ان العرابى « قد انتهى به الامر الى ان اصبح من دعاة النازية الالمانية »(١) .

لكن الشىء المؤكد ان الرجل قد عاد بواسطة حسن نشأت باشا .. والعرابى لا يخفى ذلك فهو يقول « فجددت مسعاى لدى الحكومة المصرية ، وكان وزير مصر المفوض فى برلين فى ذلك الوقت الرجل الالمعى «حسن باشا نشأت »(*) .

ويقول عصام الدين ناصف ان حسن نشأت اعاد العرابى من المانيا خدمة للانجليز حتى لا يستخدمه الالمان كبوق لهم اذا ما قامت الحرب .

وعلى اية حال ـ لقد عاد حسن العرابى ليجد أصدقاءه القدامى قد يئسوا من ايجاد أى سبيل لتنفيذ افكاره الاصلاحية عن العمل العلنى وليجد انهم قد لجأوا الى العمل السرى ..

وعندما هاجر العرابى والقاضى لم يثبت فى ميدان « العلنية » الا عصام ناصف الذى اصدر عديدا من الكتب واسهم فى تحرير عشرات المجلات وشارك عباس حليم عمله وسط العمال محاولا جهد طاقته ان يكسب هذا العمل طابعا ثوريا .

وقد تصيد عصام ناصف كل نزعة « اصلاحية » يحاول جاهدا ان ينفخ فيها بعض الروح دون جدوى .

وهكذا وبعد ان اصدر العديد من الكتب وبعد ان كتب عشرات بل مئات المقالات فى صحف عديدة ابتداء من « الاهرام » و « كوكب الشرق » و « الوادى » و « المقتطف » و « المجلة الجديدة » و « العصور » و « السياسة » الى مجلات

---

١ ـ د. محمد انيس ـ الحركة الوطنية فى مواجهة الاستعمار الاوربى سلسلة محاضرات المعهد العالى للدراسات الاشتراكية ـ مطبوعة بالرونيو .

* لا زالت شخصية حسن نشأت لغزا يحير الباحثين فى تاريخ هذه الفترة . فقد كان سفيرا لمصر فى برلين حتى قبل اعلان الحرب العالمية الثانية . وقد اكد هو اكثر من مرة انه قام بالوساطة بين المانيا وانجلترا وانه حمل قبل اشتعال الحرب رسالة من هتلر الى تشمبرلين . وكان نشأت يؤكد فى احاديثه الخاصة انه كان صديقا شخصيا لهتلر وجورنج وكان يخرج معهما كثيرا للصيد . ومن سفارة مصر فى برلين الى سفارة مصر فى لندن انتقل حسن نشأت ليعمل سفيرا فى لندن طوال الحرب الامر الذى يوحى برضاء الانجليز عنه .

ربما لم يسمع عنها أحد مثل « شبرا » (*) و « الشعاع » و « المصرية » الخ ..

وبعد ان تحالف مع كل دعوة اصلاحية مع اسماعيل مظهر وعباس حليم والتجمعات المناهضة للفاشية والجماعات المعادية للحرب .. بعد ذلك كله عاد عصام ناصف والقاضى معا ليتيقنا انه ما من سبيل الا العمل السرى ..

ويعود العرابى الى مصر ليجد ان آخر نرسان « الاصلاحية والعلنية » قد تخلى عن تلك الفكرة القديمة التى تزعمها ، وانه قد شرع بالفعل فى تكوين تنظيم سرى ..

وشارك حسنى العرابى معهم فى هذا التنظيم السرى ثم ما لبث ان انفض عنهم بعد ان اكتشفوا ميوله النازية فما ان اجتاحت جيوش هتلر اراضى روسيا وبدا للبعض ان روسيا قد هزمت حتى سارع العرابى مطالبا التنظيم بتأييد المانيا ولما رفضت المجموعة انفصل عنها واخذ فى الاستعداد لملاقاة جيوش روميل ، بل ويقال انه كون حكومة ظل استعدادا لوصول روميل (١) .

اما بقية المجموعة فقد التقت من جديد مع مجموعة الحزب بالقاهرة وعملوا معـــا (٢)

.. وهكذا وبعد ، رحلة طويلة ، استغرقت سنوات عديدة وجهود ضخمة ، كتب ومقالات ومجلات وقضايا وسجون ، ومناورات ومحاورات مع الاصلاحيين بعد ذلك كله عاد دعاة الاصلاحية والعمل القانونى من جديد ليعملوا فى نفس الصفوف التى ابتعدوا عنها منذ ١٩٢٧ .

وربما كانت عودتهم هذه كافية بذاتها لاثبات صحة خط الحزب فى تمسكه بضرورة العمل السرى فى مواجهة العنف الرجعى المتشدد وبالتمسك بالنظرية الماركسية كاملة فى مواجهة دعاوى التحلل والتساهل النظرى .

(*) مجلة شبرا .. اصدرها محمد عبد الحميد عبد الله المحامى لتعبر عن مشاكل حى شبرا .. وقد صدر عددها الاول فى ٢٥ مارس ١٩٢٧ وابتداء من العدد الثانى الصادر فى أول ابريل ١٩٢٧ بدأ عصام الدين ناصف بالكتابة فيها باعتباره من ابناء حى شبرا ، وبالتدريج تحولت المجلة الى منبر للدفاع عن حقوق العمال وتوالت مقالات عصام الدين فيها ومن بينها مقالات - الاشـــتراكية والاسلام (١٥-٤-١٩٢٧) - علاقة الاشتراكية بالمذاهب الاجتمـــاعية الاخرى (٢٩-٤-١٩٢٧) وابتداء من ٢٦ اغسطس سنة ١٩٢٧ صدرت مجلة شبرا فى حجم جديد معلنة فى صفحتها الاولى انها لسان العمال على مبادئ الزعيم عبـــاس حليم .

(١) - راجع محضر النقاش مع د. عبد الفتاح القاضى . تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر - المرجع السابق - ص ٢٧ .

(٢) - راجع محضر النقاش مع محمد دويدار بالملاحق .

جورج حنين ـ رمسيس يونان ـ أنور كامل

هل الفن وحـــده يكفي ٠٠ ؟

كانت الثلاثينيات تقترب من منتصفها أو تتخطاه بقليل ٠ وكانت جماعات المثقفين المصريين تقترب من حالة التوهج ٠٠ كانوا يحاولون أن يتفهموا وأن يتمعنوا الفهم ٠٠ وأن يحاولوا الاقتراب من قضايا المجتمع وتفهمها والاشتراك فى عملية المواجهة الاجتماعية الصاخبة ٠

وبعض هؤلاء كانت معرفتهم بالثقافة الاجنبية نتيجة لنشأة اجتماعية متميزة أو لفرصة التعلم فى مدارس أجنبية تشدهم نحو المزيد من « التغريب » ٠٠ والانغماس فى النقاش الفكرى الصاخب حول المدارس والاتجاهات الفكرية التي تموج بها أوروبا ٠٠

وبعض هؤلاء تلامس أو تواجد مع الاندية الاجنبية الطابع والمحتوى محتميا اما بوضعه الاجتماعى الراقى ، أو باتقانه اللغة الفرنسية ، لغة هذه الاندية ٠٠

والبعض استمد من هذا التلامس اقترابا من الوعى الاجتماعى ٠٠ أقول اقترابا وليس تفهما ولا ادراكا ٠٠

٠٠ سئل واحد من هؤلاء ٠٠ هو أنور كامل « لماذا ارتبط نشاطكم بالفن ؟ » فقال (١) :

« لا يمكن تخيل حركة سياسية بدون ثقافة ، السياسة بدون ثقافة تتحول الى محاولات جافة ، وهذا خطر على العمل الثورى ٠٠ حركة سياسية بدون ثقافة يمكن أن تؤدى اما الى فشل أو الى ديكتاتورية ٠ والحقيقة ان العديد من الكوادر اليسارية المصرية لم تكن على قدر كاف من الثقافة ٠ ربما كان البعض يعرف الكثير عن الماركسية : لكن الماركسية وحدها ليست ثقافة ٠ وربما فشلنا كحركة يسارية لاننا لم نوفر لأنفسنا قدرا كافيا من الثقافة قبل أن نخوض غمار تأسيس حركة جماهيرية ٠ »

---

١ ـ محضر نقاش أجرته الباحثة الامريكية سيلما بوتمان مع أنور كامل فى ٤ أبريل ١٩٨٠ ـ المحضر مدون بالالة الكاتبة الانجليزية ٠

وعندما يسأل عن العلاقة بين السيريالية والسياسة يقول ..
« السيريالية ترتبط بتزويد وبالاحلام ، والحلم هو الرغبة في تحقيق الاماني وكانت أمانينا مقهورة ، وعبر الفن السيريالي كنا نعبر عن أمانينا المقهورة . ومن هذه الزاوية يمكنني أن اعتبر السيريالية حركة ثورية ، ولقد انضم الى الحركة السيريالية المصرية يوسف العفيفي وكامل التلمسانى ، ورمسيس يونان ، فتحي البكرى ، فؤاد كامل ، أبو خليل لطفي ، وفي معارضنا كنا نعد كتالوجات برسوم وتعليقات ثورية ، وفي مجال الشعر كان كلا من جورج حنين وكانتروفتيش يمارسان إداءا ثوريا ، فقد كان مجرد تدمير الاطار التقليدي للشعر عملا ثوريا .. وهذا بذاته سياسية فليست السياسة مجرد مماثلة ضيقة الافق .. ولكي اعبر بدقة عن مغزى أفكاري فانني اقرر مثلا أن : ١٠ + ١ يمكنها أن = ٢ ، وأن تكون ١١ وأن تكون واحد كبير . لقد كنت من البداية ماركسي حر ، بلا دوجما ، فاى شيء يتحول الى دوجما ينتحر » .

ولعل القارئ ينتظر تعقيبا مني .. لكني أمهله حتى اتابع معه بعض افكار هذه المجموعة كتب جورج حنين الفارس الاول لهذه الجماعة مقالا (بالفرنسية) في مجلة Un EFFort بعنوان «قاموس للاستخدام البرجوازي» وقد نشر المقال مصحوبا برسوم كاريكاتورية لكامل الدبيب .. فقدم القاموس التالي :

فوضى = انتصار الروح على اليقين .

جمال = خلطة تنظيفية .

كرامة = افتراض جاهز لايام الاستقبال .

امرأة شريفة = احتكار جنسي .

فكرة = لعبة لا تنكسر ، مجانية وأحيانا قاتلة .

شرطية = لجام الشعوب .

الأنا = الشيء الاكثر اهمية في العالم .

متخلف = اكبر مزبلة معترف بها رسميا .

عمل = كل شيء لا ترغب في فعله .

وقد اثار هذا القاموس استياء ودهشة دفعت جريدة « البورص اجيبسيان » إلى أن تعلق عليه قائلة : « انه كلام شاب مسكين بقلب ميت وروح جامدة » . فرد حنين على كاتبة المقال قائلا « تأكدي من فضلك إن نداءك

المهتز بمثل هذه الاحتجاجات العنيفة قد وصلنى ولم يهزنى : لقد كان هؤلاء المتوحشون الدمويون بالتحديد فى طريق الغرق فى الوحل ، عندما وصلت رسالتك لتنقذهم من ممارسة مهامهم »(١) .

.. وبلا تعليق ، نتوقف أما شبان يتكلمون الفرنسية ويتجادلون بها .. عارسوم الانيق يقول ان الانا « هى الشيء الاكثر أهمية فى العالم » .. حواراتهم المعقدة قد تشغل بالهم وحدهم وبال أمثالهم من المتفلسفين لكنها على أية لا تصل ولا يمكن أن تتفهم من جانب الكثير من المصريين فما بالك بالطبقة العاملة .. ؟؟

ولكن أولا وقبل أى تحليل أو استطلاع من هم هؤلاء الناس ؟

* **جورج حنين :**

ولد فى ٢٠ نوفمبر ١٩١٤ لاب دبلوماسى هو صادق حنين باشا .. الاب مصرى قبطى والام ايطالية تسمى مارى زانلى . كان ارستقراطيا الى الدرجة التى منعته من الذهاب الى المدرسة ، فقد تولى مرب خاص تعليمه حتى سن الثانية عشرة . وفى عام ١٩٢٤ عين والده سفيرا لمصر فى مدريد فصحبه جورج والمدرس الخاص . وهناك فقط تعلم جورج اللغة العربية ..

وفى عام ١٩٢٦ عين والده سفيرا لمصر فى روما فانتقل معه جورج حيث التحق بمدرسة شاتوبريان الثانوية ، ثم انتقل مع أمه الى باريس .. والتحق بعد ذلك بالسوربون حيث حصل على ثلاث شهادات ليسانس .. واحدة فى الحقوق والاخرى فى الآداب والثالثة فى التاريخ .

وقد استقر بالقاهرة ابتداء من ١٩٣٩ .(٢)

وقبل ذلك التاريخ كان جورج حنين فى فترات انتقاله للقاهرة يمارس نشاطا ثقافيا ملحوظا .. ومنذ عام ١٩٣٢ التحق بجماعة المحاولين وكان سكرتيرها جابرييل بقطر .. وكانت تصدر مجلة شهرية باللغة الفرنسية اسمها Un EFFort وتصف نفسها بأنها « المجلة الوحيدة النزيهة فى مصر ، وانها مركز الفكر الحر »(٣) .

---

1 ALexandrian - Georges Henien - Gditions Seghers - Paris (1981) P.14

٢ ـ لمزيد من التفاصيل راجع : سمير غريب ـ السيريالية فى مصر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٦) ـ ص ١٢ .

٣ ـ المرجع السابق . ص ١٣ .

ويبدو أن جورج قد أصبح أحد الكتاب الدائمين في هذه المجلة ... وذلك برغم عدم إقامته الدائمة في مصر

وتتابع له عديدا من المقالات

مقال بعنوان « العالم بدون روح » ويصف فيه بأسلوب غني صورة العالم داخل نفسه (١) وقصة بعنوان « صنع في أمريكا » وهي قصة شاعرية تدور في أحد الملاهي ، يعالج فيها العالم الداخلي لأحد الغانيات (٢) ثم يبدأ في كتابات « لا واقعية » تعتمد على تدفق اللا وعي والتي يصعب فهمها أو فهم مغزاها كمقال بعنوان « النومين هارب ومنبعث »(٣)

وذات يوم سئل جورج حنين : ما هي أجمل أمنياتك ؟ فأجاب « الوصول الى نقطة الصفاء القصوى ، حيث يحل الأدب محل الحياة ، عندئذ ، وعندئذ فقط ستكون هناك ضرورة للكلام ، وستكون للكلمات سلطة ووحدة »(٤)

وسريعا ما غادر حنين مصر ... فالامر لا يعنيه كثيرا أن يتجول هنا أو هناك ... وفي باريس استقر نهائيا وفي فرنسا صار يعتبر واحدا من أهم أدباء اللغة الفرنسية المعاصرين ... تحدث عنه الكاتب المغربي الطاهر ابن جلون وانه من الشعراء الذين يعبرون العصر على أطراف أقدامهم صانعين من أجسادهم ظلا للكلمات ، يمرون بين شمسين في طيران رقيق بنعومة الصمت وبحياء المجهول » .

* رمسيس يونان :

« ولد عام ١٩١٣ من أسرة بروتستنتينية من مدينة المنيا ، توفي والده وهو في الخامسة عشرة من عمره ، فاضطر للعمل والدراسة في آن واحد ، تلقى تعليمه الثانوي في المدرسة السعيدية ، حيث تعرف على أستاذ الرسم يوسف العفيفي الذي أثر في جيل كامل من الفنانين المصريين » (٥)

وقد واظب رمسيس يونان على المشاركة في معارض صالون القاهرة ، والتي كانت تقيمها جمعية محبي الفنون الجميلة في أعوام ٣٣ ـ ١٩٣٨ .

وفي عام ١٩٣٥ بدأ اتصاله بجماعة الدعاية الفنية التي كان يرأسها حبيب جورجي ، وعن طريق هذه الجمعية بدأ خاصة المثقفين في التعرف على رمسيس .

---

1 Un EFFort — No : 38 — 12-1933

2 Un EFFort — No : 44 — 6-1934

3 Un EFFort — No : 52 — 3-1935

4 Savoir vivre — 1946

٥ ـ سمير غريب ـ المرجع السابق ـ ص ١٢

يونان كناقد متميز • وقد توقف نشاط هذه الجماعة عام ١٩٣٩ بعد أن أقامت معرضين جماعيين فى عامى ١٩٣٨ و ١٩٣٩ وقد شارك رمسيس يونان فى المعرض الاخير(١) •

*** أنور كامل :**

•• لم يكن من بين أعضاء جماعة المحاولين « كانت علاقتى بهم ضعيفة جدا ، ولم تتعد سوى زيارتين أو ثلاثة ، لكننى لم أشعر بالقدرة على الاندماج معهم » ••

ولكن يبرز اسم أنور كامل فجأة فى ١٩٣٦ حيث أصدر كتابا اتخذ عنوانا غريبا هو « الكتاب المنبوذ » هذا الكتاب الذى لم يطبع منه سوى ٢٥٠ نسخة فقط أثارت ضجة كبيرة فقد تحدث عن مسألة الحرية الجنسية ، وتلمس أيضا – كما يقول صاحبه – بعض الجوانب الاجتماعية •• لكن الكتاب – وربما لاسباب أخلاقية – صودر بقرار من الحكومة •

ومن خلال الضجة التى أحدثها كتاب تحدث عن الحرية الجنسية وطبع منه ٢٥٠ نسخة فقط صودر معظمها •• توجهت بعض الانظار من هذا النمط من المثقفين نحو أنور كامل •• ويمضى هو قائلا :

« كان معى أخى فؤاد كامل – كامل التلمسانى – أحمد رشدى ونعيم جبالا وهو رسام تشكيلى يهوى الموسيقى وأسس جمعية الجرامفون •• وكونا معا « جمعية المنبوذين » واتخذنا شقة صغيرة كمقر لجمعيتنا •• حيث كنا نجتمع لنتداول فى همومنا ، لكننا على أية حال كنا بغير نفوذ ، ولم يكن لنا أى نشاط سياسى »(٢) •

•• لنتوقف قليلا لنجمع أطراف الموضوع •• ولنورد أسماء الجماعات والجمعيات والاندية التى تناثرت بكثرة غريبة فى أنشطة هؤلاء الثلاثة •• وبرغم اعترافهم جميعا بالعزلة عن الجماهير ، وأنها كانت جماعات محدودة فى اطار محدود ، هو صفوة المثقفين :

المحاولين – جماعة الدعاية الفنية – صالون القاهرة – جمعية محبى الفنون الجميلة – جمعية الجرامفون – جمعية المنبوذين ••

•• ونواصل متابعة مسار هؤلاء الثلاثة •• نعم لم يكونوا وحدهم ، لكنهم كانوا فى عزلة مهما تكاثروا ، تعزلهم مواقفهم المتعالية على مشكلات

---

١ – المجلة – فبراير ١٩٦٧ – مقال لصبحى الشارونى بعنوان « الثقافة والتمرد ورمسيس يونان » •

٢ – محضر نقاش أجرته سيلما بوتمان – المرجع السابق • وأيضا محضر نقاش مع المؤلف – بالملاحق •

الجمـاهير . والتي لا تتلمس مواجع وطن مستعمر ومستعبد وشعب فقير فقرا بلا حدود وهم منغمسون فى أحاديث مجدبة مهما كانت براقة عن الفن والأدب ، وبلهجة متفلسفة ومتعـالية ، وبلغة فرنسية فى غالب الأحيان . .

وتعزلهم النزعة المترفعة عن الجمـاهير ومنظماتها ، وأدواتها الجماهيرية . . نقـابات ، اتحادات ، تجمعات فئوية وطبقية . . والانكفـاء داخـل المخاولين وجمعية الجرامفون وصالون القـاهرة . . الخ . .

وتعزلهم وهذا هو الاخطر النزعة التروتسكية الواضحة التى غلفت أيـة محاولة لتسييس مواقفهم المتباعدة عن الجماهير . . بضباب غير محتمل . . فهم ضد النازية وهم ضد الرأسمالية وهم ضد الاستعمار وهم أيضا ضد الاتحاد السوفييتى . . مع من هم ؟ هذا السؤال تردد كثيرا وهو يحيط عزلتهم القاسية بغموض من الشكوك والتوجسات وكم كان صعبا . . شرح الفكرة التروتسكية مضافا اليها كل هذا التفلسف المتهجى والتعقيد اللغوى ، والانعزال الفكـرى

يقول أنور كامل « الحقيقـة اننـا لم نتعلم من أية معلومات سـابقة ، أو مصادر أقـدم ، ولم تكن لدينـا أية خبرة تنظيمية ، كانت لدينـا أفكـارا . . ولكن لا معرفة بالتطبيق ولا خبرة فى الممارسة »(١)

واذا كان أنور كامل ينفى عن نفسه الانتماء للتروتسكية فانه يؤكـد أن جورج حنين ولطف الله سليمان كانا كذلك . . « الحقيقـة اننـا كنا فى بداية الطريق للدراسة النظرية ، كنا يساريين ، ولكن لم تتح لنـا فرصة دراسـة أفكـار ستالين وأفكـار تروتسكى والمفاضلة بينهما . . لكننى متأكـد أن جورج حنين وقـد كان أكثر اطـلاعا كان له موقف محدد هو ولطف الله سليمان وأعتقد أنهما كانا تروتسكيين »(٢)

وثمة تاكيـدات على انتماء جورج حنين المبكر للتروتسكية ، فقد حرص على الاستمرار فى مراسلة المجلة التروتسكية الفرنسية Les Humbles التى كان يحررها التروتسكى الفرنسى موريس ويلين . وفى عدد يونيو ١٩٣٥ من هذه المجلة نجـد مقـالا عنيفـا لجورج حنين بعنوان « أغنيات رجال العنف » يطالب فيها البروليتاريا بالثورة . . وبأقصى عنف ضد الرأسمالية (٣) .

وفى أعداد لاحقـة من ذات المجلة هاجم حنين ستالين بشدة ، وهاجم رومان رولان متهمـا اياه بأنه مجرد عميل لستالين . . وفى مايو ١٩٣٦ نشرت

---

١ ـ محضر نقاش أجرته سليما بوتمان ـ المرجع السابق . .
٢ ـ محضر نقاش أجراه المؤلف ـ بالملاحق ـ المرجع السابق . .
3. Les Humbles — Juin 1935

له المجلة نفسها مقالا بعنوان « احياء لذكرى الثابتون على مواقفهم » اتهم فيه رومان رولان بأنه « مدير عام لا وعى اليسار »(١) ٠

ومن القاهرة أرسل جورج حنين سلسلة من القصائد الى هذه المجلة يتابع فيها محاكمات موسكو ويهاجم ستالين بشدة ٠٠ وثمة قصائد بعنوان « عاشت كتالونيا » ـ و « لو انهم يشنقوه » و « مشروع اثر دولى »(٢) ٠

و اذا كانت التروتسكية سمة مشتركة ، فثمة مشترك آخر هو للانتماء للمدرسة « السيريالية » ٠

ففى عام ١٩٣٧ ألقى جورج حنين محاضرة فى القاهرة حاول أن يشرح فيها للمثقفين المحيطين به « السيريالية » وكالعادة أسرع بتأسيس جمعية « الجماعة السيريالية المصرية » وانضم اليه كالعادة أيضا ذات الاصدقاء المحدودى العدد الذين ينضمون الى أية جمعية من هذا القبيل « الشاعر أدمون جابى ، الصحفى ايميل سيمون ، الرسامين كامل التلمسانى ، وانجلو دى ريز ورمسيس يونان » ٠

وكان عام ١٩٣٨ عام الانطلاق لهذه المجموعة : ٠

جورج حنين أصدر أول دواوينه بالفرنسية « لا معقولية الوجود » مزينا برسوم كامل التلمسانى ٠ ورمسيس يونان أصدر عن طريق جماعة الدعاية الفنية كتابا تفجر كقنبلة فى ميدان الثقافة المصرية عنوانه « غاية الرسام العصرى » ٠

وفى نهاية العام بدأ أول عمل جماهيرى للمجموعة فاصدرت منشورا باللغتين العربية والفرنسية بعنوان « يحيا الفن المنحط » يهاجم منع هتلر للفن التشكيلى الحديث بحجة أنه فن منحط ٠٠ وقد وقع البيان ٤٠ من المثقفين منهم جورج حنين ـ رمسيس يونان ـ كامل التلمسانى ـ فؤاد كامل ـ أنور كامل ـ سلامة موسى ـ وعلى ظهر المنشور طبعت صورة « جرنيكا » لبيكاسو ٠

٠٠ ويكون الامر الآن أكثر نضجا فيعلن جورج حنين رسميا تأسيس جماعة « الفن والحرية » فى ٩ يناير ١٩٣٩ ـ ويعلن قانونها الاساسى من مادتين :

« **المادة الأولى** : تكونت فى يوم ٩ يناير ١٩٣٩ جماعة باسم « الفن والحرية » للاغراض الاتية :

1 Les Humbles — Maie 1936

٢ ـ لمزيد من التفاصيل راجع : سمير غريب المرجع السابق ـ ص ١٧

أ ـ الدفاع عن حرية الفن والثقافة .

ب ـ نشر المؤلفات الحديثة ، والقاء محاضرات ، وكتابة خلاصات من كبار المفكرين في العصر الحديث .

جـ ـ ايقاف الشباب المصري على الحركات الأدبية والفنية والاجتماعية في العالم .

المادة الثانية : تمثل الجماعة لجنة دائمة تنتخب وفقا للقانون الداخلي ـ مقر الجماعة بشارع المدابغ ٢٨ ـ القاهرة »(١)

وأصدرت جماعة الفن والحرية نشرة .. مطبوعة بالرونيو على غلافها رسم تشكيلي بتوقيع التلمساني .

وفي العدد الثاني والاخير من هذه النشرة يكتب جورج حنين (بالفرنسية أيضا) ... « إن هدفنا ليس تغيير الرغبة ، بل تغيير المجتمع ، وتكييفه مع رغباتنا ، ولا يمكن للفن أن يكون عاطفيا فقط ، فهو ضد النظام القائم ، وضد الطبقة الحاكمة ، وضد الخنوع ، وضد الورع البوذي ، فالفن ليس سوى معمل بارود »(٢) .

ومع اشتعال الحرب العالمية الثانية يستقر جورج حنين نهائيا في القاهرة ليغادرها نهائيا أيضا بعد الحرب مباشرة .

وفي عام ١٩٣٩ يسهم جورج في اصدار مجلة أثارت لغطا شديدا فيما بعد هي « دون كيشوت » واللغط مصدره أنه هو وهنري كوربيل أسهما في اصدارها وفشلا في اقتسامها فجورج أراد أن ينحو بها منحى تروتسكيا ورفض كوربيل وتوقفت المجلة .. لكن ظلال « دون كيشوت » ظلت تلاحق كوربيل لفترة من الوقت واستخدمها خصومه وهم كثيرون .

لكن متابعة أعداد دون كيشوت تؤكد ان صراعا مريرا دار بداخلها وأن هنري كوربيل قد أثار غضب التروتسكيين على جورج حنين فقد كان صوت كوربيل هو الاعلى بينما صوت التروتسكية يوشك الا يظهر .. والا يلمس ، ومن باريس أرسل هنري كاليه (تروتسكي فرنسي) الى جورج حنين يعنفه « ان الميول في هذه المجلة مضطربة جدا . والصفحات متناقضة ، وأنت تخاطر بضياعك فيها .. ربما كان انفرادك بمجلة صغيرة أفضل بالنسبة لك ، ان مقالاتك هي وحدها ذات المستوى . انها مجلة مخلية جدا ، وطفولية » .

---

١ ـ التطور ـ العدد الاول ـ يناير ١٩٤٠ .

٢ ـ الفن والحرية ـ نشرة مطبوعة بالرونيو ـ العدد الثاني .

·· وتتوقف المجلة بعد أربعة أشهر لتعد قراءها انها ستصدر شهرية بعد أن انفرد بها جورج حنين ، لكنه يعجز عن اصدارها ··

لكننا اختتمنا قصة « دون كيشوت » دون أن نبدأها · فكيف بدأت ؟

في ديسمبر ١٩٣٩ تجمعت مجموعة من اليساريين المصريين والاجانب (والأغلبية أجنبية) واستأجرت رخصة مجلة تصدر بالفرنسية كانت متخصصة فى سباق الخيل اسمها « دون كيشوت » وأعلنت المجلة عن نفسها كما يلى :

« دون كيشوت » « أسبوعية ، اخبارية ، يحررها الشباب ، صاحبها المسئول ادوارد الشدياق ، رئيس تحريرها هنرى كورييل تصدر كل خميس مقرها ١٦ شارع الجنينة » ثم « نحن نناضل ضد الفوارق الطبقية ، والمغالطة التاريخية ، والتساهل ، والممارسة التى لا يمارسها الناس بحرية ، نناضل ضد كل التلفيقات وكل الكلمات المستترة »(١) ·

وقد شارك فى تحرير دون كيشوت كلا من هنرى رومانى ـ مارسيل بياجينى ـ جوفارنا ـ اديث جاف ـ الكسندر باسكال ـ هنرى كاليه ـ ايزاك هرارى ـ ادوارد ليفى ·· وكان كامل التلمسانى يشرف على توضيبها ويرسم القصص والقصائد المنشورة بالاضافة الى مقالاته عن الفن المصرى ·

وكانت دون كيشوت تصدر فى ست أو ثمانى صفحات خصصت الصفحة الأولى للسياسة المحلية والعالمية والثانية للموضوعات الادبية والفنية ، والصفحة الثالثة بعنوان « عروض حية » وتنشر فيها موضوعات متنوعة وكانت الصفحتان الرابعة والخامسة مخصصتان لسباق الخيل ذلك لان رخصة الجريدة كانت صادرة على أنها جريدة لسباق الخيل ··

·· وكان الاتجاه العام للجريدة يساريا معاديا للنظام الملكى ومدافعا عن العمال والفلاحين ·· وقد نشرت المجلة فى أحد أعدادها قصة لتوفيق الحكيم ترجمها ادوارد الشدياق بعنوان « تابع الموت » وصحبها رسم لكامل التلمسانى (٢) ·

وسرعان ما تفرقت السبل ·· هنرى كورييل رافضا للتروتسكية ، ورافضا رطن المثقفين ، وتلمسا الطريق نحو الفهم والنضال الماركسى ··

1 Don Quichotte — 15-3-1940

2 Don Quichotte — 11-1-1940

ترك دون كيشوت، وأسس النادى الديمقراطى ثم الحركة المصرية للتحرر الوطنى .

أما جورج حنين فقد ظل متشبثا بتروتسكيته ، متشبثا معها بالاكتفاء بالفن كمعمل بارود .. فهل كان الفن وحده، ودون نضال جماهيرى كافيا وحده ليصبح معملا طبقيا للبارود. يجيب على هذا واحد من زملاء جورج حنين هو أنور كامل يقول : « .. لكن فكرا هكذا لم يكن من الممكن أن يظهر وأن يتبلور الا من خلال تنظيم سياسى . ولكن جورج حنين لم يكون تنظيما سياسيا . وأريد أن أشير الى أن ارتباط هذه الموجة اليسارية بالفن والفنانين قد أعاق تحولها الى تنظيم ، فالفنانين عادة يحبون الدردشة ، لكنهم لايقبلون بسهولة الخضوع لقيود التنظيم »(1).

.. وفارق كبير ، بل هوة شاسعة بين الدردشة وبين متطلبات الصراع الطبقى .

(1) مختصر نقاش مع أنور كامل أجراه المؤلف - بالملاحق - (المرجع السابق) .

بعض القضايا الايديولوجية

فى بعض الاحيان ، يصبح الموقف الايديولوجى عنصرا حاسما فى تكوين الصورة العامة لأى حزب سياسى .

وثمة قضايا فكرية - معينة - تكتسب أهمية خاصة بحيث يصبح الموقف تجاهها العامل الفعال فى تحديد مستقبل الحزب والحكم عليه .

ولقد تنطفىء الكثير من البطولات والتضحيات والنجاحات الباهرة ، أمام وهج موقف أيديولوجى خاطىء .

وفى تاريخ - الرفاق المصريين - عدد من المواقف الايديولوجية الفاصلة ، لعلها حددت الى درجة كبيرة مسار انطلاقهم العام ، بل لعلها تركت بصماتها على جميع التقييمات التى قدمت حول دورهم .

ولعله من حقنا ، ومن حق هذه الكوادر ، أن نلقى بعض الضوء على عدد من المواقف الايديولوجية الهامة .

ذلك أن بعضها رغم أهميته القصوى - غير معروف - بل وربما تداول الكتاب أشياء توحى بنقيضه مثل موقف الحزب من الصهيونية وقضية فلسطين . وبعضها الآخر يتطلب النظر اليه فى اطار التأثر بالموقف العام للحركة الشيوعية العالمية التى كانت تمارس فى ذلك الحين تأثيرا حاسما وغاطعا على الاحزاب فى مختلف بلدان العالم . وفى اطار الفكر الماركسى العالمى الذى سادت فيه الاتجاهات الستالينية بصورة لا تقبل المعارضة ولا الانتقاد .. مثل الموقف من البرجوازية الوطنية فى المستعمرات والبلدان المتقدمة .

* * *

ولنبدأ بموقف حقق فيه - الرفاق المصريون - نجاحا حقيقيا وفهما صحيحا لاوضاع الامة العربية واستبصارا ذكيا بقضايا مستقبلها وهو الموقف من الحركة الصهيونية .

فالحزب الذى حورب دوما بتهمة أن لليهود نفوذ كبير وسط صفوفه وأن للاجانب اليد الطولى فى أعماله . هذا الحزب كان أول الاحزاب المصرية التى أدركت خطر الصهيونية وأعلنت عليها حربا لا هوادة فيها .

وفى الوقت الذى كانت فيه صحف الاحزاب البرجوازية المصرية تنشر المقالات عن النشاط «الخيرى» للحركة الصهيونية وعن أعمالها المجيدة لتعمير فلسطين كانت جريدة « الحساب » تتصدى ـ وربما على انفراد ـ لكشف الصهيونية وادانة مطامعها فى فلسطين ولفضحها كحليف للاستعمار .

وتحت عنوان « بلفور يزور ضحيته . وفلسطين تقابله بالاضراب العام » كتبت « الحساب » تقول « احتفل الصهيونيون فى فلسطين بتأسيس جامعتهم العبرية يوم أول أبريل الجارى فدعوا لحضور احتفالهم ذاك ، نخبة رجالهم وجميع الذين يعطفون على قضيتهم ويساعدونهم فى عملهم الاستعمارى وكان فى مقدمة المدعوين اللورد بلفور صاحب التصريح المشهور الذى أصدره باسم الحكومة الانجليزية .. والذى بموجبه أعطت انجلترا فلسطين لليهود الصهيونيين رغم ارادة سكانها وضد كل شرع وعرف وقانون .

وقد لبى بلفور الدعوة فقابله السكان فى كل مكان حل فيه بجميع الوسائل التى تعبر عن سخطهم وغضبهم واشمئزازهم من زيارته التى تشبه زيارة القاتل لآل القتيل ، والمعتدى لضحيته ..

لقد أعلن أهل فلسطين الاضراب العام بمناسبة وصول بلفور الى بلادهم فاغلقت المتاجر والمصانع . والورش وحوانيت البقالة ووقفت السيارات وعربات الركوب وعربات النقل ، وامتنع التلامذة عن حضور دروسهم والذهاب الى مدارسهم .. ووضع أهل فلسطين شارات الحداد على دورهم ومتاجرهم ؛

« ... ولم يكن سخط الطبقة العاملة من اليهود على بلفور بأقل من سخط الفلسطينيين أنفسهم فقد شاركوا الاهالى بالاضراب وأرسلوا برقيات الاحتجاج ، وأظهروا بكل الوسائل نفورهم من صاحب ذلك الوعد الاستعمارى الذى يكرهه كل عامل لا فرق فى المذهب والعنصر والدين .. » .

« ... وقد عرف أهل فلسطين الكرام أن ليس كل يهودى صهيونيا ، وأن الصهيونية نوع خطر من الاستعمار يكرهه العامل اليهودى مثل ما يكرهه العامل الفلسطينى تماما ، لان العامل هو عامل قبل كل شىء وهو ضد الاستعمار ولو كان المستعمر أخاه كما قلنا ..

.. وانا نحيى هذه النهضة البديعة فى فلسطين ، ونأمل أن يواظب الفلسطينيون الكرام على أمجادهم وجهادهم فى سبيل استقلال بلادهم ، وهم كمظلومين مرهقين عليهم أن يضعوا أيديهم فى أيدى كل طبقة من طبقات

العمال فى اى بلد من البلدان فالطبقة العاملة مظلومة فى كل مكان ، وكل مظلوم للمظلوم نسيب »(١) .

ولعل المشكلة الايديولوجية الكبرى التى واجهت الرفاق المصريين فى ذلك الحين كانت تحديد الموقف من البرجوازية المتوسطة والصغيرة فى بلد كمصر ، وطبيعة العلاقة مع كل منهما .

وبغير ما شك فان كلمات ستالين كانت تمثل فى فترة كهذه بالنسبة لجميع الاحزاب بغير استثناء نقطة الانطلاق الاساسية فى أى عمل أيديولوجى

فماذا قال ستالين ... ؟

فى عام ١٩٢٥ تحدث ستالين طويلا عن قضية المستعمرات قائلا انها تنقسم الى ثلاثة أقسام مؤكدا ضرورة معاملة كل قسم منها بأسلوب مختلف، وفى بلد كمصر والصين (مستعمرات الدرجة الثانية) « فانه يتعين على الشيوعيين السعى لتأسيس كتلة ثورية (لاحظ الفرق الكبير بين الكتلة الثورية والجبهة الوطنية) من العمال والبرجوازية الصغيرة (يقصد بالبرجوازية الصغيرة الفلاحين أساسا) »(٢) .

لكن الامر لم يقف عند هذا الحد ، اذ سرعان ما وقع الصراع الدامى فى الصين والذى تميز – الى حد كبير – بطابع الغدر والخيانة من جانب البرجوازية الصينية ممثلة فى الكومنتانج .

وهكذا كان الموقف الجديد الذى تبناه مؤتمر الكومنترن السادس (١٩٢٨) والذى يعلن أن البرجوازية الصينية قد انتقلت وبصورة نهائية الى معسكر الثورة المعادية وبصورة تلقائية ارتبط تحليل الموقف فى مصر بالموقف فى الصين . وعوملت البرجوازية المصرية تماما مثل البرجوازية فى الهند والصين باعتبارها مستعمرات من الدرجة الثانية وهى المستعمرات التى طالب ستالين شيوعييها بأن يركزوا جهودهم لشن حرب لا هوادة فيها ضد البرجوازية (٣) .

---

١ – الحساب – ١٠ – ٤ – ١٩٢٥ .

2 Joseph Stalin-Marxism and the National and Colonial question - London, 1947 - PP. 216

3 M.S Agwani - Communism in The Arab East Asia Publishing House, Bombay — PP 6.

وهكذا فانه وفقا لوجهة نظر ستالين والمؤتمر السادس للكومنترن فقد كان يتحتم على الحزب الشيوعى « أن يركز جهوده لشن حرب لا هوادة فيها » ضد حزب الوفد .

والحقيقة أن الحزب الشيوعى المصرى قد رفض ذلك وحاول قدر ما تسمح به طاقته وما يسمح به ثقله أن يقاوم هذا الاتجاه وأعلن من على منصة المؤتمر « عن اعتقاده أن البرجوازية الوطنية فى مصر لم تنتقل نهائيا الى المعسكر المعادى للثورة كما فعل الكومنتانج »(١) .

والحقيقة أن الحزب المصرى لم يستطع أن يرسل مندوبا لحضور مؤتمر الكومنترن السادس ولم يظهر فى وثائق المؤتمر اسم مندوب مصرى ، لكنه يبدو أن الذى مثل وجهة النظر المصرية هو « حيدر » مندوب فلسطين ومن الواضح أن العلاقات بين الحزب المصرى والحزب الفلسطينى ـ السورى كانت وثيقة للغاية فى هذه الفترة .

وعلى أية حال فان « حيدر » هو الذى تحدث حول مصر ، وحول هذه القضية بالذات قضية الموقف من البرجوازية الوطنية ومن حزب الوفد بالتحديد ... فماذا قال حيدر ..

لقد بدأ حيدر تعليقه حول قضية الحركة الثورية فى المستعمرات بتوجيه انتقاد أساسى فقال « أيها الرفاق : ان القضية العربية ، والشرق العربى كله غائبان تماما عن هذه الجلسة ، لقد تجاهلتهما التقارير المقدمة حول قضية المستعمرات » .

ومضى حيدر ليتحدث عن أهمية القضية العربية وأعطى لمحة من ظروف المنطقة لكنه حاول أن يفند الفكرة التى سادت المؤتمر والتى سبق أن ذكرها ستالين ولم يجرؤ أحد على معارضته فيها وهى وضع مصر والصين فى مرتبة واحدة والنظر اليهما بمنظار واحد .

فقال حيدر « اذا حاولنا المقارنة بين الحركة العمالية فى كل من مصر وسوريا وبين الصين لجابهتنا الحقائق التالية :

ففى الصين نشط العمال وتحركوا كطبقة مع مطلع الحركة الثورية (حملة الشمال ، هيئة شنغهاى) وكانوا منظمين بالفعل فى نقابات ولهم حزب متواجد بالفعل فى قلب الاحداث ، بينما نرى العكس تماما فى بلدان

—1 Ibid - PP.7 : Revolutionary Movement in the Colonies and Semi - Colonies : Thesis Adopted by the Six-th congress of the communist international, 1928 (Bombay,1948) PP. -33-5- .

الشرق العربى حيث نجد أن العمال قد دخلوا الميدان متأخرين الى حد كبير • لقد كان العمال مجرد وقود للمدافع خلال الانتفاضات الثورية فى كل من مصر وسوريا ، بينما اختفى دورهم كطبقة مستقلة ، كقوة منظمة • ولقد بدأ الحزب الشيوعى المصرى نشاطه ، ليس بتكوين جبهة عامة « كومنتانج » وليس بمساندة زغلول باشا وانما على العكس من ذلك بالهجوم عليه » •

وبعد أن قدم « حيدر » تحليلا تفصيليا لحزب الوفد ودوره وموقف الشيوعيين منه قال « ان الامبرياليين يريدون الابقاء على حزب الوفد كقوة معارضة ، كلجام يكبحون به جماح العناصر الاقطاعية • لكنهم من ناحية أخرى يريدون للوفد أن يبقى داخل اطار معين ويرقبون بحذر بالغ « نفوذه الثورى » •

« والآن ما هو الموقف الذى يتعين علينا اتخاذه تجاه الوفد ؟ » • هكذا يتساءل حيدر ثم يمضى منتقدا موقف الكومنترن قائلا « يتصور بعض الرفاق أن الدور الثورى لحزب الوفد قد انتهى تماما وأنه قد أصبح الان قوة مناهضة للثورة ، وأنه قد ربط نفسه بالقوى المناهضة للثورة ، ولم يعد هناك ثمة مجال للحديث عن التحالف معه •

لكننى أيها الرفاق أعتقد اننا بمقاطعتنا للوفد سوف نقع فى النقيض الآخر وسوف نرتكب خطأ فادحا •

اننى أحدد واجباتنا فى مصر على النحو التالى : لا اعلان للتحالف مع حزب الوفد ولا اقامة لاية تنظيمات مشتركة معه ، ولكن من الحتمى الاستمرار فى اقامة اتصال دائم مع الوفد ، اتصالات مع قواعد الوفد للقيام بأعمال مشتركة محددة »(١) •

لكن الاتجاه السائد فى الكومنترن كان هو أن الوفد مثله مثل الكومنتانج قد خان الثورة الوطنية و « ألقى بأعلام الحرية فى الوحل » كما قال ستالين •

وهكذا وبرغم المعارضة فقد كان الرفاق المصريون مضطرين لمسايرة الاتجاه ، وقد كان استمرار اتخاذ الوفد موقف التخاذل والتهادن خير مشجع لهم على ذلك •

---

1 International Press correspondence - The Discussion on Comarade Bukharin,s Beport- No: 72 - 17/10/1928 - PP7311

ان تتبع المقالات والدراسات التى تناولت دور الوفد فى هذه الفترة توضح لنا ذلك الصراع الذى كان يعتمل بين قرار الكومنترن وبين رؤيه الرفاق المصريين للواقع المصرى . لكن ذلك لا يعنى أن الرفاق المصريين قد تناسوا أخطاء الوفد بل لقد ضاعفوا من هجومهم عليه وانتقادهم له ، لرفضه الاعتماد على الجماهير ..

« ان الوفد فى صراعه ضد حكومة محمود كان يرفع شعارا سياسيا محددا هو عودة الدستور ، لكن الوفد لم يكن يضع فى اعتباره قوى الجماهير المصرية ونضالها ضد الديكتاتورية الحالية وانما كان يعلق كل آماله على انتصار حزب العمال فى انجلترا . بل ان حزب الوفد قد حاول أن يلعب على الخلافات فى وجهات النظر داخل الوزارة البريطانية » ...

... « ان سياسيى الوفد عندما يتحدثون عن الجماهير ، فانما يفعلون ذلك لمجرد تحقيق أهدافهم وبشرط أساسى وحاسم هو ألا تتمكن هذه الجماهير من ممارسة أى دور ايجابى للتأثير على أعمال الوفد .

ان رئيس الوفد النحاس باشا قد ركز فى خطابه الذى ألقاه بمناسبة مرور عشرة أعوام على تأسيس حزب الوفد ، ركز على اصرار الحزب على عدم فتح الباب أمام الصراع الطبقى الذى وصفه بانه يقود الشعب الى الهاوية والهلاك »(١) .

وتعليقا على الصراع الذى دار بين النحاس ومحمد محمود عقب الانقلاب الدستورى كتب أحد الرفاق المصريين مقالا بعنوان « بلا مخرج » جاء فيه « بين رئيس الوزراء المصرى الحالى محمد محمود ، ورئيس الوزراء السابق النحاس باشا (زعيم الوفد) توجد أزمة ذات طابع خاص . فمحمد محمود يقوم بجولات « مظفرة » فى أرجاء البلاد ... ، أما النحاس باشا الذى يحسد محمد محمود على هذا النجاح فقد أخذ يروج ويدعو لشعبيته الخاصة ولشعبية الوفد بين الجماهير ..

ان هذه المسرحية ذات الخصائص الفريدة تجرى من أجل متفرج واحد هو المندوب السامى البريطانى اللورد لويد . فان كلا من محمد محمود والنحاس باشا يحاول أن يقنع المندوب السامى البريطانى بأن حكم مصر ممكن بواسطته هو شخصيا » .

---

١ ـ ريفولوسيونى فوستوك . (العدد ١ عام ١٩٣٢) مقال ـ أ . شامى بعنوان مصر بعد الانقلاب ص ٢٧٦ (مترجم عن النص الروسى) .

ويمضي المقال مؤكدا « لقد كانت انجلترا باعمالها لنداءات الجماهير العريضة فى مصر تعتمد اساسا على اعتقاد راسخ مؤداه انه ما من جماعة من الجماعات السياسية المصرية تعارض معارضة حقيقية فى استمرار السيطرة البريطانية »(١) ٠

لكن هذا الهجوم ضد حزب الوفد لم يكن هجوما مطلقا ، بل على العكس من ذلك ، فقد كان الرفاق المصريون يشعرون دائما أنهم أقرب الى حزب الوفد من حكومة الانقلاب الرجعى ، بل لعلهم كانوا يشعرون – فى بعض الاحيان – انهم أقرب الى الوفد منهم الى الحزب الوطنى ، رغم ان الحزب الوطنى كان وفقا لتحليلهم الطبقى حزب مثقفى البرجوازية الصغيرة الراديكاليين ٠

« أما حزب المثقفين الراديكاليين (الحزب الوطنى) فقد تبعثر تماما بعد الانقلاب وقد قبض على مجموعة من أعضائه ، لكن الجزء الاكبر من المجموعة المحدودة التى استمرت فى النشاط لجأت الى حزب الوفد ٠

ان هؤلاء المثقفين الراديكاليين لم يستطيعوا اللجوء الى الجماهير الشعبية ، ولم يستطيعوا الاتصال بها ، بينما استطاع الوفد أن يتصل بالجماهير وأن يحرك مشاعرها ونشاطها السياسى »(٢) ٠

وعندما ثارت قضية الامير سيف الدين واستخدمت ضد الوفد بهدف ابعاده عن الحكم ، كان الرفاق المصريون يعارضون حملة الحزب الوطنى على الوفد ٠

« لقد كان من الممكن بل من الواجب استخدام قضية الامير سيف الدين كمادة لفضح الملك فؤاد كعميل للانجليز ٠ ان قادة الوفد (ومن بينهم النحاس باشا نفسه) دافعوا عن الامير سيف الدين وأخذوا على عاتقهم هذه المهمة ٠ أما قادة الحزب الوطنى فلاسباب مجهولة تماما عارضوا الوفد فى موقفه هذا ٠ وفى البرلمان وقف زعيم الحزب الوطنى حافظ بك رمضان ليخطب قائلا : ان النحاس والمحامين الوفديين يقبضون أموالا طائلة ثمنا لتبنيهم قضية سيف الدين ٠

وقد أمكن « فيزكة » حملة واسعة وسط الرأى العام بواسطة الصحافة

---

١ – أ٠ الجبالى ٠ مقال « بلا مخرج » – مجلة رينولوسيونى فوستوك المرجع السابق – راجع النص كاملا بالملاحق ٠
٢ – أ٠ شامى ٠ المقال السابق الاشارة اليه ٠

المصرية والانجليزية المأجورة حول هذه القضية . وكانت النتيجة سقوط حكومة الوفد .

وبعد ذلك حل البرلمان ، والغى الدستور ، ووصل الى السلطة عملاء الرجعيين عملاء المندوب السامي البريطاني . أما الراديكاليون من اعضاء الحزب الوطني فقد ساعدوا الرجعية في معركتها ضد الوفد ، وبعد أن تحقق النصر للرجعية ذهبوا جميعا الى أوروبا للراحة !!

وهكذا أصبح الميدان خاليا تماما للرجعية ، ثم أعد مشروع معاهدة عار وذل مع انجلترا »(١) .

لكن هذا التعاطف المشوب بالحذر لم يرتق أبدا الى مرتبة الدعوة للتحالف أو التقارب أو حتى ما هو أقل من التحالف والتقارب .

فقد كان الرفاق المصريون لا يثقون مطلقا بالوفد ، ولقد كان من حقهم الا يثقوا فيه ، فأن اعنف الضربات التي وجهت لهم وجهت في عهد حكومة للوفد .

لكن ثمة موقف يستحق الانتباه ، فلقد انتقد الرفاق الوفد مرات عديدة لانه لم يلجأ للجماهير لكنهم انتقدوه ايضا بل واتهموه عندما حاول — بطريقته الخاصة طبعا — ان يحرك الجماهير .

« ... وفي مواجهة التحالف بين حزب الاتحاد (حزب كبار الملاك) وحزب الأحرار الدستوريين ، كان الوفد يصر على تأكيد اخلاصه لاهداف الامة ، ولعل اكبر مثال على ذلك جملة التوقيعات التي نظمها الوفد والتي انهالت فيها آلاف التوقيعات من مختلف انحاء مصر على الملك مطالبة بعودة الدستور والبرلمان .

وقد شكل الوفد « مجموعة » من اعضائه لتنظيم حملة جمع التوقيعات هذه وقد نجحت هذه المجموعة بالفعل في تنظيم مسيرات ووفود يوم ١٥ مارس الى القصر سار على رأسها نواب وشيوخ الوفد وكانت المظاهرات الواسعة التي حشدها الوفد تهتف « يحيا الملك » ... غير ان هذا الهتاف لم يمنع بوليس الملك من ان يصطدم بهذه المظاهرات ..

ان المرء عندما يقرأ عن مظاهرات القاهرة في ١٥ مارس يتذكر على الفور المظاهرات الروسية التي حدثت في ٨ يناير ١٩٠٥ . وهنا لابد وأن يذكر كلمات

---

(١) أ . الجبالي — مقال « الحزب الذي يثرثر كثيرا » — مجلة ريفولوسيوني فوستوك — العدد ٢ — عام ١٩٣٢ ص ٢٨٨ (مترجم عن النص الروسي) . راجع النص الكامل للمقال بالملاحق .

ماركس « أن التاريخ يعيد نفسه فى المرة الاولى كتراجيديا وفى المرة الثانية فارس »(١) ٠

ولسنا نعتقد ان هذا التشبيه كان صحيحا ٠ فلا قادة الوفد كانوا مثل « القس جابون » الذى نظم مظاهرة ٩ يناير ١٩٠٥ ٠ والذى كان عميلا للاوخرانا (البوليس السرى القيصرى) والذى دبر المظاهرة بايعاز منها كسبيل لتوجيه ضربة للحركة العمالية واخمادها (٢) ولا مظاهراتهم كانت تدبيرا بوليسيا ضد مصلحة الجماهير ٠

لكن هذا التشبيه لم يكن مجرد موقف عابر ولا استعراض لمعلومات الكاتب ، فقد تبلور فيما بعد فى موقف بالغ الخطورة عندما انفجرت الاضرابات العمالية فى هبتين عنيفتين ضد حكومة الديكتاتورية وكتصعيد عمالى وثورى لنداءات الوفد المتسمة بالاعتدال ، فان الرفاق المصريين قد اتخذوا تجاه الانتفاضتين العماليتين الثوريتين موقفا سلبيا تماما بل وكما وصفه « انيجدور » « موقف مشين للشرف الثورى » ٠

« فالمنشور الوحيد الذى إصدره رفاقنا ايام الهبة لم يدع الجماهير لمواصلة النضال وانما دعاهم الى الاستسلام (دعوا هؤلاء الوفديين يخطبون ويطنطنون ويتصارعون ويموتون فانهم يفعلون ذلك من أجل مصالحهم الخاصة) ، **وهكذا لم يحرك الرفاق المصريون الاهمية الثورية القصوى لانتفاضة عشرات الالوف من العمال متبنين شعار الوفد الذى يدعو الجماهير للنضال من أجل الدستور** ٠

ولم يستطع الرفاق المصريون ان يحشدوا قواهم (حتى تلك القوى التى يمتلكونها بالفعل) فى مشاركة نشيطة فى الانتفاضة ومن أجل قيادة حركة الطبقة العاملة والفلاحين »(٣) ٠

وثمة مقال آخر يستحق الاهتمام كتبه ج٠ب (جوزيف بيرجر) بعنوان « الموجه الجديدة من الانتفاضات فى مصر » يقول :

« ولكن ومهما كانت « الثورية » التى يتظاهر بها الوفد (كتب المقال أثناء معركة الوفد ضد قيام صدقى بالغاء الدستور) فانه يظل بعيدا عن تمثيل

---

١ ــ أ٠ شامى ٠ المقال السابق ٠

2 History of the Communist party of the Soviet - Second' reviseé edition - Moscow - PP.88

٣ ــ انيجدور ــ مقال الازمة والمد الثورى فى مصر ــ العدد ٢ لعام ١٩٣٢ من مجلة ريفولوسيونى غوستوك ص ١٠٢ (مترجم عن الاصل الروسى) راجع الملاحق ٠

مصالح الجماهير ، بل ان صحيفة مصرية قد شبهت مصطفى النحاس باشا بانه « كيرنسكى » .. ان الوفد ليس فى وضع يؤهله لحل المشكلات الاجتماعية للجماهير العريضة ، انهم يستغلون الجماهير ، ثم يدعونها كى تبذل دماءها دفاعا عن الدستور .

.. ولكن ماذا يمكن للوفد ان يقدم للعمال فى صراعهم الاجتماعى الراهن ؟ الاجابة : لاشىء . انها خبرة ثلاث وزارات وفدية سابقة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٨ ـ ١٩٣٠ .

ان الوفد بقيادة تضم امثال فتح الله بركات باشا وحمد الباسل باشا وهما يعتبران من أغنى أغنياء مصر لا يمكن أن يقدم شيئا للجماهير .. وفى ظل وضع كهذا يقع دور رئيسى وبارز على كاهل الشيوعيين المصريين ، الذين يتعرض حزبهم لعداء كافة الحكومات المصرية أيا كانت .

انه الحزب الشيوعى وحده الذى يستطيع ان يخلق الجيش الثورى للعمال ، الذى سينهض بالثورة المصرية الى مستوى جديد ، مستوى النضال المباشر دفاعا عن مصالح الجماهير العاملة »(١) .

ونلاحظ فقط النسيان الكامل لطبيعة المرحلة ، وللقضية الوطنية ..

وهكذا فقد اثمر هذا التصارع والشد والجذب بين موقف الرفاق المصريين وبين موقف الكومنترن ، وذلك التردد المخيب للامال دوما الذى وصم كل تحركات الوفد ، وذلك الحقد الذى كان يعتمل دوما فى نفوس قادة الوفد ضد حركة الطبقة العاملة .. بالاضافة الى تسلط محمد عبد العزيز عميل البوليس على مقدرات الحزب فى ذلك الحين ... اثمر كل ذلك موقفا متخبطا تجاه قضية من اعقد القضايا ومن اهمها على الاطلاق .

لكن هذا التخبط ، وهذا الخطأ فى تفهم طبيعة الانتفاضة العمالية يجب الا ينسيانا تلك اللمحات الذكية التى اتسمت بها بعض مواقف الرفاق المصريين تجاه الوفد والتى أشرنا الى بعضها فى الصفحات السابقة ..

وعلى اية حال فان الموقف من البرجوازية المتوسطة ودمغها بانها جزء من معسكر الثورة المضادة قد قاد بالضرورة الى قضية ايديولوجية اخرى هى ما تسمى فى الادبيات الماركسية فى هذه الفترة « بالكتلة الثورية » .

فالجبهة والتحالف مع البرجوازيات مرفوضة ، والبديل هو الكتلة الثورية من العمال والفلاحين » .

—1. The Labour Monthly — vol 12- No 12 — December 1930
The New wave of Revolts in Egypt. J.B . (Jeruslam) .

وحتى الحزب الوطنى الذى اسماه الرفاق حزب « مثقفى البرجوازية الصغيرة » فان التحالف معه لم يستمر الا فترة وجيزة جدا ثم ما لبثوا ان دعوا الى « تفجيره » من الداخل ٠

« ان هذا الحزب الراديكالى ظل دوما على الهامش بالنسبة لكل الاحداث السياسية الهامة ، ولم يحاول ان يدرس اوضاع مصر دراسة جادة ، ولم يقدم اية شعارات سياسية ايجابية ، ولم يكن غريبا بعد ذلك ان يفقد احترامه ، وأن يسقط من حساب الكثيرين كحزب سياسى حقيقى اللهم الا بضعة مئات يشكلون مجموع عضويته » ٠

٠٠٠ « لقد مثل قادة الحزب الوطنى لسنوات طويلة دور حماة الجماهير الكادحة والمدافعين عنها ٠ لقد حاولت البرجوازية الصغيرة الراديكالية عبثا ان تقنع الجماهير بأن ممثليها لم يبتعدوا عن خشبة المسرح ٠ لكن الصراع الدائر بين صفوف اعضاء الحزب انفسهم ، لم يكشف فقط عن مدى الضعف السياسى لقادة الحزب وانما كشف ايضا عن ضرورة البحث عن « مسارات » جديدة لحركة التحرر الوطنى ٠

وكلما تم الاسراع بعملية « تفجير » الحزب الوطنى من الداخل ، كلما وجدت العناصر الشريفة داخل هذا الحزب بسرعة اكبر طريقها الصحيح نحو تأسيس الكتلة الوطنية الموحدة تحت قيادة حزب الطبقة العاملة »(١) ٠

والآن يبقى تساؤل هام ، كيف حاول الحزب ان يقيم هذه « الكتلة الثورية من العمال والفلاحين » ؟

الحقيقة ان الرفاق المصريين قد بدأوا هذه المحاولة بداية واقعية تتفق مع حقيقة قواهم ومع امكانياتهم ٠

فاذا كان من الصعب انتزاع جماهير الفلاحين من نفوذ الوفد للعمل ضمن كتلة ثورية سرية (بطبيعة الحال) فلابد من ايجاد شكل من اشكال العلنية ٠

فاثناء انتخابات زيور حاول - الرفاق تكوين نوع من التجمع العلنى باسم « لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين » ٠

كانت مؤلفة كما تقول جريدة « الحساب » ، « من بعض الغيورين الذين يهتمون بشان الطبقة العاملة ، وكانت قد عزمت على خوض المعركة الانتخابية بكل قواها الا انها ما باشرت اصدار منشورها الاول ✻ ٠٠٠ حتى بادرت

---

١ - أ٠ الجبالى ٠ مقال « الحزب الذى يثرثر كثيرا » - المرجع السابق ٠

✻ راجع النص الكامل فى اللاحق ٠

الجهات الادارية التي ضبطه ومنع طبعه وانتشاره ، والتحقيق مع المسؤول عن اللجنة مما اضطر أعضاءها الى السكوت حتى تظهر نتيجة التحقيق . وفى أثناء ذلك انتهت المعركة الانتخابية وتم للحكومة ما ارادت من الحيلولة دون انتشار حركة عمال كانت بلا ريب مفيدة لهم على ان أعضاء اللجنة لا يزالون متمسكين بمبادئهم وعند حسن ظن الطبقة العاملة بهم ولكن الظروف الجأتهم الى استعداد تام للعودة الى الجهاد »(١) .

ثم عاود — الرفاق — المحاولة بشروعهم فى تأسيس حزب للعمال والفلاحين يكون واجهة علنية لتنظيمهم السرى .

وعلى صفحات مجلتهم « الحساب » بدأت الدعوة لتكون حزب « العمال والفلاحين » وقد نجح مفكرو الحزب فى وضع صيغة مرنة — وطنية وثورية معا — لتكون اساسا فكريا للتجمع الجديد ...

فان الهدف الاساسى لتجمع — العمال والفلاحين — هو النضال لتحقيق الامانى الوطنية .

« لقد تقهقرت الحركة الوطنية منذ ان خرجت من يد الطبقة العاملة من فلاحين وعمال وتسلمتها الطبقة الخاصة من الباشوات وارباب الاموال والاراضى فان هؤلاء قد انضموا الى هذه الحركة بدافع من مصلحتهم الخاصة فبعضهم خاف نجاحها وانتقام أربابها منه وبعضهم رأى الاندفاع فيها جرا لمغنم وطمعا فى منصب ، وبعضهم انساق مع التيار غصبا عنه ، وبعضهم رأى الفرصة مناسبة لتسويد نفسه وجعله ذاته زعيما فاغتنم الفرصة وعلم جرا » .

لقد كان من الضرورى تقديم مبرر — وطنى — لاعلان قيام منبر جديد .

فالجماهير التى التفت حول الوفد خلال ثورة ١٩١٩ ظلت لفترة طويلة تنظر بعين الشك تجاه أى منبر جديد وتعتبره تجمعا « انقساميا » .

كذلك فان « القضية الوطنية » كانت تمثل — منطقيا — المنطلق الاول لاى تجمع وطنى وثورى ...

ومن هنا فان « الرفاق » ركزوا هجومهم على الاحزاب القديمة ومطالبتهم بتكوين تجمع جديد ليس على أساس طبقى فقط ، وانما فى المقام الاول على أساس وطنى ... معلنين على الملأ فشل أحزاب البرجوازية فى نيل الاستقلال الوطنى ، ومن ثم فلابد من قيام تجمع جديد من اصحاب المصلحة الحقيقية فى الاستقلال .

---

١ — الحساب — ١—٥—١٩٢٥ .

« فأحزاب مصر اليوم ليست سوى جماعات سياسية تعمل بدون غاية ولا مبدأ وتسير حسب الظروف وتتقلب الاحوال فتكون تارة متطرفة وتارة معتدلة وتتحد تارة مع العناصر الرجعية وتسكت حينا عن بعض مطالبهـــا وتغالى احيانا فى الطلب ولا يهم لافرادها الا الحصول على الوظيفة والمنصب ·

واخيرا فان « الطبقة العاملة من عمال وفلاحين لا يمكنها الانتظار الى ما شاء الله حتى يقضى حزب على آخر وينتصر الوطنيون الحقيقيون على الوطنيين المزيفين ··· ثم يتفرغ الظـــافرون للنظر فى شـــؤونها واجابة مطالبهـــا »(١) ·

غير انه من المتعين ان نلتفت باهتمام بالغ الى المحتوى الطبقى للتجمـــع الذى سعى ـ الرفاق ـ لتكوينه ·

فبرغم انه كان من ناحية المظهر التزاما بخط الكومنترن « الكتلة الثورية من العمال والفلاحين » الا انه فى الواقع ، ومع تسليمه الكامل بضرورة قيادة الطبقة العاملة وكسب فقراء الفلاحين ··· قد فتح ابوابه ليستقبل قوى طبقية اخرى غير العمال والفلاحين ···

وهكذا وفى دراسة ممتعة ودقيقة قدمها « الرفاق » على صفحات مجلة الحساب حول التقسيمات الطبقية فى مصر ··· اكدوا ان الحزب المنشود « يجب ان يتألف من مختلف طوائف عمال المدن ومن عمال الارياف الذين يشتغلون فى الزراعة وتوابعها ، على ان تكون هاتين الطبقتين طبقتى عمال المدن وعمـــال الارياف هما اساس وأركان وجدران الحزب ·

وبعد ذلك لاباس من قبول بعض ابناء الطبقات الاخرى الذين لا يتنافى وجودهم مع الغـــاية التى أنشىء الحزب مع أجلها كما سنبين فيما بعـــد » ·

اما الطبقات الاخرى التى يمكن ضم بعض ابنائها فقد اشارت الدراسة الى انها تضم المثقفين ، لانه « معلوم ان فى مصر عددا كبيرا من الناشئة الجديدة المتعلمة لا تجد أمامها عملا الا وظائف الحكومة لان الصناعة غير متقدمة فى مصر ··· ولان المعامل التجارية بيد الاجانب الذين لا يستخدمون الا اجانب مثلهم ·· والحكومة لا يمكنها ان تستخدم كل تلميذ يغادر المدرسة كما لا يخفى · فهذه الناشئة المتعلمة متى كانت من ابناء غير الاغنياء تميل بطبيعتها وبدافع مصلحتها نحو الطبقة العاملة اكثر مما تميل نحو اية طبقة اخرى » ·

---

١ ـ الحســاب ـ ٨ـ٥ـ١٩٢٥ ·

وهناك أيضا فقراء ومتوسطو الفلاحين الذين يعانون القهر والاستغلال بالرغم من انهم يملكون ارضا ...

« تكل افراد الفلاحين الفقراء يندمجون طبعا فى حزب العمال وعدد كبير من طبقة الفلاحين المتوسطين .. مضطر الى الاندماج فيه ايضا وان لم تكن مصلحته هى مصلحة طبقة العمال الا ان عليه ان يختار بين الانحياز الى كبار المالكين من أصحاب الاطيان وتعضيدهم والاندماج فى مسلكهم حتى يصبح عبدا لهم وذنبا لطبقتهم أو الانحياز الى العمال فيربح هو من تعضيدهم اياه ولا يكون مرؤوسا منهم على الاقل .

ثم أرباب الصناعات الصغيرة واصحاب المهن الذين يعملون بانفسهم دون استخدام سواهم فى أشغالهم » .

ثم تمضى الدراسة لتقول « وهكذا نرى ان لدينا خمس طبقات من طبقات الامة أو الاحرى خمس هيئات كبرى من هيئاتها يجب أن تندمج فى حـزب العمال وهذه هى حسب قربها اليه : طبقة العمال فى المدن والارياف ، فطبقة الفلاحين الفقراء .. فطبقة الناشئة الجديدة .. فطبقة اصحاب الصناعات الصغيرة فطبقة الفلاحين المتوسطى الحال » .

لكن الدراسة تعود لتؤكد مرة أخرى — وفى حرص بالغ « ان العمود الفقرى للحزب ودماغه المفكر وقلبه النابض يجب ان يكون من العمال وعلى قانون الحزب الاحتياط الشديد لعدم تمكين بعض افراد الطبقات الاخرى التى تندمج فى الحزب الاحتياط الشديد لعدم تمكين بعض افراد الطبقات الاخرى التى تندمج فى الحزب من السيطرة عليه والتلاعب بمصالحه بل يجب ان يكون الحزب حزب عمال ، للعمال ومن العمال ، اما من ينضم اليه من ابناء الطبقات القريبة جدا من الطبقة العاملة فيجب أن يبقى دائما تابعا للحزب الى حد ما ولكن على كل حال يجب ان تكون وتبقى السيطرة فى الحزب للعمال وحدهم »(١) .

لكن كل هذا التشدد — الذى كان لابد لاعلانه من ان يترك بصمة الانعزالية على الحركة لم يعجب البعض الذين راحوا يهاجمون فكرة « الحزب العلنى للعمال والفلاحين » .

وفى نفس الوقت الذى كانت الرجعية المصرية تبذل اقصى جهدها لاجهاض المولود الجديد ، والزج بدعاته الى السجن واغلاق صحيفتهم « الحساب » ... فان الانتقادات كانت تتصاعد من الناحية الاخرى .

---

١ — الحساب — ١٨—٥—١٩٢٥ .

ومن فوق منصة المؤتمر السادس للكومنترن وقف « حيدر » ليهاجم هذه المحاولة قائلا :

« حيدر » ـ لقد تكلم البعض حول تكوين حزب للعمال والفلاحين . وهذا خطأ وخيال محض . ليس فقط لما يحمله من خطر يهدد بتحويل الحزب الشيوعي نفسه الى حزب للبرجوازية الصغيرة ثمنا لتحالفه مع الفلاحين ، ولكن ايضا لان تكوين مثل هذا الحزب مستحيل .

ذلك انه لا يوجد مثل هذا الحزب الشيوعي ، ولا هؤلاء الكوادر التي تستطيع التصدى للقيام بواجب تنظيم الفلاحين ، غير ان قضية الفلاحين يجب ان تعالج بطريقة أخرى تماما ، وأنا أعرض مثلا فكرة تكوين لجان الفلاحين ، جمعيات تعاونية .. وغيرها من المؤسسات الاقتصادية مثل جمعيات المعونة المتبادلة .. الخ . وهى تنظيمات يمكن ان تضم عمال الزراعة وفقراء الفلاحين والمزارعين ويتعين علينا ايها الرفاق ان نضع فى اعتبارنا ان الفلاح المصرى يعمل ستة اشهر فى السنة كأجير والستة اشهر الاخرى كمالك ومن ثم فانه من الصعب وضع خط فاصل يميز العامل الزراعى عن المالك الصغير .

« فاسيلييف » (من فوق المنصة) : كيف يمكن ضم مثل هذه العناصر الى الحركة التعاونية ؟

« حيدر » : ان لهم مصالح مادية مشتركة ، فالفلاح يعانى من المضاربين ويعتمد على المرابين ، وثمة حركة تعاونية قوية موجودة بالفعل بمساندة الحزب الوطنى ويتعين علينا ان نستخدم هذه الحركة كمنطلق لنشاطنا (١) .

وهكذا ومن سياق الحديث يتضح ان النقاش كله كان يدور حول مصر وحول جهود الرفاق المصريين لتأسيس منبر علنى للعمال والفلاحين . فحيدر يشير الى جهود الحزب الوطنى فى الحركة التعاونية المصرية .

وأخيرا ...

وكمحصلة ـ طبيعية ـ لعوامل عديدة اهمها تزايد ضعف الحزب وتناقص كوادره تحت وطأة مطاردة البوليس المستمرة ، وكثيرا ما يؤدى ضعف الحزب وعزلته عن العمل الجماهيرى الى سيادة شعارات يسارية ومتشددة داخل صفوفه ...

وتزايد تردى ـ الوفد ـ والحزب الوطنى فى هاوية التهادن والانعزال عن المصالح الحقيقية للوطن والجماهير ...

1- International Press correspondence - No: 72. PP. 1311.

وتزايد ضغط ـ كوادر ـ الكومنترن على الحزب لكى يتخذ من حركة الجماهير موقفا « ثوريا » بمعنى السعى لتصفية نفوذ الوفد فيها واقامة كتلة ثورية من العمال والفلاحين ...

كمحصلة ـ طبيعية ـ لكل هذه العوامل أصدر الحزب برنامجه عام ١٩٣١ تحت عنوان « برنامج عمل للحزب الشيوعى المصرى »(١) .

وبعد ان اورد البرنامج فى صفحاته الاولى وصفا بالغ الدقة والصدق للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المصرى ، وعن الحالة المعيشية لجماهير العمال والفلاحين والظروف الصعبة التى يعيشون فيها . أورد تحليلا للاحزاب السياسية الموجودة فى مصر فى ذلك الحين ...

«حزب الاتحاد هو حزب عملاء السراى ، وكبار البيروقراطيين وكبار الاقطاعيين . وحزب الشعب هو حزب اصحاب الملايين من البرجوازية الكومبرادورية ومصدرى الاقطان . وحزب الاحرار الدستوريين هو حزب البرجوازيين من رجال الاعمال والمرابين ومضاربى البورصة . ..

وكل هذه الاحزاب تختفى خلف اسمائها ووعودها البراقة عبودية وخضوعا للامبريالية الانجليزية وللاتجاهات الاكثر رجعية .

---

١ ـ نشر هذا البرنامج كاملا بالانجليزية فى كتاب

Ivor Spector - The Soviet Union and The Muslim World 1917-1958- -University of Washington Press Seattle, 1959 - PP: 141-156.

نقلا عن

Documents of The programe of The Communist Parties of The East- Edited By : L. Madyar - P. MIF - M. Orakhelashvili - G. Safarov - Party Publication - Moscow - 1934.

Revolyutsionnyi Vostok

وقد أورد « سبكتور » فى نهاية البرنامج أنه نشر فى مجلة (الشرق الثورى) عددى ١ ، ٢ لعام ١٩٣٢ ـ لكنه بالبحث فى هذين العددين لم يعثر على البرنامج .

وبالرغم من غرابة هذا الامر فانه لا يقلل من قيمة هذه الوثيقة . ذلك ان التمعن فى دراستها يعطى انطباعا كافيا بصحتها . وربما اخطأ « سبتكور » فى ايراد رقم العدد أو تاريخه .

وقد نشر الياس مرقص « الاممية الشيوعية والثورة العربية » ـ دار الحقيقة ببيروت ، ترجمة رديئة وغير دقيقة للنص الكامل للبرنامج .

وحزب الوفد هو حزب البرجوازيين والملاك الزراعيين من الوطنيين الاصلاحيين المعادين للثورة ، وهو يضم فى صفوفه الراسماليين الاغنياء والمحامين والمضاربين والملاك الزراعيين الليبراليين ، الذين يلجأون من فرط خشيتهم من ثورة الشعب الى التواطؤ الى درجة كبيرة مع الذين يستعبدون مصر ، طمعا فى ان يحصلوا فى المقابل على بعض الفتات .

انه الحزب الذى يضلل جماهير الشعب ، انه حزب الخيانة الوطنية »(١)

واذا كانت احزاب الاقطاع وأصحاب الملايين من الكمبرادوريين وكبار البيروقراطيين والمرابين ، عملاء السراى والاستعمار قد حظيت من البرنامج بستة اسطر فقط ، فان حزب الوفد قد حظى بعشرات من الاسطر تهاجمه وتتهمه وتدينه .

وليس هذا غريبا وفقا لنظرية ستالين حول ما اسمى « باتجاه الضربة الرئيسية » التى يجب ان تسدد لعزل نفوذ البرجوازية عن جماهير العمال والفلاحين وهكذا يمضى البرنامج ليصم الوفد بانه « يساوم للحصول على مكاسب تافهة وغير مهمة من الامبرياليين ومن عصابة فؤاد فى مقابل تعزيز واقع الراسماليين والاقطاعيين على حساب العمال والفلاحين .

انه يخوض المعركة ضد فؤاد وضد صدقى باشا ، لكنه فى واقع الامر يحاول امتطاء حركة التحرر الوطنى التى تخوضها جماهير الشعب بهدف تمييع النضال الثورى ، ومن اجل المساومة لحساب البرجوازية والاقطاع .

ان حزب الوفد لا يعارض فحسب اى نضال جاد من اجل استقلال مصر ومن اجل الاطاحة بالنظام الملكى ومصادرة املاك الاقطاعيين ومن اجل يوم عمل من ثمانى ساعات بل انه يسعى الى امتطاء حركة الجماهير وقيادتها مستهدفا اضعاف هذه الحركة وسحقها ثم خيانتها وبيعها .

ان كل تاريخ الوفد منذ ١٩١٩ هو تاريخ صراعه ضد العمال الثوريين والفلاحين وضد كل الكادحين بوجه عام .

وعندما كان الوفد متوليا زمام السلطة قام بتحطيم كل المنظمات الطبقية للعمال وكل المنظمات الثورية .

كما ان الوفد قد عقد صفقة مع الامبريالية الانجليزية فى عام ١٩٣٠ باع

---

1 Spector - PP : 144.

فيها حرية مصر واستقلالها ، غير ان هذه الصفقة لم توقع بسبب الاختلاف على بعض المسائل الشكلية الخاصة بالوزارة .

ولقد كان الوفد على اتم استعداد لعقد اية صفقة مع الامبريالية بشرط ان تتخذ طابعا دستوريا .

. . انه حزب معاد للجماهير ، وينتهج سياسة معادية للثورة ، حزب اعلن على لسان النحاس باشا استعداده لخوض الحرب ضد الاتحاد السوفييتى لحساب المصالح الامبريالية البريطانية . ان شعارات الوفد تساعد الامبريالية وتبرزاى على ضرب وسحق حركة الجماهير ، ولقد تظاهر الوفد لسنوات طويلة بأنه يناضل من اجل استقلال مصر محاولا ان يخدع الجماهير بالوعود . وعندما لجأت الامبريالية الانجليزية الى غزاد لتستخدمه ستارا لحكمها ، تعالت صيحات الوفد بشن النضال من أجل « الحرية الدستورية » لكنه لم يجرؤ على دعوة الجماهير للنضال للإطاحة بالملكية الفاسدة . وعاد الوفد من جديد ليتظاهر بالعداء للامبريالية الانجليزية . لكنه فى واقع الامر كان يسعى جنبا الى جنب مع الامبرياليين وعملائهم من المصريين للبحث عن مخرج من الازمة من خلال مزيد من القهر والعبودية لجماهير الشعب . لكنه حرص فى نفس الوقت على اخفاء هذا الموقف خلف شعارات « معارضة »(١) .

وفى موضع آخر من « البرنامج » نرى هجوما أشد قسوة « فالرأسماليين المصريين والملاك « الليبراليين » يريدون نوعا محددا من « الحرية » لمصر بحيث لا يمكن لاى عامل أو فلاح ان يستمتع بحريته فى ظلها . انهم يريدون نوعا محددا من « الاستقلال » لمصر بحيث يمكنهم ان يلعبوا فى ظله دور العملاء الذين يقهرون الجماهير الكادحة لحساب الامبرياليين .

والحقيقة ، انه لا يمكن ان يكون هناك نضال ثورى ناجح وقادر على الانتصار بغير انفصاله انفصالا تاما عن حزب الوفد ، بل وبدون شن نضال عنيف وحاد ضده .

ان بين معسكر الوفد ومعسكر الشعب (معسكر النضال ضد الامبريالية ومن أجل الثورة الزراعية الفلاحية) هوة سحيقة لا يمكن اجتيازها .

ولكى يمكن الاطاحة بالقهر الامبريالى فانه يتعين أولا ان نحطم نفوذ الوفد وسط الجماهير ، نفوذه وسط العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة » .

ولاذا كان البرنامج يرى ان الهوة التى بين الوفد وبين الجماهير هوة

1 Ibid - PP : 145.

بشجيفة ولا يمكن اجتيازها فانه يؤكد فى موضع آخر « ان بين معسكر الوفد وبين معسكر الامبريالية وعميلتها السراى توجد روابط قوية »(١) ٠

ولسنا بطبيعة الحال بحاجة الى تاكيد مدى « انعزالية » هذا البرنامج وبعده عن الواقع فى تحليل الوفد وطبيعة مواقفه ٠

لقد قاوم – كوادر الحزب – لعدة سنوات الموقف الستالينى الذى تبناه الكومنترن ، لكنهم ما لبثوا أن استسلموا تماما فى النهاية ، ولقد كان استسلامهم تعبيرا عن الضعف التنظيمى والفكرى الذى اصاب الحزب على اثر الضربات البوليسية المتتالية ، كما انه كان ايذانا بمزيد من الضعف التنظيمى والفكرى ٠ ولعل خير دليل على أن هذا البرنامج قد وضع تحت تأثير كوادر الكومنترن أن مقال افيجدور السابق الاشارة اليه يطالب « بحل ثورى للازمة » فاذا بالبرنامج يعنون فصلا كاملا فيه « النضال من أجل حل ثورى للازمة »(٢) ٠

وبطبيعة الحال فقد انعكس ذلك كله على مطالب البرنامج ٠٠٠

« على البروليتاريا المصرية والكادحين والفلاحين المستقلين ألا ينتظروا ان يمن عليهم احد بمطالبهم ٠ ذلك ان برنامجهم هو برنامج ثورة ، ثورة تتطلب تضحيات ونكران ذات لكنها توصل حتما الى الهدف المنشود ٠٠٠

ان مطالبنا الثورية الاساسية هى :

١ – طرد الامبرياليين الانجليز وقواتهم البرية والبحرية والجوية من مصر والسودان ٠

٢ – الاستقلال الاقتصادى والسياسى التام وغير المشروط لمصر والسودان ٠ مع الضمان الكامل لحق السودان فى تقرير مصيره * – النضال من اجل تحرير كل الشعوب العربية من القهر الاستعمارى ومن اجل وحدة عربية شاملة تنتظم فيها كل الشعوب العربية الحرة ** – الغاء كل الامتيازات التى

---

1 Ibid - PP : 147.

2 Ibid - PP : 146.

HL

* عندما رفعت ح٠م (الحركة المصرية للتحرر الوطنى) فى مطلع الاربعينات شعار الكفاح المشترك مع الشعب السودانى مع ضمان حقه فى تقرير مصيره فى مواجهة شعار البرجوازية « تاج واحد ، ملك واحد ، نيل واحد » تصور الكثيرون انها كانت البادئة برفع هذا الشعار التقدمى ولعل هذا يوضح كيف ان التراث الفكرى والنضالى لرفاق الثلاثينات كان مطموسا الى حد كبير ٠

٠٠ ** انها المرة الاولى التى يظهر فيها شعار للوحدة الشاملة بين الشعوب العربية الحرة فى اية وثيقة سياسية لاى حزب مصرى ٠

يستمتع بها الامبرياليون – الاطاحة بالنظام الملكى وهدم الجهاز البيروقراطى العتيق الذى يضم العمد ومجالس المديريات الزائفة والبوليس – الشعب هو الذى يختار القضاة – تسليح الكادحين حتى يستطيعوا الدفاع عن استقلالهم الوطنى ومكتسباتهم العمالية – **حرية الصحافة للعمال** – فصل الدين عن الدولة وفصل القضاء عن الدين .

(ولعل اوضح دليل على انعزالية هذا البرنامج هو تصميمه على ان القضية الوطنية لا تهم الا العمال وحدهم .. فالعمال يتسلحون للدفاع عن استقلالهم الوطنى وحتى حرية الصحافة لا تهم الا العمال فهو لا يطالب بحرية الصحافة عموما .. وانما حرية الصحافة للعمـال ، مع ملاحظة أن هـذا البرنامج قد وضع فى عام ١٩٣١ فى ظل ارهـاب صدقى الذى انصب على المصريين جميعا وفى ظل مصادرة كل الصحف غير الموالية للحكومة بغير حساب) .

٣ – حكومة سوفييتية للعمال والفلاحين . نظام سوفييتى .

٤ – مصادرة جميع الاراضى والماشية والادوات الزراعية المملوكة للامبرياليين وملاك الارض والمرابين والملك وكبار البيروقراطيين والاوقاف (بما فيها الاوقاف الاهلية) بدون أى مقابل . وتوزيعها على عمال الزراعة وعلى فقراء الفلاحين ومتوسطيهم الذين لا يستغلون عمل الآخرين .

٥ – تاميم جميع مشـاريع الرى وما يتعلق بهـا من آلات مثـل (المضخات .. الخ) . وضمان رى أراضى فقراء الفلاحين مجانا .

٦ – مصـادرة وتاميم كل البنوك والمؤسسـات الصناعية المملوكة للامبرياليين . والغاء كافة الديون الخاصة بالدولة والامبرياليين .

(ويلاحظ هنا ان البرنامج يتخذ موقفا صحيحا من الرأسمال الوطنى فهو يطالب بتاميم بنوك ومؤسسات والغاء ديون الامبرياليين وحدهم) .

٧ – الغاء كافة الديون الربوية والديون المبنية على الغش – واسقاط كافة الديون عن كاهل الفلاحين – والغاء الرسوم والضرائب التى تثقل كاهل الكادحين . فرض ضرائب تصاعدية على دخول الاغنياء .

٨ – حرية العمال والكادحين فى تأسيس منظماتهم ، وحرية العمل لجميع هذه المنظمات – يوم عمل ذى ثمانى ساعات – **الاجر المتساوى للعمل المتساوى بغض النظر عن القومية أو الجنس** – وضع حد أدنى للاجور – يوم عمل من اربع ساعات للاحداث من سن ١٤ الى ١٦ سنة ، وستة ساعات من سن ١٦ الى ١٨ سنة – منع تشغيل النساء والاطفال ليلا – تامين اجتماعى

ضد المرض والشيخوخة والبطالة والعجز - تطوير جذرى للاسكان - تنظيم وقاية العمال من اصابات العمل ·

٩ - التعليم العام المجانى للعمال والفلاحين ·

(ويلاحظ ان المطالبة كانت يجب ان تمتد لتشمل جماهير الشعب كله وليس مجرد العمال والفلاحين الذين لم يكونوا محرومين وحدهم من التعليم) ·

١٠ - التحالف مع الاتحاد السوفييتى ومع الحركة الثورية للبروليتاريا العالمية ، ومع نضال كادحى المستعمرات (١) ··

(ويلاحظ أن البرنامج لم يدع الى التحالف مع حركة التحرر الوطنى فى المستعمرات وانما فقط مع نضال كادحى المستعمرات) ·

وهكذا وبالرغم من اللمحات الذكية فى البرنامج ، وبالرغم من تعبيره تعبيرا قاطعا عن كثير من المطالب العمالية والفلاحية التحتية ، بحيث يعتبر ادراجها فى البرامج كافيا بذاته على التدليل على التصاق الحزب بالمطالب الفعلية لجماهير العمال والفلاحين ، الا ان الموقف الايديولوجى العام من البرجوازية الوطنية والتشدد العنيف تجاهها والتصميم على ان المجال الوحيد لاى عمل ثورى فى مصر لا يمكن ان يوجد الا فى اطار « الكتلة الثورية للعمال والفلاحين » قد دفع البرنامج وحركة الحزب ككل الى منعطف انعزالى ·

ان الكلمات الحماسية مثل « ان العمال المصريين يتمسكون بحزم بقضيتهم قضية العمل ·· قضية الاممية الشيوعية ، ان عمال بورسعيد والسويس والقاهرة والاسكندرية ان عمال بولاق الذين اقاموا المتاريس فى الشوارع عام ١٩٣١ ، ان الآلاف المؤلفة من البروليتاريين من عمال الزراعة والفلاحين الفقراء ذوى الوعى الطبقى · ان هذه القوى لا يمكنها مطلقا أن تفشل فى بناء حزبها الثورى البروليتارى المقاتل ، حزبها الذى يقود نضالها من أجل ثورة مناهضة للامبريالية والاقطاع من أجل نظام سوفييتى لحكم العمال والفلاحين ، ذلك النظام الذى سيضع الاساس لتعزيز قوى الثورة وتعزيز النضال من أجل اقامة ديكتاتورية البروليتاريا والاشتراكية »(٢) · ان مثل هذه الكلمات وكل هذا الحماس الدافق ، لم تكن لتغير من حقيقة الامر شيئا ، وهى ان مصر وهى بلد شبه مستعمر كانت ظروفها الموضوعية تفرض نوعا آخر من المجابهة لقضية البرجوازية الوطنية ·

---

1 Ibid - PP : 151

5 Ibid - PP : 144.

وأن حزب الوفد ـ بالذات ـ وبغض النظر عن كل اخطائه وبغض النظر عن كل تحفظاته ضد العمل الثورى الجاد ، وعن كل حملاته ضد الاشتراكية ، كان من المتعين النظر اليه نظرة اخرى ..

وعلى اية حال ....

فان صفحات هذا الفصل لم تكن محاولة لاستقصاء اهم المواقف الفكرية للرفاق المصريين فى فترة صعبة ومعقدة .

وليست محاولة لاخضاع هذه المواقف للنقد والتحليل ، بقدر ما هى محاولة لوضع هذه المشكلات الايديولوجية فى اطارها البالغ التعقيد والبالغ الصعوبة .

لعل ذلك يمكننا من ان ندرك حقيقة المشاكل والصعوبات التى احاطت بكوادر الحزب وهم يحاولون ـ برغم كل شىء ـ ان يؤسسوا وسط المناخ الفكرى المصرى خطا واضح المعالم للاشتراكية العلمية .

كلمة اخيرة ..

اعتاد الكتاب ان يضعوا فى نهاية كتاباتهم نقطة تدل على الانتهاء . لكننا لم ننته بعد . بل ربما كانت الصفحات الماضية مجرد بداية لتفهم موضوع البحث .

. فثمة موضوعات كثيرة يجب انتدرس . وثمة تساؤلات عديدة لم يجب عليهـــــا بعـــد .

ومحاضر النقاش التى سجلت اقوال شخصيات هامة لعبت دورا اساسيا فى تطورات الاحداث وصنعها بحاجة الى من يخضع ما فيها من اقوال ومواقف للتحليل والمقارنة والانتقاد * واستقصاء ما فيها من معلومات وبيانات بالغـة الاهمية وبالغة الدلالة .

لكننى قلت منذ البداية اننى لا اريد ان اضع نفسى حكما بين هـؤلاء الرجال . فما اسهل ان يمسك المؤرخ بقلم « المدرس » الاحمـر ليشـــير بعــلامة ✓ أو بعلامة × غير مدرك أن هذا الحـدث أو ذاك والذى لم يتمهل طويلا فى تقييمه هو نتاج عرق وجهد عشرات من الرجال البواسل خاضـوا تجربة شاقة ومريرة لا يكمن للانسان ان يتخيل مدى قسوتها ومرارتها .

واذ كنت لا اجد فى نفسى الشجاعة كى امسك بالنسبة لهؤلاء الرجال بقلم « المدرس » فانه يكفينى اننى كرست كل ما استطيع من جهد لجمع هذه المواد وتقديمها للباحثين والقراء معا ... فلعلها تحظى منهم بمزيد من الدرس والتقييم .

ولئن كان كل ما بذلت من جهد متواضع هو مجرد سبيل لجذب انظار مزيد من الباحثين والدارسين نحو هذاالموضوع البالغ الاهمية ، فان هذا يكفينى .. ويزيد .

---

* لقد حرص المؤلف ان يعرض وجهات النظر المختلفة لممثلى جميـع الاتجاهات التى تواجدت فى هذه الفترة وقـد نجح الى حد كبير فى التوصل الى مقابلة ممثلى مختلف الاتجاهات باستثناء هليل شوارتز الذى اتصل بـه المؤلف خلال وجوده فى باريس لكنه رفض التحدث عن ماضيه فى مصر قائلا انه قد نسى كل شىء عنه .

القســم الثالث

ملاحــق

١ ـ وثائق ايديولوجية .

٢ ـ أوراق قضـــائية .

٣ ـ وثائق حول موضوع سكلا تفالا .

٤ ـ تقارير شخصية ومحاضر نقاش .

(١) وثائق ايديولوجية

* برنامج لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين .
* بلا مخرج ـ مقال ـ أ. الجبالى .
* الحزب الذى يثرثر كثيرا ـ مقال ـ أ. الجبالى .
* برنامج ديكتاتورية محمود فى مصر ـ مقال ـ ج.ب .
* الازمة والمد الثورى فى مصر ـ مقال ـ أنيجدور .
* موقف اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى فلسطين وسوريا من الانقلاب فى مصر .

لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين *

« برنامـج »

أولا : الاستقلال التام لمصر والسودان بلا قيد ولا شرط .

ثانيا : رفع الرقابة الاجنبية عن المالية المصرية .

ثالثا : اعادة العلاقات السياسية والتجارية بين مصر باعتبار انها دولة مستقلة وبين جميع الدول على الاطلاق ومنها تركيا وروسيا وبلغاريا .. الخ كما كانت الحالة من قبل الحرب .

رابعا : اجبار الحكومة والمجالس البلدية على مشترى جميع الشركات التى تقوم بأعمال ذات منفعة عامة مثل السكك الحديدية والماء والغاز والترام والكهرباء .. الخ .

خامسا : احترام كافة الحريات التى نص عليها الدستور وتنفيذ نصوصه مثل : حرية الصحافة ـ حرية الافكار ـ حرية الاجتماعات ـ حرية الاحزاب .

سادسا : تنفيذ نصوص الدستور بشأن التعليم الاولى الاجبارى المجانى وتوسيع نطاق المشاريع الصحية وتعميم المستشفيات فى أحياء الفقراء والفلاحين

سابعا : الغاء الضرائب غير المباشرة على المواد الاولية الضرورية للمعيشة مثل الخبز والخضار واللحم والماء .. الخ .

ثامنا : فرض الضرائب على المشاريع والاعمال الوطنية والاجنبية على السواء .

تاسعا : مكافحة أزمة غلاء المعيشة والسكن .

عاشرا : سن تشريع خاص للعمل .

---

* تكونت هذه اللجنة ابان الانتخابات التى أجراها زيور باشا كجبهة عمالية لمساندة المرشحين العماليين فى الانتخابات والعمل على ربطهم ببرنامج وطنى تقدمى . وقد قام الحزب الشيوعى المصرى بالدور الاساسى فى تكوين هذه اللجنة وقد هاجم البوليس مطبعة الدواوين حيث صادر نسخ هذا البرنامج لكن مجلة الحساب أعادت نشر النص الكامل للبرنامج فى عدد (١ ـ ٥ ـ ١٩٢٥) .

حادى عشر : جعل يوم العمل ثمان ساعات تبتدىء وتنتهى فى آن واحد ٠

ثانى عشر : انشاء مكتب للعمل فى وزارة الداخلية مؤلف من موظفين وممثلين للعمــال وتأليف لجنة برلمــانية للعمل ٠

ثالث عشر : التأمين على حياة العامل ومستقبله بواسطة المصلحة التى يشتغل فيهــا سواء كانت حكومية أو أهلية ٠

رابع عشر : الغاء قانون منع الاعتصابات ٠

خامس عشر : حماية النساء والاولاد ومنع تشغيلهم ليلا فى أى عمل كان من الاعمــال ٠

سادس عشر : انشاء مشاريع حكومية جديدة وتوسيع نطاق المشــاريع الموجــودة بقصــد تشغيل العمال العاطلين ٠

سابع عشر : توزيع أراضى الحكومة البور على صغار الفلاحين بعد توصيل الميــاه اللازمة لهــا ٠

ثامن عشر : جعل الانتخابات مباشرة بلا قيــد ولا شرط ٠

تاسع عشر : تسليف الحكومة صغار الفلاحين ما يحتاجون اليه من الاموال بفوائد قليلة جدا وانشاء مصرف زراعي لهذا الغرض ٠

عشرون : تعــديل الضرائب على الاطيــان بقصــد تخفيضها على صغار المــالكين وزيادتها على كبــارهم ٠

واحد وعشرون : تسهيل رى الاطيــان على الفلاحين الصغار الذين يملكون خمسة أفــدنة أو أقــل مع اعطائهم كفايتهم من المــاء ٠

الى الفــلاحين والعمــال :

لا تعطوا اصواتكم لاى شخص لا يقبل هذا البرنامج ويعــد بتنفيذه ٠

لجنــة الدفاع

عن حقوق العمال والفلاحين

بـــلا مخـــرج

(رســـالة من مصر)(١)

بقلم أ٠ الجيـــالى

بين رئيس الوزراء المصرى الحـــالى محمد محمود ، ورئيس الوزراء السابق النحاس باشا (زعيم الوفد) توجـد الان أزمة ذات طابع خاص ٠

، فمحمد محمود يقوم بجولات « مظفرة » فى أرجـاء البلاد وممثلى مجالس المديريات والعمد المعينين من قبل الحكومة يبذلون جهـدهم فى خلق تجمعـات حاشدة ويدفعون الشعب الى مقابلة الديكتاتور بصيحات الترحيب ٠

والديكتاتور الخاضع تماما للمندوب السامى البريطانى يلقى خطبـــا طنـــانة تمنى الجمـــاهير بالمكاسب التى ستتحقق فى ظل رئاسته ٠ أما النحاس باشا الذى يحسد محمد محمود على هذا النجـاح فقـد أخذ يروج ويجهـد نفسه للحفـــاظ على شعبيته الخاصة وشعبية الوفـد بين الجماهير ٠

وتتوافـد اليه جماعات ووفود تمثل لجـان الحـزب من كل أنحاء البلاد معـــاهدة ايـــاه على الاخلاص الدائم للوفـد ٠ أما خليفـة المرحوم زغلول فانه يعـدهم بدوره باسم الوفد وبصورة صحية أن يستمر على الطريق لنيـــل استقلال البلاد ٠

ان هذه الازمة ذات الخصائص الفريدة من نوعها تجرى أحداثها من أجل متفرج واحـد هو المندوب السامى البريطـانى اللورد لوييـد ٠ فقـد كان كل

---

١ ـ مجلة ريفولوسيونى فوستوك « الشرق الثورى » ٠ عدد ١ ـ ١٩٣٢ ٠ ص ١٤٦ (مترجم عن النص الروسى) ٠

* تضمنت أعداد المجلة الروسية ريفولوسيني فوستوك فى مطلع الثلاثينيات عددا من المقـــالات الهـــامة عن مصر كتبهـــا عدد من خبراء الكومنترن فى شؤون الشرق العربى أمثال أ٠ شامى ، انيجدور ٠ وقـد اهتممنـــا بنشر مقـــالى أ٠ الجيـــالى باعتبار انهما أرسلتا من داخل مصر وان كاتبهما مصرى (والاسم حركى بطبيعة الحـــال) ولذلك فانه من الممكن اعتبار انهما أكثر ايضـــاحا لموقف الرفـــاق المصريين وتعبيرا عن مستواهم الفكرى والسياسى ٠

منهم محمد محمود والنحاس باشا يحاول بهذه التحركات أن يقنع المندوب السامي البريطاني بأن حكم مصر ممكن فقط بواسطته هو شخصيا .

ويا له من جهد ضائع ، فانجلترا تعرف جيدا أن حزب « الاتحاد » هو حزب كبار الملاك وان الليبراليين وعددهم لا يزيد كثيرا عن المجموعات السابقة هم جماعة من البيروقراطيين وان أقصى ما تستطيعه هاتان المجموعتان هو تشكيل حكومة تابعة لبريطانيا .

كذلك تدرك انجلترا أن الوفد يمكنه ـ حاليا ـ أن يعتمد بغير منازع على قوى البرجوازية المتوسطة والصغيرة والمثقفين ، كما أن له اتصالات قوية وكافية بالفلاحين ، بل انه يستطيع أن يستخدم شعبيته أيضا في الاوساط البروليتارية .

وتعلم بريطانيا تمام العلم حقيقة علاقات القوى بين الاحزاب السياسية المتصارعة في مصر غير أنها تعي بدرجة أقل الاوزان النسبية لهذه الاحزاب . وهكذا فان حكومة الامبريالية البريطانية بالسياسة التى تنتهجها في هذا الصدد لم تدفع الى معاداتها بجماهير الفلاحين المصريين وبروليتاريا المدن فحسب وانما أيضا البرجوازية المصرية .

لقد كانت انجلترا باهمالها لنداءات الجماهير العريضة في مصر تعتمد في الاساس على اعتقاد راسخ مؤداه أنه ما من جماعة من الجماعات السياسية المصرية تعارض معارضة حقيقية السيطرة البريطانية .

ان الحركة العمالية في مصر ضعيفة للغاية . وحزب الطبقة العاملة لا يمكن النظر اليه الان على أنه عامل سياسى مؤثر ، والجماهير الشعبية لاتساهم في الحياة السياسية للبلاد وكلا الحزبين البرجوازيين المصريين غير قادر على قيادة الحركة الوطنية المناضلة ضد الاحتلال .

والوفد ـ الذى كان الى حد ما ـ في مركز الاهتمام في مصر ، والذى تمكن ـ الى حد ما ـ من قيادة موجات الغضب الجماهيرى غير المنظم ضد الحكم القائم . وقادة الوفد ـ تلاميذ وأتباع زغلول ـ كانوا جميعا في إنتظار التحول الفصل . لكن الوفد كان يخشى يقظة الجماهير خشية الموت .

والوفد الذى يتحدث دائما باسم الشعب المصرى مطالبا بالاستقلال التام غير المشروط لمصر ـ يخشى اكثر ما يخشاه ـ الشعب . واحتمالات أن يصبح الشعب عقبة في سبيل التفاهم مع الحكومة الانجليزية ، منطلقا من اعتقاده أن الجيش الانجليزى قد لعب دائما دورا رئيسيا في كل الصراعات الاجتماعية الحاسمة في مصر ، وان رحيله عن البلاد سوف يؤدى بالضرورة الى تفجر الصراع الطبقى .

وبالنسبة لقيادة الوفد فإن النضال الطبقي مسألة غير مرغوب فيها ٠

ولقد قال النحاس باشا أثناء استقباله مؤخرا لأحد الوفود « منذ قيام الوفد تمكننا دائما من أن نتجنب صراع الطبقات الذى يقود الامة الى الفوضى والتقاتل » ٠

وفى ظل كل مد للحكومة الوطنية ، وفى ظل كل تحرك شعبى يحاول الوفد أن يقيد آفاق المعركة وحدودها ، وأن يوجهها نحو اطار الشرعية ٠ والوفد يبتعد دائما عن اثارة الجماهير ولكنه يتجنب دائما أى تحرك فعال من جانبها ٠ والشعار الذى يرفعه الوفد دائما هو مطالبة الجماهير بالهدوء ٠٠ « أيها المصريون ٠٠٠ أن زعماءكم سوف يحصلون لكم على الاستقلال » ٠٠

وحتى الآن ، وعندما أبعد الوزراء الوفديون عن الحكم بطريقة مهينة ، وحل البرلمان وأوقف الدستور ووصلت الى السلطة العناصر التى تمثل قمة الرجعية الشريرة لم تتغير تكتيك الوفد ٠

لقد أغلقت كل الصحف فيما عدا صحف الحكومة ، ولجأ الوفد الى اصدار طبعات سرية من جرائده ٠ ولكنه حتى فى مثل هذه الطبعات السرية ظل متمسكا بشعار زغلول القديم « الحق فوق القوة » موصيا الجماهير بالصبر والانتظار ٠

لكن حكومة الاقطاعيين أكدت أن « قوتها » فوق (حق) الوفديين ٠ وبمجرد أن وصلت الى السلطة دخلت فى مفاوضات مع الانجليز حول تنظيم استغلال مياه النيل ، أى أنها تضع فى أيدى الانجليز مشكلة الرى وهو عماد كل الاقتصاد المصرى ٠٠

لقد وعدت حكومة محمد محمود ببناء عشرات المستشفيات والمساكن الشعبية للعمال لكنها بدلا من أن تبنى مساكن شعبية قامت ببناء سجون جديدة ، أما الاموال التى أنفقتها بسخاء على البوليس السرى فقد كانت تكفى لتنفيذ مشروعات الصحة والانارة ٠٠ الخ ٠

كذلك فان المشروع الذى أعدته الحكومة لقوانين العمل اكتفى بتثبيت وتقنين حالة العبودية التى تسود العمل واعتبروها ظروفا عادية ٠ وهو ينص فوق ذلك على وضع النقابات تحت رقابة الادارة ٠

ولم يحتج الوفد على هذا القمع المدبر ضد بروليتاريا مصر ، فهو نفسه كان يتعامل مع الطبقة العاملة بنفس الاسلوب عندما كان فى السلطة ٠ وفى ظل حكومة الوفد قمع البوليس بعنف محاولة للاضراب السلمى قام بها عمال الاسكندرية واعتقل الكثيرين من العمال بتهمة « الشيوعية » وسجن العديد منهم وأبعد الكثيرين الى أماكن نائية أما العمال الاجانب فقد نفاهم الى ايطاليا واليونان ٠

لقد ركز محامو الوفد احتجاجاتهم بصورة أساسية على انتهاك الحكومة لحرية الصحافة غير أن الوفد كان ـ حتى فى ظل احتجاجه على اجراءات محمد محمود ـ لا يمانع فى فرض بعض القيود على الصحافة معلنا أن «الصحف التى تهدم البناء الاجتماعى القائم ، يمكن أن تغلق بقرار ادارى ووفقا لأحكام الدستور » .

ان الوفد فى مأزق حقيقى .. والرأسمالية الوطنية التى يمثلها الوفد تقف ضد الامبريالية الانجليزية باعتبار أنها المعوق الوحيد للصناعة المصرية لكنه فى حلمه بالسيطرة بغير شريك على مقاليد الحكومة ، أخذ يساوم الانجليز حول نصيبه فى استغلال جماهير الشعب . والحقيقة أن تعنت الحكومة البريطانية ، ذلك التعنت الذى يعبر عن التناقض الكامل بين المصالح الامبريالية الانجليزية وبين مصالح مصر ، هو وحده الذى حال دون الوصول الى تسوية مع انجلترا .

وهكذا فان التحرك الوفدى ضد السيادة الانجليزية فى مصر وضد الحكومة المصرية الراهنة هو نوع من « محلك سر » ، وحتى صراخ النحاس باشا وهو يردد عبارات زغلول « دولة الظلم ساعة ، ودولة الحق حتى قيام الساعة » قد فقد تأثيره .

ان سياسة محمد محمود تجاه الحركة العمالية ، واعتداءه على حرية واستقلال مؤسسات النضال الاقتصادى للبروليتاريا قد أعطى دفعة لمد جديد لنضال الحركة العمالية .

ان الحركة العمالية هى المعارض الحقيقى الوحيد لسيطرة الامبريالية الانجليزية وسياسة الحكومة المصرية تجاه الفلاحين والعمال تقود كادحى القرى والمدن بالضرورة الى صدام حاد مع حكومة رأس المال والاقطاع ، بل ان حركة التحرر الوطنى فى مصر مدعوة باجمعها الى الوقوف بكل قواها ضد هذه السلطة .

واذا وضعنا فى اعتبارنا ذلك السخط المتزايد من جانب كل الجماهير العاملة فى مصر ، وتصاعد نضال هذه الجماهير من أجل مصالحها اليومية ، وحشد الجماهير حول مطالب الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية ، فان حركة الثورة الوطنية سوف تنتصر حتما على السيطرة الاستعمارية وعلى سلطة الارستقراطية المالكة .

ان التربية السياسية للجماهير الكادحة فى مصر تتقدم ببطء ولكن نشاطها يتصاعد فان هذه الجماهير الكادحة هى القاعدة الاساسية للنضال ضد المحتلين وأعوانهم من المصريين وضد ديماجوجيى الوفد .

أ. الجبالى

تحريرا فى نوفمبر ١٩٢٨

الحـــزب الـذى يثرثر كثيرا

(رسـالة من مصر)

بقلم أ. الجبالى(١)

ان الظروف السياسة ذات الطبيعة الخاصة فى مصر قـد أدت الى خلق حزب فريد من نوعه هو « الحزب الوطنى » .

وهذا الحزب يمكن اعتباره من حيث المحتوى الاجتماعى حزب البرجوازية المصرية المثقفـة .

وعلى عكس الاحزاب البرجوازية الاخرى التى تتبنى فكرة المساومة مع الانجليز ، فان أعضـاء الحزب الوطنى مصممون على أنه لا توجـد أية امكانية للتوافق بين مصالح مصر وانجلترا . ولقـد ظلوا على الدوام يرفعون شعارا يبدو راديكاليـا للغـاية « لا مفـاوضة الا بعـد الجـلاء » وعلى هذا الشـعار يبنى كل برنامج الحزب .

والحقيقـة أن الحـزب الوطنى ، هو وكل حزب من الاحزاب البرجوازية الاخرى قـد حدد بدقـة ووضوح سياسته الخارجية ، لكنه كان من الصـعب عليهم جميعـا تحـديد برنامج عملى للسياسة الداخلية ، وذلك بسبب التناقضات التى تحكم تكوين هذه الاحزاب .

ولقـد وجه أعضـاء الحزب الوطنى انتقـادات شديدة لتكتيكات الجماعات السياسية الاخرى ، وهم يشعرون دوما بالاعتزاز بماضى حزبهم فهم أقـدم الاحزاب المصرية وهم يعتبرون أنفسهم الامنـاء الوحيـدين على دعوة مصطفى كامل ، أبو الحركة الوطنية المصرية الحديثة .

غير أن هذا الحزب الراديكالى ظل دوما على الهامش بالنسبة لكل الاحداث

---

١ ـ مجلة ريفولوسيونى فوستوك « الشرق الثورى » عدد ٢ ـ ١٩٣٢ ، ض ٢٨٨ (مترجم عن النص الروسى) .

السياسية الهامة ، ولم يحاول أن يدرس أوضاع مصر دراسة جادة ، ولم يتقدم بأية شعارات سياسية ايجابية ولم يكن غريبا بعد ذلك أن يفقد احترامه ، وأن يسقط من حساب الكثيرين كحزب سياسى حقيقى اللهم الا بضعة مئات يشكلون مجموع عضويته .

ولقد قام قادة الحزب الوطنى ، تحت ضغط راديكاليي البرجوازية الصغيرة ، بسلسلة من الاستعراضات ذات المظهر الثورى ، فشاركوا فى تكوين « عصبة النضال ضد الامبريالية » لكن مثل هذه الاستعراضات المظهرية لم تغير ولو لأدنى درجة من الخط السياسى للحزب .

ولقد تجسدت السذاجة السياسية والفراغ الفكرى لهذا الحزب ـ بشكل خاص ـ فى تصرفاته ازاء أحداث الاشهر الاخيرة .. فقد عرضت انجلترا طريقا للاستقلال الشكلى لمصر وتولى الوفد ـ وهو الحزب القائد للبرجوازية المصرية والحائز على الاغلبية البرلمانية والحزب الحاكم السابق ـ تولى مهمة تهدئة الجماهير ، ولقد هاجم الليبراليون موقف الوفد ، لكنهم لم يكشفوا النقاب عن الرجعيين المفضوحين .. وهكذا تعاون الحزب الوطنى مع أقطاب الرجعية المفضوحين من أجل اسقاط الوزارة الوفدية ..

وقد استخدمت قضية الامير سيف الدين كمبرر لاسقاط حكومة النحاس باشا ، وهذه القضية تعبر تعبيرا دقيقا عن طبيعة العلاقات السياسية المصرية البريطانية (ثم أورد الكاتب بشكل تفصيلى قصة قضية الامير سيف الدين ، ومضى بعد ذلك قائلا) :

... لقد كان من الممكن بل من الواجب استخدام قضية الامير سيف الدين كمادة لفضح الملك فؤاد كعميل للانجليز ، ان قادة الوفد (ومن بينهم النحاس باشا نفسه) دافعوا عن الامير سيف الدين وأخذوا على عاتقهم هذه المهمة . أما قادة الحزب الوطنى فلاسباب مجهولة تماما عارضوا الوفد فى موقفه هذا .. وفى البرلمان وقف زعيم الحزب الوطنى حافظ بك رمضان ليخطب قائلا : ان النحاس والمحامين الوفديين الاخرين يقبضون أموالا طائلة ثمنا لتبنيهم قضية سيف الدين .

وقد أمكن « فبركة » حملة واسعة وسط الرأى العام بواسطة الصحافة المصرية والانجليزية المأجورة حول هذه القضية ، وكانت النتيجة سقوط حكومة الوفد .

وبعد ذلك حل البرلمان ، وألغى الدستور ، ووصل الى السلطة غلاة

الاقطاعيين والرجعيين عملاء المندوب السامى البريطانى . أما الراديكاليون من أعضاء الحزب الوطنى قد باعوا الرجعية فى معركتها ضد الوفد وبعد أن تحقق النصر للرجعية ذهبوا جميعا الى أوربا للراحة !!" .

وهكذا أصبح الميدان خاليا تماما للرجعية ، ثم أعد مشروع معاهدة بارويل مع انجلترا وافقت الرجعية المصرية بموجبه على اعطاء الانجليز الرقابة الكاملة على مياه النيل وبذلك يتم للانجليز التحكم النهائى فى مصائر الفلاحين المصريين واستعبادهم بشكل كامل . وقد قوبل هذا المشروع بالامتعاض والرفض من جانب المصريين جميعا . وفى المقابل منعت الحكومة عقد أية اجتماعات وأخذت فى اغلاق الصحف الواحدة بعد الاخرى مانعة نشر أى نقد ولو متواضع موجه ضدها .

وفى شهرين اثنين فقط ضم الى البوليس السرى - وفقا للارقام السرية - ثلاثة آلاف شخص . وعزل من الاجهزة الحكومية ومن سلك القضاة كل العناصر غير المرغوب فيها ونظمت حملات للاعتقال الجماعى ، ووضعت النقابات تحت اشراف الحكومة . وتضاعف السخط فى البلاد بصورة لم يسبق لها مثيل . غير أن الجماهير الساخطة سخطا تلقائيا كانت تفتقر الى القيادة ، أما قادة الحزب الوطنى فقد احتفظوا بصمت بليغ .

لقد مثل قادة الحزب الوطنى لسنوات طويلة دور حماة الجماهير الكادحة والمدافعين عنها . لقد حاولت البرجوازية الصغيرة الراديكالية عبثا أن تقنع الجماهير بأن ممثليها لم يبتعدوا عن خشبة المسرح . لكن الصراع الدائر بين صفوف أعضاء الحزب أنفسهم ، ثم يكشف فقط عن مدى الضعف السياسى لقادة الحزب وانما كشف أيضا عن ضرورة البحث عن « مسارات » جديدة لحركة التحرر الوطنى .

وكلما تم الاسراع بعملية « تفجير » الحزب الوطنى من الداخل ، كلما وجدت العناصر الشريفة داخل هذا الحزب بسرعة أكبر طريقها الصحيح نحو تأسيس الكتلة الثورية الوطنية الموحدة تحت قيادة حزب الطبقة العاملة .. وكلما اسرعت حركة التحرر الوطنى المصرية بالسير فى الطريق الصحيح .

تحريرا فى مايو ١٩٢٩

برنامج ديكتاتورية محمود فى مصر(١)

بقلم ج·ب (القدس)

لم تمض سوى أقل من ثلاثة أشهر على انقلاب محمد محمود الذى وقع فى القاهرة ولم تستطع ديكتاتورية محمود بعد أن تحقق هدفها الاساسى وهو تحطيم حزب الوفد ذى الاتجاهات الوطنية وتجريده من نفوذه ·

لكن محمد محمود قد استطاع أن يصمد أمام الهجوم الاول الذى شنه الوفد ضده وهو الان بصدد الاستعداد لشن الهجوم المضاد · ولكى نستطيع فهم تطورات الاحداث التى تجرى فى مصر فهما واضحا فانه يتعين علينا ان نتعرض للبرنامج الذى طرحته دكتاتورية محمود ·

وكما هو واضح من سلسلة البيانات الرسمية وشبه الرسمية ، ومما أعلنه محمود تفصيلا فى خطابه أمام أعيان طنطا ، فان هذا البرنامج يمكن أن ينقسم الى ثلاثة أقسام : البناء الروحى ـ خطط للاصلاح ـ السياسة الخارجية ·

وفيما يتعلق بالقسم الاول ، فان محمودا يحاول الايهام بأن حكومته ترغب فى انقاذ مصر من الهوة السحيقة للفساد والمحسوبية ومحاباة الاقارب والفوضى الاخلاقية التى ترعرعت فى ظل الادارة الوفدية · وبدلا من « حكومة لصالح الحاكمين » فقد بشر محمود « بحكومة لصالح المحكومين » ويزمع محمود فى شن « ارهاب عنيف » لتدمير جماعة الوفد التى لا تختلف معه فى أى موقف من المواقف السياسية اللهم الا اهتماماتها العامة ، وسعيا لتحقيق هذا الهدف فقد عطل محمود البرلمان وصادر حرية الصحافة وحرية الاجتماعات · وامتدت عمليات البناء الروحى الى حد منع الطلبة من الاشتغال بالسياسة وذلك حتى يتطهروا من « التحزب السياسى الذى هو أردأ أنواع التحزب » ، ولكى يصبحوا أعضاء نافعين فى المجتمع ·

وحتى تستقر الاخلاقيات السياسية فى مصر ، فان محمودا قرر أن يتفرغ نهائيا لتحقيق مصالح الشعب ، وقد حدد خطته للاصلاح فى النقاط التالية :

١ ـ اصلاحات خاصة بالمزارعين الصغار : وينطلق محمود من منطلق معترف به من الجميع وهو أن اصلاح حال الفلاح هو مفتاح مشكلة أية سلطة فى

---

1 International Press Correspondence - 5/10/1928 - P. 1258.

وادى النيل • ولهذا فقد وعد محمود الفلاحين بتقسيم كل الاراضى الزراعية المملوكة للحكومة الى قطع صغيرة مساحة منها ٥ ، ٢ فدان (الفدان يساوى ٤٤٠٠ متر مربع) على أن يخفض الثمن بنسبة ١٠٪ ويسدد على أقساط مدتها ١٥ سنة • كذلك وعد محمود بالعمل على بذل أقصى جهد ممكن لتزويد القرى بالمياه الصالحة للشرب • وعلى تدعيم أجهزة تنقية مياه الشرب بالمدن بحيث تستطيع مد القرى المجاورة لها بمياه الشرب ووعد كذلك بتحسين وسائل الرى باستخدام القوى الكهربائية التى ستتزايد بانشاء محطات لتوليد الكهرباء وبناء ١٠٠ مستشفى بالريف خلال خمس سنوات وتخصيص ٤ ملايين جنيه لاقراض الفلاحين لمواجهة احتمالات تعثر تصريف محصول القطن •

٢ ـ **اصلاحات خاصة بالعمال** : وتتضمن اصدار تشريع للعمل يحمى مصالح العمال ويعالج المنازعات بين العمال وأصحاب العمل ، وبناء ٥٠ مستشفى بالمدن وانشاء مدارس مهنية •

٣ ـ **أعمال الرى** : وفى الدرجة الاولى تعلية خزان اسوان والعمل على بناء خزان جديد فى جبل الاولياء بالسودان وذلك بهدف التمكن من استصلاح ما لا يقل عن ٧٠٠,٠٠٠ فدان جديدة من الارض الصالحة لزراعة القطن • وقيل أن العمل فى هذا المشروع الذى سيتكلف آلافا عديدة من الجنيهات سوف يبدأ فى الشتاء القادم • وكانت نقطة الضعف الاساسية فى برنامج محمود تكمن فى سياسته الخارجية فالصحافة الوفدية كانت تجمع على أنه قد باع نفسه للانجليز • وعلى أية حال فان محمودا قد أعطى فى الايام الاخيرة ردا حاسما على الدعوة الامريكية للانضمام الى « ميثاق كيلوج » معلنا فى نفس الوقت أن مصر لن تتقيد بأية تحفظات قد تتمسك بها بعض الحكومات المنضمة الى هذا الميثاق ، وهو اعلان يشير بطبيعة الحال الى التحفظات البريطانية تجاه القضية المصرية • وهكذا برهن محمود أخيرا على أنه مستقل أيضا فى سياسته الخارجية •

وهذا البرنامج الممتلىء بالعبارات الطنانة والديماجوجية مثل « حكومة أصدقاء الفقراء » « الحكومة التى فوق الطبقات والخلافات الطبقية » « الحكومة التى تسعى للاستغلال » ••• الخ الخ : كان بالدرجة الأولى سلاحا فعالا فى يد محمود فى معركته ضد الوفد •

ويعتبر هذا البرنامج محاولة ذكية لخداع الجماهير • وهى لا تستهدف فقط « تخليص » الفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدن من نفوذ الوفد ،

وانما تستهدف أيضا حرف أنظار الحركة العمالية التى نهضت خلال السنوات الماضية نحو مسارات اصلاحية أو بالدقة العمل على تدمير هذه الحركة··

وعلى أية حال فان أهم ما أدى الى تعزيز مركز محمود هو عجز قادة الوفد عن انتهاج سياسة ثورية حقة · فان كل هجومهم ضد محمود كان مجرد شعارات مكتوبة على الورق وهكذا تجرأ محمودا الى الحد الذى أصدر معه قرارات بتعطيل الصحف الوفدية ·

ومن ناحية أخرى فان هناك اتجاها واضحا لدى بعض الدوائر الوفدية للقيام بمصالحة مع الدكتاتورية ·

ان البرنامج الذكى الذى غطت به حكومة محمود تحالفها مع الامبرياليين واستعداداتها لمواصلة خداع الشعب المصرى لايمكن مواجهته مواجهة حاسمة من خلال نشاط أى من أحزاب البرجوازية الصغيرة القائمة الان فى مصر وانما فقط يمكن مواجهته من قبل الطبقة العاملة وحزبها ·

الأزمة والمد الثوري في مصر

بقلم أفيجدور

(تحت هذا العنوان كتب أفيجدور دراسة وافية عن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والصراعات السياسية في مصر ٠

وقد استغرقت هذه الدراسة الصفحات من ١٠٢ حتى ١٣٢ من العدد ٢ لعام ١٩٣٢ من مجلة « ريفولوسيوني فوستك » (الشرق الثوري) الروسية ٠ ونحن نجتزىء هنا الفصل الاخير من هذه الدراسة لأهميته الخاصة) ٠

« المد الثوري ومهام الرفاق المصريين »

لكي يمكن أن يتحول المد الثوري الموجود الان في مصر ، نحو أزمة ثورية أي نحو وضع ثوري فانه من الضروري العمل لايجاد العامل الموضوعي وهو الحزب الشيوعي القوي الذي يتعين عليه أن يجد لغة مشتركة بينه وبين الجماهير والذي يمكنه أن يقود نضالهم الثوري ٠ ويمكن أن نؤكد بشكل قاطع انه بالنسبة لمصر فان القضية الاساسية تتمثل الان في ضرورة نهوض حزب شيوعي قوي يتمسك ببرنامج نضالي ثوري يمثل مصالح الجماهير العريضة ويعطي الاجابات الصحيحة على كل القضايا الرئيسية لنضال الجماهير وبحثها عن أكثر الحلول ثورية للخروج من الازمة والتحرر من نير الامبريالية والاقطاع ٠

لكننا يتعين علينا أن نقرر أن رفاقنا المصريين لم يجدوا بعد اللغة المشتركة بينهم وبين الجماهير ولذلك فان تأثيرهم على الجماهير ضئيل ٠ ان دور رفاقنا المصريين في كلا الهيئتين يؤكد أنهم كانوا سلبيين تماما ، وهذا موقف لا يغتفر لحزب قائد للطبقة العاملة ٠

وفوق ذلك فان ما أبدوه من نشاط خلال فترة هبة يوليو ١٩٣٠ كان نشاطا مشينا للشرف الثوري ٠

ان المنشور الوحيد الذي أصدره رفاقنا أيام الهبة لم يدع الجماهير لمواصلة النضال وانما دعاهم الى الاستسلام « دعوا هؤلاء الوفديين يخطبون ويطنطنون ويتصارعون ويموتون فانهم يفعلون ذلك من أجل مصالحهم الخاصة »

وهكذا لم يدرك الرفاق المصريون الاهمية الثورية القصوى لانتفاضة عشرات الالوف من العمال متبنين شعار الوفد الذي يدعو الجماهير للنضال من أجل الدستور ٠

ولم يستطع الرفاق المصريون أن يحشدوا قواهم (حتى تلك القوى التى يمتلكونها بالفعل) فى مشاركة نشيطة فى الانتفاضة ومن أجل قيادة حركة الطبقة العاملة والفلاحين .

ان خبرة هبة يوليو ، وكل ما تبعها من أحداث كان من المتعين لهـا أن تلقن رفاقنا المصريين الكثير من الدروس ، لكنه لا تصاعد الحركة الفلاحية ، ولا مظاهرات العمال الدوية استطاعت أن تنتزعهم من حالة السلبية المؤسفة واستمروا دائما يتحركون فى ذيل الحوادث ، وفى ظل وضع كهذا نقد ظل الوضع الثورى فى مصر يعانى من أزمة ثورية تتطلب العمل الجاد لتصعيد النضال الذى تخوضه الجماهير العمالية والفلاحية من أجل حل ثورى للازمة ومن أجل ثورة معادية للامبريالية .

ولا بد لهذا الوضع أن يلفت أنظار رفاقنا المصريين ، فهو يلقى عليهم مسئولية عظمى تجاه الجماهير العمالية والفلاحية فى مصر ، وتجاه البروليتاريا العالمية والثورة العالمية ككل .

ان النتيجة الرئيسية التى يمكن أن نخرج بها من هاتين الهبتين والتى يتعين على رفاقنا المصريين أن يستنتجوها ، هى أن الجماهير المصرية قد تلقنت درس الصراع ، وأن هبتى يوليو ومايو تعتبران مجرد « بروفتين » للمعارك العظيمة التى ما زالت تنتظر هذه الجماهير فى المستقبل القريب .

ان آفاق المستقبل بالنسبة للازمة الثورية ترتبطها بالحركة الهائلة للجماهير ، تلك الحركة القادرة على تفجير كل الصراعات الطبقية فى البلاد . وترتبط كذلك بتصاعد الارهاب الحكومى وتزايد النير الامبريالى ، وبنمو الحركة الثورية فى الاقطار المجاورة وبالنجاح فى بناء الاشتراكية على أرض الاتحاد السوفييتى ، ذلك النجاح الذى لم يعد من الممكن أن يحجب عن الصحافة البرجوازية المصرية ... كل هذه العوامل سوف تخلق حتما الظروف المواتية لانفجار جديد هائل يمكنه أن يصبح انفجارا حاسما اذا ما استطاع رفاقنا المصريون أن يخرجوا من عزلتهم ، واذا ما استطاعوا أن يرتبطوا بالجماهير واذا ما استطاعوا أن يقيموا حقيقة حزبا شيوعيا ثوريا منظما وجماهيريا قائدا بحق للنضال اليومى للطبقة العاملة والفلاحين ، وأن يكفوا عن تصورهم للنضال كمجرد دراسة ممتعة .

ان الظروف الموضوعية ملائمة تماما لأداء هذه الواجبات ، فالجماهير تبحث عن قائد ، تبحث عن زعيم .

وعلى الرفاق المصريين ، وعلى الدور الذى سيقومون به يتوقف ما اذا كانت الجماهير ستجد قائدها الحقيقى .

أفيجدور — أغسطس ١٩٣١

موقف اللجنة المركزية للحزب الشيوعى

فى فلسطين وسوريا من الانقلاب فى مصر(1)

وجهت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى فلسطين وسوريا الرسالتين التاليتين حول الانقلاب الرجعى الموالى للامبريالية الذى وقع فى مصر :

١ ـ الى رئيس الحكومة المصرية ـ محمد محمود باشا ـ القاهرة ٠

ان الحزب الشيوعى فى فلسطين وسوريا يستنكر أشد الاستنكار الاجراءات الديكتاتورية التى ترتكبها حكومتهم ، والتى تستهدف القضاء على الحقوق الأولية للبرلمان وحرية الصحافة والخطابة والاجتماع ، تلك الحقوق التى اكتسبت من خلال نضال مرير امتد لسنوات طويلة ٠ ان أعمال العنف التى ترتكبونها لتصطبغ بطابع اجرامى خاص لانها ترتكب فى حماية الحراب البريطانية ومن ثم فهى تخدم مصالح اللصوص الامبرياليين ليس فى مصر وحدها وانما فى كل أنحاء الشرق الادنى ٠

انك ـ بوضعك نفسك فى خدمة المخططات البريطانية وباغتصابك لحريات الشعب المصرى انما تدمغ نفسك ـ بالرغم من كل ما تردده من شعارات ـ كعدو لحركة تحرير الجماهير الكادحة تلك الحركة التى هاجمتها هجوما وحشيا ٠

لتسقط ديكتاتورية الحراب البريطانية ـ

عاشت الحرية السياسية

لتسقط الامبريالية البريطانية

عاشت مصر مستقلة

٢ ـ الى رئيس الوفد مصطفى باشا النحاس ـ القاهرة ٠

والى رئيس « الحزب الوطنى » حافظ بك رمضان ـ القاهرة ٠

استنكارا للانقلاب الرجعى الذى قام به محمد محمود فقد قمنا بتوجيه الرسالة المرفق صورة منها الى الحكومة ٠

ونحن اذ نبلغكم بذلك لنود أن نعرب لكم عن اعتقادنا عن انه ما من

1 International Press Correspondence 17/8/1928 - P.908.

سبيل لشن نضال ثوري ضد الامبريالية البريطانية وعميلها « الديكتاتور » محمد محمود بهـدف فتح الطريق لتحقيق الاستقلال التام والتحرير الاجتماعي للجماهير العـاملة المصرية الا بقيـام **حركة مصرية تحررية ثورية قومية تقوم على أساس توحيـد قوى عمـال المدن والريف والمثقفين الثوريين .**

. ان الحزب الشيوعي في فلسطين (ومصر) * سوف يواصل جنبا الى جنب مع كل البروليتاريا الشيوعية في جميع البلدان العمل لمساندة النضال ضد الديكتاتورية الرجعية في مصر ومن أجل اقـامة جمهورية ديمقراطية حرة على أرضـها .

٢٦ يوليو ١٩٢٨

---

* هكذا في النص الانجليزي . ولا شك في أنها خطأ مطبعي . وأن صحتها الحزب الشيوعي في فلسطين وسوريا .

(٢) أوراق قضـائية

* تقرير الاتهـام فى قضية الشيوعية سبتمبر ١٩٢٥ ٠
* مرسوم ملكى باسقاط الجنسية المصرية عن ثمانية من المصريين ٠ (١٩٣١/٨/٢٣) ٠
* حيثيـات الحكم ببراءة عصام الدين ناصف فى القضية ٢٤٤ كلى الاسكندرية لسنة ١٩٣١ ٠
* محضر تحقيق النيابة العسكرية مع أنور كامل ٠
* مذكرة من حكمدارية بوليس مصر عن هنرى كورييل (مذكرتان) ٠
* مذكرة حكمدارية بوليس عن « الجبهة الاشتراكية » ٠

تقرير النيابة العمومية لقاضى الاحالة

مقدم من النيابة العمومية لحضرة قاضى الاحالة بمحكمة مصر الاهلية فى قضية الجناية رقم ٨٢٧ شبرا لسنة ١٩٢٥

تتهم النيابة العمومية :

١ - كونستنتين فايس سن ٣٦ سنة - محرر جرائد وقومسيونجى مولود فى النمسا ساكن بشبرا نمرة ٨ شارع فؤاد ومسجون الان .

٢ - شالوم بولوك - سن ٢٥ سنة كاتب مولود بموسكو مقيم بشبرا شارع فؤاد نمرة ٨ ومسجون الان .

٣ - ليون الكونين - سن ٣٩ سنة كاتب مولود بالروسيا ساكن بشارع المناصرة نمرة ٨ بشارع محمد على ومسجون الان .

٤ - ريدل هوشليك - سن ٣٢ سنة كهربائى مولود ببولونيا ساكن بالمناصرة نمرة ٨ شارع محمد على ومسجون الان .

٥ - محمد عبد السميع الغنيمى - سن ٣٠ سنة كاتب بوزارة المعارف مولود بشبرا النخلة مركز بلبيس وساكن فى شارع أم الغلام بدرب الحمام نمرة ٣ بالجمالية ومسجون الان .

٦ - رفيق جبور - سن ٤٣ سنة مولود بجبل لبنان مقيم بشبرا بشارع البعثة حارة محمد خليل نمرة ٣ محرر بجريدة النظام والحسان مسجون الان .

٧ - شاكر عبد الحليم - سن ٢٦ سنة طالب بالازهر مولود بالمتانية مركز العياط مقيم بالمنشية بدرب الحصر حارة رشوان بك نمرة ١٨ ومسجون الان .

٨ - شعبان حافظ - سن ٢١ سنة مساعد أجزجى مولود بالاسكندرية مقيم بشارع الكردادى قسم عابدين نمرة ٢٦ مسجون الان .

٩ - شارلوت روزنتال سن ٢٦ خالية الصناعة ومولودة باسكندرية مقيمة بكوم الناضورة ومسجونة الان .

١٠ - الهامى أمين - سن ٢٢ سنة مخزنجى بالسكة الحديد مولود بمصر مقيم بالعطارين بباب سدرة شارع المرغنى ومسجون الآن .

١١ - بيومى مرسى الباسوسى سن ٢٩ سنة خراط معادن مولود بالعطف ومقيم بالاسكندرية بغيط العنب ملك محمد عطية شرف ومسجون الآن .

١٢ ـ سيكلاريدس يناكاكيس ـ سن ٣١ سنة بياع اسفنج مولود بكمنوس مقيم بالاسكندرية بشارع عبد المنعم نمرة ١٨ ومسجون الان ٠

١٣ ـ أرون واينبرج ـ سن ٣٣ سنة بياع فرش مولود بالروسيا مقيم بالاسكندرية بشارع أبو الدرداء نمرة ٤ مسجون الان ٠

بانهم فى المدة بين ٦ أكتوبر سنة ١٩٢٤ الوافق ٧ ربيع أول سنة ١٣٤٣ و ٣٠ مايو سنة ١٩٢٥ الموافق ٧ ذو القعدة سنة ١٣٤٣ ٠

أولا : اتفقوا اتفاقا جنائيا بأن اتحدوا مع غيرهم على ارتكاب الجنايات والجنح الاتية وهى جنايات القتل العمل ونشر الافكار الثورية المغايرة لمبادىء الدستور المصرى الاساسية وتحبيذ تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب وبوسائل أخرى غير مشروعة المنطبقة على المادة ١٩٤ و ١٥١ فقرتى ٢ و ٣ من قانون العقوبات وجنح انتهاك حرمة ملك الغير المنطبقة على المواد من ٣٢٤ الى ٣٢٧ من قانون العقوبات وقد حرضوا جميعهم على الاتفاق الجنائى المذكور وأداروا جميعا حركته ٠

ثانيا : اشتركوا فى اتفاق جنائى الغرض منه ارتكاب جريمة تاليف عصابة من العمال وصغار الفلاحين لارهاب طائفة من السكان وهى طبقة أصحاب الاعمال والملاك وهذه هى الجناية المنطبقة على المادة ٨٠ من قانون العقوبات وقد حرضوا جميعهم على الاتفاق المذكور وتداخلوا جميعا فى ادارة حركته ٠

ثالثا : نشروا وهم متفقون جميعا على ذلك أفكارا ثورية مغايرة للمبادىء الاساسية للدستور الدولة المصرية وحبذوا تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية فى البلاد المصرية بالقوة والارهاب وبوسائل أخرى غير مشروعة وذلك علنيا بطريق بيع وتوزيع كتب وجرائد ونشرات مطبوعة وغير مطبوعة والقاء مقالات فى المحال والمحافل العمومية وبواسطة اشهار رسوم وتصاوير وهذه الكتب والجرائد والنشرات والمقالات والرسائل الأخرى تحوى أمورا وأفكارا تخالف مبادىء الدستور المصرى الاساسية ومن شأنها تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية مثل الغاء نظام الملكية الفردية المقرر فى دستور الدولة واستبداله بنظام شيوعى بطريق الثورة والقوة والتهديد ٠ وذكر فيها أن النظم التى يسعون اليها أفضل من النظم الحالية وانها حرية بأن تحقق وأنه يجب العمل والسعى لتحقيقها وقد الفوا حزبا لهذا الغرض سموه بالحزب الشيوعى المصرى التابع للدولية الشيوعية الثالثة وقد عمل ذلك الحزب على

مقتضى شروط تلك الدولية وبنـاء على تعاليمها التى ترمى الى الغـاء الملكية الفردية ومصادرة الاملاك من أصحابها وخجزها عنهم وغير ذلك بطريق القوة والتهـديد والطرق الاخـرى الغير مشروعة وأخذ الحزب المذكور بنشر دعوته الضارة المذكورة بطـرق العلنية المختلفة المبينة آنفا بين العمـال وصغار الفـلاحين وغيرهم ·

بنـاء عليه :

يكونون قـد ارتكبوا الجرائم المنصوص عنها فى المـادة ٤٧ مكرر وفى المواد ٨٠ و ٨٢ و ٨٣ وفى المواد ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ فقرتى ٢ و ٣ من قانون العقـوبات ·

من أجـل ذلك

تطلب النيابة العمومية من حضرة قاضى الاحالة أن يحيل هـذه القضية على محكمة الجنايات للحكم فيهـا طبقـا للمواد سالفة الذكر وقـد تحـررت قائمة بشهود الاثبـات وهى مرفقـة بهـذا ·

نحن النائب العمومى بالمحاكم الأهلية
نكلف أحـد المحضرين بأن يعلن هذا التقرير والقائمة طيه للمتهمين الذين هم فى السجن ·

(١٩٢٥/٩/١٠)

النـائب العمومى

امضاء

ملحوظة : نشرت جريدة « الأخبار » نصا موجزا لهذا القرار بتاريخ ١٩٢٥/٩/٩ أى قبل توقيعه من النائب العمومى بيوم واحـد ·

مرســـــوم ملـكى

باسقاط الجنسية المصرية عن ثمانية من المصريين

نحن فؤاد الأول ملك مصر

بعـد الاطلاع على المـادة ١٣ من قانون الجنسية المصرية رقم ١٩ لسنة ١٩٢٩ ·

وعلى المذكرة المرفوعة من وزارة الداخلية الى مجلس الوزراء بتاريخ ١٨ اغسطس ١٩٣١ ·

وبناء على ما عرضه علينـا وزير الداخلية وموافقة رأى مجلس الوزراء ·

رسمنا بما هو آت ·

المـادة الأولى

تسقط الجنسية المصرية عن الأشخاص الآتية أسماؤهم :

١ ـ محمد أحمد سلام المشهور حمدى سلام ·

٢ ـ عبد الرحمن فضل ·

٣ ـ جيمن حسن الجزيرى ·

٤ ـ محمو مصطفى دويدار ·

٥ ـ عبد العزيز محمد مرعى ·

٦ ـ على حسين حسنين ·

٧ ـ شارلوت روزنتال ·

٨ ـ شعبان حافظ ·

المـادة الثـانية

على وزير الداخلية تنفيذ هذا المرسوم ·

صدر بسراى المنتزة فى ٦ ربيع الثانى ١٣٥٠ هـ
٢٠ أغسطس ١٩٣١ م

فؤاد

بأمر حضرة صاحب الجلالة
رئيس مجلس الوزراء
إسماعيل صدقى
وزير الداخليـــة
اسماعيل صدقى

١٩٣١/٨/٢٣
مرسل الى وزارة الداخلية لتنفيذه

رئيس مجلس الوزراء
اسماعيل صدقى

حيثيات الحكم ببراءة عصام عصام الدين ناصف ※

نص أسباب الحكم فى قضية الاستاذ عصام الدين ناصف

أصدرت محكمة جنايات الاسكندرية المشكلة علنا تحت رياسة حضرة صاحب العزة محمد أنور بك وحضور حضرات صاحبى العزة محمد راغب بك وخليل غزالات بك مستشارين بمحكمة الاستئناف الاهلية وفهيم ابراهيم عوض افندى وكيل النيابة وحامد حسنين عباس أفندى كاتب المحكمة ، حكمها بالبراءة فى قضية النيابة العمومية نمرة ٥٧٣٠ المنشية سنة ١٩٣١ المقيدة بالجدول الكلى نمرة ٣٤٤ سنة ١٩٣١ .

ضـد

عصام الدين حفنى ناصف افندى عمره ٣٢ سنة وصناعته مدرس وسكنه شارع الامير فاروق رقم ٤٨ .

وحضر للدفاع عنه حضرة صاحب السعادة محمد على باشا وحضرة ابراهيم الهلباوى بك وحضرة مصطفى مرعى أفندى المحامون .

وقد وضعت المحكمة أسباب الحكم كما يلى :

بعد سماع أمر الاحالة وطلبات النيابة العمومية والاطلاع على أوراق القضية والمداولة قانونا .

حيث ان النيابة العمومية اتهمت المذكور بانه فى السنين ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ بالقاهرة والاسكندرية وبلاد أخرى بالدولة المصرية نشر أفكارا ثورية مغايرة للمبادىء الاساسية لدستور الدولة المصرية وحبذ تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية فى البلاد المصرية بوسائل غير مشروعة وذلك علنا بطريق بيع وتوزيع كتب مطبوعة تحوى أمورا وافكارا تخالف مبادىء الدستور الاساسية ومن شأنها ان تؤدى الى تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية مثل الغاء نظام الملكية الفردية المقرر فى دستور الدولة ونزع ملكية الغير

※ نقلا عن جريدة الجهاد ٣٠ نوفمبر ١٩٣١ .

بغير الطرق القانونية المشروعة واستبداله بنظام آخر وذلك بطريق الثورة والقوة وأن النظم التي يسعى لتحقيقها أفضل من النظم الحالية وأنها حرية بأن تتحقق ويجب العمل والسعي لتحقيقها والكتب التي وزعت وبيعت هي « كتاب التجديد الاجتماعي » وكتاب « الاشتراكية الحديثة » وغيرها وطلبت من حضرة قاضي الاحالة احالته على محكمة الجنايات لمحاكمته بالمواد ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ فقرة أولى وثانية من قانون العقوبات .

وحيث أن حضرة قاضي الاحالة قرر في ١٣ يونيو سنة ١٩٣١ أحالته على هذه المحكمة لمحاكمته بالمواد المذكورة آنفا .

وحيث أنه بجلسة يوم السبت ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣١ سمعت هذه القضية على الوجه المشروح بمحضر الجلسة وقد تأجل النطق بالحكم بجلسة اليوم .

عن القانون

حيث أن النيابة العمومية تطلب معاقبة المتهم بمقتضى المادة ١٥١ فقرة ثانية وثالثة من قانون العقوبات المعدلة بالقانون رقم ٣٧ سنة ١٩٢٣ وقد أثارت النيابة كما أثار الدفاع الكلام على المقصود من هذه المادة لان كلا من الطرفين يرتكز في دفاعه في الدعوى على المعنى الذي يعتقد أن هذه المادة تؤديه ، لذلك كان من الواجب البدء بتفهم معنى هذه المادة حتى يتيسر تطبيق الوقائع المنسوبة الى المتهم عليها .

وحيث أن المادة المذكورة نصها :

يعاقب بالسجن لمدة لا تتجاوز خمس سنين كل من ارتكب فعلا من الافعال الاتية وذلك باستعمال احدى الطرق المبينة في المادة السابقة :

أولا : التحريض على كراهة نظام الحكومة في القطر المصري أو على الازدراء بها .

ثانيا : نشر الافكار الثورية المغايرة لمبادىء الدستور الاساسية .

ثالثا : تحبيذ تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة أو الارهاب أو بوسائل أخرى غير مشروعة . وحيث أن الجريمة الواردة في الفقرة الاولى لا شأن لها في هذه الدعوى فلا ترى المحكمة موجبا لبحثها الان لان الجزء المطلوب معاقبة المتهم عليه منها هو ما ورد بعد ذلك في الفقرتين ثانيا وثالثا .

وحيث أن مدار الخلاف القائم بين الطرفين ينحصر في الحقيقة في نقطة واحدة وهي هل الفعل المنصوص عليه في الفقرة الثانية وهو « نشر الافكار الثورية المغايرة لمبادىء الدستور الاساسية » يتضمن في ذاته « القوة والارهاب »

أو الوسائل غير المشروعة ولو لم ينص عليها المشروع فى الفقرة المذكورة كما نص عليها صراحة فى الفقرة الثالثة أولا .

وحيث أن النيابة العمومية ذهبت فى تفسيرها لهذه الفقرة الى أنها لاتتطلب ما تطلبته الفقرة الثالثة من تلك المادة من استعمال القوة أو الارهاب أو وسائل أخرى غير مشروعة ملاحظة أن كلمة ثورية فى النص الفرنسى للمادة معبر عنها بلفظ Subversives لا بلفظ Revolutionaires والدفاع يخالفها فى ذلك .

وحيث ان المحكمة ترى أن اللفظ الذى استعمله الشرع فى الفقرة الثانية المذكورة سواء فى النص العربى « الافكار الثورية » أو النص الفرنسى Idees Subversives يتضمن فى ذاته معنى استعمال القوة أو الارهاب أو الطرق غير المشروعة ولذلك لم ير الشرع ضرورة للنص عليها فى هذه الفقرة الثالثة والذى يدل على أن هذه هى نية الشرع هو ما جاء فى المذكرة الايضاحية الخاصة بتعديل هذه المادة (قانون رقم ٣٧ سنة ١٩٢٣) حيث جاء فيها بالنص :

« أما الفقرتان الثانية والثالثة من المادة ١٥١ فالغرض منهما قمع الدعوى المضرة التى تقوم بها الهيئات الفوضوية أو الشيوعية ، وبما أن واضع القانون هو أقدر الناس على بيان غرضه من وضعه فلا يكون هناك أدنى شك فى أن هذه هى نيته لان الهيئات الفوضوية أو الشيوعية من وسائلها كما هو معروف القوة المسلحة والشرع قال صراحة أنه يقصد بقانونه قمع دعوة هذه الهيئات الخطرة على أن الذى يؤكد نية الشرع هذه هو التعديل الذى أصدره للمادة المذكورة بالقانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٣١ حيث أدمج الفقرتين الثانية والثالثة فى فقرة واحدة وهى الفقرة الثانية من المادة ١٥١ المعدلة بالقانون المذكور ونصها :

« تحبيذ ونشر المذاهب التى ترمى الى تغيير مبادىء الدستور الاساسية أو النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة أو الارهاب أو بأية وسيلة أخرى غير مشروعة » . ويلاحظ أن الشرع وبهذا النص قد أوضح بصراحة ما يمكن أن يكون محل اتهام فى النص القديم وانه وان كان شدد نوعا فى العقوبة فاضاف الى السجن الغرامة من خمسين جنيها الى خمسمائة جنيه الا انه لم يأت بشىء جديد بالنسبة للافعال المعاقب عليها وانما بينها تبيينا بدليل ما جاء فى المذكرة الايضاحية للقانون المذكور ما يأتى تعليقا على المادة ١٥١ « المادة ١٥١ : تقابل المادة ١٥١ من القانون الحالى والتعديلات التى ادخلت عليها هى :

أ ـ أدمجت فى فقرة واحدة هى الفقرة ثانيا الجديدة الافعال التى كانت مذكورة فى الفقرتين « ثانيا وثالثا » من المادة القديمة فوصف الجريمة

بحسب صيغة المادة الجديدة لا يقتصر على من يحبذ بنفسه استعمال القوة لتغيير نظم الهيئة الاجتماعية الاساسية أو مبادىء الدستور الاساسية بل يتناول كذلك من ينشر أو يحبذ المذاهب التى ترمى الى تغيير هذه المبادىء أو هذه النظم بالقوة ولو لم ينصح هو نفسه باستعمالها أو صرح بأنه لا يشير باستعمالها ، فمن يحبذ مثلا نظريات شيوعية كما تطبق فى روسيا ، ومعنى هذه البلشفية أو يقرظ مذهب لينين يقع تحت طائلة العقاب ولو احتاط لنفسه وصرح بانه لا يشير باستعمال القوة ـ وذلك لأن هذه المذاهب تنطوى على أن يستولى العمال مباشرة وبالقوة على مقاليد الاحكام فى الدولة اذ كانت تعتبر كل وسيلة أخرى لبسط النظام الشيوعى غير فعالة ٠

ب ـ تشديد العقوبات بأن أضيفت الى السجن الغرامة من خمسين جنيها الى خمسمائة جنيه وظاهر بوضوح فى نص هذه المذكرة من أن المشرع أدمج فى فقرة واحدة الأفعال التى كانت مذكورة فى الفقرتين ثانيا وثالثا من المادة القديمة انه لم يأت فيها بجديد من حيث الاركان المكونة للجريمة وانما ابان غرضه من المقصود باستعمال القوة والارهاب فقال ان هذا الركن لا يقتصر على من يحبذ بنفسه استعمال القوة لتغيير النظم ٠ بل يتناول أيضا من ينشر أو يحبذ المذاهب التى ترمى بطبيعة مبادئها الى أن يكون التغيير بالقوة ولو لم ينصح هو نفسه باستعمالها أو صرح بأنه لا يشير باستعمالها وهذا المعنى هو نفسه ما كان مفهوما من قبل من نص الفقرة ثانيا من المادة ١٥١ المعدلة بقانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٢٣ ٠

عن الوقائـــع

حيث انه لا جدال فى أن المتهم نشر كتاب التجديد الاجتماعى الذى طبعه ووزعه سنة ١٩٣١ وهو معترف بهذا وقال ان هذا الكتاب هو عبارة عن مقالات سبق نشرها فى الجرائد وانه أراد بطبعها فى كتاب تسجيلها باعتبارها عملا قيما كما أنه اعترف بنشر بعض مقالات عن الاشتراكية فى مجلة روح العصر كما أنه معترف بترجمة وطبع ونشر كتاب الاشتراكية الحديثة سنة ١٩٢٨ فركن العلنية لا نزاع فيه ٠

عن كتـاب التجـديد الاجتماعى

مقالة الفـلاح المصرى

وحيث أن النيابة العمومية شرحت الدعوى أمام المحكمة وأشـارت فى مرافعتها الى المواضع التى تقـول انهـا تدل على وجود الافكـار الثورية المغايرة للمبادىء الاساسية للدستور المصرى وتحبيـذ تغيير نظم الهيئة الاجتماعية فى البلاد المصرية بوسائل غير مشروعة وقـد ظهر من مرافعتها أن كل ما تنسبه الى

المتهم من الدعوة الى تغيير مبادىء الدستور وتغيير نظام الهيئة الاجتماعية ينحصر في دعوته الى الغاء الملكية الفردية والاستعاضة عنها بنظام الملكية المشتركة وأن تنتزع هذه الطرق بغير الطرق القانونية المشروعة وقد دللت على غرض المتهم ببعض فقرات أشارت اليها في كتاباته تستنتج منها دعوة المتهم الى هذا التغيير بطريق القوة فذكرت :

١ ـ ما جاء بالصحيفة نمرة ٩ من كتاب التجديد الاجتماعي ضمن مقالة الفلاح المصري حيث أوضح المتهم الفارق بين الفلاح الاوربي والفلاح المصري بتمثيل الفلاح الاوربي واقفا على أحد قدميه وهو يجيب المالك عن سبب وقوفه كذلك بأنه ليس في قطعة الارض الخاصة به مكان لقدمه الاخرى لان باقي الارض كلها ملك له ووصف حالة الفلاح المصري بأنها مظلمة قاتمة ونفوس الذين ينظرون اليه باعتباره ثورا يضعون في عنقه نيرعم الى أن قال : ان الفلاح انسان يجب أن يتمتع بحقوق الانسان ٠

٢ ـ ثم ذكرت النيابة ما جاء بالصحيفتين ١٠ ، ١١ من الكتاب المذكور « ان المتهم قال أن القوانين التي سنت لمناهضة انتشار المواد المخدرة لا يمكن أن يكون لها أثر فعال لان العلة الاساسية باقية وهي البؤس والتعاسة والشعور بالظلم وأن الفلاح لا يطيق هذا الظلم فيركن الى الفرار منه باستعمال هذه المغيبات ثم ان الكاتب عاب على من لا يهتمون باسعاد الفلاح قولهم أنه قانع بعيشه ولا يشعر أن له حقوقا مهضومة وهو منطق عجيب لا يحل المسألة » ثم قال « لا بأس فلننتظر فستحلها الايام » الى أن قال الكاتب « أما نحن فلانرتضى الا أن تشعر الهيئة الاجتماعية بقسوتها وفظاعتها والا أن نهيىء السبيل لتحسين نظمها وقواعدها ونحن اذا اقتنعنا فلن نحجم عن المضي في مهاجمة جميع الاخطاء الحالية ـ الفلاح هو خير أبناء مصر فيجب أن تنظم خير ما فيها لمصلحة الفلاح » ٠

٣ ـ ثم أشارت النيابة الى ما ذكره المتهم في الصحف ١١ ، ١٢ ، ١٣ من الكتاب المذكور عن حالة الفلاح في مسكنه وتعرضه للامراض الخطيرة كالبلهارسيا والانكلستوما والروماتزم والبلاجرا والرمد الصديدي وأنه قد يكون مستأجرا صغيرا ولكنه مع ذلك لا يحصل من الارض على ما يحفظ كيانه العادي فهو في الواقع عبد رق ينادي صاحب الارض بلفظ السيادة ويقول له الأرض أرضك والزرع زرعك والعبد وما ملكت يداه ـ وان الكثيرين من الملاك قد سلبوا الفلاح كل شيء ولم يتركوا له الا أشياء تافهة ـ وأن في الفلاح المصري جميع الصفات الخاصة بأبناء الشعوب المستعبدة ٠

٤ ـ ثم أشارت النيابة الى ما ذكره الكاتب يندد به على أصحاب الأباعد الذين يبعثرون الالاف فيما لا نفع منه وفى النخخة التخذرة ولا يسمحون للفلاحين بالمعيشة الى جانبهم وهم يكونون ٧٠ فى المئة من سكان القطر وتقع عليهم أعباء الخدمة العسكرية فى الحرب وفى السلم ويأبون عليهم أن ينالوا قسطهم من القوت وأن يتمتعوا بنصيبهم من الحضارة والمدنية ـ الى أن قال المتهم فكان آباءنا وأجدادنا ومئات الاجيال الماضية قد ظلوا يعملون فى بناء المدنية آلاف السنين ليتمتع بها بضع مئات من الاغنياء والوارثين ـ لئن كان كذلك فسحقا لها وتعسا ـ اننا نريد حضارة تفىء بنوزها للشعب كله ، نريد أن يتمتع بها كل من يعمل على قدر ما يعمل الى أن يقول الكاتب متحدثا عن فلاح مصر انه يقدم لها طعامها فلا تقدم له الا الذل والهوان ـ وانه أدرك أن تجارة الرقيق لم تمحَ واننا لا نعيش فى القرن العشرين ...

٥ ـ ثم قالت النيابة ان المتهم بعد أن أشار الى بعض طرق التحسين ذرا للرماد فى العيون واخفاءا لحقيقة نواياه يقول فى الصفحة ٢٣ : وأساس الاصلاح عندى أن يشعر الفلاح أن حقوقه مهضومة وانه مظلوم بائس مهان وأنه ينقصه الكثير ليكون انسانا كما يجب أن يكون انسانا . أهدوه الى بداية الطريق الاصح فلا يلبث أن ينطلق فيه الى آخره ـ ساعدوه على فهم حقيقة مركزه وأنتم ترون منه العجيب العجاب ـ الفلاح يزرع فيجب أن يحصد والفلاح هو المنتج فيجب أن يكون هو المستمتع .

مقالة نزعة التجديد الحالية فى مصر

ثم قالت النيابة ان المتهم كتب فى مقالة أخرى تحت عنوان « نزعة التجديد الحالية فى مصر » يقول :

١ ـ العالم لم يزل يتطور ويترقى ويتقدم الى الامام فى خطوات سراع فمن لازموه فى تقدمه فازوا فى معترك الكفاح لاجل الحياة ومن أبوا الا أن يحتفظوا فى رؤوسهم بعقلية القرون الخالية وأفكار أهلها ونظراتهم الى الحياة فهؤلاء هم الذين يتجاهل الجيل الحاضر وجودهم ويطؤهم بقدميه ولقد يتم تطور الشعور ـ كما يرى هيجل ـ بتأثير الافكار العظيمة التى يبشر بها دعاة المذاهب الفكرية المختلفة ومن ذا الذى ينكر التمهيد المنظم الذى مهدت به كتابات جان جاك روسو وزملائه عقول الفرنسيين للقيام بثورتهم الكبرى ، ومن ذا الذى ينكر ما أحدثته كتابات تولستوى واضرابه من كبار كتاب الروس فى إعداد شعب غير مثقف كالشعب الروسى

للقيـام بتلك الثورة التى لفحت بلهيبها دول العـالم أجمع • لقـد أصبح من المسلم به أن الظلم لا يحدث الثورات ولكن يحدثها الشعور به واذن فالذى يدأب على لفت نظر أمة من الامم أو طبقـة من الطبقـات الى ما يصيبها من ظلم كانت غافلة عنه لا يقـل اشتراكا فى أحداث ثورتهـا عمن يتولى قيـادة حركاتهـا المسلحة ـ ص ٤٣ من الكتـاب •

٢ ـ وقالت النيابة ان المتهم بعـد أن يشرح نظـرية كـارل ماركس الاشتراكية وتأثيرها فى المـانيا وما قام به العمال هناك وكذلك فى انجلترا : يقـول فى صفحة ٤٨ : ومتى كان من المسلم به أن الظروف الاقتصادية لا بد فاعلة أثرها يتضح لنـا أن من الحمق محاولة المقـاومة غير المجـدية بل أن الواجب علينـا أن نمهـد الطريق أمام النظم الجديدة كى نوفر على أنفسنا تكاليف معركة نحن موقنون فيهـا بغلبة الجـديد على القـديم وببقاء الاصلح الملائم لروح العصر على الهرم الذى فات أوانه وأصبح من البلـه أن نتطلب عودة الشباب اليه •

٣ ـ وبعـد أن ذكـر لمحـة تاريخيـة عن الثـورة المصريـة الحـديثة والتطـور الحـديث تطبيقـا لنظريتـه قال فى صفحة ٥٠ : وتتجلى الـروح الجديدة فى مختلف مرافق الحيـاة الحيوية فقـد بتنـا نسمع الان الاقتراحات بتحديد الملكية الزراعية والغـاء الرتب والنياشين وانشاء حزب للفـلاحين أو العمـال أو حزب اشتراكى أو غير ذلك ، وكل هذا سهل ومفهوم اذا رجعنا فى تفهمه الى نظرية التفسير المـادى للتاريخ ـ على أن ماركس لم يقصد بهذه النظرية أن يطبقهـا على المـاضى فحسب بل انه يريد بها المستقبل قبل كل شىء واذن فلنترك الخيالات والاوهام ولنبتعد عن مقاومة التجـديد الذى لا بد أن يطرأ على جميع مرافقنا ما دامت ظروفنـا الاقتصادية تتغير يوما بعـد يوم •

وقالت النيابة بشأن ما نشره المتهم فى الكتاب المذكور تحت عنـوان مقـالة الاشتراكية من الوجهـة العلميـة أنه جاء فى المقـالة صفحة ٥١ قوله : والفت النظر من الان الى أن الغرض من الاشتراكية ليس رفع أجور العمـال وتحسين أحوالهم تحسينا محدودا وانما أن تحل الدولة محل طبقة مالكى الأراضى والمصـانع وأن تمنع أصحاب رؤوس الاموال من التحكم فى الفقراء واستعمالهم عمالا أجيرين لا يتمتعون بكل ما ينتجه كدهم من الثمار • وأورد نقد ماركس للكونت لاسال الذى كان يريد تحقيق مبادئه عن طريق مطالبة الحكومة باصلاح حال العمال ـ ثم أخذ يعرف ماهية الاشتراكية فقـال فى صفحة ٥٢ : الاشتراكية تلغى الملكية الخاصة لوسائل الانتـاج

كالأرض وأبنية المصانع وآلاتها والمواد الخام وهذا من الوجهة السلبية أما من الوجهة الايجابية فهى لا تصرح بالدخل الشخصى الذى يجىء من غير طريق العمل ثم انه فى صفحة ٥٣ يعرف الشيوعية فيقول : انها لا تقتصر كالاشتراكية على حرمان الافراد من التصرف فى وسائل الانتاج بل هى تحرمهم أيضاً من التصرف فى وسائل الإستهلاك أى المحصول الزراعى أو المنتجات الصناعية فلا يستطيع المنتج أن يبيعها لمن يشاء وبالثمن الذى يشاء ولا أن يستعمل منها المقدار الذى يشاء ، فالجماعة الشيوعية تحدد المقدار الذى يلزم كل فرد من المأكل والملبس • ثم يتطرق الى وصف الفوضوية فقال : انها ترغب فى تقوية حرية الفرد الى أقصى حد وتطلب الغاء جميع القوانين فيكون كل امرىء سيد نفسه • وبعد أن يبسط المتهم نظريات عدة للاشتراكية •• نراه يختم المقالة بقوله فى صفحة ٥٦ : « ولا معنى للاعتراض بأن هذا النظام غير طبيعى فقد عاش هذا النظام مئات السنين فى الماضى ولا يزال سائدا فى روسيا وفى الجهات التى تعمرها الزمر الدينية فى أمريكا الشمالية فهو اذن لا يتنافر مع الطبيعة الانسانية على أن المهم هو معرفة أوفق النظم لمصلحة الانسان وأقربها الى طبيعته » •

عن كتاب الاشتراكية الحديثة

تقول النيابة : جاء فى كلمة المعرب وهو المتهم : الاشتراكية هى المحور الذى يدور عليه النزاع بين جميع الاحزاب السياسية فى العالم المتمدين •

وانى لأمل أن اخرج لقراء العربية غيره فى القريب العاجل كما آمل بأن يقوم الكثيرون بالكتابة فى هذا الموضوع ، ومتى فهم الشعب هذه المبادىء أمكنه أن يعرف مصدر نكبته والسبيل الى الخلاص منها • ولقد نراه يشرح فى هذا الكتاب النظريات الاشتراكية والشيوعية ونظرية التوارث عند السلافيين ص ١١ ، ١٢ ونظرية ماركس وانجلز ص ١٢ وما يليها ويقول فى ص ١٣ ان النظام الرأسمالى أنتج حالات اجتماعية مروعة •• فالعامل يتحول الى صعلوك والفاقة تنمو وتنتشر بأسرع ما ينمو الاهالى والثروة وتلك حال تاباها طبقة البروليتاريا ، الان كما كانت تاباها وتكافح ضدها فى عصور النظم السابقة مكافحة علنية أو خفية ـ وستنتهى اما بانقلاب النظام الرأسمالى واما بهلاك الطبقات المتنازعة ولن يكون غرض الطبقات المضطهدة من هذا الكفاح الا تحويل نظام الانتاج الراسمالى الى نظام اشتراكى وذلك يقضى بتحويل ما يمتلكه الراسماليون من وسائل الإنتاج الى ممتلكات عامة وادارة الانتاج تقوم على قواعد الاشتراكية أى بواسطة الجماعة ولاجلها ، وشرح ماهية النظام الاشتراكى للانتاج ونظام الانتاج الاشتراكى فى الوقت الحاضر واشتراكية الدولة بكل أنواعها والمساعى الحاضرة لنشر النظام الاشتراكى

وحدد نظـام الانتـاج الاشتراكي ـ ثم قال في فصل الشيوعية الزراعيـة في روسيا ص ٤٢ بأن لينين بجرة من قلمه أعاد مساحة الاطيـان التي كانت مملوكة للامراء والاشراف في روسيا الى ملكيـة القرى والبلديات وانه محا الملك الخاص ٠

ثم قالت النيابة أن المتهم نشر في مجلة روح العصر بتاريخ ٢١ فبراير سنة ١٩٣٠ مقالة قارن فيها الاشتراكية بالشيوعية والفوضوية والطرق المؤدية لتحقيق أغراض كل منهـا ٠

وقد استشهدت النيابة بكتاب للمتهم اسماه متابعـة التجديد الاجتماعي لم يكن قـد نشر بعـد وقـالت انه وان كان ركن العلنية لم يتحقق بشـأنه الا انهـا قالت انهـا تسوق منه عبارات للتدليل على روح المتهم ونزعاته ٠ هذا كل ما استندت عليه النيابة في اثبات التهمة ضـد المتهم وقـد بينته في مرافعتها الشفوية وقدمت للمحكمة في نهـاية المرافعة مذكرة كتابية تحصر فيها الادلة بحسب البيان السابق ايضـاحه ٠

وحيث أن المتهم ينكر التهمة وقـد قرر في التحقيقات ان مقالة الفـلاح المصري ليس فيهـا دعوة الى تغيير نظـام الملكية وأنه متحمل مسؤولية كل ما جاء فيها وان الاصلاحات التي طلبهـا في المقالة المذكورة لا تمنع من بقـاء نظـام الملكية وقال ان ما نشره بشأن الاشتراكية مسألة ثقـافية يريـد بهـا تنوير الاذهـان عن مرامي الاشتراكية وأنه اذا فرض أن نشر مبادىء الاشتراكية يترتب عليه قلب نظـام الملكية فانه ما دام هذا يحصل بواسطة الحصول على غالبية برلمـانية وبطرق سلمية فليس هنـاك مانع من نشرها وأن الممنوع هو أن يدعو المرء الى ذلك بالعنف وقال ان الظروف في نظره لا سيما الاحتـلال الانجليزي والدين الاسلامي تجعل قيـام حركة اشتراكية حقيقية في مصر من المستحيل وكل ما يريده ان الناس تحس وتعمل جانبا من الاصلاحات للفلاحين وان الاشتراكية المعتدلة مثـل فرض الضرائب على الـدخل تتفـق مع الدين الاسلامي لقوله تعالى : « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وانه ان ذكر الشيوعية أو الفوضوية فذلك من باب توضيح معنى الاشتراكية لأن بعض الناس يلتبس عليه معناها ٠

وحيث أن الدفاع عن المتهم طلب الحكم ببراءته ويرتكز في ذلك على أن المتهم لم يقـل مطلقـا في كتاباته كلمة واخـذة يتهم منها أنه يريـد الغـاء الملكية الفردية وأنه اذا قال فلا عقـاب عليه لانه لم يقـل ان وسيلته الثورة وشرح مبادىء الاشتراكية ووسائلهـا شرحا وافيـا ٠

وحيث أنه من أطلاع المحكمة على كل ما كتبه المتهم ونشره مما سبق بيانه وبعد سماع مرافعة النيابة والدفاع قد تبين لها أن مقالة الفلاح المصرى ليس فيها أية دعوى الى الغاء نظام الملكية الفردية واستبدالها بنظام اشتراكى وكل ما جاء فيها هو وصف حالة الفلاح التى يعتقد المتهم انها سيئة جدا وبعض اصلاحات طلب اجراءها لمصلحته · صحيح أن المتهم فى وصفه بالغ فى سوء حالة الفلاح مبالغة قد لا تتفق مع الحقيقة الا أنه على كل حال لم يأت فيها بكلمة تفيد أنه يدعو الى تغيير نظام الملكية الفردية لا بطريقة سلمية ولا بطريق العنف والاصلاحات التى اقترحها موجهة الى الحكومة · وعبارة العمل على زيادة ما يخص كل فرد من مساحة الاراضى المزروعة وهى موضوع الاقتراح السادس قد بين المتهم الطريقة العملية للوصول اليها بأن تقوم الحكومة باصلاح الاراضى البور على نمط واسع ثم تبيعها للفلاحين بثمن يماثل متوسط تكاليفها فهو لم يقترح على الحكومة أن تأخذ من الملاك الحاليين أراضيهم لتوزع على الفلاحين بثمن أو بغير ثمن · وأما الفقرات التى ذكرتها النيابة من مقالة الفلاح المصرى فليس فيها مطلقا اشارة الى أن غرض المتهم الغاء نظام الملكية الفردية ولا نزع ملكيتها بطرق غير مشروعة انما كلها مبالغة فى وصف الفلاح بطريقة مثيرة للشعور كقوله : « ان حالته مظلمة قاتمة ـ ينظرون اليه باعتباره ثورا يضعون فى عنقه نيرهم ـ الفلاح انسان يجب أن يتمتع بحقوق الانسان ـ انهم يفرون من الظلام الى المخدرات والمغيبات ـ لا بأس فلننتظر فستحلها الايام ـ أما نحن فلا نرتضى الا أن تشعر الهيئة الاجتماعية بقسوتها وفظاعتها والا أن نهيىء لها السبيل لتحسين نظمها وقواعدها ـ ونحن اذا اقتنعنا فلن نحجم عن المضى فى مهاجمة جميع الاخطاء الحالية ـ الفلاح خير أبناء مصر فيجب أن ينظم خير ما فينا لمصلحة الفلاح ـ ان فى الفلاح المصرى جميع الصفات الخاصة بأبناء الشعوب المستعبدة فسحقا لها وتعسا ـ اننا نريد حضارة تضىء بنورها للشعب كله ـ نريد مدنية يتمتع بها كل من يعمل على قدر ما يعمل ·· الخ » كل هذه الجمل وما شابهها مما ورد فى مرافعة النيابة هى عبارة عن تعبيرات كلامية فيها كثير من المبالغة يقصد بها الكاتب اظهار ما يعتقده وما يتأثر به مما شاهده على الطريقة التى يشعر بها ـ وأما تفسير النيابة لبعض هذه التعبيرات بأن المتهم يقصد نشر الافكار الثورية وحث الفلاحين على القيام فى وجه الملاك أو الحكومة ففيه تخريج غير مقبول للالفاظ والتعبيرات عن معانيها وتحميلها غير ما تحتمل من المعانى والمقاصد ·

وحيث انه فيما يختص بما أشارت اليه النيابة مما جاء فى مقاله : نزعة التجديد الحالية فى مصر فان فهم العبارات التى ساقها على حقيقتها لا يمكن أن يؤدى الى ما ذهبت اليه النيابة من انه يريد استعمال القوة لانه انما يريد

أن يبين مقدار ما لكتابة الكتاب من تأثير وان الذى يوقظ شعور أمة أو طبقة من الطبقات وينبهها الى ما يصيبها من ظلم كانت غافلة عنه يكون له من الفضل فى وصولها الى غرضها مثل ما يكون لمن يتولى قيادة حركاتها المسلحة • كل هذا جاء بيانا لقوله قد يتم تطور الشعوب بتأثير الافكار العظيمة التى يبشر بها دعاة المذاهب الفكرية فالسباق ليس سباق الوصول الى حق استعمال القوة أو بالثورة المسلحة وانما سباق حصول التطور بتأثير الكتابة ففكرة الكاتب اذن بعيدة كل البعد عن الدعوة الى استعمال القوة • أما قول الكاتب « لا يقل اشتراكا فى احداث ثورتها » فلا مانع من أن تكون ثورتها الفكرية كما يدل على ذلك فى سياق الكلام — فان الكاتب بدأ مقالته بقوله ان العالم يتطور ويترقى ثم ذكر كيفية حصول التطور فقال قد يتم تطور الشعوب بتأثير الافكار العظيمة ٠٠ الخ ، ثم قال بيانا للطريقة الاخرى انها تطور الظروف المادية والاقتصادية وهى نظرية التفسير المادى للتاريخ التى هى موضوع المقالة — فقال : يرى ماركس أن الافكار المثالية ليست الا انعكاس الظروف الاقتصادية — واذن فليست هى الدافع الحقيقى الذى يثير الحركات الاشتراكية وغيرها انما الدافع هو تغير ظروف الانتاج — وقد انتهى الكاتب بعد بيان أن الظروف الاقتصادية متى تغيرت تغير تفكير الناس تبعا لذلك وتحتم أيضا تغيير نظمهم وعوائدهم الى قوله : ومتى كان من المسلم به أن الظروف الاقتصادية لا بد فاعلة أثرها يتضح لنا أنه من الحمق محاولة المقاومة غير المجدية بل ان الواجب علينا أن نمهد الطريق أمام النظم الجديدة كى نوفر على أنفسنا تكاليف معركة نحن موقنون فيها بالغلبة للجديد على القديم ٠٠٠ الخ — ولا يمكن أن يفهم من هذا تهديدا باستعمال القوة وانما هو نصح اتقاء للنتائج التى هى حاصلة من تغيير الظروف الاقتصادية بحسب اعتقاد الكاتب فى صحة هذه النظرية — والمقصود بتعبير الكاتب هنا بلفظ معركة وغلبة ليس المعركة الحربية والانتصار فيها وانما هذه كلها تعبيرات كتابية يعرفها من يفهم اللغة العربية •

وحيث انه فيما يختص بمقالة الاشتراكية من الوجهة العلمية — وكتاب الاشتراكية الحديثة والمقالة التى نشرها المتهم فى مجلة روح العصر هى كلها متعلقة فى الكلام على الاشتراكية وبعض نظرياتها فان المتهم يقول فى شأنها انها دراسة علمية يريد بها توضيح معنى الاشتراكية للناس لانه يلتبس عليهم معناها وهو لا ينكر أن نشر مبادىء الاشتراكية قد يترتب عليه قلب نظام الملكية الفردية ، كما تقضى به مبادىء المذهب الا أن وسائل هذا المذهب فى تنفيذ برامجه ليست وسائل العنف والقوة ، وعمدة هذا المذهب نفسه كارل ماركس يرى أن تطور الظروف الاقتصادية وتغير ظروف الانتاج هى التى تؤدى الى التغيير •

وحيث أنه معروف حقيقة عن علماء هذا المذهب انه وان كانت مبادئه ونظرياته غير محدودة ، ولا متفق عليها بين كبار أقطابه الا انهم بوجه عام لا يقولون باستعمال القوة فى الحصول على تنفيذ مقاصدهم الا المتطرفين منهم ، والمتهم لم ينشر فيما كتب أو نقل بطريق الترجمة الى هذا النوع بل هو يتكلم عن الاشتراكية المعتدلة وهو مع هذا يعتقد ان الاشتراكية لم تجد لها أرضا خصبة فى مصر للاسباب التى ذكرها . وعلى كل حال فانه مع التسليم بأن مبادىء الاشتراكية على وجه عام من شأنها الغاء الملكية الفردية فان القوة ليست من وسائلها وعلماؤها لم يبينوا الوسائل التى تؤدى الى الغاء هذا النظام ويتركون تحقيقه للزمن تدريجيا — وأما كون المتهم لجأ أثناء كلامه عن الاشتراكية الى الاشارة أحيانا وبطريقة مختصرة الى الشيوعية أو الفوضوية فلم يكن ذلك بقصد نشر مبادئهما ولا تحبيذها وانما بيانا للفرق بينهما وبين الاشتراكية التى يتكلم عنها ورفعا للبس اذ أن كثيرا من الناس يخلط بين الاشتراكية وبين الفوضوية والشيوعية فليس مجرد ذكر شىء طفيف عنهما عرضا ليس فيه اشارة الى وسائل القوة التى هى أساسها يكون الجريمة التى أرادها القانون ، ولان الشرع يعرف هذه الحقائق ذكر سواء فى المذكرة التفسيرية للقانون نمرة ٣٧ لسنة ١٩٢٣ أو المذكرة التفسيرية للقانون نمرة ٩٧ لسنة ١٩٣١ الخاصين بالمادة ١٥١ ان القصد هو قمع الدعوة الخطرة التى تقوم بها الهيئات الفوضوية والشيوعية ، ولم يذكر عن الاشتراكية شيئا لان الشرع يقدر أن الخطر يأتى من أن الهيئات الفوضوية والشيوعية تعتمد على القوة المسلحة لتنفيذ أغراضها والمتهم عندما أشار عرضا الى الشيوعية أو الفوضوية لم يتعرض لدراستها ولا لنشر مبادئهما وانما اكتفى باشارة ليمنع القارىء من الخلط بينهما وبين الاشتراكية ولا يمكن القول بأن الفصل الوارد فى كتاب الاشتراكية الحديثة ص ٤٠ تحت عنوان : الشيوعية الزراعية فى روسيا يعتبر نشرا لمبادىء الشيوعية الروسية لأن المؤلف ذكر فى هذا الفصل أن الامتلاك الخاص للاراضى فى روسيا ، بالمعنى المفهوم فى غرب أوربا لم يكن موجودا من قبل تحرير الفلاحين — وان اباحة الملك الخاص هو فى روسيا الأصلية حالة أصلية قديمة واقعة ، فليس للفرد أن يملك أرضا وكل الأراضى فيما عدا تلك المشيدة فوقها أكواخ الفلاحين هى ملك للبلدية — فالملكية الرأسمالية الحقيقية للزراعة لم توجد فى روسيا الا بعد تحرير الفلاحين اذا سلبت من البلديات أكثر من ثلث أراضيها أعطي ملكا خاصا للاشراف ... الخ • من العبارات التاريخية السابقة على الثورة الروسية الى أن قال عندما نشبت الثورة البلشفية عام ١٩١٧ كان فى روسيا الكبيرة ٧٥٠ مليون فدان من الاراضى الزراعية العامة مقابل ٢١٥ مليون فدانا من المزارع والغابات الخاصة قد أعادها لينين بجرة من قلمه الى ملاكها الاول

أعنى القرى والبلديات ـ وظاهر من هذا الفصل انه دراسة تاريخية لا توضيح لمبادئ الشيوعية ونظرياتها .

وحيث انه مما تقدم يتضح أن ما كتبه جزء منه لا ذكر فيه لالغاء الملكية الفردية ولا نزع ملكيتها لا بالقوة ولا بغيرها وجزء منه وهو الخاص بالاشتراكية وان كان يتضمن تغيير نظام الملكية الفردية الا أن وسائله لا تتذرع بالقوة ولا بالتهديد ولا بطرق غير مشروعة .

وحيث أنه بناء على ما تقدم شرحه من أن الفقرتين الثانية والثالثة من المادة ١٥١ القديمة تشترطان لتكوين الجريمة استخدام القوة أو التهديد أو الطرق غير المشروعة . وبما أن هذا الركن غير متوفر فى الافعال المنسوبة له غير معاقب عليها ويتعين الحكم ببراءته على انه على فرض التسليم جدلا « وجدلا فقط » بأن الفقرة الثانية من المادة ١٥١ القديمة لا تتطلب توفر القوة فان القانون نمرة ٩٧ لسنة ١٩٣١ الذى عدل هذه المادة قد اشترط هذا الركن صراحة . وبما أن هذا القانون يعتبر لمصلحة المتهم لانه بتطبيقه على الافعال المنسوبة له تعتبر الجريمة غير متوفرة الاركان أى أن الفعل الذى كان يعاقب عليه القانون القديم اذا لم تكن هناك قوة بحسب هذا الغرض أصبح غير معاقب عليه بمقتضى قانون سنة ١٩٣١ وهو قانون بلا شك يعتبر فى مصلحة المتهم وقد صدر قبل الحكم فى القضية وهو الواجب تطبيقه دون غيره عملا بنص المادة الخامسة من قانون العقوبات ويكون الواجب الحكم ببراءة المتهم فى كلتا الحالتين عملا بالمادة (٥٠) من قانون تشكيل محاكم الجنايات :

فلهذه الأسباب

وبعد الاطلاع على المادة ٥٠ من قانون تشكيل محاكم الجنايات حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم .

صدر هذا الحكم علنا بجلسة يوم الاحد ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٣١ الموافق ١٢ رجب سنة ١٣٥٠ هـ .

رئيس المحكمة　　　　كاتب المحكمة

محضر تحقيق النيابة العسكرية مع أنور كامل

أقوال المتهم الأول / أنور كامل
أمام النيـابة العسكرية العليـا
فى قضية الاشتراكية المتهم فيها
مع أعضـاء جمعيـة ــ الخبـز
والحرية ــ بالاتفـاق الجنائى على قلب نظـام الحكم بالقوة ــ يونية ١٩٤٢ ٠

استدعيت أنور كامل وبسؤاله قال :

اسمى أنور كامل

س : اذكر لنـا تاريخ حياتك ٠

جـ : تخرجت من الجامعة الامريكية ١٩٣٢ ، ثم اشتغلت بمصلحة المساحة وكان لى نشاط سياسى محدود فى ذلك الوقت ، وفى سنة ١٩٣٩ أصدرت بيانا عن العمـال والفـلاحين فصلت بسببه من الحكومة وقد حققت النيابة فى هذا البيان وقررت حفظ القضية ٠ وفى يناير ١٩٤٠ أصدرت مجلة « التطـور » عندما كنت عضوا فى جماعة « الفن والحرية » ثـم حدثت ظروف اضطررت فيهـا الى اغلاق هذه المجلة وفى سبتمبر ١٩٤٠ ألفت جماعة « الخبز والحرية » للدفاع عن مصالح الطبقات العـاملة فى هذه البلاد ، وفى أواخر ١٩٤١ قبض على مع آخرين بتهمة الاتفـاق الجنائى على قلب نظـام الحكم بالقوة ٠ ولكن هذه القضية حفظت لعـدم موجود الادلة ، وأنا اليوم أمامكم لنفس التهمة كما يظهر لى ٠

س : هل التحقت رأسا بمصلحة المساحة ؟

جـ : نعم ٠

س : وهل كان لك شغف بالاطلاع على الكتب الاجتماعية فى ذلك الوقت ؟

جـ : أنا من طفولتى وأنا أفكر وأطلع ولعـل بعض الاسـاتذة فى الجامعة الامريكية يذكرون لى هـذا

س : ما هو الظرف المباشر الذى جعلك تصدر بيانا عن العمال والفلاحين ؟

جـ : لم يكن هنـاك ظرف مباشر وانما هذا البيـان كان بداية لفكرة أخذت تختمر فى رأسى مع الزمن ٠

س : ما هي الاسس التى قام عليها تفكيرك هذا ؟

جـ : أظن أن المسألة واضحة جدا وان فى هذه البلاد ملايين يعيشون فى حالة تشبه البهائم بينما تتمتع أقلية بكل موارد الثروة فى البلاد •

س : ما الذى تناوله بيانك حتى حقق معك وفصلت بسببه ؟

جـ : تناول البيان حالة العمال والفلاحين وصغار الموظفين من جهة وحالة الملاك وأصحاب الصناعات وكبار الموظفين من جهة أخرى •

س : ألم يحتو البيان على تحريض لاتباع طريق معين للتخلص من هذه الحالة ؟

جـ : أنا لم أعرض طريقا معينا فى ذلك الوقت وكانت المسألة كلها مجرد مقارنة وعلى هذا حفظت القضية جنائيا •

س : هل كان لك شعبة أو جمعية حتى ذلك الوقت ؟

جـ : لم يكن لى شعبة ولا جمعية فى ذلك الوقت •

س : وما الذى فعلته بعد أن فصلت من المساحة ؟

جـ : أنا فصلت من المساحة فى يوليو ١٩٣٩ وفى يناير ١٩٤٠ أصدرت مجلة « التطور » •

س : هل كان لديك رأس مال لاصدار هذه المجلة ؟

جـ : الواقع أن هذه المجلة لم تكن تحتاج الى رأسمال كبير ، والمجلة كانت تصدرها جماعة « الفن والحرية » وقد كنا نجمع تكاليف الاعداد من أعضاء الجماعة •

س : كيف اتصلت بجماعة « الفن والحرية » ؟

جـ : كنت عضوا مؤسسا فيها •

س : من هم الاعضاء المؤسسون لجماعة « الفن والحرية » ؟

جـ : أذكر منهم جورج حنين وكامل التلمسانى وفريقا آخر من المثالين والفنانين •

س : وما هو الغرض الذى كانت ترمى اليه جماعة « الفن والحرية » ؟

جـ - غرض هذه الجماعة كان ينحصر فى نشر الثقافة المتقدمة ، وايقاف

الشباب المصرى على الحركات الفنية فى العالم وتشجيع الآداب والفنون فى مصر وذلك عن طريق اصدار المجلات والقاء المحاضرات واقامة المعارض العامة وما الى ذلك من مختلف وسائل النشر المشروعة ٠

س : هذا الغرض يتمشى مع كلمة الفن فما الغرض من كلمة الحرية ؟

جـ : الفن أنواع فهناك فن رجعى يتأثر بالقيود والقيم البالية وهناك فن حديث يتحرر من هذه القيود ٠ ومن هذه القيم فالفن الذى كانت تعمل على نشره جماعة « الفن والحرية » هو النوع الثانى بلا جدال ٠

س : من الذى كان يتولى تحرير هذه المجلة ؟

جـ : أنا كنت رئيسا للتحرير فى هذه المجلة وقد كان يكتب فيها العديد من الكتاب المتقدمين فى هذه البلاد أمثال جورج حنين ورمسيس يونان وكامل التلمسانى وعبد العزيز هيكل وغيرهم ٠

س : الى متى استمرت مجلة « التطور » ؟

جـ : تسعة أشهر ووقف اصدارها بعدها لاسباب ترجع أولا الى غلاء أسعار الورق وعدم توزيع المجلة توزيعا كافيا ثم الى عوامل أخرى خفية كضغط الحكومة وشدة الرقابة من ناحية أخرى كل هذا كان باعثا على اغلاق المجلة ولو الى حين ٠

س : ولكنك ذكرت أولا أن المجلة لم تكن تحتاج الى تكاليف اذا كانت تمدها اعانة الاعضاء ؟

جـ : هذا صحيح ولكن من العبث أن تستمر فى اصدار مجلة تعمل جهات مختلفة على تحطيمها ، وعدم اذاعتها بين الناس بحيث لا يباع منها الا عدد ضئيل جدا مع العلم انها باعتراف أقطاب الادب فى مصر تضارع المجلات المتقدمة فى أوروبا ٠

س : ما السبب الذى من أجله كانت الحكومة تحارب المجلة على النحو الذى تذكره ؟

جـ : هذا يمكن سؤال الحكومة عنه ، وعلى كل حال أظن ان تاريخ العالم ملئ بحكومات بعضها متقدم وبعضها رجعى ، والحكومة فى ذلك الوقت كانت بلا جدال حكومة رجعية ٠

س : الم تكن تحوى المجلة فى ذلك الوقت مقالات مثيرة ؟

جـ : مسالة مثيرة وغير مثيرة أمر نسبى ، فما تراه انت مثيرا اراه انا شيئا عاديا والعكس بالعكس وعلى كل حال اذا كان فى هذه المجلة بعض مقالات

مثيرة مما يدخل تحت طائلة القانون فلماذا لم تحاكمنا الحكومة على ما جاء فى هذه المقالات ..

س : هل استمرت جماعة « الفن والحرية » قائمة بعد غلق المجلة ؟

جـ : لا أعرف بالضبط ولكنى أعتقد أنها لا تزال قائمة دون أن يكون لها مقر فهى تقيم كل سنة معرضا ، وآخر مرة أقيم هذا المعرض فى فندق الكونتيننتال وكان عبارة عن لوحات فى الفن الحديث .

س : وهل استمرت عضويتك فى الجماعة بعد غلق المجلة ؟

جـ : لم تستمر عضويتى فيها لان أصبح لى نشاط آخر .

س : هل كنت تتقاضى من مجلة التطور مرتبا ؟

ج : لا ..

س : اذن كيف كنت تقوم بأود حياتك ؟

جـ : كنت مقيما مع عائلتى .

س : ما هو النشاط الخاص الذى اتجهت اليه والذى كان أساسا لتركك جماعة « الفن والحرية » ؟

جـ : بدأت اتجه اتجاها اجتماعيا أكثر من الاتجاه الذى كانت تسير عليه

فألفت جمعية « الخبز والحرية » للدفاع عن الطبقات العاملة ولكن بكل أسف قوومت هذه الجمعية من البوليس مقاومة عنيفة لم أفهم لها سببا حتى تحولت من جمعية اجتماعية سياسية الى حلقة فكرية تضم بعض العناصر المتقدمة فى الفكر فكانوا يزورونني فى منزلى وكنت أتحدث اليهم فى مختلف الشئون .

س : هل اتخذت لجمعية « الخبز والحرية » مقرا خاصا ؟

جـ : اتخذت لها مكانا خاصا بشارع محمد على بعمارة المؤيد .

س : من الذى كان يقوم بالانفاق على هذه الجمعية ؟

جـ : نفقات الجمعية كانت ضئيلة بمعنى انها كانت تكاد لا تتعدى ايجار مكانها واظن ان مبلغا تافها كهذا ...

س : التفاهة مسألة نسبية فهل كان من أعضاء الجمعية من يستطيعون دفع هذا المبلغ مضافا اليه النور والخدمة والمطبوعات ؟

جـ : نعم كان فى الجمعية من يكفى للقيام بهذا .

س : من هم الاعضاء الذين اشتركوا فى تأسيس الجمعية فى ذلك الوقت ؟

جـ : تألفت الجمعية فى بادىء الامر منى ومن عبد العزيز فهمى هيكل وأسعد جليم جرجس وفتحى الرملى وصالح عرابى .

س : ما هو النشاط الخاص الذى أسست على اساسه جمعية « الخبز والحرية » ؟

جـ : فى بادىء الأمر كان النشاط ينحصر فى القاء المحاضرات العامة ونشر بعض المؤلفات المترجمة دفاعا عن مصالح الطبقات العامة أو ايقاظا لنوع من الرأى العام سواء بالطرق المباشرة أو غير المباشرة .

س : ألم تكن مجلة « التطور » ترمى الى هذا الغرض ؟

جـ : نعم ولكنها كانت مصطبغة بالصبغة الفنية الى حد كبير بحيث انها لم تكن مرتكزة فيما يتصل بالمسائل الاجتماعية .

س : ما هو الطريق المباشر وغير المباشر الذى كانت الجمعية ترمى اليه ؟

جـ : الطريق المباشر هو أن تنشر بحوثا تتصل مباشرة بشئون العمال وغير المباشر هو أن تنشر نوعا من الادب يعالج مسائل المجتمع فتؤثر فى الرأى العام بطريقة غير مباشرة أو على درجتين كما يقولون .

س : ما هو السبيل الذى كانت ستتخذه الجمعية لتحقيق هذا الغرض ؟

جـ : توحيد الرأى العام حول « الخبز والحرية » وحول الافكار التى تعمل على اذاعتها .

س : وما هى الطريقة لاحداث هذا التوحيد ؟

جـ : هى أن تقتنع الناس بصحة الافكار التى تنادى بها فاذا اقتنع بها الناس فانهم بلا شك سيسيرون مع « الخبز والحرية » فى كفاحها من أجل بناء مجتمع أصلح .

س : ولكن ما هى الطريقة التى ستؤدى الى توصيل مبادىء الجمعية الى الناس ؟

جـ : بالخطب العامة وبالنشرات وبكافة الطرق المشروعة .

س : ولكن هذا يحتاج الى مال فمن أين كانت سترد اليكم المادة المؤدية الى تحقيق هذا الغرض ؟

جـ : الطبيعي أننا كنا سننفق انفاقا يتناسب مع عدد أعضاء الجمعية وكلما زاد عدد الاعضاء أمكننا ان ننفق مقدارا أكبر من المال على اصدار هذه النشرات واقامة هذه الاجتماعات العامة ٠

س : هل نشرتم عن الجمعية فى المجلات والجرائد ؟

جـ : أرسلنا الى جميع الجرائد والمجلات ولكنها لم تنشر شيئا عنها والظاهر أن هذه الجرائد والمجلات تخشى هى الاخرى كل ما هو جديد ، أما المحاضرات التى كنا نعلن عنها فقد كانت تشير اليها ، الا أن القلم السياسى بكل أسف كان يمنع هذه المحاضرات ٠

س : ألم ينشر خبر عن الجمعية فى «المجلة الجديدة» أو «حرية الشعوب» ؟

جـ : لا أنكر ٠

س : اذا كان الامر كذلك فقد سدت فى وجه الجمعية طرق النشر والمحاضرات فما هى الوسيلة اذن لنشر الدعاية عنها ؟

جـ : قلت فيما سبق أن الجمعية تحولت تحت ضغط البوليس الى حلقة فكرية ٠ وقلت أيضا أن بعض الاشخاص كانوا يترددون على وكانوا يستمعون الى ما اقول من احاديث ولقد كان هذا فى الفترة الأخيرة هو نشاط الجمعية التى كنا نسميها جمعية بحكم العادة ٠ وقد فاتنى أن اذكر أننا أصدرنا نشرة عن « مشاكل العمال فى مصر » ٠

س : كيف كان تكون الجمعية فى مبدئها ؟

جـ : أنا كنت رئيسا ٠ وكان هناك أربعة أعضاء آخرون ثم انضم الينا بعد ذلك عدد آخر ولكن لا أعرف عناوينهم الان ، لان هناك أوراقا كثيرة صودرت ومن بينها استمارات العضوية ٠

س : ما هى البواعث التى أدت الى ضبط الجمعية وعمل التحقيق الذى تقول عنه ؟

جـ : أعتقلت وقدمت للنيابة وحقق معى ٠ وقد حفظت الاوراق لعدم وجود أدلة وأفرج عنى ٠

س : ومن كان متهما معك فى هذه القضية ؟

جـ : مجموعة من الناس منهم عبد العزيز هيكل وأسعد حليم وفتحى الرملى وخضر محمود خضر ولبيب حنا وغير هؤلاء وقد تعرفت بهم جميعا فى ادارة مجلة « التطور » ٠

س : وما الذى حصل بعد أن أفرج عنك فى القضية المذكورة ؟

جـ : ظللت أواصل دعوتى الى الاصلاح ، وكان كثير من الناس يزورونني فى المنزل وكنت أتحدث مع هؤلاء الناس ولكن الجمعية كما قلت كانت قد تحولت الى حركة فكرية أو الى تيار فكرى فلما رأيت أن عدد المترددين على قد كثر فكرت فى أن أعيد تنظيم الجمعية اما باسم « الخبز والحرية » واما باسم آخر هو « الحزب الاشتراكى » وكنت قد فكرت أيضا فى أن أدعو الى اجتماع عام يعقد فى ١٦ سبتمبر ١٩٤٢ يضم جميع العناصر ذات الميول الاشتراكية فى مصر لاعلن تاليف هذا الحزب ٠

س : هل اتخذت مقراً جديداً لجمعية « الخبز والحرية » بعد أن أفرج عنك ؟

جـ : انا لم أتخذ لها مقرا جديدا وانما اتخذت مسكنا لى بشارع القصر العينى رقم ٦٠ الف ٠

س : ولكنك قررت انك كنت تقيم مع أهلك ؟

جـ : انا كنت أتحدث عن الزمن الماضى ٠

س : وكيف كنت تنفق بعد أن اتخذت هذا المكان الجديد حتى قبض عليك؟

جـ : انا تركت العائلة منذ سنة وفى هذه الفترة أصدرت كتاب « مشاكل العمال فى مصر » وقد ربحت من هذا الكتاب مبلغا من المال لا يقل عن الخمسين جنيها وأظن أن هذا المبلغ يكفينى كفرد عادى من أفراد الشعب ٠

س : كيف انتشرت الدعاية للجمعية حتى أقبل عليها اشخاص كثيرين كما تقول ؟

جـ : انتشرت بقوة الكلمة المنطوقة التى كنت أرسلها فى أحاديثى والتى كان المستمعون الى ينقلونها عنى فى كل مكان ٠

س : هل كان لديك سجل تكتب فيه أسماء الاعضاء الذين يشتركون فى الجمعية ؟

جـ : كان لدى سجل ولكن عندما تحولت الجمعية الى حلقة فكرية كما ذكرت كنت أكتفى بكتابة الاسماء فى مذكرة خاصة ٠

س : وأين هذه المذكرة ؟

جـ : أظن انها فقدت ان لم تكن وقعت فى يد القلم السياسى ٠

[redacted]

س : هذه المذكرة لم توجد بين الاوراق المضبوطة فى منزلك مع انه وجدت خطابات وأسماء بعض الاعضاء وعناوينهم تحت الارسال مما يدل على أنها نقلت من سجل خاص الامر الذى يدل على أن لديك سجلا تعمدت اخفاؤه ٠

جـ : ليس فى هذا شيء من الحقيقة فأنا كتبت هذه الخطابات فى يوم الاربعاء مثلا والمذكرة فقدت منى فى نفس اليوم أو فى اليوم التالى ٠

س : أين كنت تحتفظ بهذه المذكرة ؟

جـ : هذه المذكرة كنت أحملها دائما فى جيبى والظاهر انها سقطت منى بعد كتابة هذه الخطابات وقد تأسفت جدا على افتقادها بطبيعة الحال ٠

س : هل كنت تأخذ أسماء الاعضاء رأسا من هذه المذكرة ٠

جـ : نعم وهذه المذكرة عبارة عن ورقة مطوية غير معتنى بهما ٠

س : كم يبلغ عدد الأعضاء فى الفترة الاخيرة ؟

جـ : لا أذكر ولكنى أؤكد أنه عدد كبير ٠

س : وهل الورقة المطوية تكفى لتسجيل هذا العدد الكبير ؟

جـ : نعم ٠ فقد كانت عبارة عن فرخ من أربعة اوجة وكانت مطوية فكانت تتسع لكتابة أسماء لأربعة أمثال الاسطر الموجودة فيه ٠

س : ألم تكن هذه الورقة مسودة تنقل ما فيها الى سجل آخر تودعه جهة لا يصل اليها التفتيش ؟

جـ : هذا غير صحيح وهذه المسودة كنت أحتفظ بها لشيء واحد وهو الدعوة الى اجتماع ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٢ الذى كنت أفكر فى عقده ٠ وأظن ألا داعى لاخفاء هذه الورقة لاننى أعتقد اننى لم أرتكب جريمة وأن الاشخاص الذين اتصلوا بى والذين يؤمنون بالافكار التى أنادى بها لم يرتكبوا هم أيضا جريمة ولو اننى أريد أن أخفى إنتشار الحركة لقلت لك أن عدد من اتصلوا بى صغير ٠

س : من هم الاعضاء الذين ظلوا فى الجمعية بعد أن أفرج عنك ؟

جـ : عبد العزيز هيكل كان يتصل بى دائما وأسعد حليم كان يتصل بى من حين لآخر وفتحى الرملى كنت أراه بطريق الصدفة وكذلك صالح

عرابى . اما بقية الاشخاص الذين كانوا متهمين معى فى القضية فكنت أتصل بهم نادرا .

س : هل كان للجمعية فى الوقت الاخير مجلس ادارة ؟

جـ : أنا قلت ان الجمعية تحولت الى حلقة فكرية . فلم يكن هناك اذن مجلس ادارة وانما كان هناك شخص يتكلم الى أشخاص ، وقلت أيضا أننى فكرت عندما رأيت زيادة المترددين على منزلى فى تنظيم الجمعية من جديد أو فى تأليف الحزب الاشتراكى فى الاجتماع الذى كنت ساعقده فى ١١ سبتمبر ١٩٤٢ وبطبيعة الحال بعد تصريح من القلم السياسي .

س : ولكن الخطابات التى ضبطت عندك والتى ضبطت لدى بعض أعضاء الجمعية كلها موقع عليها بامضاءك تحت كلمة الرئيس مما يدل على أنه كانت هناك جمعية مثلا ؟

جـ : أنا قلت ان اسم الجمعية ظل يجرى على ألسنتنا بحكم العادة .

س : كنت توجه الخطابات الى العضو باسم الزميل مما يدل على أن الجمعية كانت تتخذ اصطلاح خاص الامر الذى يدل على أنه كان هناك تنظيم خاص ؟.

جـ : كل من كان يتصل بى ويستمع الى وأرى أنه يميل الى المبادىء التى أنادى بها كنت أسميه زميلا .

س : كانت تحوى هذه الخطابات شىء من التأنيب على عدم المحافظة على المواعيد بما يتنافى صدوره الا من زعيم الى أعضائه .

جـ : هذا كلام يصح أن يصدر من أى أستاذ الى أى تلميذ وهؤلاء الاشخاص جميعا هم تلاميذ لى بالفعل .

س : كنت تتكلم فى كثير من هذه الخطابات عن الحركة وهذا يدل من ناحية أخرى على أن الجمعية ذات نظام خاص يرمى الى احداث حركة معينة .

جـ : الحركة يمكن أن توجد بدون وجود جمعية وبدون وجود تنظيم خاص ونحن مثلا نستطيع أن نقول الحركة الفكرية فى فرنسا فى القرن التاسع عشر دون أن يكون لهذه الحركة تنظيم خاص ونستطيع أن نقول ان الحركة الفكرية التى أنشأها فى مصر جمال الدين الافغانى دون أن يكون لجمال الدين الافغانى تنظيم خاص .

س : هذا التفسير فى الملابسات التى تذكرها إنما يتأتى على لسان المؤرخين أو من يصفون عصرا معينـا اما ان يقـول شخص عن نفسه أنه زعيم الحركة فهو يدل على أنه يقود جماعة ترمى الى عمل وتوصل اليـه بتنظيم ما .

جـ : أنا قلت أن هنـاك جمعية انقلبت الى حركة فكرية ولما ازداد عدد أنصار هذه الحركة الفكرية فكرت فى تكوين الجمعية من جديد أو عقد مؤتمر لاعلان تأليف الحزب الاشتراكى .

س : هل كان للجمعية أمين صندوق ؟

جـ : فى الفترة الاولى كان لهـا أمين صندوق هو عبد العزيز هيكل أولا ثم أسعد حليم ثانيا . أما فى الفترة الاخيرة فلم يكن لهـا أمين صندوق .

س : ألم تكن تجمع تبرعات فى الاناء الأحمر ؟

جـ : كنت أجمع بعض التبرعات فى الاناء الاحمر فى بعض الاحايين بقصـد المحافظة على ارسال بعض الخطـابات أو ما الى ذلك .

س : ما هى المحاضرات التى كنت تلقيهـا على الأعضاء ؟

جـ : كنت أتكلم عما أريـد تطبيقـه فى هذه البـلاد وكنت أتكلم فى كثـير من المواضيع الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية

س : أذكر لنـا بالتفصيل المبادىء التى كنت تذكرها .

جـ : كنت أتكلم عن مشاكل المجتمع المصرى عن الفقر والمرض والجهل . كنت أشرح علة هذه المشاكل وأحصر هذه العلة فى نظـام الطبقات . كنت أقول ان الكتاب فى مصر ودعاة الاصلاح فيها ينظرون الى هـذه المشاكل دون أن يقفوا على العلة التى تنبنى عليهـا ، فهم يقولون مثلا أن الستة عشر مليونا من المصريين يعيشون بمتوسط ضئيل لا يزيـد فى أحسن الظروف عن عشرة جنيهات فى السنة ثم ينادون لاصلاح هـذه الزيادة — ونحن ننادى بها بـلا جـدال — لكن الزيادة لن تؤخـر ولن تقـدم فى الحقيقـة الرهيبة التى يصطبغ بهـا الواقع المصرى فالدخل فى هذه البلاد لا يوزع مثل هذا التوزيع وانما يحظى بالنصيب الاكبر منه بضعة ألوف من الملاك والرأسماليين والتجـار والمولين بينما يعيش سواد الشعب من عمـال وفـلاحين على دخول ضئيلة لا تكفى القـوت وهذا التوزيع السىء للدخل يرتبط بلا جدال بالتوزيع السىء لوسائل الانتـاج (الأراضى الزراعية والمصانع) فاذا كانت وسائل الانتـاج مركزة فى أيـدى فئة ضئيلة من الملاك العقـاريين والرأسماليين فـان

لتوزيع المنتجات لا بد وأن يتأثر بهذا التوزيع السيء لوسائل الانتاج فلكي نعالج الفقر الذي يخيم على أكثر من اربعة عشر مليونا من المصريين لا بد إذن من الغاء السبب الذي يؤدي الى هذا التوزيع السيء في الدخل وهو نظام الطبقات أو بعبارة أخرى لا بد من توزيع عادل لوسائل الانتاج بمعنى أن تتولى الحكومة الاشراف على هذه الوسائل فيشتغل جميع الافراد في الدولة كل فرد منهم حسب مقدرته وتعطى أجرا لكل فرد حسب العمل الذي يقوم به هذا فيما يتصل بمسالة الفقر ٠

أما المرض فان الكتاب ودعاة الاصلاح في هذه البلاد قد اعتادوا أن يقولوا ان في مصر خمسين مليون حالة من حالات المرض المختلفة أو بعبارة أخرى اننا لو وزعنا مجموع هذه الامراض على أفراد الشعب لأصاب كل فرد منهم في المتوسط ثلاثة أمراض وهم ينادون لعلاج هذه الحالة بحث الحكومة على انشاء المستشفيات ولكننا نرى أن هناك وجها آخر لهذه المسالة فمشكلة المرض ـ كمشكلة الفقر ـ تتصل هي الاخرى بنظام الطبقات ٠ فاذا كان الدخل يتناسب تناسبا طرديا مع مقدار ملكية وسائل الانتاج فان المرض يتناسب تناسبا عكسيا مع مقدار هذه الملكية ٠ ولهذا فنحن نجد أن الامراض تتركز في جانب الاغلبية المجردة من الثروة بحيث يصيب في بعض الحالات افراد هذه الاغلبية أكثر من عشرة أمراض في نفس الوقت وهؤلاء الكتاب وهؤلاء المصلحون الذين يطالبون الاغنياء بالعناية بصحة الفقراء يتصورون بهذا أن الاغنياء قد يمنون بجزء من المال ينفقونه على العمال والفلاحين الذين يشتغلون في مزارعهم وفي مصانعهم ٠ وهذا عبث ما دام في مقدور الجنس البشري أن يتوالد ويتكاثر دون انقطاع فيعوض هؤلاء الاسياد عن عبيدهم الذين أفناهم المرض بجيل آخر من العبيد ينتظرهم نفس المصير ٠ فلهذا فنحن نرى أن المالك يستدعي الطبيب لعلاج جاموسته اذا مرضت بينما يترك الفلاح الذي يزرع له الارض اذا مرض حتى يموت أو على الاقل لا يعنى به العناية الكافية لعلاج المرض ٠

اذن لا بد من حكومة شعبية تشرف بنفسها على كل شيء في الدولة

واما الجهل فقد اعتاد الكتاب ودعاة الاصلاح هؤلاء أن يقولوا أن عشرين في المائة من أفراد هذا الشعب أو أقل هم الذين يحظون وحدهم بحق العلم ٠ هذا إذا كانت القراءة والكتابة هي الحد الفاصل بين الجهل والعلم ٠ يقولون هذا ثم يطالبون بالعناية بالتعليم ونشر المدارس وينسون أن هناك للمشكلة وجها آخر اذ تتصل هي الاخرى

بنظام الطبقات . فلو وزعنا عدد الطلبة الذين يدرسون في معاهد العلم المختلفة تبعا لاختلاف مهن آبائهم لوجدنا أن أبواب المدارس لا تفتح الا لأبناء الأغنياء بينما تغلق في وجوه الفقراء وقد يقال أن أبناء الفقراء يتعلمون هم أيضا والمدارس ملأى بهم ولكن لهذه المسألة سر وهي أن أبناء الاغنياء لا يكفون لادارة شئون الدولة الحكومية وغير الحكومية فهم يعمدون الى تعليم فريق من أبناء الفقراء لكى يكملوا به جهاز الدولة حتى اذا امتلأت الوظائف الحكومية وغير الحكومية ارتفعت بعض الصيحات الرجعية وهي تمثل مصالح المستغلين بضرورة تحديد التعليم – أما نحن فاننا نريد العلم لكل فرد من أفراد الشعب – وهذا بدوره لا يمكن أن يتحقق الا اذا قامت على رأس البلاد حكومة شعبية تسيطر على وسائل الانتاج وعلى الحياة الاقتصادية التي هي أساس لجميع الغايات الاجتماعية المختلفة ومن بينها التعليم – هذا فيما يتعلق بمشاكل المجتمع المصري ومدى ارتباطها بنظام الطبقات وكنت أتكلم الى جانب هذا عن طبيعة الاستغلال في المجتمع الحاضر .

كنت أثبت أن كل ربح يحصل عليه صاحب رأس المال انما يحصل عليه من جهود العمال فالعمل هو الذي يعطي للسلعة قيمتها والعمل يقوم به العمال واذن فكل ثروة في المجتمع الحاضر هي عبارة عن عمل متجمع . واذن فصاحب رأس المال ان كان يحصل على جزء من المنتجات فان هذا معناه أنه يستولي دون وجه حق على على عمل يقوم به العمال .. ولكى نلغي هذا لا بد وأن تضع الحكومة يدها على جميع وسائل الانتاج حتى يعمل جميع أفراد الشعب وتأخذ من كل فرد منهم حسب قدرته وتعطي لكل فرد حسب عمله . وكنت أتكلم أيضا عن موقف الاحزاب المصرية من الشعب المصري . هل هي تدافع عن مصالح طبقات معينة أم تدافع عن مصالح هذا الشعب فكنت أقول أن هذه الاحزاب جاءت لتدافع عن مصالح الطبقات المستغلة فالذي أفاد من الحركة الوطنية هم الرأسماليون المصريون ضد الرأسماليون الاجانب . والذي أفاد من التيار الديمقراطي هم أعيان البلاد ورأسماليوها أما الشعب فانه لم يمثل أبدا في البرلمان . ولكن هذا لا يمنع من أن نقدر لهذه الحركة قدرها على أن تكمل الديمقراطية السياسية وتدعمها بنوع آخر من الديمقراطية الاقتصادية .

وكنت أتكلم أيضا عن الدور الذي ستلعبه « الخبز والحرية » في تاريخ البلاد وهو تحقيق مجتمع لا أثر فيه لاستغلال الانسان للانسان مجتمع تكون على رأسه حكومة شعبية تشرف على الانتاج وتضمن عدالة التوزيع .

س : يؤخذ من مبادئك انك تنادى بالغاء الرأسمالية ؟

جـ : بلا جدال ٠

س : ما ذا يكون مصير الاموال المملوكة للافراد ؟

جـ : رؤوس الاموال تنتقل كلهـا الى حكومة الشعب فنبدأ أولا بنقل شركات الاحتكـار الى ملكيتها ، وهكذا فى بقيـة وسائل الانتاج الكبير الى أن يتحقق بالتدريج تحـول رأس المـال كله اليهـا ٠

س : ألا يجوز أن يكون للشخص ثروة خاصة ؟

جـ : يجوز أن يكون للشخص ثروة خاصة بحيث لا يستغل عن طريقهـا الآخرين ٠

س : اذن أنت تريد بمبادئك أن تلغى النظـام القـائم ؟

جـ : نعم ٠ أنا أريد بمبـادئى أن ألغى النظـام القـائم ٠ أنا أريد أن أحقق نظاما أصلح ٠

س : وبأى وسيلة تستطيع تنفيذ هذا ؟

جـ : سننشر هذه المبادىء على الناس واذا اقتنعوا بهـا نستطيع أن ننفذها

س : وبأى طريقـة تنفذها ؟

جـ : بالطرق المشروعة ٠

س : واذا أبى أولى الامر هذه المبادىء ؟

جـ : كيف يأبون ما دامت الاغلبية ستكون معنـا ؟

س : وماذا يكون العمل لو أن الطبقـات الحاكمة لا ترى هذا الرأى ؟

جـ : اذا رأت الطبقـات الحاكمة غير هذا الرأى سنتقـدم الى البرلـان بعد أن يقتنع الشعب بهـا ٠ وبتقـدمنا الى البرلـان نستطيع أن نحقق مبادئنـا لانه ستكون لنـا أغلبية فيه ٠

س : لقـد ثبت من أقوال كثيرين ممن حضروا دعايتك انك كنت تقـول أنه عند تحرج الحـال ستنفذ الامر بقوة السلاح ؟ ٠

جـ : هذا غير صحيح وربما أخطأوا السمع أو أخطـأوا الفهم ٠

س : لقـد ذكر أولئك الشهود وبعض المتهمين نص العبارات التى ذكرتها الان فى أقوالك وكثيرا من التفصيلات التى أيدت بها مشروعاتك مما لا يدع

مجالا للشك فى أنهم أساءوا الفهم فى عبارات إستعمال السلاح .

جـ : أظنك تذكر اننى قلت ان بعض الافراد لم يستطيعوا فهم نظرياتى كنظرية « قيمة السلع » .

س : هذه النظرية نقلها عنك تلاميذك فعلا فى التحقيق بحرفياتها دون تفهم لحقيقة المقصود منها أما مسألة استعمال السلاح فهى مسألة ليس فيها فلسفة أو منطق عميق بحيث يتعذر فيها الفهم أو يخطئها السمع .

جـ : اننى أعود فأكرر أنه ليس فى برنامجى مطلقا أن استعمل القوة المسلحة وكل من يقول هذا القول أحد أمرين اما أن يكون خاضعا لجبهة ما أثرت عليه حتى يشهد شهادة زور ، واما أن يكون قد أخطأ الفهم .

س : لقد ثبت هذا من أقوال المبلغين عن الحادث وهم سعد زغلول عاشور وكمال الدين عزت وصلاح الدين محمد الذين تقدموا من أنفسهم مبلغين دون أن يدرى أحد انك ذكرت هذه العبارات .

جـ : لست أدرى ان كان هؤلاء قد بلغوا من تلقاء أنفسهم أم تلقاء غيرهم ثم هناك شىء يدعو الى الشك وهو أن مأمور القسم ذكر لى فى المحضر الذى أجراه معى أن شخصا يدعى سعد زغلول عاشور ومعه زميلان لا أذكر اسميهما الان يقررون اننى أعمل على القيام بحركة ثورية مسلحة كما حصل فى أسبانيا وشهادة مثل هؤلاء الشهود لا يمكن أن يؤخذ بها لان هذا القول ملىء بالتناقض فالانقلاب الذى حدث فى أسبانيا انقلاب فاشى ونحن معروفون بعدائنا للفاشية بدليل ما نشرناه من قبل . ففى جماعة « الفن والحرية » أصدرنا بيانا ضد الفاشية عندما أحرقت فى ألمانيا مؤلفات كبار الكتاب فى الميادين العامة ، وهاجمناها أيضا فى المقالات التى كتبت فى مجلتنا « التطور » وكذلك فى رسالة « مشاكل العمال فى مصر » .

س : ذكر كل من ابرام ميخائيل ومحمد أبو السعد وأحمد عبد المجيد صيام ومصطفى اسماعيل سويف ومحمد سعيد عبد الله انك ناديت فيهم بتحريض الشعب على اعتناق مبدأ الغاء الرأسمالية على أن تكون قوة استعمال السلاح هى الوسيلة لتحقيق هذا المبدأ .

جـ : لم أقل شيئا من هذا . واذا كان صدر منى هذا حقيقة فهل قال به جميع الذين استجوبوا فى التحقيق ؟

س : لقد ذكرت هذه الاقوال من المقبوض عليهم محمد سعيد عبد الله وابرام ميخائيل ومصطفى اسماعيل سويف وأحمد محمد أحمد .

جـ : هنـاك أفراد آخرون الذين لم يقـولوا هذا القـول وهذا دليل على أن هذه الاقوال ليست صحيحة ثم هناك شيء آخر اريد أن أسأله وهو لماذا لم يعتقـل سعد زغلول عاشور وزميلاه اللذان لا أنكر اسميهما مع أنه ثبت أنهم متصلون بنـا على الاقل من الخطـاب الذى أرسلته الى سعد زغلول عاشور .

س : لقـد أفرجت النيابة عن الاشخاص الذين رأت الى الان من التحقيق انهم لم يتصلوا بالجمعية ويؤيدوا أفكـارها أو انفصلوا عنها لما تبينوا مبادئها .

جـ : ألا يجوز أن يكون هذا تهربا ؟

س : تقـدم بعضهم بالبلاغ دليل مادى على عدم أخذهم بمبادىء الجمعيـة وكذلك مركز بعضهم وما ثبت من عدم ترددهم أكثر من مرة واثنتين وانقطـاعهم على اثر علمهم بالغرض الجنائى من قيام الجمعية .

جـ : جميع المقبوض عليهم لم يترددوا على منزلى اكثر من مرة أو مرتين أما البلاغ فيمكن أن يكون قـد قـدم تحت تأثير معين .

س : الأشخاص المقبوض عليهم ثبت ترددهم عليك أكثر من خمس أو ست مرات .

جـ : ليسـوا جميعـا ومعظم هؤلاء الافراد لم يترددوا أكثر من تردد المبلغ سعد زغلول عاشور ، على أى حال فاننى أعود فأكرر أن ما قيل عن استعمال السلاح قـول لا أساس له من الصحة .

س : ما هو موضوع الاسماء الـ ٢٩٩ التى ضبطت بالكراسة التى ضبطت عنـدك ؟

جـ : هذه مجموعة من الاسماء حصلت عليهـا من أشخاص مختلفين لكى ارسل اليهم بيـانا أو نداءا قـد أصدره .

س : ما وجه اختيارك لهؤلاء الاشخاص ؟

جـ : هذه الاسماء عرفت عن طريق سؤال بعض أصدقائى دون نظام ما .

س : هل لك عـلاقة شخصية بهؤلاء الاشخاص ؟

جـ : لا ، وأنا لا أعرف أغلبهم وليست لهم علاقة بالجمعية .

س : هل تعرف شخصا يدعى التنطراوى ؟

جـ : أنا لا أذكر هذا الخطاب ولا أذكر الاصطلاحات الواردة فيه .

س : وجدت عندك أوراق بها مقالات عن الفاشية وثورة الطبقة الوسطى والديكتاتورية والرأسمالية الضخمة والفاشية والثورة ومقالات أخرى عن هذا الموضوع .

جـ : هذه سلسلة مقالات قام باعدادها الزميل عبد العزيز فهمى هيكل عن الفاشية وكيفية قيامها فى المانيا وايطاليا وبعض دول أوروبا الوسطى .

س : وما هذه القصص (عرضنا عليه الاوراق المكتوبة بالالة الكاتبة تحت نمرة ١٦ من محضر فحص الاوراق) .

جـ : هذه قصة روسية لانطون تشيكوف .

س : ومن هو سعيد هذا الكاتب للخطاب المؤرخ ١٩٤٢/٣/١٨ ؟

جـ : أنا متذكر هذا الخطاب ولكن لا أتذكر من الذى أرسله .

س : هل تعرف شخصا يدعى أنور شتا مرسل الخطاب نمرة ٢٠ ؟

جـ : أنا أذكر هذا الشخص ولكن لا أعرف عنوانه .

س : هل لك علاقة بحزب مصر الفتاة ؟

جـ : كانت لى علاقة بحزب مصر الفتاة ولكنها انقطعت .

س : ورد اليك خطاب بامضاء مصطفى نائب الحزب .

جـ : هو مصطفى الوكيل نائب رئيس الحزب .

س : هل تعرف شخصا يدعى توفيق الالايلى ؟

جـ : أعرف هذا الاسم ولكنى لا أذكر صاحبه .

س : هل تعرف شخصا يدعى عباس فتحى رضوان ؟

جـ : لا أذكر هذا الشخص وربما يكون قد أرسل الى هذا المقال فى مجلة « التطور » .

س : أنت متهم بانك أدرت ونظمت اتفاقا جنائيا الغرض منه قلب نظام الحكم بطريق القوة والعنف .

جـ : هذا الاتهام باطل من إساسه وأطلب من النيابة حفظ التضية لان فى الاقوال التى أدليت بها ما يؤكد أن الحركة التى أقوم بها بعيدة كل البعد عن الوصول لاى غرض غير مشروع أو اتخاذ أى طريق لا يؤيده القانون فى التحقيق هذا الغرض .

تمت أقواله

انتهى

حكمدارية بوليس مصر .

مذكــرة

عن هنرى دانييل كورييل *

هو هنرى نجـل دانيل كورييل ـ الاسرائيلى المعروف وصاحب مصرف كورييل • وقـد تجنس بالجنسية المصرية فى سنة ١٩٣٩ والمذكور يشتغل من عام ١٩٣٨ بتغـذية الحركة الشيوعية فقـد الف جماعة الاتحاد الديموقراطى واتخـذ المنزل رقم ١ شارع سكة الفضل تبع قسم عابدين مقرا لها • وقـام هو بأعمـال الوكالة فيهـا • وكان من بين أعضائها :

ريمون أجيون	اسرائيلى
مدموازيل استر ستون	اسرائيلية
مدموازيل هنريت اربيه	اسرائيلية مدرسة بمدرسة الظاهر الفرنسية
عزرا هـرارى	مهندس بشركة موصيرى

وفى عام ١٩٣٩ ألف جماعة الفن والحرية بالاشتراك مع جورج حنين الموظف بشركة ميـاه القـاهرة وأنور كامل عثمان ، وكان هذا الاخير قد تخرج من الجامعة الامريكية سنة ١٩٣٢ بعـد حصوله على شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان ثم التحق بمصلحة المساحة فى الدرجة الثامنة براتب قـدره سـتة جنيهـات شهرياً حيث نسب اليه (أى الى انور كامل) أثناء وجوده فى خدمة الحكومة :

أولا : العيب فى الذات الملكية غير أن التهمة لم تثبت قبله •

ثانيا : اصداره بيـانا مقـارنا عن حالة العمال والفلاحين وصغار الموظفين من جهـة وحالة المـلاك وأصحاب الصناعات وكبار الموظفين من جهـة أخرى ففصل من عمله فى يونيو ١٩٣٩ • وأحيل الى النيابة العـامة ولكن الدعـوى لم ترفع عليه • وفى يناير ١٩٤٠ أصدر أنور كامل المذكور هو ومحمود فتحى الرملى ممن قطعوا شوطا فى التعليم الثانوى مجلة « التطور » الشهرية لتكون لسـان حـال لجمـاعة الفن والحـرية ومن بين ما ورد فى بعض أعدادها •

أ ـ الشعب يموت جوعا فى ظل الحيـاة النيابية •

ب ـ يا عمـال العـالم اتحـدوا •

---

* واردة بملف قضية الشيوعية الكبـرى عام ١٩٤٦ • فى الصـــفحات ١٠٩٤ ـ ١٠٩٥ (المؤلف) •

وقد قررت ادارة المطبوعات شطب المجلة المذكورة من « أعداد الصحف » وذلك في ١٧ ديسمبر ١٩٤٠ لعدم قيام صاحبها بدفع التأمين المنصوص عليه في المادة ١٥ مطبوعات .

وفي عام ١٩٤٠ أسس المذكورون نادي « الثقافة والفراغ » بشارع الفلكي ثم بشارع أبو السباع الكان يهيمن على النادي اسرائيلي هو مارسليو ماريو وزوجته جانيت وكانا على صلة بهيئة شيوعية فلسطينية وكانا يمدان أنور كامل عثمان بالمال وكان ظاهر النادي الرياضة والثقافة وحقيقته الدعاية للشيوعية الى أن أغلق في أغسطس ١٩٤١ وفي ١٦ سبتمبر ألفوا جماعة الخبز والحرية وكان معهم عبد العزيز هيكل الطالب وأسعد حليم وعبد الرحيم صالح عرابي الصحفيان وكان هذا الاخير مع فتحي الرملي يكونان جمعية « نحن أنفسنا » وأغراضها متفقة مع أغراض جماعة الخبز والحرية .

حكمدارية بوليس مصر

مذكرة معلومات عن

هنرى دانييل نسيم كورييل *

سن ٣٥ سنة يقيم بشارع حسن صبرى باشا رقم ٣٦ بالزمالك وله مكتب بشارع الشواربى رقم ٦ بدائرة قسم عابدين ، ووالده ايطالى الجنس ولكن هنرى حصل على الجنسية المصرية بتاريخ ١٩/١٠/١٩٣٩ .

وهو شيوعى خطر يغذى الحركة الشيوعية بالقاهرة . ففى شهر يونيه سنة ١٩٤١ استاجر جريدة « حرية الشعوب » من صاحبها رجب أحمد عمر وأسند رئاسة تحريرها إلى أنور ماهر حسن فرج لاستغلالها فى الدعاية للمبدأ الشيوعى ، وقد ألف جمعيات تحت ستار الثقافة ضم اليها بعض الأشخاص المعروفين بميولهم الشيوعية وهى جمعية « الثقافة والفراغ » وجمعية « الخبز والحرية » ** و « المركز الثقافى والاجتماعى » وكان كورييل يحركها من وراء الستار حتى قبض على زعماء الجمعية الاولى وهى « الثقافة والفراغ » فى تاريخ ١٥/١٠/١٩٤١ واعتقل رئيسها ايرائيل مارشيليو ماريو الايطالى وتولت النيابة التحقيق الذى حفظ اداريا فى تاريخ ٢٧/١١/١٩٤١ ، كما قبض على أعضاء جمعية الخبز والحرية بتاريخ ١١/٦/١٩٤٢ وهى برئاسة الشيوعى أنور كامل عثمان وأخطرت النيابة بالحادث وتقيد برقم ١٤٩ ــ جنايات عسكرية سنة ١٩٤٢ ولم يتم نظرها بعد حيث أحيلت لدور مقبل لم يحدد للآن كما قبض على زعماء « المركز الثقافى والاجتماعى » وهم سلامون سليم سدنى وتوماس بلاموتس وعزرا هرارى بتاريخ ١٣ ــ ١ ــ ١٩٤٣ وصدر أمر رفعه الحاكم العسكرى العام باعتقالهم فى ١٦ ــ ١ ــ ١٩٤٣ وأفرج عن سلامون سليم سدنى فى ١٣ ــ ٦ ــ ١٩٤٣ وأفرج عن توماس بلاموتس وعزرا هرارى بتاريخ ١١ ــ ١٠ ــ ١٩٤٣ مع مراقبتهم لمدة ثلاثة أشهر قابلة للتجديد ، وقد انتهت مراقبة سلامون سدنى فى ١٨ ــ ١١ ــ ١٩٤٥ ، وانتهت مراقبة توماس بلاموتس وعزرا هرارى فى ٥ ــ ٧ ــ ١٩٤٥ .

---

* مذكرة المعلومات هذه قدمتها حكمدارية بوليس مصر للنيابة العامة عند القبض عليه فى عام ١٩٤٦ . وهى تتضمن معلومات هامة عن شخصيته ونشاطه وعلاقاته ...

وهى مودعة فى ملف القضية فى الصفحات ١٠٨٦ ــ ١٠٨٧ ــ ١٠٨٨ (المؤلف) .

** لم يكن كورييل من مؤسسى « الخبز والحرية » (المؤلف) .

وقد قبض على هنرى كوربيل فى ١٩٤٢/٨/٤ بناء على أمر رفعه الحاكم العسكرى العام وقتئذ واعتقل بدار معتقل الزيتون حتى افرج عنه يوم ١٩٤٢/١٠/١١ ووضع تحت المراقبة العسكرية بمنزله لمدة ثلاثة أشهر قابلة للتجديد حتى رفعت عنه الرقابة فى ١٩٤٥/٧/٥ بناء على قرار دولة وزير الداخلية • وفى شهر ديسمبر ١٩٤٤ اوعز هنرى كوربيل الى أحد اتباعه الشيوعى محمود فتحي الرملى بأن يتقدم لترشيح نفسه لعضوية مجلس النواب عن دائرة السيدة زينب وأمده بالمال اللازم ، وعاونه معاونة صادقة بالاشتراك مع أتباعه رغم علمه باستحالة نجاحه وكان غرضه من ذلك نشر المبدأ الشيوعى وقد أبلغ ذلك الى سعادة حسن فهمى رفعت باشا بكتابنا رقم ب/١٣٧ بتاريخ ٣١ — ١٢ — ١٩٤٤ •

وهنرى كوربيل يعمل جهد استطاعته على نشر الوعى الشيوعى يتبعه فى ذلك بضعة شبان أنشطهم كمال شعبان الطالب بمدرسة الفنون الجميلة العليا وحسين كاظم وعبده دهب وعبد الماجد حسبو ومحمود العسكرى * وابراهيم حافظ العطار •

---

* غير صحيح أن محمود العسكرى كان على علاقة ما بهنرى كوربيل فالثابت أن العسكرى بدأ نشاطه اليسارى مع جماعة « الفجر الجديد » (المؤلف) •

حكمدارية بوليس مصر

سرى سياسى رقم ب/١٣٧ حـ سنة ٩٤٤!

مذكرة عن الجبهة الاشتراكية*

حضرة صاحب السعادة حسن فهمى رفعت باشا .

الحاقا لكتابنا لسعادتكم رقم ١٣٣٥ بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٤٢ بشأن هنرى كورييل وتغذيته الحركة الشيوعية التى كانت تقوم بهـا جمعيتى « الثقافة والفراغ » و « الخبز والحرية » وقيامه ببيع بعض الكتب الشيوعية بمكتبته (مكتبة الميدان) الكائنة بميدان مصطفى كامل باشا رقم ٥ قسم عابدين ، وصدور أمر عسكرى وقتئذ باعتقاله وتنفيذ ذلك بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٤٢ ، ثم الافراج عنه مع وضعه تحت مراقبة البوليس عسكريا بالقاهرة لمدة ثلاثة شهور تجددت حتى الآن .

وبالنسبة لكتابنا لسعادتكم رقم ب/١٣٧ بتاريخ ١٦ يناير ١٩٤٣ بشأن قيام بعض زعماء المركز الثقافى الاجتماعى الذى كان مقره بسكة الفضل رقم ١ ، بنشر الدعوة الشيوعية والذى كان يستأجر داره ويديره هنرى كورييل وضبطهم وتولت النيابة التحقيق معهم وصدور أمر الحاكم العسكرى العام باغلاق الدار المذكورة واعتقال زعماء هذه الحركة وهم :

توماس بلاموتس

سلامون سليم سدنى

عزرا هرارى

ثم الافراج عنهم ووضعهم تحت مراقبة البوليس عسكريا بمحال اقامتهم بالقاهرة لمدة ثلاثة أشهر تجددت حتى اليوم .

أتشرف بابلاغ سعادتكم اننا علمنا أن هنرى كورييل المذكور ألف أخيرا

---

* نص رسالة موجهة من سليم زكى حكمدار بوليس مصر بالنيابة الى حسن فهمى رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية حول نشاط الجبهة الاشتراكية والرسالة مؤرخة فى ٣١ ـ ١٢ ـ ١٩٤٤ . وهى مودعة بملف قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ فى الصفحات رقم ١٠٨٨ ـ ١٠٨٩ ـ ١٠٩٠ ـ ١٠٩١ ـ ١٠٩٢ ـ ١٠٩٣ (المؤلف)

جماعة أطلق عليها اسم الجبهة الاشتراكية من بين أعضائها كل من ✻✻

محمود فتحى الرملى – صحافى ومقيم بشارع مجلس النواب رقم ١ قسم السيدة ٠

محمد فتحى الرملى – مدير دار التعاون الصحفى بشارع مجلس النواب وسكنه شارع مجلس النواب قسم السيدة ٠

رمسيس يونان – صحافى – ومكتبه بشارع علوى رقم ١٠ ومقيم بالمنزل رقم ٥ بدرب اللبانة قسم الخليفة ٠

لطفالله سليمان – موظف بمكتبة النهضة شارع المغربى وسكنه درب اللبانة رقم ٥ قسم الخليفة ٠

جورج حنين – موظف بشركة مياه القاهرة ومقيم بمنزل والده سعادة صادق حنين باشا بشارع الوابور بروض الفرج ٠

عبد العزيز سالم هيكل – موظف بوزارة المعارف ، ومن خريجى كلية التجارة ومقيم بشارع وهبى باشا رقم ١٠ قسم السيدة ٠

موسى عبد الحميد الشهير بالكاظم – موظف بوزارة المعارف ، وسكنه شارع قدرى عطفة الشيمى رقم ٣ بركة الفيل قسم السيدة ٠

محمد ناهيد أبو زهرة – طالب بكلية الحقوق ومقيم بشارع فاروق حارة طود رقم ٥ قسم باب الشعرية ٠

أنور كامل عثمان – موظف بقسم الحدائق بحديقة الأورمان وسكنه شارع مراد بك رقم ٧ بالجيزة ٠

فؤاد كامل عثمان – طالب بمدرسة الفنون الجميلة العليا وسكنه شارع مراد بك رقم ٧ بالجيزة ٠

حسين صالح دعبس – سكرتير نقابة خدم المنازل – رقم ١٥ شارع سامى ويقيم بهذا العنوان أو بملك والده صالح دعبس بعطفة المكتب بالشيخ عبد الله قسم عابدين ٠

عبد الوهاب محمد – بمطبعة الرغائب ٠

✻✻ ليس صحيحا أن كورييل شارك فيما سمى بالجبهة الاشتراكية أو انه تعاون مع كثير من الأسماء الواردة فى هذه المذكرة خاصة وأن معظمها كانت ذات ميول تروتسكية ، ولعل هذا الخلط يوضح تخبط معلومات رجال الامن او حرصهم على الصياق كل تحرك بكورييل كبمرر لاضطهاده ٠ (المؤلف) ٠

إبراهيم إيليا مسعود ـ طالب بمدرسة الفنون الجميلة العليا ويقيم بشارع بين الجناين رقم ١٢ ـ الوايلى .

خضر محمود خضر ـ خريج الهندسة التطبيقية وسكنه شارع السلمانية رقم ١٦ قسم بولاق ، أو بطرة البلد ، أو طرف والده محمود خضر نجار أرانيك بشارع سوق العصر القديم قسم بولاق .

بخور منشة ـ وقد ضبط وهو يكتب على جدران المنازل بدائرة قسم عابدين والوايلى عبارات للدعاية الشيوعية وهى :

الاشتراكية ستقود العالم ، الاشتراكية ضد الاستعمار ـ وبتفتيش منزله ومكتبه وجدت أوراق ومذكرات وكتب تدل على أنه من معتنقى المبدأ الشيوعى وتتضمن تعريضا بنظام الحكم القائم كما تدل على أنه متصل بمحمود فتحى الرملى ورمسيس يونان وآخرين وقد اعترف المتهم شفاهة بكتابة الجمل المذكورة لانه من أتباع محمود فتحى الرملى ويروج لانتخابه ويدعو الى الاشتراكية .

وقد تبلغ ذلك لسعادتكم بكتابنا رقم ٣٢٨٦ سرى سياسى بتاريخ ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٤٤ أو نمرة ٣٣٧٧ سرى سياسى بتاريخ أمس .

وقد تمادى محمود فتحى الرملى بطبع جملة منشورات تحت ستار الدعاية الانتخابية تتضمن المبادىء الاشتراكية والدعوة لها وقد أبلغنا ذلك لسعادتكم بكتابنا رقم ٣٣٦٤ ، ٣٣٧٦ بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٤٤ .

ومما يتضح لسعادتكم أن محمود فتحى الرملى وافراد هذه الجبهة يقومون بدعاية مثيرة للخواطر ومخلة بالامن العام وغرضهم الأساسى من ترشيح محمود فتحى الرملى هو نشر هذه الدعاية .

فنرجو سعادتكم النظر والتكرم بافادتنا عما يتبع .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ...

تحريرا فى ٣١ ديسمبر ١٩٤٤ .

حكمدار بوليس مصر

عنه سليم زكى (ختم)

(٣) وثائق حول موضوع سكلا تفالا

※ معلومات عن سكالا تفالا (وثائق وزارة الخارجية البريطانية)

※ نداء من سكلا تفالا الى شعب مصر (وثائق وزارة الخارجية البريطانية)

※ رسالة من سكلا تفالا الى عدلى باشا يكن
(وثائق وزارة الخارجية البريطانية)

※ مناقشات فى البرلمان المصرى (مضابط مجلس النواب المصرى)

※ ملخص لترجمة مقال فى جريدة « بندر اسلام » الملاوية
(وثائق وزارة الخارجية البريطانية)

سكلا تفالا

وثائق وزارة الخارجية البريطانية
مكتب السجلات العامة
ملف رقم ١٢٣٥٤/٣٧١
رقم الوثيقة ١٨٨٠
سرى للغاية

* شاربورجى دورابجى سكلا تفالا .
* ابن أخت راتان تاتا .
* ولد فى بومباى فى ١٨٧١ وتخرج من جامعة بومباى .
* وصل الى انجلترا ١٩٠٥ .
* تزوج فى ١٩٠٧ .
* فى ١٩٠٩ انضم الى فرع مانشستر فى I.L.P.
* فى ١٩١٦ انضم الى الحزب الاشتراكى الانجليزى الذى أصبح فيما بعد الحزب الشيوعى الانجليزى .
* أسهم فى جميع الحركات والمؤتمرات والروابط المناهضة للاستعمار .

((انتهى))

وثائق وزارة الخارجية البريطانية
مكتب السجلات العامة
ملف رقم ١٢٣٥٤/٣٧١
رقم الوثيقة ١٨٨٠

٣ يناير ١٩٢٧ « لا يجوز تداولها ولا تصويرها الا باذن خاص »

الى شعب مصر

أيهـا الاخوة والأخوات ...

اننى رجل يؤمن ايمانا عميقـا بالشعب ، بالشعب العادى . ان أفكـار وآراء الناس الفقراء والمضطهدين هى عندى أكثر قيمة من آراء كبار الأغنيـاء وكبـار رجال الدولة .

ولذا فاننى أتوجه اليكم بالحديث أنتم أيها الاخوة والأخوات يا أبنـاء أرض مصر العريقـة ، أتوجه اليكم أنشد مساعدتكم فى هذه المحنة المشتركة .

أنا رجل انجليزى الجنسية ، لكننى كرست حياتى كلهـا من أجل النضال دفاعا عن كل البشر المضطهدين والذين اغتصبت حقوقهم الاقتصادية والسياسية اغتصبها هؤلاء الجشعين الذين يريدون أن يستحوذوا لأنفسهم على كل ما هو جميل فى هذا العلم ، وأن يفرضوا سلطانهم ، كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا — على الانسانية جمعـاء ، والذين لا يتورعون عن اغتصـاب أوطان الشـعوب الأخرى وانتهاك حقوقهـا .

ان بريطـانيا العظمى وهى دولة قوية مولعـة ولعـا شديدا باغتصـاب حقـوق الشعوب الأخرى ، وبفرض سيطرتها عليهـا مستندة الى مختلف الحجج والذرائع .

لكنه وفى بريطانيا العظمى نفسها يوجـد الملايين من أبنـاء الطبقة العاملة الذين لا يشاركون فى حكم بلادهم ، ولا يرغبون مطلقـا فى أن تفرض بلادهم نفوذها على شعوب بلدان أخرى .

ومن بين أبناء هذه الطبقة برز الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى ، ذلك الحزب الذي يطالب ويناضل من أجل المساواة والاستقلال للأمم جميعا ، ومن أجل الحرية والمساواة بين أبناء الأمة الواحدة ٠

ان حي « نورث باترسي » هو واحد من أحياء الطبقة العاملة في تلك المدينة الكبيرة ، لندن ، ويزخر هذا الحي بالمواطنين ذوى التفكير السليم ، والذين علموا برغبتي في النضال من أجل المظلومين فأبدوا سعة أفق وتخلصوا من كل الشوائب التي يثيرها كوني من أصل هندي ومن كل المخاوف الزائفة عن كوني أمثل الأممية الشيوعية ، تخلصوا من كل ذلك وأرسلوني عضوا في مجلس العموم البريطاني ٠

ولما كنت العضو الوحيد في مجلس العموم الذي يمثل الحزب الشيوعي، ونظرا لكوني من أصل شرقي فان عملي كعضو في المجلس يواجه صعوبات شديدة ٠ ذلك انني أفكر وأتكلم بطريقة تختلف تماما عن بقية الـ ٦١٤ عضوا في مجلس العموم ٠

لكنني بالرغم من ذلك لا زلت أواصل نشاطي مستلهما أماني ورغبات الفقراء في انجلترا واسكوتلندة وويلز وحتى ايرلندا ، وهؤلاء الفقراء الذين أذهب اليهم كل يومي سبت واحد لأخطب فيهم ، يقفون معي ولهذا فانني لا أشعر بالوحدة في مجلس العموم ٠

ومصر المسكينة هي الأخرى واحدة من تلك البلدان التي تعاني المتاعب نتيجة لنهم وجشع عدد ضئيل من العائلات الغنية في بريطانيا العظمى ٠

وفي البرلمان يدعي جميع أعضاء المحافظين أنهم يريدون اتخاذ موقف عادل من مصر ، لكن هذا الموقف العادل يجب أن يحافظ على استمرار حكمهم وتحكمهم في مصر ٠ أما الأحرار فانهم يدعون اتخاذ موقف أكثر تحررا من المحافظين لكنهم مع ذلك يرون ضرورة الاحتفاظ بمصر والسودان من أجل مصالح بلدهم ومصالح الطبقات الغنية ٠ وحتى حزب العمال الذي كان يوما ما حزبا اشتراكيا يؤمن بالاخوة والمساواة بين الامم قد تحول بشكل ساخر ومضحك تحت قيادة رامزى ماكدونالد الذى أصبح أكثر ولعا بالاستحواذ على السلطة لشخصه من ولعه بالاشتراكية للجماهير ٠

أن الخطاب الوقح الذي أرسله مكدونالد الى سعد زغلول باشا لهو خير تعبير عن وحشية وتعطش الغزاة الى دماء شعب أعزل ٠

والحقيقة أنه ما من وزير للخارجية من حزب المحافظين أو الاحرار كان بوسعه أن يكتب مثل هذه الرسالة المخزية والوقحة التى وجهها ماكدونالد يوما الى زغلول ٠

وفى محاولة للتستر خلف الالتزام المزعوم بقرارات الحزب فان قادة المجموعة البرلمانية لحزب العمال لا يتورعون عن المجاهرة بالعمل على انتهاك حريات شعوب العالم ·

ولا شك أن موقفا كهذا يثير الغثيان ، لكننا يجب أن نتمسك بالامل والثقة التى تبثها فى نفوسنا نضالات الشعب العادى فى بريطانيا العظمى ·

وعندما كان البرلمان البريطانى يناقش مسألة الغرامة التى فرضت ظلما على مصر ومقدارها ٥٠٠٠٠٠ جنيه ، أو عملية الاستئثار بالسودان لصالح المستغلين البريطانيين كان على أنا وحدى أن أخوض نضالا منفردا ضد هذا الظلم الفادح ·

ليس هناك فحسب ، لكننى توجهت بالنداءات العديدة الى الطبقة العاملة فى بريطانيا العظمى لتعمل على منع قادة المجموعة البرلمانية لحزب العمال من ارتكاب مثل هذه اللصوصية ضد مصر ·

وعلى هذا المنوال ، فاننى قد وطدت العزم على الدفاع عن الحرية القومية لجميع الأمم وعن حقوق العمال والفلاحين فى أن يستمتعوا — هم وليس غيرهم — بثمار كدهم وكدحهم ·

وعلى أية حال ، فانه من أجل الاستمرار بفاعلية فى مثل هذا النشاط سواء فى البرلمان أو فى أوساط الرأى العام فان الانسان يكون بحاجة ماسة الى دراسة الاوضاع الحقيقية بنفسه ·

فربما كان الرسميون الانجليز فى مصر مخلصون وجادون فى عملهم ، لكنهم ربما كانوا أيضا يتمسكون بوجهة نظر خاصة ، وهذه الوجهة النظر الخاصة هى التى تسيطر على تصرفات وزارة الخارجية البريطانية ومن حقى كعضو فى البرلمان أن أطلب الاطلاع عليها ·

وفوق ذلك ، فاننى أرى أنه من الضرورى أن أطلع بنفسى على آراء الشعب المصرى ومواقفه ، وتنظيماته وخاصة مواقف وتطلعات عماله وفلاحيه ·

لكن المشكلة هى اننى رجل فقير ولولا ذلك لزرت بلدكم العريق مرات عديدة · ولقد تمكنت من أرتب نفسى لرحلة الى الهند ، وكان طبيعيا أن تتجه أنظارى لزيارة مصر ، وأعددت برنامجا قصيرا لكنه مشحون بالعمل لهذه الزيارة التى رأيت أن تتم خلال شهر مارس أو أبريل خلال عودتى من الهند فى طريقى الى لندن · وقد بدأت فى الحصول على تأشيرات السفر اللازمة لمثل هذه الرحلة وقد حصلت على جواز السفر بعد سلسلة من الاتصالات بوزارة الخارجية البريطانية متضمنا الاذن بالسفر الى الهند ومصر ·

وبعد ذلك توجهت بنفسى الى المفوضية الملكية المصرية فى شـارع تشارلس رقم ٧ بلندن طالبا تأشيرة دخول الى مصر واخبرونى هناك انهم سوف يبرقون الى القاهرة للاستئذان فى منحى التأشيرة ٠

وفى اليوم التالى اخبرونى ان سلطات القاهرة قد رفضت منحى التأشيرة ومن ثم فقد قامت القنصلية فعليا بمنعى من زيارة مصر ، تلك الزيارة الضرورية لممارسة واجباتى البرلمانية سواء تجاه الشعب البريطانى أو الشعب المصرى المعـذب ٠

ايها الرفاق ٠٠٠ ايها الاصدقاء ٠٠٠

ما هو معنى ذلك كله ؟ هل منعت من دخول مصر لاننى عضـو فى الحزب الشيوعى ؟ هل ايد أى حزب شيوعى فى أى بلد من بلدان العـالم استغلال الامبرياليين للشعب المصرى ؟ هل ناضلت أى عضـو فى البرلمان البريطانى من أى حزب من الاحزاب مثلما ناضلت انا بحماس واخلاص دفاعا عن حقوقكم ؟ انتم يا من كرمتم رامزى ماكدونالد وأهديتموه صينية قهوة من الفضة ، انتم يا من تكرمون وترحبون بأى عضو آخر من الاعضاء الستمائة والاربعة عشر فى البرلمان ؟ هل صحيح أنكم تمنعون رجلا فقيرا مثلى من دخول بلادكم لمجرد اننى اناضل عن اجل الحرية الكاملة لشعب بلادكم ومن اجل تخلصه من أى تحكم أو استغلال اجنبى ايا كانت جنسية القائمين به ؟ وهل من حق اصـدقائى الهنود ان يفترضـوا ان المصريين يضطهدوننى وأنا العضو الشرقى الوحيد فى البرلمان البريطانى بينمـا لا يمنعون أى عضو آخر فى البرلمان ، هؤلاء الاعضاء الذين ايدوا فرض غرامة النصف مليون جنيه استرلينى على مصر والذين طردوكم من أراضى اقليمكم السودان ؟ ام ماذا يا شعب مصر ؟ هل برلمانكم مجرد العوبة ، وهل كـان وزراءكم مجرد منفذين مطيعين لتعليمات بريطانية بمنعى من دخول مصر ؟ ام ان استقلالكم وبرلمانكم محدودا الاثر ؟ ام تخشون أننى بعد زيارتى لمصر سوف اكف عن اعتقادى بعدالة قضيتكم ؟

تكلموا ، تكلموا يا ابناء مصر ٠٠٠ تكلموا . تكلموا بأعلى صوتكم . وبأصرح وبأسرع ما يمكن ، حتى استطيع ان استمع الى صـوتكم والى ارادتكم من هنا ، من بعيد من بومباى ٠٠٠

ولعلنى فى النهاية استطيع ان ازور مصر فى طريق عودتى ٠٠٠ » ٠

شابورجى سكلا تفالا ٠
عضو فى البرلمان البريطانى
وفى الحزب الشيوعى البريطانى

رسالة من سكلا تفالا الى عدلى باشا يكن

وثائق وزارة الخارجية البريطانية
مكتب السجلات العامة
ملف رقم ١٢٣٥٤/٣٧١
رقم الوثيقة ١٨٨٠
« سرى »

حضرة صاحب السعادة عدلى باشا يكن
رئيس الوزراء ــ القاهرة
يا صاحب السعادة

ربما وصل الى علمكم ان طلبى المتواضع الذى تقدمت به طالبا منحى تاشيرة الدخول لزيارة مصر قد قوبل بالرفض من قبل المفوضية الملكية المصرية فى لندن ، التى ابلغتنى ا نهذا الرفض قد تقرر بناء على تعليمات من القاهرة ·

هل تسمحون لى ان اقرر لكم ان هذا موقف غير عادى وغير مقبول تجاه عضو فى البرلمان البريطانى ؟ اننا لا نزعم لانفسنا تعاليا على القانون ولا استثناء من أحكامه ، وفى حالة قيام أى فرد منا خلال اقامته فى مصر بأى انتهاك لقانون بلادكم فانه من المتعين اخضاعه للعقاب المقرر وفقا للقانون ·

كما ان أحدا لا يطلب منكم انتهاك قواعدكم الدستورية من أجل تلبية رغبة أعضاء البرلمان البريطانى فى زيارة مصر ·

وعلى اية حال فان بريطانيا العظمى لا تزال تدعى ــ ان صدقا أو كذبا ــ سيطرتها على مصر ، ولا تزال تحتفظ بمندوبين رسميين ــ عسكريين ومدنيين فى مصر · ومن وقت قريب فرضت عليكم غرامة قدرها ٥٠٠٫٠٠٠ جنيه استرلينى ، ثم أحكمت ــ بشكل أو بآخر ــ سيطرتها الكاملة على السودان ·

وفى مثل هذه الظروف فان واجب عضو البرلمان البريطانى ازاء شعب بريطانيا العظمى وازاء الشعب المصرى المضطهد هو ان يدين كل ما هو خاطىء ·

وان منع عضو فى البرلمان من القيام بزيارة هذا هدفها لهو تعنت لا يقبله أى عرف دستوى ولا أى تفكير متحضر ·

هل تلتزم حكومتكم بمبدأ عام يقول انه طالما اننى عضو فى الحزب الشيوعى فان ذلك يجردنى من حقوقى كشخص انتخب عضوا فى البرلمان البريطانى ؟

وفوق ذلك ، هل تخلى الحزب الشيوعى فى بريطانيا العظمى يوما عن اعلان تأييده لحق مصر الكامل فى حريتها التامة الغير منقوصة ؟

أم هل خفى عليكم انه ما من عضو فى مجلس العموم البريطانى من ممثلى أى حزب من الاحزاب الاخرى قد دافع عن قضية مصر فى جلسات البرلمان البريطانى الامبريالى بنفس الحماس والاخلاص والتفانى التى دافعت بها انا ؟ ..

الا تعلمون سعادتكم ان اتخاذكم قرارا بمنعى من دخول مصر بعد ان منحتنى وزارة الخارجية البريطانية موافقتها على ذلك سوف يعطى الفرصة لاعداء بلادكم من البريطانيين لكى يشهروا بموقفكم هذا أمام العالم اجمع متخذين منه دليلا على « الاستبداد الشرقى الضيق الافق » اذا قورن « بالديمقراطية البريطانية » .

ام انكم تتصورون — انتم ايضا — ان عضوا فى البرلمان البريطانى يمكن ان يعامل بهذا الاسلوب طالما انه من اصل شرقى بينما لا تجرؤون مطلقا على منع أى عضو آخر من أصل اوربى بالرغم من موقفه المعادى لبلادكم ؟

ام ان وزراءكم يخضعون لتعليمات الرسميين البريطانيين ، وان كان الامر كذلك ، أفلا يعتبر ذلك انتهاكا لكرامة مصر ولحرماتها ؟

ام ان الدعاوى المصرية من الضعف بحيث تخشون من أن اغير ايمانى بها بمجرد رؤيتى لواقعكم ولشعبكم ، انا الذى دافعت عنكم باستمرار دفاعا مستميتا ؟

ام ان الامر لا يعدو ان يكون خطأ ناجما عن التسرع فى اتخاذ القرار ؟

وعلى اية حال — وأيا كان السبب فاننى اشعر بالامل يحدونى وانا اتوجه الى سعادتكم بهذا النداء الحار باعادة النظر فى هذا القرار الصادر من حكومتكم .

وسوف اكون ممتنا غاية الامتنان لو تفضلتم وشرفتمونى بارسال موافقتكم برقيا على عنوانى فى بومباى طرف البنك المركزى ببومباى ، وذلك حتى استطيع الاسراع باتخاذ الترتيبات اللازمة لزيارة بلادكم العريقة اثناء عودتى فى مارس .

ولسوف اظل دوما — يا صاحب السعادة
الصديق الوفى للشعب المصرى المضطهد
شابورجى سكلاتفالا

ملحوظة : ارجو ان تتفضلوا سيادتكم بارسال نسخة من ردكم الى سكرتيرى بمجلس العموم بلندن .

موضوع النائب البريطانى سكلا تفالا

مضبطة الجلسة العشرين لمجلس النواب
يوم الاثنين ١٧ يناير ١٩٢٧
المنعقدة برئاسة سعد باشا زغلول
صفحة ٢٧٤ وما بعدها من المحاضر الرسمية

... ثم تلى السؤال الموجه من حضرة الدكتور حامد محمود الى حضرة صاحب الدولة وزير الخارجية ونصه : « هل صحيح ان المفوضية المصرية بلندرة رفضت التأشير على جواز سفر مستر سكلا تفالا العضو فى مجلس النواب البريطانى بالترخيص لجنابه بزيارة مصر ...؟

وهل تصرفت المفوضية المصرية بلندرة هذا التصرف من تلقاء نفسها أو بعد استشارة وزارة الخارجية المصرية ؟ وهل لا يرى دولة الوزير ان الاجدر بالحكومة المصرية ان تصدر الان قراراً تلغرافيا بالترخيص لنائب ينتسب إلى هيئة نيابية محترمة بزيارة البلاد ؟ » .

وزير الخارجية :

فى جدول اعمال اليوم استجواب خاص بنفس الموضوع وسيؤجل هذا الاستجواب .. فهل لا يرى حضرة العضو المحترم تأجيل هذا السؤال حتى ينظر مع الاستجواب المشار اليه فى جلسة واحدة ... ؟

الدكتور حامد محمود :

ارى ان يجاب على السؤال الان حتى يتنور المجلس ويستعد للمناقشة فى موضوع الاستجواب ...

وزير الخارجية :

هو كذلك ... والجواب على السؤال ما يأتى :

« نعم رفضت القنصلية المصرية العامة فى لندرة التأشيرة على جواز سفر المستر سكلا تفالا وقد كان ذلك بناء على التعليمات التى تلقتها من وزارة الداخلية المصرية . اما الاجابة عن الفقرة الاخيرة من السؤال فبالنفى ».

ثم أشير الى الاستجواب المقدم من حضرة حسن سيد احمد نافع افندى

الى حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية بشأن منع الحكومة المصرية المستر إسكلا تفالا عضو مجلس النوّاب البريطانى من الدخول الى القطر المصرى ٠

وزير الخارجية :

يطلب دولة وزير الداخلية تأجيل الاجابة على هذا الاستجواب ثمانية ايام ٠

الرئيس :

هل يمانع حضرة مقدم الاستجواب فى طلب التاجيل ٠٠ ؟

حسن سيد احمد نافع افندى

لا مانع عندى من التأجيل ٠٠٠

الرئيس :

اذن تقرر تأجيل هذا الاستجواب ثمانية ايام ٠

موضوع النائب البريطاني سكلا تفالا

مضبطة الجلسة الثانية والعشرين
لمجلس النواب ·
يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٢٧
المنعقدة برئاسة سعد زغلول ثم
مصطفى النحاس ص ٣١٦ وبعدها
من المحاضر الرسمية ·

... ثم تلى الاستجواب المقدم من حضرة حسن سيد احمد نافع افندى الى صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ونصه :

أ - ما هى الاسباب التى حدت بالحكومة ان تمنع نائبا بريطانيا هو المستر سكلا تفالا من الدخول الى القطر المصرى مع ما اشتهر به هذا النائب من العطف على مصر والدفاع عنا فى مجلس العموم الانجليزى ، ومع انه اعلن بأن حضوره الينا انما هو لدرس احوالنا ؟

ب - وهل يتفق هذا المنع وما اعلنته الحكومة فى خطبة الرئيس أولا وثانيا من اطراد حسن التفاهم وتحسن العلائق بيننا وبين الدول الاجنبية عامة وبريطانيا خاصة ؟

جـ - وهل يتفضل دولة رئيس الحكومة بأن يعد المجلس باعادة النظر فى هذه المسألة ؟

رئيس مجلس الوزراء :

المستر سكلا تفالا نائب شيوعى وقد سبق لحكومة الولايات المتحدة ان منعته من دخول بلادها بسبب ما القاه من الخطب وما دعا اليه من الهياج والثورة كما سبق ان حكم عليه من المحاكم الانجليزية نفسها بتهمة التحريض على الاخلال بالامن · ولا يخفى على حضرة المستجوب ان نشر مبادىء الشيوعية والدعوى اليها عمل معاقب عليه فى مصر بمقتضى المادة ١٥١ من قانون العقوبات وقد جرت الحكومة على محاربة الشيوعية ومنعها من التسرب الى البلاد بمنع المعتنقين لمبادئها من الدخول الى القطر المصرى ·

لذلك رأت وزارة الداخلية عدم السماح للنائب الشيوعى المذكور بالدخول

الى البلاد وارسلت تعليماتها بذلك الى القنصلية الملكية المصرية بلندن • وهذا المنع لا يخالف ما جاء فى خطاب الرئيس واشار اليه حضرة العضو المحترم ولا ترى الحكومة محلا لاعادة النظر فى هذه المسألة •

حسين سيد احمد نافع افندى :

لم أوجه هذا الاستجواب دفاعا عن شخص المستر سكلا تفالا ولا بسبب الاتحاد معه فى اية فكرة اجتماعية أو سياسية ولكن بالنظر لكونه نائبا فى اكبر هيئة نيابية تمثل أعرق امة دستورية وقد منعته حكومتنا من دخول بلادنا ، رأينا ان واجبنا حيال الشركة فى مبدأ النيابة عن الامة يقضى علينا بمطالبة الحكومة بالتصريح بالاسباب الحقيقية التى دعت الى منعه من دخول مصر لانه لا يليق بنا ونحن امة دستورية فى نظر الدول الاخرى ان نعتدى على كرامة النيابة فى حد ذاتها دون بيان الاسباب • لقد منع المستر سكلا تفالا اداريا من النزول فى أرض مصر ولم يشر قرار المنع الى أى شىء من البيانات التى ادلى بها حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء •

ان نائبا محترما مثل المستر سكلا تفالا يشعر بقيمة المسؤولية الملقاة على عاتقه بصفته ممثلا لأمة عظيمة وشعب راق لنا معه صلات كبيرة •

لا أظن أن نائبا مثله يأتى عملا منكرا أو يقوم بنشر أية دعوة ضد نظام البلاد • وهذا فضلا عن ان لنا من قوانيننا ما يقف سدا منيعا ضد كل محاولة للاخلال بأنظمة البلاد المرعية •

عبد الحميد سعيد افندى :

هل اطلع حضرة العضو المحترم على التصريح الذى القاه المستر سكلا تفالا فى الهند ومؤداه ان مصر جزء من الامبراطورية البريطانية ؟

حسين سيد احمد نافع افندى :

ذكرت بعض الصحف ان المستر سكلا تفالا صرح بأن مصر جزء من الامبراطورية البريطانية وانه يريد زيارتها ليقف بنفسه على ادارة دولته لهذا الجزء من الامبراطورية (مقاطعة) • هذا ما ذكرته الجرائد ولكن ورد لاكثر من واحد من المصريين كتب شخصية من المستر سكلا تفالا ينفى ما ذكرته الجرائد ويعبر عن آرائه الشخصية نحو مصر ، واسمحوا لى ان اتلو على حضراتكم ترجمة احدى الفقرات من بعض خطاباته ••

« لا مرية أن البرلمان البريطانى لا يفتأ يدعى ظلما واقتدارا حق الرقابة العليا على المرافق المصرية ويحتفظ بممثلين عسكريين فى الاراضى المصرية والسودانية • فبصفتى عضوا فى هذا البرلمان اجد من واجبى ازاء الشعبين

البريطانى والمصرى ان آتى الى مصر لدرس مسائل معينة فى مواقعها » ٠

ويجمل بى ان اذكر لحضراتكم بهذه المناسبة ان المستر سكلا تفالا انضم بعد انتخابه نائبا عن العمال فى سنة ١٩٢٢ الى الهيئة المصرية الانجليزية التى الفت فى سنة ١٩٢١ للدفاع عن مصر وقد كان هذا من الاسباب التى دعت الى تقديم الاستجواب لمعرفة اسباب منعه من زيارة مصر ، حتى لا يقال أن دولته اباحت له الحضور الى مصر ومكنته من الحصول على التصريح اللازم من وزارة الخارجية البريطانية ولكن حكومة مصر هى التى منعته من دخول بلادها ٠

اننا لا نتهيب أى شخص مهما كانت آراؤه لاننا نزن جميع الآراء والافعال ونكرم كل الضيوف مع احترام قوانيننا ومبادئنا ٠

الرئيس :

هل تريد ان نصرح له بدخول مصر بعد ان حكمت عليه محاكم بلاده بتهمة التحريض على الاخلال بالامن وبعد ان منعته حكومة الولايات المتحدة من دخول بلادها ؟

حسن سيد احمد نافع افندى :

ان اجابة دولة رئيس مجلس الوزراء دلت على اننا لم نتحد شخص المستر سكلا تفالا ٠

محمد صالح حرب افنـدى :

كنت أنتظر من حضرة الزميل حسن نافع أفنـدى بعـد أن نقلت التلغرافات العمومية ما نقلت من تصريحات المستر سكالا تفالا التى أراد أن يستعين فيها برئيس الوزارة البريطانية على دخول مصر باعتبارها جزءا من الامبراطورية البريطانية ، كنت انتظر أن يسحب استجوابه احتجاجا على هذا التصريح ٠

(تصفيق)

ان هذا التصريح قد أفقد المستر سكالا تفالا كل عطف فى هذه البلاد لان مصر لم تكن يوما ما ولن تكون تابعة للامبراطورية البريطانية ٠ انه ليؤلمنا سماع هذه النغمة الكريهة من وقت لاخر ٠٠٠ ان القلوب التى امتلأت بحب الحرية لا تزال فى صدورنا كما أن أشباح النفوس التى سالت دماؤها على حد السيوف وأسنة الرماح فى سبيل الحصول على استقلال البلاد لا تزال ماثلة أمام أعيننا ٠ (تصفيق)

اننا يا حضرات النواب الكرام نغار على استقلالنا أن يمس حتى ولو

بالكلام ولهذا نحن لا يمكننا مطلقا أن نقبل فى ضيافتنا رجلا يريد أن يهبط أرضنا باعتبار أنها جزء من الامبراطورية البريطانية •

لهذا أتقدم لحضراتكم راجيا أن تؤيدوا الحكومة فى تصرفها كما أطلب من الحكومة أن تصر الى النهاية على منع هذا النائب من دخول بلادنا •

(تصفيق)

محمد حافظ رمضان بك :

أردت أن أتكلم فى هذه المسألة لأمرين :

الأول ـ هو أن النائب الوحيد الذى احتج فى مجلس النواب البريطانى على غرامة الخمسمائة الف جنيه التى فرضت على مصر بسبب حادثة مقتل السردار انما هو النائب الذى يمنع الآن من دخول القطر المصرى •

والثانى ـ هو أن هذا النائب الوحيد أيضا الذى اعترض على الاجراءات التى اتخذت فى السودان ولست ألقى كلامى هذا على عواهنه فان ما أبديه ثابت فى أعمال مجلس النواب البريطانى وفى خطاب خاص أرسله لى النائب المذكور جاء فيه :

« ليس هناك من شك فى أن البرلمان البريطانى مهما كان غير عادل ـ ما زال يريد أن تكون له الرقابة العليا على الشؤون المصرية • ما زال يريد الاحتفاظ بممثليه العسكريين والمدنيين فى البلاد المصرية والسودانية ولكنى كعضو من أعضاء البرلمان البريطانى كان واجبا على الشعبين البريطانى والمصرى أن أحضر الى مصر وأن أدرس بعض المشاكل فى مكانها وأن أكون على علم وتجربة بالروح والحالة العامة للجماعات فى الامة المصرية • وبعد قليل من المناقشات حصلت على جواز سفر وأشرت عليه وزارة الخارجية البريطانية بالتصريح بزيارة مصر فذهبت الى المفوضية الملكية المصرية بشارع شارلس نمرة ٧ بلندن للتأشير عليه يوم ٢٨ ديسمبر وهناك أخبرنى الموظف المختص المصرى أنه مضطر الى طلب الموافقة من القاهرة » •

لاحظوا يا حضرات الاعضاء انه ليس من المعتاد دائما أن تطلب مفوضياتنا اذنا من الحكومة المصرية فى أمثال هذه الاحوال فلا بد أن يكون قد أوعز اليه بذلك من الحكومة البريطانية • وجاء فى خطابه أيضا ما نصه : « وأرسل أثناء وجودى اشارة برقية الى مصر لانى كنت راحلا الى الهند فى نفس الاسبوع • وفى اليوم التالى (الأربعاء ٢٩ ديسمبر) أبلغت رسميا أن الحكومة المصرية لا توافق على منحى الترخيص وانها لا تسمح لى بزيارة مصر بتأدية لواجب عام دون جزاء • هل رأيتم جهادى فى البرلمان البريطانى أثناء المناقشة فى غرامة النصف مليون جنيه المقوتة التى فرضت على بلادكم •

وأثنـاء انتزاع السودان منكم لصالح المولين البريطـانيين ؟ فهل كان أى عضو من أعضاء البرلـمان من أى حزب أكثر اخلاصا لكم وعدالة قضيتكم ؟

فى الواقع يا حضرات الزملاء ان هذا النائب لم يك نائبا بريطانيا فقط ، بل الحقيقـة أنه عضو فى جمعية أنشئت فى العـالم الغربى وستجتمع فى يوم ١٠ فبراير القـادم وهى ضد كل استعمار غربى ، جمعية أعضاؤها فى جميـع البـلاد المحـايدة كالسـويـد والنرويج والدانمرك وغيرها ونظريتها ان جمعية الامم الحاضرة انمـا هى جمعية حكومات تريـد أن تقتسم بلاد الضعفاء واذا أريـد أن توجد جمعية أمم حقيقية وجب أن تكون أعمال جمعية الأمم وتصريحاتها موجهـة ضـد كل استعمار وللأخذ بناصر الأمم المستضعفة .

ولم يك هذا النائب وحـده فى هذه الجمعية بل كان فيهـا أيضا المستر لانسبرى النائب البريطـانى وزميله المستر جيمس باكستنى . أيعقل أن يحضر الى مصر رجل هذا شأنه ليدافع عن الاستعمار البريطـانى مع أنه حوكم فى بلاده من أجل آرائه ضـد الاستعمار . ولو كانت حقيقـة أحوال هذا النائب كمـا ذكر لمنع من الدخول الى الهند كما منع من الدخول الى مصر ولكن الرجـل أراد أن يقيم الحجة على تدخل الحكومة البريطانية فى شؤون دولة اعترف باستقلالها بأن طلب التصريح بالسفر بصفته نائبـا بريطانيا . علينـا أن نحـذر آراء بعض الرجـال السياسيين هنا وهنـاك اذا كانوا يعتمـدون فى ترويج آرائهم على القوة والعنف .

أشير الى قانون العقوبات ولكن متى يطبق هذا القـانون ؟ هل يطبق على كل رجل له مبدأ سياسى أو اجتماعى ؟ الجواب بالطبع بالنفى لانه لا يعاقب الا من يستعمل العنف فى تنفيذ مبادئه . وتأييدا لقـولى أذكر أن المحـاكم المصرية قـد برأت كثيرا من الشيوعيين الذين لم يرتكبوا أعمالا يعـاقب عليهـا تنفيذا لمبادئهم ولا يمكن ان يحاكم الناس على آرائهم وعقـائدهم فالآراء والعقـائد يجب أن تكون حرة طليقـة وليس يصح أن يحجر على النـاس فى أفهامهم وعقولهم .

والخلاصة أنه لم يمنع من الدخول الى بلادنا لانه شيوعى بل لانه عضو فى جمعيـة ضـد الاستعمار . ومن العـار يا حضرات الزملاء أن نقف موقفـا سلبيا فى مسألة تختص برجل هو الشخص الوحيـد الذى دافع عنـا فى وقت عصيب لم يأخـذ فيه بناصرنا أحـد .. ورأيى الصريح أن نطـالب حكومتنا بأن لا تستمر فى هذا المنع .

عبد الحليم العلايلى بك :

يقول حضرة الزميل بأن هذا النائب قد منع من الدخـول الى بلادنا لأن

آراؤه ضد الاستعمار تسأل حضرتـه عن العلـة التى لأجلهـا منعت الولايات المتحـدة دخوله فى بلادها ٠٠ ؟

محمد حافظ رمضـان بك :

ألا يعرف حضرة العضو المحترم الى أى حـد وصل نفوذ بريطانيا العظمى ؟

عبد الحليم العلايلى بك :

حتى فى الولايات المتحدة ؟

محمد حافظ رمضان بك :

ألا تعلم حضرتك أنه يوجـد فى الولايات المتحدة من يعمـل للمصـالح البريطانية ؟ هل لا يعلم حضرة العضو بوجود ما يسمونه فى العـرف السياسى بالمجاملة الدولية ؟ فاذا لم يكن قـد منع بسبب آرائه السياسية فبماذا تعلل عمل المفوضية المصرية فى أخذ رأى الحكومة المصرية ؟

رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية :

قـد يحصل ذلك فى الاحوال الاستثنائية ، وقـد اتبع ذلك فى حالتنا هذه لانه نائب بريطانى معروف بمبادئه الشيوعية وليس المنع لسبب آخر ، أما دفاعه عنـا فنحن نشكره عليه ولكننى أصرح بأننى لا أنتظر خيرا كثيرا من دفاع الشيوعيين عنـا ٠

محمد حافظ رمضان بك :

ليست المسألة شيوعية ، وانما هى مسألة سياسية استثنائية فقد دافع هذا النائب البريطـانى عن مصر ولذلك أوعزوا الى المفوضية أن تأخـذ رأى الحكومة المصرية ليفسحوا المجـال لرفض التصريح بدخوله الى مصر ٠

عبد الرحمن عزام أفندى :

أريد أن أستعلم أولا من دولة رئيس مجلس الوزراء هل حصل احتجـاج من الحكومة الانجليزية أو من أحـد ممثليهـا على منع هذا النائب ؟

رئيس الوزراء ووزير الداخلية :

لم يحصل أى احتجـاج ٠٠

عبد الرحمن عزام أفنـدى :

أردت بهذا السؤال أن ألفت نظر حضراتكم أن الحملة التى أشهرت على المستر سكلا تفـالا بأنه رجل يؤيـد الاستعمار البريطانى ويدعو اليه فى مصر انما هى حملة غير حقيقية أصلا ولا تستند الى شىء من الصواب . والدليل على ذلك أنه لو منع نائب آخر لا يعتنق مبادىء المستر سكلا تفـالا المتطرفة لاحتجت الحكومة الإنجليزية على هذا التصرف وانى أرى هذا كافيـا فى أن يزيل من أذهـان حضراتكم آثار الحملة التى أريـد بهـا أن تنزع من قلوبكم العطف على ذلك النائب المحترم . تقبول الحكومة ان المستر سكلا تفـالا منع من دخول هذه البلاد لانه شيوعى دخل السجن مرارا ومنع من الدخـول فى أمريكا وهذا القول غير مجد لان الكثيرين من زملائى المحترمين أعضاء هـذا المجلس قـد حوكموا ودخلوا السجون فكان ذلك مدعاة لفخـارهم وموضــعا لاحترامكم وتقـديركم .

. . . .

. . . .

نحن لا نريـد أن ننشر دعاية ولكنـا نطلب من الحكومة ألا تضطهد عقيـدة ، وقـد كان الاجـدر بهـا أن تسأل المستر سكلا تفالا قبل كـل شىء عن الغرض من مجيئه الى بلادنا أما أن ترفض الحكومة التصريح بدخوله الى بلادنا دون أية مخابرة كما ترفض مجرما شديد الاجرام مع أنه نائب أنتخب رغم ارادة الاحزاب الانجليزية كلهـا فى دائرة (باتريس) فهو اذا رجل عظيم ، ولو لم يكن كذلك (وهو هندى الجنس) لما حاز فى انجلترا أصوات الانجليـز أنفسهم وقـد تألبت عليه الاحزاب كلهـا ضـده .

لذلك أرجو من الحكومة أن تعيـد النظر فى مسألة المستر سكلا تفالا وأن تتخـذ فى الوقت عينه كل الاجراءات الكـافية التى تكفل منع الشيوعية من التسرب الى بلادنا لا سيما وان بين أيديهـا قوانين شديدة لا توجـد فى بـلاد أخرى فلهـا أن تطبقهـا كمـا تشاء . أما انها تمنع دون أن تسأل فهو فى نظرى تعسف يصح فيه ما قيل من انه نكران للجميـل ومخالفة صريحة لابسط قواعد العـدالة .

حسين هـلال بك :

أؤيد الحكومة كل التأييد فى الخطـة التى اتخذتها لمنع المستر سكلا تفـالا من الدخول فى هذه البلاد ، أؤيـدها أولا للاعتبارات التى ذكرت أمام هذه الهيئة المحترمة وأخص بالذكر منهـا اعتناقه للافكـار الشيوعية التى نحاربهـا جميعا .

وأرى أيضاً أنه يجب علينا أن لا نطمئن مطلقاً الى أى انجليزى مهما كانت صفته . (ضجة) .

الدكتور محجوب ثابت :

يا حضرات النواب ... انى أرى من الخطر ومسألة العمال عندنا فى أول نشأتها والمجلس مهتم بها جد الاهتمام أن يسمح بالتهويش عليها باختلاطها بعناصر تدين بالشيوعية أو ينسب اليها اعتناق هذا المبدأ . وبصفتى نائبا تشرفت بالحضور الى هذا المجلس للدفاع عن مصالح العمال مع زملائى الافاضل من النواب ولمساعدة * الحكومة (ضحك) أرى ونحن فى وقت يراد فيه الصيد فى الماء العكر بكل الوسائل ان من واجبنا أن لا نمكن شيوعيا كائنا من كان من الحضور الى هذه البلاد .

حفنى محمود سليمان بك :

لقد اتخذت الحكومة مع المستر سكلا تفالا تلك الاجراءات القاسية مستندة الى أن مبادئه تختلف مع مبادىء ونظم البلاد ولكنى أشعر بأن فى هذه البلاد مبادىء تضارع فى تطرفها وخطرها مبادىء المستر سكلا تفالا ، فاذا كان المستر سكلا تفالا شيوعيا متطرفا فان هنا قوما متطرفين فى الرجعية يقومون فى جامعتنا الوحيدة بنشر مبادئهم وبثها فى أبنائها فهل لنا وقد سمعنا من الحكومة انها منعت حضرة النائب الشيوعى من الدخول الى القطر المصرى من أجل مبادئه . أن نطلب من الحكومة أن تذكر أن مبادىء أولئك القوم تناقض أول مبدأ من مبادىء الدستور وهو أن الامة مصدر جميع السلطات (تصفيق) .

عبد السلام عبد الغفار بك :

اننى أؤيد الحكومة بكل قواى فى الاجراءات التى اتخذتها ضد المستر سكلا تفالا ولست أرى لحضرات النواب أى حق فى أن يغمزوا الحكومة ويلمزوها لانها فعلت ما فعلته أمريكا وهى أغنى بلاد العالم . ان الحكومة باحتذائها مثال الولايات المتحدة فى تصرفها ازاء حضرة النائب الشيوعى المحترم قد رفعت من شأن مصر الناهضة .

... وعلى كل حال فالشيوعية مكروهة وأنا أحبذ تصرف الحكومة فى هذا الحادث وأرجو أن تؤيدوها وأن تطلبوا منها الاستمرار على اتباع هذه الخطة .

الدكتور عبد الخالق محمد سليم :

ان ما أعرفه من مئات الهنود الذين كنت أقابلهم بلندن يوم كنت طالبا بها انهم يكثرون الشكوى من الادارة البريطانية وبالفعل تكونت جمعيات

---

* وردت فى المضبطة « ولساعدة » وطلب صاحب الكلمة فى الجلسة التالية تصحيحها الى « وبمساعدة » .

مختلفة . وبما أن حضرة النائب الشيوعي هندى الاصل فانى أرجو أن يقصر مجهوداته على بلاده الاصلية الهنـد وأن يحصر مساعيه فى الدفاع عن مصالحها .

أحمد رمزى بك :

قال بعض زملائى الافاضل أن بلدنا ديمقراطى لا يجوز أن تحارب فيه حرية الفكر وعنـدى الديمقراطية شيء والشيوعية شيء آخر فان الشيوعية تهدم المساواة .. وتجعل طبقة تعلو غيرها من الطبقـات كما انهـا لا تحترم الملكية ولا تعرف الحرمات التى أقرها الدستور . قالوا أيضا ان احترام الفكر واجب ولكن اذا كان الرجل يجـيء الينـا ويخرج كما دخل فلا بأس من ذلك ولكنـه سيجيء كمـا جاء فى خطـاب حضرة النائب المحترم حافظ رمضان بك ليـدرس الشئون الاجتماعية وكل خوفى من هذه الدراسة ، لانه لا يستطيع دراسة هـذه الشؤون الا باتصاله بالعمال وبثه بينهم روح الشيوعية (ضجة) .

. . . . .

الرئيس :

لقـد تكلم الآن جميع الخطباء الذين طلبوا الكلمة ولكن بعض الذين تكلموا يريدون اعـادة الكرة .

أصوات بقفل باب المناقشة .

الرئيس :

تقـدم اقتراح من عشرين عضوا بطلب اقفال باب المناقشـة فهـل يعارض أحـد فى ذلك ؟

أصوات : كـلا .

الرئيس :

اذن يقفل باب المناقشة والآن اتلو على حضراتكم ما قدم من الاقتراحات تقـدم اقتراحان أحدهما من حضرة عبد الرحمن عزام أفنـدى وحفنى محمود بك ونصه :

« نقترح أن تعيد الحكومة النظر فى مسألة المستر سكلا تفالا وأن تسمح له بالدخول فى القطر المصرى اذا تعهـد بالا يتكلم وبالا ينشر الدعوة الشيوعية فى مصر » .

يخيل الى أن هذا الاقتراح غير مناسب فى صيغته لطبيعة الاستجواب لان الاستجواب ينتهى بقرار من نوع آخر وأظن أن الاقرب الى ذلك هو الاقتراح الثانى المقـدم من حضرة محمد صبرى أبو علم أفنـدى وهذا نصه :

« المجلس بعد سماع بيانات حضرة صـاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء يكتفى بايضاحاتها وينتقل الى جدول الاعمال » .

فهل توافقـون على هذا الاقتراح الاخير ... ؟

وافق الحاضرون بالاجماع ما عدا أربعـة أعضاء .

وثائق وزارة الخارجية البريطانية
« سرى »
رقم الملف ١٠١
التاريخ : ٢٦ ـ ٠٧ ـ ١٩٢٧

ملخص

لترجمة مقال منشور فى جريدة « بندر اسلام » الملاوية الصادرة فى
٤ يوليو ١٩٢٧
بعنوان « عصبة النضال ضد الامبريالية ومن أجل التحرر الوطنى

تحدث المقال عن العصبة ونشاطها وعن تقرير السكرتارية العالمية حول النشاط الذى قامت به خلال الفترة بين شهرى فبراير ومايو ١٩٢٧ ٠

ويتضمن المقال معلومات تقول أن السيد مظهر البكرى قد اقترح تكوين فروع لهذه العصبة فى كل البلدان العربية على أن تبذل جهود بعد ذلك لتوحيد هذه الفروع وتكوين قيادة مركزية عربية لها ويمكن أن يطلق عليها اسم « عصبة تحرير البلدان العربية » ٠

كذلك اقترح السيد بكرى أن يعقد مؤتمر عربى للنضال ضد الامبريالية فى القاهرة وذلك بهدف تعزيز النضال العربى ضد الاستعمار ٠

وقال أنه قد تم الاتصال بالفعل بعدد من الشخصيات المصرية لبحث الامر معها ومن بين هذه الشخصيات التى تم الاتصال بها عضو فى البرلمان *

وسوف يدعى الى هذا المؤتمر أيضا مندوبون من الصين ونيوزلاندا واندونيسيا وانجلترا والهند ٠

---

* يعتقد أنه حافظ رمضان ـ لان العصبة كانت على اتصال به وكان فى هذه الفترة عضوا فى البرلمان ٠

(٤) تقارير شخصية ومحاضر نقاش

* محضر نقاش مع محمد دويدار ·
* محضر نقاش مع ادوارد ليفى ·
* محضر نقاش مع ايلى ميزان ·
* محضر نقاش مع جاكو دى كومب ·
* محضر نقاش مع ريمون أجيون ·
* محضر نقاش مع دينا فورتى ·
* محضر نقاش مع مارسيل ميسيكوا ·
* محضر نقاش مع راؤول كوربيل ·
* محضر نقاش مع أنور كامل ·
* تقرير مارسيل اسرائيل (بدايات الحركة العمالية فى مصر) ·
* محضر نقاش مع فتحى الرملى ·
* محضر نقاش مع أسعد حليم ·
* محضر نقاش مع هنرى كوربيل ·
* محضر نقاش مع عبده دهب ·

محضر نقاش مع محمد دويدار*

جلسة المناقشة الأولى (القاهرة) ٢٢ - ١ - ١٩٧٠

س : كيف انضممت الى الحزب ؟

جـ : كانت نقطة التحول فى حياتى هى اطلاعى على كتابات شبلى شميل وقد اشتريت الجزأين بجنيهان . ولك أن تتصور كيف أمكن لعامل بسيط مثلى أن يدخر من مرتبه مبلغا كهذا ليشترى كتابا . وقد أثرت فى كتابات شميل تاثيرا كبيرا .

وكان لى أخ أصغر منى اسمه محمود دويدار كان يعمل صانع أحذية فى محل بالاسكندرية يمتلكه أخو الشيخ صفوان أبو الفتح . وكنت بطبيعة عملى فى السكة الحديد أكثر من التردد على أخى بالاسكندرية . وتعرفت هناك على الشيخ صفوان أبو الفتح . وكانت هذه نقطة التحول الثانية فى حياتى . فقد نظم لى الأفكار والخواطر التى كانت تموج بها نفسى وشرح لى كثيرا من مبادىء الاشتراكية وأفكارها لكنه لم يضمنى للحزب .

وفى سنة ١٩٢٧ كنت أعمل فى طنطا وكان لى زميل اسمه احمد عبد العزيز كان هو ايضا عطشجى بالسكة الحديد . وفى احد زياراتى له اطلعنى على خطابات وصلته من اخيه محمد عبد العزيز الذى كان فى موسكو فى ذلك الحين وبهرنى وصفه للحياة فى الاتحاد السوفييتى وقد دفعنى هذا الى توطيد علاقاتى باحمد عبد العزيز حتى اطلع على المزيد من المعلمات عن الاتحاد السوفيتى .

(*) ولد فى مارس ١٩٠١ وعمل عطشجى فى السكة الحديد . انضم للحزب عام ١٩٢٧ . سافر الى موسكو طالبا فى مدرسة كادحى الشرق اسقطت عنه الجنسية المصرية - عاد الى مصر متسللا عام ١٩٣٧ حيث واصل نشاطه فى صفوف الحزب - يعمل حاليا موظفا كتابيا فى النقابة العامة لاعمال الخدمات والادارة (١٩٧٠) وذاكرته قوية الى حد يثير الدهشة وافكاره مرتبة تماما الامر الذى يوحى بكثير من الثقة فى المعلومات التى أدلى بها .

ثم عاد محمد عبد العزيز من موسكو وسعيت الى التعرف عليه وفى أول مناقشة سألنى محمد عبد العزيز عن انتمائى الحزبى فقلت له أننى أميل الى الحزب الوطنى لأنه يهتم بشؤون العمال لكننى لا أعمل معهم ·· وبعد عدة مقابلات ضمنى محمد عبد العزيز الى احد خلايا الحزب فى طنطا ·

س : هل يمكن ان تشرح لى اسلوب عملكم الحزبى فى عام ١٩٢٧ ؟

ج : كان التنظيم سرى ، لكننى كنت اعرف ان هناك خلايا فى القاهرة والاسكندرية وطنطا وفى اماكن اخرى · وكان شعبان حافظ يتصل بنا فى طنطا احيانا ، وفى احيان اخرى كنت اسافر انا الى القاهرة لاقابل محمد عبد العزيز · واتسع نشاطنا فى طنطا فانا مثلا جندت عدد من العمال من بينهم اثنان سافرا الى جامعة كادحى الشرق بموسكو هما عبد العزيز مرعى (براد فى السكة الحديد) والثانى اسمه عبد المجيد (لا أذكر بقية اسمه) وكان أيضا عاملا فى السكة الحديد · وكانت الخلايا تدرس الماركسية وتدور مناقشات عديدة حول الاوضاع فى الاتحاد السوفييتى ·

س : كيف سافرت الى الاتحاد السوفيتى ؟

ج : كانت لى رغبة جارفة الى مزيد من المعرفة عن الماركسية وعن الاتحاد السوفييتى وفى احد الاجتماعات تحدثت الى محمد عبد العزيز حول رغبتى فى السفر للتدريب فى الاتحاد السوفييتى فوافق على الفور وطلب ان استخرج جواز سفر · وهكذا قررت ان اترك اسرتى وعملى (١١ سنة خدمة فى السكة الحديد) وسافرت ·

س : كيف تمت ترتيبات السفر حتى وصلت للاتحاد السوفييتى ؟

ج : سافرت اولا الى فلسطين ثم الى الاتحاد السوفييتى ·

س : لم تعد هناك حاجة الى اختزان مثل هذه الاسرار فهل يمكن ان تحكى لى تفصيلا كيف سافرت من القاهرة الى الاتحاد السوفيتى ؟

ج : سافرت الى فلسطين حيث كان معى عنوان ارسلت عليه خطابا اعلن فيه وصولى وبعد اسبوعين حضر الى شخص ونقلنى الى منزل فى يافا وتسلم منى جواز السفر الخاص بى واستخرج لى فيزات للسفر الى سوريا ثم لبنان ثم تركيا للتغطية ·

وبعد ذلك وصلت الى يافا مركب سوفييتية فقطعوا لى تذكرة علينا على اساس انى مسافر الى استانبول ·· ثم سلمت رسالة خاصة الى مسؤول

السفينة فنقلنى الى مكان سرى فى السفينة وشطب اسمى من سجل المسافرين لان السفينة كانت ستمر ببورسعيد والاسكندرية فى طريقها الى استانبول وكان البوليس المصرى يفتش المراكب السوفيتية تفتيشا دقيقا وعندما وصلنا الى الاسكندرية البسونى ملابس احد البحارة ثم اختبأت فى عنبر البضائع حتى غادرت السفينة الميناء .

واخيرا وصلت الى اوديسا حيث بقيت اسبوعين ومن هناك الى موسكو حيث انضممت الى « جامعة ستالين الشيوعية لكادحى الشرق » .

س : لن ادخل فى تفاصيل حياتك بالجامعة لكن ما هى انطباعاتك العامة ؟

ج : الانطباع العام هو ان المجموعة العربية كانت محط اهتمام العناصر اليهودية الاصل ، وكان المصريون اقلية (حوالى ١٢ شخص) وكان هناك حوالى ٣٠ فلسطينى وآخرين من الجزائر ومراكش والعراق وسوريا لكن هؤلاء كانت غالبيتهم من اليهود .. والمصريين فقط هم الذين لم يكن بينهم يهود . وكان معظم موظفى القسم الاداريين والمترجمين من اليهود العرب أيضا ... وكانت لنا نحن المصريون وجهة نظر فى ذلك ، واعلنا أن هذا التكوين لا يتلائم مع طبيعة ظروف البلدان العربية . وكذلك كنا نحن المصريين حريصين على أن نتعلم اللغة الروسية بسرعة فادركنا ان المترجمين لا يعرفون اللغة العربية معرفة جيدة وانهم يترجمون ترجمة رديئة .

وباختصار دخلنا نحن المصريين صراعا ورفعنا شعار « اربيزاتسيا » أى التعريب لكننا هوجمنا بشدة بل ونظمت لنا محاكمة فى الجامعة بحجة اننا شوفينيين واعداء للسامية وللأسف فان العناصر العربية الاخرى برغم من ثوريتها الا انها انجرفت فى التيار وشاركت الاخرين فى حملة الهجوم على العناصر المصرية الامر الذى ادى الى عزلنا والى هزيمتنا فى معركة التعريب .

جلسة المناقشة الثانية – (القاهرة) ١٧-٣-١٩٧٠

س : اتفقنا فى المرة السابقة على ان نعيد مناقشة ما سبق طرحه من موضوعات بعد ان تكون قد رتبت افكـــارك حولها ... والآن اسمح لى ان اعود الى نفس الاسئلة السابقة .. كيف انضممت للحزب ؟

ج : بالاضافة الى المعلومات التى ادليت بها فى الجلسة السابقة اذكر اننى جندت فى طنطا وكنت عضوا فى خلية عدد اعضاؤها خمسة ، ولم اكن اعرفهم فقد كانت السرية مطلقة وكنا نستخدم اسماء حركية . واحيانا كنت استدعى لحضور اجتماعات فى القاهرة واذكر اننى دعيت الى اجتماع فى منزل بشارع كلوت بك حضره محمد عبد العزيز وثلاثة من عمال العنابر ناقشنـــا بعض المشاكل العمالية . وكانت معظم الموضوعات الدراسية تتركز حول حالة العمال واستغلال الرأسماليين لهم . وكنا باستمرار نربط بين الرأسمالية والاستعمار ..

س : هل يمكن ان تحكى لى تفصيلات عن فترة دراستك بجامعة كادحى الشرق ؟

ج : كان هناك ١٢ مصرى اذكر منهم حمدى سلام – عبد الرحمن فضـــل (وكان اسمه السرى هناك نميروف) والدكتور حسونة – شعبان حافظ – عبد العزيز مرعى (وكان اسمه السرى هناك سيرجيفتش) ذلك اننا كنـــا نتخذ هناك اسماء سرية .

وكان بالجامعة طلبة من جميع الشعوب الشرقية اتراك وفرس ، وعرب وآخرين من مدغشقر وكان عددهم حوالى ٤٠٠٠ طالب .

وكان المسؤول عن القسم العربى يهودى من اصل روسى هو ابو زيام واسمه الحركى (حيدر) وكانت له سلطات مطلقة وكان هناك ايضا مسؤول آخر هو جوزيف برجر . وقد عمل برجر على ان يدخـــل الى الجامعة ٤ من اليهود ليعملوا كمشرفين على القسم العربى وكانوا عنـــاصر تافهة وضعيفة ويضفون حول انفسهم هالات من القدسية والزعامة لا يستحقونها .

وبعد ان ثارت مشكلة التعريب احضروا من فلسطين اعداد كبيرة من العرب كثيرين منهم عناصر تافهة وغير متعلمة وان كان هناك عناصر جيدة . ولا زلت اذكر بعض الاسماء عبد الغنى الكرمى (مايخت) – نجاتى صدقى (مصطفى) واخوه .. (وكان يتسمى حركيا باسمى شـــاؤول) محمود الاطرش (مزاد) .

وكان المشرفون اليهود يقومون بتقييم الطلبة وكثيرا ما كانوا يقللون من شأننا . والحقيقة اننى لا استطيع ان اتهم جميع اليهود لكننى اكد اوقن أن بعضهم كان عميلا صهيونيا بينما كان هناك يهود مخلصين وقد دافعوا عنا وتبنوا افكارنا وساندونا واضطهدوا معنا .

س : تقول انكم اضطهدتم ... هل يمكن ان تحكى بعض التفاصيل ...؟

ج : الحقيقة ان العمال المصريين الذين وصلوا الى الجامعة كانوا يثيرون كثيرا من النقاش والجدل ويكثرون من الادلاء بآرائهم .. ولابد ان تعرف ان المستوى الثقافى للعامل المصرى الذى شارك فى ثورة ١٩١٩ والذى شارك فى النضال السياسى والنقابى لسنوات طويلة كان اعلى بكثير من مستوى الطلبة العرب الآخرين ..

فانا مثلا قلت لك اننى كنت قد درست كتابى شبلى شميل قبـــل انضمامى للحزب والحقيقة اننى من فرط اعجابى بشميل حفظت كتاباته عن ظهر قلب وهكذا امكننى المشاركة فى النقاش اثناء المحاضرات متحدثا عن نظرية التطور وعن قوانين الجدل والديالكتيك وعن الثورة الفرنسية واخطائها وعن الجذور الطبقية للاستعمار .. ويبدو ان هذا كان كثيرا بالنسبة لعامل عربى فى نظر المشرفين على القسم وكانوا هم لتفاهتهم يضيقون بأى نقاش حقيقى فاتهمونى باننى لست بروليتارى خاصة وان خطى كان ممتازا لاننى عملت خطاطا لفترة وانا صغير وكنت اكتب اللافتات العربية فى احتفالات الجامعـة بخط جميل . وفى احد المرات قال لى احد المشرفين انت مدســـوس على البروليتاريا ، لم أر بروليتاريا عربيا يتكلم هكذا أو يكتب خطا كهذا ..

ولكى تتصور مستوى الطلبة العرب الاخرين يجب ان تعرف انه كـان هناك فصل تحضيرى قبل بدء الدراسة وفى هذا الفصل الذى انضممت اليه فور التحاقى بالجامعة فوجئت انهم يدرســـون مبادىء القراءة والكتابة العربيـة ومبادىء الحساب .. وكنت انا مثلا قد بدأت فعلا فى دراسة اللغة الروسية .

وباختصار فاننى اعتقد أن ثمة عناصر كانت تتعمد اختيار الطلبة العرب من مستويات فكرية وثقافية متخلفة .. وكانت تضطهـــد كل عنصر متفتح ، والاضطهاد لم يكن منصبا على المصريين وحدهم وانما على كل عربى متفتح بل وعلى اليهود المخلصين ايضـــا .

وفى احد المرات وبعد ان ركزوا هجومهم ضدى على اســاس اننى لست بروليتاريا قرروا ابعادى عن الجامعة لمدة عام كى اعمل فى احد المصانع حتى اخالط العمال واتخلق باخلاقهم ناسين اننى بروليتارى ابن بروليتارى .

س : هل يمكن ان تحدثني عن نظام الدراسة فى الجامعة ؟

ج : قلت ان هناك سنة تحضيرية اجتزناها نحن المصريين فورا ثم هناك بعد ذلك خمس سنوات دراسية وأود ان الفت نظرك الى ان الجامعة كانت مقسمة الى اقسـام مختلفة حسب الجنسـيات وانا اتحدث عن القسم العربى فقط ولا اعرف نظام ولا ظروف الاقسام الاخرى ٠

وكنا ندرس فى هذا القسم جغرافيا طبيعية ـ جغرافيا اقتصـادية ـ جغرافيا سياسية ـ تاريخ الحزب البلشفى ـ الاقتصاد السياسى ـ الحركة النقابية ومهام النقابات وأسلوبها فى العمل ـ اخطار التروتسكية ٠ وفى السـنة الاخيرة درسنا الفلسفة الماركسية واسس المادية الجدلية ـ وتحليلات للوضع فى العالم العربى ـ ونظرية النشوء والارتقاء ٠

وكان للجامعة بيت خاص لاقامة الطلاب وكل طالب كان يتقاضى ٥٠ روبل فى الشـهر ٠

وكان اسلوب الامتحانات جيد فقبل الامتحان يعرض على الطلاب عشرون سؤالا تشمل المقرر كله وتترك لنا فرصة مراجعة دروسنا على اساس الاجابة على هذه الاسئلة ٠ ثم بعد ذلك تكتب هذه الاسئلة فى اوراق منفصلة فى كل ورقة سؤال واحد ثم تطوى الاوراق وكل شخص يختـار ورقة ليجيب على السؤال المكتوب فيها ٠

س : نعود الى معركتكم من اجل « التعريب » أو كما قلت « اربيزاتسيا » ، الم يشارككم الطلاب العرب الاخرون فى هذه المعركة ٠

ج : الحقيقة أن بعضهم شاركنا لكن الكثيرين كانوا يفضلون السكوت بدعوى الانضباط الحزبى ، واذكر اننى مثلا اقمت علاقة وثيقة مع (شاؤول) (الاسم السرى لاخو نجاتى صدقى ولا اذكر اسمه الحقيقى ٠) وكان « شاؤول » هذا عضوا فى اللجنة المركزية للحزب الفلسطينى وقد حكى لى كثيرا عن اضطهاد الكوادر العربية فى الحزب وكيف ان هناك عناصر كانت تقاوم التعريب مقاومة عنيفة وطلبت منه ان يكتب تقريرا بذلك وبالفعل كتب لى تقريرا احتفظت به معى ٠

وبعد ان تعالت صيحاتنا بالتعريب فوجئنا بأبو زيام يحضر اجتمـاعا عاما بنفسه هو وعدد من قادة القسم العربى وعدد من مندوبى قيادة الجامعة لبحث ما اسموه بالظاهرة الخطيرة والتى تنادى بشعارات شوفينية ٠ وكان واضحا ان هذا الاجتماع هو نوع من المحـاكمة للمجموعة المصرية ٠٠٠ ولم نتراجع امام هجمات ابو زيام الذى تحدث حديثا عنيفا ضد معاداة السـامية

والشوفينية ... وطلبت الكلمة ونفيت عن إنفسنا تهمة معاداة السامية وقلت اننا نحن المصريين ساميين نحن ايضا . وتحدثنا عن التعريب كقضية ضرورية لتعبئة الجماهير العربية فى المعركة ضد الاستعمار .

وتحدث عدد من المصريين اذكر منهم عبد الرحمن فضل وعبد العزيز مرعى وقد أوضحنا وجهات نظرنا بشجاعة ووضوح اذهل الحاضرين .

وكنت فى حديثي قد اشرت الى بعض المعلومات التى ضمنها « شاؤول » فى تقريره ... حول اضطهاد الكوادر العربية فى الحزب الفلسطينى . وبناء على ايماءة من رأس ابو زيام وقف شاؤول ليكذبنى . لكننى فاجأت الحاضرين جميعا بأن ابرزت التقرير المكتوب بخطه والذى يتضمن كل ما اشرت اليه من وقائع . وانهى ابو زيام الاجتماع الذى ترتب عليه فيما بعد ان كتب ضدى تقريره بانني بورجوازى صغير ومثقف ولست عاملا . ونجحوا بناء على هذا التقرير فى ابعادى عن الجامعة لمدة عام انا وعبد العزيز مرعى حتى نعمل فى احد المصانع لنتخلق بالاخلاق البروليتارية .

لكنهم تركونى فى المصنع ثلاثة سنوات ونصف ولم اعد الى الجامعة إلا بعد الحاح شديد . والحقيقة انهم لم يستطيعوا التنكيل بى كما ارادوا لاننى كنت انا وعبد العزيز مرعى الوحيدين بين الطلبة العرب الذين تشرفنا بالحصول على عضوية الحزب البلشفى .

لكنهم تعمدوا ارسالنا الى مصنع يبعد اكثر من ٢٠٠ كيلو متر عن موسكو حتى يبعدونا عن الطلبة العرب وبفضل علاقاتنا بالحزب البلشفى نجحنا فى الحصول على عمل فى موسكو ونجحنا فى الاقامة فى بيت الطلبة .

وقبل إن انهى حديثى فى هذه النقطة أود أن أشيد بمجموعة من الرفاق الفلسطينيين الواعين والمخلصين الذين شاركونا حملتنا من اجل التعريب وكان على رأسهم رفيق يهودى مخلص جدا ومناضل ثورى اسمه « الرفيق سبوتن » وقد اضطهد مثلنا وطرد من الجامعة طردا وانتهى الامر ان عمل مدرسا للغة العربية فى جامعة الدراسات الشرقية .

محمد دويدار

جلسة المناقشة الثالثة ـ (القاهرة) ـ ١٨/٣/١٩٧٠

س : الان استطيع ان اسألك كيف عدت الى مصر ٠٠ ؟

ج : الحقيقة ان العناصر المادية التى اشرت اليها فيما سبق كانت تضع العقبات امام عودة الكوادر العربية الى بلادها وذلك حتى تتاح لهم الفرصة مع اخوانهم ٠٠ والذى يصمم على العودة كانت تسد فى وجهه الطرق بحيث يتمرغو فى طريق عودته ٠٠ فمثلا محمود حسنى العرابى كان فى موسكو عندما تقرر ابعاده من سكرتارية الحزب وتعيين الجاسوس الخائن محمد عبد العزيز بدلا منه وطلب العرابى ان يعود الى مصر ليواصل العمل كعضو عادى فى الحزب فسلموه تذكرة سفر بالدرجة الثالثة بالقطار الى برلين ولم يعطوه اى نقود وقالوا انه سيجد التعليمات بالمساعدة عند الحزب الالمانى ٠ ووصل الى برلين ليجد ان الحزب الالمانى لم تصله اية تعليمات ورفض الحزب تقديم اى معونة له وهكذا وضع فى مصيدة فى برلين ٠ واضطر الى ارتكاب اخطاء ٠

وانا لا ادافع عن حسنى العرابى لكننى اقول ان بعض الناس دمروا بهذه الطريقـــة ٠

وانا نفسى تعرضت لنفس الاسلوب ٠

المهم انه صدرت لى تعليمات بان اركب السفينة المتجهة الى بلجيكا عبر بحر البلطيق على وعد بان يقابلنى شخص فى مينـــاء « جيليت » البلجيكى ليسلمنى باسبور ونقود وبعدها اسافر الى باريس حيث سيتولى الحزب تنظيم عودتى الى القاهرة ٠ لكننى وصلت الى « جيليت » ولم اجد احدا فى انتظارى ٠ وصممت على ان أواصل الرحلة وفعلا وبعد مغامرات خطيرة وصلت الى باريس دون نقود ودون جواز سفر ٠٠ وبعد مجهود كبير وصلت الى مقر الحزب الشيوعى الفرنسى فى شارع « لافييت » لكنه كان مغلقا فاليوم يوم احد وقضيت طوال اليوم والليل فى الطريق وفى اليوم التالى قصدت مقر الحزب وقابلت السيدة جان وبعد مناقشة طويلة ابلغتنى انه ليس لديها اية معلومات عن موضوعى ٠ وعلى اية حال فقد ساعدونى على الاقامة فى اوتيل واعطونى بعض النقود وقمت بالاشتراك فى تحرير مجلة « الشرق العربى » وهى مجلة كان يصدرها الحزب الفرنسى باللغة العربية ٠ وأقمت فى باريس اربعة اشهر وبعدها ابلغتنى السيدة جان ان اسافر الى مارسيليا حيث سيتصل بى شخص معين هنـــاك ٠٠ وفى

مارسيليا قضيت اربعين يوما دون ان يتصل بى هذا الشخص الذى علمت انه كان موجودا فى باريس وارسلت خطابا مليئـــا بالشتائم والهجوم الى جـان واتهمتها انها تتآمر ضدى وتمنعنى من العودة الى بلدى والمحت الى انها (وهى من اصل يهودى) جزء من مؤامرة صهيونية ضد العرب ٠

واستدعتنى جان الى باريس فوصلت لاجد جان تعاملنى بجفاف شـديد وسلمتنى باسبور لاسافر به الى حيفا ومنها إلى بيروت حيث طلب منى ان اتصل بفؤاد الشمالى وكلفت بأن اعمل لبعض الوقت مع الحزب الشـيوعى اللبنـانى ٠

لكننى وجدت ان الباسبور كان فى ذاته كافيا لكشفى وتسليمى للبوليس فهو باسم شخص يهودى اجنبى « جوزيف مزراحى » وانا لا يبدو على وجهى أى سمات اجنبية وسن صاحب الباسبور ٢٤ سنة وانا سنى ٣٣ سنة والاخطر من ذلك كله انهم قطعوا لى تذكرة تسافر على خط مارسيليا ـ الاسكندرية ـ حيفا أى انه كان من الضرورى ان امر على الاسكندرية ٠

وفى ميناء الاسكندرية كانت عمليات تفتيش السفن تتم بحرص شديد لمنع أى شيوعى من النزول وقبض البوليس على بالفعل وبعد التحقيق معى وتصويرى سلمت مع الجواز المزور الى القبطان وفى حيفا كان البوليس فى انتظارى ولدهشتى وجدت هناك ضابط بوليس مصرى برتبة لواء اسمه حليم بسطا ويبدو ان الانجليز كانوا يقيمون نوعا من التنسيق بين اجهزة الامن فى المنطقـة كلها ٠ وبعـد تحقيقات طويلة أبلغت انى ممنوع من الدخول وأنى ساعود مرة اخرى على نفس المركب ٠٠ وهكذا عدت من جديد الى مارسيليـا وفى مارسيليا وبناء على نصيحة من اثنين من الشيوعيين المصريين الارمن وكانا يقيمان هناك بعد ان قام البوليس بابعادهما عن مصر ـ عدت مرة اخرى الى باريس لاقابل جان التى طردتنى من مقر الحزب بحجة اننى لم انفذ التعليمات ولم اسافر وانى اخشى من السفر وبعد مجهود كبير وبعد لجوئى الى هيئـة M.O.P.R وهى الهيئـة الدولية للمعونة الحمـراء عادت جان من جـديد واتصلت بى واعطتنى باسبور باسم تاجر مصرى من سوهاج سنه ٣٦ وكان الباسبور من هذه الناحية ملائما كذلك اعطتنى تذكرة سفر بالقطار من باريس الى بيروت ٠ وعلى الحدود السورية جمع رجال البوليس الباسبورتات وبعـد فحصها ابلغونى ان لديهم صورتى وأوامر بمنعى من دخول سوريا واعدت مرة اخرى الى الحدود التركية ٠ وفى استنبول قبض على وحكم القاضى بابعـادى الى الحدود البلغارية اما بالقطار على ان اسدد ثمن تذكرة السفر وتذكرتين لسفر جنديين لحراستى وتذكرتين لعودتهما واما سيرا على الاقدام ولمـا كنت مفلسـا تماما تقرر ابعادى سيرا على الاقدام ٠ جنديان يركب كلا منهما حصانا وانا

اسير فى المقدمة مربوط بحبل واستغرقت رحلة العذاب اربعة اشهر كاملة فى كل قرية نتوقف ويسلمنى الجنديان الى البوليس المحلى الذى يقوم بايداعى الحبس حتى يرتب لى حرسا جديدا وقد تعذبت فى هذه الرحلة عذابا يفوق الوصف وتعرضت لاهوال شديدة * .

وأخيرا وصلت الى الحدود السورية وأمرنى الحراس الاتراك بالعبور . وعبرت الحدود خلسة بعد ان تغافل عنى متعمدا ضابط الحدود السورى الذى عرف قصة ابعادى سيرا على الاقدام ورثى لحالى وسرت متجها الى الاسكندرونة وعلى طول الشاطىء ست ساعت وكان معى اربع ليرات تركية هى باقى ثمن البالطو الذى بعته لاحد الاتراك ، وركبت الاتوبيس حتى حلب .

وقررت ان ابقى فى حلب لاعمل واكسب بعض المال واشترى ملابس لائقة اقابل بها الرفاق اللبنانيين حتى اقابلهم بمظهر بروليتارى مشرف واشتغلت فى حلب عامل بناء وكنت انام فى حمام يملكه شخص مصرى وادخر كل قرش احصل عليه وبعد ٢٥ يوما اشتريت بعض الملابس وسافرت الى بيروت ، وكان كل ما اعرفه هو انه يتعين على تسليم نفسى لفؤاد الشمالى لكننى وبعد هذه الرحلة كنت قد فقدت عنوانه فقررت ان اعمل حتى اعثر عليه .

اشتغلت فى الميناء عامل فحم مستعينا فى ذلك بخبرتى كعطشجى فى السكة الحديد وكنت انام فى قهوة يملكها شخص مصرى اسمه الريس يونس .. واخيرا عثرت على فؤاد الشمالى الذى ابلغنى انه فصل من الحزب لكنه مكننى من الاتصال بأحد اعضاء اللجنة المركزية .

وأسند الى الحزب مسؤولية المطبعة واصدار المنشورات . واستمر العمل ثلاثة اشهر حتى قبض على ـ واعتقد ان فؤاد الشمالى هو الذى ابلغ عنى لانه كان فى هذا الوقت متعاونا مع البوليس .

لم يكن امامى مجال للانكار فقد ضبطت معى المطبعة والمنشورات فقررت أمام المحقق ان اسمى محمد دويدار وانى شيوعى مصرى ممنوع من العودة الى بلاده بسبب اسقاط الجنسية عنى وانه ليس لدى باسبور واننى اناضل فى

---

* روى لى محمد دويدار تفاصيل كثيرة عن هذه الرحلة لكنها لا تتعلق بهذه الدراسة كموضوع علمى فهى اقرب الى القصص الدرامى العنيف ، وربما اتيحت لى الفرصة يوما لتقديمها لأحد الادباء ليخلق منها عاملا دراميا اعتقد انه سيصبح جزءا متمما لجانب العلمى فى هذه الدراسة ـ المؤلف .

صفوف الحزب الشيوعي الشقيق واعترفت باننى كتبت وطبعت المنشورات المضبوطة وقدمت الى المحاكمة ووجهت لى تهمة دخول البلاد بدون اذن والعمل ضد الامن العام :..

كانت الجلسة سرية لكن هناك عدد كبير من المحامين والصحفيين ووقف ممثل الادعاء وهو فرنسي ليطالب بالحكم على بالسجن وطلبت ان ادافع عن نفسى وألقيت دفاعا سياسيا طويلا قلت فيه ان المدعى وهو اجنبى فرنسى مستعمر يتهمنى انا العربى باننى دخلت هذه البلاد بدون اذن وكأنما هو قد استأذن بالدخول ، ان جريمتى هى اننى دخلت هذه البلاد الشقيقة بدون باسبور بينما جريمته هو انه اغتصب هذه البلاد بحد السلاح .

وحكم على بستة أشهر حبس . وقد رحلت الى سجن طرابلس ثم الى سجن زغرتا وبعد الإفراج عني احتلت وهربت من البوليس حتى لا ينفذ حكم الابعاد واتصلت برفيق ارمنى اسمه ارتين مادويان الذى اجرى تحقيقا معى فى ظروف القبض على واصدر قرارا باننى قد اهملت فى اجراءات الامان وتقرر معاقبتي بابعادى عن كنف الحزب لمدة ستة اشهر .

وبعد ذلك طالب الى أن اسافر الى فلسطين لاعمل فى صفوف الحزب الفلسطيني على اساس اننى كشفت للبوليس فى لبنان . وفى فلسطين عملت ايضا فى مطبعة الحزب وعندما اشتعلت ثورة ١٩٣٦ شاركت فى تنظيم الاجتماعات الجماهيرية وفى تهريب الاسلحة واصبحت معروفا خلال احداث الثورة وخاصة بعد ان خطبت كثيرا فى المظاهرات وصار الجميع يعرفوننى باسم محمد المصرى .

وقبض على ثلاثة مرات وتقرر ابعادى لكننى فى كل مرة كنت اهرب من الحراس عند الحدود واعود .

وفى آخر مرة كنت فى مزرعة تابعة لحكومة عموم فلسطين فى مجدل عسقلان وكان ناظرها الرفيق طاهر القبج وقبض على وتقرر ابعادى . وفى هذه المرة سألت نفسى لماذا لا اعود الى مصر .. وكنت اشعر بحنينى الجارف لمصر وللنضال على أرضها .. وتسللت الى العريش واستخدمت مرة اخرى مهنتى كعطشجى فى السكة الحديد للاختباء فوق سطح القطار وهو يجرى باقصى سرعته واخيرا وصلت الى القنطرة شرق .. وصلت الى داخل مصر ولم تعد اية قوة تستطيع ابعادى عنها .... وكان ذلك عام ١٩٣٨ .

س : ماذا فعلت بعد وصولك .. ؟

ج : اتصلت بالدكتور حسونة بالاسكندرية الذى ابلغنى ان هنا خلايا

حزبية وان خلية الاسكندرية قررت استضافتى لعدة اشهر للاستجمام والراحة بعد هذه الفترة الصعبة . وفعلا اقمت فى بيت بجايم يملكه الرفيق محمد عمر (عمروف) ..

وانضممت الى مجموعة الاسكندرية وكانت تضم د. حسونة ـ عبد الرحمن فضل ـ محمد عمر (عمروف) ـ الشيخ صفوان ابو الفتح .

وبعد ذلك انتقل عبد الرحمن فضل الى القاهرة وقررت انا ايضا ان اذهب للقاهرة لابحث عن عمل ، وفى القاهرة انضممت الى المجموعة الحزبية فيها وكانت تضم شعبان حافظ ـ وعبد الفتاح القاضى ـ وعبد الرحمن فضل وآخرين .

وبعد ذلك اتصلنا جميعا بهنرى كورييل وانضممنا الى تنظيمه . وسافرت للعمل فى معسكرات الانجليز بالقصاصين وهناك اتصلت باحدى مجموعات التنظيم .

لكن الانجليز ما لبثوا ان طردونى وابعدت من القصاصين . فعملت فى شركة جونسون ريك آند بيير وكانت تقيم قاعدة للامريكان فى هايكستب ثم عملت بمصنع كيماوى بالمطرية .

انتهى النقاش

محضر نقاش مع ادوار ذليفى

تمت المناقشة فى باريس فى اوائل نوفمبر ١٩٦٨

س : ما هى معلوماتك عن نشاط الحركة اليسارية فى الثلاثينيات ؟

ج : فى حوالى ١٩٢٥ تاسست فى القاهرة والاسكندرية جمعية ثقافية اسمها Essaayistes وهى جمعية ثقافية ليس لها فى الواقع نشاط سياسى ولا علاقة لها بالتيارات ولا الخلافات السياسية وكان نشاطها منحصرا فى المحاضرات الثقافية واقامة معارض وحفلات موسيقية وكان أعضاؤها أساسا يونانيين ، يهود ، شوام ، وقليل من المصريين الاقباط وقليل جدا من المصريين المسلمين ..

وكانت هذه الجمعية تصدر مجلة اسمها L,effort (المجهود) .

وفى داخل الجمعية بدأ يتجمع تيار يسارى ، وأنا أذكر مثلا أن مجلة هذه الجمعية كانت تنشر مقالات عن الماركسية ...

ومن داخل هذه الجمعية وتيارها اليسارى ظهرت فيما بعد شخصيات لعبت دورا فى تاسيس الاتحاد الديمقراطى والمنظمات التروتسكية والشيوعية .. واذكر مثلا جورج حنين .

س : هل كانت هناك اية تجمعات اخرى ؟

ج : مثلا كانت هناك مجلة يسارية اصدرها اخى زكى ليفى اسمها Lagerbe (الحزمة) .

وكانت هناك ايضا جريدة ذات ميول وفدية تصدر بالفرنسية اسمها Liberte (الحرية) .. وكان يرأس تحريرها شخص يسارى اسمه ليون كاسترو وهو محام شهير كان صديقا شخصيا لسعد زغلول .. وقد ظهر ليون كاسترو بعد ذلك ككادر يسارى يلعب دورا هاما فى اتحاد انصار السلام عام

---

* ادوارد ليفى محام مختلط من الاسكندرية .. ولد عام ١٩٠٢ كان احد قادة الاتجاهات اليسارية فى الثلاثينيات اصيب بالعمى على اثر اعتقاله عام ١٩٤٨ .. ابعد من مصر فى ١٩٥٦ عقب العدوان الثلاثى لانه رعية فرنسية .. يقيم فى باريس .

١٩٣٧ ويؤسس لجنة مكافحة العداء للسامية (١) وكان يعمل فى هذه الجريدة أيضاً روبير بلوم وكانت مقالاته ذات تجاه يسارى واضح واذكر انه كان يشير دائما فى هذه المقالات الى « الاومانتيه » جريدة الحزب الشيوعى الفرنسى .

س : يفهم من كلامك انه كانت هناك اتجاهات يسارية متفرقة وسط الاجانب .. وأود أن أعرف هل كانت لهذه المجموعات علاقة بالمصريين ؟

ج : الحقيقة ان غالبيتنا كانت لا تعرف اللغة العربية .. وكان ذلك يمثل عقبة هامة فى الالتقاء بالمصريين وفى البداية كانت المجموعات أجنبية أو شبه أجنبية ولم تكن لها علاقة بالصراعات السياسية فى مصر وذلك طبعا باستثناء مجلة « ليبرتيه » التى كانت تؤيد الوفد وكانت تبدو كمحاولة من الوفد لعمل تيار يؤيده وسط الاجانب .. لكن بعد ان اسس جاكو دى كومب لجنة السلام امكن لهذا التيار اليسارى الاجنبى ان يلتقى بالمصريين .. فقد انضم الى لجنة السلام هذه عدد من المصريين منهم شخصيات معروفة مثل هدى شعراوى ، عبد الفتاح الطويل وغيرهما . وهذه الحركات كانت جزءا من حركة عالمية اسمها التجمع العالمى من اجل السلام ..

وكان لهذه الجمعية نشاط جماهيرى ففى عام ١٩٣٥ عند نشوب حرب الحبشة عقدت الجمعية اجتماعا كبيرا لادانة العدوان الايطالى وقد حضرت هذا الاجتماع وأذكر أن الذين تحدثوا فيه عم عزيز أنطون ، عبد الفتاح الطويل ، ريمون كاسترو (ابن ليون كاسترو) .. وقد نشطت هذه اللجنة كثيرا فى الدفاع عن الحبشة والدفاع عن شعب الصين ضد الهجوم اليابانى وتأييد الجمهوريين فى اسبانيا وعموما فان نشاطها كان مركزا ضد الفاشية والعنصرية والحرب ..

وكانت الجمعية تصدر نشرة بالعربية والفرنسية ..

وقد عقدت الجمعية اجتماعا جماهيريا آخر فى الاسكندرية تحدث فيه محامى اسمه عبد الخالق العزونى وباختصار فان هذه الجمعية قد نجحت فى أن تقيم علاقات جيدة وقانونية بين اليسار الاجنبى وبين المصريين .

س : هل اتصلتم باعضاء الحزب الشيوعى القديم ؟

ج : التقينا مثلا بالشيخ صفوان وهو احد قادة الحزب وكان يحضر اجتماعات جماعة السلام .

س : كيف اتصلتم به ؟

---

١ ـ قال ادوارد ليفى ان ليون كاسترو قد اصبح فيما بعد صهيونيا وقطع الشيوعيون علاقاتهم به .

ج : الذي بدأ الاتصال به أخي زكي ليفي فقد كان يجيد العربية ومن هنا كان هو مفتاح علاقاتنا بالمصريين وزكي ليفي كان فيما بعد عضوا في (ح م م) (الحركة المصرية للتحرر الوطني)

س : عندما اتصلتم بصفوان هل حاولتم تشكيل تنظيم ؟

ج : لا ٠٠ لكن اكتفينا بالمناقشات وعقد اجتماعات للتشاور والدراسة ٠٠ لكن لم يصل عملنا الى مستوى التنظيم بالمعنى المفهوم ٠

س : ممن كانت تتكون لجنة السلام ؟

ج : في الاساس عناصر يهودية ويونانية وكان هناك ايضا انجليز كثيرين ولهذا انا ترددت وخشيت من الاستمرار معهم ٠٠ لقد خشيت من وجود الانجليز ٠

س : ما هي علاقاتكم بالصهيونية ؟

ج : عندما تكونت رابطة مكافحة العداء للسامية وكان مؤسسيها من اليساريين بدأ الصدام بينهم وبين الحركة الصهيونية لاننا كنا نجند اليهود لكفاح ضد الفاشية ولم ندع الى الهجرة لفلسطين ٠٠ كنا نرفع شعارا للخلاص هو الكفاح ضد الفاشية أما هم شعار الخلاص عندهم الهجرة الى فلسطين ٠ ومن هنا بدأ الصدام وكنت انا رئيس فرع اللجنة في الاسكندرية وايلي ميزان (صهر بول جاكو دي كومب) سكرتير فرع اللجنة في القاهرة ٠

س : هل هناك اشياء أخرى تريد ذكرها ؟

ج : هناك عدة اشياء متناثرة ٠٠

* أود ان الفت نظرك الى ان البلد الاجنبي الوحيد الذي تنازل عن الامتيازات الممنوحة لرعاياه في مصر هو الاتحاد السوفييتي بعد ثورة اكتوبر وقد ترك هذا اثرا كبيرا في نفوس الكثيرين ٠

* سمعت عن شخص اسمه حيام شترن وكان عضوا بالحزب الشيوعي عام ١٩٢٢ وترجم مع شخص مصري كتاب لينين « الدولة والثورة » الى اللغة

تعريبية ولكن الترجمـــة كانت رديئـــة جـــدا ٠٠ وقد غادر شـــترن مصر عام ١٩٣٠ ٭٭ ٠

٭ تذكرت الان اسم شخص كان يلعب دورا نشطا فى جمعية الســـلام هو جاك طوبى وزوجتــــه٠٠

٭ فى بداية الحرب العالمية الثانية تشجعت قليلا وقمت انا وصـفوان وسامى كانترفتش (مدرس) بتاليف كتيب من ٢٠ صفحة عن « الزراعـة فى الاتحاد السوفييتى » وقد طبعنا منه ١٠٠٠ نسخة واصدرناه بدون توقيع ٠

انا لم انسى مصر حتى الآن ، بل اكتب رواية عن مصر اسمها « عيناى وشمسى » ٠

انتهى النقاش ٭٭

٭ يعتقد انه يقصد كتابا مترجما صدر باللغة العربية عام ١٩٢١ ـ بعنوان « مذكرات لينين » تاليف ـ لينين رئيس الجمهورية الروسية ، عربها عن الفرنساوية احمد رفعت ـ شركة دار الطباعة الفنية ـ القاهرة ٠

٭٭ اجرى هذا الحوار هو عدد آخر من الحوارات الصديق البير أرييه الذى اسهم بذلك اسهاما جادا فى انجاز هذا الكتاب ٠

محضر نقاش مع ايلى ميزان

تمت المناقشة فى « باريس » فى منتصف شهر

نوفمبر سنة ١٩٦٨

س : ما هى معلوماتك عن التجمعات الاشتراكية فى بداية الثلاثينيات ؟

ج : فى عام ١٩٣٣ وبعد وصول هتلر الى الحكم فى المانيا تأسست فى مصر « رابطة مكافحة العداء للسامية » (L. I. C. A) برئاسة المحامى ليون كاسترو وكنت فى ذلك الحين طالبا فى مدرسة الليسية فأسست فرعا لهذه اللجنة فى المدرسة وكان هذا الفرع هو فى واقع الامر يمثل فرع الشباب لهذه اللجنة فمعظم الطلاب الاجانب كانوا متركزين فى مدرسة الليسية ٠

س : ما هى الحدود التى كانت تنشط فيها رابطة مكافحة العداء للسامية ؟

ج : حملات دعائية ضد النازية ، مقاطعة البضائع الالمانية ، ومقاطعة الافلام والمجلات الالمانية والتى تعطف على المانيا ٠٠٠ وكانت الرابطة مكونة اساسا من اليهود وعدد قليل من الارمن واليونانيين ولهذا كان تأثيرها قليلا وسط الشعب المصرى ٠

س : كيف تحولت هذه الرابطة الى جمعية يسارية ؟

ج : سير الاحداث هو الذى دفعنا ، فقد بدأنا بمعاداة النازية ٠٠ ومن ثم كنا ضد غزو الحبشة وضد الملكيين فى اسبانيا وكذلك تبنينا شعار « الجبهة الشعبية » لتكون اوسع جبهة ضد النازية والحقيقة ان تبنينا لشعار الجبهة الشعبية « كان يمثل نقطة اساسية فى موقفنا ، وهكذا بدأنا كيهود يحاربون العداء للسامية ثم انتهينا شيوعيين » ٠

ولابد ان ذلك كان ايضا بتأثير عناصر يسارية ساهمت فى تأسيس الجمعية ٠

---

* ايلى ميزان احد مؤسسى تنظيم « ايسكرا » وهو اخو زوجة بول جاكو دى كومب كان يعمل موظفا فى قسم الدعاية بشركة الاعلانات الشرقية واعتقل فى عام ١٩٤٨ وطرد من مصر عام ١٩٤٩ ٠

س : كيف كانت علاقاتكم بجمعية السلام ؟

ج : بعد أن أصبحنا يساريين انضم بعضنا اليها ، لكن جاكو دى كومب كان يقيم حواجز ضدنا فقد كان يتشكك فى كل الناس ، وكان يخشى من أى نشاط حتى لا يلفت انظار السلطات ٠

س : كنتم جمعية يسارية ، يتزعمها شخص ذو ميول وفدية ، فكيف كانت علاقاتكم بحزب الوفد ؟

ج : كانت هناك علاقات بالطبع اساسها ليون كاسترو واذكر اننا فى بعض الاحيان اشتركنا فى مظاهرات نظمها الوفد ٠

س : هل كانت لكم علاقات بالخارج أو باية احزاب شيوعية اجنبية ؟

ج : لا أعرف ، لكننى بهذه المناسبة أود أن أذكر واقعة ربما كانت تهمك ، وهى اننى كان لى قريب هو « ادوارد سوريانو » كان يقيم فى الاسماعيلية ٠٠ ومات عام ١٩٣٨ ٠

وبعد وفاته عثرت فى اوراقه على اشياء تفيد انه كان على علاقة بالحزب الشيوعى الفرنسى وعثرت فى أوراقه أيضا على أشياء توحى أنه كان أحد مؤلفى كتاب اصدره الحزب الشيوعى الفرنسى عن مصر اسمه « الإدب والاستعمار ٠٠ مصر فى الادب الفرنسى » والكتاب بدون توقيع لكن هناك اهداء من عدة اشخاص منهم الاسم التالى « E.S » وانا اعتقد ان هؤلاء الاشخاص هم المؤلفين وان « E.S » هو « إدوارد سوريانو » ٠٠ وهذا الكتاب جيد جدا وهو دراسة ماركسية ممتازة عن موقف الادب الاجنبى من مصر ٠

س : كيف تحولتم الى العمل الشيوعى ؟

ج : انا اتصلت بالاتحاد الديمقراطى ٠٠ وهو كان تنظيم مفتوح بعكس جمعية السلام وانا وهليل شوارتز عملنا لفترة من الوقت مع هنرى كورييل فى الاتحاد الديمقراطى ٠

وفى يناير ١٩٤٢ اتصل بنا « كيبريو » وهو (عديلى) وجمع عددا من اعضاء (الاتحاد الديمقراطى) وعدد من اعضاء (جمعية السلام) واخبر لنا شخص يونانى ادعى انه ممثل الكومنترن ٠٠ ودعانا هذا اليونانى الى ضرورة

العمل فوراً على تكوين تنظيم شيوعى وعلى الفور قررنا البدء فى تأسيس تنظيم وكونا لجنة مركزية .

وبعد قليل اكتشفنا ان هذا اليونانى لا يمثل الكومنترن وانه مجرد شيوعى سابق بالمجموعة اليونانية ومفصول منها ... فلما واجهنا « كبيريو » اعترف وقال انه اتخذ هذا الموقف ليحثنا على تكوين تنظيم .

س : ممن تكونت اللجنة المركزية الاولى لا سكرا ؟

ج : انا وهليل شوارتز وماكس اتيريت .

س : ألم يكن فيها هنرى كورييل ؟

ج : كان من المفروض ذلك ولكن شوارتز اعترض على ذلك قائلا ان كورييل سبق اعتقاله بتهمة الشيوعية وانه مكشوف للبوليس .. وانه لا يتبع قواعد الأمان .

وهكذا استبعدنا كورييل من القيادة .

محضر نقاش مع بول جاكو دى كومب

جلسة المناقشة الاولى

تمت المناقشة فى باريس فى أوائل نوفمبر ١٩٦٨

س : هل يمكن أن تتقدم لنا موجزا لتاريخ حياتك وكيف أصبحت يساريا ؟

ج : أنا من أصل سويسرى وقد ولدت فى القاهرة .. وكان أبى مهندس مشهور يمتلك شركة كبيرة للمصاعد وللمقاولات الكهربائية .. وقد تعلمت فى مدرسة أجنبية فى القاهرة ولم أعرف كلمة عربية فقد كان التكلم بالعربية مشينا بالنسبة للاجانب المقيمين فى مصر وفى أوائل الثلاثينيات ذهبت الى ألمانيا لادرس الموسيقى . وأثناء وجودى بألمانيا ارتبطت بالحزب الشيوعى الالمانى .. لكنى لم أصبح عضوا وانما مجرد صديق لهم وكنت أشترك فى مجموعات الدعاية والاثارة التى كان الحزب ينظمها وكثيرا ما ذهبت مع الشيوعيين الى المقاهى لنخطب ونغنى أناشيد شيوعية .

وفى عام ١٩٣٢ عدت الى مصر كى أقيم عاما واحدا ثم أعود مرة أخرى .. وخلال هذا العام أرسلنى أبى الى أسوان حيث كانت شركتنا تقيم مشروعا متعلقا بكهربة الخزان وكان أول اتصال حقيقى لى بالعمال والفلاحين المصريين .. ومن مخالطتى لهم بدأت أشعر أنه لا بد من كفاح منظم لانقاذ هؤلاء الناس .. أدركت أن الاشتراكية شىء جميل لكن تطبيقه يحتاج الى كفاح منظم ..

وفى هذه الاثناء وصل هتلر الى الحكم فقررت البقاء فى مصر .. وقررت أن أبحث عن الشيوعيين المصريين وأن أتصل بهم ..

ولم أعثر إلا على مجموعة من الشيوعيين اليونانيين وكانت مجموعة نشيطة جدا ومنظمة جدا وكل أعضائها من اليونانيين ، لكن كانت لها علاقات بالعمال المصريين عن طريق بعض اليونانيين الذين كانوا يعملون أسطوات ورؤساء عمال ..

✻ جاكو دى كومب احدى الشخصيات الهامة فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، وقد تردد اسمه كثيرا وسط هالة من الغموض فقال الكثيرون أنه كان مندوب الكومنترن فى مصر .. وانه مؤسس احدى التنظيمات الشيوعية الاساسية (د ش) (الديمقراطية الشعبية)

وظللت لفترة أعمل مع هذا التنظيم دون أن أعرف من هو قائده ·· وبعد أن وثقوا بى سمح لى قائدهم بمقابلته وعرفت أنه ياناكاكس ·

وبعد ظهور الفاشية ، وبناء على توجيهات الدولية الثالثة بدأ هذا التنظيم ينظم حملة للافراج عن الزعيم الالمانى تيلمان ··

لكننى بمرور الوقت اكتشفت اننا معزولين عن الواقع المصرى وأن أساليبنا لا يمكن أن تؤدى بنا للالتقاء مع المصريين ·· وطالبت بسياسة جديدة وطرق جديدة تستهدف نشر الشيوعية وسط المصريين أنفسهم ·· ولما رفضوا انقسمت عن هذه المجموعة وخرجت أنا وعدد من الناس بينهم « بيريدس »(١) ·

س : ماذا فعلتم بعد ذلك ؟

ج : فكرت فى ضرورة ايجاد منبر قانونى للعمل نستطيع من خلاله الاتصال بالمصريين ·· ورأيت أن الاسلوب الافضل هو تأسيس منبر علنى معاد للفاشية حتى لا تعترض عليه سلطات الاحتلال ·

وهكذا أسست فى القاهرة والاسكندرية تجمع السلام بمناسبة حرب الحبشة وقد ارتبط هذا التجمع بالتجمع العالمى من أجل السلام ·· وقد عقدنا عدة اجتماعات جماهيرية تحدث فيها مصريين أذكر منهم عبد الفتاح الطويل ···

س : ما هى حدود نشاط هذه الجمعية ؟

جـ : كانت تمارس نشاطا سياسيا وثقافيا وكنا ننظم محاضرات ومناقشات وكنا نصدر نشرة بالعربية والفرنسية ·

وكانت المشكلة الاساسية التى تواجهنا هى عدم معرفة اللغة العربية ومشكلة الترجمة ·· وعلى أية حال فقد كان أساس عملنا هو الحذر الشديد جدا ··

والذين جندناهم كانوا أساسا يونانيين ، يهود ، انجليز ، (معظمهم مدرسين) ·

---

١ ـ بيريدس ·· شاعر قبرصى شهير كان يتزعم حركة الشيوعيين اليونانيين فى مصر ·· أبعد عن مصر عام ١٩٤٦ خلال حكم اسماعيل صدقى وقد توفى منذ عدة سنوات فى رومانيا حيث أقام هناك مع مجموعات المهاجرين اليونانيين ·

س : هل تذكر أسماء ؟

ج : أذكر بيريدس ، سقراط كاليريكوس (محام مختلط بالاسكندرية توفى فى منتصف عام ١٩٦٨) ، رغائيل دويك ، جاك طوبى ، سامى حنوكة (أخو زوجة ريمون أجيون وهو الذى أثر كثيرا فى جماعة الحزب المصرى فيما بعد) وراؤول كوربيل ، يوسف درويش ، جورج حنين ، مارسيل اسرائيل وعدد من التروتسكيين ٠

س : هل يمكن أن تذكر شيئا آخر عن نشاطكم ؟

ج : فى عام ١٩٣٦ نشطنا لمساندة الجمهوريين الاسبان وفكرنا فى ارسال متطوعين فى الفرقة الدولية ٠

وفى عام ١٩٣٨ سافرت الى أوربا لحضور إجتماع التجمع العالمى للسلام وقابلت كريشنا مينون وأبلغنى أن نهرو يرغب فى زيارة القاهرة وفى مقابلة النحاس باشا ، وعند عودتى اتصلت بعبد الفتاح الطويل وأبلغته بذلك وقد حضر نهرو فعلا ونزل ضيفا على النحاس باشا ٠

وقد تسببت هذه الزيارة فى مشاكل كثيرة لى ، فقد هاجمنى جورج حنين وراؤول كوربيل على أساس اننى مكنت نهرو من أن يقابل عناصر برجوازية وكان الاجدر أن نقابله نحن ٠٠

وقد تفاقم هذا الخلاف وأدى الى انقسامهم وتكوينهم مجموعة مستقلة والحقيقة أنها كانت مجموعة تروتسكية ٠٠

وأود أن أقرر الان أن أحد أسباب الخلاف هو أنهم قد بدوا ينشطون نشاطا واسعا وأنا خشيت أن يهدد نشاطهم كيان الجمعية وأن يكشفنا للبوليس المصرى ٠

س : ما هو مصير جمعية السلام هذه ؟

ج : فى عام ١٩٣٢ بعد نشوب الحرب العالمية الثانية لم يكن من الممكن استمرار جمعية السلام فى العمل فتحولت الى « مجموعة الدراسات Le groupe études » وبدأنا فى اعداد دراسات عن الواقع المصرى والفلاحين ٠٠٠

وأصدرنا كتاب بالانجليزية اسمه « مصر الان Egypt Now » وقد الفه « هيلرى وايمانت » وكان الهدف هو توزيع هذا الكتاب على جنود الاحتلال الانجليز ٠

وأيام الحرب كنا ننظم سلسلة من المحاضرات في مدرسة الليسية بالقاهرة .

س : هل كان لكم اتصال بالكومنترن ؟

ج : لا .

س : تردد كثيرا انك كنت على اتصال بالكومنترن ؟

ج : هذا غير صحيح والدليل أن جورج بوانتيه (مدرس سويسرى الجنسية) تردد على جمعية السلام وكان يستهدف تحويل الجمعية الى تنظيم شيوعى وأفهمنى أنه على علاقة بالكومنترن وأن لديه تعلمات بتأسيس تنظيم لكننى شككت فيه ورفضت .

س : هل تعتقد أن بوانتيه كان على علاقة بالكومنترن ؟

ج : أعتقد انه كان فقط على علاقة بالحزب السويسرى .

وكانت هناك محاولة مماثلة قام بها الدكتور حسونة وكان حسونة يحضر الى جمعية السلام بالاسكندرية وقد أبلغنى حسونة أنه على علاقة بالكومنترن ... وفى مرة علم اننى مسافر الى أوربا فأبلغنى أنه يريد أن يرسل تقريرا الى الكومنترن وتهربت منه لاننى كنت حذرا جدا ولاننى قلت لنفسى اذا كان متصلا بالكومنترن حقيقة لكانت له طريقته الخاصة بالاتصال بهم .

س : لماذا لم تحاول تكوين تنظيم ماركسى ؟

ج : كنت أرى أن الاجانب لا يمكن أن يؤسسوا حركة شيوعية مصرية ، وان هذه المهمة يجب أن يقوم بها مصريون وان مهمتنا هى دراسة الواقع المصرى وأن نبحث فى حذر عن مصريين قادرين على قيادة العمل ثم نترك لهم مهمة تأسيس التنظيم ..

والحقيقة أن هذا هو السبب الرئيسى للخلاف بينى وبين هنرى كورييل لأن كورييل كان يرى أن على الشيوعيين الاجانب أن يؤسسوا حركة شيوعية مصرية وأن يقودوها .

بول جاكو دى كومب

جلسة المناقشة الثانية ــ ٢٦ يناير ١٩٧٠ بباريس

س : بعد المناقشة السابقة وبعد الاستماع الى كوربيل وآخرين أود أن أوجه اليك سلسلة من الاسئلة حول الدور الذى قمتم به فى تاسيس أحد التنظيمات الشيوعية فى مصر فماذا تريد أن تقول حول هذا الموضوع وخاصة فيما بعد عام ١٩٤٠ ؟

ج : أولا أود أن أؤكد اننى منذ ١٩٤٠ قد شعرت شعوراً قويا بأن دورنا قد انتهى . لقد كنا قد وضعنا البذور ويكفى هذا بالنسبة لاجانب وكان رأينا أن نترك الامر للمصريين وخدمهم واذا احتاجوا الى بعض المعلومات أو المساعدات مثل الترجمة وما الى ذلك فاننا نقدمها لهم . لكن قيامنا نحن الاجانب بتأسيس منظمة شيوعية مصرية كان أمرا مرفوضا .

وقد اعترض على موقفى هذا ايلى ميزان* وانسحب من مجموعتنا لينضم الى مجموعة أخرى كانت تسعى لتاسيس منظمة .

س : حسنا ، لنرجع الى ما قبل ١٩٤٠ ولنبدأ مرة أخرى من البداية الأولى . كيف فكرت فى الثلاثينيات فى تكوين مجموعة ماركسية ومن حثك على ذلك . وهل كانت لعلاقتك بأحد الاحزاب الشيوعية الاوروبية صلة بذلك ؟

ج : لم يحثنى أحد على فكرة تأسيس مجموعة . وأنا لم أكن على علاقة بأى حزب أوربى . عندما كنت فى المانيا كنت مجرد عاطف على الحزب الشيوعى الألمانى وكنت فى مجموعة من الدعاة وكان نشاطنا قاصرا على الدخول الى المقاهى والقاء الخطب والاناشيد الثورية لكن لم نكن أعضاء فى الحزب .

وعندما عدت من المانيا ذهبت الى ادفو حيث كان والدى يقوم بمشروع هناك والتقيت بالعامل والفلاح المصرى ومن هنا كانت الشرارة الأولى وبعد ذلك عدت الى سويسرا وحاولت العودة الى المانيا لكن هتلر كان قد تولى السلطة وعدت الى مصر .

س : اسمح لى أن اقاطعك لكن كوربيل يؤكد انك كنت على علاقة بالحزب السويسرى ؟

---

* أخو زوجة بول جاكو دى كومب .

ج : لا ‥ ولكن جورج بوانتيه كان على علاقــة طفيفة بهذا الحزب . وكان يعمل مدرسا فى الاسماعيلية وبورسعيد ‥

س : كذلك يؤكـد لاكور فى كتابه الشيوعية والقومية فى الشرق الاوسط أنك كنت ممثل الكومنترن فى مصر فما رأيك فى ذلك ‥ ؟

ج : غير صحيح والحقيقــة أننــا كنا كثيرا ما يتصل بنا أشــخاص ليعلنوا انهم يمثلون الكومنترن لكننــا لم نتأكـد من صحة أى ادعاء من هــذه الادعاءات ولم تكن لدينـــا بالفعل أى علاقــة حقيقيـــة أو رســـمية بالكومنترن* .

س : حسنا ، لنعـد الى بدء نشاطك فى مصر فى الثلاثينيات ‥

ج : كنت فى الاسكندرية ولم أكن أعرف أحـد من اليساريين لكننى كنت أريـد أن أفعـل شيئا وقـابلت بعض اليونانيين والايطـاليين وكانوا على علاقات بالعمـال المصريين وكانت هذه أول علاقــة حقيقية لى بالعمل السياسى فى مصر . ولم أكن أعرف أنهم منضمون الى منظمات سرية لكننــا كنــا نتناقش بشكل عام . ومع تطور علاقاتى باليونانيين قــالوا لى ان شخصا يريـد مقــابلتى وكــان هذا الشخص هو باناكاكس . وعلمت أنه مســئول المجموعة الشيوعية اليونانية . والحقيقة اننى حتى هذه اللحظة لم يكن لدى أى فكـرة عن قيــامى شخصيا بتأسيس تنظيــم . ومع اســتمرار الاتصال لاحظت أن نشاط باناكاكس وكاليــاريكوس و بيريدس محصور تماما وسط الأجانب .

وخلال بعض المناقشات اقترحوا أن نصدر نداء للمطـالبة بتحرير تيلمان لكننى سألت أنا وبعض الشباب ما علاقــة هذا بالشعب المصرى . لا بد من عمل شىء لتحرير الشعب المصرى وتحريك الشعب المصرى .

وانفصلنا عن باناكاكس وكونت أنا وأربعــة من الشبان مجموعة جديده تضم بيريدس ، هاجى أندرياس (مصرى الجنسية من أصل يونانى كان يعمل فى مجــال القطن وكان شاعرا . وقد نشر عدد من الدواوين والكتب ويعيش الآن فى اليونان) .

وقلنــا أن هدفنــا الاساسى هو الخروج من مازق العمل وسط الاجانب ومن السرية المطلقة التى أحاط بهــا باناكاكس العمل بحيث جعل المجموعة معزولة تماما عن كل ما يجرى فى مصر .

---

* خلال أحد الجلسات رأى بول جاكو دى كومب معى بعض وثائق مصورة من International Press Correspondence وهى النشرة التى كان يصدرها الكومنترن ، فقــال لقــد كتبت عدة مقــالات فى هذه المجلة . لكنه لم يعـد الى الاشارة الى هذا الموضوع مرة أخرى .

لقد احسسنا أنه لا قيمة لان يقوم ٣٠ أو ٤٠ من اليونانيين المقيمين فى مصر بعمل تنظيم سرى يحيط نفسه بسرية مطلقة وبدون اية علاقة مع المصريين ٠٠٠

لعلاج أساليب العمل اضطرت المجموعة يوما لاصدار منشور باللغة اليونانية فارسلوا لى عامل يونانى حتى أكتب المنشور بخطى فلا يستطيع البوليس الوصول الى كاتب المنشور لاننى لست يونانيا ٠

ولكى نعمل ونتصل بالمصريين كان لابد من البحث عن سند قانونى لتحركنا ولهذا أسسنا اتحاد أنصار السلام ٠ وأقمنا علاقة مع الحركة العالمية المسماة Rassemblement Universel pour la Paix وهكذا بدأنا الاتصال بالمصريين ٠

ولكن بعد أن أعلنت الحرب لم يكن من الممكن الاستمرار فى حركة السلام ولهذا أسسنا « مجموعة الدراسات » وكان هدفها تعريف الاوربيين باوضاع المجتمع المصرى ٠

لقد أغلقت الحدود ٠ وهكذا كان لا بد للاجانب المقيمين فى مصر أن يتجهوا لدراسة الواقع المصرى ٠ وكانت لنا علاقة جيدة بالليسيه فرانسيه وبالفعل تمكنت مجموعة الدراسات من اعداد دراسات جيدة عن الفلاح المصرى ـ تاريخ مصر ـ ثورة عرابى ـ نهر النيل ـ الخ ٠

وكانت لنا أيضا علاقات بعدد من الانجليز العاملين فى قوات الاحتلال ومنهم مثلا كولونيل أو كابتن Klugman وكان شخص ممتاز ونشيط ٠ وقد تعرفت به عن طريق أستاذ انجليزى شيوعى بالجامعة المصرية ٠

وقال Klugman انّ علينا أن نضع كتابا بالانجليزية موجه الى جنود قوات الاحتلال الانجليزية نحدثهم فيه عن مصر وحضارتها وتاريخها وعن ظروف معيشة الفلاح المصرى وبالفعل أعددنا هذا الكتاب وطبع طبعتين والحقيقة أن أحد العوامل المساعدة أن الانجليز كانوا يرحبون بالتعاون معنا خوفا من اتجاه المصريين نحو الالمان ٠

س : هناك شخصية أود أن اسألك عن رأيك فيها هى ليون كاسترو ٠ فهل كان كاسترو يساريا أم صهيونيا وما هى علاقتكم به ؟

ج : كاسترو كان معاديا للنازية ومن هذه الزاوية اتخذ مواقف يسارية وتعاون مع اليسار لكنه كان ايضا صهيونيا ٠ ومثل هذه التركيبة كانت موجودة بكثرة فى هذه الايام حيث اندفع كثير من اليهود للنضال ضد الفاشية

في يتعاون مع كل أعداء الفاشية بما فيهم الشيوعيين •

وعندما كنا في مجموعة الدراسات اتصل بي شخص وقال انه موفد من قبل كاسترو وأبدى استعداده لمساعدتنا وتمويل أعمالنا لاننا ضد الفاشية ولم يقدموا أية شروط لكنهم اظهروا انهم في خوف شديد من جماعة الاخوان المسلمين •

وقد رفضنا بشدة أى إتصال بهم او قبول أى مساعدة منهم ولكن هذا الموقف من كاسترو ومجموعته أدى الى حدوث خلاف شديد في صفوف مجموعة الدراسات •

س : كيف كنتم تحصلون على الكتب الماركسية ؟

ج : عندما عدت من سفرى في المرة الاولى أحضرت معى بعض الكتب واذكر انني عندما كنت في أدفو كان معى كتاب رأس المال لكارل ماركس • وفي ١٩٣٨ سافرت زوجتى الى فرنسا وعادت ومعها عدة حقائب مليئة بالكتب • وفي هذه الفترة كان كل شخص يسافر للخارج يعود ومعه كتب •

س : كيف أسست التنظيم ؟

ج : أنا مصمم على أننى لم أؤسس تنظيم • أنا وضعت البذور ثم تركتها • أنا كنت من الناحية المبدئية ضد أن يقوم أجنبى بتأسيس تنظيم انني أقر بوضوح أن تاريخ الحركة الشيوعية قد بدأ بعد أن تنحيت أنا عن العمل •

لقد عملت في مصر عشر سنوات من النضال الديمقراطى والماركسى بهدف نقل الفكر الماركسى الى عدد من المصريين وهذا هو كل دورى وبعد ذلك تركتهم يفعلون ما يشاءون •

لكن كورييل كان يرى أنه يمكنه وهو أجنبى أن يؤسس تنظيما • وعندما حضر أندريه مارتى إلى مصر ناقشه كورييل وأيد مارتى وجهة نظر كورييل • وهذا طبيعى فالحزب الشيوعى الفرنسى كان يرى أنه يمكن لكوادر أجنبية أن تقود العمل الحزبى في بلد مستعمر وكان هذا هو موقفهم العملى في الجزائر •

واستنادا الى تاييد أندريه مارتى كون كورييل ح.م. وطلب الى رفاقى أن أعرف وجهة نظر الحزب الفرنسى في هذا الموضوع وظللت أتصل لمدة أربعة سنوات بالمكتب السياسى للحزب الفرنسى دون أن أتلقى ردا •

س : هل تريد أن تضيف شيئا حول النشاط في الاربعينيات ؟

ج : لا • • اسأل أصحاب هذا النشاط أما أنا فكان دورى قد إنتهى تماما •

انتهى النقاش

محضر نقاش مع ريمون أجيون*

اجريت المناقشة في باريس في ٤ ابريل ١٩٧٣

س : سأبدأ بسؤال تقليدى .. الاسم ، الميلاد ، المهنة حاليا .

ج : اسمى ريمون أجيون . مولود في عام ١٩٢١ بالاسكندرية ، أعمل حاليـا تاجرا للوحات التشكيلية وأقيم في باريس .

س : كيف . ولماذا ومتى انتميت الى الحركة اليسارية . وعن طريق من ؟

ج : الحقيقـة أنه من الصعب أن أقدم اجابات دقيقـة على سؤال دقيق كهذا فقد كنـا مجموعة من الاجانب ، كل واحد فينـا يعرف الاخر ، وكان عددنا قليـلا ، ومن ثم فقد كان كل منـا يتحدث مع الاخر ويؤثر في الاخر . وفي البداية كنـا نسرع بالاتفـاق ثم نسرع بالخلاف مع بعضنا البعض .

س : المهم كيف اتجهت يسارا ؟

ج : المسألة ـ بالنسبة لى على الاقل ـ لم تأت دفعـة واحـدة ، ثم اتخذ قرارا من جانبى بأن أصبح يساريا ، كنا نعيش في مصر كاسرة أجنبية وكنت أتردد كثيرا على أوربا ، ولم يكن غريبا أن يذهب شاب ممتلىء حماسا الى أوروبا وينبهر بهـا ، ثم يعود الى مصر فيشعر بأن الامور لا تسير في الطريق الصحيح .. وهكذا تكونت لدى في البداية أفكـارا اشتراكية خيالية وكأى شاب أجنبى ذو ثقـافة فرنسية قرأت جان جاك روسو ، والبؤساء لفيكتور هوجو ، كنت أقرأ ثم أنزل الى الشارع فاشعر بأن كل ما يصفـه هوجو من بؤس موجود في مصر ، لكننى لم أكن أعرف ماذا افعل ؟

وخلال هذه الفترة ـ وكان سنى حوالى ١٥ سنة ـ وخلال زيارة لباريس سمعت عن النضال الاشتراكى وعن الجبهـة الشعبية وكان من اليسير جدا على انسان مثلى أن يتصل باليسـار الفرنسى .

---

* ظل ريمون أجيون منتميا لفترة طويلة الى الحزب الشيوعى الفرنسى وذلك بعد أن غادر مصر في عام ١٩٤٥ . حيث مارس نشاطا حزبيا مع مجموعة من الطلاب المصريين الدارسين في فرنسا وحيث ارتبط اسمه بتأسيس منظمة الحزب الشيوعى المصرى (الراية) .

كذلك كانت هنــاك مسألة مهمة ، كان ظهور هتلر وانتصاره في المانيا يرعب اليهود ، وانا يهودى ، وقـد شعرت كما شعر كثير من اليهود بضرورة اللجـوء الى مساندة الحركة الديمقراطية المناهضة للفاشية ·· وهكذا ومن هذه الخلفية بدأت أقترب رويــدا رويــدا من العمل اليســارى .

وثمة منطلق آخر ·· فانا من أسرة غنية ، وكنت أشعر وأنا شاب متحمس ، وبهذه الخلفية الفكرية ، ان أسرتى تستغل الشعب المصرى ، ومن خــلال هذا الشعور ، ومن خــلال التناقض بين الأجيــال بدأت أيضا أتمرد .

وقـد كنت طالبا فى المدرسة اليهودية بالاسكندرية ، وهى مدرسة تضم طلابا من مختلف الفئات الاجتماعية ، وكان بالمدرسة بعض المدرسين التقدميين من بينهم مدام آنا طوبى (التى تزوجت فيما بعـد زربيني واصبحت مدام زربيني) · وكانت مدام طوبى زميلة لجاكو دى كومب ، وتعمل معه فى اتحاد السلام ، وكانت تدرس لنــا التاريخ ، وكنا فى هذه الفترة نقرأ كتب أندريه مارلو وغيره ... وفى سن الرابعة عشرة وجــدت نفسى طالبــا فى مدرسة مديرها اشتراكى ومدرستها تقـدمية وجوها العــام كان ديمقراطيا ومعاديا للفاشية · وكان هنــاك فى المدرسة طــلاب يهود فقراء الى حـد ما ، وكانوا يشـعرون بالتناقض مع الطــلاب الاغنيــاء ·

كل هذا خلق المناخ الذى تحولت فيه تدريجيــا نحو اليسار وأصــبحت ماركســيا ·

س : ولكن كيف كانت البداية الفعلية ؟

ج : جذبتنى مدام طوبى الى اتحاد أنصار السلام ، وطلبت منى أن أدرس وأن أناقش وكنت صغيرا جدا ، لكننى كنت متحمسا وبدأت فى النشاط لكننى وبعـد فترة أحسست أننــا أجانب نتحدث مع الاجانب عن الاجانب ، والمصرى الوحيـد بيننــا كان يشعر بعزلة قاسية ·

كذلك بدأت أشعر أن هؤلاء العــاملين فى اتحــاد السلام كانوا حذرين أكثر من اللازم ، خائفون دوما ، يخشون أى تحرك ، وكانوا يتحدثون حتى فيمــا بينهم بحذر شديد ، وخوف شديد ، وقلت فى نفسى اذا كانت هذه هى الشيوعية فانا لست شيوعى ··

وعندما أصبحت فى السابعة عشرة من عمرى وحصلت على البكالوريا بدأ حلمى القـديم يراودنى ·· أن أدرس الطب ، وأصبح طبيبا يعيش فى ريف مصر ليعالج الفــلاحين الفقراء ·· وينشر الاشتراكية فى صفوفهم ·· وتوجهت الى باريس ودرست السنة الاعدادية فى كليــة الطب ، واتصــلت بالشيوعية ولكننى لم انضم للحزب الشيوعى رسميا ، وبدأت نذر الحــرب

العالمية الثانية فأسرعت بالعودة الى القاهرة .. كانت سنى ١٨ سنة ونصف ولم أجد سوى العمل مع ذات المجموعة القديمة اتحاد أنصار السلام .. برئاسة بول جاكو الذى اعتبرنى هو وزملائه متطرفا ومشاغبا ، وفى نوفمبر ١٩٣٩ تركتهم أنا ومارسيل اسرائيل وراؤول كورييل وفتاة يونانية (لا أذكر اسمها) لكنها كانت تعمل بالصحافة وقد أسست معها بعد ذلك صحيفة « دون كيشوت » . وكان مارسيل أكثرنا خبرة ، لكن خبرته كانت هى أيضا متواضعة ، وعندما اتفقنا على ترك مجموعة بول جاكو كنا نعرب بذلك عن سخطنا على التردد والخوف وعلى انحصار العمل وسط الاجانب وحدهم وعلى الابتعاد عن المصريين وعن مشاكل مصر الحقيقية . ولهذا قررنا تأسيس حزب شيوعى .

وفى نوفمبر ١٩٣٩ اجتمعنا نحن الاربعة وقررنا اننا الحزب الشيوعى وكانت هذه سذاجة مفرطة ، وربما كانت محاولة لبث الشجاعة فى نفوسنا لكنها لم تكن بأية حال تعبيرا عن واقع موضوعى .

وبدأنا ..

كان مارسيل يعمل فى مصنع قرب حلوان ، وكانت لديه بعض علاقات بالعمال ، وبعضنا كانت له علاقات بعدد من الطلاب .. وفى نفس الوقت تأسس النادى الديمقراطى وانضممنا اليه لنعمل من داخله .

س : كيف ؟

ج : ابتداءا من نوفمبر ١٩٣٩ كنت أعتبر نفسى شيوعيا ، قبلها كانت لدى مجرد تطلعات اشتراكية . وعندما أسس هنرى كورييل النادى الديمقراطى ، قلنا لانفسنا نحن حزب شيوعى وهم تجمع قانونى علينا أن نعمل فى داخله لنكسب قوات جديدة لصفوفنا ، ثم كانت هناك أيضا جماعة الفن والحرية فعملنا معها أيضا ..

أى اننا قسمنا نشاطنا فى الفترة الى قسمين ..

النشاط القانونى ، وكان يتمثل فى العمل المناهض للفاشية والنشاط الديمقراطى العام ومقاومة الدعايات المناهضة للسوفييت ، ومن هذا المنطلق أقمنا علاقات متشعبة .. مع النادى الديمقراطى (القاهرة) ومع اتحاد السلام (أساسا بالأسكندرية) ومع مجموعة الفنانين السيرياليين الذين أسموا أنفسهم « الفن والحرية » ومنهم جورج حنين ورمسيس يونان ، كامل التلمسانى : وهؤلاء السيرياليين لم يكونوا متفقين معنا ١٠٠٪ لكننا قلنا انه فى بلد كمصر وفى فترة كهذه لا بد أن نتعاون مع أية قوى مستنيرة ، بينما

كان بول جاكو وأمثاله من الجيل القديم ضد أى علاقة مع هذه المجموعة بحجة أنهم تروتسكيين .

وأصدرنا مجلة « دون كيشوت » باللغة الفرنسية وقد عارضها مارسيل بينما كنت أنا وراؤول كورييل نعتبرها مجرد وسيلة لتقريبنا من الناس .

وكانت افتتاحية العدد الاول عن الاتحاد السوفييتى وكان الموقف معقدا للغاية وقد كتبتها انا وراؤول . وكانت فترة الوفاق السوفييتى مع المانيا ، وكان الكثيرون يهاجمون السوفييت بعنف لهذا السبب ، وقد حاولت الافتتاحية أن تقول بأن السوفييت لم يتحالفوا مع الالمان ، وبأن الحرب الفنلندية ليست ضد « المعسكر الحر » وانما هى ضد المانيا ، وكانت هناك رقابة على الصحف ، وكنا مضطرين أن نتلاعب بالالفاظ ، ولم يكن ممكنا أن ندافع صراحة عن السوفييت ..

واختلف مارسيل معنا بسبب المجلة ، وانقسمنا .

وتوقفت دون كيشوت وبدأت محاولة جديدة فى مجلة تصدر بالعربية هى المجلة الجديدة .

وعن طريق « دون كيشوت » تعرفت برمسيس يونان .. واتفقنا على العمل معا فى المجلة الجديدة وأصبحنا شركاء لسلامة موسى ثم اشتريت منه المجلة . وكان تكتيك رمسيس يونان وأصدقائه ممالأتى عندما كان الاتحاد السوفييتى يتراجع أمام الالمان ، ولكن بعد معارك ستالينجراد وبداية الانتصار السوفييتى بدأوا فى الهجوم على السوفييت .. وانقسمنا وبرغم اننى دفعت كامل ثمن « المجلة الجديدة » الا أن العقود كانت باسم رمسيس يونان فأخذ المجلة لكنها لم تلبث أن توقفت .

وفى المجلة الجديدة كنت قد تعرفت بأسعد حليم وأسست له دار نشر هى « دار الفجر » ولم يكن أسعد من مجموعتى لكننى كنت اساعد أى انسان تقدمى . فلم يكن يهمنى الا النضال .

وخلال تقدم القوات الهتلرية فى جبهة العلمين سافرت الى فلسطين حيث التقيت بعدد من الرفاق الفلسطينيين فى حيفا ..

وبعد عودتى الى مصر بدأت فى الاهتمام بالمسألة اليوغسلافية ، وكان هناك ٢٨ ر ٢٨ مهاجر يوغسلافى ، أتى بهم الصليب الاحمر ومنظمة «أونرا» وكبسوهم فى معسكر فى منطقة الشط بالقنال . وكانوا قد أتوا وبينهم تنظيم سياسى قوى أختيرت قيادته فى يوغسلافيا وقد حاول الانجليز تدمير هذا التنظيم .

وقد إشتركت زوجتي مع عدد من السيدات الانجليزيات في تكوين لجنة للاهتمام بهم ، وقامت اللجنة بجمع تبرعات مالية ، ومساعدتهم على مواصلة نشاطهم السياسي ، وقدمنا لهم مساعدات هامة ، وقامت علاقة بيننا وبين الشيوعيين في صفوفهم . ولفترة ليست قصيرة كنت أركز نشاطي في هذا الموضوع .

وكانت هناك أيضا مشكلة اليونانيين ، كانت التشكيلات العسكرية اليونانية تقاوم سياسة الانجليز المتآمرة ضدهم والتي تحاول تصفية الفرق العسكرية اليونانية التي تتمتع القوى الثورية فيها بنفوذ هام ، وذلك بالزج بهم في معارك غير متكافئة مع العدو وفي جبهات بعيدة عن الجبهة اليونانية . وقد قام الجنود اليونانيون بخمسة انتفاضات هامة ، وكنا نساعدهم مساعدات كبيرة . وفي أحد هذه الانتفاضات حاصرتهم القوات البريطانية ومنعت عنهم الطعام ، وتحركنا نحن لمساعدتهم ، جمعنا تبرعات واشترينا طعام واتصلنا بعدد من الجنود الانجليز الشيوعيين وعن طريقهم كنا نهرب لهم الطعام والمعلومات وقدمنا لهم مساعدات جدية .

س : وكيف ومتى تركت مصر ؟

ج : في عام ١٩٤٥ بدأت الحركة الشيوعية المصرية تزدهر ، وأحسست أن جذورها بدأت تتعمق ، وكنت في هذه الاثناء أشعر أنني بثقافتي الاجنبية عاجز تماما عن تقديم المزيد . وكان هذا احساسي بالنسبة لبقية الاجانب وقررت أن أترك مصر ، وغادرتها الى باريس حيث انضممت الى الحزب الشيوعي الفرنسي .

س : هكذا أستطيع أن أصل معك الى مرحلة أساسية في الحوار وعن المجموعة الطلابية المصرية التي تكونت في باريس .. علاقتك بها ؟ نشاطها؟ كيف تكونت .. ؟

ج : أتى الى فرنسا طلاب مصريين كثيرين بعد الحرب العالمية الثانية وكان هناك مصريون سابقون مقيمون أيضا في فرنسا وفي هذا الجين تواجدت في مجموعة حزبية كلفها الحزب الشيوعي الفرنسي للعمل في هذا المجال .. وهذا هو كل شيء .

س : هل تسمح بمزيد من التفصيل ، ولكي أكون محددا فان هناك اعتقاد بأنك كنت على علاقة بمجموعة ما ، وأنك كنت توجهها سياسيا ؟

ج : كان كل هدفي هو العمل على توحيد الشيوعيين المصريين ، وقد أتحدوا ولكنهم عاودوا الانقسام . أما عن علاقتي بمجموعة ما فالحقيقة أنه

كان هنا * فى باريس طلاب مصريون كنا على علاقة بهم بحكم نشاطى الحزبى ، وبعد عودتهم لمصر كان بعضهم ياتى لزيارتى ، وكنا نتناقش بطبيعة الحال ، وربما جاء هذا الظن من انهم كانوا يعودون الى مصر فيقولون ان أصدقائنا فى فرنسا يقولون كذا وكذا . وتصور البعض اننى أوجه هؤلاء الناس من هنا . والحقيقة أنه ربما كانت لنا فى فرنسا وجهة نظر معينة لكننا لم نكن ندخل فى أى تفاصيل .

س : وماذا عن تداخل الحزب الشيوعى الايطالى فى الاوضاع المصرية ؟

ج : الايطاليين لم يهتموا بمصر الا مؤخرا .. كان هناك مصريون سابقون أعضاء فى الحزب الشيوعى الايطالى ولم تعد لهم علاقة جدية بمصر مثل ريناتو ميللى . والحقيقة ان الاهتمام بمصر عندما أتى متأخرا لم يات عن طريقهم وانما عن طريق بعض الصحفيين من الاونيتا الذين زاروا مصر وأقاموا علاقات هناك .

س : وأنت شخصيا .. ماذا كان دورك ؟

ج : ربما كنت أهتم أكثر من الاخرين ، ربما كانت علاقاتى أوثق بأصدقائى القدامى من الطلاب الذين عادوا الى مصر ومارسوا دورهم ، ولكننى لم أكن أوجه أوامر أو تعليمات لاحد .. كنت فقط أقول رأيى .. وأقرر أنه لم يكن هناك توجيه من الخارج لكن يمكن القول بأنه كان هناك ضغط من الخارج من أجل الوحدة .

س : ماذا اذن عن نشرة « الشرق الاوسط » والتى كنت تصدرها فى باريس ، والتى انتهجت خطا سياسيا مشابها لخط من أسميتهم أصدقاؤك القدامى .. ؟

ج : عندما فتحت السجون والمعتقلات فى مصر قررت القيام بعمل اعلامى لمساعدة المناضلين الشيوعيين المصريين والدفاع عنهم ، ولكن لكى يمكن لهذه المجلة أن تجد قراءا كان لا بد من عدم الاكتفاء بالحديث عن المعتقلين وانما أن تتحدث عن أوضاع مصر بشكل عام ، وقد كانت « الشرق الاوسط » مجلة جيدة .. وتضم مواد ممتازة وكان لها قراء كثيرين .

س : متى صدرت هذه المجلة .. ومتى توقفت ؟

جـ : صدرت فى نهاية ١٩٤٩ وتوقفت فى نهاية ١٩٥١ . وكانت تصدر شهريا .

س : ماذا كانت الاهتمامات الاساسية للمجلة ؟ وما هى علاقاتها ؟ ومن كان يمولها ؟

جـ : كانت مجلة مستقلة ، وكنت أنا الممول ، وأصدرتها أنا وعدد من الأصدقاء وكان تركيزنا الاساسى على قضايا الشرق الادنى ، وكانت لنا علاقات بالشيوعيين الاسرائيليين وحتى بالمابام ، لكن الشيوعيين السوريين كانوا ضدنا .

انتهى النقاش

محضر نقاش مع دينا فورتي *

أجريت المناقشة في روما في ٢٤ ـ ٢ ـ ١٩٧٣

س : متى بدأ نشاطك السياسي ؟ وكيف ؟ ومن خلال أية منظمات ؟

ج : بدأت نشاطي السياسي في عام ١٩٣٨ . وكان ذلك في اتحاد أنصار السلام .

س : هل يمكن أن تعطيني صورة عن تكوين اتحاد أنصار السلام . وأسلوب عمله ؟

ج : كان الرئيس بول جاكو دي كومب ، وكان هناك عدد لا بأس به ، أذكر مجموعة من اليونانيين منهم فيوتيريدس الشاعر اليوناني المشهور الذي اقام فيما بعد في قبرص والذي ترجمت أشعاره الى العديد من اللغات ، وأيضا زوجته الكسندرا ، وفي الاسكندرية كانت هناك مجموعة من الاجانب منهم كازيس Cazes ودورا ستوليار Dorra Stoliar وأخوها آبي ABY وهما من أصل روسي وأذكر أن ABY هذا شارك في الحرب ضد النازي ومات في المعارك في الجبهة الايطالية .

وكانت المسئولة عن النشاط في الاسكندرية آنا طوبي ANNA TUBY زوجة جاكو طوبي وكان شيوعيا .

س : وماذا عن نشاط اتحاد أنصار السلام .. ؟

ج : كان نشاطنا خلال ٣٨ ـ ١٩٣٩ يتركز أساسا في تأييد الجمهوريين الأسبان ، سواء في جمع تبرعات أو تنظيم حملات اعلامية ودعاية ، وأذكر اننا نظمنا حملة واسعة لجمع تبرعات لمدرسة أطفال في فالينسيا بالمنطقة المحررة .

وكنا ننظم محاضرات لتأييد الحرب الوطنية في الصين ...

س : هل كان معكم مصريون ؟

---

* دينا فورتي مناضلة شيوعية ايطالية ، لعبت دورا هاما في حركة اليسار وسط الجالية الايطالية بمصر في نهاية الثلاثينيات ومطلع الاربعينات غادرت مصر الى ايطاليا حيث ما زالت تمارس دورا نشيطا في الحزب الشيوعي الايطالي .

ج : أذكر شخصا مصريا كان معنا اسمه صبحى وكان مدرسا ، وقد سمعت أنه ترك النشاط بعد ذلك .

س : هل كان نشاطك يقتصر على العمل فى اتحاد أنصار السلام ؟

ج : لا .. فقد كنت شيوعية وكنت مرتبطة بالحزب الشيوعى الايطالى وكانت هناك مجموعة ايطالية أذكر منها ريناتوميلى RENATO MIELY وزوجته ايزا ISA وأوجو ناكسون UGO NACSON وريناتو فرفره RENATO FARFARA .

وكنا ننشط وسط الجالية الايطالية لتعبئة جماهيرها ضد الفاشية وكانت هناك مجموعة ايطالية نشيطة معادية للفاشية تضم أحد قادة الحزب الاشتراكى الايطالى وهو باولو باتينو PAWLO PATINO . والحقيقة أن المجموعة الشيوعية الايطالية كانت نشيطة للغاية ووسعت مجالات عملها الى حد كبير .

س : وماذا عن علاقاتكم بالحزب الشيوعى الايطالى ؟

ج : كانت علاقتنا بفرع الحزب الشيوعى الايطالى فى فرنسا وكانوا يرسلون لنا نسخا من جريدة كانوا يصدرونها فى باريس وأسمها LA VOCE DELGLI ITALIANE (صوت الايطاليين) وكانت تصلنا بالبريد وكنا نقوم بدورنا بتوزيعها بالبريد على الاسر والشخصيات الايطالية المناهضة للفاشية ، وكنا نصدر منشورات فى المناسبات والاحداث الهامة ونوزعها بالبريد .

وكانت المجموعة الشيوعية وخاصة ريناتو ميلى وناكسون وباتينو غاية فى النشاط فى مجال العمل المناهض للفاشية ، وكان هؤلاء الثلاثة مدرسين بالمدرسة الايطالية ، ومارسوا نشاطهم على نطاق واسع فى المدرسة وخاصة فى فترة الحرب الايطالية ضد الحبشة وفى الحرب الاسبانية .

وقد كان ريناتو ميلى أستاذا فى جامعة بادوا ولكنه اضطر للهجرة الى مصر فى أعقاب الردة العنصرية لانه كان يهوديا وبدأ يعمل كمدرس فى الليسيه اليهودية .

ومن بين العناصر التى نشطت نشاطا واسعا ضد الفاشية محام ايطالى أسمه مارسيل ميسيكوا MESSICWA

س : ثمة معلومات مؤكدة ان الرفيق سبانو أحد قادة الحزب

الشيوعي الايطالي - في ذلك الحين - زار مصر في نهاية الثلاثينيات وأقام بها لفترة .. فما هي معلوماتك عن هذه الزيارة ؟ وأسبابها ؟

ج : فيما أعلم أنه وصل الى مصر في فترة الحرب ضد الحبشة وأنه أقام في بورسعيد بهدف تنظيم نشاط وسط الجنود الايطاليين المتجهين الى الحبشة ، وكان بالفعل ينظم علاقات معهم ويوزع عليهم بيانات معادية للحرب ضد الحبشة .

س : هل شعرت من خلال تواجدك في اتحاد انصار السلام بان بول جاكو كان يسعى لاقامة تنظيم ماركسي في مصر ؟

ج : لم اشعر ، ولكن سمعت أنه كان يحاول ذلك .

س : وماذا عن المجموعات الشيوعية في الاقليات الاجنبية الاخرى ؟

ج : قلت لك كان هناك يونانيين واذكر منهم بالاضافة الى بيريدس شخص آخر اسمه حاجي باباندريو وهو كاتب روائي مشهور واسمه الذي اشتهر به في ميدان الادب هو تسيركوس Tsirkos . وكانت المجموعة اليونانية نشيطة للغاية أكثر نشاطا منا لان الجالية اليونانية كانت اكثر عددا والتاثير الفاشي فيها اقل .

س : هل كنتم تصدرون نشرات أو مجلات ؟

ج : كنا نصدر مجلة باللغة الايطالية مناهضة للفاشية وكنا نوزعها على اسرى الحرب من الايطاليين وقد لعبت هذه المجلة دورا هاما واسمها FAUSTA TERNI

وكان يرأس تحريرها لارا ليفي LARA LEVI زوجة راؤول مكاريوس .

س : هل اقامت هذه المجموعة المناهضة للفاشية في مصر علاقات مع الانجليز ؟

ج : طبعا ، واتفقنا معهم على طبع مجلة باللغة الايطالية اسمها « الجبهة المتحدة » FRONTE UNITO لتوزيعها على اسرى الحرب الايطاليين في كل انحاء العالم وكانت فعلا توزع في معسكرات الاسرى بالهند وجنوب افريقيا وغيرها . وكان اتجاه المجلة تقدميا بشكل عام فكانت تؤيد وتمتدح موقف الاتحاد السوفييتي ، وتشيد ببطولة السوفييت في معارك ستالينجراد ... الخ .

س : ماذا كان موقفكم تجاه قضايا الشعب المصري ؟

ج : كان خطانا الاساسي اننا حصرنا انفسنا في الاهتمام بالاوضاع الايطالية : كنا نناضل من اجل ايطاليا ، ونتتبع اخبارها ، وكنا نوزع نشراتنا

على الايطاليين ، ونعمل بينهم ، وانا مثلا لم اهتم بدراسة اللغة العربية ، ولم اهتم بدراستها الا بعد ان وعيت سياسيا فحاولت ان اتلقى دروسا فى اللغة العربية على يد صبحى ... ولكن لم استمر طويلا ... هذا بينما كان زيدنتو ميلى يتكلم العربية لكن طموحنا ونضاليتنا كانت تتركز فى العمل من اجل ايطاليا وكان النموذج الامثل هو أن يعود الانسان الى ايطاليا ليقاوم الناشية ، واذكر مثلا • كارليتو مندل .وكان مناضلا
CORLETTO MENDEL
ممتازا غادر مصر الى ايطاليا عام ١٩٣٩ ليناضل الى جانب الشعب الايطالى ... واستمر يناضل حتى قتل بأيدى الفاشست عام ١٩٤٣ •

س : هل لديك اية معلومات عن نشاط المجموعات الشيوعية الأجنبية الاخرى فى مصر ؟

ج : لم اكن على علاقة الا بالايطاليين واليونانيين •

انتهى النقاش

محضر نقاش مع مارسيل ميينيكوا

اجريت المناقشة فى باريس فى ٥-٤-١٩٧٣

الاســـم : مارسيل ميسيكوا .
تاريخ الميلاد : ١٩٠٧ .
محل الميلاد : الاسكندرية .
المهنـــــة : رجل اعمال . محام .

س : اود ان تعطينى فكرة عن حركة اليسار الاجنبى فى الثلاثينيات ، مكوناته منطلقاته ، اتجاهاته .

ج : بالنسبة لى انا بدأت النشاط فى عام ١٩٣٦،وكنا مجموعة من المثقفين اليهود واليونانيين اذكر منهم شارل عيسوى * واميل نجار ** .

وقد تركنا شارل واتجه يمينا ، وكنا مجموعة اجنبية معزولة تماما عن الشعب المصرى .

واذكر اننى فى عام ١٩٣٦ تلقيت بالبريد طردا من الكتب الماركسية باللغة الفرنسية وكان مرسلا لى من باريس ، واستولى عليه البوليس واستدعانى جيتس باشا مدير البوليس وحقق معى طويلا ، ثم اعاد الى الكتب بعد ان نبه على الا اطلع عليها احدا غيرى ..

وقد ظللت لسنوات ادرس الماركسية ، واتناقش عنها مع بعض اصدقائى الاجانب لكننى لم اتصل مطلقا بأى مصرى ..

س : هل يمكنك ان تتذكر بعض الاسماء التى كنت تتصل بها فى هذه الفترة .

ج : جاك توبى وكان زوج مدام توبى ثم انفصلت عنه ، ريمون اجيون ، وكان هناك سيرينى وهو اشتراكى ايطالى وهو رجل ممتاز وكان اخوه احد قادة الحزب الشيوعى الايطالى ...

وكانت هناك ايضا لارا ليفى زوجة راؤول مكاريوس واذكر انها كانت تصدر مجلة ايطالية ، وعندما مر تولياتى بالقاهرة قادما من موسكو بعد الحرب العالمية توجه اليها فى منزلها وانتقد المجلة نقدا شديدا .

---

* شارل عيسوى مؤلف كتاب واسع الشهرة عن الاقتصاد المصرى .. وقد ألمح ميينيكوه الى انه قد اسهم فى اعداد مواد هذا الكتاب .

** اميل نجار سفير اسرائيل فى روما (وقت النقاش) .

وكان هناك من اليونانيين الشاعر بيريدس والرسام انزلو بولو واندريه فاتيديس وهو الآن فى اثينا ..

س : الم تكن لكم اية علاقات بالمصريين ؟

ج : بشكل عام لم تكن لنا علاقة بهم ولا حتى اهتمام بالاتصال بهم ، وان كنت اذكر بعض علاقات عابرة مع توفيق الحكيم وزهير جرانه .

س : الآن اريد ان افهم طبيعة هذه المجموعة التى تتحدث عنها ؟

ج : كنا مجرد مجموعة من اليهود الديمقراطيين نتخذ موقفا ضد النازى ، ولكن لم تكن لنا اية مبررات للتصادم مع الانجليز او للاهتمام بمشـاكل مصر .. ومن هنا فقد تبـاعدنا عن الآخرين الذين قرروا الاهتمـام بمصر وبمشاكلها .

س : افهم من هذا انه لم تكن لك اية علاقات بالشيوعيين او المنظمات الشيوعية !

ج : كان هناك شخص ايطالى اسمه هنريكو تيزنى وكان على علاقـة تديدة بالحزب الشيوعى المصرى منذ عام ١٩٢١ ، وبعدها استمر يعمـل كشيوعى وسط الايطاليين ، وكان يعطينى نشرات مكتوبة باللغة الانجليزية تمتدح الاتحاد السوفييتى .

س : متى غادرت مصر ؟

ج : فى مايو ١٩٤٨ .

انتهى النقـاش .

محضر نقاش مع راؤول كورييل *

تمت المناقشة فى باريس فى منتصف نوفمبر ١٩٦٨

س : ابلغنى جاكو دى كومب انك عملت معه فى جمعية السلام فهل هذا صحيح ؟

ج : نعم وكان معنا ايضا راؤول مكاريوس وزوجته (وهو الذى اسس فيما بعد مجموعة تحرير الشعب) وكان معنا ايضا سيدة ايطالية اسمها فاوستا تيرنى اصدرت فى مصر جريدة ايطالية سارية اسمها (الجبهة المتحدة) .

وكذلك ريمون آجيون (انضم بعد ذلك للاتحاد الديمقراطى واسهم فيما بعد فى تأسيس مجموعة الحزب المصرى) ومارسيل اسرائيل وآخرين .

س : قال جاكو دى كومب انك كنت تروتسكيا ؟

ج : هذا غير صحيح على الإطلاق والحقيقة اننا إختلفنا معه لانه كان يخاف من اية تحرك ويخشى أى ارتباط بالمصريين ويعمل فى حذر شديد جدا يصل الى حد الشلل التام وكان يخشى من أى مظهر ماركسى .

والحقيقة انه حتى جورج حنين لم يكن من الممكن اعتباره فى ذلك الحين تروتسكيا .. وان كان قد اصبح فيما بعد احد زعماء التروتسكيين ..

س : ما هى اساليبكم فى العمل بعد الانفصال عن جاكو دى كومب ؟

ج : بدأنا فى تكوين مجموعات صغيرة تدرس الماركسية .

انتهى النقاش

---

* شقيق هنرى كورييل .

محضر نقاش مع انور كامل *

تمت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٦٩/١/١٤

س : هل استطيع أن أسألك عن بدء علاقاتك بالاتجاه اليسارى ؟

ج : فى البداية اتصلت بجماعة Essayistes المحاولين ، ولكن صلتى بهذه الجماعة كانت ضعيفة جدا ولم تتعد زيارتين أو ثلاثة لكننى لم إشعر بالقدرة على الاندماج معهم ؟

وفى عام ١٩٣٦ اصدرت كتابا اسمه « الكتاب المنبوذ » وقد صدر عن دار نشر يملكها احمد الصاوى محمد وهى دار « مجلتى » .

وعن طريق هذا الكتاب تعرف بى كامل التلمسانى وتدعمت العلاقات بيننا بشكل وثيق ومستمر .

وفى عام ١٩٣٧ أو ١٩٣٨ لا اذكر بالضبط اقام التلمسانى معرضا لرسومه وكان الطابع الغالب عليه هو الطابع السيريالى .. وقد أحدث معرضه ضجة وتجمع حوله عدد من المثقفين .

وعن طريق التلمسانى تعرفت بجورج حنين وتوثقت علاقتى به وكان يرتب فى ذلك الحين هو وعدد من المصريين للانفصال عن جماعة Essayistes .. وبعدها اتصلنا بالاتحاد الديمقراطى لكن لم نشعر بالارتياح معهم ...

وهكذا انفصل جورج حنين مكونا جماعة « الفن والحرية » وكنت عضوا بهـا .

س : الم تتصلوا بجماعة بول جاكو دى كومب ؟

ج : هذا الاسم لا اتذكره مطلقا ، ربما التقيت به ولكننى لا اتذكره مطلقـا .

س : كيف سار النشاط فى جماعتكم الجديدة « الفن والحرية » ؟

ج : اصدرنا سلسلة من النشرات وكلها ذات طابع فنى ، والحقيقة اننا

---

* انور كامل احد مؤسسى تجمعات اليسار المصرى فى الثلاثينات وتتميز محاولته بأنها فى جوهرها محاولة مصرية صرفة بعد صدام مع القوى الاخرى . وتحت تأثير علاقاته الشخصية بعناصر تروتسكية اصبح تروتسكيا وفى منتصف الاربعينات توقف عن النشاط ثم اصدر بعد ذلك كتيبا يهاجم فيه الشيوعية ويصفها بأنها أفيون الشعب .

كنا جميعا نتجه الى الفن ... وأذكر ان اول نشراتنا كانت عنيفة جدا وتتضمن بيانا بعنوان « يحيا الفن المنحط » وقد طبعناها بالعربية والفرنسية وقد وقع هذا البيان سلامة موسى ، جورج حنين ، رمسيس يونان ، فؤاد كامل ، كامل التلمسانى ، وانا .

وعلى ظهر النشرة طبعنا صورة « جرنيكا » لبيكاسو .

وهذه النشرة رغم صغرها كانت بالغة الاهمية .. والبيان كان اتجاهه العام معادي للفاشية ودفاع عن حرية الرأى وحرية الادب والفن .. لكن لم تكن هناك اتجاهات اشتراكية بالمعنى المفهوم ... لكن اهمية هذا النداء أن موقعيه كانوا جميعا من المصريين .

وعقب نجاح النشرة الأولى تحمسنا لاصدار نشرة ثانية وكانت دراسة لاندريه جيد إعتقد إن عنوانها كان « دفاع عن الثقافة » ..

وعقب ذلك تجمع حولنا عدد من الشبان واحسست انه لابد ان تكون لنا مجلة فحصلت على ترخيص مجلة « التطور » وكنت رئيس التحرير وكان يكتب فى المجلة رمسيس يونان ، كامل التلمسانى ، احمد عبد العزيز هيكل ، وانا ، عصام الدين حفنى ناصف ، توفيق حنا ، زكي سلامة ، عبد المغنى سعيد ، د. نظمى لوقا (وقد كتب مقالا بعنوان « انى اتهم ») ... وكانت هناك قصص يكتبها ألبير قصيرى وكان يكتبها بالفرنسية ثم نترجمها الى العربية وبالرغم من ذلك فهى فى اعتقادى أول قصص عبرت عن الجو الشعبى وعن الاتجاهات الجديدة ... والمجموعة كلها كما نرى كانت مصرية وهذا هام جدا لكن كان هناك قليل جدا من الاجانب منهم البير قصيري وسام كنتروفتش .

س : يتهم الكثيرون مجلة « التطور » بانها كانت مجلة تروتسكية ، لكننى قرأت فيها عدة مقالات تدافع عن الاتجاه السوفييتى ... فهل لديك تفسير لذلك ... ؟

ج : الحقيقة اننا لم يكن لنا خط واضح فى مجلة التطور ، وفى المقال الافتتاحى لاول عدد اصدرناه قلت ان هذه المجلة ستكون بوتقة تنصهر فيها الافكار المختلفة ، لكن الخط العام للمجلة كان الدفاع عن الحرية وعن حقوق الشعب الديمقراطية ... مع اتجاهات يسارية دون خط محدد ..

واذكر اننا هاجمنا فى احد الاعداد الزينات التى اقيمت فى احدى المناسبات الخاصة بالملك ، عيد ميلاده أو عيد جلوسه لا اذكر ... وفى برواز فى صدر الصفحة كتبنا نقول « هذه الزينات فى الوقت الذى يجوع فيه الشعب » .

وتحول مجلة التطور تجمع عدد كبير من الشبان المصريين المتحمسين للاصلاح ، وبدأت أشعر اننا بحاجة الى حركة اكثر ارتباطا بمشاكل

الجماهير .. وهكذا تزعمت مجموعة من أعضاء « الفن والحرية » لتكون ناديا جديدا اسميناه « الخبز والحرية » .

س : هل كان معكم مارسيل اسرائيل فى هذه الحركة الجديدة ؟

ج : لم يكن معنا اجانب مطلقا . والحقيقة انه قد حدثت محاولات عديدة من جانب العناصر الاجنبية للاتصال بنا منذ ان كنا فى « الفن والحرية » وكانت هناك محاولات للاندماج معنا ، لكننى لم اكن ارتاح اليهم ولم اكن اتصور ان اجنبيا مهما كان اخلاصه يمكنه ان يصبح زعيما لحركة شعبية مصرية ، وكنت ارى انه يتعين على حركتنا أن تكون مصرية شعبية واذا كان هناك اجنبيا مخلصا للقضية فعليه ان يقدم مساعداته وخدماته من الخارج .

ويذكرنى ذلك بمقال نشره عبد المغنى سعيد فى مجلة الثقافة العماليه منذ عدة اشهر قال فيه اننى عندما كنت رئيسا لتحرير « التطور خضعت لاموال هنرى كورييل وانه نصحنى فى ذلك الحين بالابتعاد عن كورييل .... وهذا الكلام غير صحيح على الاطلاق .

س : لدى تقرير كتبه مارسيل اسرائيل عن تاريخ الحركة قال فيه صراحة انه هو الذى اسس « الخبز والحرية » فما رأيك فى هذا ؟

ج : لا جدال فى أن مارسيل اتصل بنا ، وحاول ان يؤثر فينا ، لكننى وزملائى جميعا صممنا على أن تكون « الخبز والحرية » حركة مصرية ١٠٠٪ .

ولم يكن مارسيل اسرائيل وحده هو الذى حاول ذلك فقد حاول كورييل وشوارتز وآخرين الاتصال بنا لكننى رفضت ذلك رفضا قاطعا حتى انهم بدأوا يتهموننى بالشوفينية .

وفعلا مارسيل اتصل بنا لبضعة اشهر وحاول ان يؤثر فينا . لكنه لم يتزعمنا مطلقا وبعد عدة اشهر اوقف اتصالاته بنا .

واود ان تتصور حقيقة اوضاعنا فى ذلك الحين كانت هناك تيارات عديدة وغير واضحة .. الاتحاد الديمقراطى .. حركة معارضة الفداء المتنامية وحركات وانديه وجماعات اخرى عديدة اجنبية وغير واضحة الاتجاه ولم تكن نفهم ماذا يريدون بالضبط .. وكان طبيعيا ان نتشبث نحن بمصرية الحركة ١٠٠٪ ورفض أى اجنبى .

س : هل كانت « الخبز والحرية » تنظيما ماركسيا ؟

ج : فى البداية كانت مجلة التطور مجرد مجلة تستهدف التقدم والدفاع عن الحرية والديمقراطية ولم نكن قد اطلعنا على المراجع الماركسية ولم تكن

متاحة فى مصر فى ذلك الحين ، لكنها بعد ذلك وصلت الى ايدينا عن طريق جورج حنين ومارسيل اسرائيل ثم عن طريق كورييل ٠

س : ماذا كان مصير مجلة التطور ؟

ج : لم يصدر من المجلة سوى سبعة اعداد ثم توقفت ٠

س : لماذا توقفت ؟

ج : كان جورج حنين هو الضامن المالى للمجلة وعندما انفصلت عن جماعة « الفن الحرية » سحب الضمان فسحب ترخيص المجلة وتوقفت عن الصدور ٠

س : ماذا حدث بعد تكوين « الخبز والحرية » ؟ ٠

ج : استأجرنا مكتب « للخبز والحرية » كنا نعقد فيه اجتماعاتنا فقد كنا جمعية علنية لكن البوليس حاصر المكان ومنع أى انسان من دخوله فاضطررت الى تحويل مسكنى الى مقر للجمعية .واخذنا نلتقى بالعديد من الشبان وطلبة الجامعات لنمارس نشاطا يساريا ٠

س : ما هو تقييمك « للفن والحرية » ؟

ج : هناك حقيقة هامة تستلفت النظر هى أن الاتجاه اليسارى المصرى نشأ فى البداية فى وسط الفنانين والكتاب وقد نشأ مرتبطا بالتيار السيريالى التشكيلى ، وكان هناك لقاء غريب بين اليسارية وبين السيريالية فى الرسم والشعر ، وفى اعتقادى أن الحركتين كانتا فى الجوهر تمرد على الاوضاع السائدة ٠٠

وفى عام ١٩٤٠ أقمنا معرض تشكيلى أسميناه « المعرض الاول للفن الحر » وكان شعاره Et Apres « وماذا بعد » وقد نظمنا دعاية ضخمة لهذا المعرض وسط المثقفين ووزعنا عدة آلاف من الدعوات ٠

وقد استمر المعرض أسبوعين وزاره عدد كبير جدا من الناس واذكر أن كلمة Et Apres كانت تتردد وسط مثقفى القاهرة كثيرا جدا فى هذه الايام كنتيجة لتاثرهم بهذا المعرض ٠

س : بعد تكوينكم الخبز والحرية هل إستمرت علاقاتكم بالفن والحرية؟

ج : انفصلنا ٠٠ ولكننا ظللنا أصدقاء ٠٠

س : من كان معك فى الخبز والحرية ؟

ج : فتحى الرملى ٠٠ أحمد عبد العزيز هيكل وأسعد حليم وآخرين ٠٠ لكن أسعد حليم لم يستمر طويلا معنا والحقيقة أن عددنا كان قليلا لكننا أحدثنا ضجة كبيرة وامكننا أن نهز الفكر المصرى هزة عنيفة ، ولو جمعنا عدد أعضاء كل المنظمات التى نشأت فى ذلك الحين لوجدنا أنه قليل جدا بالنسبة للاثر الفكرى الذى أحدثوه ، فقد كان هناك فراغ فكرى عجزت البرجوازية عجزا تاما عن ملئه ، وفى هذه الفترة قدمنا نحن فكرنا الجديد ٠

وقد ساعدنا على ذلك ارتباط التيار اليسارى بالموجة التقدمية فى الفن وأسلوب التعبير ٠

س : لدى سؤال أريد أجابة صريحة عليه : ما هى علاقاتكم بالتروتسكية؟

ج : كان هناك أكثر من اتجاه وسط اليسار ، كانت الغالبية ستالينية وعدد قليل تروتسكى وأذكر مثلا انهم كانوا يقولون أن جورج حنين تروتسكى وأعتقد أن هذا صحيح ، لكن فكرا كهذا لم يكن من الممكن أن يظهر ويتبلور الا من خلال تنظيم سياسى وجورج حنين لم يكون تنظيم سياسى ٠٠٠

وأريد أن أشير الى أن ارتباط هذه الموجة اليسارية بالفن والفنانين قد أعاق تحولها الى تنظيم ، فالفنانين عادة يحبون الدردشة لكنهم لا يقبلون بسهولة الخضوع لقيود التنظيم ٠

س : أليست لديك أية معلومات عن التنظيمات التروتسكية أكثر من ذلك ؟

ج : الحقيقة اننا كنا فى بداية الطريق للدراسة النظرية كنا يساريين لكن لم تتح لنا فرصة دراسة افكار ستالين وأفكار تروتسكى والمفاضلة بينهما ٠٠ لكننى متأكد أن جورج حنين وقد كان أكثر اطلاعا كان له موقف محدد هو ولطف الله سليمان وأعتقد أنهما كانا تروتسكيين ٠٠

س : ما هى علاقتك بعادل كامل وبشخصيات قصته « مليم الأكبر » ؟

ج : لقد نشأت هذه العلاقة بالصدفة ٠٠ فقد قبض على كمتهم أول فى قضية جماعة « الخبز والحرية » وظللت محبوسا تحت التحقيق لمدة عشر أشهر ولم أوكل محاميا للدفاع عنى فاختارت المحكمة أحد المحامين وكان عادل كامل ٠٠ وقرأ المحامى أوراق القضية والمضبوطات وتاثر بها وأذكر أنه أعد دفعا ممتازا بعدم الاختصاص وقد قبلت المحكمة هذا الدفع ٠٠

ومنذ عدة أشهر شاهدت عادل كامل فى برنامج تليفزيونى يقول أن قضيتى قد غيرت مجرى حياته لكننى لا أخفى عليك اننى لم أقرأ قصة « مليم الأكبر » ٠

س : مرة اخرى اريد ان ارجع الى سؤال اريد عنه اجابة محددة ..
هل كان مارسيل اسرائيل عضوا فى « الخبز والحرية » أم لا ؟

ج : اقطع أنه لم يكن عضوا ، لكنه حاول لفترة من الوقت أن يسايرنا وفشل ..

س : هل كانت الخلافات بينك وبين المجموعات الاخرى محصورة فى موضوع مصريين واجانب ؟

ج : لم يكن هذا هو الخلاف الوحيد ، بل كان هناك خلاف جذرى آخر هو انهم كانوا يسعون الى تأسيس منظمات سرية ذات صبغة شيوعية أما أنا فكنت أرى ضرورة تأسيس حركة علنية والاستفادة من الامكانيات القانونية وكنت اجهد نفسى بحثا عن تكييف قانونى ، فالاشتراكية مثلا لا يعاقب عليها القانون ولهذا قلت أننا اشتراكيون ولسنا شيوعيين .

وقد قبض على عدة مرات وفى كل مرة كنت أعترف اننى أسعى الى تغيير نظام الحكم واقامة الاشتراكية لكنى كنت أؤكد اننى أسعى للتغيير بالطرق المشروعة .

وكنت أقول أن هناك مادة فى الدستور تبيح نزع الملكية للمصلحة العامة إذا مارأى البرلمان أن المصلحة العامة تقتضى تأميم وسائل الانتاج فان ذلك من حقه وفقا للدستور ..

وكان مسلكى هذا سببا فى تناقض شديد مع الاخرين .

س : هل هذا هو سبب ضعف التنظيم الذى سعيت لانشائه ثم انهياره ؟

ج : لا .. لكن السبب هو اننى اعتقلت مرات كثيرة جدا فى الفترة من ١٩٤٥ حتى ١٩٤٦ كنت أقضى شهرين أو ثلاثة أشهر بالخارج ثم أعتقل شهورا عديدة وخلال وجودى فى السجن كان الاجانب ينتهزون هذه الفرصة لاجتذاب العناصر التى اجمعها حولى فأعود لابذل جهدا فى اختيار عناصر جديدة . وبعد قليل اعتقل من جديد ..

س : هل لك ملاحظات على دور الاجانب فى الحركة الشيوعية ؟

ج : الشيء الذى أريد أن أؤكده هو أنه كانت هناك عناصر مصرية متفجرة ومتطلعة الى التغيير والبيئة المصرية كان تخلق هذا فى نفوسنا بصورة موضوعية وليس صحيحا أن الاجانب هم الذين أحدثوا هذا التفجر أو هذا الاتجاه نحو اليسار ، فأنا والتلمسانى وكثيرين من المصريين اتجهنا يسارا دون أن تكون لنا علاقة بالاجانب ·

وانا لا أستطيع أن أتهم هؤلاء الأجانب ، لكنى فقط أرفض تصميمهم على قيادة حركة مصرية والغريب أنهم لم يكتفوا بالمشاركة فى الحركة وانما كانوا يصممون على قيادتها ·

وأود أن أذكر هنا حقيقة هى أن مارسيل لم يكن كالاخرين فلم يكن يريد أن ينتزع الحركة ·

س : مرة أخرى أريد الرجوع الى موضوع التروتسكية هل تذكر شيئا بخصوصها ؟

ج : لقد حدثت تطورات بعد الفترة التى تحدثنا عنها ··· فجورج حنين ورمسيس يونان تسلما « المجلة الجديدة » من سلامة موسى واستمرا فى اصدارها عاما ونصف بصورة عادية وبعد ذلك تحولت فجأة الى مجلة تروتسكية سافرة وبدأت فى مهاجمة الستالينية وفى تقديم أفكار تروتسكى ·

س : وسلامة موسى هل كان ينظم مجموعة ؟

ج : لا ·· انما جمع حوله مجموعة من المريدين والمؤمنين بأفكاره وان كان لم يسع الى تكوين تنظيم ·

انتهى النقاش

تقرير مارسيل اسرائيل (تشيريزى)*

(١) بدايات الحركة العمالية فى مصر

وبينما كانت الحركة العمالية لا تزال تخطو خطواتها الاولى ، كان هناك عاملان مساعدان ، الاول هو بعض العناصر ذات الاتجاهات الماركسية بين العمال الاجانب فى مصر (وبالاخص الارمن واليونانيين) ومن المعروف أن اللجان النقابية الاولى فى مصر كانت تضم بعضا من العمال الاجانب المتأثرين بالماركسية .

وكان هناك أيضا الكثير من المهاجرين الروس الفارين من الاضطهاد القيصرى (ومعظمهم من اليهود) وكان بعضهم من البلاشفة . (وكان لينين خلال اقامته فى فرنسا وسويسرا يجد انه من الافضل للتهرب من تعسف الرقابة القيصرية أن يستخدم بعض أصدقائه فى مصر كوسطاء فى مراسلاته مع روسيا) .

أما العامل الثانى فى مساعدة الحركة العمالية المصرية فهو المساندة التى حصلت عليها الحركة الوليدة من الحزب الوطنى الذى أسسه مصطفى كامل والذى كان محمد فريد خليفته فى قيادة الحزب برجوازى تقدمى بالفعل وكان الحزب الوطنى يساعد الحركة العمالية فى الداخل ليزداد قوة فى صراعه ضد الامبريالية وعملائها الاقطاعيين أما فى الخارج فقد كان يسعى للحصول على مساندة الحركة الاشتراكية العالمية (أو على الاصح لقد قبل بارتياح المساندة التى كان من الطبيعى أن تقدمها له هذه الحركة) . وقد ضم مؤتمر الحزب الوطنى الذى عقد فى بروكسل ١٩١٢ (١) مدعوين من

---

* من أصل ايطالى ـ لعب دورا هاما فى النشاط اليسارى فى نهاية الثلاثينيات وفى الاربعينيات . والوثيقة المعروضة عبارة عن ترجمة لصفحات من تقرير مكتوب على الالة الكاتبة باللغة الفرنسية وهو عبارة عن محاولة لتاريخ لحركة اليسار المصرى مرفوعة الى قيادة الحزب الشيوعى الايطالى كتبها مارسيل اسرائيل بعد ابعاده عن مصر مقدما نفسه الى الحزب الشيوعى الايطالى . وقد أوردنا النص كاملا باستثناء بعض صفحات لا تتعلق بموضوع الدراسة أو تناقش فترة لاحقة .

١ ـ الحقيقة أن هذا المؤتمر افتتح فى ٢٢ سبتمبر ١٩١٠ ـ المؤلف ـ .

أغلبية الاحزاب الاشتراكية الاوربية وكان لاختيار الزعيم العمالى الانجليزى الكبير كير هاردى فى الرئاسة الشرفية للمؤتمر مغزى خاص بالنسبة لحرب يناضل ضد انجلترا ·

. . . .

. . . .

وعشية الحرب ولدت حركة ماركسية بين بعض المثقفين المتأثرين بثورة اكتوبر وبالحركات الاشتراكية خصوصا فى ألمانيا وانجلترا (حيث كان الكثير من الطلاب المصريين يستكملون دراساتهم) ·

وهؤلاء المثقفون ـ الذين كانت أفكارهم عن الماركسية مشوهة بتأثير الاشتراكية الديمقراطية الالمانية والاصلاحية الانجليزية ـ اشتركوا مع بعض الماركسيين الاجانب المقيمين فى مصر (وبالاخص يهود من أصل روسى) فى العمل من أجل تأسيس الحزب الاشتراكى المصرى ·

ولا يجب أن نقلل من تأثير ثورة أكتوبر على الحركة الوطنية المصرية التى كان جناحا كاملا منها (يتكون فى الاساس من العمال ومن مثقفى الطبقة الوسطى) يتخذها منارا له ·

وخلال الثورة الوطنية تأسست بعض السوفيتات فى بعض القرى ولكنها دمرت بواسطة القوات البريطانية ويكفى القول هنا بأن الجنرال البريطانى ويلسون الذى كان فى ذلك الوقت على رأس قوات التدخل فى القوقاز قد كتب فى أحد تقاريره الى الحكومة الانجليزية ناصحا بالانسحاب الفورى من الاراضى السوفييتية بهدف التركيز على الدفاع عن بعض أجزاء الامبراطورية (وهى الهند ومصر) من تهديد التأثير البلشفى ·

وسرعان ما نشأ داخل الحزب الاشتراكى اتجاهان أحدهما (بزعامة محمود حسنى العرابى) اتخذ مسارا ثوريا ، بينما كان الاتجاه الثانى اصلاحيا ·

(٢) نشأة الحزب الشيوعى المصرى وتطوره

(١٩٢٢ ـ ١٩٣١)

فى عام ١٩٢٢ قرر الجناح اليسارى من الحزب الاشتراكى المصرى الاشتراك فى المؤتمر الرابع للدولية الشيوعية · وأوفد محمود حسنى العرابى الى موسكو. وشارك العرابى ايجابيا فى أعمال المؤتمر وقدم تقريرا عن أهداف ونشاط الحزب الاشتراكى المصرى ، وجاء فى تقرير المؤتمر أنه قد تكونت لجنة لمناقشة ذلك التقرير انتهت الى أن الجناح اليسارى للحزب الاشتراكى المصرى تتوفر فيه جميع الشروط اللازمة للانضمام الى الدولية الشيوعية ـ تحت تحفظ بأن

ينفصل عن الجناح الاصلاحي وينظم نفسه كحزب شيوعي - ويبدو أنه قد وجهت الى العرابى نصيحة بأن يبادر فور عودته الى مصر بعقد مؤتمر يدعى فيه جميع التجمعات والشخصيات ذات الافكار الثورية الموجودة خارج الحزب بهدف تأسيس الحزب الشيوعى وتحديد برنامجه •

ولكن لم يقدر لهذا المؤتمر أن ينعقد (١) وانفصل الجناح الموالى للعرابى عن الاصلاحيين ووضع برنامجا للحزب واعتبر فرعا مصريا للدولية الشيوعية • وأخذ الحزب على عاتقه مهمة تنظيم النقابات ، وسرعان مانجح فى توحيدها فى اتحاد عام (كان سكرتيره صفوان عضوا فى اللجنة المركزية للحزب فى نفس الوقت) (٢) وكانت الاسكندرية هى الموقع القوى للحزب حيث كانت وقتذاك المركز الرئيسى للصناعة فى مصر •

وكان محمود العرابى قد ترجم الى العربية أحد أعمال مكدونالد (؟)(٣) ثم وضع كتيبا حول النقابات ودورها •

ولم يكن الحزب غير شرعى بل ان برنامجه قد نشر فى الصحافة المصرية فى أوائل ١٩٢٤ (بما فى ذلك الجريدة شبه الرسمية وهى الأهرام) •

وكان الحزب ضعيفا جدا فى الكوادر الماركسية وأعمل عمليا تكوين كوادر جديدة •

وقد قام شخص يدعى رفعت بترجمة كتاب لينين « الدولة والثورة » ولكنه مدعيا شرح وتفسير كل جملة من جمل لينين قد حول احدى روائع النظرية الماركسية الى رطانة غير مفهومة •

ولم يهتم الحزب - على عكس المفروض - بالمسألة الفلاحية ، وهى مسألة كان يجب أن تكون فى بلد زراعى كمصر المحور الاساسى لنشاطه مما عزله عن الجماهير العريضة فى مصر •

وبطبيعة الحال فان الحزب كان يناضل ضد الاستعمار ولكنه لم يعتبر ذلك واجبه الأساسى الامر الذى أدى بالضرورة الى عزلته عن الحركة الوطنية وتركها فى أيدى البرجوازية (الممثلة أساسا فى حزب الوفد) •

---

١ - عقد هذا المؤتمر وهو المؤتمر الثانى للحزب فى ٦ يناير ١٩٢٣ - المؤلف
٢ - الحقيقة أن الحزب قد نجح فى تأسيس الاتحاد العام للنقابات منذ أن تأسس كحزب اشتراكى فى أغسطس ١٩٢١ - المؤلف •
٣ - كتاب « الاشتراكية » - المؤلف •

. . . .

. . . .

وكانت مصر (بعد تصريح فبراير ١٩٢٢) مستعمرة من الدرجة الثانية (كان ستالين قد صنف مصر في خطابه الشهير أمام جامعة كادحي الشرق على أنها مستعمرة من الدرجة الثانية) ٠

وأمام النمو المتزايد للحزب الشيوعي وتأثيره المتعاظم على الطبقة العاملة قررت الامبريالية والبرجوازية العميلة توجيه ضربة قاسية له ، وسهل لهم هذه المهمة (كما يحدث دائما) تطرف الحزب الشيوعي الناشيء ٠

وفي عام ١٩٢٤ وخلال معركة دائرة في الاسكندرية من أجل مطالب عمالية أطلق الحزب نداء بالاضراب العام المصحوب باحتلال المصانع وتضمن النداء ايحاءات مليئة بالعصيان والثورة ٠ ونفذ عمال الاسكندرية توجيهات الحزب والاتحاد العام بحماس ، واحتلوا مصنع الشركة الاهلية للغزل بالاسكندرية وهو مصنع يضم عدة آلاف من العمال ورأسماله أجنبي (أساسا انجليزي) ٠

وتدخل الاستعمار البريطاني مستندا الى أحد التحفظات الاربعة الواردة في تصريح فبراير ١٩٢٢ وهو التحفظ الخاص بالمحافظة على المصالح الأجنبية وأرسل مذكرة الى الحكومة المصرية التي كان يرأسها في ذلك الوقت سعد زغلول مطالبا بوضع حد لهياج العمال مهددا بالتدخل المباشر للقوات البريطانية ٠

وخضع سعد زغلول للضغط البريطاني وبعد أن اجلى العمال عن المصانع مستخدما الوعود الكاذبة ، انقلب على الحزب الشيوعي واعلن انه أصبح غير مشروع واعتقل قادته (العرابي ، صفوان ، أنطون مارون وعدد كبير من الشيوعيين) ٠

وأعلن بالاضافة الى ذلك حل اتحاد النقابات ٠ وحكمت المحكمة على عدد من المتهمين بالسجن ثلاث سنوات مع الشغل وعلى البعض الاخر بعقوبات أقل ٠٠

وعقب اضراب عن الطعام قام به المسجونون احتجاجا على نظام الحبس الانفرادي الذي فرض عليهم في سجن الحدرة بالاسكندرية فقد انطون مارون ألمع وأخلص قادة الحزب حياته ٠ وكان بذلك أول شهداء الحركة الشيوعية المصرية ٠

وكانت الاحكام التي صدرت ضد قيادات الحزب الشيوعي المصري

موضوع بيـان أصدرته الدولية الثالثة تدعو فيه جميع الاحزاب الشـيوعية فى العـالم الى الاحتجـاج على الارهـاب ، والى التضامن مع المحكوم عليهم ·

وكانت تلك الضربة ذات نتائج غاية فى الخطورة بالنسبة للحزب ، فلم يكن الحـزب يضم كوادر ثوريـة حقيقيـة (والذين سـجنوا كانوا برغم قلة خبرتهم هم الوحيدين الذين يمتلكـون بعض الخبرة) ·

ولم يكن الحزب مستعدا للعمل السرى ، وكان معزولا عن الحركة العـامة للجماهير ، ولم تكن له أية صلة بالفـلاحين ، وصلته بالطبقة العـاملة لم يكن قـد توفر لهـا الوقت الكـافى لتقوى ·· هذا بالاضـافة الى أن تجـربة الاسكندرية المتطرفـة بمـا صاحبها من فشل ونتائج سيئة قـد أصابت نفوذ الحـزب وسط جماهير العمال أنفسهم ، وقـد انتهز الوفـد الفرصة فشكل على الفور منظمة عمالية تحت قيادته ·

أما سكرتير الحزب محمود حسنى العـرابى (وكان قـد حـكم عليـه بالسجن ثلاث سنوات) فقد سعى فى فترة تالية الى القاء مسؤولية الاضراب والعصيان الذى وقع بالاسكندرية على الدولية الشيوعية وادعى أنه قد صدرت اليـه تعليمات بأن يتولى قيـادة تنظيم الاضراب شخص موفـد من قبل اللجنة المركزية للكومنترن ، وسواء كان قـد تلقى مثل هذه التعليمات أم لا (يجب أن نتذكر أنه كان يوجـد ــ فى ذلك الوقت ــ عدد كبير من عملاء تروتسكى فى صفوف الدولية الشيوعية التى كانت فى تلك الفترة تحت قيـادة الخـائن زينوفيف) فان مسؤولية محمـود العرابى فى ذلك ليست ضئيلة ، وعلى أيـة حـال فانه قـد انتهى بأن أصبح عشية الحرب العـالمية الثانية وخلالها رئيس الطـابور الخامس النازى فى مصر ·

· لكن الحزب الشيوعى المصرى لم يتحطم تماما فى ١٩٢٤ بل استمرت الكثير من خلاياه فى مختلف المدن المصرية · وأعاد الحزب تنظيم نفسه ، وكون لجنة مركزية جديدة ، ومن وقت لاخر كان بعض العمال يرسلون الى مدرسـة الكوادر فى موسكو · وقـد أصدر الحزب ووزع عددا من الكتيبات ·· وكان الحـزب على صلة بالحزب الشيوعى الفلسطينى ، وظل باستمرار فرعا معترفا به من قبل الدولية الشيوعية · كذلك انضمت الى الحزب التجمعات الشيوعية لليونانيين والارمن ، وانضم اليه عدد من المثقفين المصريين ·

وفى بعض الاحيـان كان يقبض على أعضاء من الحزب ويحـكم عليهـم بالسجن وكان نشاط الحزب سريا تماما ولا يبدو أنه استطاع بأى شكل من

الأشكال استغلال أية امكانيات للنضال المشروع(١) .

وباختصار واصل الحزب حياته فى وجه صعوبات بالغة .

وعندما خرج محمود حسنى العرابى من السجن اقترح ان ينسحب الحزب من الدولية وطالب باتخاذ مواقف ذات مضمون انتهازى .

. . . .

. . . .

وبعد ذلك عين عامل يدعى عبد العزيز كان قد تلقى دراسته فى موسكو فى منصب سكرتير الحزب . وكان ترشيحه بناء على توصية من مناضل يونانى قديم يدعى ياناكاكس .

وتحت قيادة عبد العزيز أصيب الحزب بضربات عنيفة ، فاكثر كوادره وقياداته اخلاصا كانوا يقبضون عليهم أو يختفون بطريقة غامضة ، بل يبدو أن أحد مبعوثى الدولية الشيوعية قد اختفى هو أيضا لدى مروره بمصر والبعض الآخر (.....*) قبض عليه وسجن أو طرد من البلاد .

ولم يكتشف أمر عبد العزيز كعميل للبوليس السياسى المصرى الا حوالى ١٩٣١ . أما ياناكاكس فبالرغم من عدم توجيه أى اتهام اليه الا أنه طرد من الدولية الشيوعية لترشيحه لعبد العزيز . وظل حتى وفاته يساعد الحركة الشيوعية فى مصر بعد أن أعيد تنظيمها ، ولكنه رفض الانضمام اليها تمشيا مع قرار الدولية الشيوعية الصادر ضده .

أما عبد العزيز فقد أحس بخيانته فيما بعد ومات ميتة بائسة وهو نصف مجنون .

وقد نجحت الخيانة من الداخل فى أن تحيق بالحزب ما فشلت فيه الاضطهادات والملاحقات من الخارج ... فلم يعد للحزب وجود فعلى بعد ذلك ولم يعد معترفا به كفرع للدولية الشيوعية . وبذلك كسبت الامبريالية البريطانية والرجعية المصرية الموقعة الاولى فى المعركة .

وبالرغم من جو الصمت المطبق الذى أحيط بالحزب من قبيل جميع المؤرخين فان هذا الحزب قد ترك لدى بعض فئات العمال والمثقفين كثيرا من مشاعر الحنين .

---

١ - أصدر الحزب فى ذلك الحين مجلة علنية اسمها « الحساب » كان يرأس تحريرها رفيق جبور عضو اللجنة المركزية للحزب - المؤلف .

* غير واضحة الأصل .

وفوق ذلك فان هذا الحزب بالرغم من أخطائه وما صادفه من تعاسة يشكل خبرة نضالية هامة عمرها عشر سنوات كان من الضرورى دراستها على أساس من التحليل الموضوعى والنقد البناء والاستفادة منها فى المرحلة الجديدة فى الحركة الشيوعية . لكن ذلك لم يتم للأسف الشديد .

(٣) نشأة الجماعات الماركسية الاجنبية ونشاطها (١٩٣٤ ـ ١٩٣٩)

خلال سنوات عديدة ظلت مصر محرومة من أى نشاط شيوعى فعلى ، وان كان قد ألقي القبض ذات مرة على عدد من الشيوعيين الأرمن . ويبدو أن بعض أعضاء الحزب القدامى فى الاسكندرية كانوا جميعا معروفين للبوليس بسبب خيانة عبد العزيز قد احتفظوا بصلتهم مع بعضهم البعض دون أن يمارسوا أى نشاط .

وفى ١٩٣٤ قامت جماعة من الماركسيين الاجانب فى الاسكندرية بتأسيس جمعية أسموها « رابطة أنصار السلام » La Ligue Pacifiste وسرعان ما تأسست جمعية مماثلة بالقاهرة وكان غلبية الاعضاء من اليونانيين واليهود من مختلف الجنسيات . وكان المحرك الحقيقى وراء هذا النشاط بول جاكو دى كومب وهو سويسرى كان على صلة بالدولية وبالحزب الشيوعى الفرنسى .

وقد انضمت الرابطتان الى « التجمع العالمى للسلام » .

Rassemblement Universel Pour La Paix

وقد استطاعت هذه الجماعة الماركسية أن تنمى من نشاطها بشكل محدود خلال عدة سنوات لكن نشاطها المحدود هذا اقتصر على أوساط الأجانب (حيث كان يقيم فى مصر اقامة دائمة حوالى ربع مليون أجنبى معظمهم مستقرين فى القاهرة والاسكندرية) .

وقد اتصفت هذه الجماعة بما يلى :

أ ـ اقتصر نشاطها على الاجانب . وهم أجانب يقيمون فى بلد مستعمر يخضع لنظام الامتيازات الاجنبية الامر الذى جعل منهم فى واقع الامر دولة داخل الدولة ، وكانوا معزولين الى حد كبير جدا عن باقى السكان . ولم يكونوا يعرفون الا القليل جدا عن واقع مصر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى وباستثناء عدد محدود جدا كانوا لا يعرفون اللغة العربية .

ب ـ كان الاعضاء اليونانيون فى هذه المجموعة يشكلون فى واقع الامر احدى خلايا الحزب الشيوعى اليونانى . أما باقى الاعضاء فقد كانوا بحكم ثقافتهم الفرنسية مرتبطين عاطفيا وسياسيا بالحزب الشيوعى الفرنسى

حيث هؤلاء الماركسيون الاجانب لم يكن لديهم فى واقع الامر اية خبرة فى فى النضال الشيوعى (لا من وجهة النظر السياسية ولا من وجهة النظر التنظيمية). وبحكم أنهم تقريبا قد ولدوا جميعا فى مصر وأمضوا بها حياتهم فلم يكن بامكانهم أن ينقلوا الى الحركة الثورية المصرية خبرات النضال الدولى للبروليتاريا .

وقد تسلط على أذهان هذه المجموعة شبح المصير المحزن للحزب الشيوعى المصرى (الذى خانه اثنان توليا سكرتيريته على التوالى) الامر الذى دفعها الى انتهاج موقف شديد التطرف يتسم بالتشكك فى كل الناس .

وبدلا من أن تنفتح هذه المجموعة على الجماهير متمسكة بيقظتها فان هذه المجموعة قد نهجت نهجا حلقيا وانغلقت على نفسها بصورة شديدة بحيث لم تفتح أبوابها خلال أكثر من عشر سنوات الا لعدد قليل جدا من الأجانب .

ولم تتحول هذه المجموعة المغلقة الى تنظيم (له خلايا وقيادة) الا عام ١٩٤٥ .

ولكن الخطأ الاكبر الذى ارتكبته هذه المجموعة كان فى تبنيها لتحليل غير صحيح يقوم على أساس أن فشل الحزب الشيوعى المصرى السابق كان نتيجة لأن الظروف الموضوعية فى مصر لم تكن قد نضجت لقيام مثل هذا الحزب .

وهكذا وبدلا من تحليل التجربة الاليمة ، وبدلا من أن تصبح المشكلة المباشرة هى اعادة تنظيم الحزب الشيوعى المصرى (أو اعادة تأسيسه) فان هذا التجمع الماركسى الاجنبى قد تجاهل الخبرات السابقة وتبنى خطا ينادى بأنه يتعين على مصر أن تمر خلال تطورات اقتصادية وسياسية طويلة قبل أن تصبح الطبقة العاملة المصرية جديرة بتكوين حزبها وحتى يتم ذلك فانه يتعين على الماركسيين ان يؤلفوا تجمعا صغيرا مغلقا (كما حدث فى روسيا القيصرية قبل المؤتمر الثانى للحزب الاشتراكى الديمقراطى) وأن يكونوا بالتدريج جناحا يساريا لحزب الوفد (بما يشبه حزب المؤتمر الهندى) وظلت هذه الفكرة سائدة حتى عام ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ لدى جماعة « الفجر الجديد » وهى الجماعة التى تولدت عن هذا التجمع الماركسى الاجنبى .

وهذه الفكرة التى تخلت عن مهمة اعادة بناء الحزب وتجاهلت أهمية وضع برنامج ولوائح واستراتيجية وتاكتيك (وهو ما يمكن اعتباره منشأ ما اتصفت به الحركة الشيوعية المصرية من تلقائية) ولكنها أيضا أدت الى نشأة ما تعانيه الحركة الشيوعية المصرية من مظاهر الانقسام الدائم حتى اليوم*

---

* كتب هذا التقرير فى أوائل الخمسينيات .

وقد كانت السنوات الخمس السابقة على الحرب العالمية الثانية من الناحية الدولية ومن الناحية المحلية سنوات مواتية تماما من وجهة النظر الموضوعية لنمو حركة ثورية مصرية ٠

. . . .

. . . .

بينما كان هذا التجمع الماركسى الاجنبى الذى لم يكن يوجد غيره فى ذلك الوقت يعيش بعيدا تماما عن الواقع المصرى ويجهل كل شىء عن الجماهير المصرية ، وظل منغلقا على نفسه فى أبراجه العاجية وليس له ميدان نشاط حقيقى سوى الأوساط الاجنبية فى مصر لكنه كان يمكن اعتباره فى واقع الامر فرعا للحزب الشيوعى الفرنسى ، فقد كان ينقل مبادئه كما هى دون أى اعتبار للواقع الموضوعى فى مصر ٠

وفى مثل هذا المناخ الذى كان مواتيا من الناحية الموضوعية لنشوء تنظيم شيوعى قوى فان غياب التنظيم الذى يمكن اعتباره بؤره تتبلور حولها هذه التيارات الماركسية قد أدى بها الى أن انبثقت فى وقت واحد تقريبا الواحدة تلو الاخرى ٠

وسرعان ما خاضت هذه التيارات الجديدة صراعات عنيفة ضد بعضها البعض ، كل منها يدعى أنه هو وحده الثورى والبلشفى بينما الباقون انتهازيون ومنشفيك أو تروتسكيون ٠

ومنذ ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥ حتى نهاية ١٩٣٨ كانت الجماعة التى يقودها بول جاكو دى كومب هى الجماعة الوحيدة الموجودة فى مصر واتخذ نشاطها شكل العمل من خلال رابطة أنصار السلام التى كانت تنظم مؤتمرات فى القاهرة والاسكندرية (يحضرها ما يقارب الخمسين شخصا من الاجانب) وكانت تصدر نشرة باللغتين اليونانية والفرنسية (متضمنة من حين لآخر مقالا باللغة العربية) وكانت أيضا تنظم حفلات موسيقية ورحلات ٠

وتجدر الاشارة أيضا الى أنهم قد قاموا بدعاية جيدة للاسبان الجمهوريين فى الاوساط الاجنبية فى مصر ٠ وجرت فى الاسكندرية محاولة لتجنيد بعض الشبان المصريين وضمهم للمجموعة ، لكن كل ما أسفرت عنه هذه المحاولة من نتائج أنه قد تجند شخص واحد (ما لبث أن أبعد بعد فترة عن المجموعة) ٠ أما أكثر المحاولات جدية فكانت تلك المحاولة التى سعت الى عقد صلات مع عدد من النواب الوفديين ٠ وبالتعاون معهم عقدت ثلاثة لقاءات عامة لرابطة أنصار السلام فى القاهرة والاسكندرية ٠ وبالاضافة الى ذلك تكونت لجنة فخرية للتجمع المصرى من أجل السلام ضمت عددا من

المصريين (وكان سكرتيرها العام بول جاكو دى كومب) • ولكن هذه المحاولات وان كانت لا بأس بها الا أنها لم تؤد الى نتيجة ايجابية لان التجمع الماركسي ظل أجنبيا صرفا ليس فقط من حيث تركيبه العضوى وانما ايضا من حيث الخط الذى يحكم نشاطه • وفى واقع الامر فانه كان يقدم نفسه للمصريين باعتباره تجمعا للاجانب الديمقراطيين وليس تجمعا مصريا ••• وعلى سبيل المثال حين ألغيت الامتيازات الاجنبية فى مصر ، صدر منشور باللغة الفرنسية والعربية يحمل توقيع « الأجانب الديمقراطيين » يحيى باسم الاجانب الديمقراطيين فى مصر الغاء الامتيازات الاجنبية ويؤكد للشعب المصرى صداقة الأجانب •

وفى عام ۱۹۳۷ قام أحد الاعضاء الايطاليين فى رابطة أنصار السلام بالقاهرة (مارسيل اسرائيل) وكان عضوا فقط فى رابطة السلام ولكنه بالرغم من كونه ماركسيا الا أنه لم ينضم للمجموعة الماركسية التى كان يتزعمها بول جاكو دى كومب • قام بزيارة لبنان واتصل بالحزب الشيوعى اللبنانى وناقش مع بعض قادته نشاط رابطة أنصار السلام فى مصر ، وقد نال هذا النشاط نقدا قاسيا من قبل هذه القيادات بسبب سماته الاجنبية التى لا تمت بصلة الى مصر ، وقد قدمت هذه القيادة اللبنانية النصح بضرورة أن تكون المهمة الأساسية لهذه (•••••••••• *) فى مصر هو تكوين ماركسيين من بين الطلاب والعمال المصريين •

وقد كلفت هذه القيادات مارسيل اسرائيل بأن يظل على اتصال بالحزب السورى اللبنانى وعين مراسلا فى مصر لجريدة الحزب « صوت الشعب » •

وعندما عاد مارسيل اسرائيل الى مصر ناقش بول جاكو دى كومب فى هذه الموضوعات وكان رد « دى كومب » بان عليه أن يهتم فقط بالنشاط فى رابطة السلام ، ونظرا لمعرفته باللغة العربية فقد طلب اليه أن يعمل على ضم مصريين الى رابطة أنصار السلام •

وحتى هذه المحاولة المتواضعة منيت بالفشل بسبب عدم الثقة التى كانت تبدو دائما من قبل غالبية أعضاء الرابطة الاجانب تجاه أى عضو مصرى جديد • وسرعان ما تكون داخل الرابطة تيار ينادى بالتمصير وينتقد قيادتها (دى كومب) لوقفها المناهض للتمصير • وكان الحديث بطبيعة الحال يجرى فى الظاهر حول رابطة أنصار السلام وان كان يعنى فى واقع الامر مسألة تمصير النشاط الماركسى •

---

* غير واضحة فى الأصل •

وكانت المعركة الحاسمة تدور حول حادث مخجل . فعقب اتفاقية ميونيخ صدر بيان عن قيادة أنصار السلام لا يضع في الاعتبار الواقع المصري ، وانتقد أنصار التمصير هذا الخط الاجنبي للبيان واقترحوا نصا آخر يدين اتفاقية ميونيخ . ولكنه يتحدث عن القضية الوطنية المصرية . ولكنهم هوجموا من قبل القيادة واتهموا بانهم تروتسكيون وأجبروا في واقع الامر على ترك الرابطة .

وكان هناك سبب آخر أقل أهمية وهو رفض الرابطة قبول عضوية عدد من الايطاليين المناهضين للفاشية بحجة انهم مشاغبين وأن قبولهم قد يؤدي الى تدخل البوليس (وكان هذا حقيقي الى حد ما) .

وفي بداية ١٩٣٩ تكون في القاهرة والاسكندرية تجمع جديد باسم « الاتحاد الديمقراطي » وكان مؤسسوه هم أنصار التمصير من الاعضاء السابقين في رابطة أنصار السلام بالاضافة الى مجموعة الايطاليين المناهضين للفاشية وبعض المصريين الذين اتصلوا برابطة أنصار السلام ثم تركوها لاحساسهم بالغربة في داخلها .

وقد تضمنت لوائح الاتحاد الديمقراطي نصوصا تقول بأنه يتعين أن تكون غالبية اللجنة القيادية من المصريين . ولكن الشيء الهام هو أنه قد تكونت خلف الاتحاد الديمقراطي (كتجمع قانوني) جماعة سرية ماركسية (تتكون هي الاخرى من الاجانب وحدهم) . وحددت هذه الجماعة مهمتها الرئيسية بجذب أكبر عدد ممكن من الشبان المصريين الى الاتحاد الديمقراطي بهدف تجنيد أفضل العناصر من بينهم كاعضاء في الجماعة الماركسية السرية .

وبالاضافة الى ذلك تقرر اخضاع الواقع المصري لتحليل اقتصادي وسياسي واجتماعي . وكانت هذه هي المحاولة الاولى لوضع نصائح القيادات الشيوعية اللبنانية موضع التطبيق .

ونظرا لان جميع اعضاء هذا التنظيم الماركسي الجديد لم يكونوا يعلمون بوجود تجمع ماركسي بقيادة بول جاكو دي كومب فقد أعتبروا أنفسهم أول تجمع ماركسي منظم في مصر بعد اختفاء الحزب . ولم يعلموا الا بعد فترة أن ثمة جماعة ماركسية أخرى قد سبقته الى الوجود .

ورغم أن هذا التجمع الجديد يعتبر خطوة ايجابية بالمقارنة بالتجمع الاول (نظرا لتبنيه خط التمصير) الا أنه كان في واقع الامر يتصف بكثير من صفات التجمع القديم .. فقد كان مكونا فقط من المثقفين الاجانب ذوي المعرفة المحدودة جدا بالواقع المصري والذين لا يمتلكون اى خبرات عن العمل

[redacted]

الثوري ، كما أنه قد ارتكب نفس الخطأ الفادح الذى ارتكبه سلفه وهو تجاهل خبرات وتجارب الحزب الشيوعى المصرى وعدم اعتبار أن اعادة بناء هذا الحزب هى المهمة المباشرة والواجب العاجل .

ولم يبذل أى جهد لوضع برنامج ولائحة وخط استراتيجى وتكتيكى وكان التمصير أو كما أصبح يسمى فيما بعد تكوين الكوادر الماركسية المصرية يعتبر فى رأيهم عملية طويلة المدى وسابقة على مهمة اعادة بناء الحزب .

وكان ذلك هو الطريق الى التصفية والتلقائية والانقسام .

وتضمن برنامج الاتحاد الديمقراطى نفس ما تضمنه برنامج رابطة أنصار السلام مؤتمرات ديمقراطية ومناهضة للفاشية ، أحاديث تقدمية عن الثقافة .. الخ ولكن على نطاق أكثر اتساعا مع اجتذاب عدد كبير من المثقفين والطلاب المصريين .

وقد عقد حفل الافتتاح برئاسة المدير العام لدار الكتب (وكان أيضا محاضرا بالجامعة) وبناء على شكوى من السفارة الايطالية داهم البوليس الاجتماع لمنع أحد الايطاليين من الحديث فتنازل هذا الأخير عن كلمته حتى لا يتسبب فى افشال حفل الافتتاح .

وقد حضر الحفل أكثر من ٤٠٠ شخص من بينهم عدد كبير من المثقفين والطلاب المصريين .

وقد طلب الاتحاد الديمقراطى الانضمام الى رابطة أنصار السلام ولكن طلبه ظل بدون اجابة (وهو ما يساوى الرفض) ومن ثم أعلنت الحرب بين الاتحاد الديمقراطى ورابطة أنصار السلام أو بالأخرى بين الجماعتين الماركسيتين اللتين توجهان كل منظمة منهما .

وتخطت هذه الحرب حدود مصر وعرضت على الحزب الشيوعى الفرنسى ومنظمات دولية هامة مثل اللجنة الدولية لمعاداة الحرب والفاشية .

وفى أغسطس ١٩٣٩ عشية الحرب قرر المكتب السياسى للحزب الشيوعى الفرنسى بالاشتراك مع سكرتارية اللجنة العالمية لمعاداة الحرب والفاشية عقد لجنة فى باريس للاستماع الى ممثلى كلا الجماعتين والتحقيق فى الاتهامات المتبادلة ووضع حد للخلاف بينهما .

وكانت هذه هى المحاولة الاولى من قبل الحركة الشيوعية فى الخارج للمساعدة فى توحيد الحركة الماركسية فى مصر (فى مصر وليس المصرية ذلك

أنها كانت مكونة من أجانب) لكن أشتعال الحرب أدى الى اضاعة هذه الفرصة .

وخلال السنوات الأولى للحرب غيرت رابطة أنصار السلام اسمها وأصبح الاسم الجديد « جماعة الدراسات » Le groupe études ومارست هذه الجماعة نشاطا تقدميا فى إطار ثقافى بحت وموجه دوما للاوساط الأجنبية .

وعلى العكس من ذلك فان الاتحاد الديمقراطى قد نما وسرعان ما خضع لتطورات وتقلبات كبيرة فالمجموعة الماركسية التى كانت توجه نشاطه من خلف ستار قامت من الناحية العملية بسحب أفضل عناصرها من هذا التجمع العلنى لكى يرتكزوا نشاطهم فى انشاء مدرسة سرية لتدريس الماركسية للمصريين الذين جندوا أثناء ترددهم على الاتحاد الديمقراطى . وبالاضافة الى ذلك فان هذه المجموعة قررت تكوين تجمع علنى للفنانين والمثقفين المصريين أسمى « الفن والحرية » Art et Liberté وهو تجمع ما لبث أن وقع تحت تاثير التروتيسكيين .

وقد أدى هذا التشتيت فى الجهود الى أن فقد هذا التجمع الماركسى سيطرته على الاتحاد الديمقراطى تحت تأثير قادم جديد هو هنرى كورييل الذى حوله الى دائرة .... * (أو كما قيل وقتذاك الى اتحاد أرستقراطى ") .

ولكن هذا التجمع الماركسى كان فى طريقه الى أن يعيش تطورا هاما يفتتح به مرحلة جديدة فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية .

(رابعا) تمصير الحركة الماركسية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥

١ . ركزت المجموعة الماركسية التى تكونت عام ١٩٣٩ نشاطها على التكوين الماركسى للعناصر المصرية التى تم تجنيدها سواء عن طريق الاتحاد الديمقراطى أو عن طريق « الفن والحرية » . ونظمت دراسات سرية فى الماركسية باللغة العربية : وأعدت كتابا دراسيا باللغة العربية ليكون أساسا لتلك الدراسات .

٢ . وفى خلال عدة أشهر فقط استطاعت هذه المجموعة أن تجند وتنظم العديد من المصريين وهكذا وبسرعة فائقة أصبح المصريون اغلبية فى صفوفها .

* غير واضح فى الاصل .

وفى ١٩٤٠ قررت هذه المجموعة أن تتحول الى منظمة شيوعية وعقدت مؤتمرا تم فى خلاله مناقشة عدة تقارير حول الموقف العالمى ـ والموقف فى مصر وتقرير عن التنظيم (قدمه مصرى كان يعيش فى فرنسا وكان عضوا فى الحزب الشيوعى الفرنسى) وسميت المنظمة التى أعلن تأسيسها « منظمة تحرير الشعب » Liberation du peuple وانتخبت لجنة تنفيذية (ضمت ثلاثة من المصريين بالاضافة الى الايطالى مارسيل اسرائيل) ونظم الاعضاء فى خلايا وتم وضع برنامج للعمل ٠

وكانت منظمة تحرير الشعب هى أول تنظيم شيوعى فى مصر بعد اختفاء الحزب القديم ، وكانت منظمة بدائية ليست لديها خبرة حقيقية بتراث الحركة العمالية ، وكان المستوى الثقافى لا بأس به ولكن دون أية خبرة فى العمل السرى ٠

ورأت المنظمة ان الاتحاد الديمقراطى الذى خرج من تحت سيطرتها لم يعد يتلاءم مع اهدافها فقررت ان تسحب اعضاءها منه خاصة وأنه قد تحول الى النشاط الاجتماعى ٠ وفى نفس الوقت قامت العناصر الشيوعية داخل « الفن والحرية » بشن هجوم ضد العناصر الفوضوية والتروتسكية وأدى ذلك الى اغلاق « الفن والحرية » وحلت محلها لجنة (تذوين مقر) لتنظيم معارض سنوية للفنون التشكيلية ٠

كما قام اعضاء تحرير الشعب بوضع ايديهم على مجلة « التطور » وأصدروها باسم « الفن والحياة » وحولوها من مجلة فوضوية وسيريالية الى مجلة عمالية ٠ وكانت بذلك أول مجلة يديرها الشيوعيون ، لكنها لسوء الحظ لم يتسع امامها الوقت لتدعيم تأثيرها فقد منعتها الرقابة بعد صدور عدة أعداد منهـــــا ٠

وبعد ان فقدت تحرير الشعب كل من « الاتحاد الديمقراطى » و « الفن والحرية » كمنابر علنية كونت بدلا منهما منبرين علنيين آخرين هما « الخبز والحرية » (والذى اختير اسمه بوحى من معارضة المثقفين الفوضـــويين فى اختيارهم لاسم الفن والحرية) أما التجمع الثانى فسمى « ثقـافة وفـراغ » Culture et Loisirs واقتصر التنظيم الاول على المصريين (اتباعا لخط التمصير ولكى يبعدوا عن الحركة التقدمية المصرية التهمة التى كانت قد التصقت بها بأنها ذيل للاجانب) وكان مقر « الخبز والحرية » يقع فى احد الاحيـــاء الشعبية بالقاهرة (على العكس من التجمعات التقدمية الاخرى التى كانت تتخذ مقرا لها فى الأحياء الاوربية من المدينة) وسرعان ما اجتذبت « الخبز والحرية » كثيرا من العمال وخاصة عمال الطباعة ، ومارست « الخبز والحرية » نشاطا متعدد الجوانب يجمع بين العمل السياسى الديمقراطى والدعاية النقابية والنشاط

الثقافي واصطبغ كل ذلك بطابع يسارى واضح ومنذ البداية تدخل البوليس ودون ان يغلق المقر اصدر قرارا بمنع الاجتماعات العامة بداخله وسرعان ما عرفت « الخبز والحرية » فى بعض الاوساط العمالية (وخاصة عمال الطباعة) وفى اوساط الطلاب كتنظيم شيوعى مما اكسبها شعبية كبيرة ·

لقد كان الاحتلال البريطانى لمصر الذى اتخذ اشكالا سافرة خلال الحرب ، بالاضافة الى الغلاء الفاحش سببا فى دفع قطاعات كبيرة من العمال والطلاب الى التعاطف مع الاتحاد السوفييتى والشيوعية ·

وفى ١٩٤١ اصدرت « الخبز والحرية » نشرة عن الحركة النقابية وأشير فيها الى الدور الذى لعبه الحزب الشيوعى المصري القديم فى تنظيم النقابات والدفاع عن مصالح الطبقة العاملة · فاغلق البوليس مقر « الخبز والحرية » ولكن التجمع ظل موجودا ·

اما الدراسات الماركسية والتى كانت حتى ذلك الوقت قاصرة على المثقفين المصريين فقد امتدت لتشمل بعض العمال الذين جندوا من داخل وحول « الخبز والحرية » ·

وللأسف فان هذه الدراسات كانت تدور حول مسائل ايديولوجية معقدة وليست لها صلة مباشرة بالاحتياجات النضالية ·

اما تجمع « ثقافة وفراغ » وهو التجمع الآخر الذى انشأته الجماعة المصرية « تحرير الشعب » فقد اقتصر فى البداية على الاجانب ولكن نشاط « الخبز والحرية » ادى بعدد من المثقفين والفنانين المصريين الى التردد على مقر « ثقافة وفراغ » واخذوا يمارسون فيها نشاطا وتأثيرا متزايدا · وقد اغلق البوليس مقر « ثقافة وفراغ » فى منتصف عام ١٩٤١ ·

اما الاتحاد الديمقراطى الذى اصبح تحت قيادة هنرى كورييل فقد كان يتردد عليه أيضا بعض المثقفين المصريين وأصدر صحيفة باللغة الفرنسية اسمها « دون كيشوت » نشرت بعض المواد التى تحمل طابعا فوضويا وتروتسكيا ·

اما « جماعة الدراسات » فقد استمرت تحت قيادة بول جاكوب دى كومب فى نشاطها الثقافى الشديد الحذر والشديد الانغلاق مما جنبه متابعة البوليس ·

لكن الجماعة الماركسية التى كان يتودها كورييل كانت قد توصلت هى ايضا الى اقامة بعض الصلات مع بعض المصريين وبدأت فى تثقيفهم ثقافة ماركسية ·

ولقد استمرت الحرب بين هذه التجمعات الثلاث ، كل منهم يتسقط أخطاء الآخرين لكي يتهمهم بالانتهازية والتروتسكية ، وايضا بالعمالة للبوليس ٠

وفي اليوم الذى غزت فيه قوات المانيا الهتلرية اراضى الاتحاد السوفييتى وجه تنظيم « تحرير الشعب » الدعوة الى جميع التقدميين فى مصر لبذل جهود مشتركة دفاعا عن الاتحاد السوفييتى ٠ وقد تمت الدعوة بشكل علنى عن طريق « الخبز والحرية » التى وجهت الدعوة الى التجمعات العلنية الاخرى « ثقافة وفراغ » و « جماعة الدراسات » و « الاتحاد الديمقراطى » وحتى « الفن والحرية » (التى كانت تتمتع بتأثير على اوساط الرسامين والنحاتين المصريين) واستجابت كل هذه التجمعات للدعوة باستثناء « جماعة الدراسات » التى رفضت بعناد أى تعاون مع الآخرين ٠

وبالفعل عقد اجتماع مشترك واتفق فيه على برنامج للعمل المشترك ٠

وكانت هذه هى المحاولة الثانية لتوحيد الماركسيين فى مصر (الاولى حدثت فى باريس فى أغسطس عام ١٩٣٩) ولكن رفض جماعة الدراسات ، لفكرة التعاون (بالرغم من انها كانت قاصرة فقط على الدعاية للاتحاد السوفييتى) بالاضافة الى الضربات البوليسية التى سرعان ما وجهت الى قيادة « تحرير الشعب » قد افشلت هذه المحاولة ٠

وكان اعضاء « تحرير الشعب » على درجة كبيرة من النشاط والايجابية ، لكن حماسهم سرعان ما افقدهم الحذر ودفعهم الى الاهمال فى قواعد الامان ٠ وعقب توزيع المنشور الخاص بالحركة النقابية قرر البوليس السياسى (بناء على امر من المخابرات البريطانية) الهجوم ٠

وفى اكتوبر ١٩٤١ قبض على عشرة من اعضاء التنظيم والقوا فى السجن ٠

وأدى تحقيق النيابة الى انتفاء ما يبرر اقامة الدعوى (ذلك أن التشريع القديم المضاد للشيوعية لم يعدل الا فى عام ١٩٤٦) ومن ثم اطلق سراح جميع الاعضاء بعد شهرين (ما عدا الايطالى مارسيل اسرائيل الذى ارسل الى احد معسكرات الاعتقال الخاصة بالفاشست ٠

واستانف اعضاء « تحرير الشعب » نشاطهم بعد خروجهم من السجن ٠ وتبنوا تكتيكا جديدا وهو اصدار صحيفة علنية توسع من نطاق حركتهم ٠ فاشتروا صحيفة كان يصدرها لسنوات طويلة كاتب ليبرالى * وهى « المجلة الجديدة » وبدأوا يقومون عن طريقها بدعاية ماركسية استمرت طوال سنتين

---

* سلامة موسى ٠ — المؤلف — ٠

الأمر الذى جعلهـا منبرا لجميع المثقفين الطليعيين واسهمت بالكثير فى نشر الماركسية بين الطلاب وبعض الفئات المتقدمة من البروليتاريا .

وكان يمولها ويشرف عليها الايطالى « ريمون اجيون » .

وقد احدث العدد الخاص الذى صدر منها حول انتصار ستالينجراد دويا كبيرا .

وفى اوائل ١٩٤٢ صدرت صحيفة يمولها « هنرى كورييل » اسمها « حرية الشعوب » وقد ساعد فى اصدارها بعض البرجوازيين الوطنيين وقد بدأت هـذه المجلة فى دعايات مناهضة للامبريالية ولكن بشكل مبهم وبانحرافات كبيرة نحو الشوفينية القومية .

ومن الطبيعى ان مجلتى « حرية الشعوب » و« المجلة الجديدة » لم تكونا على وفاق .

وفى يونيو ١٩٤٢ قبض البوليس على حوالى خمسين من المصريين من أعضـاء وأنصار « الخبز والحرية » وظلت أغلبيتهم محتجزة دون محاكمـة حتى نهاية ١٩٤٣ (بسبب القانون العسكرى) .

وفى عام ١٩٤٢ تكونت جماعة ماركسية ثالثة تحت قيادة هنرى كورييل وهليل شوارتز وسيطرت هذه الجماعة على الاتحاد الديمقراطى الذى تصـاعد نشـاطه . وكانت هـذه الجماعة على علاقة بالشيوعيين الانجليز واليونانيين المجندين فى صفوف قوات الحلفاء المتمركزة فى مصر .

لكن هذه الجماعة سرعان ما انقسمت الى مجموعتين جديدتين تحولتـا فيما بعد الى منظمتين كبيرتين « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » (ويقودها هنرى كورييل) ، « ايسكرا » (ويقودها هليل شوارتز) .

وفى يوليو ١٩٤٢ واثناء تقدم روميل المكتسـح نحو مصر لجأ اغلب الشيوعيين الاجانب الى فلسطين وهناك دخلوا فى علاقات مع الحزب الشيوعى الفلسطينى الذى دعا ممثلين من كل المجموعات لبحث اسباب الانقسام ولمحاولة توحيـدهم . وحضر الاجتمـاع اعضـاء من سكرتارية الحزب الشيوعى الفلسطينى .

وفى هذا الاجتماع اعلن اعضاء مجموعة بول جاكو دى كومب ان الظروف الموضوعية فى مصر لا تسمح بتأسيس حزب شيوعى . ولكن الحزب الشيوعى الفلسطينى رفض هـذه الفكرة . وهـذه المحاولة (وهى الثالثـة) لتوحيـد الماركسيين قد فشلت هى الاخرى بسبب العناد الشديد لجماعة بول جاكو دى كومب واصرارها على اعتبار نفسها المجموعة الشيوعية الوحيدة فى مصر . هذا بالاضافة الى سبب آخر يتمثل فى ان المحاولة نفسها قد جرت بشكل سطحى وباشراف حزب كان هو نفسه خارجا لتوه من ازمة قاسية :

محضر نقاش مع فتحى الرملى *

اجريت المناقشة بالقاهرة فى ٤-٥-١٩٧٥

الاســـــم : محمود فتحى عبد الله فكرى الرملى ٠

الشـــــهرة : فتحى الرملى ٠

تاريخ الميلاد : ٢٨-٧-١٩١٩ ٠

المهنـــــــة : صحفى

س : كيف بدأت نشاطك السياسى ؟

ج : كنت عضوا فى مصر الفتاة ، وانا طالب فى مدرسة المنيا الثانوية ٠٠ ، وقبل ان ادخل المدرسة الثانوية كنت طالب فى المدرسة الصناعية فقد دخلت قسم النقش لاننى أهوى الرسم ثم ما لبثت أن إكتشفت ان الدراسة فى هذة المدرسة لا تشبع هوايتى فتركتها الى المدرسة الثانوية حيث عجزت فيها عن سداد المصروفات ، فانا من اسرة فقيرة ، وكانت امى تعانى الكثير فى الانفاق علينا بعد وفاة ابى ، وكانت تستدين مصروفات المدرسة فقررت ان اترك المدرسة واذاكر دروسى من المنزل ٠٠ وقد انضممت لمصر الفتاة بعد ان إستهوتنى شعاراتها الحماسية وكانت مجلة الصرخة التى تصدرها مصر الفتاة تثير فى نفسى حماس بالغ ، واذكر ان أول عدد رأيته من « الصرخة » كان عبارة عن ورقة واحدة بحجم الجريدة العادية وهى عبارة عن منشــور اثارى بعنوان « عشر سنوات من العمل من أجل مصر » واستهوتنى هذه الشعارات وانضممت لمصر الفتـــاة ٠

---

* تردد اسم فتحى الرملى كواحد من الدعاة اليساريين فى الاربعينيات ، وقد بدأ نشاطه مبكرا فى حركة اليسار ، وانسلخ منها مبكرا أيضا ، وفى الوقت الذى بدأت فيه الحلقات الماركسية تتبلور فى منظمات شيوعية سرية ، اتجه هو الى تكوين حلقة اسماها الجبهة الاشتراكية اتسمت بالعفوية ٠ وبرغم ان وثائق وزارة الخارجية البريطانية قد حاولت ان تضخم كثيرا من دوره الا انه يبدو ان هذا التضخيم كان متعمدا لاضفاء طابع معين على حركة اليســـار ككل ، وما لبث فتحى الرملى ان تورط فى كتابات معادية للشيوعية ولتنظيماتها فى مصر ٠ ومع ذلك فقد تعمدت اجراء حوار معه اســـتكمالا لكـافة جوانب الصورة ، وايضا فان هذا النقاش يوضح اسلوب وطبيعة نشاطه وحقيقة وحجم ما اسمى بالجبهة الاشتراكية ٠٠ (المؤلف) ٠

وبعد فترة من النشاط التخصصي استدعاني وكيل المديرية لمقابلته وكان اسمه ابراهيم فهمي السيد بك وفوجيء وكيل المديرية بي وانا شاب صغير السن وفوجيء اكثر بانني دخلت عليه وقد علقت في سترتي شعار مصر الفتاة (الاهرامات الثلاثة المكتوب تحتها الله · والوطن · الملك) وهاج بشدة لانني تجرأت ودخلت عليه والشعار علي سترتي واعتبر ذلك تحديا له واستدعى احد الجنود وأمره بايداعي الحبس والغريب في الامر انني شعرت بحماس غريب وفخر لانني دخلت السجن وعوملت معاملة الزعماء ··

وفي هذه الفترة ايضا اصدرت منشورا سياسيا بعنوان « ارقام مخيفة » عبارة عن كلام انشائي ، نقلته اساسا من خطاب القاه هيكل باشا في البرلمان · وكان يتضمن ارقاما مثل ٧٠٪ من ابناء الفلاحين معرضين للسل ، وبعد ذلك سلسلة من الشعارات الحماسية تدعو الشعب الى الثورة ·· واستدعتني النيابة انا وزملائي وفوجيء وكيل النيابة وكان اسمه معروف محمد باننا شبان صغار لا نزال نرتدي الشورت وكان من بيننا شاب هو ابن اخ يسن باشا احمد النائب العام في ذلك الحين · وقد اسهم هذان العاملان في حفظ القضية ·

· لكن البوليس قدر ضرورة ابعادي من المنيا وفعلا نفيت من المنيا ورحلت الى القاهرة وكنت سعيدا بذلك أيضا لانني سأنفي مثل الزعماء ولان الحكومة سوف تتحمل نفقات سفري ··

وقبيل سفري من المنيا كنت قد وجدت عملا في مجلة اقليمية بالمنيا اسمها « الانذار » ، بدأت بمرتب ١٨٠ قرشا في الشهر زيدت بعد عدة اشهر الى جنيهان ···

وهكذا فعند وصولي الى القاهرة كنت اعتبر نفسي صحفي ، وبقيت فترة متعطلا ، لكنني تقمصت دور الصحفي وبدأت أكتب وأعرض كتاباتي على الصحف ، واذكر انني اعددت موضوعا لآخر ساعة ، وقابلني مصطفى امين وكان يعمل ساعتها مع التابعي في آخر ساعة وابدى اعجابه بالمقال ونشره فعلا لكنه لم يعطني نقودا واعدا باعطائي نقود في المرة المقبلة ·· لكنني لم أعد اليهم واتجهت الى مجلة منافسة لآخر ساعة اسمها « الشعلة المصورة » · وهناك قابلت فرج جبران وكان سكرتير تحرير المجلة وشريك لصاحبها واتفقوا معي على ان اعمل لديهم بالقطعة والمساحة أي ان اتقاضى اجرى وفقا للمساحة التي تنشر لي وقبلت لسببين اولا لانه لم يكن امامي أي مورد آخر وثانيا لانني كنت سعيد بالعمل كصحفي ·· وكنت قبل ذلك قد عملت في مجلة مصر الفتاة واغروني بلقب سكرتير تحرير لكن مرتبي كان « اذونات بريد » تأتي للمجلة سدادا للاعلانات واذكر ان اقصى أجر حصلت عليه منهم كان عشرة اذونات بريد قيمة كل منها ٢٠ قرشا ·

المهم انني عملت في مجلة الشعلة المصورة وهناك تعرفت باسعد حليم ·

س : كيف ؟ ·

ج : اسعد حليم هو ابن اخت فرج جبران ، وذات يوم احضره لى فرج جبران هو واخوه حلمى حليم وقال لى اسعد غاوى صحافة وحلمى غاوى سينما حاول أن تساعدهما واهتممت باسعد وكان يترجم بعض المقالات فأقوم أنا باعادة صياغتها بأسلوب صحفى ، وبدأنا نتناقش انا واسعد حول الوضع السياسى ورويدا رويدا تكونت مجموعة من الاصدقاء انا واسعد حليم وصالح عرابى (سودانى) وعبد العزيز ميكل وموسى عبد الحفيظ (كان موظفا فى وزارة المعارف وأسس بعد ذلك شركات للاعلانات) .. واخذتهم جميعا وقابلنا مارسيل اسرائيل .

س : كيف تعرفت على مارسيل اسرائيل ؟

ج : كنت عامل حركة فى مصر الفتاة تستهدف عزل احمد حسين ، وجمعت حولى عدد من الاعضاء يقاومون احمد حسين ولا يعترفون بزعامته ، وكنا نحاول عزله ونرشح فتحى رضوان للزعامة ، أى اننا كنا نريد استبدال فاشستى بفاشستى آخر . وبعد فترة احسسنا ان فتحى رضوان يتحدث فى واد آخر بعيدا عن مشاكل الشعب ، والحقيقة أن مصر الفتاة كانت مجموعة متناقضة متنافرة وعلى صفحات المجلة انعكس هذا التناقض فمثلا احمد حسين يحرر صفحة ملتهبة تتحدث عن المقاومة والعنف والقوة ، بينما يحرر فتحى رضوان صفحة أخرى تتحدث عن غاندى وسياسة التسامح ، ومن هذا التناقض نشأت حيرتنا .

وفى هذه الفترة التقيت بشاب نوبى اسمه بدر عوض وكان معنا فى مصر الفتاة وانا كنت اسعى لضمه لمجموعتنا المناهضة لاحمد حسين .. وسألنى لماذا ؟ فقلت لانه فاشستى .. وفى هذه الاثناء كان بدر عوض هذا على علاقة بمارسيل اسرائيل وكان يحرضه ايضا على احمد حسين وعلى حزب مصر الفتاة فقال له بدران فى الحزب تيار جيد يقاوم القيادة ويتهمها بانها فاشستية .. وطلب مارسيل ان يرانى ، وذهبت اليه لاول مرة انا وبدر عوض فى منزله بالقرب من وزارة الاوقاف ، وبعدها اخذت له اسعد حليم ، وصالح عرابى ، وعبد العزيز ميكل وموسى عبد الحفيظ وبدأ مارسيل يدرس لنا النظرية الماركسية وكان هناك انور كامل وبعد فترة انضم الينا ثابت امين وهو اخو الهامى امين (*) .

(*) الهامى امين شيوعى قديم حكم عليه بالسجن لفترة وفصل بعدها من عمله كموظف فى السكة الحديد ، وعمل فى عام ١٩٣٠ مع حسنى العرابى و د. عبد الفتاح القاضى فى مجلة روح العصر وكان الهامى امين وثيق الصلة بحسنى العرابى . وقد اصدر مجموعة من مقالاته فى كتيب بعنوان « مقالات العرابى » ــ عنى بجمعها وترتيبها ونشرها الهامى امين ــ المطبعة الاميرية الكبرى . (المؤلف) .

س : كيف سارت الاموّر بعد ذلك ؟...

ج : بعد فترة من الدراسة قال لنا مارسيل انتم درستم ويمكنكم ان تعملوا بانفسكم واسسنا جمعية « الخبز والحرية » • لكنني لاحظت أنه برغم حديثه عن ضرورة تولينا أمور النشاط بانفسنا الا أنه مصمم على أن يضع الحركة تحت اشرافه واحس مارسيل ان اهم شخصين فى المجموعة هما انا وانور كامل وحاول ان يكسبنا نحن الاثنين فاقترح ان يتولى كل منا منصب السكرتير واحد للشئون الداخلية وهو انا وآخر للشئون الخارجية وهو أنور كامل :

واستأجرنا شقة من حجرتين فوق مطبعة الرغائب فى شارع محمد على وكانت احدى الحجرتين واسعة وتصلح كصالة للاجتماعات • وفعلا قمنا وانا وانور كامل بشراء حوالى ٦٠ كرسي ومكتب ••

س : من أين أتيتم بالنقود ؟

ج : تمويل ذاتى ، كنا نجمع اشتراكات شهرية ادخرناها لعدة أشهر ، واشترينا هذه الاشياء ، وبعدها عقدنا اجتماع للمجموعة لنبحث كيف نبدأ العمل فى جماعة « الخبز والحرية » وبدأ البعض يطالب باخطار المحافظة باننا قد كونا جمعية حتى تاخذ وضعها القانونى ، لكننى تمسكت بعدم ابلاغ المحافظة وقلت ان علينا أن نمارس نشاطنا حتى نقف على أقدامنا وبعدها سيعلم البوليس بعد أن نضعه أمام الامر الواقع، لكن ابلاغ السلطات منذ البداية معناه اننا ندعوهم كى يهدموا كل شيء ، وبعد النقاش كانت الاغلبية معى ، لكنهم بعد الاجتماع اتصلوا بمارسيل اسرائيل الذى أيد الرأى الاخر وبعد يوم جاءوا جميعا وهم ضد رأيى •• وصممت على موقفى ، وابلغوا المحافظة بتاسيس الجماعة وحضر رجلان من رجال البوليس السرى – رابطا أمام مقر الجماعة يقومان باحصاء عدد المتواجدين فى المقر حتى اذا ما بلغ خمسة اشخاص منعوا أى شخص آخر من الدخول على أساس أن القانون يعتبر أن اجتماع أكثر من خمسة أشخاص هو بمثابة تجمهر •• وفى هذه الاثناء وخلال أحد الاجتماعات قطع عنا النور لأن جورج حنين كان قد سدد تأمين عداد النور ثم سحب التأمين ليمنعنا من النشاط وعندما أطفىء النور صحت فى الحاضرين معلنا أن علينا أن نعتمد على أنفسنا •• وكانت الخلافات قد تشعبت بينى وبين المجموعة ، وقد قررت أن أبدأ بداية جديدة فى مقر جديد وأسميت الجماعة « نحن أنفسنا » تحديا لمحاولات السيطرة علينا •

– وهكذا أصبحت مستقلا عن مارسيل اسرائيل وجماعته ، وذهبت الى ما أسميته « أسبوع التفكير الحر » ودعوت عدة أشخاص كانوا معروفين بميولهم الليبرالية مثل د• ابراهيم ناجى وعبد المجيد نافع وغيرهما •••

وبدأت فى هذه المرحلة حملة ضد اليهود وضد تواجدهم أو سيطرتهم على الحركة وعملت نشيد ضدهم اتهمت بسببه بالشوفينية واذكر بعض كلمات النشيد وتقول :

فى أيامنـــا السـكـود خواجـــات ويهـــود .

جمعـــوا الميـلايين واحنـــا شـحـتيانين

وبعد ذلك أغلقت دارنا .. وقررت العمل بطريقة جديدة ..

وبدأنا نجتمع فى قهوة بحى القوالة أنا وزملائى ونطالع صحف اليوم ونبحث عن المحاضرات التى ستلقى فى هذا اليوم . ونذهب الى هناك بحثا عن التجمعات ومناقشتها والادلاء برأينا من خلال هذا النقاش .. وأذكر أننا فى يوم قرأنا خبر عن محاضرة لعبد الفتاح عنايت فى مقر جبهة مصر (تنظيم أنشأه على باشا ماهر) وذهبت أنا وعدد من زملائى ووزعتهم فى القاعة حتى يساندوننى بالتصديق والحماس من أكثر من مكان فى القاعة ، وطلبت الكلمة وساندنى زملائى فى القاعة حتى سمح لى بالكلام . وفعلا وجدت فرصة للحديث وشرح وجهة نظرى وخرجت من المحاضرة ومعى معظم الجالسين الذين تبعونى الى حيث ذهبت واستمرت مناقشاتى معهم الى ما بعد منتصف الليل .

س : ما هى نوعية مجموعتك هذه ؟

ج : كانت جماعة تسمى نفسها « الجبهة الاشتراكية » .

س : هل كانت هذه الجبهة تنظيما بالمعنى المفهوم ؟

ج : كانت شبه تنظيم .

س : ما معنى شبه تنظيم ؟

ج : كنا مجموعة تعمل علنا وتنشط وتناقش دون أن تكون تنظيما بالمعنى المفهوم .

س : وما هى قصة ترشيحك فى الانتخابات ؟

ج : فى الانتخابات البرلمانية ٤٤ ــ ١٩٤٥ انتهزت الفرصة السانحة وهى أن الوفد كان يعارض اجراء الانتخابات فى ظل الاحكام العرفية على أساس انها ستتم تحت قهر السلطة بينما أحمد ماهر كان يقول بامكانية اجراء الانتخابات فى ظل الاحكام العرفية وتعهد بعدم التدخل ، لكن الوفد قاطع الانتخابات ، وقررت أن أنتهز الفرصة وأرشح نفسى على المبادىء الاشتراكية ، وكنت أول من تقدم للانتخابات البرلمانية فى مصر كمرشح

الاشتراكى ، وأحدث ذلك ضجة كبيرة جدا وأحرجت الحكومة أيما احراج ، لكنها لم تستطع منعى من الترشيح .

س : من الذى مول عملية الانفاق على الانتخابات ؟

ج : جمعنـــا أموال من الناس ، أنا مثلا فى ذلك الحين كنت أدير معهـد لتعليم الصـحافة بالمراسلة فارسلت لـتلاميذى خطـابات أدعوهم للتبـرع . وتحركت مجموعتى لساندتى وجمعت أموال حتى من خصومى الذين هاجمتهم مثل هنرى كورييل ، لكننى أقـرر أن الذى أمدنا بمعظم المـال الذى احتجنـا اليه هو لطف الله سليمان ⁕ .

س : فى أى دائرة رشحت نفسك ، ومن هم المرشحين الاخرين فى نفس الدائرة ؟

ج : دائرة محكمة السيدة (أقرب دائرة انتخابية لها الان هى دائرة قصر النيل) ، وكـان هناك عشرة مرشحين منهم أحمد حسنين الذى ركز دعايتـه الانتخـابية ضدى باعتبارى شيوعى .

س : كم صوتا نلت ؟

ج : ٣٢ صوتا .

س : فقط ؟

ج : فقط . ويجب أن تضع فى الاعتبـار أنـه كانت هنـاك مقـاطعة للانتخابات من جانب الوفـد ..

س : نعود الى الجبهة الاشتراكية ، كيف واصلت العمل ؟

ج : كما قلت لك من قبل ، كنا مجموعة من الاصدقاء ننشط كلما اتيحت الفرصة أمامنـا ..

س : ماذا كانت علاقتك بالمنظمـات الشيوعية ؟

ج : كانوا حريصين على التباعـد عنى ، ويتصيدون اى اخطـاء لى . وأذكر اننى أصدرت بالتعـاون مع عبد الفتاح الشرقاوى (الحزب الشيوعى لشعوب وادى النيل) منشورا ضـد هنرى كورييل نتهمه فيه بالصهيونية .. وقـد أصدرت عدة نشرات ضدهم وزعتها علنـا ..

انتهت المناقشة

⁕ لطف الله سليمان ، تروتسكى النزعة مقيم حاليا فى باريس .

محضر نقاش مع أسعد حليم *

اجرى النقاش بالقاهرة في ٢٠ أكتوبر ١٩٦٩

س : ما هى معلوماتك عن النشاة الجديدة للحركات الإشتراكية في أواخر الثلاثينيات ؟

ج : يمكن تقسيم الاتجاهات اليسارية فى ذلك الحين الى اتجاهين أساسيين، تروتسكيين يتزعمهم جورج حنين ورمسينيس يونان وتركز نشاطهم العلنى وسط مجموعات الفنانين وفى اقامة المعارض، واصدار نشرات ، وفى جماعة الفن والحرية . وتجمعات ماركسية يتزعمها ثلاثة اشخاص :

* بول جاكو دى كومب وكانت مجموعته تضم أحمد رشدى صالح ويوسف درويش وآخرين واتخذت عددا من المنابر العلنية ، لجنة نشر الثقافة الحديثة ، و « مجموعة الدراسات » واتحاد انصار السلام .

* وهنرى كورييل وقد أسس مع شوارتز مارسيل اسرائيل وبولا العلايلى وغيرهم النادى الاديمقراطى ومن هذه المجموعة خرجت فيما بعد ح.م وايسكرا .

* ومارسيل اسرائيل وقد أسس « حركة تحرير الشعب » .

غير أن هذه التقسيمات غير قاطعة ففى المنابر العلنية اختلطت عناصر من المجموعات المختلفة . وفى لجنة نشر الثقافة الحديثة مثلا كان هناك أناس من « حركة تحرير الشعب » وفى جماعة الفن والحرية كان هناك التروتسكيون وتحرير الشعب وتحسين المصرى (ح.م فيما بعد)

كل ذلك كان فى مطلع عام ١٩٣٩ وقبل نشوب الحرب .

س : اريد بعض التفصيلات عن جماعة « الفن والحرية » .

ج : نشأت الفن والحرية كجماعة يغلب عليها الطابع الفنى وكان محركها الأساسى جورج حنين ومجموعة من الفنانين الاجانب وبعض المصريين (أنور

---

* أسعد حليم واحد من المصريين الاوائل الذين انضموا الى التجمعات الاشتراكية فى أواخر الثلاثينات وقد لعب دورا هاما فى فترات حاسمة وقد ارتبط اسمه واسم زوجته – أسماء البقلى – بكثير من أوجه النشاط المبكر .

كامل ـ كامل التلمسانى) . وقد ركزت هذه المجموعة جهودها على نشر الفن السيريالى واصدرت مجلة ذات أهمية تاريخية هى مجلة « التطور » وكان يرأس تحريرها أنور كامل وأنا اعتقد أن هذه المجلة قد لعبت دوراً هاما فى تطوير الفكر المصرى وابرزت الى الوجود الشكل الادبى السيريالى وقدمت شعارا وقصصا سيريالية لعدد من الكتاب السيرياليين لم منهم رمسيس يونان .

س : لماذا السيريالية بالذات ؟

ج : فى العالم كله كانت السيريالية تعبيرا عن التمرد على القوالب الكلاسيكية الجامدة . والحقيقة أن اعضاء الفن والحرية قد قاموا بنشاط كبير بحيث أصبحوا يمثلون قطاعا هاما فى الفن وشكلوا واحدا من اهم التيارات الادبية وأحدثوا هزة عنيفة فى المفاهيم الفنية .

ولم تقتصر جهود الجماعة على اصدار المجلة وانما أقاموا سلسلة من المعارض والندوات ومن خلال هذه الندوات برزت عدة شخصيات ، رمسيس يونان ، تختشين المصرى وهو (مهندس مصرى درس فى باريس وعاد متشبعا بالأفكار اليسارية) ومارسيل اشرائيل . واتفق هؤلاء الثلاثة على ضرورة تجميع عدد من خيرة المثقفين والتحدث معهم حول الماركسية واتفق كل واحد من الثلاثة على أن يكون مجموعة مستقلة لدراسة الماركسية .

س : كيف بدأت علاقتك المباشرة بالحركة ؟

ج : كنت انا وفتحى الرملى وصالح عرابى (سودانى) نعمل فى مجلة وفدية أسمها « الشعلة » وكانت تطبع فى نفس المطبعة التى يطبع فيها أنور كامل مجلة التطور وتعارفنا ودعانا لحضور الندوات .

وبعد فترة ضم مارسيل فتحى الرملى الى مجموعته الضيقة ولم أدع أنا . وحكى لى فتحى الرملى ما دار فى هذا الاجتماع المغلق حول دراسة الماركسية وفى الاجتماع التالى تحدث مارسيل عن أهمية السرية وضرورة عدم ابلاغ أى شخص بوجود مثل هذه الاجتماعات فقال الرملى انه فاتحنى فى الموضوع فعلا وهكذا اتفق على ضمى للمجموعة .

س : ما هو شكل هذه المجموعة ؟

ج : مجرد مجموعة دراسية ولم تكن تنظيما بالمعنى المفهوم وحتى كانت بغير اسم .

س : كيف انقسمت الفن والحرية ؟

ج : الحقيقــة أن هذه المجموعة الضيقة التي شكلها مارتنيل بدأت تنشط وكنــا نحن شبانا نشيطين وبدأت الافكــار المــاركسية تبهرنا فاندفعنا بكــل قوتنــا لجــذب أكبر عدد ممكن من المصريين ومن العمال خاصة وبدأنا نحشـد فى ندوات الفن والحرية عمالا وكادحين وخلق هذا رد فعل،وبدأ التفاوت والتناقض واضحا ، هم أغنياء أرستقراطيون وأجانب ومثقفون ونحن فقراء ٠ وحـدث تمايز ، وبدأ قادة المجموعة لا يرحبــون بحضورنا لكننــا اعتبرناها مسألة كرامة وصممنا على الحضور فلم يسدد الارستقراطيون رسم استهلاك الكهرباء وقطع التيار من النــادى لكننــا صممنا على الاستمرار وكنــا نعقــد ندواتنا على ضوء شمعة ٠ ومن هنــا برز التســاؤل لمــاذا لا نؤسس ناديا خاصا بنــا يكون مستقلا ومصريا ونستطيع أن نتحـدث فيــه بأفكارنا كاملة ٠ وكان فتحي الرملي هو الذي اختــار اسم « الخبز والحرية » ٠

س : يقــول مارسيل أنه مؤسس « الخبز والحرية » ٠ ويؤكــد انور كامل أنه مؤسسها فما هى الحقيقــة ؟

ج : كلاهمــا صادق ، نحن أسهمنــا مساهمة ايجــابية فى انشاء « الخبز والحرية » وكان مارسيل يوجهنــا ويقودنا ، وانور كامل كان الرئيس الرسمى ، وكان مجلس ادارة الجمعية أنور كامل ٠ ـ د٠ عبد العزيز هيكل ـ أسعد حليم ـ فتحى الرملى ـ صالح عرابى ـ وبعــد مدة ضممنــا عبد العزيز هيكل الى مجموعتنا الضيقة ٠ واذا كان مارسيل لم يضم اسمه كعضو فى مجلس ادارة « الخبز والحرية » الا أنه كان مسؤلا عن ثلاثة أشخاص من مجلس الادارة ٠

وكان مارسيل نشيطا فى اتجــاهات عديدة فقــد اسهم فى تأسيس جمعية أخرى يغلب عليها الاجانب أنشأت ناديا أســمته « ثقــافة وفراغ » وقــد ضمت هذه المجموعة عددا قليــلا من المصريين منهم فوزى جرجس وكانت خطة مارسيل أن تعمل هذه المجموعة وسط المثقفين أما مجموعتنا فتعمل وسط العمال ٠

س : وما حــدث للمجموعتين الاخريتين ؟

ج : رمسيس يونان استمر مع مجموعته لفترة قصيرة ثم تبعثرت والحقيقة أن التروتسكيين كانوا شلة وليس تنظيما ولم يؤسسوا تنظيما حقيقيا وكانت لهم صلة ما بالدولية الرابعــة لكن دون أن ينجحوا فى تأسيس تنظيم ٠

أما تحسين فقــد استمر مع مجموعته لكنه سرعان ما انضم الى النــادى الديمقراطى ليشارك فيما بعــد فى تأسيس ح٠م ٠

س : وأنت هل شاركت في تأسيسها ؟

ج : لا ٠

س : يقول عبده دهب انك كنت في اللجنة المركزية للحركة المصرية ؟

ج : لم يحدث ، وانا في هذه الاثناء كنت اعمل مع مارسيل ٠ وبعد مدة انقسمت « الخبز والحرية » فقد وقفنا ضد اتجاهات أنور كامل وخرجنا من « الخبز والحرية » لنكون تنظيما مستقلا ولم نسمه أولا ثم فيما بعد اسميناه « تحرير الشعب » ٠

س : يقول مارسيل اسرائيل في تقرير له أنه مؤسس « تحرير الشعب » وانه لعب دورا أساسيا في هذه الفترة فما هو تقييمك لدوره ؟

ج : هو فعلا مؤسس « تحرير الشعب » ، كان المحرك والمنظم الفعلى لنشاطنا ، كان أكبرنا سنا وأوسع منا ثقافة وادراكا ٠ كانت الماركسية تبهرنا وكان مصدرها الوحيد هو مارسيل ومن هنا بهرنا به ٠٠ والحقيقة أن مارسيل قد بذل خلال عام ١٩٣٩ جهدا خارقا في تثقيف عدد من الكوادر المصرية ٠ لقد ثقفنا مارسيل بسلسلة محاضرات ممتعة بذل جهدا كبيرا جدا في أعدادها وكانت هذه المحاضرات تتضمن المادية والمثالية ـ المادية الجدلية ـ المادية التاريخية ـ تطور المجتمعات ـ المجتمع الرأسمالي وقوانينه ـ صراع الطبقات ـ الدولة ـ الحرب ٠٠ الخ

انتهى النقاش

محضر نقاش مع هنرى كورييل ※

جلسة المناقشة الاولى

تمت المناقشة بباريس فى الاسبوع الاول من نوفمبر ١٩٦٨

س : ما هى معلوماتك عن نشأة الحركة الشيوعية فى الثلاثينيات ؟

ج : فى بداية الثلاثينيات بدات الحركة عن طريق عدد من الشيوعيين الاجانب كانوا اما أعضاء فى بعض الاحزاب الشيوعية الاجنبية او متأثرين بها ... وكان كثير من هؤلاء المثقفين الاجانب مدرسين بالمدارس الابتدائية والثانوية (١) .. وأذكر من بين هؤلاء المدرسين جورج بوانتيه وكان عضوا فى الحزب الشيوعى السويسرى .

وقد أبلغنى بوانتيه بذلك بنفسه ، وقد كلفنى قبل سفره من مصر لينضم للفرقة الفرنسية فى الحرب العالمية الثانية ان أبلغ تقريرا لحزبه عن نشاطه لانه ربما يموت فى الحرب وقد مات بوانتيه فعلا فى الحرب ...

والحقيقة ان ظهور الفاشية قد أعطى دفعة قوية للحركة الشيوعية فى مصر(٢) كذلك كان الخط الذى تبناه المؤتمر السابع للكومنترن وهو المشهور باسم (خط ديمتروف) ينادى بتكوين جبهات شعبية واسعة للكفاح ضد الفاشية وقد ساعد هذا الخط فى القيام بحركة واسعة لمعاداة الفاشية ..

وقد تجمع عدد من اليساريين الايطاليين فى مصر وبدأوا نشاطا واسعا واستغلوا عددا من المنابر منها مثلا الجمعيات الماسونية ...

※ هنرى كورييل هو مؤسس الحركة المصرية للتحرر الوطنى ثم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وقد ظل مسؤولا لهذه الحركة حتى أبعد عن مصر بقرار من وزير الداخلية فى عام ١٩٥٠ .

١ ــ كان تدريس اللغتين الانجليزية والفرنسية يقوم به أساسا مدرسون اجانب خلال هذه الفترة .

٢ ــ فقد حرك كثيرا من اليهود للعمل ضد النازية ومن اجل اقرار الحقوق الديمقراطية .. كذلك دفعهم الى الاهتمام بتاييد كل الحركات المناهضة للنازية وتاييد الجمهوريين فى أسبانيا .. وقد تغاضى الاحتلال الانجليزى عن هذا النشاط لانه موجه ضد الالمان . (هذا التفسير أدلى به كورييل فى نهاية النقاش) .

ويمكن تصوير حركة الاحداث كما يلى : شيوعيون أجانب قادمون من الخارج (مدرسين فى الإسبانيين) يتصلون بأجانب مقيمين فى مصر .. (وبعد ذلك بمدرسين مصريين) وعن طريق هؤلاء يتم الاتصال بقطاعات من المثقفين المصريين ..

س : كيف بدأ النشاط الفعلى ؟

ج : فى البداية لجأ الجميع الى أسلوب تكوين نواد علنية تستهدف تجميع عدد من المثقفين حولها .

س : وانت كيف أصبحت شيوعيا ؟

ج : هناك أقوال ان أخى راؤول هو الذى جعلنى شيوعيا وهذا غير صحيح .. لكننى تأثرت تأثرا عميقا بالحركة الوطنية المصرية الجارية فى عام ١٩٣٦ ...

وأول تصرف سياسى اتخذته هو انه عندما بلغت سن الحادية والعشرين قررت إختيار الجنسية المصرية بدلا من الايطالية .

وفى عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ اقتنعت بالماركسية وبدأت فى الاتصال بآخرين وفعلا اتصلت بجورج بوانتيه ، راؤول كورييل (أخى) ، مارسيل اسرائيل وآخرين وبدأنا فى تأسيس الاتحاد الديمقراطى .. وكان معنا عدد من المصريين هم د. فؤاد الأهوانى ومحمد نصر الدين وكان مدرسا فى كلية البوليس ... واتخذ الاتحاد الديمقراطى مقرا علنيا له فى العمارة رقم ٢ شارع سكة الفضل وقبل أن يتخذ هذا المقر عقد الاتحاد الديمقراطى أولى اجتماعاته فى مقر احدى الجمعيات الماسونية .

وعلى الفور بدأ الاتحاد الديمقراطى بنشاط واسع جدا وهذا هو الفرق بيننا وبين المجموعة الأخرى هم كانوا خائفين بينما انطلقنا نحن فى نشاط ماركسى واسع النطاق .

والحقيقة أن مهمتنا لم تكن سهلة فقد تحدثنا عن الشيوعية ثم سألنا انفسنا ما هى الشيوعية واذا بنا لا نعرف عنها شيئا .

والسبب أن الكتب الماركسية كانت نادرة جدا والشىء الغريب انه كان مسموحا بالكتب التروتسكية أما الكتب الأخرى فلا ...

وقد أصدرنا فى عام ١٩٣٨ نشرة اسمها « دون كيشوت » ...

وعندما بدأت الحرب تبلور تياران أساسيان واعتقد انهما ظهرا فى كل المستعمرات وهذان التياران هما :

١ ـ تيار يرى أن الأولوية يجب أن تعطى للخط المعادي للفاشية ومن ثم لا يستبعد التعاون مع الانجليز على أساس أنه كان هناك تعاون بين الاتحاد السوفييتى والحلفاء .

٢ ـ تيار آخر يرى الكفاح ضد الفاشية وضد الاستعمار معا وأنا كنت أؤيد هذا التيار .

وقد ظهرت هذه المشكلة كما قلت فى عديد من البلاد ومنها الهند فعندما اصطدم غاندى ونهرو بالانجليز اعترض الشيوعيون الهنود على هذا الموقف وخسروا كثيرا من هذا الموقف ...

والحقيقة أنه بعد اعلان الحرب اتصلت بنا السلطات الانجليزية وعرضوا علينا التعاون ووعدوا بتقديم مساعدات لنا لكننا رفضنا ولما فشلوا تماما فى استخدامنا لجأوا الى تأسيس تنظيم خاص بهم هو « اخوان الحرية » .

وقد أدى الخط الذى سرنا فيه الى الاصطدام بالانجليز أثناء الحرب وقد بدأنا فى الاتصال باليساريين الايطاليين وكانوا قد اعتقلوا أيضا مع بقية الايطاليين وبدأنا فى تنظيم بعضهم داخل المعتقلات ...

كذلك إتصلنا باليساريين اليونانيين فى الفيلق اليونانى ... ثم حدثت تطورات هامة أثرت جدا فى مستقبل مصر وأثرت فى أنا شخصيا .. وهذه التطورات الهامة هى أحداث يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ فهذه الحوادث دفعت الكثيرين الى التيقظ وأعطت دفعة كبيرة للمسألة الوطنية وأبرزت مصر كبلد مستعمر لا ارادة له أهينت كرامته اهانة بالغة .

والحقيقة أن كثيرا من الشيوعيين المصريين لم يدركوا أهمية هذا الحادث ونظروا فقط الى الجانب الايجابى فيه وهو تولى النحاس باشا الحكم .

والى جانب أحداث فبراير ١٩٤٢ كانت هناك أحداث هامة ألهبت مشاعر الجماهير فعندما اقترب روميل من العلمين أحست الجماهير بأمل قرب خروج الانجليز .. وعندما هزم روميل فى العلمين ... فهمت الجماهير أن الفاشية يمكن أن تهزم وتحطمت أسطورة الفاشية ...

ثم جاءت معركة ستالينجراد التى أضعفت الدعاية المعادية للسوفييت ورفعت اسم الاتحاد السوفييتى وسمعته لدى جماهير المصريين ...

وفيما بعد كان اعتراف الحكومة المصرية بالاتحاد السوفييتي وتبادل العلاقات الدبلوماسية معه .. وأقيم معرض للكتاب السوفييتي .. الخ .

وقد تجمعت هذه الاحداث مجتمعة لتشكل خطوة حاسمة في تاريخ مصر وقد كانت الظروف مهيأة أمامنا تماما للعمل ... وبهذا انتقلت الماركسية من الحلقات والنوادي الى العمل الجماهيري ... والى التنظيم الجاد ..

والحقيقة أن المشكلة لم تكن مشكلة تجنيد وانما مشكلة تنظيم هذه الاعداد التي تجمعت حولنا ... كانت المسألة الاساسية هي أن نستفيد من الامكانيات التي خلقها تطور الاحداث لتبدأ عملا جادا ..

س : كيف بدأت الخطوة الحاسمة ؟

ج : في البداية كنا وحدنا .. ففي ابان حوادث فبراير وكانت القاهرة تموج بالمظاهرات طبعنا منشورا باللغة العربية نقول فيه للمصريين لا تتصوروا أن الألمان أفضل من الانجليز ..

وخرجت لأوزعه بنفسي انا وجورج بوانتيه وكان منظرا مضحكا : اثنان من الأجانب يوزعان منشورات باللغة العربية .. وقد وزعنا ٤٠٠ نسخة من هذا المنشور ..

وفي هذه الأثناء قرر بوانتيه أن ينضم الى الفيلق الفرنسي واستشهد في ١٩٤٤ أثناء تحرير فرنسا .

وفي ١٩٤٢ وقبل معركة العلمين اعتقلني الانجليز وأرسلت الى معتقل الزيتون وكان معظم المعتقلين من الموالين للفاشية .. وكان طبيعيا أن يكون هناك اتجاه معاد لي في المعسكر فقد كنت الشيوعي الوحيد وكذلك بسبب يهوديتي .. والذي بدأ الهجوم على هو حسني العرابي وكان قد أصبح فاشستيا صريحا ...

وفي المعتقل استفدت فائدة كبرى .. لقد مارست احتكاكا مباشرا وجادا مع كثير من السياسيين هم في الاساس من ابناء البرجوازية الصغيرة ...

.. وباختصار لقد أخذت في المعتقل حمام تمصير ... وأحسست احساسا عميقا أن البرجوازية الصغيرة تموج بحركة وطنية عارمة وانه يتعين الاستفادة منها ...

وانا اعتبر أن فترة اعتقالي في معتقل الزيتون كان فترة حاسمة في حياتي ...

وبعد فترة قصيرة اختفى الغذاء منتدى ونظمت إضرابا عن الطعام لجميع المعتقلين ... وأثناء الاضراب اعتدى البوليس السياسى على احد المعتقلين المصريين فتراجع الباقون الا انا استمررت فى الاضراب عن الطعام حتى أفرج عنى .

وبعد ذلك خرجت من جو النوادى والحلقات ذات الطابع الأجنبى وبدأت على الفور فى تاسيس حركة شيوعية منظمة ... وأسست ح.م .

واتصلت بمجموعة من المثقفين المصريين وانطلقنا فى عمل واسع سريع جدا ومنتشر .. فاتصلنا بعديد من العمال وبعمال الطيران والسودانيين والنوبيين .

وفى يناير ١٩٤٣ عقدت أول مدرسة كادر .. تولى التدريس فيها د. زكى هاشم ، تحسين المصرى ، جوماتالون ، دافيد ناحوم والدمرداش التونى وأنا ..

وكانت هذه المدرسة نقطة تحول هامة فقد حضرها الكادر الأساسى الذى تولى قيادة الحركة فيما بعد ولهذا فقد اعتبرنا هذا اليوم هو تاريخ تأسيس ح.م .

س : هل اتصلتم بالشيوعيين القدامى ؟

ج : اتصلنا بعدد منهم من بينهم الشيخ صفوان ، عبد الرحمن فضل ، ياناكاكس ، د. حسونة ، د. القاضى . وكانوا خائفين فشجعناهم وضممناهم للعمل .

س : بعد ان أسست ح.م. هل استمر الاتحاد الديمقراطى فى العمل ؟

ج : ظهرت مجموعة جديدة تقود الاتحاد الديمقراطى منهم عزرا هرارى ، هليل شيوارتز ، سيدنى سلامون ، ايلى ميزان وكنت مستمرا معهم .. وفى ١٩٤٢ تغير الاسم الى المركز الثقافى والاجتماعى وفى ١٩٤٣ اغلق البوليس الدار .

س : ما هى معلوماتك عن مارسيل اسرائيل ؟

ج : كان معنا فى الاتحاد الديمقراطى لكنه كان يسعى دائما لعمل تنظيمات جانبية وفى احد المرات دعانى الى اجتماع لمجموعته واحسست انهم جميعا برجوازيون صغار ولم استمر معهم .

س : هل كانت لكم علاقات بالكومنترن ؟

ج : لا ... والحقيقة انه لم تكن هناك علاقة لاخذ بالكومنترن والذى يؤكد ذلك انه فى عام ١٩٤٣ مر انحزيه مارتى بالقاهرة قادما من موسكو فى طريقه الى الجزائر ليقيم هناك ممثلا للحزب الشيوعى الفرنسى . وعند وصوله للقاهرة اتصل بمقر فرنسا الحرة وكانت زوجتى تعمل موظفة هناك فاتصلت به وحضر للاقامة عندنا فى المنزل .

وسالت مارتى عن الاوضاع فى الكومنترن وعن الموقف من النشاط فى مصر فقال لى انه قبل سفره تلقى تعليمات من الكومنترن بالا يتصل باحد من الشيوعيين المصريين ـ اثناء مروره بالقاهرة ـ لان فيهم عناصر بوليسية كثيرة .

س : من هم الاشخاص الذين تعتقد ان لديهم معلومات مفيدة وتنصح بمناقشتهم ؟

ج : انصحك بمقابلة انور كامل ـ اسعد حليم ـ محمد نصر الدين ـ عبده دهب ـ صالح عرابى ـ دكتور الاهوانى .

جلسة المناقشة الثانية ـ باريس ٢٥ يناير ١٩٧٠

س : سنحاول الآن مواصلة النقاش الذى اجريناه منذ عدة اشهر وأود ان احصل على اجابات تفصيلية على عدة اسئلة اولها هو متى وكيف اصبحت ماركسـيا ؟

ج : عندما بلغت من العمر ٢١ سنة كنا فى عام ١٩٣٥ وكانت مصر تمـوج بالمظاهرات الوطنية المعادية للاستعمار وتحمست انا ايضـا لمصر وللمصريين وقررت ان اختار الجنسية المصرية فانا مولود فى مصر من اب مولود فى مصر ومن حقى عندما ابلغ من العمر ٢١ سنة ان اختار الجنسية التى اريد وقررت ان اختار الجنسية المصرية ولم يكن هذا امرا سهلا ولا مقبولا وسط المجتمع الاجنبى لان معناه ان افقد حقى فى الاستمتاع بالامتيازات الاجنبية . وقد قاوم ابى ذلك بشدة لكننى اصررت على موقفى .

وكان ابى صاحب بنك وكنت اعمل معه وكثيرا ما كنت ازور عزبتنا فى الريف والحقيقة اننى كنت المس الفقر المنتشر فى المدينة لكن الفقر فى الريف كان غاية فى البشاعة . وتاثرت جدا بحالة الفلاحين وقررت ان احاول اصـلاح حال الفلاحين وكنت انا وزوجتى نذهب مرتين اسبوعيا الى عزبتنا القريبة من القاهرة ... كان معنا نقود ولنا اطباء اصدقاء اسهموا معنا فى المشروع لكننى اكتشفت بسرعة فشل المحاولات الاصلاحية .

وبدأت ابحث عن طريق آخر ..

وفى أوائل ١٩٣٦ بدأت الحرب الاهلية فى اسبانيا وكان المثقفون الاجانب المستنيرون يتابعون انباءها بعواطف تميل مع الجمهوريين . وبدأت انا فى جمع تبرعات للجمهوريين وكان هذا اول نشاط جدى اقوم به .. وتعاقبت احداث هامة .. مثل حرب الحبشة والحرب الصينية وغيرها وبدأت عينى تتجه فى اتجاه اليســار .

وفى ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ كنت مريضا جدا وسافرت الى باريس للعلاج ....

وقبل سفرى مباشرة اتصل بى مارسيل اسرائيل وكان معه مجموعة من حوالى عشرة اشخاص كانوا مجرد برجوازيين صغارا . وكنت انا برجوازيا ، والبرجوازية لها عيوب كثيرة لكن بها ميزة هامة هى اتساع الافق واحسست انهم مجموعة من ضيقى الافق مجرد موظفين صغار يعيشون على هامش المجتمع

ولا يشعرون بما يدور فيه . واحسست بالقرف منهم وقررت ان اعمل شيئا وبدأت فعلا فور عودتى من باريس فى ١٩٣٨ .

س : وفى باريس الم تتصل بالحزب الفرنسى ؟

ج : لا ، فقد كنت مريضا واكتفيت بالعلاج .

س : كيف بدأت العمل ؟

ج : فى ١٩٣٨ كونت النادى الديمقراطى وكان هدفه الكفاح ضد الفاشية مسترشدا بخط المؤتمر السابع للكومنترن والذى يدعو لتكوين جبهة شعبية معادية للفاشية وانضم الينا عدد كبير من الاجانب (انجليز ويونانيين وايطاليين وسويسريين) ومن المصريين انضم لنا احمد فؤاد الاهوانى ـ محمد نصر الدين (مدرس بكلية البوليس) وكان معظم هؤلاء الاجانب من مدرسى اللغتين الفرنسية والانجليزية بالمدارس الثانوية وكانوا بالتالى محتكين بالمجتمع المصرى وعن طريقهم انضم الينا الاهوانى وكان فى ذلك الحين مدرسا فى مدرسة ثانوية .

س : كان اتحاد انصار السلام موجودا فى ذلك الحين فما هو الفارق بينكم وبينهم ؟

ج : الفارق اننا كانت لنا علاقات بالمصريين وقررنا الانفتاح على المصريين وهم كانت علاقاتهم بالمصريين قليلة جدا .

س : وماذا عن مارسيل اسرائيل ؟

ج : قرر هو ومجموعته ان يعملوا من خلال النادى الديمقراطى لكنهم فشلوا وخرجوا وكونوا مجموعة « الثقافة والفراغ » وكان معهم اسعد حليم وكان اسعد بالنسبة لمارسيل مظهر التمصير .

س : هل يمكن القول انك كنت فى ذلك الحين ماركسيا فعلا ؟

ج : انا كنت اعطف على الماركسية واؤيد الاتحاد السوفييتى وعندما اشتعلت الحرب طلبت التطوع فى الجيش الفرنسى لاحارب الفاشية ولكن طلبى لم يقبل .

والمسألة التى انت تحيرنى فعلا هى اننى كنت اكره انجلترا كرها شديدا بينما يتعين علينا مساندتها ضد الفاشية .

وفى هذه الاثناء اتصل بى مندوب من السفارة البريطانية اسمه فيما اعتقد « مستر جودوين » طالبا ان يعمل النادى معهم عملا موحدا ضد الفاشية وتحدث كثيرا عن اهمية توحيد القوى الديمقراطية ضد الفاشية وضد الشيوعية ، لكننا رفضنا التعاون معهم . وقد طرح هذا علينا سؤالا هاما هو هل نتعاون مع

الاستعمار ضد الفاشية ام نواجه الاثنين معا ..

س : كيف سارت الامور فى النادى الديمقراطى ؟

ج : تعمدت منذ البداية الا ادخل مجلس ادارة النادى وانما كان فيه احمد فؤاد الاهوانى لكنه انسحب من مجلس الادارة بعد ان بدأت مطاردة البوليس لنا . وخلال العمل حدث خلاف بينى انا وجورج بوانتيه من جانب وبين ٧ اعضاء فى مجلس الادارة . لكننا صممنا على راينا حتى هزمنا السبعة وكان هذا درسا مفيدا لى هو ان التصميم فى وجه العناصر المترددة سلاح فعال وكان الخلاف يدور اساسا حول هل نصبح شيوعيين ام لا ..

وعندما انتصرت وجهة نظرنا اعلنا اننا شيوعيون .. لكن ما معنى ان نكون شيوعيين ؟ لا احد يعرف ، ما هو الشئ الذى يتعين علينا القيام به ؟ : لا احد يعرف . وقلبت علينا ان ندرس ولكى ندرس يجب ان تكون هناك كتب وهكذا كانت اول خطوة هى العمل على افتتاح مكتبة . وفعلا افتتحت مكتبة الميدان : وكانت تعمل فى المكتبة هنريت آربيه زوجة سام باردل (وهو ضابط انجليزى عضو فى الحزب الشيوعى الانجليزى) . والحقيقة انه كان هناك عشرات من الشيوعيين وسط القوات البريطانية لكن سام باردل تمكن من العمل معنا لانه كان يعمل فى المخازن بالقاهرة .

س : هل كانت هناك اية اتصالات باحزاب خارجية ؟

ج : بالنسبة لى لا ... لكن بول جاكو كان على علاقة سابقة بالحزب الشيوعى السويسرى ومارسيل اسرائيل كان متصلا بالحزب الفلسطينى وجورج بوانتيه كان عضوا بالحزب السويسرى قبل حضوره الى مصر .. وعندما اقترب الالمان من العلمين اعد الانجليز قطارا خاصا ليهاجر فيه الاجانب التقدميون الى فلسطين ورفضنا نحن السفر وهناك اتصل مارسيل اسرائيل بالحزب الفلسطينى واجرى معهم مناقشات طويلة .

س : الم تتصلوا بالحزب الانجليزى ؟

ج : اول علاقة مباشرة كانت عن طريق مدرس انجليزى يدرس فى السودان . وكان هذا المدرس يحاول تكوين تنظيم شيوعى سودانى . وخلال مروره بالقاهرة قال لى انه يجب ربط التنظيم السودانى بالحزب الانجليزى فرفضت ذلك .

س : عندما شرعتم فى تاسيس ح م . هل كانت هناك خلافات جدية بينكم وبين المجموعات الاخرى مثل مجموعة بول جاكو دى كومب ، ومجموعة

الايسكرا ، أو مع مارسيل اسرائيل ؟

ج : نعم كانت هناك خلافات مبدئية فبالنسبة لجاكو دى كومب نحن كنا نرى ان الخطوة الحاسمة فى التمصير وهو ايضـــا كان يتنادى بالتمصير لكن التمصير عنده كان يعنى مجرد ضم عدد من الاجانب المتمصريين وكان يغوقـه الحذر الشديد والمبالغ فيه من جانبنا • اما نحن فكنا نرى الانفتاح على المصريين مباشرة وكذلك على النوبيين والسودانيين وعلى اوسع نطاق وكانت فكرتنـا عن الامان مختلفة تماما •

وقد نشطنا فى الازهر وحققنا نجاحا وضممنا الى صفوفنا عددا من طلبتـه وكان معنا ازهرى فى كلية اصول الدين صاغ قوانين الجدل شعرا على طريقـة الفية ابن مالك !! وكنا نختلف مع ايسكرا حول موضوع التقيد بالاخلاقيات : كنا نقول ان المناضل الشيوعى يجب ان يتقيد بالاخلاق وان كون نموذجا فى الالتزام بها بينما ايسكرا اعلنت ان النظام البرجوازى هو الذى فرض هـذه الاخلاقيات الزيفة وان علينا التخلص منها •• وبالنسبة للتمصير الحقيقة ان احدا لم يعترض عليه من حيث المبدأ لكننا نحن وحدنا الذين مارسناه بشجاعة وصعدنا الى القيادة فورا عناصر مصرية وعمالية ••

وكل هذه مسائل اساسية لانه على ضوئها يمكن ان يتحدد مصير جماهيرية التنظيم واحترام الجماهير له والتفافها حوله •

س : متى ولدت ح•م• (الحركة المصرية للتحرر الوطنى) ؟

ج : تاريخ ميلاد ح•م• هو تاريخ انعقاد اول مدرسـة للكـــادر (لم يذكر التاريخ) حيث تجمع فى عزبة والدى ٢٥ من الكوادر الجديدة لحضور اول مدرسـة كادر •

كان المدرسون فى المدرسة محمد زكى هاشم ــ احمد دمرداش تونلى ــ تحسين المصرى ــ موسى كاظم وانا • اما الطلبة فكان عددهم ٢٥ من بينهم ٣ أو اربعة من ميكانيكيى الطيران اذكر منهم سيد ســليمان رفاعى ــ يوسف مصطفى ــ المغربى ــ واثنين من الازهريين (لم يذكر اسميهما) واثنين من طلبة الجامعات هما مختار العطار وكمال شعبان اما برنامج الدراسة فكان محاضرات حول تاريخ مصر (على ضوء المـادية التاريخية) ــ جغرافية مصر ــ المادية الجدلية ــ الاقتصاد السياسى وكنا قد ترجمنا نشيد الدولية الى اللغة العربية وكان مطلعه باللغة العربية :

يا بؤساء الدنيا قوموا . . قوموا يا محرومين من الخير

وكان نظام المدرسة صارما وبروليتاريا حقا ، الجميع ينامون على الارض ، يستيقظون فى ساعة محددة لينشدوا عدة اناشيد ثورية بينها نشيد الدولية ثم تبدأ المحاضرات .

وفى المدرسة اعلنا نحن المدرسين للطلبة اننا قد نكون اناسا ثوريين لكننا لسنا الاصحاب الحقيقيين للقضية وانهم أى الطلبة هم الاصحاب الحقيقيون لهـا .

واذكر ان أول منشور شيوعى صدر عن ح.م. قد اشترك فى كتابتـه اربعة اشخاص هم جورج بوانتيه ومحمد نصر الدين و د. فؤاد الاهوانى وأنا ، وطبع منه اربعة آلاف نسخة وكان ذلك فى عام ١٩٤٢ .

ثم اصدرنا بعد ذلك مجلة (حرية الشعوب) واعددنا كورس محـاضرات للاعضاء ، كانت أول محاضرة فيه بعنوان « عيوب المجتمع » وكانت تقـدم تفسيرا علميا لعيوب المجتمع ومصادرها الحقيقية وأساليب التغلب عليها وكان الهدف هو ان نضرب منذ البداية الاتجاهات الاصلاحية التى كانت تنتشر فى ذلك الحين .

س : ما هى علاقاتكم بالمجموعات الاجنبية التى كانت مقيمة فى مصر ؟

ج : كانت مصر فى ايام الحرب مركزا دوليا هاما وكان بها حوالى ١٠ أو ١٥ حكومة بالمنفى واستطيع ان اقول اننا حاولنا مساعدة جميع المجموعات الثورية والوطنية ساعدنا الالبانيين والاسـتراليين والانجليز واتصـلنا بمعسكرات الاسرى الايطاليين وكنا نهرب اليهم نشرات بالايطالية وكتبـا ماركسية لنعزز نفوذ عناصر يسارية كانت موجودة معهم .. وكذلك اتصلنا بمعسكرات الاسرى الالمـان وكان د. عبد الفتاح القاضى يكتب نشرات باللغة الالمـانية ونرسلها اليهم لتوزع هناك .

وكذلك اتصلنا باليونانيين وكانت الفرقة اليونانية بمصر على خلاف مع قوات الاحتلال وكان يتزعمها شيوعى يونانى اسمه ذيتوليديس وقامت الفرقة بانتفاضة ضد الجيش الانجليزى لانهم كانوا يريدون السفر الى اليونان لتحرر بلدهم بينما الانجليز كانوا يريدون ارسالهم الى ايطاليا لاقصائهم بعيدا عن اليونان وحتى يتخلصوا منهم لانهم شيوعيون .

وقد هاجمتهم الاسكرا بحجة انهم يعرقلون معركة الحلفاء ضد الفاشية أما نحن فقلنا اننا لسنا قضاة فى هذا الموضوع وعلى اليونانيين ان يختاروا الموقف

الذى يريدون لكن واجبنا ان يساعدهم كرفاق وقد حاصرتهم القوات الانجليزية فى احد المبانى بالاسكندرية وجندت ح٠م٠ كل اعضائها بالاسكندرية لمساعدتهم وكذا تهريب لهم الطعام والمياه ٠٠ والمعلومات ٠

س : لماذا اخترتم اسم الحركة المصرية للتحرر الوطنى ولم تعلنوا من البداية تاسيس حزب شيوعى ؟

ج : الحقيقة ان الكثيرين طالبوا بذلك، لكننا كنا نرى ان اعلان حزب يمكنه ان يعبر حقيقة عن آمال الجماهير المصرية يتطلب وقتا كثيرا وجهدا اكبر واعدادا سياسيا وماديا ونضاليا لم يكن متوفرا لنا ٠٠ كنا فى بداية الطريق ولم يكن من السهل ان نعلن للجماهير ان هذا التكوين الضعيف هو الممثل الفعلى للبروليتارية المصرية ٠٠

وهكذا اعلنا اننا حركة للتحرر الوطنى تستهدف تحقيق عدة اهداف من بينها :

١ ـ تكوين حزب شيوعى مصرى ٠

٢ ـ اصلاح زراعى ٠

٣ ـ تنظيم الكفاح المشترك مع الشعب السودانى ٠

س : قامت ح٠م٠ على اساس تنظيم فئوى فهل كان هذا هو الشكل الصحيح لتنظيم شيوعى ؟

ج : نعم قام تنظيمنا فى البداية على اساس اقسام فئوية بعضها قومى مثل قسم الارمن وقسم النوبيين وقسم السودانيين وبعضها اجتماعى مثل اقسام النساء والطلبة والشباب والعمال ٠

وقد يتصور البعض ان هذا خطا لكننى اعتقد ان التنظيم اداة وان هذه الاداة يجب ان تتشكل بالشكل الملائم ٠٠

فقد كنا مبتدئين وكنا بحاجة الى فهم القضايا الاجتماعية فهما اكثر عمقا ومثلا مشكلات النساء لا يمكن فهمها فى ظل شكل الخلية العادية المشتركة وانما من خلال تجميع النساء معا كان يمكن خلق طليعة حقيقية لفئة معينة ٠

والسبب الثانى الذى دفعنا الى ذلك هو الأمان فربط النوبيين معا والارمن معا والطلبة ٠٠ الخ ٠ كان يمكن الكوادر من العمل بسهولة وفى ظل امان افضل ويمكنهم من اختيار افضل العناصر واكثرها اخلاصا

ومثلا سنة ١٩٤٧ ووجهنا بمشكلة تنظيم اعضائنا فى كفر الدوار ...

معامل النسيج القائم حديثا من الريف ينشط ويعيش في ظل مجموعات من البلديات وهذه المجموعة ترتبط بالعامل اكثر مما ترتبط بحالة العمل ولهذا اقمنا الخلايا ليس على اساس قسم العمل وانما على اساس البلديات مثلا خلية لابناء المنوفية وكان هذا الشكل في القاعدة فقط وكان فعلا مفيدا جدا ويحمي الخلايا من تسلل البوليس .

لكن مثلا في شبرا الخيمة كان العمال اكثر تقدما ولم تكن مشكلة البلديات حادة مثل كفر الدوار فاقمنا التنظيم على اساس خلية المصنع .

وفي ح.م. كونا مثلا قسما للازهر لاننا لو مزجنا المثقف الازهري مع المثقف العصري في بداية العمل فان كلا منهما سيشعر بالتناقض . وكان تخصيص قسم للازهر مسألة هامة دفعت العمل الى الامام وادى الى انه كان لنا قسم شيوعي كبير في الازهر تتبعه خلايا في جميع المعاهد . وقد نجحنا في الازهر لاننا نفرض على العقلية الازهرية تغييرا عنيفا .

س : وماذا عن نشاطكم في الجيش ؟

ج : بدأنا مع عمال سلاح الطيران ووجدنا انهم خاضعون لنظام عسكري وليس من الممكن تنظيمهم مع زملاء لا يواجهون نفس الخطر . فاقمنا لهم قسما خاصا وعلى اية حال كان لدينا في ح.م. صف ضباط فقط وبعد الوحدة قدمت اليسكرا ضابطا هو احمد حمروش كان قد انضم اليها عن طريق تنظيم القلعة . وبعد ذلك توالى انضمام الضباط . فقد قام حمروش بتأسيس قسم الجيش في وحدته .

وكان لدينا في ح.م. تحليل طبقي لفئات الجيش هو :

الجنود – فلاحين .

عمال الجيش – عمال .

صف الضباط – برجوازية صغيرة .

الضباط – برجوازية متوسطة .

الضباط الكبار – برجوازيين مرتبطين بالمصالح العقارية والملكية .

وقد اتصلنا في ح.م. بعدد من الضباط منهم محمد نجيب وقد اتصلنا به عن طريق احد اعضائنا النوبيين (صالح عزابي) وقد اتصل بي صالح عزابي وقال ان ضابطا من اصل سوداني يريد ان يعرف ما هو موقف الشيوعيون من السودان . وكان هذا السؤال فرصة لبحث الموضوع واعددنا تقريرا مفصلا عن وجهة نظرنا في المشكلة واعلنا فيه اننا نرفع شعار الكفاح

المشترك مع الشعب السودانى ضد العدو المشترك فى مواجهة شعار نيل واحد وملك واحد . وبعد اتصالات عديدة مع محمد نجيب شعرنا انه لم يكن له تكوين سياسى محدد لكنه كان يواصل اتصالاته بالنوادى النوبية ـ وبما ان النوبيين هم اكثر الفئات فقرا ـ فانه كان قريبا من المفهوم الشعبى .

كذلك اتصلنا بصلاح سالم عن طريق الزميل الطيار ابراهيم العطار .

س : ما هى علاقة عبد الفتاح الشرقاوى بالتنظيم ؟

ج : كان عضوا فى اللجنة المركزية للحركة المصرية وكان متدينا ويصلى باستمرار . والحقيقة انه انضم الينا وهو ضدنا لاننا غير مصريين ، لكنه انضم الينا ليكسب الخبرة ليؤسس تنظيما جديدا : وفعلا انسحب الشرقاوى يوم ٦ اكتوبر ١٩٤٥ معلنا فشلنا ومؤكدا ان البلاد تمر بفترة جزر شديد . كذلك كان احد اسباب الخلاف هو مسألة الدين فهو لم يكن يكتفى بموقفنا الايجابى من الدين لكنه كان يفهم الماركسية فهما اسلاميا صرفا .

س : يلفت نظرى انك حددت يوم ٦ اكتوبر ١٩٤٥ للخلاف حول مسألة المد والجزر فى الثورة المصرية فهل لهذا التاريخ صلة بهذا الخلاف ؟

ج : طبعا . والحقيقة اننا عندما اقتربت الحرب من نهايتها طرحنا السؤال التالى هل ستشهد فترة ما بعد الحرب مدا ثوريا فى مصر أم العكس ؟ كنا نحن نقول ان الفترة القادمة فترة مد وان المظاهرات الوطنية ستنفجر مطالبة بالاستقلال التام وان علينا ان نستعد لنلعب دورا اساسيا فى هذه الحركة .

لكن المنظمات الاخرى حللت الموقف بصورة اخرى فقالوا ان الوفد مطرود من الحكم وان حكومة احمد ماهر قررت الدخول فى مفاوضة الانجليز وان الرجعية ترى ان معاهدة ١٩٣٦ تضمنت نقصا فى الاستقلال والمطلوب هو مفاوضات لاستكمال هذا النقص .

وكان تقديرنا ان المظاهرات ستنفجر فى ٦ اكتوبر ١٩٤٥ وهو موعد بدء الدراسة فى الجامعة .

وفى ٥ اكتوبر اصدرت ح.م. منشورا الى جنود الجيش والبوليس تقول لهم فيه انهم جزء من القوى الوطنية المعادية للاستعمار ويجب الا يسمحوا لانفسهم بان يستخدموا لضرب مظاهرات الطلبة التى ستندلع غدا ...

لكن ٦ اكتوبر يأتى ولم تتم مظاهرات وتهكمت علينا كل المنظمات وثار عبد الفتاح الشرقاوى وقال انتم فشلتم وتحليلاتكم خاطئة لكننا قلنا نحن لم نهزم وانما الذى هزم هو القيادات التقليدية للحركة الوطنية لانها عجزت عن قيادة الحركة الوطنية فى ظل الشعارات الملائمة وطرح علينا هذا واجبات جديدة

من العمل على تكوين قيادة وطنية جديدة تقود العمل السياسى والوطنى وبدأنا فى تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال .

وطبعا قادت هذه اللجنة اضرابات ومظاهرات ضخمة جدا اكدت صحة تحليلنا السـابق ..

س : أريد ان تتحدث عن تجربة الوحدة بين ح.م. وايسكرا .

ج : كنا دائما نسعى للتوحيد . وكان من شروط الوحدة ابعاد الاجانب وفعلا كونا قسما للاجانب ابعدنا اليه جميع الاجانب ما عدا انا وهليل شوارتز وبهذا تم التمصير بشكل فعلى وحددنا رايات الكفاح الجديدة لنا وهى الديمقراطية والتحرر الوطنى وهكذا اسمينا التنظيم الجديد الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ح.د.ت.و. لكننا لم نكن نتصور ان حدتو هى الحزب بل كانت خطوة فى سبيل السعى لاقامة الحزب .

وبعد ذلك اعلنا هدف التعميل وتصورنا انه يمكن انجاز مهمة التعميل بنفس الاسلوب الذى اتبعناه فى التمصير . وهكذا كونا اقساما غير عمالية ثم قسما للعمال ابتعد عنه كل من هليل وانا وقلنا ان مهمة قسم العمال ليس مجرد توسيع النشاط وسط العمال وانما ان يتحول بنفسه ليصبح هو الحزب وكان على رأس القسم اربعة من المصريين سيد رفاعى ـ محمد شطا ـ شهدى عطية ـ عبد المعبود الجبيلى .

وقد وقعنا فى خطا كبير فان عملية التمصير تمت بالتصعيد السريع لعناصر مصرية الى القيادة وتدريبها وترتيبها من خلال الممارسة نفسها وتصورنا انه يمكن التعميل بنفس الطريقة ان نصعد عمالا بغض النظر عن مستواهم الفكرى الى صفوف القيادة .. وصعدنا الى القيادة عددا كبيرا من العمال بقصد أن نشعر العمال انهم الملاك الحقيقيين للتنظيم ..

لكن من هم العمال ؟ هذا هو السؤال الذى حاولنا ان نجيب عليه . وقلنا ان التعميل بالمعنى النظرى والثورى هو ضم طلائع العمال فى المراكز العمالية الكبرى . وهذا يعنى فى ظروف مصر ضم قيادات عمال النسيج وعمال النسيج المصريين كانوا فى ذلك الحين ثوريين لكنهم كانوا بشكل عام غير متعلمين وأدى التصعيد السريع للعمال الى اضعاف التكوين الفكرى لقيادة التنظيم فى ظروف بدأ التنظيم يتعرض فيها لصعوبات تنظيمية وتواجهـه مشـكلات نظريات وفكرية خطيرة .

كذلك أعاق عملية التمصير أن المثقفين المصريين فى قيادة التنظيم قالوا أن المسافة الواسعة بين الاجنبى والمصرى حتمت التمصير لكن هذه المسافة تقل كثيرا فيما بين المثقف والعمال المصريين .. وكان بعض المثقفين يشعرون بالخطر على مراكزهم من التعميل وكان البعض يشعر بمخاطر انخفاض المستوى النظرى للقيادة وعلى أية حال أدى هذا الموضوع الى خلافات عميقة فى قيادة حدتو .

وفى هذه الظروف بدأت الرجعية فى الضغط على الحركة . وأدى الضغط بالضرورة الى توليد اتجاهات متطرفة يسارا فانقسمت مجموعة م.ش.م. واتجاهات متطرفة يمينا مثل مجموعة فوزى جرجس التي رفعت شعار « احناء الرأس للعاصفة » .

ومما أدى أيضا الى ضعف مواجهة التنظيم للضغط الرجعى ان هذا الضغط وجه الينا بعد ضم مجموعات ضعيفة من الناحية النضالية (مثل كثير من عناصر ايسكرا) .

س : ما هى القصة الحقيقية لزيارة اندريه مارتى لك فى القاهرة وما هى حقيقة علاقتك به ؟

ج : زوجتي كانت تعمل مترجمة لدى وفد فرنسا الحرة بالقاهرة وهناك قابلت مارتي وكان قادما من موسكو دعته هو وزوجته للاقامة فى شقتنا فقبل على الفور وعندما سألناه فيما بعد عن سر قبوله السريع قال انهم حذروه فى موسكو من أن القاهرة مليئة بالجواسيس ولهذا فضل الا يقيم فى فندق . بدأت معه مناقشات حول الوضع فى مصر . وأجبرته على أن يقابل قائد المجموعة الشيوعية فى الفرقة اليونانية المسلحة بمصر الرفيق نيقوليدنيس وكان مارتي مترددا فى القيامة أى اتصال بأى انسان لكننى أصررت . وبعد ذلك سافرت مارتى الى الجزائر واستمرينا فى ارسال كتب ونشرات اليه . وفى ١٩٤٦ سافرت زوجتى الى باريس وكانت صديقة للزوجة مارتى فقابلتهما ونقلت اليهما وجهات نظرنا السياسية لتنقلها الى الحزب الفرنسى وطلبت منهما أن تتصل بجارودى ليكتب مقدمة للترجمة العربية لكتابه الذى كنا قد قررنا طبعه فى سلسلة الكتب الخضراء وفعلا كتب جارودى مقدمة ممتازة .

وفى ١٩٥٠ عندما طردت من مصر الى ايطاليا ثم طردت من ايطاليا سافرت الى باريس قدمت نفسى للمكتب السياسى للحزب الفرنسى فقالوا لى قابل مارتى فقابلته وطلب تقريرا عن تطورات الظروف السياسية فى مصر ماعدت اليه التقرير وبعد ذلك فوجئنا بان الحزب يطرد مارتى ويتهمه بالجاسوسية فكتبنا تقريرا الى الحزب الفرنسى أشرنا فيه الى مقابلتنا السابقة معه وشرحنا وجهة نظرنا فى اتهام مارتى ...

وبعد أيام فوجئنا بالاومانيتيه تنشر تقريرا للمكتب السياسى يقول أن مارتى كان على علاقة باثنين من المصريين مشكوك فيهما وهذان الاثنان هما أنا وزوجتى .

وبعد ذلك كتبت الى الحزب رسالة قلت فيها اننا لا نوافق على رأيهم لكننا لن نقول شيئا حتى لا نضعف مركز الحزب فى المعركة مع مارتى ..

والحقيقة أن سبب الخلاف بينى وبين الحزب الفرنسى والايطالى يرجع الى اختلافى معهم فى المواقف والتحليلات السياسية ازاء مصر . فعندما الغيت معاهدة ٣٦ قالوا ان ذلك تعبيرا عن النفوذ الامريكى ورفضنا هذا التحليل . وعندما قامت ثورة يوليو هاجموها بينما أيدتها أنا .

وهكذا فان أسباب الخلاف هى فى الاساس أسباب سياسية .

انتهى النقاش

محضر نقاش مع عبده دهب حسنين *

تم النقاش فى الخرطوم ١٨/١٠/١٩٦٩

س : كيف بدأت علاقتك بالعمل السياسي فى مصر ؟

ج : فى عام ١٩٣٥ بدأت حياتي السياسية وأنا شاب صغير فى وادى حلفا واتصلت بحزب مصر الفتاة وكان له فرع بوادى حلفا لقربها من مصر وللتعبير عن تصميم الحزب على وحدة وادى النيل . ولبست القميص الاخضر .. واستدعانى حاكم البلدة وهو انجليزى وطلب الى خلع هذا القميص فرفضت . فبدأ فى اضطهادى .. وبعد ذلك غادرت حلفا الى القاهرة وعملت هناك مع حزب مصر الفتاة . وقد طلب الى قادة الحزب أن أعمل لدى الايطاليين (لتعزيز العلاقة بالفاشست) وعملت فعلا فى حمام سباحة بالهرم مملوك للايطاليين .

وفى هذه الاثناء كنت متحمسا جدا ضد الانجليز وشعر بحماسى ايطالى شيوعى اسمه ماريو كان يعمل فى نفس النادى فسألنى لماذا انت متحمس ضد الانجليز ؟ فقلت لانهم يستعمرون بلادنا . فقال ولماذا تحب ايطاليا فقلت لكى تخلصنا من الانجليز .

وضحك ماريو وأخذ يحدثنى طويلا عن فكرة الاستعمار وكيف أن الايطاليين يحاولون طرد الانجليز من مصر ليحلوا محلهم .

وبدأ ماريو تدريس الماركسية لى وأفهمنى أن الدولة الوحيدة التى يمكن أن تساعدنا مساعدة جدية هى روسيا .

---

* عبده دهب حسنين . سودانى من وادى حلفا قضى فترة طويلة من حياته (١٩٣٥ ـ ١٩٥٠) بالقاهرة وكان من أوائل الذين انضموا الى النادى الديمقراطى ثم الى « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » . لعب دورا كبيرا فى تأسيس الحركة السودانية للتحرر الوطنى . عندما عاد الى السودان مارس نشاطه لفترة من الوقت ثم ابتعد عن التنظيم بسبب بعض الخلافات . ويعمل الآن بالتجارة . يحتفظ بمذكرات يومية عن نشاطه وذاكرته قوية . من مواليد ١٩١٧ .

وفى سنة ١٩٣٩ بدأت حملة إعتقالات ضد الايطاليين وعندما جاء البوليس ليقبض على ماريو قال لى حاول الاتصال بهنرى كورييل أو مارسيل اسرائيل . لكنه لم يعطنى أية عناوين . ولم أستطع أن أعثر عليهما .

وكانت الافكار التى علمنى ماريو اياها تشكل حاجزا بينى وبين مصر الفتاة فبدأت فى الانشقاق عنها وفعلا انقسمت عن مصر الفتاة أنا وعصام عبد المعطى وفهمى عقل وحسن كمال وآخرين مكونين تنظيما جديدا اسمه « كتلة الشباب المصرى » وأصدرنا مجلة اسمها « الأجلاء » كان مقرها بشارع سليمان باشا .

س : هؤلاء الذين كونوا معك « كتلة الشباب المصرى » هل كانوا جميعا يساريين ؟

ج : لا ... أنا وعصام عبد المعطى فقط .

س : وكيف اتصلت بالشيوعيين ؟

ج : كنت أشعر أننى بحاجة إلى الثقافة وكنا نبحث فى الصحف عن الاعلانات التى تنشر عن المحاضرات والندوات فى الاندية المختلفة . وذات يوم من أيام عام ١٩٣٩ قرأت عن مناظرة ستجرى فى مقر النادى الديمقراطى بشارع سكة الفضل حول المرأة المصرية والمرأة الاوربية بين الاستاذين سلامة موسى وزكى مبارك .. وذهبت لحضور هذه المناظرة واشتركت فى نقاش عنيف ضد زكى مبارك . وبعد أن انتهت المناظرة تقدم الى شخص أجنبى وطلب منى أن أدخل معه أحد المكاتب حيث وجدت بعض الاشخاص . وسألنى هذا الشخص الذى علمت فيما بعد أنه هليل شوارتز . هل أنت عبده دهب ؟

فقلت نعم .. فقال : اننا نبحث عنك من زمن طويل .

ودار نقاش حول الاوضاع فى السودان ونظم التعليم هناك لكن النقاش كان محصورا بينى وبين شوارتز أما الاخرون فلم يشتركوا فيه وكانوا هنرى كورييل وبولا العلايلى ومارسيل اسرائيل .

وعندما كنت أوشك على مغادرة المكتب طلب منى هنرى كورييل موعدا .

وقابلته بعد أيام فى مكتبه بشارع الشواربى . حيث حدثنى طويلا عن رغبته فى تأسيس مجلة تعمل على نشر الوعى فى مصر .

وكلفنى أن أبحث عن مجلة مصرية لاستئجارها حيث يصعب على أشخاص مثلهم الحصول على رخصة مجلة . وفعلا استأجرت مجلة « حرية الشعوب »

وكان يصدرها شخص اسمه رجب أحمد وهو شخص عادي جدا لم تكن لديه أية ميول سياسية رغم هذا الاسم الذي أطلقه على مجلته وكان الايجار المتفق عليه ١٥٠ قرشا شهريا ارتفعت الى ٢٥٠ بعد أن بدأت مضايقات البوليس .

واحتفظنا باسم المجلة وأضفنا شعارا يقول أنها « مجلة مصرية سودانية عمالية ثقافية » .

س : من كان يعمل معك على إصدار هذه المجلة ؟

ج : كثيرون جمعهم معى كورييل مثل السيد قنديل وهو نقابى مشهور ونقابى آخر اسمه زكى أبو الخير ومن السودانيين محيى الدين صابر وعددا آخر من أعضاء النادي الديمقراطي مثل يوسف درويش وايزاك عبود وقد اختيرا لأنهما يجيدان اللغة العربية .

س : هل اكتفيتم باصدار المجلة ؟

ج : لا ... فهنرى كورييل كان ينظم مع كل منا دراسات للماركسية ويطلب بالحاح كسب المزيد من العناصر المصرية وفعلا كسبنا معنا أسعد حليم ، أنور كامل ، مصطفى كامل منيب .

س : كيف تأسس التنظيم ؟

ج : واضح أن النادي الديمقراطي كان تجمعا يستهدف خلق حلقات ماركسية تستهدف تكوين تنظيم فيما بعد وواضح أنه كان هناك خلاف حول أسلوب البدء ... لكننا لم نكن نعلم أي شيء عن هذا الخلاف وفجأة وجهت لي الدعوة لحضور اجتماع في منزل شخص عرفت فيما بعد أنه جوماتالون وكان الاجتماع ساخنا جدا ودار فيه نقاش حاد . وفي البداية أحسست انني لا أفهم شيئا وبالتدريج فهمت ان هناك خلافا بين كورييل وشوارتز .

وقف هنرى كورييل وفي يده تقرير مكتوب باللغة الفرنسية لكنه كان يترجمه فورا الى العربية وتحدث طويلا عن أهمية تشكيل تنظيم يقود معركة التحرر الوطني وتحدث عن أهمية تمصير هذا التنظيم بحيث تكون غالبية أعضاء اللجان القيادية من المصريين .. وقال انه يعلم انه لا توجد كوادر مصرية كافية لكنهم سيتدربون من خلال ممارسة المسئولية .

وتحدث شوارتز فأيد فكرة تأسيس منظمة لكنه عارض فكرة اشتراط أن تكون غالبية المستويات القيادية من المصريين وأذكر انه قال ان لينين كتب مقالا في العدد ٣٨ من « الايسكرا » قال فيه انه يمكن لطلائع أجنبية أن تلعب الدور القيادي في التنظيم في بلد متخلف .

وتحدث جورج حنين قائلا ان وجهة نظر كورييل صحيحة بشرط أن يتم ابعاد كورييل نفسه لانه أجنبي .

وتحدث كورييل قائلا بأنه مستعد أن يوجد فى اللجنة المركزية كعضو مرشح بدون صوت وبعد مناقشات حادة انفض الاجتماع دون اتفاق وبدأت بعده سلسلة من الاتصالات الفردية .

س : هل تذكر أسماء بعض الذين حضروا هذا الاجتماع ؟

ج : أذكر البعض عصام الدين حفنى ناصيف - بولا الغلايلى - جورج حنين - عبد الفتاح القاضى - وآخرين .

س : ماذا حدث بعد ذلك ؟

ج : اتصل بى كورييل . واتصل بى جورج حنين وعصام ناصف يعرضون فكرة تأسيس تنظيم مستقل بعيدا عن كورييل وشوارتز وشعرت أن لديهما ميولا تروتسكية . وناقشنى شوارتز وكان يردد باستمرار روايته عن مقال لينين بالايسكرا حتى أطلقنا عليه تهكما اسم « ايسكرا » وأطلق هذا الاسم على التنظيم الذى أسسه فيما بعد .

وبعد تفكير اخترت ان أعمل مع كورييل . وهكذا شهدت مولد الحركة المصرية للتحرر الوطنى (ح.م.ت.و) .

س : هل افهم من ذلك انك شاركت فى التأسيس ؟

ج : نعم .. كنت أحد أعضاء أول لجنة مركزية ..

س : هل تذكر أسماء بعض من كانوا معك فى اللجنة المركزية ؟

ج : أذكر تحسين المصرى - د. عبد الفتاح القاضى - محمود كامل - د. زكى هاشم - أحمد الدمرداش تونى - هنرى كورييل - أسعد حليم - أسماء البقلى .

س : وماذا فعل الآخرون ؟

ج : شوارتز كون « الايسكرا » ومارسيل اسرائيل كون « الخبز والحرية » .

س : هل يمكن أن تسرد لى بايجاز تطورات نشاط ح.م. فى الفترة الأولى من تأسيسها ؟

ج : فى البداية بدأنا عملية تجنيد واسعة واتصالات على نطاق كبير وبعد سنة تقريبا رفع كورييل شعار « التعميل » ومؤداه أن تضم الى اللجان القيادية عناصر عمالية وكان لنا نشاط واسع وسط ميكانيكيى السلاح

الجوى ووسط عمال النسيج فصعد الى القيادة سيد سليمان رفاعى وفؤاد حبشى (من السلاح الجوى) ومحمد محمد شطا (النسيج) والحقيقة ان سيد رفاعى وفؤاد حبشى قد استطاعا أن يؤسسا تنظيما قويا جدا داخل سلاح الطيران وبالذات وسط خريجى مدرسة ميكانيكا الطيران ·

وبعد مدة امتد نشاطنا وسط اتحاد خريجى المدارس الصناعية وأذكر من بينهم يوسف بديرا محمد على ·

ومن خلال هذه التجمعات الكبيرة أمكن توسيع نشاطنا الى حد كبير ·

س : هل كنتم تصدرون مجلة فى ذلك الحين ؟

ج : نعم استمرت مجلة حرية الشعوب لسانا لنا وكنت أنا المسئول عن المجلة وعن تحريرها · وعندما سافرت فيما بعد الى السودان بتكليف من التنظيم تولت أسماء البقلى مسئولية المجلة لكنها حولتها الى مجلة نسائية الأمر الذى اثار انتقادات كثيرة ·

س : كيف تطورت علاقاتكم بايسكرا ؟

ج : فى البداية لم نكن نشعر بالتناقض معهم · ولكن مع امتداد نشاط كلا التنظيمين فى مجالات عديدة الجامعة ـ الحركة العمالية وغيرها بدأ الاحتكاك بين قواعد التنظيمين ·

س : هل كانت لكم علاقات بأحزاب أجنبية أو عناصر منضمة لهذه الأحزاب ؟

ج : كان هناك ضباط وجنود شيوعيون فى قوات الاحتلال · لكنهم لم ينضموا للتنظيم وكانوا يتصلون بكورييل شخصيا · وأعرف انهم قدموا لنا مساعدات كثيرة ·

س : متى بدأتم فى جذب عناصر سودانية الى الحركة ؟

ج : أذكر انه فى عام ١٩٤٣ كلفنى التنظيم بالاهتمام بتجنيد عناصر سودانية · وبعد ذلك كلفت بالسفر الى السودان للاتصال بمجموعة شيوعية سمعنا أنها موجودة هناك ·

وفى ١٩٤٣ وصلت الى الخرطوم وقابلت أحد مؤسسى هذه المجموعة وهو ضابط انجليزى اسمه « استورى » وقد تحدث معى طويلا عن صعوبة العمل وسط السودانيين خاصة وانه ضابط فى قوات الاحتلال · وقال انه رغم

ما بذل من جهود لم يستطع أن يجند سوى شخصين فقط هما أحمد زين العابدين (طالب فى كلية غوردون وأصبح فيما بعد وزيرا) وحسن الطاهر زروق (مدرس) .

وبقيت فى الخرطوم شهرين استطعت خلالهما أن أتصل ببعض قراء مجلتنا « حرية الشعوب » .

وقبل أن أغادر الخرطوم دعانى الى منزله مهندس اسمه حسن أبو جبل وهناك وجدت ما يقرب من عشرين شخصا وطلبوا الى أن أتحدث معهم عن الماركسية وبعد حديث طويل أعلن حسن أبو جبل اقتناعه وضممته الى زين العابدين وزروق .

واذكر أنه خلال مناقشاتى مع « أستورى » قال لى أنه يعلم اننا قد جندنا فى القاهرة عددا من الطلاب السودانيين وطالب بضمهم الى مجموعته التى يزمع أن يلحقها بنشاط الحزب الشيوعى الانجليزى .

وعند عودتى عرضت ذلك على اللجنة المركزية وعارض كوربيل بشدة وأثبت فى محضر الاجتماع أن السودانيين الشيوعيين الموجودين بمصر هم جزء من الحركة المصرية وان علينا أن نسرع بتكوين قسم مستقل لهم يعمل وسط السودانيين فى مصر تمهيدا لتاسيس تنظيم مستقل فى السودان . وفعلا تكون هذا القسم سريعا وكان أسمه الحركى « شركة الملح والصودا » .

س : هل تذكر أسماء الأعضاء الاول فى هذا القسم ؟

ج : د. عبد الوهاب زين العابدين ـ محمد أمين حسين ـ عبد الرحيم فودة ـ د. عز الدين على عامر وعبد الماجد أبو حسبو ـ حسن اسماعيل .

س : من كان مسئول القسم السودانى :

ج : الحقيقة أن لجنتنا المركزية اتخذت قرارا بأن تضم الى صفوفها باستمرار اثنين يمثلان القسم السودانى وأول اثنين كنا أنا وعبد الماجد أبو حسبو . وكنت أنا لفترة مسئولا عن القسم السودانى .

س : متى بدأ الاستقلال الفعلى للتنظيم فى السودان ؟

ج : فى ١٩٤٥ وصل الى مصر شخصان موفدان من قبل د. عبد الوهاب زين العابدين وهما حسن الطاهر زروق والمهندس عبد الحميد أبو القاسم .

وعقد أجتماع ضم قادة القسم السودانى بالقاهرة ومندوبى الخرطوم

وعدداً من المصريين منهم كورييل و د. عبد الفتاح القاضي وتحسين المصرى .
وكان الاجتماع فى منزل كورييل .

وقدم المندوبان تقريراً يطالبان فيه بتشكيل تنظيم مستقل له قيادة مستقلة ووافق المجتمعون على ذلك .

واتفق على أن يستمر السودانيون المقيمون فى القاهرة أعضاء فى ح.م.

واتفق على انه فى حالة عودتهم الى السودان ينضمون الى التنظيم هناك فى نفس المستوى الذى كانوا يعملون فيه فى القاهرة .

واتفق أيضاً على أنه فى حالة انتقال أى سودانى للاقامة فى مصر ولو بصفة مؤقتة ينضم الى المستوى المقابل فى ح.م.

واتفق على تسمية التنظيم السودانى الحركة السودانية للتحرر الوطنى (ح.س.ت.و) .

س : هل كان للتنظيمات الاخرى نشاط وسط السودانيين ؟

ج : لا أعتقد وأذكر أن شوارتز عندما أحس بنشاط القسم السودانى وبتأسيس حبيتو تقدم الى ح.م. بطلب رسمى متضمن السماح للسودانيين بالعمل لفترة مع المنظمات المختلفة حتى يكتسبوا خبرات متنوعة .. ولكن طلبه رفض .

س : سمعت انك كنت على علاقة بتاسيس القسم النوبى فى ح.م. فهل هذا صحيح ؟

ج : ساعدنى على الارتباط بالنوبيين اننى نوبى سودانى وقد اتصلت بعدد من النوبيين منهم محمد خليل قاسم وشخص آخر اسمه شريف . وعن طريقهما اتسع النشاط جدا وسط النوبيين وتكون قسم ضخم وساعد على ذلك ترابط النوبيين والازمة التى كانوا يعيشون فيها عقب التهجير .

س : هل كانت هناك أقسام أخرى فى ح.م. ؟
ج : كان هناك قسم الارمن .. لكن لا علاقة لى به .

س : هل كان لكم نشاط وسط عناصر اجنبية أخرى ؟

ج : كنا نسعى دوما للبحث عن عناصر تساعد على امتداد النشاط الماركسى الى أى مكان فى العالم .

وأذكر أنه خلال علاقتى بالطلبة السودانيين فى مدرسة حلوان تعرفت فى ١٩٤١ بشاب حبشى متحمس اسمه « ملاس بوجوتى » وبدأت فى المناقشة معه ولما علم كورييل طلب الى الاهتمام به .

وأصبح بوجوتى عضوا فى ح.د.ت.م. وكنا نطالبه باستمرار بالتركيز على دراسة مشكلات بلاده وتقديم أبحاث عنها . وفى ١٩٤٣ أتم دراسته الثانوية وقرر الالتحاق بالجامعة . لكن كوريل اجتمع به وأقنعه بأهمية السفر الى الحبشة لتأسيس تنظيم ماركسي هناك . وأذكر أننا قدمنا له مساعدات كثيرة جدا وسافر بوجوتى وظل يراسلنا لفترة طويلة ويرسل لنا تقارير عن تطورات نشاطه وكنا طوال هذه المدة نقدم له كل ما يطلب من مساعدات مالية وكتب وغيرها .

وبوجوتى هو الان أحد قادة الحزب الشيوعى فى الحبشة .

وأذكر أيضا أننا اتصلنا ببعض الطلاب اليمنيين وبعض اليمنيين الذين وصلوا للتدريب فى مصلحة البريد وحاولنا تجنيد بعضهم وأعطيناه لهم كميات كبيرة من النشرات والكتب قبل سفرهم .

س : ما هى قصة تأسيس مجلة أم درمان ؟

ج : كان هناك صراع بين شعارين شعار يرفعه الشيوعيون « الكفاح المشترك - مع حق تقرير المصير » وشعار الاحزاب الاخرى « وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى » وكان يؤيده من السودانيين فى القاهرة على البربر .

وعلمنا أن القصر الملكى سيصدر مجلة اسمها السودان وسيرأس تحريرها على البربر للدعوة لشعار وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى .

فأسرعنا باصدار مجلة لنا .

وفى البداية طلبنا ترخيصا لمجلة باسم « مجلة الكفاح المشترك » ورفضت وزارة الداخلية فقدمنا طلبا آخر لمجلة باسم « أم درمان » ورفض طلبنا أيضا .

لكن أحمد الدمرداش التونى وهو زوج ابنة محمد محمود جلال استطاع أن يقنع صهره الذى كان نائبا فى البرلمان بأن هذه المجلة ستحمل لواء الدعوة لمبادئ الحزب الوطنى وتقدم النائب محمد محمود جلال بضمانة للمجلة امام السلطات .

وبناء على وساطة محمد محمود جلال استقبلنى رئيس الوزراء حسن باشا صبرى فى كلوب محمد على وابلغنى أنهم سيعطوننا ترخيص المجلة وضحك وقال وان كنت أعتقد أن اسمها الحقيقى سيكون « موسكو » وليس « أم درمان » .

وصدر الامتياز باسم محمد أمين حسين لانه كان أكبرنا سنا وكنت أنا رئيس التحرير وقد لعبت الجريدة دورا كبيرا ضايق السراى . الى حد أن احد سكرتيرى الملك وهو حسن يك حسنى اتصل بى وعرض على ٢٠٠٠ جنيه مقابل أن اغلق المجلة وأن أسافر الى السودان . فلما رفضت هددنى بالقتل . وطلبت عقد اجتماع عاجل للجنة المركزية وعرضت عليهم الامر وقررنا أن نتحدى هذا التهديد .

س : هل لعبت أم درمان دورا فى السودان ؟

ج : لعبت دورا كبيرا جدا . وقد صادرتها سلطات الاحتلال ومنعتها من الدخول الى السودان لكنها كانت تهرب ليباع العدد الواحد بخمسة وعشرين قرشا .

وفيما بعد قالت احدى الصحف السودانية وهى « الرأى العام » ان أم درمان كانت حاملة لواء طرد الاستعمار من السودان .

س : ما هو رقم توزيع أم درمان ؟

ج : فى البداية كنا نوزع ٣٠٠٠ نسخة ثم ارتفع الرقم فى ١٩٤٦ وعندما صادرها صدقى كانت توزع ٨٠٠٠ نسخة وكان معظم التوزيع يتم بواسطة الاعضاء والعاطفين .

س : ارتبط اسمك ايضا بمجلة الجماهير فما قصتها ؟

ج : الجماهير كانت أصلا مجلة ايسكرا قبل أن نتحد معهم . وعندما إتحدنا فى الحركة الديمقراطية كان الاتفاق أن يكون المسئول السياسى والتنظيمى فى جميع المستويات من ح.م. ومسئول الدعاية ومسئول العمل الجماهيرى من ايسكرا .

ونتيجة للوحدة صار ضمى الى « الجماهير » كمسئول سياسى لكن شهدى عطية المسئول السياسى للمجلة أيام ايسكرا لم يقبل هذا الوضع . وبعد صراع اتفق على أن تشرف ل.م. مباشرة على المجلة وقد بلغ توزيع الجماهير ١٢ الفا .

س : كم كان عدد أعضاء ح.م. ؟

ج : عند الوحدة مع ايسكرا قمنا بحصر للاعضاء وبلغ عددهم ١٨٠٠ عضو .

انتهى النقاش

المراجـــع

مراجع عربية ومترجمة

- أمين عز الدين ـ المنصورى بسيرة مثقف ثورى .
- اسماعيل مظهر ـ الاشتراكية .
- السيد محمد عفيفى البقلى ـ فوائد الثمرات الاحمدية فى المباحث الاقتصادية والسياسية .
- آثار الزعيم سعد زغلول ـ عهد وزارة الشعب ـ جمعها ورتبها محمد ابراهيم الحريرى .
- أحمد الصاوى محمد ـ ما قل ودل ـ الجزء الاول .
- أحمد شفيق باشا ـ حوليات مصر السياسية ـ الاجزاء ٣ ، ٤ ، ٥ .
- أمين عز الدين ـ شخصيات ومراحل عمالية .
- اليد القوية ـ خطب وأحاديث حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا .
- الياس مرقص ـ تاريخ الاحزاب الشيوعية فى الوطن العربى ـ ١٩٦٤
- الياس مرقص ـ الاممية الشيوعية والثورة العربية .
- د. رفعت السعيد ـ عصام الدين حفنى ناصف ـ سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى .
- د. رفعت السعيد ـ نقولا الحداد ـ سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى .
- رؤوف عباس ـ الحركة العمالية فى مصر .
- سمير غريب ـ السيريالية فى مصر .
- صالح على عيسى السودانى ـ الاسرار السياسية لابطال الثورة المصرية ، وآراء الدكتور محجوب ثابت .
- صديق رسول القادرى ـ الميجر جنرال ـ مذكرات القادرى ـ ترجمة القاسم العلوى .
- عبد المنعم الغزالى ـ تاريخ الحركة النقابية المصرية .
- عبد العظيم رمضان ـ تطور الحركة الوطنية فى مصر .

- الدولية الشيوعية قبل المؤتمر السابع - تقرير بالالمانية

- د. محمد أنيس - الحركة الوطنية فى مواجهة الاستعمار الاوربى - سلسلة محاضرات المعهد العالى للدراسات الاشتراكية (غير منشور).

دوريات عربية :

اتحاد العمال

الاتحاد

التطور

الأحرار الدستوريين

الأخبار (جريدة الحزب الوطنى)

الأخبار (الحالية)

الف - باء (اللبنانية)

الفن والحرية (مطبوعة بالرونيو)

الاذاعة والتليفزيون

الأمل

الأهرام

البلاغ

التطور

الجهاد

روح العصر

الرقيب

روزا اليوسف

السياسة (الاسبوعية)

شبرا

العمال (١٩٢٤ - ١٩٢٥)

العصـور

الفـلاح الاقتصادى

كوكب الشرق

الكشكول

كل شيء والدنيـا

اللطـائف المصورة

اللواء

الطليعة

المجلة

المجلة الجـديدة

المقتطف

المصرى

المصور

الهـلال

دوريات أجنبيـة

Unéffort

The Communist International

The Egyptian Gazette

International Press Correspondence

The Labour Monthly

Savoir Vivre

Les Humbles

Don Quichotte

Revolyutsionnyi Vostok (باللغة الروسية)

فهرست الجزء الثانى

ـ القسم الثالث ـ

ملاحـق

(٤) تقارير شخصية ومحاضر نقاش :

صدر للمؤلف :

- الأساس الاجتماعى للثورة العرابية .
- تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر .
- كتابات فى التاريخ .
- صفحات من تاريخ مصر .

* فى سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى :

- نقولا حداد ..
- عصام الدين حفنى ناصف .
- ثلاثة لبنانيين فى القاهرة .

* فى سلسلة قادة العمل السياسى فى مصر :

- محمد فريد ، الموقف والمأساة .
- سعد زغلول ، بين اليمين واليسار .
- مصطفى النحاس ، السياسى والزعيم والمناضل ..
- حسن البنا ، متى وكيف ولماذا ؟
- أحمد حسين ، كلمات ومواقف .
- تأملات فى الناصرية .
- أوراق ناصرية فى ملف سرى للغاية .

* فى سلسلة تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر :

- تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر	١٩٠٠ - ١٩٢٥
- اليسار المصرى	١٩٢٥ - ١٩٤٠
- تاريخ المنظمات اليسارية المصرية	١٩٤٠ - ١٩٥٠
- منظمات اليسار المصرى	١٩٥٠ - ١٩٥٧
- تاريخ الحركة الشيوعية المصرية	١٩٥٧ - ١٩٦٥
- الصحافة اليسارية فى مصر جـ١	١٩٢٥ - ١٩٤٨
- الصحافة اليسارية فى مصر جـ٢	١٩٥٠ - ١٩٥٢
- اليسار المصرى والقضية الفلسطينية .	

* روايات

- السكن فى الأدوار العليا .
- البصقة .

رقم الايداع ٣٨٠٦/٨٧

شركة الأمل للطباعة
والنشر والتوزيع
"صورافيتلي سابقا"

١٩ ش محمد رياض - عابدين ت ٩٠٤٠٩٦

كنت اعتقد ـ ولم ازل ـ ان ثمرة العنب تمتلك مذاقا خاصا بكل ارض تنبت فيها ومن ثم فإنه يصعب على الباحث ان يدرك المعطيات الخاصة لحركة واسعة الانتشار ، ممتدة التاريخ ، سرية الفعل ، متعددة المسارات ، مصرية الاداء والمذاق كالحركة الشيوعية المصرية .. اذا ما اكتفى برؤية احادية ، او نظرة خارجية ، او متابعات ظاهرية او مستندة الى تعميمات او تقييمات متعجلة ..

عشرون عاما واكثر وهبتها اداء لهذا الواجب الملح .. واجب دراسة هذا المسار المجيد ، دراسة اكاديمية وانتقادية ...

وهذه الدراسة ليست مجرد بحث فى الماضى ولا مطابقة مع الحاضر ، وانما تطلع الى المستقبل ولقد صدر هذان الكتابان اللذين يضمهما هذا المجلد فى اكثر من طبعة لكنهما يمتلكان الآن اضافات عديدة تراكمت لدى الباحث عبر فترة البحث التى امتدت عبر اكثر من عشرين عاما ...

المؤلف



شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع
اخوان مورافتلى سابقا
تأسست سنة ١٨٩٨
١٩ شارع [illegible] ارض شريف - عابدين - القاهرة تليفون [illegible]